يناير سنة ١٩٣٦ الثمن ٣ قروش

١/٥

~~complete~~

~~missing 6~~

المجلة الجديدة
السنة ٥
الاعداد ١-٦

اقرأ فى هذا العدد

مطبعة المجلة الجديدة

يناير سنة ١٩٣٦ — الثمن ٣ قروش

اقرأ فى هذا العدد

مطبعة المجلة الجديدة

6

يناير سنة ١٩٣٦

١ — الاشتراك فى المجلة الجديدة الشهرية في مصر والسودان لمدة عام هو ٤٠ قرشا و٢٠ قرشا لستة أشهر. وفي الخارج ٥٥ قرشا فى العام

٢ — الاشتراك فى المجلة الجديدة الاسبوعية فى مصر والسودان هو ٢٥ قرشا فى العام و١٣ قرشا لستة اشهر. وفى الخارج ٥٠ قرشا فى العام و٢٥ قرشا لستة اشهر

٣ الاشتراك فى المجلة الجديدة (الشهرية والاسبوعية) فى مصر والسودان هو ٦٠ قرشا فى العام و٣٠ قرشا لستة اشهر. وفى الخارج مائة قرش فى العام و٥٠ قرشا لستة اشهر.

تصدر المجلة الجديدة ١٢ عدداسنويا

وتهدي الي قرائها كتابين كبيرين

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين بمصر)



صاحبة الجلالة منن امبراطورة الحبشة

صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السادس

المجلة الجديدة

العدد الاول
من
السنة الخامسة

يناير سنة ١٩٣٦

سير الحوادث

كان الشهر الماضى عاصفا بجسام الحوادث . فان رئيس الوزارة الفرنسية المسيو لافال ووزير الشئون الخارجية البريطانية السر صمويل هور أخرجا للعالم مقترحات هى تمزيق للحبشة . ولكن ما كادت هذه المقترحات تخرج من ظلمة المفاوضات السرية الى النور حتى عم السخط جميع أنحاء العالم المتمدن . وسحبت المقترحات واستقال السر هور وعين المستر ايدن وزيرا للشئون الخارجية البريطانية بدلا منه

ولا تعرف الى الآن الطرق السرية التى سلكتها هذه المقترحات حتى أعلنت للناس . وقد ذكرت الصحف قصة لم تحقق عن علاقة ثلاث أسر ملوكية بها . ولو أن هذه المقترحات انفذت لما بقى أى معنى لبقاء العصبة . ولذلك فان سحبها بعد هياج الرأى العام برهان قوى على أن العصبة تدخر قوة كبيرة وأن الرأى العام يعتمد عليها . وهذا حسن

خطورة الحال الاوربية

ولا يستطيع المتأمل لاوربا الا أن أن يشم روائح البارود . فقد بلغ عدد الجواسيس الذين اعدموا الى منتصف ديسمبر الماضى ٣٧ جاسوسا . وهذا يدل مقدار الوساوس المساورة للامم الكبرى . وفى نهاية ديسمبر الماضى انشأت بريطانيا وزارة جديدة تسمى وزارة الدفاع

والعقدة القائمة الان هى مايحدث عندما تنفذ عصبة الامم الجزاء الاخير بحظر البترول ومشتقاته؟ فان ايطاليا لايمكنها ان تحارب بدون البترول الذى يستعمل فى الطائرات واتومبيلات النقل فى ميدان القتال بل يستعمل فى بوارج الاسطول الايطالي . واذا أصرت ايطاليا على الحرب فلها

لا بد ستصطدم ببريطانيا . ويمكن الايطاليين أن يبصروا بالعواقب وأن يخضعوا للحق الذى قررته عصبة الامم وان يلتزموا العهد الذى قطعوه مع هذه العصبة . وكل هذا يشرفهم . ولكن فى الدرامة بل المأساة التى نشهدها اليوم رجلا « عظيما » قد أصيب ببعض ادواء العظمة التى يراها القارىء مفصلة فى مقال الدكتور أمير بقطر فى هذا العدد

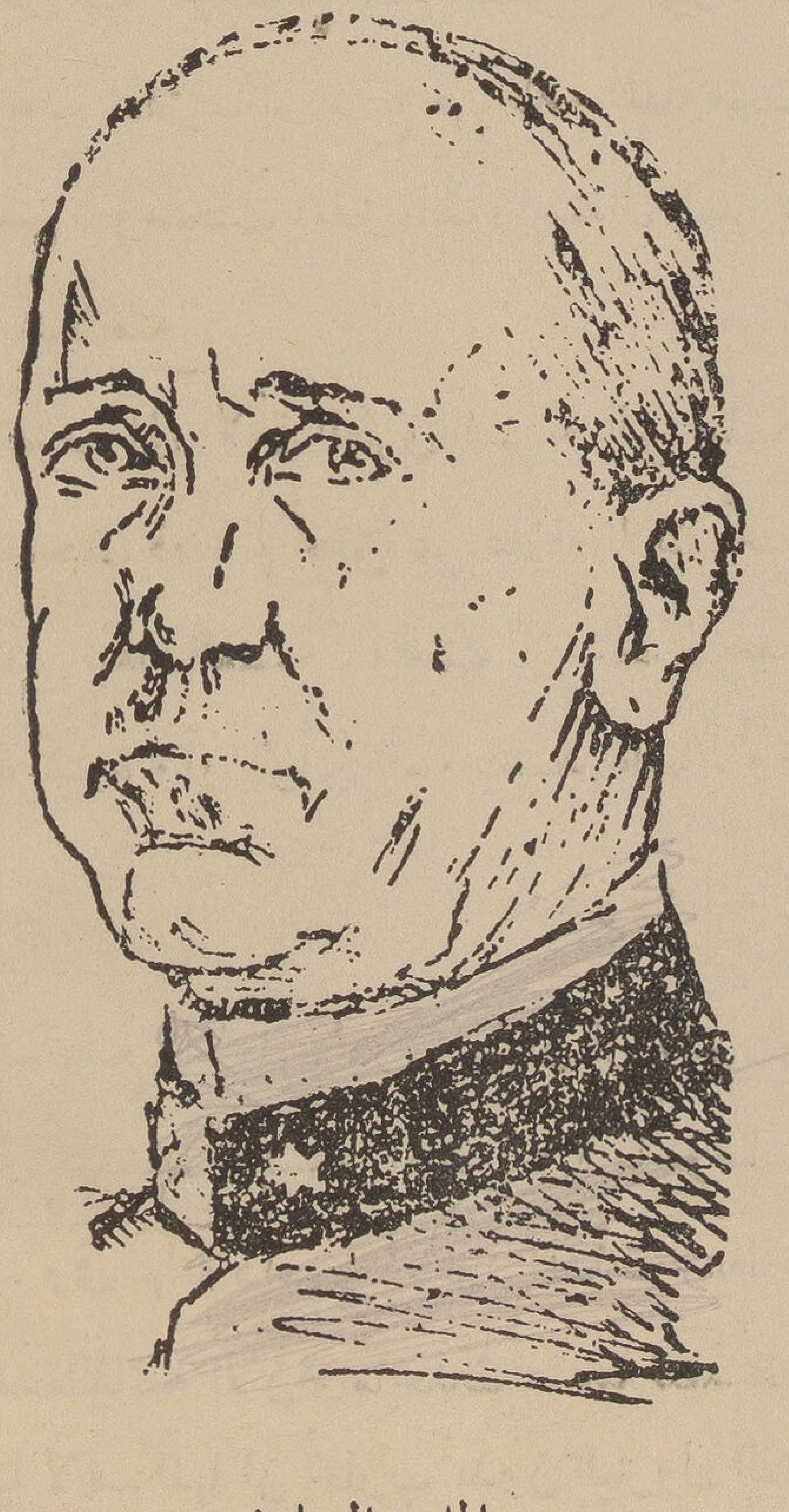
والذى لا يشك فيه أحد من كبار الساسة فى مصر وبريطانيا انه اذا وقعت الحرب فان النصر سيكون حليف بريطانيا

القتال فى الحبشة

فى أخبار القتال فى الحبشة فى الشهر الماضى ما يطمئن بعض الشىء . فان الايطاليين قد ابدلوا القيادة وعينوا المارشال بادليو لاسباب لايمكن أن تعزى الا الى انهم غير راضين عن سير القتال . ثم أنهم قد تقهقروا فى الميدان الجنوبى

ولكننا مازلنا على رأينا . وهو أن المقاومة الخطيرة التى يلقاها الايطاليون انما يلقونها من الطبيعة اى الجبال والامطار والاوبئه أما الجيوش الحبشية فلاقيمة لها لانها عزل من السلاح الحديث على الرغم من شجاعتها

وقد ثبت انه لايمكن الايطاليين أن يتقدموا الا ببطء عظيم . وهذا البطء هو الذى دعا موسولينى الى تبديل القيادة واخراج المارشال دوبونو . وذلك لان موسولينى يريد ان يتعجل فتح الحبشة حتى يجعل العصبة ازاء الامر الواقع . وعلى كل حال قد أصبح واضحا انه اذا كانت الحبشة ستنجو من الغارة الايطالية فلن يكون ذلك بجهودها بل بجهود عصبة الامم



المارشال بادليو

مصر فى الشهر الماضى

أعيد دستور ١٩٢٣ وهو الدستور الذى دأب الوفد فى طلبه ولم يتزحزح عنه . فاذا كان لاحد ان يسر بعودته فهو الوفد وجمهور الامة الذي يسير وراء الوفد واذا كان لاحد ان يحزن بعودته فهم اولئك الذين كانوا — ولا يزالون — يكرهون هذا الدستور لانه يحد من الاستبداد والنهب والسلب . وقد حاول اعداء الدستور فى مصر ان يفهمونا ان الانجليز هم الخصوم الحقيقيون للدستور . فلما ادرك الانجليز ذلك سارعوا الى التسليم به

وعلى كل حال يجب ان نعد عودة الدستور ظفرا للامة . وان صاحب الفضل فيه هو الوفد . ولكن هذا الدستور لاقيمة له ما دام يمكن ان يلغي او ينقح بدون رأى البرلمان الذى ينتخب اعضاؤه على أساسه . فاذا كان خصوم الدستور السابقون قد انقلبوا اصدقاء له فليثبتوا صداقتهم بمنع التنقيح او الالغاء الا بموافقة البرلمان . فقد الغي هذا الدستور ونقح اربع مرات فى اقل من ١٢ سنة فاذا عاد وهو عرضة فى المستقبل لمثل ماحدث له فى الماضى . فلن تكون له اية قيمة لاننا فى اى يوم سنراه ملغى . وفى أى يوم سنرى البرلمان بعقد فى الصباح ويحل فى المساء . وفى اى يوم سنري اعضاء البرلمان يضربون بالعصى وزعماء الامة يداسون بالاقدام . ونحتاج الى ان نلغى عقولنا لكى تسمى هذه الحال حكما دستوريا

وقد تألف مايسمي « الجبهة الوطنية » للاصرار على عقد معاهدة مع الانجليز . ونحن نرجو ان تتم هذه المعاهدة باقرب وقت لان الحال المعلقة بيننا وبين الانجليز تؤخر كل شيء في بلادنا وتفتح الابواب لعناصر الظلام لكى تفسد فى البلاد وتؤخر الرقى الاجتماعي والسياسى والاقتصادى والثقافى

ولكن خطر الحرب التى توشك ان تقع فى اى يوم بين بريطانيا وايطاليا والتي سيكون بعض بلادنا ميدانا لها ربما يؤخر هذه المعاهدة . على أننا اذا أصررنا عليها فاننا لابد نائلوها لانه حتي على فرض ان الحرب واقعة ، فان مثل هذه الحرب لن تدوم اكثر من بضعة أسابيع

الاحسان المنظم ومتى يكون

مؤسسة أجنبية تضرب الامثال للناس

فى مثل هذا الفصل من العام الماضى عالجت هذه المجلة موضوعا إنسانيا جليلا أتت فيه على مظاهر البؤس والحرمان الحائقين بطائفة كبيرة من أبناء هذا الوطن . وكان فى مرجوها أن ماتعمله الامم الاخرى فى سبيل التخفيف يحتذى هنا مثاله ، وأن ينظم الاحسان على غرار ما تفعل أمم فى الذروة من الحضارة والوطنية والعطف الانسانى ، فيعرف المرء أين يضع الندي وأين يكف يده ويقسو



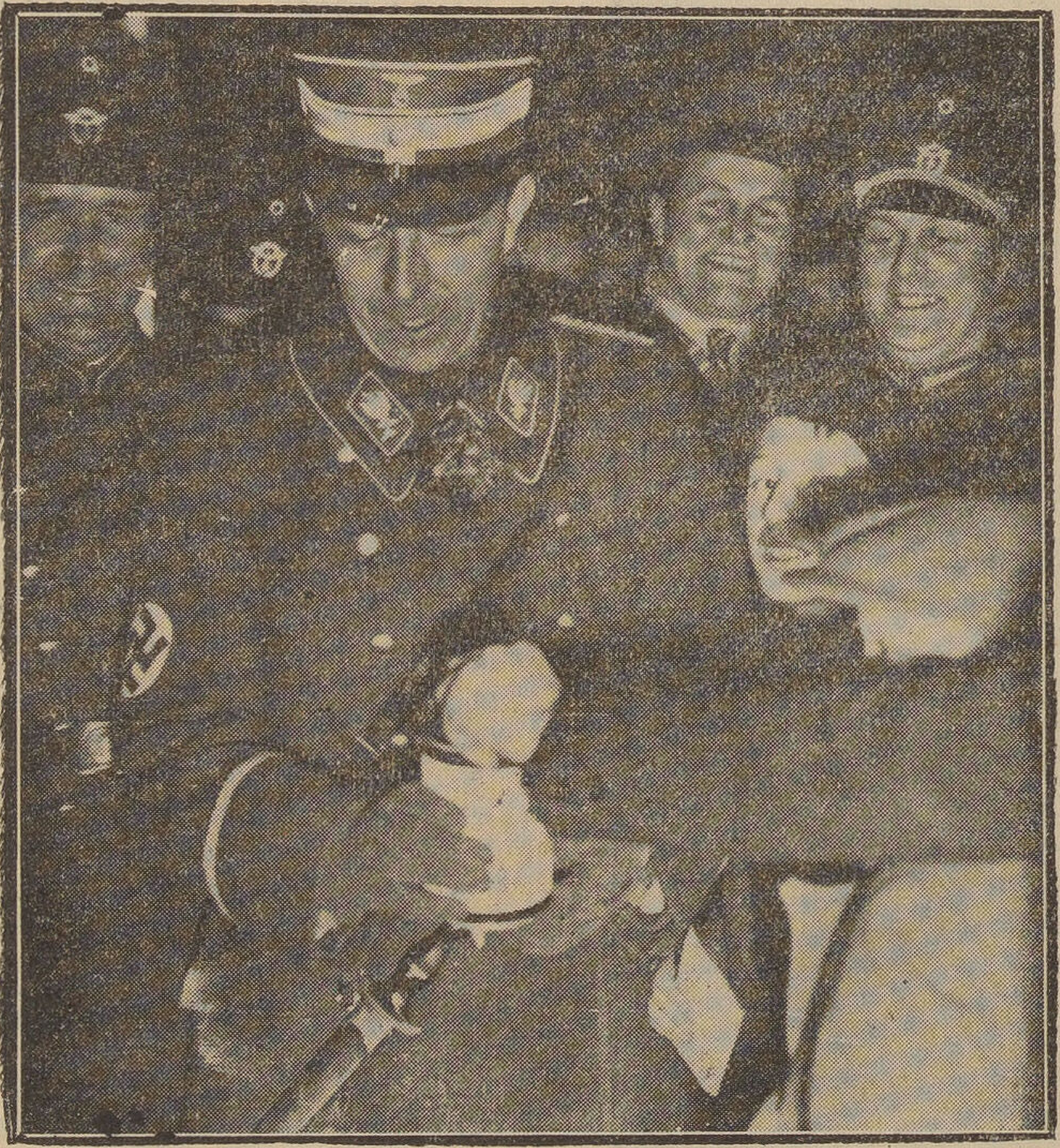
وزير الدعاية جوبلز يجمع التبرعات

لكن يخيل الى كل من عرف هذه الديار، وقذيت عيناه بمرأى التسول المزعج فى الشوارع ، وعلى سلم الترام ، وفى عربات المترو ، ان لا أمل الآن على الاقل فى إجراء حازم يصدر عن الدولة ممثلة فى حكومتها لاصلاح هذه الحال ، التى تعلن البلاد الى الناس فى كافة نواحى المعمورة أسوأ إعلان . ومع هذا ، وعلى الرغم من اليأس البادى على وجوه المتعضين ، وهم كثيرون ، من دوام هذه الحال ، لانرى بدا من أن نعرض على أبصار القراء حينا بعد حين ، وعاما بعد عام ، ما تفعله أمة كألمانيا كل سنة وكل آونة ، لا لتمنع التسول ، فالتسول عندها ممنوع قانونا وفعلا ، ولا التطعم الجائع ، فليس فى بلادها الآن

من يجوع على الرغم مما يتخرص به خصومها الحاقدون علي نهضتها ، ولـكن لتجعل الحياة سعيدة للفقير قبل الغنى ، والمعوز قبل المكفى

ليس فى القراء من لم يقرأ خبرا فى صحيفة يومية أو أسبوعية عن مؤسسة إعانة الشتاء . فهى مؤسسة ابتكرها النازى ليودع الشتاء القاسى ألمانيا وليس له أضحية واحدة، وكثيرة ما كانت فى الايام الغابرة ضحاياه ، وليمضى الشتاء على أهلها وليس بينهم من يحس له وقعا ، اللهم الا ما الفه الناس على السواء من جو الشمال

هذه المؤسسة التى تناولنا بالكلام فى مناسبات سابقه هي جمع وصرف . جمع لمختلف التبرعات بمختلف الوسائل عينا ونقدا وصرف لهذا كله على المعوزين والمحرومين . على المحتاجين الي الملبس والمأكل والمشرب والدفء ، على من ينقصهم التدخين والتسلية واللهو وازجاء الفراغ . الى هذا الحد بلغت العناية بعيش الناس فى المانيـا وحمايتهم من الحرمان



حكمدار برلين يجمع التبرعات

ليس البر عند الالمان اليوم أن يسدوا الرمق أو يدفئوا المقرور أو يكسوا العارى فحسب، بل البر عندهم فوق ذلك أن يهيئوا للشبعان أو الدفئان ، ممن قلت ذات يدهم ، أن يشهد المسرح ، والستار الفضى ويغشى الحفلات الموسيقية . ويكاد المرء لايصدق أن تفعل كل أمة كانت الى الماضى القريب عرضة لاضطهاد الامم الاخري ودعايتها القوية ، ولا تزال الى اليوم تعانى من الازمات الاقتصادية فوق الذى تعانيه كثير من الامم الاخري . ولـكنها الحقيقة المدعومة بالارقام الواردة فى احصاءات

رسمية أتيح لنا أن نطلع عليها وأن ندهش منها

ان فى المانيا ١٧٨ فى الالف من أولئك المحتاجين الذين تصيبهم الاعانة علي مختلف ألوانهم . وفى جملتهم العاطلون والذين عصفت بهم الازمات فاستحقوا المساعدة . والذين تجرى عليهم شيء من الاحسان ، والذين يعملون مددا قصيرة . وذوو هؤلاء جميعا

وقد بلغ ماجمع لهم نقدا وعينا فى سنة ١٩٣٤ـ ١٩٣٥ سبعة وستون وثلاثمائة مليون مارك ونصف المليون . مبلغ جسيم ولا شك جاد به المحسنون على اختلاف طبقاتهم ووظائفهم . أفرادا وجماعات مصالح ونظما وجمعيات



عجوزان المانيتان تجمعان التبرعات

وقد فرض على القادرين من الالمان نسب معينة يدفعونها ستة أشهر كاملة وتقطع من مرتباتهم أوأجورهم أو ايراداتهم فلايتلكأ أحد فى الدفع . وفرضت المتاجر والانظمة الاقتصادية والمصالح الحكومية على أنفسها أتاوة معينة تدفعها فى هذه السبيل فهى تقدمها للفقراء والمعوزين فى طيب خاطر . وفرض الجمهور على نفسه أن يجعل غداءه فى كل يوم أحد لونا واحدا ويتبرع بما كان حريا أن ينفقة علي بقية الالوان ، للفقراء والمعوزين

أما الشوارع فترى فيها فتيات يبعنك شارات بعينها وزهرات صناعية وورودا من الدنتلا يؤول دخلها الى الفقراء . ووزراء وأعيانا وفنانين وكل ذى مقام يحملون صناديق التبرعات فى يوم التضامن القومي يجمعونها من الجمهور ووسط إقباله المشهور . والشرطة ركبانا ومشاة وكلابهم معهم يعرضون جميعهم صناديق التبرعات على الجمهور وسط مظاهر من الالفة والمفاكهة لم نألفها

هنا بين البوليس والجمهور

ترى هذا فى الطرقات على نحو ما تثبت الصور المنشورة مع هذا المقال فتقول أين نحن من هذا الاحسان المنظم والاقبال النادر المثال على فعل الخير والقوم بعد مأزومون. وظروفهم الدولية تقتضيهم أبهظ التضحيات لكنها روح سرت بين الالمان حين خلت نياتهم للوطن وحده فأتوا بالمعجزات

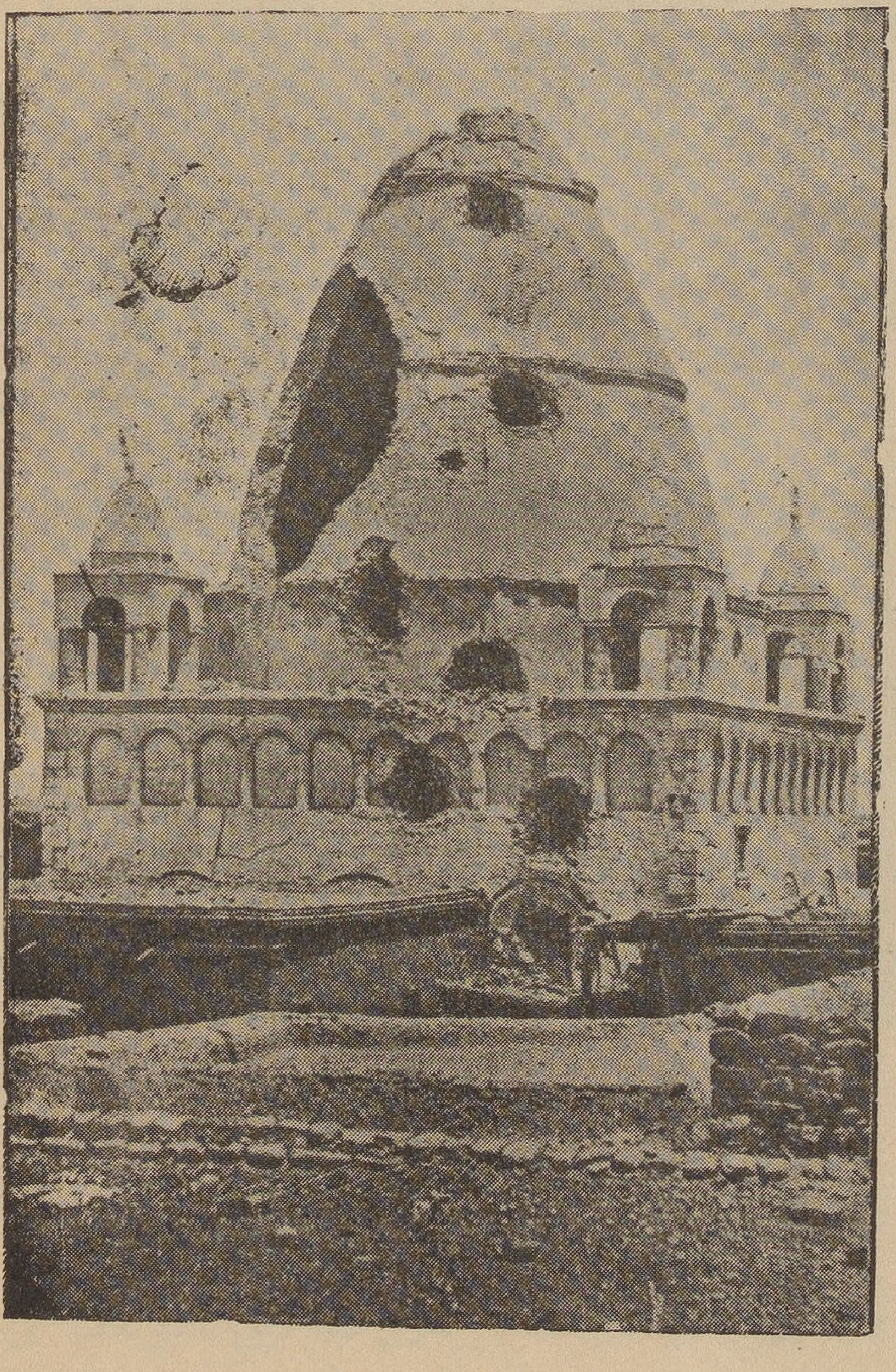
والاطفال لن يقال لهم فى ألمانيا حين يحل عيد الميلاد « لا دمية هذا العام » بل ان هذه المؤسسة لتعنى بالاطفال ولعبها أكثر مما تعنى بالكبار وحدهم ولعل القارىء لم يفته ما جاءت به البرقيات فى ٢٢ ديسمبر عن خطبة جوبلز وزير الدعاية الالمانية فى الحفلة العامة التى أقامتها « مؤسسة اعانة الشتاء » فقد قال . « أن المؤسسة قد جمعت اليوم فى المانيا كلها فى ثلاثين الف حفلة كهذه الحفلة خمسة ملايين ومائتى الف طفل وطفلة مع آبائهم . وذلك لتتيح السرور لكافة الاطفال الالمان الفقراء منهم والمحتاجين ، ولتجعلهم كغيرهم من القادرين يحسون بهجة العيد . قال « وليس صحيحا أن فى المانيا كثيراً من الفقر والبؤس ، فقد وجهنا جهودنا جميعا لتخفيف الفاقة والبؤس وبذلنا فى هذه السبيل كل ما فى طاقة البشر بذله ، وعلينا جميعا أن ننهض بباقى العبء الذى لا يزال ملقى على عواتق المواطنين أجمعين »

وبعد فان الحضارات جميعا قد تداولتها الامم واحدة بعد أخرى وهى فى هذا تبتكر وتقلد فاذا كنا نأخذ اليوم من الغرب مظاهر حضارتنا فلم ننس أن في جملة مظاهر هذه الحضارة مايعمل هناك للفقير ؟ وقد حضت الاديان جميعا على فعل الخير لكن هناك أقواما كثيرة لا تزال بينها وبين فعل الخير جهود لم تبذل فحبذا لو تبذل . وروح الاحسان في مصر مذكورة مشكورة لكنها غير منظمة فمتى يتولى أولو الامر تنظيمها فتصبح البلاد وليس فيها جائع أو عار ، وليس فيها متسول محروم ، وآخر يكتنز المئات والالوف من الاحسان الضائع فى غير وجهه الموضوع فى غير موضعه ؟

أم درمان

أم درمان هى تلك المدينة الجميلة ومحبوبتنا نحن أبناء السودان . لأنها تمثل الحياة السودانية فى ثوبها الجديد تمثيلا صادقا ناطقا

فها هنا بأم درمان تستطيع أنت المصرى مثلا أن تجتمع بصفوة الشباب السـودانى المثقف الناهض الطامح ! ! . وأنت إذا أتيح لك أن تطارح أدباء السودان الرأى سمعت منهم ملاحظات لها قيمتها فى الادب والاجتماع والسياسة العامة . وهم علاوة على تضلعهم فى اللغة العربية يتـكلمون الانجليزية بلبـاقة وطلاقة لسان

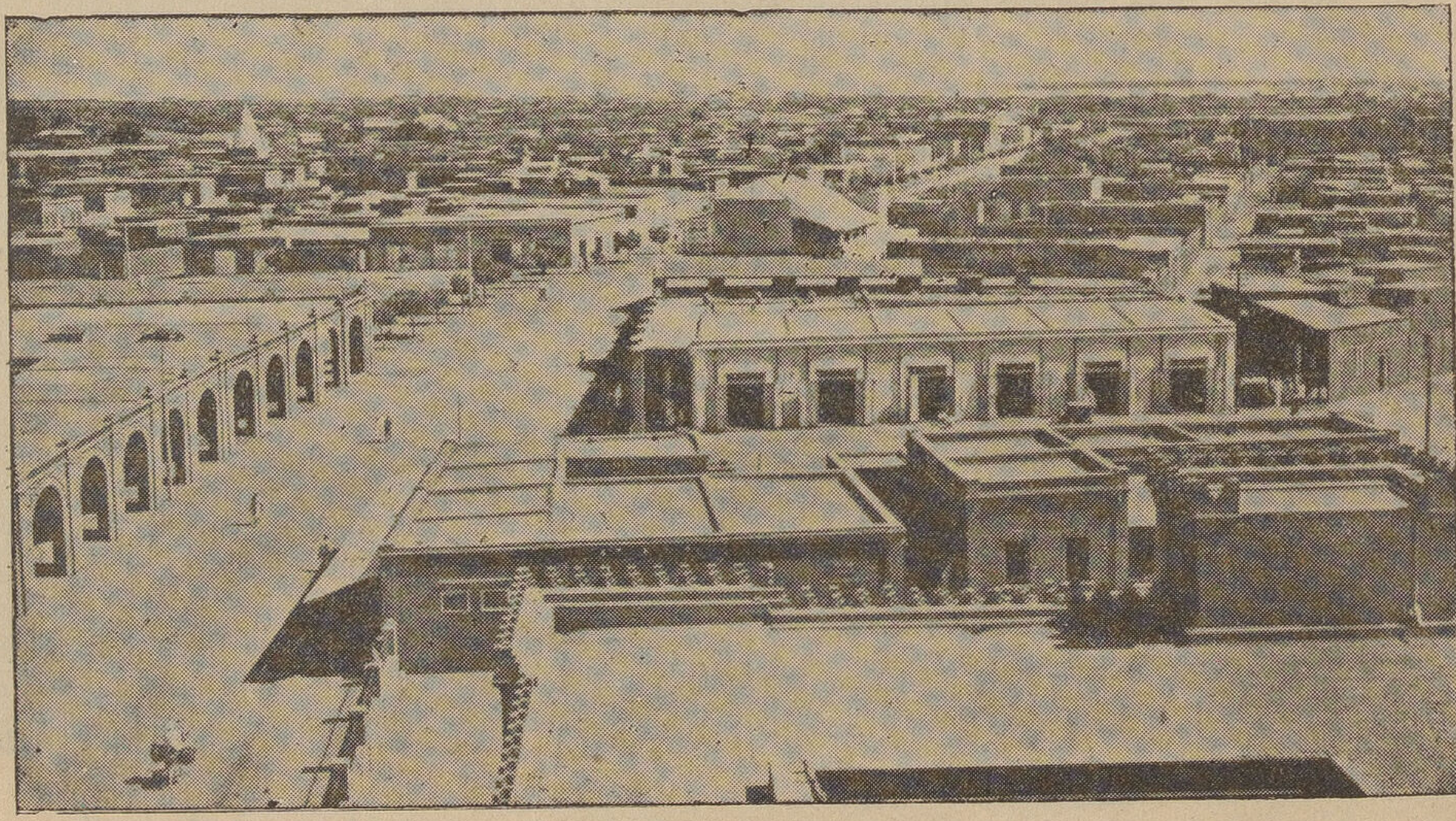


منظر لقبة المهدى بام درمان كما كانت عقب استرجاع الجيش المصرى للسودان وهذه الثغرات التى بها من مقذوفات المدافع . وقد تد عت هذه القبة الآن ولم يبق منها غير قاعداتها .

فى سنة ١٩٢٩ زار السودان للمرة الاولى المؤرخ الالماني والاديب العالمى المشهور أميل لودفيج واحتفل به أدباء الشباب اعترافا بفضله على الادب العالمى . وقد نشرت احدي المجلات فى تلك السنة صورة تذكارية تمثل أميل لودفيج والسيدة عقيلته جالسين بين أدباء السودان وقد كانوا موضح اعجـابه وتقديره وكان يراسلهم بعد عودته الى بلاده . وكتب يوما عن زيارته للسودان فقال ان الشاب السودانى المتعلم يحدثك اليوم عن العقل والعاطفة ـ حديثا عاليا ـ كما يحدثك عنهما الانجليزى في لندن والفرنسى فى باريس ! !

وقد قال أيضا فى أثناء وجوده بالسودان مظهرا سروره بتقدم السودانيين : ان كل القطارات والاتومبيلات التى أقلتنى بالسودان كان سائقوها سودانيين ! . والأدهش من هذا أننى عندما أصابنى المرض يوم زيارتى لخزان سنار قام بمعالجتى أحد الدكاترة السودانيين !

أشرت فى مستهل هذه الكلمة الى أن أم درمان مدينة جميلة ولكن جمال أم درمان جمال معنوى فطرى يكاد يخلو من التزويق أو قل انه جمال ديموقراطى متواضع . فهو مثلا ليس كجمال القاهرة الارستوقراطي المتأنق الشامخ بأنفه الذي تمثله لك عمارات شارع فؤاد وقصور هيليو بوليس الذاهبة صعدا الى السماء . والآن دعنا نتساءل عما ترمز اليه هذه الحيشان الواسعة التى تحيط بهذه الحجر الارضية التى نسكنها بأم درمان ! وعندى أن هذه الحيشان الطينية المتباعدة الاركان ان دلت على شيء فانما تدل على أن النفوس السودانية على بساطتها نفوس كبار واسعة الامل تنفر من التضييق وتأبى الصغار !



منظر عمومي لمدينة أم درمان مأخوذ من الطائرة

ثم انها فوق هذا تقدم لك السوداني رجلا كريما مضيافا

هذا ومنشىء مدينتنا هذه هو ذلك الزعيم الدينى السودانى المعروف محمد احمد المهدى. أنشأها سنة ١٨٨٥ بعد مصرع غوردون ودخوله الخرطوم فاتحا

ويبلغ تعداد سكان أم درمان الآن ١١٠٩٥٩ نسمة جلهم من الوطنيين . ومن أشهر آثارها منزل خليفة المهدى

المبارك ابراهيم

الآنية الصينية



زهرية من الصيني من عصر سنفرنج (٩٦٠ — ١٢٢٩ م)

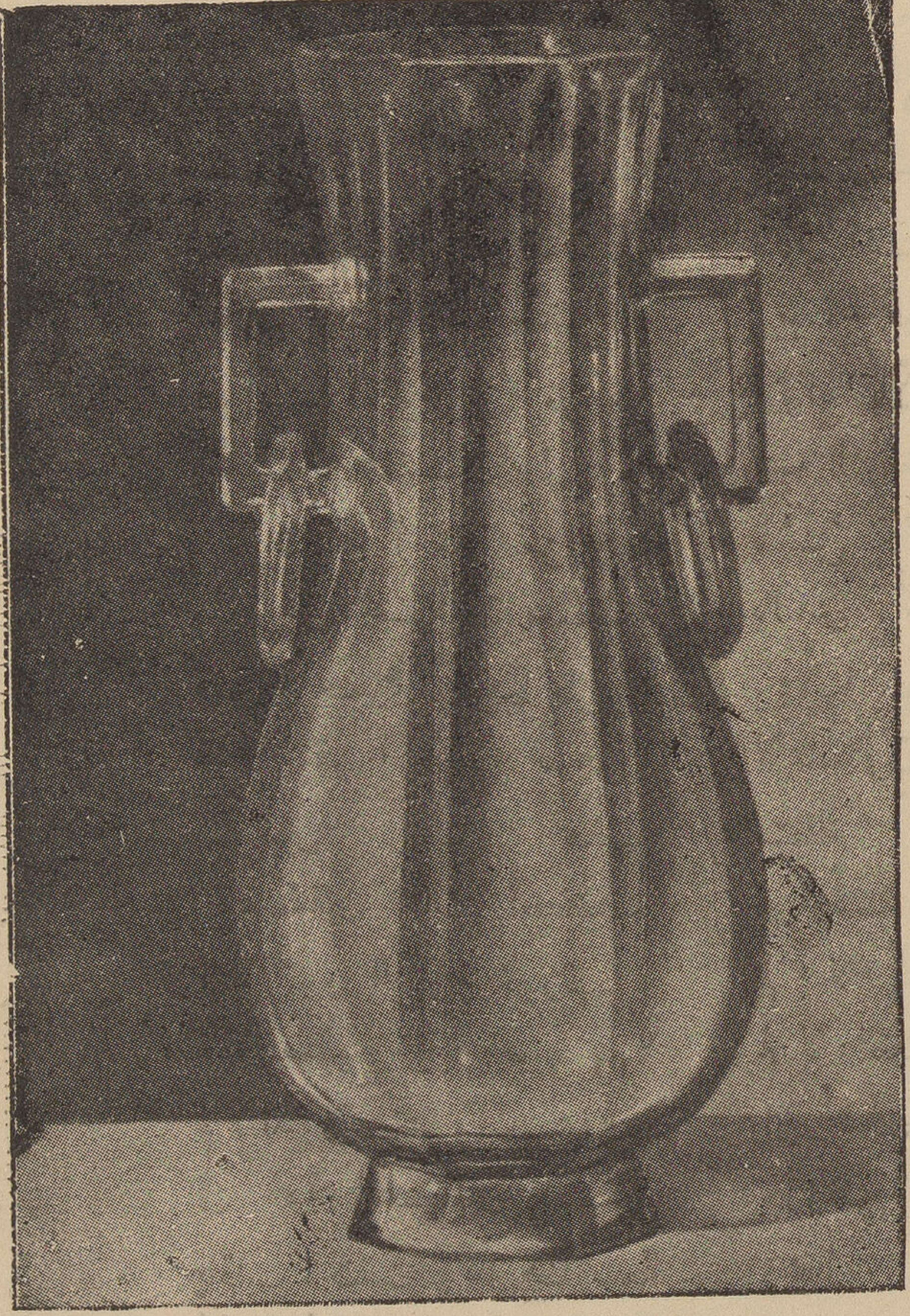
اقيم فى لندن فى الشهر الماضى معرض الفنون الجميلة الصينيـة . وقد أعارت حكومة الصين هذا المعرض مئات من التحف التى كان الامبراطرة يقتنونها فى قصورهم وهـذه التحف تختلف اذ منهـا الرسوم والتماثيل كما أن منها الآنية ولكن هذه الاخيرة أكثر مقدارا وتنوعا

وقد كتب المستر ونكورث مقالا يعلل به كثرة الآنية الصينية وتنوعها وجمالها . فقال إن السبب لذلك أن الصينيين يحبون الطعام والزهر ومن أحب الطعام تأنق فى اختيار آنيته وتزويقها وكذلك من يحب الزهر يختار مايلائمـه من الاناء الجميل

وتأنق الصينيين فى الطعام معروف . فاننا حين نتأنق ونغالي نقنع بخمسـة أو ستة الوان . ولـكن الصينى يفاخر بثلاثين أو أربعين لونا . وهو ليس مهوما يطلب الـكثرة اذ هو يقنع من اللون الواحد بلقمة . ومن الصينيين أخذنا « الصينية » التى كنا نضع عليها أطباق الطعام قبل ان أن تتفشى بيننا المائدة الاوربية . ومن الصين عرفنا كما عرف العالم كله آنية « الصينى » ومن الصين كذلك عرف العالم الشاى

ولكن فى الصينيين صفة أخرى لاتعرف عند أمة أخري غير اليابانيين نعنى بها حب الزهر والشجر . فان شجر التفاح هناك مثلا يغرس ويربي لنوره أكثر من ثمره

وكل من الصينى والياباني يعنى بشراء غصن من التفاح يحمل مجموعة من النور ولكنه قد يمر عليه العام فلا يبالى أن يشترى التفاح . وقد عنى الصينيون لهذا السبب باختراع الاصص لزرع أشجار الزهر الصغيرة كما عنوا بصنع الزهريات التى تحمل طاقات الزهر ولكن جمال الصنعة حملهم على الخروج بها عن الاصل والمنفعة الي الفن والجمال سواء فى آنية الطعام أم فى الاصص والزهريات فانهم تأنقوا فيها حتى جعلوا منها آثارا فنية يحتفظ بها للذة العين والذهن



زهرية من البلور من القرن الثامن عشر

ولذلك صاروا يصنعون الطبق بحيث لايقصد منه أن يؤدي خدمة على المائدة اذ يكفى أن يغذو العين بجمال صنعه وبهاء رسومه فهو أجدر أن يعلق على الحائط للمتعة الفنية ولا يوضع على المائدة للمنفعة . وكذلك الحال فى الزهريات والاصص فانهم تساموا بها الى الفن فصاروا يصنعون احداها وهى تعلو على قامة الانسان وهي فى انسراحها وجمال رسومها لاتحتاج الي أن يطلب منها الناظر اليها منفعة أخري

قلب راقصة

للدكتور ابراهيم ناجى

أمسيت أشكو الضيق والأينا ... مستغرقا فى الفكر والسأم
فمضيت لا أدري إلى أينا ... ومشيت حيث تجرني قدمى
فرأيت فيما أبصرت عينى ... ملهى أعد ليبهج الناسا
يجلون فيه فرائد الحسن ... ويباع فيه اللهو أجناسا
بغرائب الالوان مزدهر ... وتراه بالأضواء مغموراً
فقصدته عجلا ولى بصر ... شبه الفراشة يعشق النورا !
ودخلته أجتاز مزدحما ... بالخلق أفواجا وأفواجا
وأخوض بحراً بات ملتطما ... بالناس أمواجا وأمواجا
فقدوا حجاهم حينما طربوا ... ودووا دوى البحر صخابا
فاذا استقروا لحظة صخبوا ... لايملكون النفس اعجابا
متوثبين يميل صفهم ... متطلع الاعناق يتقد
ومصفقين علت أكفهم ... فوارة فكأنها الزبد
لم لا أثور اليوم ثورتهم ؟ ... لم لا أجرب ما يحبونا
لم لا أصيح اليوم صيحتهم ؟ ... لم لا أضج كما يضجونا ؟
لم لاتذوق كؤوسهم شفتى ؟ ... ان الحجا سمى وتدميرى
فى ذمة الشيطان فلسفتى ... ورزانتى ووقار تفكيرى
ياقلب ! ضقت وها هنا سعة ... ومجال مصفود باغلال
أتقول أعمار مضيعة ؟ ! ... ماذا صنعت بعمرك الغالى ؟!
أنظر تر السيقان عارية ... وتر الخصور ضوامرا تغرى
وتجد عيون اللهو جارية ... فهنا الحياة ! وأنت لاتدرى
من هاته الحسناء ياعينى ؟ ... السحر كللها وظللها
كالطير من غصن إلى غصن ... وثابة ، وثب الفؤاد لها !
وتراه حسنا غير كذاب ... لا ما يزيفه لك الضوء
ويريد فتنتها با غراب ... حزن وراء الحسن مخبوء
ثم اختفت والجمع يرقبها ... ويلح : عودي ! ليس يرحمها
هى متعة للحس يطلبها ... وأنا بروحى بت أفهمها !

ورأيتها فى آخر الليل
يعلو سناها الحزن كالطل
فمضيت توا ، قلت . سيدتى!
هل تأذنين الآن ساحرتى
فتمنعت وانا ألح سدى
فاستدركت . قالت : أراك غدا
وتحولت عنى لرفقتها
فتانة تغري ببسمتها
حان اللقاء بغادتى وأنا
متلهفا أستبطىء الزمنا
وأجيل عين الريب ملتفتا
واقول . مايدريك أي فتى
من ذا يصدق وعد فاتنة
أنثى تلاقى كل آونة
وهممت بعد اليأس أن أمضى
ميزتها بشبابها الغض
يا للقلوب لملتقى اثنين
جمعتهما الدنيا غريبين
عجبا لقلب كان مطمعه
وأشد ما فى الكون أجمعه
من أنت يامن روحها اقتربت
صبته فى كأسى! وما سكبت
عجبـا لنا ! فى لحظة صرنا
يامن لقيتك أمس ! هل كنا
هاتى حديث السقم والوصب
انى رايت أساك عن كثب
لاتكتمى فى الصدر أسرارا
أنا لا أرى إثما ولا عارا
تجدين فكرك جد مبتعد
وترين حالك حال منفرد
وترين أنك حيثما كنت

فى فتية نصبوا لها شركا
مسكينة تتكلف الضحكا
زنت المراقص أيما زين !
تأكيد اعجابى بكأسين ؟
بالقول أغريها وأعتذر
ان شئت . انى اليوم أعتذر
ما بين منتظر ومرتقب
وتحدد الميعاد فى أدب
أخشى سرابا خاطفا منها
وأظل أسأل ساعتى عنها
متطلعا للباب حيرانا
هى فى ذراعى حبه الآنا !
لاترحم الارواح اتلافا
رجلا وترمى الوعد آلافا
فاذا بها تختال عن بعد
وبقدها ، أفديه من قد ؟
لا يعلمان لأيما سبب
فتآلفا فى خلوة عجب
طربا فجاء الامر بالعكس
بين القلوب أواصر البؤس
منى وخاطب دمها روحى
فيه سوى أنات مذبوح
متفاهمين بغير ما أمد ؟
روحين ممتزجين فى الابد ؟ !
وصفى حقارة هذه الدنيـا
ولمست كربك نابضا حيا
وتحدثى كيف الاسى شاء
لكن أري أمرأة وبأساء
والناس نحو سناك دانونا
وللقوم كثر لايعدونا!
ترضين خوانين أنذالا !

يا حرها من عبرة سالت
وعذابها من وحشة طالت
أفنيت عمرك فى تطلبه
فاذا بدا من تعجبين به
أدميت قلبك فى تقربه
فاذا حسبت بأن ظفرت به
سكتت وقد عجبت لخلوتنا
وأقول . ياطربا لنشوتنا
أفديك باكية وجازعة
ودعتها شمسا مودعة
تمضى ، وتجهل كيف أكبرها
روحا اذا أثمت يطهرها

من فاتك العينين مكحول
وحنين مجهول لمجهول
ويكاد يأكل روحك الملل
وتقول روحك ها هو الامل!
والقلب ان يخلص يهن دمه
فازت به من ليس تفهمه
طالت كأنا جد عشاق
صرعى المدامة والجوى الساقى!
قد لفها فى ثوبه الغسق
ذهبت وعندى الجرح والشفق
إذ تختفى فى حالك الظلم
ناران . نار الصبر والالم !



الراس سيوم قائد القوات الحبشية فى الميدان الشمالى

بلادنا والطيران

بقلم الطيار احمد اسماعيل

الطيران هو آخر ماوصلت اليه وسائل المدنية الجبارة لجيلنا الحاضر . تلك المدنية التى لم تكتف بالتلغراف والتليفون والراديو ولم تكتف بالمدائن التجارية تمخر المحيطات والبحار فتجمع بين قارات الدنيا الخمس أو قطارات السكك الحديدية والاتومبيلات فذهبت الى امتطاء الهواء واعتلاء السحب على ظهور الطائرات المختلفة العديدة التى جمعت من أسباب الترف فى الامان التام ما لم يتوافر بعد فى وسائل النقل الاخرى . وعودة بسيطة الى احصائيات حوادث الطيران فى الاعوام الماضية من سنة ١٩٣٠ الى ١٩٣٤ تدلنا دلاله ملموسة على ان الطيران كوسيلة للنقل والمواصلات اكثر أمانا وأوفر راحة عن غيره فضلا عن الاقتصاد فى وقت السفر والانتقال . ووقتنا فى هذا العصر له حسابه وكل دقيقة منه لها ثمنها وقيمتها الكبرى

والطيران ينقسم الى عدة اقسام فهو من الناحية الحربية يعد أهم الوسائل التى تعتمد عليها كل ممالك العالم فى سبيل الذود عن كرامتها والدفاع عن كيانها وحماية تخومها . ولعلنا لم ننس بعد ذلك الدور الهام الذى لعبته الطائرات الحربية أبان الحرب العالمية الماضية سواء من ناحية الهجوم على خطوط العدو وعرقلة سيرها او ابادته أو من ناحية اكتشاف مواقعه ومكامنه بل احصاء قواته وذخائره ذلك فضلا عن ايصالها الرسائل الحربية الهامة بين مختلف وحدات الجيوش فى شتى الاماكن لتنظيم خطط الهجوم والدفاع وربط حركات الوحدات بعضها ببعض بعد أن حالت اعمال الجاسوسية المنظمة دون ايصال هذه الرسائل على أسلاك البرق بغير أن تتسرب الي الاعداء

ومصر التى حبتها الطبيعة بموقع جغرافى وضعها فى مركزها السياسى الدقيق وجعلها مطمح انظار الدول وموضع تهديدهم مفتحة الجوانب والحدود . ليس فيها حصن طبيعى واحد تعتمد عليه فى حالة المفاجأة كان يجب أو ما يجب أن تهيأ باسطول هوائي حربى عظيم يلقى لصد ماقد يأتيها من غارات بحرية أو هوائية من ناحية ساحلها الشمالي أو يحمى حدودها الغربية الشديدة الخطر على سلامتها واستقلالها . ورحلة هوائية لاحدنا بين السلوم ومرسى مطروح أو بين مرسى مطروح والاسكندرية أو منها الى بورسعيد والعريش ستجعله من غير شك يقدر خطورة الموقف ويقدر

حاجة مصر الى تقوية سلاحها الهوائى قبل كل شيء آخر . وحرام أن نسكت عن سلاحنا الهوائي وهو عنوان مجدنا وشعار قوتنا أمام العالم المتحفز اليوم . وحرام حقا أن نسكت على ضباطنا الطيارين الشجعان وهم عنوان فخرنا ان يقصر عملهم على الاستكشاف وايصال البريد فحسب . انهم عقبان خلقوا للقتال فلن تقتلوهم . يجب على مصر أول ما يجب حكومة وشعبا أن تولى هذه الناحية الهامة من جيشها عنايتها . ويجب على الشعب ان لا يبخل ويبذل كما بذل شعب شقيق من قبل فان فى سلاح الطيران حياتنا فيه حمايتنا وفيه رمز قوتنا وفيه المثل الاعلى لجيشنا العتيد



الطيار كمال علوى بك مدير شركة مصر للطيران

هذه كلمتى التى سمح بها المجال عن الطيران الحربى وأما الطيران من ناحيته المدنية فيعد الآن من أهم طرق الدعاية والاعلان عن الصناعات المحلية والمنتجات

المختلفة ونقلها من أقصى الاماكن الي أقصاها فى وقت قصير قبل أن يتطرق اليها العطب او التلف وكلنا نذكر مشروع نقل الازهار المصرية والورد الى أوربا الذى قام بتجربته صاحب السعادة محمد طاهر باشا رئيس نادى الطيران المصرى بواسطة الطائرات وقد اسفرت التجربة عن نجاح كبير . اذ تم وصول الورد والزهور وهي فى حالة طازجة نضرة الى فينا وبرلين على ظهر الطائرة فى حوالى ثماني عشرة ساعة .

ولا يلبث المشروع أن يخرج الى خير الوجود فيخلق بذلك للازهار المصرية سوقا جديدة وبابا للرزق جديدا للايدى العاملة المصرية



الطيار أحمد اسماعيل والسيدة زوجته

وكم كان للطائرات من فضل فى انقاذ أرواح اليائسين من المرضى سواء بنقلهم فى راحة وسلام الي حيث المستشفيات الكاملة وفيرة الاطباء أو بنقل الاختصاصيين الى مقر المرضي البعيد . ليس هذا فى أوربا وأمريكا فقط بل فى مصر أيضا حيث تنبهت جمعية الاسعاف الى فائدة الطيران فيما كرست له خدماتها فعقدت اتفاقا خاصا مع شركة مصر للطيران يقضى بتخصيص احدي طائراتها لاعمال الاسعاف وكان للطيار خليل صابر الكاشف ورئيس مدرسة الطيران بالماظه فخر الاولية فى تنفيذه اذ نقل السيده زوجة أحد أطباء المستشفى القبطى من رأس البر الي القاهرة حيث أسعفت بالعلاج . وقد قطع بالمريضة المسافة فى ساعة واحدة بينما كانت

تحتاج لنقلها بوسائل النقل الاخرى الى الابحار أولا الى دمياط ومنها بالسكة الحديدية الى القاهرة ولن تقطع هذه المسافة بهذه الطريقة فى أقل من يوم كامل

كما أسعف كاشف بطائرته أيضا الوجيه اندرو بيطار وزوجته وكانا يصطافان فى جهة اسمها رأس زعفرانه على ساحل البحر الاحمر وفاجأهما المرض فأحضرتهما الطائرة من هناك الى القاهرة



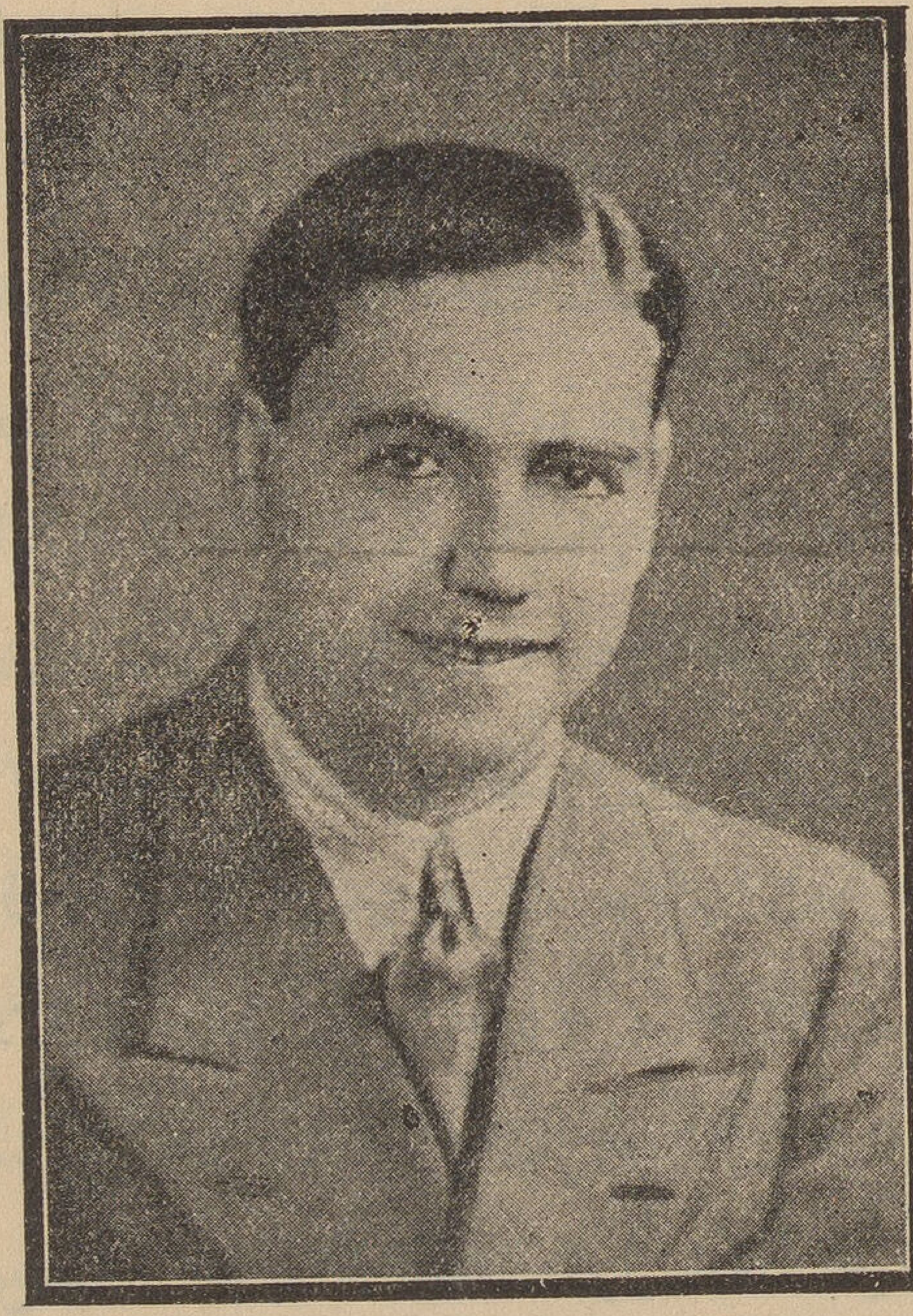
الطيارة لطفية النادى

فى ساعة واحدة بينما كانت الرحلة بعينها تستدعى انتقالهما اولا بالاتومبيل الى السويس فى طريق خشن وعر ومنها بالسكة الحديدية الى القاهرة وهذه وحدها تأخذ من الزمن ست ساعات

وغير هذه وهؤلاء فقد انقذت الطائرات المصرية حياة سيدة عزيزة على أحد ملوك أوربا كانت تقيم فى الاقصر حيث أصابتها حمى شديدة فنقل اليها الاطباء والادوية بالطائرات حتى

تم لها الشفاء

وقد خدمت الطائرات كذلك فى الابحاث العالمية العديدة ومكافحة التهريب ومسح الاراضى وتطهير الزراعات كما استعملت فى الدعاية الانتخابية ببعض البلاد بأن وزعت المنشورات وأعلنت عن المرشحين بكتابة اسمائهم او اسماء الاحزاب التي ينتمون اليها بالخط الكبير على اجنحتها أو بواسطة نشر هذه الاسماء فى السماء بحروف من دخان كما نقلت المرشحين الي مختلف الاماكن فى دوائرهم الانتخابية . وكم كان رائعا أن ترى مرة طائرة تحمل خطيبا انتخابيا يلقى بيانه من الهواء فتصل عباراته الى اسماع الناس بواسطة جهاز مجهر للصوت كأنه وحى السماء أو صوت الملائكة . كما كانت لفرقة الطيران بالحزب الاشتراكى الوطنى فى المانيا أى حزب هتلر فضل كبير وعمل هام فى سبيل الدعاية له ونشر مبادئه فى أنحاء المانيا جميعا وقد كان نجاح هذه الفرقة كبيرا فى حرب الانتخابات النيابية وبفضلها بجانب مبادىء الحزب نال الحزب الاغلبية البرلمانية كما نجح هتلر بعد ذلك فى رياسة الجمهورية الالمانية



الطيار عثمان حمدى

والطيران رياضة بدنية يمد فى الواقع من أمتع أنواعها وأحبها إلى النفس . وهل ألذ للنفس من أن تراها فى المطار الفسيح وسط رجال الطيران وفتياته وكأنها بين أفراد أسرة واحدة يجبوها المرح ومذهبها الغبطة والاخلاص . لاغش ولا لانقد ولاحسد

وهل امتع للنفس من أن تراها تعتلى مكانها فى الطائرة ولما تمر دقيقة وبحركات بسيطة ترتفع فوق الجميع وبعد دقيقتين هى فوق المدينة بغبارها وضجيجها . يسمع الناس أزيزها فتشرئب أعناقهم لرؤياها فى علوها وهى عنهم لاهية بمتاعها . وإذا ما اكتملت دقيقتها الخامسة تركت عالم المدينة وارتفعت فوق السحب فاذا نظرت تحتها فهي فى عالم ثان فلا ترى إلا السحاب المتلاطم

المختاف الالوان سريع الحركة المتراص تراص الجبال الشامخة . وإذا تطلعت الى فوقها رأت السماء ناصعة الزرقة صافية الاديم وحولها الشمس الساطعة التى لم يرها سكان المدنية فى يوم اشتدت حلكته فى الحق . أنها لرياضة نفسية كبرى وفى الحق أنه لمتاع كبير

وغير هذا الاعتبار اعنى أن تطير للنزهـة فهناك اعتبار آخر ذلك امكان وصولك الى غابات السودان وأدغاله فى يوم وبعض يوم للصيد والقنص كما يمكن الانتقال بسهولة بين القاهرة والاماكن المختلفة للصيد البرى والبحرى كما تشاء أوكما تشاء مواسم الصيد العديدة

ومصر وقد جعلها مركزها الجغرافى أيضا حلقة وصل أوكما يقول الانجليز «وصلة كلابهام» بين ممالك أوربا وافريقيا وآسيا فقد جعلها جوها وسهولة أرضها من أهم مراكز الطيران فى العالم . ففى مصر تلتقى الطائرات القادمة من الهند أو جنوب أفريقيا وشرقها مع هذه القادمة من اسوج أو ألمانيا وفرنسا أوالصين واليابان . وحقا لقد أصبح مطار الماظه أشبه شىء بمدينة جنيف فى وقت الازمات السياسية الدولية واجتماع عصبة الامم

وفى مصر تستطيع الطيران كل يوم وتستطيع التدرب فى كل وقت حتى لقد ضربت مدارسها رقما قياسيا فى التعليم والتخريج واستطاعت فى وقت قصير اخراج المئات من مهرة الطيارين . وأنا الآن لا القى الكلام جزافا بل انكم لتجدون بينكم الآنسة لطفية النادى أول فتاة مصرية ضربت بسهم فى ميدان الطيران المصري فنالت شهادته فى وقت قصير واشتركت فى مسابقة دولية جمعت من نسور الدول المختلفة ماتعلمون. وقد كان فيهم المحترف والهاوى فقهرتهم فتاتنا الصغيرة . وراح اسمها يدوى فى أنحاء العالم فكانت موضع الاعجاب والتقدير وكانت لمصر وفتياتها خير دعاية أمام أمم العالم وقد عرف فى أوربا وغيرها بفضل الطيارة لطفية ان فتاة مصر خرجت من عقالها وأنها ساهمت فى نهضة التقدم والعمران كتفا إلى كتف مع شبابها الناهض بل قل علم الناس فى العالم الغربى عن طريق لطفية وحدها أنه لم يبق فى مصر «حريم»

وهذا الطيار حاذق أحد خريجى مدارس شركة مصر للطيران وتاريخه فى الطيران مازال عالقا باذهانكم وكانت رحلته إلى الهند بطائرته الصغيرة وستظل موضع مجده اذ استطاع فى بعض مسافات الرحلة أن يضرب أرقاما طيبـة كما كان فى رحلته مثال الشجاعة والاقدام بل مثلا طيبا للنبوغ المصرى

وفى اعتقادى أنه لم يكتف بعد بما قام به ولم يكتف بعد بالدعاية الطيبة التى عملها لبلاده

فى البلاد الشرقية بل سيقوم مرة أخرى وقد يقوم مرارا بما سيجعل العالم يتكلم عن مصر وشجاعة أبنائها ومساهمتهم فى كل خير لها

وغير لطفية وحاذق فقد حصل الطيار أمين سيف وهو أحد طلبة مدرسة مصر للطيران علي شهادة الطيران التجارى على حداثة سنه وعهده بالطيران بعد زميله الطيار علي يحيي . وانى وقد خبرت هذا النسر الصغير أستطيع أن أؤكد أنه سيكون له فى الطيران المصري صأن وأى شأن

وغير هؤلاء فلدينا الطيار عثمان حمدى خريج مدرسة مصر للطيران أيضا وهو فضلا عن كونه طيار بالطائرات ذات المحرك فقد برع فى الطيران الشراعي وقد بذل مجهودا مشكورا فى نادى الطيران الشراعى المصرى كما وضع تصميما للطائرة «السفروته» التى كتبت عنها البلاغ الغراء كثيرا

وقبل هؤلاء فهناك أوائل الطيارين كمال علوى وحسن انيس وفؤاد قطبى ورياض موسى وصدقى وسالم ورشدى ورحلاتهم الطيبة معروفة وجهودهم فى سبيل الطيران المصري تذكر فتشكر

هذا هو مجهود الشباب . هذا هو مجهود الافراد . فماذا أعدت أمتهم لهم ؟ لاشىء اكثر من الكلام والكتابة . وماذا يفيد الكلام وتفيد الكتابة ؟! نريد أن نرى فى أمتنا روحا أخرى بالنسبة للطيران . نريد أن نرى بين جرائدنا جريدة تقوم بما قامت به احدي الجرائد الالمانية التى أوفدت الآنسة ايللى باين هورن بطائرة لتقوم بها برحلة حول العالم تدعو لألمانيا . وشاء الحظ أن تكسر هذه الطائرة فى شمال افريقيا . فلم تشأ الجريدة أن تصلح الكسر البسيط وتنتظر اصلاحه بل أرسلت طائرة أخرى جديدة للآنسة هورن أتمت عليها رحلتها وعادت الى شعبها لتتقبل منه التقدير العملى وقامت برحلة أخرى عادت بعدها لتتقبل الصليب الحديدى من يد هندنبرج . . لاتضحكوا ياسادة . فهذه الآنسة زميلتى . وتخرجت معى . هى تطير وتطير ويساعدها شعبها على الطيران ونحن قعود . هى تطير حول العالم مرات ومرات ولطفية لاتطير الاحول المطار ولم هذا؟ لأن شعب الطيارة الاولى يشجعها عمليا ونحن لانشجع الا بالكلام . . . ان بين شبابنا من خلق ليكون طيارا بدمه ومن هو مستعد للتضحية وللقيام بما تطلبه منه بلاده فلم لايؤلف أحد أنديتنا أوحزب من أحزابنا فرقة للطيران يبعث بافرادها للدعاية لنا فى الخارج فى وقت نحن أشد ما نكون فيه حاجة الى هذه الدعوة . . ان المستعمر يحاربنا بكل سلاح حتى ان هناك فى أوربا من لايزال يعتقد أننا أقرب الي الهمجية منا الى الانسانية وهناك من يعتقد اننا من قوم نيام نيام . اننا فى حاجة ماسة الي الدعاية وبين الطيارين المصريين من يتحرقون لخدمة بلادهم وبينهم الاكفاء

الذين يمكن أن يعهد اليهم بهذه الامور . أولم يصل أحدنا الى درجة طيران ثم الى درجة رئيس مدرسة طيران يعلم الانجليز والطليان ومختلف الجنسيات كما يعلم المصريين أبناء جلدته ؟ وها هو كاشف مذ تسلم المدرسة يضرب رقما قياسيا فى سرعة اخراج الطلبة وتدريبهم تدريبا تاما كاملا فى أقصر وقت . من ذلك أن المستر كدلفين تخرج وحصل على شهادته بعد عشر ساعات فقط منها وقت الامتحان كما طار حسين فتحى بمفرده بعد خمس ساعات وخمس وخمسين دقيقة وحصل على شهادته بعد ثماني ساعات وخمس وعشرين دقيقة . الامر الذى لم يسبق له مثيل فى مدارس الطيران والذى يدل على مبلغ استعداد المصرى ونبوغه فى كل أمر يتولاه

فى مصر اكثر من مائة طيار مصرى كلهم مستعد لتلبية نداء الواجب . كلهم يرحب بالعمل لمصلحة بلده . وطائرتين او ثلاثا يشتريها حزب من الاحزاب المصرية الغنية برجالها ومالها سوف لاتصل فى ثمنها جميعا الى ماقد يصرفه هذا الحزب بعينه فى عمل بسيط من اعمال دعائية اومصاريف ايفاد عضو من أعضائه الى اوربا ليدلى بتصريح او اثنين تأثيرهما وقتى ان وجد

ان عجبى فى الحق لكبير كيف تهمل احزابنا هذه الناحية العظيمة من نواحى النشاط القومى فلا تستغلها ولا أقول لمصلحة الحزب وانما لمصر ومصر وحدها حتى يأتى اليوم القريب الذي نستطيع أن تقول فيه بحق « مصر فوق الجميع »

وهناك ناحية أخرى من نواحي النشاط للطيران فى مصر يجب أن تذكر لتشكر . هذه ناحية نادي الطيران المصرى الذى يرأسه صاحب السعادة محمد طاهر باشا . وان ذكرت النادى وذكرت رئيسه فيجب ان اذكر تلك التضحيات الكبيرة التى نبذلها هذه الهيئة فى سبيل الطيران وفى سبيل مصر . وكلكم تذكرون ذلك السباق الدولى الذى نظمه نادى الطيران فى ديسمبر سنة ١٩٣٣ . وقد قام له بدعاية واسعة النطاق فى كافة انحاء العالم ودعى للاشتراك فيه أبناء الامم المختلفة وقد اشترك فى السباق عدد لايستهان به من الطيارات والطيارين . وكان هذا العمل وحده بمثابة اكبر اعلان وأوسع دعاية عملت لبلادنا المحبوبة فى اوربا وامريكا . دعاية كانت ناجحة كل النجاح ولست أبالغ فى القول أو اغرق فيه اذ أقرر انها كانت انجح دعاية عملت لوطننا مذ تنبهنا الى فائدة الدعاية سواء من الناحية الشعبية او الناحية الحكومية . وذلك رغم مابذلته الحكومة وتبذله من اموال طائلة علي هيئات دعايتها المختلفة فى مصر والخارج . ان هيئة كنادى الطيران تنجح هذا النجاح فى امر يعد من اهم امورنا بل تفوق فى النجاح الحكومة وسلطاتها ومالها وما

تبذله . آسف اذ اقرر انها لم تلق التشجيع الكافى الذى يتناسب وجهودها وكانت اعانة الحكومة التى صرفتها للنادي لمناسبة هذا المؤتمر لاتكاد تغطى المصاريف الاولية للاستعداد له ألا ترون هذا عجبا ؟

لم يقتصر نادى الطيران المصرى على السباق الدولى الذى ذكرت بل راح يعد عدته لينظم سباقا دوليا للطيران مرة اخرى فى مصر سيقام فى مارس سنة ١٩٣٦ ليضيف بذلك تضحية جديدة الى تضحياته السابقة وليسجل لمصر فخرا جديدا فوق ماسجل . ونادى الطيران المصرى لايتكلم وانما يعمل دائما وفى هدوء لمجد الوطن . الم يسافر سعادة رئيسه والاستاذ كمال بك علوى سكرتيره فى صيف هذا العام للدعوة للسباق المصرى ولتمثيل مصر فى مؤتمر دولى اندية الطيران على نفقتهما الخاصه فى غير جلبة ولا غوغاء . أو لم يذهب الدكتور ابو ظهره الى لندن حيث زار المصانع والشركات والاندية المختلفة للطيران يستحث أهلها على الاشتراك بسباق مصر وزيارة ارض الفراعنة . قارنوا هذه الاعمال وهى من نتائج الطيران ووجوده فى بلادنا بغيرها من اعمال الحكومة والهيئات المختلفة فى بلادنا . ان فى عنق كل منكم واجبا نحو وطنه وعليه أن يؤديه وها هى ناحية عظيمة ذات ذكر فى سياسة بلدنا تطلب منكم التشجيع والمناصرة فشجعوها وناصروها فأنتم مشجعو وناصرو من غير شك وطنكم . واننى كطيار وبلسان الطيارين المصريين أهيب بالزعماء . أهيب برؤساء الاحزاب والهيئات . اهيب باغنياء هذا البلد ان يتنبهوا وان يحسبوا حساب المستقبل القريب فيشجعوا الطيران مااستطاعوا الى ذلك سبيلا وان يجتهدوا فى ايجاد اكبر عدد من الطيارين المدنيين فهم له عدة وهم له عنوان مجد وفخار . وانه لكثير بل انه لمن العار الكبير على أغنياء أمة كمصر ان يتركوا هيئة واحدة تعمل وتضحي ليس للطيران ذى المحرك وحده بل للطيران الشراعى أيضا وقد أخذه نادى الطيران المصرى تحت رعايته بعد أن رأى ان هذا الفن الجديد على وشك الاندثار فى بلادنا فتسلم ناديه وهاهو يأخذ بناصره ويفتتح عهد رعايته له بشراء أربعة طائرات شراعية دفعة واحده واستحضار مدرب ليمرن المصريين على هذا النوع البديع من الطيران . اذكروا لى غنيا واحدا تبرع بشيء لانتشال النادى الشراعى من عثرته كما يتبرع لما يساوى ولما لايساوى من الامور

ان الطيران يربي النفوس ويربي الاجسام ويخلق فى الضعيف روح الشجاعة والاقدام . ويخلق الطيران فى أبنائه الوطنية الحقة والقوميه الصحيحة . يعلم رجاله النظام ويعدم فيهم الانانية

الحيوانية . يعلم رجاله وفتياته الصدق فى القول والاخلاص فى العمل فادفعوا بابنائكم وأنفسكم وأصدقائكم إلي المطار والى المطار وحده فتخلقوا لوطنكم بذلك جنودا برره ورجالا مخلصين وأبطالا يسجلون فى صحائف التاريخ لمصر صحفا جديدة

للطيران أثر اخر ظاهر فى حالات مصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ذلك هو أثر شركة مصر للطيران التى أسسها رجال بنك مصر العاملون وعلى رأسهم زعيمنا الاقتصادى محمد حرب باشا

لقد تأسست هذه الشركة فى بادىء الامر فى سنة ١٩٣٢ وكان نطاق عملها ضيقا محدودا اذ اقتصر اسطولها على عدد من الطائرات المدرسية وبضعة طائرات ذوات ثلاثة واربعة مقاعد للنزهات والرحلات القصيرة

وقد عهد البنك ومجلس ادارة الشركة الى الطيار الاستاذ كمال علوى امر ادارة هذه الشركة باسطولها الذى ذكرت . وكمال علوى طيار ومصرى وثاب فلم يقنع بهذه الحركة المحدودة فى شركة هي الاولى من نوعها فى الشرق أجمع فراح يعمل ويعمل . راح يعمل بنشاط الشباب وقوة المصرى . راح يعمل بثبات الطيار واخلاصه وعزيمته ومن ورائه مجلس الادارة يعضده فكتب له الفوز . وأى فوز . صارت شركة بعد سنتين اثنتين تدير الخطوط الهوائية المصرية هذه الخطوط التى ربطت طائراتها مصر بشقيقتيها فلسطين وسوريا فى خط يعمل كل يوم كما ربطت القاهرة بالاسكندرية فى خط يعمل كل يوم ثلاث رحلات ويقطع المسافة فى ساعة واحدة

وسيبدأ العمل بالخط الذى يربط الاسكندرية ببورسعيد والقاهرة فالمنيا وأسيوط يوميا ابتداء من الخامس عشر من هذا الشهر وسهلت حركة السفر للسياح بين القاهرة والاقصر واسوان فى فصل الشتاء بخطها الذي تقطع طائراته المسافه يوميا ذهابا وايابا فى بضع ساعات . فضلا عن الخطين اللذين يعملان فى فصل الصيف وفى فتره العطلة الاسبوعية بين القاهرة ومرسى مطروح وبين القاهرة وجزيرة قبرص وتقطع طائرات هذا الخط الاخير المسافة فى زهاء ثلاث ساعات ونصف . وقد قطعت طائرات هذه الشركة فى بحر سنة ١٩٣٤ زهاء مليون ميل رحلات هوائية فى الخطوط المختلفة والرحلات الخاصة فى مصر وأنحائها وبينها وبين أوربا والحجاز وجنوب أفريقيا وغيرها كما دلت احصائيات الشركة على أن متوسط عدد الركاب الاسبوعى لطائرات خطوطها المختلفة قد بلغ المائتين من الركاب بينهم المبرنط والمطربش والمعمم وبينهم الآنسات والسيدات المصريات

الى هذا الحد الكبير نجحت شركة مصر للطيران فى هذا الوقت القصير . وهى يديرها المصرى كمال علوى ويبحث شئونها مجلس ادارة يعقد بين الفينة والفينة أعضاؤه محمد طلعت حرب ومحمد طاهر وفؤاد سلطان وحسن مظلوم المصريون

واذا ذهبتم الى مطار الماظة حيث مقر الشركة ترون كما قلت مديرها المصرى وسكرتيرها المصرى ورئيس حساباتها المصرى وماسك احصائياتها المصرى وضباطها المصريين وعمالها المصريين وبين طياريها عدد لابأس به ولله الحمد من المصريين . وان كان فى الشركة الى اليوم عنصر اجنبى فهو بحكم الاختصاص وتأخرنا القديم فى الانتباه إلى هذا الفن العظيم

ولكنى انبهكم إلى أننا لانلبث حتى نجد من يصلح لملء هذه الوظائف من المصريين بعد تعليمهم وتدريبهم التدريب الكافى الذى يضمن سير العمل وأمنه المتوافر الي الآن . ومن هنا ترون أن باب الكفاح فى الطيران مفتوح على مصراعيه وان فى ميدان العمل لمصر لمتسع للجميع

وقد نتساءل :

ان بين المصريين وخصوصا فئة الطيارين من يصلح مديرا وقائدا ومن يصلح وكيلا ومفتشا عاما ومن يصلح مفتشا اداريا ومفتشا فنيا ومن يصلح لكل وظيفة أو عمل تخلقه الحاجة أو يخلفه غيرها كما تعلمون

وحبذا لو أن حكومتنا أخذت من بنك مصر وشركاته مثلا تحتذى به فى سياستها ونورا تهتدى به فى تسيير أمورها فتثق بالمصرى وقدرته ونبوغه وتعهد اليه بكبار الامور كما عهد بنك مصر لى شباب مصر الناهض فاخلص الكل فى العمل وكان النصر المبين

الخوف من الجديد وكراهة المجددين

للأستاذ نقولا يوسف

من الألفاظ المتداولة بين كتاب الغرب لفظة « مسيو نيزم » المشتقة من كلمتين اغريقيتين بمعنى « كراهة الجديد » ولعلنا أحوج منهم إلى اشاعة هذه اللفظة بيننا فهى تشير إلى تلك الظاهرة الغريزية التى تصيب نفوس الأفراد والجماعات فتحملها على مقاومة المبادىء والنظريات الجديدة مهما أثبتت الأدلة صحتها بل كثيرا ما تحملها على مناوأة الجديد قبل بحثه وتمحيصه

وفى سبيل تلك المقاومة كثيرا مايحدث الاستشهاد والاضطهاد وتشب الثورات بل الحروب ثم ينتهى الصدام بانتصار الحق ولو بعد قرون

وانتصار المبادىء الحقة والنظريات الصحيحة هو انتصار لناموس الكون الذى يعمل على تطور الأحياء والجماد والرقى بها إلى درجات أعلى . وعلى ذلك فنحن قوم غيرنا بالامس وسنكون غيرنا فى الغد . وقد ارتقينا كثيراً عن أسلافنا وحققنا أحلامهم وسيرقى أحفادنا ويحققون ما نراه اليوم أحلاما والفضل عائد فى ذلك إلى الباحثين وراء الجديد ، أولئك السائرين وفق ناموس الوجود

والحياة التى من طبيعتها الارتقاء من رأبها أيضا التغلب على الجمود غير مبالية بما يعترضها من عقبات وما يذهب من ضحايا وما يمر من أزمان . مثلها مثل النهر الذي يجرف أمامه ما يعترضه من صعاب ويتخطى ما يلاقيه من صخور وتضاريس ليصل إلى غايته

وعلى ذلك فالحقائق الجديدة تكتسح أمامها الحقائق القديمة التى تتنافى مع سنة الارتقاء.وهذا الاكتساح لا يخلو عادة من صدام أظهره ما يحدث بين أنصار الجديد وأنصار القديم أى بين التطور والجمود

ومع أن الجمود وأصحابه يعوقون الحياة فى مسيرها إلا أن العجب أن هذه الحياة فى تطورها كثيراً ما تستفيد من الجمود . بل هى تستفيد من الموت بل ليس ثمة شر يخلو من بعض الخير ولا قوة ايجابية إلا وتسندها قوة سلبية

وجمود الجماعات هو القوة السلبية الضرورية فى حفظ التوازن الذى به تسير تلك الجماعات بخطى بطيئة ثابتة تدريجية فتثبت أقدامها فى طريق الارتقاء أكثر مما لو سارت بخطوات فجائية مضطربة

وقد يعجب الانسان لأول وهلة لماذا يكره البعض المبادىء الجديدة مع ما يظهر لها غالبا من المحاسن وما يجتمع لها من براهين . بل ان طفل اليوم لا يصدق أن مبدأ عاديا مثل دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس قد سبب للقائلين به شتى الاضطهادات والتعذيب . ولكن لكراهة الجديد « سيكلوجية » لا تخلو أيضا من عجب وأسباب تلذ دراستها

وللالمام بتلك الاسباب يجب البدء بدراسة فلسفة « العادة » وتكوينها وقوتها فى علم النفس ومما يقوله الاستاذ بتس فى كتاب « العقل وتربيته » . ان الانسان ماهو إلا مجموعة أو هو حزمة متحركة من العادات التى كونها جهازه العصبي . وكل عادة حفرت لها مجرى شبيه بمجرى النهر من الصعب أن تحيد عنه ، وقد قيل إن العادة رباط يصعب قطعه ، وما حياة كل منا إلا دورة يومية من النشاط تسيرها عاداتنا فى هذا الطريق أو فى ذاك . فنحن ننام ونأكل ونتكلم ونمشى على النمط الذي اعتدناه فى تأدية هذه الحركات والاعمال . بل نحن نفكر بالطريقة التى كونتها عادة التفكير فينا . بل نتلو صلواتنا ونمارس حركات عبادتنا عن طريق العادة . ونحن فى كلامنا خاضعون لنمط أتوماتيكى . . ونحن فى اتباعنا مجري العادة نحس بالسهولة والسرور ونوفر المجهود والزمن ، ولكننا إذا عرجنا عن هذا المجرى وبدأنا طريقا جديدا شعرنا بالصعوبة والانزعاج وعلى ذلك فأغلب الناس يفضلون متابعة ما درجوا عليه طويلا والاستمرار فيما ألفوه من القراءة والتفكير والاعتقاد لا لأنهم يشعرون أن طريقتهم هى الاحسن ولكن لان اتباعها أسهل لهم من تبديلها وبذلك تستقر جموعنا على سهل منبسط من التوسط والاعتدال وتتعلم كيف تعمل أشياء متوسطة فى جودتها ولا تفكر فى تحسين أساليب عملها

ويقول وليم جيمس فى هذا المعنى : ان فضائلنا ورذائلنا مجموعة من العادات . ويعتقد أننا خاضعين لقانون العادة مادامت لنا أجسام . وما دامت حياتنا مجموعة عادات فنحن مقلدون وناقلون عمن سبقنا

فاستنامة الناس إلى ما ألفوه من العادات ونفورهم الفطري مما يتطلب جهدا وكسلهم الذهنى كلها تفسر لنا سبب كراهتنا للبدع الجديدة التى تصدمنا بشذوذها عن مجرى العادة ومقاومتنا لكل جديد ولكل مجدد مهما شفع بدعته بالبراهين المعقولة

والشيوخ حتى العلماء منهم أكثر جمودا وتعلقا بالقديم وكراهة للبدع الجديدة من الشباب لان طغيان العادة يكون بمر السنين أقوى فعلا فى نفوسهم ولان العقل الواعى كالجسم يفقد مرونته وتقل قابليته للتكيف بتقدم العمر وتوالى السنين فيمسى الشيخ أكثر عنادا وتعصبا لآرائه وتمسكا بعاداته . وبذلك قلما تثمر البدع أو الآراء الجديدة فى صخور الشيخوخة وهذا مايدفع المجددين

الى الغرس فى حقول الشباب . وعلى أكتاف الشباب تقوم دائما دعائم النهضات والانقلابات وتذيع المعارف والاديان الآراء الجديدة

واذا كان الانسان مطبوعا على النفور مما ينهك فكره والاطمئنان إلى ما ألفه من الآراء وما استقر فى ذهنه من النظريات فان الجهل يزيد نفوره وتعصبه ويدفعه إلى محاربة كل جديد . وهذا يفسر تعصب العقليات الأمية لاديانها ومذاهبها وآرائها ويدفعها الى اضطهاد الانبياء والمصلحين والمجددين إذ أن الجهل يضع على العيون غشاوة ويزيد الآراء تعصبا وعنادا وقد قيل من جهل شيئا عاداه . وهذا الجهل هو الذى بضع حول القديم المألوف هالة من القداسة فيرى الجاهل فى المجهودات الجديدة كفرا وفى المخترعات بدعا وفى الآراء الجديدة تخريفا . وهذا الجهل هو الذي أثار الكثيرين من الأفغان على مليكهم أمان الله خان حينما فاجأهم بادخال الأساليب الأوربية فى بلاده . . وهو ما سبب المقاومة التى لقيها مصطفى كمال فى دعوته إلى استبدال الطربوش بالقبعة حتى ألفها الناس فلم تكن بدعة . . وهذا الجهل هو مادفع الصينين فى عديد الأجيال إلى الاعتقاد بنجاسه المخترعات الغربية واحتقار كل ماهو أجنبي حتى الطيارات ولعلهم يندمون اليوم على ذلك الاحتقار بعد اعتداء اليابان على بلادهم فأخذوا اليوم يشترون مئات الطيارات ويصطنعون الحضارة الاوربية بحماسة عظيمة

وقد تصطدم المصلحة المالية مع تبديل العادات المألوفة فتزيد أرباب تلك المصلحة تشبثا بذلك المألوف كما يشاهد فى مناوأة الرأسماليين لنظريات الاشتراكية وما شابهها من النظريات الاقتصادية أو فى محاربة أرباب المصانع لاختراع جديد فيه بوار تجارتهم

كان الرق مباحا فى معظم الولايات المتحدة الامريكية لا سيما الجنوبية الزراعية منها حيث كانت الحاجة ماسة إلى الارقاء الذين يفلحون الأرض فظهرت فكرة انسانية جديدة فى القرن التاسع عشر تدعو إلى الغاء الرق . وتزعم هذا المبدأ أهل الجهات الشمالية الصناعية حيث كانت الحاجة إلى الرقيق تكاد تكون معدومة . فثارت المناقشات العنيفة وانقسمت تلك البلاد إلى حزبين عظيمين أحدهما يبيح الاسترقاق والآخر يعاديه . وتشعبت من مسألة الرقيق خلافات أخري أدت عام ١٨٦١ إلى حرب أهلية بين أهلى الشمال والجنوب استغرقت أربع سنين وتكبدت فيها البلاد من القتلى والجرحى نحو مليون من الرجال وانتهت بفوز المبدأ الانسانى والغاء الرق وانهزام أرباب المصلحة المالية

هذه المصلحة المالية كثيرا ماترتدي مسوح الدين فترمى الداعين الى مبدأ من المبادىء بتهمة الالحاد أو الكفر أو الاباحية أو ما شابهها من الالفاظ التى يظهر أثرها السريع فى نفوس العامة وصغار الاحلام . وكثيرا ماتتنكر بأسماء أخرى طنانة كالشيوعية أو الفوضوية أو الرجعية وما شا كلها فيكون لها الأثر البين فى العقليات الامية السريعة الانخداع

وقد يحول الخوف بين الذهن وتحريره من الأوهام فيزيد التعصب لاسيما الدينى فالعامة الذين كانوا يخشون بطش الآلهة أو غضب المعبودات أو لعنة الأولياء هم الذين قاوموا بوذا فى الهند وصلبوا المسيح فى فلسطين واضطهدوا محمد فى مكة وشنقوا بهاء الله فى فارس وقتلوا الحلاج والسهروردى لصوفيتهما . . وهم الذين يقومون اليوم فى وجه غاندى حينما يدعوهم إلى تحرير المنبوذين الأنجاس !

ومن شاء أمثلة أخرى فليرجع إلى كتابين بديعين بالعربية فى هذا الموضوع أحدهما « حرية الفكر » للأستاذ سلامة موسى والآخر « بين الدين والعلم » الذى ترجمه الأستاذ اسماعيل مظهر عن ديكسون وايت . .

لنا أن نعجب اليوم كيف استعرت الحروب الصليبية وتوالت نحو مائتى سنة قتل فيها الألوف من بنى الانسان وخرب فيها كثير من البلدان بسبب اختلاف بسيط بين دينين من أديان البشر بل لنا أن ندهش لتلك الحروب والمذابح التى لوثت وجه أوربا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر بين الكاثوليك والبروتستانت وهما مذهبان من مذاهب المسيحية ونعجب لتلك الفظائع التى كانت ترتكبها محاكم التفتيش والتى ارتكبها الغوغاء فى باريس فى عيد برتولميو يوم ذبحوا من البروتستانت أكثر من عشرين ألفاً

يحدث هذا منذ فجر الخليقة وحين بدأ الانسان فى عصوره الهمجية يخشى سخط القوي المستترة وحدث هذا حينما ظهر اختاتون يجدد فى الدين والفن يوم كان المصريون القدماء يخضعون للكهنة الذين اتخذوا من الدين وسيلة إلى امتلاك الاراضى الواسعة والالقاب السامية وبسط النفوذ على الشعب والحكومة وبلاط الملك

ظهر بمصر حوالى سنة ١٣٧٥ ق . م ابان مجد الرب آمون وسلطان كهنة طيبة شاب مجدد هو الفرعون اختاتون الذى هداه تفكيره إلى مبادىء جديدة بالنسبة لعصره مما دعا الكثيرين اليوم الى اعتباره أول الانبياء . فقد ثار على التقاليد الدينية التى لم يكن أحد حتى الملوك أمثاله ليجرؤ على الثورة عليها لما للكهنة من سطوة وللشعب من خوف الجديد ولكنه ثابر حتى موته على الدعوة إلى هدم الاوثان ونبذ الآلهة وأنصاف الآلهة والشعوذة والغموض ، والعودة إلى عبادة إله واحد هو الروح الخالق الغير المنظور الذى يرمز إلى قوته بالشمس مصدر الحياة وأخذ الشاب يبشر بمبادىء الحب والسلام ونبذ التوسع الاستعمارى والحروب والرجوع الى الصراحة والبساطة فى الدين والفن والحياة وشيد له عاصمة جديدة بتل العمارنة لتكون مركزاً لدينه الجديد . إلا أن هذه المبادىء السامية ماتت بموته لانه تقدم عصره ولم يكن الشعب رغم حبه لمليكه مستعداً لقبول

هذه الدعوة الجديدة لما للخوف من الآلهة وكهنتها من سلطان على النفوس .

فى القرن الخامس ق . م ظهر حكيم اغريقى اسمه اناجزاغوراس وكان يبحث فى المادة الأولى التى يتكون منها الكون ويعلم تلاميذه أن الشمس قطعة من النار وأن فى القمر جبال فرماه رجال الدين بالكفر وحبسوه ثم نفوه . .

وقام بعده ببضع سنين حكيم آخر هو بروتاجوراس فكفر بالآلهة ورأى أن نوجه اهتمامنا إلى تحسين العالم ودراسة الانسان بدلا من أن ننفق العمر القصير فى البحث عن وجود الآلهة العديدة فقبضوا عليه وحاكموه . .

وجاء سقراط فدعا إلى توحيد الآلهة فى إله واحد غير منظور والى حرية الفكر وخلود النفس فعقدوا له مجلسا مؤلفاً من خمسمائة قاض لمحاكمته على كفره وعلى افساد عقول الشباب بتعاليمه فدافع فى تلك المحاكمة المشهورة عن حرية التفكير ورد عن نفسه تهمة الكفر فرأى المجلس أن يعفو عنه بشرط أن يكف عن تعاليمه فلم يقبل مخالفة ضميره فحكم عليه القضاة بتجرع السم

وحدث مثل هذا مع المسيح حينما ظهر بمبادىء جديدة أثارت عليه عليه شيوخ اليهود وعوامهم وقصة اضطهاده ومحاكمته مشهورة ولم يسلم تلاميذه وأتباعه من اضطهادات اليهود والرومان لهم من أجل تلك المبادىء ، تلك الاضطهادات الدموية التى تضيق عن ذكرها الوف الصفحات

ومما يثير العجب فى أمر هذا « المسيو نيزم » هو اضطهاد الكثيرين من العلماء ومقاومتهم بل قتلهم أو احراقهم من أجل آراء علمية نقر اليوم بصحتها ونراها من البداهة والبساطة بحيث لم يكن ثمة داع لتلك الاضطهادات حتى من جانب رجال الدين الذين كان يدفعهم خوفهم على مراكزهم ومصالحهم الى الأخذ بحرفية ماجاء فى العهد القديم من التوراة حتى الرمزى والشعرى منه

كان القائل بكروية الأرض أو بدورانها يلاقى عنتا وعداء شديدا وكذلك ظهر للقائلين بنظرية « الانتيبود » أى بوجود أناس فى الجهة المقابلة من الارض معارضون وفلاسفة يدحضونها ، ولما أراد خرستوف كولمبوس أن يعبر المحيط الى الهند جادله علماء اسبانيا وأنكروا وجود أرض وراء المحيط ولم يقتنع العلماء بكروية الارض حتى ساح ماجلان عام ١٥١٩ وأثبت لهم كروية الارض ووجود أناس فى الجهة المقابلة من الارض . .

وفى عام ١٥٠٠ قام كوبرنيكوس يقول أن الشمس لاتدور حول الارض كما كان الناس يعتقدون بل أن الارض وبقية السيارات هى التى تدور حول الشمس وألف كتابه « حركات الاجرام السماوية » لكنه لم يجرؤ على نشر كتابه وأخذ يبحث عن مدينة يأمن فيها سخط رجال الدين ثم طبع الكتاب ومات قبل أن تصل اليه أيدى الاضطهاد ورغم ذلك فقد لقبوه بالمأفون وبالكافر ومنعوا تداول الكتاب ولم يجرؤ أحد أن يعلن اعتقاده بذلك الرأى مدة سبعين سنة حتى جاء جاليليو

عام ١٦١٦ فأخذ يثبت بالرصد صحة تلك النظرية فعادوا الى مصادرة كتاب كوبرنيكوس وأخذت المسارح تسخر بالرجل وآرائه . .

ولما كشف منظار جاليليو عن أقمار المشترى قالوا بأن النظر فى التلسكوب كفر وخيالات شيطانية ولما أثبت وجود البقع الشمسية وأن الشمس تدور حول محورها وأن القمر جبال ووديان هب أساتذة الجامعات يعادونه ويكفرونه وقبضت محكمة التفتيش على جاليليو وسجنته ثم أجبرته على الاعتراف بان الأرض لا تدور ومات الرجل محتقراً ذليلا . !

وجاء كيلر بنظرياته الفلكية فوبخ وسجن متهما بالخيالات الفاسدة وفى عام ١٨٢٠ أصدر مجمع وزراء الفاتيكان المقدس أن نظرية كوبرنيكوس حق ثابت فانتصر الحق بعد ثلثمائة سنة من المقاومة والعداء . !

أما داروين فقد لقى من السخرية والعداء شيئا كثيراً ولم يكن أعداؤه من الجهلة أو رجال الدين فقط بل كانوا أيضاً من العلماء والمؤلفين ورجال الصحف فى كل قارات الارض وظهر عدد كبير من الكتب ونشرت مئات المقالات والقيت الوف المواعظ فى تسفيه داروين وآرائه

ولما نادى بآراء داروين بمصر منذ عهد قريب العالم شبلى شميل قامت فى وجهه عاصفة شبيهة بتلك التى قامت فى وجه قاسم أمين حين نادى بتحرير المرأة ثم هدأت العاصفة واستقرت نظرية النشوء والارتقاء ونسيت تلك الألوف من الصفحات التى رمتها بالكفر والجنون وأوسعتها شتما وتحقيراً . .

أن أعداء الجديد ما زالوا عائشين وسيظلون دائماً بالمرصاد لكل مجدد حتى يأتى ذلك اليوم ولا ندرى متى يكون حين تسيطر دولة العلم وتخف وطأة الغرائز وتصبح الارض طوبى لا مكان فيها للتعصب والحماقة . .

مع لورانس فى الصحراء

كتاب انجليزى للمؤلف لويل توماس

تلخيص وتعليق ديمتري ينى

مؤلف هذا الكتاب المستر لويل توماس كاتب ومحرر أمريكي . دفعته صناعته الى التجوال فى فلسطين . فلما أن توطدت صداقته مع لورانس جاب معه الصحراء واستطاع فى النهاية وبمعونة الكثيرين من أصدقائه ومعارفه من الامريكيين والانجليز أن يكتب هذا الكتاب

وملخص هذا الكتاب يشعر بالعجز التام حين يريد تلخيص الاجزاء الحربية فيه . فلم اكن والحمد الله يوما عسكريا ولم أعرف بعد هول الحرب وفظائعه . لذلك فانا انصح بقراءة هذا الكتاب لمن يريد أن يعرف شيئا عن أساليب الحرب والخطط الحربية

يقول المؤلف :« ذات يوم بعد أن غزا اللنبي مدينة أورشليم وبينما كنت أسير فى الشارع المسيحي اذا برجل تركى ضخم الجسم يعترضنى لاشترى منه قبضة من البلح نظير عشرين قرشا . وعلى غرة اتجه نظرى الى جماعة من العرب يتجهون ناحيه بوابة « وامكس » . وفى الحال أثار دهشتي رجل بدوى يختلف تماما عن سائر زملائه . يرتدى عقالا مزركشا . وكوفية حريرية وعباءة شأن أصحاب الصولة فى الشرق الادنى . وفى حزامه سيف اميرمكة الصغير المجوف شأن سلالة النبى

« ويجمع هذا الشارع المسيحى مختلف صور الحياة . فيهود الروس ، يحملون فوق رءوسهم فصائل الشعر المجعد . وقسوس الروم يلبسون القبعات العالية السوداء . الاتراك فى سراويلهم الفضفاضة وتجار العرب فى عمائمهم وقفاطينهم الزاهية

مر بي هذا الشاب البدوى بملابسه الملكية الفخمة التى كادت ان تجعل منه خليفة من الخلفاء المتنكرين . فزادت الرغبة فى نفسى الى معرفته فقصدت على الفور الجنرال ستورس حاكم القدس . والذى كان سكرتيرا شرقيا للمندوب السامي فى مصر قبل سقوط اورشليم . يتكلم العبرية واليونانية واللاتينية والعربية بسهولة كما يتكلم لغته الانكليزية تماما

« وفى غرفة مجاورة لغرفة الحاكم رأيت ذلك الامير البدوي يجلس على المكتب الذى كان

يجلس عليه « فون فالكنهاين » القائد الالمانى وكان يقلب مجلدا ضخما من مجلدات الآثار والعاديات . ومنذ تلك اللحظة بدأت معرفتى وصداقتى للكابتن لورانس

« ولد لورانس فى مقاطعة كارنارفون فى ويلز وكان أهله يتبعون الكنيسة الانجليزية . قضى خمس سنوات من طفولته فى جزيرة « Jersy » . فلما أن بلغ العاشرة هاجرت أسرته الى شمال اسكوتلانده حيث ظلوا هناك ثلاث سنوات سافروا بعدها الي فرنسا والتحق بكلية الجزويت ومنها عادالى اكسفورد



لورانس

« ولورنس من أسرة عريقة جدا . نشأ محبا للمخاطرات والمجازفات . مولعا بتسلق الاشجار والزحف على سطوح المنازل . استطاع أن يتمم دراسته فى جامعة اكسفورد فى ثلاث سنوات بدلا من أربع رغم أنه لم يحضر محاضرة واحدة . كان يصرف اكثر وقته اما ماشيا على قدميه مجولا فى أنحاء انجلترا . أوباحثا منقبا عن تاريخ القرون الوسطى . كان يحب العزلة ولهذا السبب كان ينام نهارا ويقرأ ليلا . كان مولعا بالكتب التى تبحث فى الشئون العسكرية والحربية

« ولما أن أتم دراسته اختار فن العمارة العسكرية فى عهد الحروب الصليبية موضوع رسالته . ولهذا السبب قرر أن يزور الشرق الادنى ليدرس بنفسه موضوع رسالته وشجعه على ذلك الدكتور « دافيد هوجارس » . سافر الى سوريا رغم معارضة والدته الشديدة بعد أن منحته مائتى جنيه نفقات رحلته . وكانت اسرته تتوقع عودته بعد اسابيع قليلة .

غير أن لورانس لم يكد يصل سوريا حتى ارتدى الملابس الوطنية وبدأ يجول عارى القدمين فى صحراء العرب يدرس بنفسه أخلاق وعادات الناس . فلما أن عاد الى اكسفورد بعد سنتين يقدم رسالته كان لايزال يحتفظ فى جيبه بمائة جنيه

« ورأس صديقه « دافيد هوجارس » قبل الحرب بكثير بعثته الأثرية وصحبه لورانس ونجحت البعثة فى ابحاثها واستطاع لورانس وزملاؤه ان يكشفوا عن جزء كبير من تاريخ المدينة حتي مبدأ الثقافة اليونانية فى جزائر البحر الابيض والتي ترجع لخمسة آلاف سنة مضت

« وأراد لورانس فى أثناء الحرب أن يلتحق بفرقة اللورد كتشنر غير أن اللجنة الطبية رفضت طلبه لاعتلال صحته . وشاء القدر أن يدخل هذا الرجل العليل بعد أربع سنوات من تاريخ الكشف عليه مدينة دمشق على رأس جيشه العربي

« وفى سنة ١٩١٥ ثار عرب الحجاز ضد الحكم التركى فى الجزء الواقع بين مكة والجزء الجنوبى للبحر الميت والمعروفة بالاراضى المقدسة . وجزيرة العرب اكبر مساحة من انجلترا وفرنسا ويلز واسكوتلاندا وايرلندا وهولندا وبلجيكا واسبانيا مجتمعة فالمسافة بين حلب في الجزء الشمالى ومدينة مكه تساوى المسافة بين لندن وروما ومع ذلك فقد قطعها لورانس ورجاله على ظهور الابل

« وفى الحجاز شيعة تحسب نفسها من سلالة النبى . تكره الاتراك وتعدهم دخلاء فى بلادهم . وكانت حكومة تركيا تخشى على الدوام بأسها فاذا أرادت الانتقام من أحدهم دعته ليعيش فى الاستانة فيقضى البقية الباقية من حياته شبه سجين . وكان السلطان عبدالحميد ماهرا فى اقتفاء هذه السياسة واستطاع فعلا ان يحتفظ بالشريف حسين وان يقدم له معاشا وقصرا على ضفاف البوسفور حيث قضى فيه اكثر من ثمانية عشر عاما . فلما ان ثارت تركيا سنة ١٩١٢ وانتهى حكم عبد الحميد واطلق سراح المسجونين السياسيين تفاءل الشريف حسين خيرا ولكن خاب ظنه كما خاب ظن كثير من العرب فقد الزمهم حزب الاتحاد والترقى ان يتجنسوا بالجنسية التركية وأن يتركوا لغتهم العربية . وسرعان ما تحقق الشريف حسين أن أنور وطلعت وجمال أكثر ظلما وغطرسة من السلطان عبد الحميد

« عاد الشريف وأولاده إلى مكة مفضلا أن يبعدهم عن جو تركيا وحياة الشرف فيها مفضلا أن يجوبوا الصحراء ويتذوقوا حياتها

« ولما أن نشبت الحرب الكبرى وانضمت تركيا لألمانيا رأي العرب أن الساعة قد دنت ولكن لافتقارهم إلي الذخيرة والمؤن ظلوا ساكنين حتى جاءت الاخبار بحصار كوت العمارة فأرسل

الشريف حسين للحكومة الانجليزية يسألها المعونة · واستطاع قبل أن يصل رد الحكومة الانجليزية اليه أن يجمع حوله آلاف العرب وأعد الشريف مع أولاده خطته الحربية . فلما أن كانت سنة ١٩١٦ وكان لورانس فى ذلك الوقت يشتغل فى قلم المباحث السرية فى مصر تحت اشراف السر جلبرت كلايتون دعا الشريف رجاله والقبائل . وفى ٩ يونية بدأت العاصفة . حمل الشريف حملته إلى مكة وسافر فيصل وعلى إلي المدينة واستطاع الشريف أن يغزو جدة بعد خمسة أيام بمساعدة الكابتن بويل . واستمر الكفاح شديدا بين فيصل وعلى وتركيا مما اضطر له الشريف حسين أن يطلب مرة أخرى مساعدة انجلترا والحلفاء .. ومنذ تلك اللحظة بدأ لورانس يلعب دوره على مسرح السياسة

وفى ذلك الوقت طلب الى الجنرال ستورس أن يسافر إلي جده يحمل رسالة الى أمير الحجاز وكان لورانس يعتقد بامكان مساعدة العرب وصحب ستورس الى البحر الاحمر فلما وصلا الي جده استأذن لورانس الشريف حسين بزيارة الامير فيصل فى معسكره . فلما بلغها كان المركز حرجا فقد أمد الاتراك جيشهم بفرق ومعدات حربية ولم يكن لورانس قد وضع خطته بعد غير أن الفكرة كانت مختمرة فى رأسه . وبدأ عمله بأن أوجد الثقة فى نفس الامير فيصل . فلما أن اطمأن الى هذه الناحية وجد الفرصة سانحة لضرب الاتراك والالمان

« وأدرك لورانس أن القوات التركية سوف تجر جيوشها حتى تضع يدها على رابغ أعظم ميناء على البحر يبعد عن جدة شمالا بألف ميل . وأدرك لورنس أيضا أنه توجد فى الشمال ميناءان صغيرتان « ينبع وجه Wejhi » وكأنتا فى يد الاتراك . كانت خطته أن يغزو هاتين المدينتين ثم يترك بعد ذلك الجيش التركى حائراً اما أن يعود الى المدينة أو أن يقذف بنفسه وسط الصحراء . وأيقن لورانس أن الاتراك يحتاجون لأكثر من نصف مليون جندى حتى يمكنهم أن يتسيطروا على خمسين الف ميل مربع ولم يكن لديهم أكثر من مائة الف عسكرى . وأخيرا انتهى لورانس على أنه لو استطاع أن يجمع شمل سكان الصحراء والقبائل ويوفق بين العرب والبدو ويجعل منهم كتلة واحدة لما طرد الاتراك من الاراضى المقدسة فقط بل غزا سوريا أيضا

« وبدأت محاولاته فى اقناع العرب بأن يستميتوا فى الدفاع عن بلادهم من ظلم الاتراك وحكمهم وكان يستر شخصيته تحت اسم « سيدى فيصل » يجالس العرب ويتحدث اليهم عن تاريخهم الغابر ثم يتطرق به الحديث الى الحكم التركى ووجوب ترك الاتراك من بلادهم . واستطاع خلال ستة أشهر أن يجمع حوله مختلف قبائل الحجاز وبلاد العرب . وظل لورانس والاميران فيصل

وعبد الله يكافحون حتى استولوا على ينبع والرج . وكان للاتراك فى شمال خليج العقبة فصيلة لا تقل أهميتها عن فصيلتى مكة وجدة . ولما كانت العقبة من أهم الموانى الحربية لمن يريد أن يغزو مصر وفلسطين وسوريا ، لذلك بانت موضع اهتمام لورانس وتفكيره . وفى ١٨ يونية سنة ١٩١٧ استطاع أن يعسكر على بعد ثلثمائة ميل من شمال خليج العقبة . ويذكر الكاتب بعد ذلك مهارة لورانس الفائقة ودهائه ومكره وحذره فى وضع خططه الحربية لمعرفته التامة ببلاد العرب وطبوغرافيتها .
ويذكر الكاتب أيضا أن العرب عقب انتصارهم المذكور رغبوا فى أن يذبحوا ويقتلوا الاسرى الاتراك اطفاء لنيران قلوبهم المتأججة من ظلم الاتراك لهم واستعبادهم . غير أن لورانس بثاقب فكره استطاع أن يكبح جماح غضبهم وسخطهم . فلما أن هدأ روعهم وسرى الخبر بين الاتراك بحسن معاملة الاسرى منهم انضم جزء كبير الى الجيش العربي بأسلحتهم ومعداتهم وهذا بالطبع ما كان يرمي اليه لورانس من حسن معاملته للاسرى

« وفى ٦ يونية سنة ٩١٧ استولى لورانس ورجاله علي العقبة بعد أن أضناه التعب والكفاح وظل الجيش بعدها عشرة أيام يعيش على البلح ولحم الابل وخاف لورانس المجاعة فركب جمله يجوب الصحارى والقفار اثنتين وعشرين ساعة عاد بعدها الي بور توفيق فالسويس منهوكا خائر القوى

« وكان اللورد اللنبى فى ذلك الوقت قد عين حاكما عاما للقوات البريطانية فى مصر خلفا للسرمرى . وفى الاسماعيلية استطاع لورانس أن يتحدث الى الاميرال « ولمس » ويقص عليه خبر غزو العقبة وحاجة الجيش الشديد للمؤونة . وفى الحال كاشف « وليمس » اللورد اللنبى فلما مثل لورانس بين يديه قص عليه كل شيء دون أن ينسب لنفسه فخر هذا الانتصار

« بدأ اللورد اللنبى فى الحال يحصن سينا من ناحية العقبة خشية أن يعيد الاتراك عليهم حملتهم مرة أخرى

« ولما اكتشف الالمان والاتراك سر نجاح العرب أعلنا منح خمسة آلاف جنيه جائزة لمن يقبض على لورانس حيا أم ميتا . ولكن العرب لم ينسوا جميله لهم وعنايته بهم فأحاطوه برعايتهم وحمايتهم »

* * *

يذكر الكاتب بعد ذلك الجهود العظيمة التى بذلها شيوخ القبائل ورجالها مناصرين لورانس ومساعدين له . ويذكر أيضا أحاديث العرب المتداولة عن كرم وفادتهم للناس . ويذكر الكثير مما ورد فى أساطيرهم عن ذلك . ولعل هذا مادفع لورانس أن يكون كريما مثلهم وان يتحدث اليهم

باللغة التى يتحدثون بها فيضرب لهم المثل الاعلى فى الكرم والجود . ولكنه كرم وسخاء يكلفان الحكومة البريطانية آلاف الجنيهات الانكليزية . فقد كان شيوخ القبائل يقصدون لورانس فى خيمته ويسألونه مالا فيشير اليهم الي كيس كبير مملوء بالذهب الوهاج . وكان يسمح لكل منهم ان يأخذ ما يملأ يديه حتى لن اعرابيا اخذ مرة فى حفنة واحدة مائة وثلاثة واربعين جنيها

ثم يذكر الكاتب بعد ذلك كيف لعب لورانس دوره فى الاشتراك مع اللورد اللنبى فى حملته وكيف استطاعا ان يضعا خطة حربية انتهت بأن تقدم لورانس وجيشه اكثر من ثلثمائة ميل فى أقل من شهر . وبذلك أفل نجم الامبراطورية التركية وبدأت تتفكك

كان لورانس فى ذلك الوقت قد بلغ التاسعة والعشرين من عمره وقد استطاع فى مدة وجيزة أن يكون أعظم رجل فى بلاد العرب منذ هارون الرشيد

واحتلت فى النهاية القوات البريطانية والعربية بعد سقوط مدينة دمشق وميناء بيروت

يقول الكاتب وبعد أيام قليلة من احتلال بيروت نشأت مسأله دبلوماتية وذلك بان ممثل فرنسا وضابطا انكليزيا طلبا ازال العلم العربي وان يوضع مكانه العلم الفرنسى : يقول الكاتب أن الحاكم العربى وضع مسدسه على الطاولة التى أمامه وقال له « هاك مسدسى يمكنك قتلي ان أردت ولكنى لن نزال العلم »

وبعد ثلاثة أيام أبرق اللورد اللنبى بالا يرفع علم ما فوق بيروت وأن يحكم المدينة ضابط فرنسى بالنيابة عن الحلفاء . ومنذ تلك اللحظة بدأ العرب يدافعون عن كل بقعة كسبوها يساعدهم على ذلك لورانس الشاب .

وأخيرا وبعد أن سقطت دمشق وأقام لورنس حكومة وقتية لصديقه فيصل رأى أن عمله لم ينته بعد وخاف أن ينسى الحلفاء وعودهم للعرب وسافر توا الى أوربا يمهد السبيل للوفد العربي

وفى فرنسا قوبل الوفد بفتور لان فرنسا خافت أن يطمع العرب فى سوريا . ولكن فيصل استطاع بشخصيته المحبوبة أن يجد له مناصرين كثيرين غير أن انجلترا كانت قد عقدت محالفة مع فرنسا فى الوقت الذى أعطت فيه وعودها للعرب

وكان غرض فيصل كله أن يجعل من سوريا و فلسطين و بلاد العرب مملكة مستقلة فى الوقت الذي كانت تعتقد فيه فرنسا أنها تمتلك سوريا منذ الحروب الصليبية كما أنها مدت سككها الحديدية بالمال وعملت الكثير فى سبيل ترقيتها ونجاحها كما أنها كانت تعد نفسها منقذة

للمسيحيين فى سوريا

وانتهى مؤتمر السلام بفوز الامير فيصل والكولونيل لورانس فوزا جزءيا فاعطيت بيروت وسواحل سوريا لفرنسا وأعطيت فلسطين لانجلترا ومنح للعرب سلطة على داخلية سوريا . فلما عاد فيصل الى سوريا أقام نفسه ملكا عليها واتخذ دمشق عاصمة لملكه . ولكنه لم يدم فيها طويلا اذ أنه كان يفتقر لتوطيد حكومته الى مال وفير . وأخيرا اضطر أن يترك دمشق وسيطرت فرنسا على سوريا كلها

كان لورانس رجلا بعيدا عن الانانية لم يطمع يوما فى مال أو جاه فقد رفض كثيرا من الاوسمة والنياشين . ولقد سئل مرة نورى باشا أحد أعوان فيصل حين كان فى باريس عن المكافأة التى ينوى العرب تقديمها للورانس اعترافا بخدماته لهم فاجاب لقد عرضنا عليه كل شيء ورفض كل شيء لقد كنا نود أن نمنحه امتيازا بالبحث والتنقيب عن الآثار فى جميع بلاد العرب وسوريا

وأخير استقر لورانس فى انجلترا متنكرا متخفيا . فلما تعين المستر تشرشل وزيرا للمستعمرات رأى الاستعانة به ليقوى مركز انجلترا فى الشرق الادنى ولكى يمدها بالمعلومات الوافية الصحيحة عن بلاد العرب . وقد شغل لورانس وظيفته لمدة سنة واحدة استطاع خلالها أن يقيم فيصل ملكا على العراق

قد يسأل سائل كما سئل مؤلف هذا الكتاب مرارا الاسئلة الآتية :

ماسر نجاح لورنس : وكيف يستطيع مسيحى أوربى أن يحوز ثقة العرب المسلمين فى بلادهم المسلمة البحتة . وأى ثمرة لعمله كان يتوقعها : وهل ينوى أن يكتب كتابا عن عمله . وكيف يكسب عيشه وما مصيره وما هى مهواته وهل ياترى سيتزوج يوما ...

ولكى أجيب على هذه الاسئلة بايجاز أقول انه بلا شك توجد عوامل كثيرة تعزى لنجاح لورانس وسيطرته على العرب وولوعهم به . فقد كان أكثر من حكمائهم حكمة . يأكل كما يأكلون ويلبس لباسهم .كانو يجلونه لشجاعته وقوته أحبه العرب لانه قادهم الى النصر . أما كونه مسيحيا فى أرض اسلامية محرمة على المسيحيين فقد كان العرب يعتقدون أنه جاء لينقذهم من نير الاتراك وحكمهم . أما زواجه فقد كانت أمه تقول انه لن يتزوج لان المرأة التى تعرف كيف تعيش معه لم تخلق بعد . أما الكتاب الذي وضعه فهو «أعمدة الحكمة السبعة»

كان لورانس يتكلم الفرنسية . والايطالية . والاسبانية والالمانية ولغة النروج والهندستان

وهو يتقن اللاتينية واليونانية ويتحدث الى العرب بلهجة بدوية بديعة

وأخيرا استطيع أن أذكر على سبيل الفكاهة بعض ماورد فى الكتاب وأظن أن المؤلف قد غالي فى بعضها أو أنها نقلت اليه عن سوء نية

« ١ » حين نزلت حاشية فيصل فى فندق رتز بلندن أخذتهم الدهشة حين أراهم لورانس حنفية تصب ماء ساخنا وأخرى تصب ماء باردا فقد عرفوا من قبل ان بالجنة ينابيع تصب لبنا وعسلا ولكنهم لم يسمعوا بمثل هذه الحنفيات . وهذا مادفعهم أن يقترحوا على لورانس أن يشحنوا معهم كمية من هذه الحنفيات السحرية يحملونها معهم فى الصحراء وفوق ظهور الابل لتكفيهم مايحتاجون اليه من ماء بارد وساخن

« ٢ » كان الامير فيصل مدعوا فى حفلة فى مدينة جلاسجو . ولما جاء دور الكلام وكان لورانس يجلس بجانبه يترجم له كل شيء همس فى أذنه أن ليس عنده مايقوله . لذلك اقترح على الامير ان يتلو من سورة البقرة وأن يترك للورنس مايريد أن يتحدث به الي المدعوين بترجمة لهذه السورة

« ٣ » دعى الامير أيضا لحفلة فى لندن رأسها اللورد بلفور . وأراد اللورد أن يعرف رأى فيصل فى حكومة انجلترا فقال له الامير انها تذكرني بقافلة فى الصحراء . قافلة اذا رأيتها من الخلف وعلى مسافة بعيدة رأيتها أنها جمل واحد فاذا تقدمت الي الامام قليلا رأيت جملا ربط ذيله بالآخر وهذا الاخر مربوط ذيله بغيره وهلم جرا . فاذا وصلت الى رأس القافلة ايقنت أن حمارا صغيرا يقود تلك السلسلة من الابل

وعجب اللورد جدا لاجابة الامير ولم يستطع أن يدرك الى من يشير الامير

ولعلنا نعجب لرد الامير البليغ فقد استطاع ان يوحي الى اللورد برأيه فى الحكومة الانجليزية بطريقة فلسفية دون أن ينسى الصحراء مهبط وحى العربى وبلاغته

الطفولة والتعليم

بقلم الدكتورة منتيسوري

ان الفرق الجوهرى بين الطفل والبالغ هو أن الطفل فى حالتى انتقال وتحول شديدتين ، والبالغ في حالة نضوج . وهذا الفرق عميق جدا حتى أن الوالدين أنفسهم يجهلونه ، ومن واجب المربى ادراكه توصلا الى التوفيق بين الطفولة والرجولة وتجنبا لسوء العواقب والمشاكل التى تنجم عن عدم ادراك هذا الفرق على حقيقته . واذا رجعنا الى طرق التعليم القديمة ، وجدنا أن المعلم كان ينظر الي الطفل باعتبار ما سيكون ، أى يعده قابلا لتكييف نفسه وتعديلها بطريقة تلائم مطالب البالغين ، الاخلاقية والاجتماعية . وكانت مهمة المعلم حينئذاك أن يدفع الطفل بكل قواه حتى يتسلق درجات السلم واحدة فواحدة ويبلغ أعلاها . وبتعبير آخر ، كان المعلم يحاول أن يغتصب وظيفة الخالق في خلق الطفل رجلا على صورته تعالى . ولكن هذه الطريقة مناقضة بلا شك لسنة الطبيعة ، لأن طريقة الطبيعة فى التعليم غير مباشرة فى الغالب

والدليل على هذا أن الطفل يتعلم المشى وهو راقد على ظهره يرفس بقدميه . والفراشة الصغيرة تعد نفسها للطيران فى الهواء بحبس نفسها داخل حظيرة ضيقة كالكفن ، أى أنها « كفرخ العصفور يتعلم الطيران داخل البيضة » . ولو كان للفراشة مدرسة تتعلم فيها الطيران ، وكان معلمها من الطراز القديم ، لتسرب اليأس الى فؤاده وعمد الى كسر القشرة واخراج تلميذه « الفراشة » منها حتى تتعلم الطيران على عجل بالطريقة التي يريد ، لا بحبس نفسها داخل قشرتها . كذلك الضفدعة الصغيرة التى تقضى الشطر الاول من حياتها سابحة فى الماء ، لو كان لها معلم من الطراز القديم لأخرجها من الماء غاضبا وأمرها أن تخرج الى اليابسة حتي تتعلم التنفس والقفز خارج الماء استعدادا للشطر الاكبر من حياتها . وخطأ المعلم فى جميع الامثلة السابقة جهل القوة الخفية والنشاط الطبيعي اللذين أودع الطفل إياهما منذ تكوينه لحكمة عجيبة ، وهي تحويل الطفل فى الانسان والصغير فى الحيوان الى النوع الجنسى الذى شاءت الطبيعة أن ينتميا اليه . وليعلم المربي أن كل تدخل منه فى نشاط الطفل وعمله ، بغير ضرورة ظاهرة ، يعوق نموه وتقدمه فى ميدان الحياة . ومن المهم جدا أن نذكر أن هذه الفطرة الخفية فى الطفل ليست وحدها كافية لنموه الطبيعى أو تربيته اذ ينبغى أن نضيف الى هذه القوة بيئة صالحة ، وينبغي أن نخلق للناشىء جوا ملائما . ألا ترى الطائر يتخذ الحيطة ويبذل العناية فى البحث عن المكان المناسب لبيضه ؟ ألا ترى الحشرة الصغيرة تعد الجحر الملائم لديدانها الصغار؟ نرى فى الطائر والحشرة ذلك ، ولكننا لا نراهما يتجاهلان قوى صغارهما الخفية ، فيستبدلا نها بعنايتهما

الله

للاستاذ نجيب محفوظ

تشهد حياة الانسان منذ النشأة الأولى التى عرفها العلم والتاريخ بأن الدين كان وما يزال عنصرا جوهريا فيها، يقوم بدوره الجليل فى صدر الانسان وضميره ويمتد أثره إلى ميدان المجتمع الفسيح فلا يدع ظاهرة من ظواهره إلا ويؤثر فيها ويضفى عليها من لونه، ولذلك كانت فكرة الله وهى محور الدين وروحه أكبر مايثير الشغف ويغرى بالاطلاع. وما من مفكر أو عالم إلا وقد تعرض لها وكان له عنها رأى أو اعتقاد

ولسنا نحاول الآن أن نسطر موضوعا صوفيا نأتى فيه على خوالج قلبنا وما نقدس وما نعبد ولكننا نريد أن نعرض جوانب هذه الفكرة الموزعة بين المفكرين من مختلف المذاهب لنرى ما قدر لها من المعتقدات والآراء

وقد ذهب المفكرون فى تقدير الله ثلاثة مذاهب فمنهم من رآه بعين الفكر والعقل والمنطق وهم جماعة الفلاسفة، ومنهم من عرض فكرته على المناهج العلمية مستعينا بالتجربة والاستقراء وهم علماء الاجتماع، ومنهم من بذل الجهد لبلوغ غايته بالقلب والشعور وهم طائفة المتصوفين

الله والفلسفة: الفلسفة تؤلف بين أجزاء الوجود وتضمها فى وحدة منتظمة القوانين وتضع على قمة هذه الوحدة الله سواء اعتبرته خالقا أو منظما مستقلا عن الكون أو حالا فيه. فلقد تعرضت فكرة الله من بادىء الأمر الى فرضين جعلا من الفلاسفة طائفتين فى العصرين القديم والحديث أولهما وهو مذهب المؤلهة يرى الله جوهرا مستقلا عن العالم يسمو بذاته على ذاته ويتميز بجوهره عن جوهره ويعلو بماهيته على قوانينه، وثانيهما وهو مذهب الحلول يرى أن الله يحل فى الكون ويمتزج به امتزاجا يمتنع معه وجود خالق ومخلوق، قديم وحادث، فليس يوجد إلا جوهر واحد الاشياء أعراضه وأحواله

ولنعرض عليك آراء بعض الفلاسفة القدماء من كلا المذهبين. فمن اتباع المؤلهة افلاطون والله عنده روح عاقلة، تدبر شئون العالم وتسهر عليه واضعة نصب عينيها المثال الاحسن، وهو

نشر النظام والتناسق والجمال في كل مكان . ولكن افلاطون أبقى فى الهه نقصين فجعله منظما الوجود لا خالقا له ورضى أن يكون غير كامل القوة لأن الشر لا يزول كله من العالم ومحال أن يزول كله

ومن عمداء هذا الرأي أرسطوطاليس وكان يرى أن الوجود أزلي وأن الحركة أزلية ، ولكن الحركة ليست علة ذاتها فلا بد من وجود علة أولى هى علة كل حركة ، وهى ذاتها غير متحركة وهو ما يسميه بالمحرك الاول ، وكل ما فى هذه العلة كامل وهي الله

وماهية الله عقل خالص ولكن ماعسى أن يكون موضوع هذا العقل ؟ هل يكون الوجود ؟ كلا . لان الوجود ناقص وقد يوجد من الاشياء ما الجهل به خير من معرفته، فموضوعه أجل وأكمل ألا وهو ذاته ، فالله عقل يتأمل ذاته أو هو كما يقول ابن سينا عقل وعاقل ومعقول

والواجب ملاحظته هنا أنه مادام الوجود أزليا فاله أرسطوطاليس لم يخلقه وهو الى ذلك يجهله كما رأينا

ونستطرد الى مذهب الحلول وتمثله فى القديم مدرستا الرواقية والاسكندرية . أما الرواقيون فيتصورون العالم كائنا حيا ويجعلون له كبقية الاحياء موضعا للتدبير أو روحا وهي الله . تمتزج به وتكون واياه شيئا واحدا ، ولما كانت نزعة الرواقيين مادية فقد جعلوا الله روحا مادية أو نسمة نارية وان كانت مشبعة بالفكر

وأما مدرسة الاسكندرية فقد آلف مؤسسها أفلوطين بين آراء افلاطون وأرسطوطاليس والرواقيه فقال إن الله ثالوث لانه مكون من ثلاثة أوجه أبدية . فيوجد الواحد المطلق اللانهائي الذي هو مبدأ كل شيء والذى يعلو بذاته على كل شيء ، ومن هذا الواحد يفيض العقل وهو محتوى الافكار ومجتمع المثل العليا كما تصورها افلاطون وماهية هذا العقل أن يتأمل ذاته ، الرأي الذي يذكرنا برأى أرسطوطاليس ، ومن العقل يفيض الروح ، وهذه اذا تحركت أحدثت الزمان والمكان والطبيعة وهذه تذكرنا بالروح الرواقية

وهذه الفلسفة حلولية من حيث أنها لا ترى وجودا لغير الله ، والله لا يخلق الوجود ولكن الوجود يفيض عنه كما تصدر الحرارة عن النار ، ولكنها من ناحية أخرى ليست كاملة الحلولية كحلولية الرواقية لان الله ليس مستغرقا بأكمله فى الوجود وما تزال هنالك وجوه للتمييز بين تلك الاوجه الثلاثة

فاذا عرجنا الى العصور الحديثة ألفينا تغيرا ظاهرا فى فهم فكرة الله يظهر أثره فى مذهبى المؤلهة والحلولية . فعند المؤلهة نجد أن الله اتصف باللانهاية ففلاسفة هذا الرأي يرون أننا وان استطعنا أن ندرك الله الا اننا نعجز العجز كله عن أن نحيط به ، كما يرون أن تحديد صفات الله يأتي من قياس كمالاته العليا على مثال كمالاتنا الانسانية الناقصة

كما اتصف بالقدرة على الخلق ، فالله القديم كان منظما لا تتجاوز قدرته التنسيق والترتيب أما الله الحديث فخالق بمعنى أنه يخلق — كما يقول سنت توماس — من العدم ويحتاج اليه كل الوجود ولكن التسليم بهاتين الصفتين يثير مسائل عسيرة الحل ، فالتسليم لله بصفة اللانهاية والاخذ بالاعتراض الذى مؤداه ان لانهائية الله وكمالاته يجب ألا نتصور علي مثال الصفات الانسانية يوقعنا فى حيرة كبري لغموض معنى الله واغلاق أذهاننا عن تصوره . فما هى ماهيته ؟ وعلى أى مثال يمكن تصورها ؟ واذا كانت طبيعته بهذا الغموض فكيف يمكن أن نضيف اليها أى صفة من الصفات اطلاقا ؟

وأما مذهب الحلول فقد اتخذ أشكالا كثيرة نكتفى بعرض مذهب سبينوزا منها ولعله ابهاها جميعا ، . يعرف ذلك الفيلسوف الله بأنه كائن مطلق اللانهاية ، أى أنه جوهر مكون من أعراض لا متناهية كل منها يعبر عن ماهية لا نهائية أبدية ، والجوهر هو مايقوم بنفسه ويدرك بذاته دون حاجة الى سواه ، وعليه فالله هو الجوهر الاوحد وهو يحوى فى ذاته كل ما يوجد ، فهو يمتد فى أعراض لا متناهية العدد لا نعرف منها سوى اثنين الفكر والامتداد ، ولا نتصور أن هذا الفكر الذى نضيفه لله كفكرنا مركب من عقل وارادة مثلا والا كنا نتصور الله على مثال الانسان ، كذلك اضافة الامتداد اليه ليس تعنى أنه جسمانى فهذا الامتداد هو الماهية التى لا تتجزأ ، وأما بقية الأشياء الجزئية فليست الا أحوالا من تلك الاعراض الآلهة فالنفوس أحوال من عرض الفكر والاجسام أحوال من عرض الامتداد ، وجميع ذلك هو الله ، فجميع مافى الوجود من أجسام ونفوس هي أحوال من الامتداد والفكر اللذين هما عرضان من أعراض الله اللامتناهية فجسمك حال من عرض من أعراض الله ونفسك حال من عرض من أعراض الله وأنت — فى النهاية — الله

ومما يلاحظ أن الحلوليين لا يدعون مجالا للخلق لان الله هو الموجود فقط ولكن يبقى سؤال معضل وهو كيف يمتد الجوهر الى أعراض والاعراض الي أحوال ؟ كيف آل جوهر الله الى الاحوال التى أنا واحد منها

هذان هما المذهبان اللذان يتنازعان على تفسير طبيعة الله ، وهما ليسا كل مايقال فى الفلسفة الدينية فقد يعترض معترض ويقول فلتكن هذه هي الآراء فى الله ولكن ما الدليل على وجوده ؟

وبهذا السؤال ننتقل الى مسألة أخرى هي البراهين على وجود الله

وعندنا ثلاثه أنواع من هذه البراهين

١ — براهين ميتافيزقية تقوم على النظر العقلى البحت

٢ — براهين طبيعية تقوم على تأمل الوجود الخارجى

٣ — براهين أخلاقية تقوم على الاحساس بالعالم الاخلاقى

فأول البراهين الميتافيزقية البرهان الوجودى وأول من لفت النظر اليه سنت انسلم ثم أتبعه ديكارت فليبنتز فالحلوليون ، وهذا البرهان يبدأ من تعريف الله بالكمال المطلق وهو مايظن القائلون به أنه يوجد فى العقل بالبداهة التى تمتنع على كل شك ، ويستنتجون من هذا التعريف أن وجود الله (فى اواقع) ضرورى ويمكن وضعه على الشكل الآتي

لله هو الكائن المطلق الكمال (وهذه حقيقة بديهية لا تحتاج الي استدلال)

الوجود كمال

الله موجود

لله هو الكائن الوحيد الذى تستدعي ماهيته وجهده أوكما يقول ديكارت ماهية الله تستدعى أن يكون موجودا كما أن ماهية المثلث تستدعى أن يكون مجموع زواياه = ٢ ق

ولو أننا فرضنا أن الكائن المطلق الكمال غير موجود فى الواقع لعنى فرضنا أنه غير كامل ولوقع التناقض الملموس

والحق ان تصور كائن كامل شيء وفرض وجوده فى الواقع شيء آخر . اذ كيف يجوز أن نتجاوز مجرد التصور العقلى الى تقرير وجود حقيقى

وقد يمكن التسليم بمثل هذا الدليل اذا أمكن تصديق فلسفة افلاطون الواقعيه التى تجعل للمثل العليا العقلية حقيقة واقعية فى عالم آخر هو عالم المثال فالفكرة العقلية المجردة لا فى هذه الفلسفة حقيقة واقعية لا شك فيها

ويوجد برهان آخر ينحو نحو البرهان الوجودى من حيث اعتماده على العقل ولكنه يميل نوعا الي المنهج التجريبى ، وواضعه ديكارت فهو يقول انه يجد فى عقله فكرة عن اللاتناه وتساءل من أين يمكن أن تأتى لعقله هذه الفكرة ؟

أما ان تأتيه من العالم الخارجي أو من ذاته ، ولكن ليس فى العالم الخارجي شيء لامتناه، والعقل ذاته متناه محدود فلا يستطيع أن يبدع اللامتناهي ، واذ ثبت أنها ليست من احدى هاتين الناحيتين فلا بد أن الذى خلقها فى عقله كائن لا متناه أو هو الله نفسه ، تركها فى العقل الانساني كأثر للصانع فيما صنع

والبراهين الطبيعية تقوم على التجربة والمشاهدة المحسوسة وقد ميز كانت منها نوعين . واحد يعتبر العالم ككل واحد وآخر يتوجه بملاحظته الى حالة من أحوال الوجود مثل النظام ثم يصعد منها مهتديا بقوانين السببية حتى يبلغ الله ، والاول هو برهان فلاسفة المدرسين وفحواه أن العالم فى مجموعه ممكن الوجود أى انه من الممكن أن يوجد ومن الممكن ألا يوجد وليس به من ضرورة توجب أن يكون موجودا أو تمنع تصور عدم وجوده ومن كان هذا شأنه فهو لا بد أن أتي عليه دهر لم يكن موجودا فلو لم يكن يوجد كائن واجب الوجود وقادر على ايجاد غيره لما وجد هذا الوجود الممكن

ويبدو هذا الدليل مقنعا لأنه يعتمد على التجربة والاحساس ولكن كانت يقف أمام فرض وجود الخالق الموجد لذاته الواجب الوجود وقفة التردد والشك لأنه فكرة مجردة لا تمت الى التجربة بصلة من الصلات

والثاني يبدأ من مشاهدة نظام الكون العجيب الذى يدل فى كل خطوة من خطواته على غائية ظاهرة . ولما كانت الغاية قرينة العقل لأنه هو الذى يقدر ويدبر فلا بد أن يكون للكون علة عاقلة ولكن مشاهدتنا هذه لا تكفى للحكم على وجود اله كامل لامتناه ، فتجربتنا محدودة ، وما تعرفنا من غايات الطبيعة ونظامها محدود بها ، فهو لا يساوى الاستدلال على آله كامل لامتناه

وأما البرهان الاخلاقى فيعتمد على وقائع خلقية وظاهرات نفسية ومؤداه أن الشعور الاخلاقى والتمييز بين معاني الخير والشر وحساسية الضمير تشير جميعها إلى وجود آله مشرع يفسر وجوده تلك المشاعر السامية التى تختلج فى الوجدان والتى لا يمكن أن تصدر الا عن مثله ، وهو ليس برهانا بمعناه المنطقى ولكنه اعتقاد قلبي جدير باحترام العقل النظري وان كان بعيدا عن ميدانه

هذا استعراض لفروض الفلسفة عن فكرة الله من حيث طبيعته ووجوه الاستدلال عليه أو هو ذكر لجهد العقل المجرد فى محاولاته لمعرفة الله

وفى فرصه أخرى نأتى على ذكر آراء الاجتماعيين والصوفيين

الصدى

أمازح أم ساخر ياصدى ترجع الصوت ولفظ المقال
الصدي . مقال — مقال — مقال

أم قائل ذو خبل لا يعى أغراه بالترديد مس الخبال
الصدى . خبال — خبال — خبال

أم أنت طفل عابث لا ينى يلهو ويحكى مايري من فعال
الصدى . فعال — فعال — فعال

أم ببغاء مالها فطنة كم رددت من حكمة أو مثال
الصدى . مثال — مثال — مثال

أم أنت روح لا ترى تبتغى أمرا لدي الاحياء صعب المنال
الصدى . منال — منال — منال

أم أنت بعض الجن فى خدعة تسكن فى الاطلال أو فى الجبال
الصدى . جبال — جبال — جبال

أم أنت شيخ يفن إن سها ردد ما قيل له من مقال
الصدي مقال — مقال — مقال

أم كأصم رام إخفاء ما به فلا يطلب رجع السؤال
الصدى . سؤال — سؤال — سؤال

أم أنت مثل الناس فى غيهم كم ردد الجهال قولا يقال
الصدى . يقال — يقال — يقال

يخشون إن شذوا بانكار ما قد ألفوا من ترهات الضلال
الصدى . ضلال — ضلال — ضلال

فرددوا بقيى على ألفة بينهم أو رددوا من كلال
فقولهم مثل الصدى رجعة وعيشهم ما بين قيل وقال
الصدى . وقال — وقال — وقال

حكيتهم فى عيشهم ساخرا أذلك العيش وعقبى المآل

عبد الرحمن شكرى

الاشتراكية

للاستاذ عبد الحي الالفي

الاشتراكية عقيدة الذين يؤمنون بأن الجماعة وجدت لترقية الفرد وتأييد الحرية وأن مراقبة أحوال الحياة الاقتصادية معناه مراقبة الحياة نفسها ، فهي ترمي الى المساواة الاقتصادية بين الافراد وسحق استغلال الفرد أو الجماعة أو الدولة للفرد ، أى أنها ترمي الى وجوب النظر الى كل انسان كغاية فى نفسه لا كوسيلة لغاية انسان آخر

وهى لكى تصل الى غرضها تعمل على الاستبدال بالنظام الاجتماعى الحاضر نظاما آخر تسوده الحرية البشرية وتتساوى فيه الفرصة للجميع ، فالاشتراكية من الناحية الادبية عبارة عن وسيلة لبناء الحرية الفردية الحقة ، ومن الناحية الاقتصاديه نظام سيوضع تحته نهاية للاستغلال ، فيتطلب ذلك وضع حدود لحيازة الملكية الخاصة وتنظيم الانتاج والتوزيع بواسطة المجموع

« * »

قلت فى تعريف الاشتراكية إنها تعمل على المساواة الاقتصادية بين الافراد لأنها ترى أن عدم المساواة ظلم وأن غنى فريق من الناس يأتى على طريق أفقار فريق آخر ، ولذلك فهي ترى وجوب القضاء على نظام الملكية الذى يمكن الاغنياء من اغتصاب حقوق الفقراء ، غير أن المذاهب الاشتراكية اختلفت فى تقرير درجة الغاء الملكية ، فالشيوعية هي المذهب الوحيد الذى يرى الغاءها كلية بينما يرى «الكليون» الغاء ملكية وسائل الانتاج فقط والاحتفاظ بملكية ثروات الاستهلاك . وبينما يرى الاشتراكيون الزراعيون وجوب الغاء الملكية بالنسبة للارض الزراعية دون غيرها ، يرى السان سيمونيون أن مايجب الغاؤه من الحقوق التى تخولها الملكية هو الوراثة فقط

« * »

إن ظهور الحركة الاشتراكية امر طبيعى ونتيجة حتمية للتطور الاقصادى وسنة الترقى فقد قال جون ستيوارت مل : « ان شكل الاتحاد الذى يلزم توقع سيادته إذا ظل الانسان يرتقى ليس

بذلك الاتحاد الذى يمكن أن يوجد بين الرأسمالى كرئيس وبين عمال لاصوت لهم فى الادارة . ولكن ذلك الاتجاه هو اتحاد العمال أنفسهم القائم على قدم المساواة ، مع تملكهم لرأس المال الذى يسيرون به أعمالهم . والعمل تحت إدارة مديرين منتخبين قابلين للعزل منهم فمل كان يرى أن المستقبل للاشتراكية . إذ لابد للانتاج من تعاون الافراد لاستغلال الطبيعة . فرأس المال لاينتج إلا بقوة العمل

وكان طبيعيا بعد أن أظهرت الثورة الفرنسية فكرة الحقوق الفردية والعدالة والمساواة ، كان طبيعيا أن تتحقق المساواة الاقتصادية فبدأ الفرد يثور على النظام الرأسمالي الذى يجعل منه سلعة تباع وتشترى ويخضع ثمنها لقانون العرض والطلب . ومما زاد الطين بلة أن التنافس بين العمال قد أدى الى الانحطاط بأجورهم الي حد الكفاف بينما تقبض الاقلية الرأسمالية على جميع وسائل الانتاج وتستولى على جميع الارباح التى انتجها العامل المسكين . فانتشار الثروة المفرطة والفقر المدقع وتمشيهما جنبا الى جنب كان أحد الاسباب الرئيسية لنجاح الدعوة الاشتراكية ، ولقد قال كارل ماركس « إن الاشتراكية تنتشر عندما تظهر الفاقة » ولذلك تفهم الاشتراكية أحيانا كمجرد مشروع لعمل بعض الانقلابات الاقتصادية بقصد إزالة الفقر . ولكن هذا جزء من الاغراض الاشتراكية ليس الا

وعلى ذلك فاننا نرى أن الاشتراكية قد تأتي اما كنتيجة للترقى وإما كنتيجة لالحاح الفقر . ولكنها قد تأتى أيضا من طريق اليسر . فالجيل الحاضر مثلا يلبس أحسن من جدوده ويسكن أحسن منهم ومع ذلك فهو يعمل على تحقيق الاشتراكية . فهى إذن ليست فراراً من البلاء الذى سيأتي فحسب ولكنها تطاول الى حالة تكون فيها الخيرات التى تتمتع بها الاقلية الآن من نصيب كل الناس . واذن فقوتها الدافعة ذهنية كما هي اقتصادية

ولقد فكر الانسان فى الاشتراكية منذ زمن طويل فيمكننا أن نستشف الروح الاشتراكية من بين ثنايا جمهورية أفلاطون فى عهد اليونان الاقدمين كما تظهر تلك الروح جليه فى كتاب السير توماس مور عن جزيرته الخيالية الذي كتبه سنة ١٥١٦ وأخذت الاشتراكية منذ ذلك الحين ما يعرف « بالدور الطوبوى » نسبة الي ال Utopia . ولقد حاول بعض المصلحين الاجتماعيين فى ذلك العهد ايجاد جماعات سامية تقوم بينها العدالة فأقاموا قري جديدة كانوا يظنون أنها ستكون أساسا لعالم جديد ولكنها فشلت لسوء تنظيمها الاجتماعى

أما الاشتراكية بشكلها الحديث فلم تظهر إلا بعد الاضطراب الاقتصادي الذى أحدثته ثورة الانتاج والصناعة الكبرى فى أوائل القرن التاسع عشر واحلال الآلة محل الانسان فى أعمال كثيرة مما أصاب العامل بأضرار جسيمة . ومن ثم ظهر كارل ماركس بتعاليمه الثورية الجديدة التى ما زالت الى وقتنا هذا تعتبر دستور الاشتراكية

« * »

تعمل الاشتراكية على محو نظام الملكية الفردية وخصوصا تلك التى تؤدي الى عدم المساواة وهى تدعو قبل كل شيء إلي ازالة طبقة المترفين والقضاء على الدخول التى تأتى عن طريق الفائدة والايجار . ولا تسمح إلا بالدخل المكتسب بعرق الجبين

وترى الاشتراكية أن أكبر دليل على فساد النظام الاجتماعى الحاضر هو قيام ما يعرف بحرب الطبقات » والذى أدى الى أن يتحد الاجراء فى نقابات وأن يتحد أصحاب العمل فى اتحادات . ومن ثم تعلن الاضرابات وتقوم الاضطرابات بشأن الاجور وساعات العمل والاستغلال وقيام الرأسماليين لحماية ايراداتهم وما يتبع ذلك من اختلال عظيم فى الانتاج . ولقد حفز ذلك الفساد فى النظام والذى لابد أن يفضى فى النهاية إلى خراب تام لجميع طبقات المجتمع ، حفز ذلك الاشتراكى لنشر دعوته حاثا على العمل لاعادة بناء المجتمع . ومن هنا يتضح أن الاشتراكيين لا يهاجون الافراد بل على النقيض هم يعتبرون الرأسمالى والعاطل ضحايا هذا النظام إذ الرأسمالى مكره على الاذعان لضغطه السيء كما يذعن العاطل لألم الفقر . فانه ولو أن النتيجة ليست واحدة بالنسبة لكل منهما على حدة إلا أنها واحدة بالنسبة للنظام الاجتماعى . من أجل ذلك يجب أن نعرف ان الاشتراكي لايناصر طبقة ولا يتحيز لواحدة على الاخري بل انه ينادى نداء اجتماعيا عاما

ولكى تصلح الاحزاب السياسية الاشتراكية هذا الفساد رأت أن تقسم برنامجها الى قسمين رئيسيين . قسم المطالب المباشرة للاشتراكية وقسم التشريع الانشائى ، وهى ترمى بالقسم الاول من برنامجها الى تلطيف حدة الضرر الذى يصيب الانسان من جراء فساد النظام الاجتماعى الراهن وفى القسم الثانى اقترحت أشياء أخرى كباكورات للفكر الاشتراكى الناضج

ولكى يحقق الاشتراكى برنامجه قال بوجوب سيادة الامة وعارض فى أن تكون الملكية من الصفات اللازمة للتصويت أو أن يعطى حق التصويت للذكور دون الاناث بل لقد ساعد على التصويت باوسع معانيه حتى يكون تمثيل الامة فى مجلسها كاملا لايقتصر على طبقة دون أخرى

فهو يطالب بالديمقراطيـة لانها والاشتراكية مظهران لفكرة واحدة ، فان كانت الديمقراطيـة السياسية قد جعلت ادارة أمور الدولة حقا مشتركا بين الجميع فقد جعلت الاشتراكية ادارة وسائل الانتاج والاستبدال وناتج العمل حقا مشتركا بين الجميع

وهو يرى أن الديمقراطية ليست غاية فى نفسها فقط من وجهـة كونها دليل على كمال الحقوق المدنية بل يرى أنها وسيلة للتحسين واعادة البناء الاجتماعى ولذلك لجأ للبرلمان لتنفيذ برنامجه . ولقد كان البرلمان عند حسن ظن الاشتراكيين به ، فقد فازوا بتنفيذ معظم الجزء الاول من برنامجهم الخاص بنظام العمل فى المصنع ولائحة المنجم ومعاشات المتقدمين فى السن وتعويض العمال العاطلين واطعام الاطفال فى المدارس بالمجان فى البلاد الصناعية الكبرى كانجلترا وألمانيا

أما القسم الثاني من البرنامج فهو القسم الانشائى الذى يتوق الي تنفيذه الاشتراكيون والذى يرمي الى تغيير نظام الملكية الحاضر وجعل موارد الثروة فى أيدى الحكومة أو المجالس البلدية أو العمال مما ينتج عنه تغيير فى نظام التوزيع ونظام المصنع والنظام المالى والمبادلة ، وسنبحث فى كل منهم على حدة

وانه وان كان يكفي جدا أن نطالب الاشتراكى باثبات أن نظريته معقولة فحسب . اذ من العبث اقامة بناء اجتماعى كامل نظريا بل تترك التفاصيل لما يوحيه اختيار النظم الجديدة

وان كان ذلك يكفى فانه لايمنع من أن نورد الهيكل الذى يمكن أن يبنى عليه النظام الاشتراكى

***

تقول الاشتراكية ان الرأسمالية تسير الى التحطم بتقدم قواها الاقتصادية الانتاجية وان تدهور الصناعة المتنافسـة وظهور الاحتكار هما النتيجة المحتومة لنظام الانتاج الكبير . والتشريع وحده لايمكنه أن يمنع الاحتكار ولا أن يمنع مايتبعه من عدم المساواة اذ الملكية بشكلها الحاضر اداة لتجريد الجماهير العظيمـة من الناس من الملكيـة والحكم عليهم بالفاقة والفقر بينما منطق الاشتراكيـة أنه مادامت الثروة تخلقها الجهود المشتركة فيجب أن تكون ملكيتها أيضا مشتركة وان تدار بطريقة مشتركة

لو نظرنا الى النظام الحاضر لوجدنا أنه لايقوم على المدالة بالنسبـة للحيازة الخاصة كما قد

يتبادر الى الذهن وكما يقول خصوم الاشترا كية دائما اذ يقول جون ستوارت مل « ان الجزاء بدلا من أن يقسم طبقا لعمل الفرد فانه فى الغالب يقسم بنسب غير عادلة . فالذين يعملون هم الذين يأخذون الاقل ويحرمون الـكثير »

وان فى ذلك لا كبر دليل علي خطأ هذا النظام ولذلك تعمل الاشترا كية على اصلاح هذا الخطأ بالغاء الملـكيـة الخاصة التى تؤدى الى هذا الاجحاف بحقوق الانسان ، أما الذين يشيعون عن الاشترا كية أنها تطلب الغاء الملـكية الخاصة كلية فهم فى الحقيقة مضللون اذ أن نظام الجماعة اليوم مؤسس علي أن غالبية الشعب لايمكنها أن تحصل على الملـكية الخاصة الـكافيـة لاعطائها كثيرا من الحرية فى العمل والاختيار فى الاستهلاك فان الجزاء علي عمل العمال اليوم ليس الملكية ولـكنه أجر الاسبوع الضئيل

وعلي ذلك فطلب الاشترا كية لاعادة توزيع الملـكية لايقصد به الغاء كل الملـكية الخاصة بل على العكس يراد به أن تحصل جماهير الشعب — وهم أغلبية الجمعية الانسانية — على الملـكيـة الخاصة . ولذلك فقد قرر بعض الاشترا كيين أن للفرد فى النظام الاشترا كى أن يملك ملابسه وأثاث منزله وأن يملك منزلا ويوفر نقوده ، ولـكنه يمنع فقط من كل مايؤدى الى نيله دخلا لم يكسبه بمجهوده . فلا يسمح بملـكية الاموال الموظفة ولا بعقود الايجار أو الريع أما عن الارض فهناك خلاف كبير فى رأى الاشترا كيين فيها . فالمتعصبون منهم يرون أن الارض اداة انتاج يجب أن تـكون ملـكا للجميع

ولـكن يرى بعض الاشترا كيين الالمان ترك صغار الملاك فى أراضيهم — اذ من الصعب علي الحـكومة أن تقوم بالزراعة على نطاق واسع — وانه ليس فى هـذه الترخيصات مايخالف النظرية الاشترا كية . أما العقارات المغلة كالارض والمناجم والمصانع فلا يملـكها الافراد وانما تملـكها وتديرها الأمة ممثلة فى هيئاتها النيابية أو يملـكها ويقوم بادارتها العمال أنفسهم كما يرى الاشترا كيون النقابيون

وعلى كل حال ترمي الاشترا كية الي الغاء الملـكية اما جملة واحدة أو تدريجا عن طريق الغاء الوراثة أو وضع ضريبة تصاعدية على الدخل ورأس المال والميراث تكون فى الواقع بمثابة نزع الملـكية من أيدى أصحابها . وهذا الرأى الاخير هو الذى أخذت به الدول الصناعية الـكبرى وفى مقدمتها انجلترا . وليس ثمة مايدعو الى شرعة التخلص من الطبقة المالـكة . صحيح ان استمرار

وجود طبقة من الناس لاعمل لها يتنافى مع المبادىء الاشتراكية ولكن يجب أن يكون التخلص من هذه الطبقة على مهل دون الاضرار باى فرد منها بل يجب أن يعوض عما ينزع من يديه أو أن يؤمن على دخله طول حياته اذ ان نبراس الاشتراكية هو العدالة . والاجحاف بالمالك باعتباره فردا يتنافى مع العدالة

* * *

غاية الاشتراكية من ادخال أدوات الانتاج فى يد الحكومة — حسب أكثر الاراء الاشتراكية انتشارا — أن تعم الفائدة بين الجميع والا تستأثر بها طبقة معينة . فهي ترمي بتغيير نظام الملكية الى تغيير التوزيع

والتوزيع تحت النظام الاشتراكى سوف يكون على طريقة غاية فى البساطة . فالاجور سوف تكون المورد الوحيد أما الايجار والفائدة فسوف يختفيان . وطبيعى أن يكون هناك أشخاص يتناولون معاشا ولكن سوف تمحي تلك الطبقة المترفة المكونة من أشخاص قادرين على العمل لكنهم يعيشون فى بحر من الكسل وتأتيهم أرزاقهم وهم نائمون . أما وقد قلنا ان الاجور ستكون المورد الوحيد لكل انسان فيهمنا أن نعرف كيف نحدد توزيع الاجر على كل نوع من العمال

هناك ثلاث قواعد أساسية لهذا النوع هى الحاجة والتضحية والكفاية . فالتوزيع حسب الحاجة هو أبسط هذه الانواع اذ يتساوى فيه الجميع ، أما مبدأ التضحية فمعناه أن العامل يجب أن يدفع له بقدر ماأنفق من مجهود أى بالنسبة لدرجة عمله من الصعوبة . اذ لاتتساوى الاعمال فى درجة الصعوبة . فساعة يقضيها عامل فى عمل صعب تساوى ساعات يقضيها آخر فى عمل سهل . أما التوزيع حسب الكفاية فيقضى بان العامل يجب أن يكافأ بقدر ما أعطى لدخل المجتمع ، فالقادر القوى اليقظ لايتساوى مع الضعيف الغبي

وانه وان كان هذا المبدأ يناقض مبدأ الحاجة بعض المناقضة الا أنه يبدو عادلا اذ أنه يستحث الهمم ويشجع العامل على استعمال مواهبه طالما أن فى ذلك مكافأة أكثر اذ لو أنه كوفىء بقدر ما كوفىء الضعيف لماتت فيه روح الجد ولعمل متكاسلا بقدر مايطلب منه فقط . فقليل من عدم المساواة واجب ولكن الى حد

تلك هي مبادىء التوزيع الثلاثة وهي أعدل مايمكن أن يطمع فيه انسان

يجب أن يفهم بوضوح أن الدولة الاشتراكية ستتضمن نظاما صناعيا يكون له أكبر تأثير على الرأى العام كما سيبقي كمكابح للنظام السياسى ، فسيعهد الي سلطة ادارية بتنظيم الانتاج بما يتفق وحاجات المجموع وسيكون على رأسها أقدر رجال الاعمال والاقتصاد والعلماء الموجودون فى البلاد وستكون بعض وسائل الانتاج مسؤولة منهم مباشرة كالسكك الحديدية والترع والتجارة الخارجية وتشريع العمال ، وسينظمون الانتاج الاهلى ويثبتون أسعار القطع ويضعون النظم المالية للمجتمع

أما عن نظام الصناعة فسيكون فى قاعدة البناء جمهرة عمال أكفاء - نتيجة تعميم التعليم - وفوقهم فريق الرؤساء ثم المديرون الى أن تنتهى بالمجلس السابق الذكر ، وبما أن كل نظام انتاجى يلزم أن يتحمل نفقات تحسينه فسيكون لكل صناعة اخصائيوها ، وستكون الكفاية عامة لاتنحصر فى طبقة أو نوع واحد من العقليات لان الفرص ستكون متساوية للجميع فيبز صاحب الكفاية غيره وتبلغ مهارة العمال أكبر حد مستطاع ، ولكن مالنا ولهذا التفصيل فى النظام ؟ يجب أن نترك ذلك للاختبار يرشدنا عن أحسن الطرق لادارة المصنع والعمال وكل مايجب أن نعرفه أن المصنع سيكون ملكا للجميع

* * *

لقد وضع الاشتراكى برنامجه المالي على أساس تقسيم الدخل الى مكتسب وغير مكتسب ، ومثال النوع الاخير هو الايجار ، ولذا فهو يطلب فرض ضريبة ثقيلة عليه وذلك لكى تنهدم طبيعة احتكار الاراضى وكذلك الحال بالنسبة لفائدة رأس المال حتى ينمحي ذلك النظام المجحف تدريجيا

ولهذا النظام المالى ثلاث نتائج مهمة ، فانه سيفتح موارد الدخل الاهلى فتدر ربحا كبيرا نتيجة حرية استعمالها ، وسيهدم قيمة الاحتكارات بالنسبة للملاك الفرديين وبذلك يمنع من وجود فرص للاستغلال وسيخفف الاثقال التى ولدها رأس المال الصناعى فتمتد الصناعة وتهبط الاسعار

* * *

سوف تكون هناك نقود كوسيلة للتبادل ، وستكون نقودا معدنية لانها متينة ونظيفة ، وسيوضع علي السلع مقدار مابذل فيها من العمل من جميع نواحيه ويأخذ المنتج تذاكر بقدر ما أنتج يمكنه أن يستعملها أيضا كنقود

وعلى ذلك نستنتج أن السلع سوف لاتتحد أثمانها بالنسبة للنقود المتداولة ولكن بالنسبة لما بذل فيها من العمل حتى لاتكون هناك تقلبات فى الاسعار ، وبالطبع سوف يكون استخراج

المعدن الذى يستعمل كنقود عملا حكوميا وذلك لتحديد كمية مايضرب منها

* * *

إن الذين يعتقدون أن الاشتراكية تستلزم تغيير نظام الحكم ووجوب إزالته بالقوة كثيرون وما جاء هذا الا لقول كارل ماركس بذلك ، ولكن الكتاب الاشتراكيين الآخرين حتى أتباع ماركس أنفسهم يميلون الى تنفيذ أغراضهم بالطرق السلمية . إذ يجب أن نعرف أن شعار الاشتراكية هو التطور لا الثورة وأن ميدانها هو البرلمان وأنه ليس لها أى دخل فى نوع الحكم القائم فقد قال رمسى مكدونلد « الاشتراكية من وجهة النظر العلمية الخالصة - كما ثبت من كتابات كثيرة من أشهر شراحها الممتازين والذين أذكر من بينهم « لاسال » - لم تعر النزعة الجمهورية أية أهمية جوهرية ، ولقد يقال من الوجهة النظرية إن الجمهورية نظام حكومي يؤيده العقل اكثر من أى نظام آخر ، فيترك الامر لحماقة أناس آخرين ليخرجوه الى حيز الوجود » من هذا نرى أنه ولو أن الاشتراكية تقرر سيادة الامة الا انها لاترمي الى تغيير النظام السياسى ايا كان شكله الفعلى سواءا كان ملوكيا او جمهوريا ، بل لقد ذهب « رودبرتس » وهو من احذق الاشتراكيين الى وجوب التمسك بالنظام الملكى ، كما صور الفيلسوف « كومث » نظاما اشتراكيا راقيا جعل على رأسه هيئة استبدادية ، ومن هنا يتضح لنا البون الشاسع بين الاشتراكية واللاحكومية

* * *

فيما يلى أهم الاعتراضات التى توجه الى الاشتراكية والرد عليها :

يقول خصوم الاشتراكية ان الغاء الملكية الشخصية يفضى الى قتل النشاط فيسود الخمول العالم باسره ، ولو كان ذلك حقا لكان المجتمع الرأسمالى الراهن قد ساده الخمول ، لأن العاملين فيه لايغنمون وانما يغنم فيه من لا يعملون

وكثيرا مايقال ان الاشتراكية سوف تهدم الحرية ، ولكن سوف لاتكون حرية اغلب الناس تحت النظام الاشتراكى اقل منها فى الوقت الحاضر فان تصرفات الانسان الآن محدودة بوجوب سعيه لكسب عيشه وبالقوانين والعادات وبالبيئة التى يعيش فيها ، ومع ذلك فانه اذا اعتمد رجل فى وجوده على سخاء رجل آخر - كما هو الحال الآن - فقد يعيش متمتعا ولكنه يبقي رقا ، فمن اجل ذلك الاسترقاق يؤكد الاشتراكيون ان التجارة ورأس المال اللازم للسير بها لابد ان يكونا تحت رقابة كلية لافردية . اما ماقد تسنه الجماعة الاشتراكيه من القوانين فسوف

لاتكون مقيدة للحرية بل ضماناً للحرية ككل قوانين الجماعات التى ترمي الى جعل الافراد يتمتعون بحقوقهم على قدم المساواة

وأخيرا يقال أن الفن سيموت متى جاءت الاشتراكية لانه لن توجد حرية ذهنية تحت نظام مادى ! ! أفلم يكن الاولى أن تموت العبقرية فى نظامنا الراهن ؟ أم هو نظام غير مادى ؟ ! ان هذا الاعتراض بعيد كل البعد عن الصواب إذ أنه من المحال فى جماعة منظمة اقتصاديا أن يصير عقل الانسان خامدا بل على العكس إن فى وجود الكفاية والفراغ وتحرير الذهن من تسكريس قواه للتفكير فيما يقوم بأود الانسان كل ذلك فيه أكبر محرك لجميع الاعمال العقلية والثقافية خصوصا اذا تذكرنا أنه ستتساوى الفرص للجميع لاظهار عبقريتهم فلا يغمط من يستحق الظهور

* * *

تتهم الاشتراكية باتهامات كثيرة ليست فى برنامجها ، فهى وان كانت ترمي الي ماترمي اليه الشيوعية أو النظم المشابهة من اعادة توزيع الثروة إلا انها تفترق عنها فى أشياء كثيرة. فمع أنه لافرق بين الشيوعية والاشتراكية فى الغاية إلا أننا اذا اعتبرنا الوسائل وجدنا فرقا كبيرا بين الشيوعية التى تقول باستعمال العنف والاعتماد على الثورة لتحقيق مبادئها وبين الاشتراكية التي تقول باستعمال الوسائل البرلمانية فقط . وثمة فرق آخر كبير بينهما ، فالشيوعية تفترض مخزون الثروة مشتركا بين أفراد المستهلكين لا بالنسبة لما يؤديه الفرد منهم من الخدمات ولكن لما له من الحق الانسانى فى الحياة فمبدأها « من كل بنسبة قوته الى كل بنسبة حاجاته » بينما تقول الاشتراكية بوجوب توزيع الثروة حسب الخدمات لاحسب الحاجات ، فهما تتفقان على جمع الثروة وبالاشتراك وتختلفان فى طبيعة مايدعيه الفرد ، فالاشتراكية وان كانت تشترط فى الدخل أن يكون كافيا لجعل مستوي الحياة طيبا إلا انه يجب أن يؤخذ عن خدمات قدمت لامجرد سلاح لاستغلال عمل الآخرين ، ومن هنا نشأ لزوم وجود وسيلة للتبادل فى النظام الاشتراكى أيا كان نوعها بينما لاتستدعى الشيوعية مثل هذه الوسيلة

كما يجب أن نعرف أن الكلام عن الثورة كطريقة اشتراكية خطأ كبير . فالثورة لايمكن أن تنتج اشتراكية لان الانقلاب الذى يفكر فيه الاشتراكيون ليس انقلابا سطحيا مما قد يكون للثورة فيه نصيب بل يرون تحقيق برنامجهم عن طريق تشريع علاقات اجتماعية خاصة يكون قد ثبت بالاختصار انها صالحة للجماعة

وقد يتعود الناس المبادىء الاشتراكية من حيث لايشعرون وحتى لو تصوروا انهم يتجنبونها لان وجهة نظرها تؤثر فى أفكارهم تأثيرا كبيرا وفى ذلك مايفسر لنا بوضوح سبب أخذ الاحزاب بارشادها فى سن القوانين

قصـة مصرية

قدم الحاج سليمان

للدكتور ابراهيم ناجى

في ليلة باردة من ليالى يناير سنة ١٩١٢ كان الازدحام فى غرفة « الاستقبال » بقصر العينى فوق المألوف . وكان الدكتور ذهنى الغنى المترهف المنتدب حديثا للعمل بها ليس من أهل الصبر على المشاق . ولكنه كان من أرباب الذكاء والفطنة الذين ليسوا فى حاجة الى اجهاد أنفسهم . فقد اجتاز كل سنى الدراسة متفوقا ، يرتدى أفخر الملابس ، ويضع منديلا حريريا فى الجيب الاعلى من سترته ، يعنى بأن يجعله مطلا على شكل لسان صامت يتحدث عن الوجاهة والنعيم . وينفق عن سعة . ولا تفوته رواية فى السينما او المسرح . ويجد وقتا للرقص والحب وربما قضى ليلة فى مرقص حتى مطلع الفجر ، فاذا عاد الى منزله لم ينم بل أخذ يقرأ كتابا من كتب المدرسة كما يقرأ رواية مسلية . ثم يتناول طعام الافطار . يقدمه له السفرجى عبد الواحد فى « الشقة » الفخمة بجاردن سيتى ثم يذهب الى المدرسة أو المستشفى مبكرا ، ولا تفوته محاضرة ولا مشاهدة . فاذا استمع الى الدرس انطبع فى ذاكرة من جديد ، واذا رأى شيئا نقشت الصور فى ذهن من الفولاذ . كأن غناه يسهل له الحياة . وذكاؤه يسهل له النجاح . وجماله يعبد لها طرق الحب . لم يكن ذهنى يعلم ما هى غرفة الاستقبال بالتحقيق ، وانما كان يسمع عنها ، ففى تلك الليلة الباردة التى كان يجب أن يقضيها فى مرقص أو مع أحباب جلس « يستقبل » الحوادث والطوارىء . فمن سكير الى مسموم الى « مسطول » الي مكسور الى « ولادة » عسرة . كل ذلك فى ليلة واحدة . وقف متعبا وقد انتكش شعره الاملس وتهدلت خصل منه على جبين ناضر . وارتدى البالطو الابيض ، الذى كان نظيفا جميلا أول الليل فما لبث أن تلوث بالدم ، وصار قذرا كأن له على بدن صاحبه عشرين عاما . أخذ صدره يضيق ، ويشعر بالتعب والكلال ، وتلك كانت الليلة الاولى ، فماذا يصنع اذا استمرت الليالي كلها على تلك الحال . وأخذ يستعين بالقهوة السادة والسجاير ، ولم يكن يضجره التعب والعمل بقدر ما كان يضجره شىء آخر . كان عليه أن لايخطيء فى التشخيص ، كان عليه أن لا يعرض نفسه

لسخرية « أطباء الامتياز » فانهم لايغتفرون الخطأ . ويعيرون صاحبه به . ثم انه ليس هناك وقت للتفكير الطويل . فان « الحالات » تأتي متعاقبة ولا تعطيه هدنة ليرتاح أو يفكر . ثم أن هاته كلها أمور تحتاج إلى غير الذكاء الخارق الذكاء وحده لايجدى ، ثم انه لم يقرأ شيئا من يوم أن نجح فى الامتحان الاخير وكان لايزال يعتمد على ذكائه وما يسمعه ويراه هنا وهناك . ماذا يصنع ؟ ها هي عربة الاسعاف قد جاءت برجل مطبق الفكين وفى شبه غيبوبة ، ماذا تكون ؟ حالة تيتانوس ؟ حالة التهاب سحائى ؟ هستريا ؟ الاغلب انها تتيانوس لانه يذكر أنه قرأ مرة أن التتيانس يكون مصحوبا بتصلب العنق كما فى هذه الحالة . الغالب انها كذلك وان كان غير متأكد



الدكتور ابراهيم ناجى

وهاته عربة الاسعاف الثانية جاءت تحمل رجلا غائبا عن الصواب ومرسلا من مصلحة السكة الحديدية وليس مع أقاربه غير مذكرة من « حكيم القسم » تقول أنه خفير « مزلقان » وأنه وجد ملقى على قرب من البوابة فى غيبوبة

أخذ ذهنى يراجع أسباب الغيبوبة فى عقله وهى كثيرة لا تقل عن العشرين فلم يحضره منها غير أربعة أو خمسة ، الخمر والبول السكرى والافيون والحشيش والتسمم . . ألم يكن من الصواب أن يفحصه «حكيم القسم » هذا ويرسل معه التشخيص . فبينما هو يفحصه ويحس جسمه جزءا جزءا اذ فتح « سليمان مبروك » خفير المزلقان عينه وصاح « أنا فين »

فصاح ابنه الكبير فرحا « الحمدلله انت فى القصر يابا انت بخير » وصاح الدكتور فرحا أيضا لأن أسباب الغيبوبة انتهت على هذا الشكل البسيط وقال بعد ان تنهد تنهد الراحة « ايه الحكاية ياسليمان ؟ » وكان التمرجى قد جاء ليشخص هو أيضا فمرت يده بقدم سليمان فصاح « أوعي رجلى آه آه . . » ثم قال فى صوت خافت « صدمنى أتومبيل يابيه . وأنا راجل كبير يابيه وعندى السكر من زمان . صدمنى وطار . لكن أنا عارفه وعارف أصحابه . آه . آه يارجلي . ياواد ياعلى خد بالك من أمك ومن أخواتك » ثم أطبق عينه ثانيا على شكل غيبوبة

ومرت ليلة وثانية وثالثة ، وأخيرا فرغ صبر ذهنى ، واعتزم ان يرى له حلا ولكن جاءه الحل من غير أن يسعى اليه ، فقد كثرت أخطاؤه فى التشخيص حتى استدعاه النائب ، وأسر اليه كلمتين فى أذنه ، وأخبره أنه نقل الى جراحة أعلى فأبرقت عينا ذهنى ، وحمد الله وأثني عليه

ـ ٢ ـ

قصر العينى ذلك البناء الضخم المطل على النيل ، والذى يروى جزءا كبيرا من تاريخ مصر الحديثة ، لو نطق لحدثنا عن محمد على الكبير وكلوت بك الطبيب العظيم ولحدثنا عن تطور الطب فى مصر من يوم أن كان الذين يتعلمون الطب يعدون على الاصابع ، ويجدون أشد المشاق فى التعليم ، ومع كل ذلك فقد نبغوا ، واشتهر منهم كثيرون فى الطب والجراحة أمثال ابراهيم باشا حسن ودرى باشا وغيرهما

ولحدثنا عن عهده أيام تولاه الانجليز ، ولحدثنا عن عهده اليوم وهو أفخر العهود ، فرئيسه مصرى وأطباؤه مصريون يفيضون نبوغا وعلما . ولحدثنا كذلك عن الفواجع التى رآها ، وعن المناحات التى تنصب عند بابه ، على مسمع ومرأى من الناس . ولحدثنا عن التمرجية وما يصنعون بالمرضى لا سامحهم الله . فقد كان تمرجى جراحة أعلى فى عهد هذه القصة رجلا طويل القامة عريض الاكتاف ، يحمل المريض على أصبعه اذا شاء ، ويقلبه على الجنبين مثنى وثلاثا ورباعا بدون أن يبدو عليه الكلال ، واذا أريد حمل أحد الى الخارج أمكنه أن يحمل ثلاثة أو أربعة فى وقت واحد . ويمكنه أن يضرب المريض بقبضة يده ـ خفية فى ظلام الليل ـ ضربة واحدة تمنعه عن الصياح والشكوى طول اقامته فى المستشفى ، ولذلك كان « عنبره » دائما صامتا هادئا هدوءا غير معتاد . . .

وقد حاول « الحاج سليمان مبروك » أن يتأوه ويطيل الكلام والشكوى . فلكمه « سمور » التمرجى لكمة أعادت اليه صوابه

وكان الحاج سليمان فى الواقع متألما أشد الالم فقد كانت عظام قدمه مهشمة وكان مصابا بالبول السكرى ، وقد ارتفعت حرارته وأخذ لون قدمه يتغير . فقد ظهرت عليها زرقة غير مستحبة . ومع ذلك فقد سلم أمره لله ، وانقطع عن الشكوى وصار ينظر الى سمور برعب . فاذا خرج سمور لأمور ما أخذ سليمان ينتحب ويقول « عوضك على الله ياسليمان رحت خلاص »

فاذا حضر سمور وقفت الاوركسترا

ليس ذهني البلطو الابيض النظيف وأخذ يمر فى جراحة أعلى فمر بالمريض الاول ، وكانت حالته عادية ويريد الخروج ، ومر بالثانى وكان عنده كسر مضاعف بالفخذ وقد وضع فى الجبيرة فوقف عندها ذهني فاحصا مدققا ، وسأل المريض عن حاله ، ثم مضي الى الثالث ، فسمع صوت بكاء ونحيب عند الرابع ، فقد مر على الحاج سليمان بضع ساعات لم يفرج عن نفسه فيها بدمعة . لأن سمور الجبار لم يكن يفارق العنبر لحظة ، فاذا لم يكن له عمل مع المرضى أخذ فى الكنس والتنظيف فاذا انتهى ذلك الشىء ، أخذ فى تلميع زجاج النوافذ ، فاذا انتهى ذلك الشىء أخذ فى تلميع حديد الاسرة

وهو بين لحظه وأخرى يلقى نظرة لهذا المريض أو ذاك ، فيستدير هذا ، أو يختفى ذاك تحت الغطاء

التفت الدكتور ذهنى نحو المنتحب، فسبقه سمور قائلا جرى إيه ياحاج سليمان ما كنت ساكت وفى أمان. فأجاب الحاج سليمان وقد أخذت الاوركسترا تعزف لحنا عاليا « فى أمان ازاى . دنا رحت خلاص تعالى يا دكتور شوف رجلى» فأسرع الدكتور اليه وكشف عن قدمه فلم يسترح الى اللون الازرق الذي أخذ يبدو على أطراف الاصابع ، وبدون أن يجيب بشيء عاد الي الخارج ورجع ومعه طبيب الامتياز ولم تمر ساعة حتى كان الحاج سليمان فى غرفة العمليات لبتر قدمه . . ففى عهد القصة التى نذكرها لم يكن هناك وسيلة لغير ذلك

ومنع أولاده وأقاربه من زيارته ، إذ ارتفعت حرارته فى المساء ، وأسرع النبض وصار بين الحياة والموت أياما ، وكان الدكتور ذهنى مهتما بأمره ، وقد دفعه للاعتناء به اشفاق لايعرف له سببا ، وربما كان من بعض أسباب ذلك الاشفاق أنه خلصه من ورطة التشخيص فى ليلة باردة من ليالى غرفة الاستقبال

وأراد الله أن ينجو الحاج سليمان بأعجوبة فنجا . وأصبح ذات يوم وقد انصرفت عنه الحمي وأتي له سمور بفنجان اللبن ولكنه لكمة الشفاء قائلا « والله نفدت ياحاج سليمان دى حالة مايخلصش منها واحد فى الالف . تعرف الجدع اللي جنبك ده حصل له كده لكن نفعه انه شاب ولاعندوش سكر » فالتفت الجدع اللى جنبه واشترك فى الحديث قائلا « الحمد الله علي سلامتك ياحاج سليمان أحنا ربنا معانا اللى انكتب لنا عمر بعد الأتومبيلات والعمليات »

وأخذت الصداقة تمتد وتتشعب بين الحاج سليمان واللى جنبه سيد أمين الدخاخنى بشارع

محمد على ، وكان ماكراً خبيثا وبوجهه أثر الجدرى . ضيق العينين ضيق الجبين ، واسع الفم كأن ما ضيقته الطبيعة من عينيه وجبينه عوضته اياه فى فمه .

جرى الحوار التالى ذات يوم بين الحاج سليمان وبين الدخاخني

الدخاخنى ـ انت أخذت قدمك بعد ماقطعوها ولا سبتها عندهم

الحاج سليمان ـ الدكتور حفظها عنده فى السبرتو لأنه عمل العملية بنفسه وخليها تذكار

الدخاخنى ـ اجتهد لما تخرج تاخدها منه

الحاج سليمان ـ ليه

الدخاخنى ـ ليه تسايب حقوقك دى تأخذ بيها تعويض من اللى تسبب لك فى قطعها . . أنا حاعمل كدا . وقدمي محطوطه فى السبرتو عند أخويه

ـ ٣ ـ

شفى الحاج سليمان وخرج ، وأخذ قدمه المبتورة من الدكتور ذهنى الذى تنازل له عنها كارها لانها تذكار لأول عملية بتر عملها بنفسه . ولانها حالة هامة ، حالة مريض بالسكر ، تعهده هو بنفسه حتى شفى بمعجزة

ومن المصادفات العجيبة ان خرج الحاج سليمان والدخاخنى فى يوم واحد ، وكان الاهل والاقارب فى انتظارهما عند الباب ، فاستقبلوهما بالزغاريد بالرغم من أن كلا منهما كان فاقدا قدمه وقد خرج من المستشفى على عكاز . ولكنهما خرجا أحياءاً على كل حال ولم يخرجا أمواتا ، كهؤلاء الذين ينوح عليهم أهلهم وذووهم عند الباب ، ويلبسون لهم السواد ، وتضع نساؤهم المناديل الزرقاء حول أعناقهن . .

وعاد الحاج الى عمله فى المصلحة ، ولم ينس أن يقاضى الذين صدموه ، و « عين واحد محامى » وكسب القضية وأخذ تعويضا كبيرا ، اشترى منه منزلا كبيرا ، وتزوج بفتاة صغيرة السن وفتح دكان دخاخنى وضع فيه ابنه الاكبر ، وكان الدكان قريبا من دكان صديقه فى المستشفى سيد أمين وكانت حبال المودة متصلة ، فقد كسب كل منهما قضيته ، ولم ينس الحاج سيد أن ما أصابه من النعمة كان كله بسبب نصيحة سيد الدخاخنى فحمل اليه الهدايا من البلد ، وكان يرسل اليه الفراخ والبيض والسمن بين حين وآخر . فوجد سيد من الوفاء أن يدعو الحاج سليمان للغداء فقبل الدعوة

وترك الدخاخنى الدكان لصبيه ، وذلك اكراما لصديقه الحاج الذى أخذ أجازة من المصلحة اكراما لصديقه سيد . وفى الطريق الى منزل صديقه ، اشترى الحاج قرطاساً من الفاكهة ، وكان يحمل مع الفاكهة شيئا مطويا فى جرنال

وبعد أن تناولا الغداء فى منزل سيد الجديد «بالمناصرة» وكان الاثاث نظيفا وجديدا والغذاء جيدا وشهيا ، انتقلا الى غرفة الضيوف ، فضحك سيد قائلا والله كسبنا القضايا ، وخسرنا رجلينا لكن جتنا فلوس ، مش عالبال

قال الحاج «آى والله ! وعلى فكرة جبت لك الرجل تشيلها عندك يمكن تنفع لان امراتي الجديدة مش طايقاها ، وبتقول انها بتجيب العاريت»

أجاب سيد : بكل ممنونية ياحاج سليمان

- ٤ -

وبعد أيام كان الحاج عائدا ذات مساء الي منزله . فمر على قهوة المعلم حبيب وتناول تعميرة ومر على الخمارة المجاوة فشرب زبيبا . حتى ثقل رأسه وسار يترنح وبينما كان يعبر الطريق أقبلت سيارة مسرعة ، فرآه سائقها وأخذ ينبهه بصوت النفير بلا فائدة ، فصنع جهد الجبابرة حتى اوقف السيارة ، بعد ما القت الحاج سيد على ظهره ، ولكنها لم تصبه . ولكنها جرحت القدم المقطوعة فسالت دما ، فصار يصيح آه رجلي راحت آه رجلي ، فنزل قائد السيارة وكان انكليزيا ، ومعه سيدة وكان المساء قد نزل ، فلم ير الانجليزى الا رجلا يصيح ورجلا مقطوعة ، يسيل منها الدم ، فارتاع واستعان بأحد المارة ، فنقلاه الى سيارته ، وذهب به الى مستشفى قريب وأخبره وأخبرهم بأنه مستعد لمصاريف العلاج كلها وترك عنوانه للحاج سليمان . لعله يكون فى حاجة الى شيء . فبكى الحاج بكاءا مصطنعا وقال : الله يخليك ياخواجه

كان صديقنا الدكتور ذهني مدعوا الى مرقص فى عيد رأس السنة . فتعرف فى ذلك المرقص الي المستر مري الكاتب الروائي الانجليزي والى زوجته الحسناء . وقبل دعوتهما الى الشاى فى فندق سميراميس

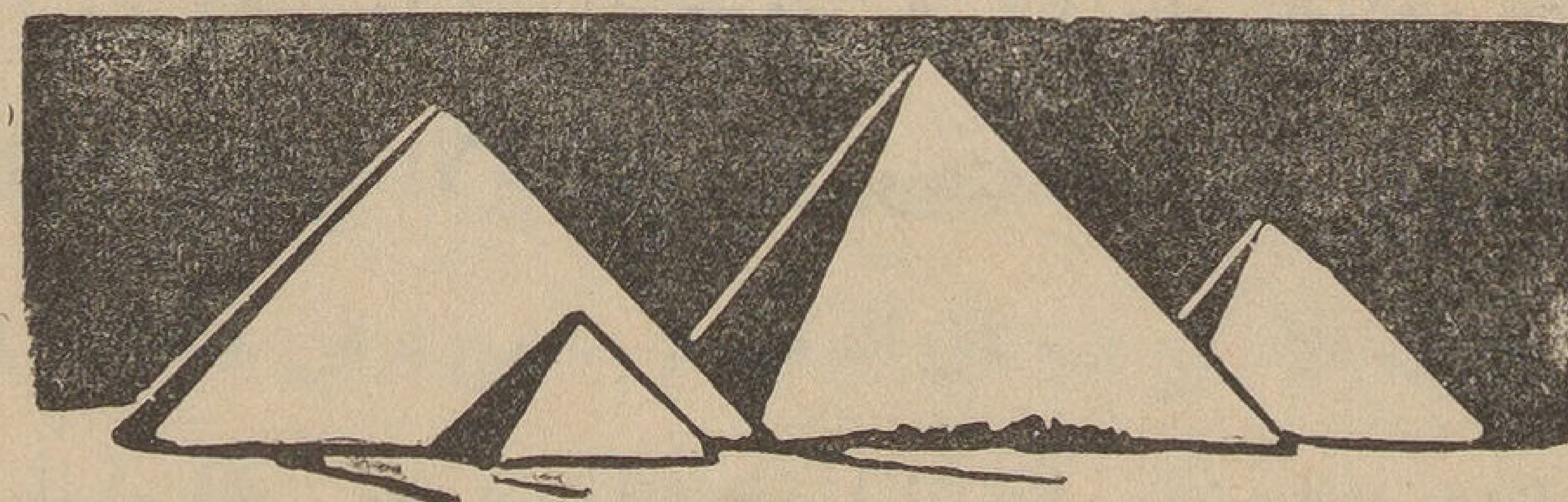
وفى عصر يوم لاينساه ذهني ومرى والحاج سليمان جلس وزوجته ينتظران صديقهما ليتناول الشاى معهما فى شرفة الفندق . فجاء الجرسون وأخبر المستر مرى أن رجلا عجوزا يمشى على عكاز ويحمل البطاقة منه يطلب مقابلته . فذكر مرى الحاج سليمان الذى صدمه بأتومبيله ذات مساء

وأدخله المستشفى فأمر أن يؤذن له فجاء الحاج سليمان « يحجل » وفى يده البطاقة ومع البطاقه شيء ملفوف فى ورقة . وقال بالانكليزية « سليمان نوجود وانت هندرد جنيه » وأبدى القدم المقطوعة وصار يتأملها بأسف ويبكى . فحار المستر مرى فى ذلك . وحارت زوجته ولم يكونا من الاغنياء ثم انهما لا يحبان أن تمضى المسألة الى القضاء . وبينما هما فى تلك الحيرة اذ أقبل الدكتور ذهنى فشعرا بالفرح لقدومه

ولما استوى فى مجلسه قص عليه مرى القصة . فالتفت ذهنى الى الحاج سليمان (وقد عرفه الحاج) وذكر انه رأى وجها كهذا ولكن أين . والواقع أن الحاج سليمان كان قد تغير كثيرا فقد بدلته النعمة واليسر والغذاء الجيد . وازدادت لحيته طولا ووقارا . ثم انه صار يلبس نظارة . زيادة فى الوجاهة والاستقراطية . فقال للحاج ارني القدم . فأعطاه إياها . قال أرنى رجلك . فمدها

فأخذ ذهني يضحك ويضحك ملء قلبه والتفت الى صديقه وزوجته قائلا اضحكا معى ان التى فى الزجاجة قدم يمنى . والتى يمدها الحاج قدم يسرى ثم التفت الى الحاج وقد ذكر فجأة كل شيء : لعلها رجل جارك الدخاخنى ياحاج سيد ...

فأطرق الحاج خجلا لانها حقيقة قدم الدخاخنى فقد ذهب الى منزل سيد ليستعيد الزجاجة التى أودعها عنده فلم يجده . وانما وجد أخاه الاصغر الذي أعطاه زجاجة فيها قدم الدخاخني خيبة الله على أخيه ...



ابن ميمون ومغزى حياته لنا

للمستشرقة كاترين هنرى

ولد بن ميمون سنة ١١٣٥ م فى قرطبة عاصمة الاندلس . وتلقى علومه على أيدى أعظم الاساتذة المسلمين خبرة ودراية ومنهم ابن رشد الفيلسوف الشهير . وكان هو نفسه يهوديا ، ومن العلماء الذين تحدروا من أعرق الاسر اليهودية فى بلاد الاندلس وقام بجولات كثيرة فى البلدان الأجنبية فزار جنوبى فرنسا وفاس والقاهرة وبغداد والقدس واكتسب من جراء ذلك خبرة ، وسعة اطلاع اخصبت بهما كنوز العلم التى احتواها صدره . ثم غادر اسبانيا على أثر نزاع بينه وبين قبائل الموارودة « وهم الغزاة الذين فتحوا جنوبى الأندلس سنة ١١٤٥ » ولم يكونوا على شىء من التسامح مع المنشقين عنهم أو المخالفين لهم فى الرأي

ومنى فى أخريات حياته بخسارة فادحة فى فقد اخيه « داود » . وكان يقوم الاخوان معاً بتجارة رابحة فى الجواهر ، فغرق داود فى المحيط الهندى ، وخسر بن ميمون ثروته فاضطر الى أن يكسب عيشه بمزاولة مهنة الطب التى حذقها ، وبلغت شهرته مسامع السلطان صلاح الدين فعينه طبيبه الخاص . وكان ريتشارد الأول ملك انكلترا يومئذ فى عسقلان فكتب إلى ابن ميمون وعرض عليه مثل هذه الوظيفة فى البلاط الانكليزي فرفض هذا العرض بسبب ولائه وتعلقه بصلاح الدين

وقضى ابن ميمون الشطر الأخير من حياته فى مدينة القاهرة . وقد توفى أبوه عقب وصوله اليها فانتابه الحزن والمرض بسبب هذه الفجيعة ، واليك اقتباساً من رسالة بعث بها من القاهرة تلقى وميضاً من النور على حياته فى هذه المدينة العظيمة :

« . . ان واجباتى نحو السلطان ثقيلة مضنية . فأنا مضطر أن أزوره كل يوم فى الصباح الباكر وحين يتوعك مزاجه أو مزاج أحد أبنائه لا أجرؤ على مغادرة القاهرة بل ابقى فى القصر الشطر الأكبر من اليوم . . ولا أعود إلى مصر « الفسطاط » إلا فى العصارى بعد أن أكون قد بلغت حداً من الجوع والاعياء ، وهناك أجد أبهاء دارى مكتظة بالناس ، من يهود وأمم ، وخاصة الشعب وعامته — جمهور خليط من البشر يترقب عودتى . فأترجل عن دابتى وأغسل يدي ، وأتوسل الى زبائنى أن يستمهلونى ريثما أتناول شيئاً من الطعام ، وهذه هى الوجبة الواحدة أصيبها فى أربع وعشرين ساعة . . وإذا ما جن الليل يكون الاعياء قد أخذ منى كل مأخذ حتى لا استطيع الكلام

وفى يوم السبت تجىء إلى الجماعة كلها فأعلم الشعب . . ونتذاكر معاً . . »

وابن ميمون هذا مثل بارز فى حياته وعمله على تبادل المعرفة والعلم بين الأجناس الثلاثة — المسلمين واليهود والأوربيين . وهذا التبادل ثمرة من ثمار العصر الذهبي للعرب فى الأندلس . وقد عاش العرب والمسيحيون واليهود فى ذلك العصر بمدينتى غرناطه وطليطلة وغيرهما من المدائن فى نصفة ومساواة وتسامح لم تألفها تلك العصور الوسطى . ولم يجد التاريخ بحقبة نشط فيها التبادل بين الحضارات الثلاث فى أوربا وحوض البحر الأبيض المتوسط كتلك الحقبة التى عاش فيها ابن ميمون وبفضل هذه العلاقات السعيدة تضامن الأجناس الثلاثة فاكتشفوا مسالك من الحق جديدة ، وبلغوا من الرقى فى العلوم والافكار درجة كان يتعذر على جنس واحد بمفرده أن يبلغها

وقد امتدت حياة ابن رشد وابن ميمون إلى النصف الاخير من القرن الثانى عشر فكانا معاصرين للمترجمين المتقدمين الى اللغة اللاتينية الذين قدموا إلى الأندلس . وفضلا عن ذلك فقد تقدما مباشرة تلك الفترة التى تصادم فيها الفكر العربى بالفكر اللاتينى . . « وذاعت مؤلفات ابن ميمون الطبية والفلسفية ليس فقط بين الشعوب الناطقة بالضاد ، بل علا شأنها ايضاً بين الشعوب اللاتينية وبين اليهود أنفسهم . فأثر على الاجناس الثلاثة أيما تأثير »

ونظراً للجهود الحاضرة بين النعرة التى يصح ان ندعوها بالافراط والمغالاة فى القومية ، والتى ترمى فعلا الى ابعاد كل المؤثرات الخارجية عن الأمة - يليق بنا حيال الجهود التى تبذل فى هذا العصر للتخفيف من هذه النعرة ، أن نقتبس فذلكة عن كتاب صنفه عالم من فطاحل علماء الانكليز هو رئيس الاساقفة وليم تمبل . ونرجو أن نبين بعد ذلك ، عن طريق التمثيل من شواهد عصر حضارة العرب فى بلاد الاندلس ، كيف تخصب الشعوب بفضل تبادل العلوم والمعارف وتناوب المؤثرات المختلفة . وسوف نري على نقيض ذلك تماما أن كل أمة تعيش فى كنفها مكتفية بذاتها مقصورة على نفسها ، لا تلبث أن تجف وتفتقر حيويتها إلى دم الحياة

وهذا ما يقوله رئيس الأساقفة تمبل . .

إن فى تنوع الشعوب كل الخير . والوطنية العالمية ، غير القومية ، التى تحط من شأن المزايا والخواص القومية ، تقضى على كثير من عناصر اختباراتنا القيمة . غير أننا نستطيع أن نطرب ونفرح حيال مميزات بعضنا البعض ، عوضاً عن أن نمجها ونحتقرها . فالمانيا فقط هى التى استطاعت أن تنجب للعالم فيلسوفها « جوته » وروسيا وحدها استطاعت أن تبرز للملأ رجلها « دستوفسكى » وانكلترا وحدها أنجبت شاعرها « برونج » . وتستطيع كل أمة من هذه الأمم أن تطرب وتبتهج ازاء النتاج الصالح الذى أخرجته الشعوب الاخرى . وعلينا أن نسمو فوق الموقف البليد الذى نختار

فيه بين الوحدة والجفاء ، بين الاتحاد والتنافر ، ونسعى فى الحالين على خلق جو نستمتع فيه بالتناسق والوفاق »

* * *

هب أننا نصور لأفكارنا مصير شاب مسيحى من فرنسا أو انكلترا يسوقه العطش الى العلم لأن يرحل إلى الأندلس فى القرن العاشر أو الحادي عشر ، ليتزود بعلوم حضارة العرب فى ذلك الزمن وقد بلغ مسمع ذلك الشاب وهو فى بلاده الشمالية أروع الاقاصيص عن حكمة العرب ، فيرحل إلى قرطبة ، إلى الجامعة الشهيرة التى هى مركز الحياة الفكرية والعقلية فى أوربا - هو لا يخشى أن تعوقه عقيدته أو جنسه عن تحصيل العلوم والمعارف لأن أبواب الجامعة مفتوحة على مصراعيها لكل طالب علم من كل جنس . فيعطى هناك فرصاً على قدم المساواة مع المسلمين واليهود . وزملاؤه الطلبة يحصون بالالوف . وأساتذته من أشهر وأنبغ علماء العصر . فان كان طالب طب لا يعطى اجازته الا بعد نجاحه فى امتحان شاق طويل الادوار . وان كان طالب فلسفة فسيتلقى ويلقن العلم على أيدى أساتذة كانوا فى ذلك العصر ، وما برحوا حتى اليوم ، أصحاب الأثر العميق والنفوذ القوى على الفكر الأوربى

وسيجد صاحبنا الطالب ما يشغل عقله فى نواح شتى خارج فصول الدراسة . فالريف المحيط بالمدن خصيب إلى أبعد حدود الخصب ، ومجالس الخلفاء تعج بالنعمة والثراء إلى أبعد حدود الوصف وفى النهار يرى الطرقات مكتظة بالجماهير الرافلة فى الثياب الفاخرة ، وفى الليل تقع نواظره على مصابيح فى زجاج ملون مدلاة من شرفات المنازل ، وفى النهر تسبح الزوارق وقد علتها المصابيح وزانتها أكاليل الزهور . وكان مستطاعا له فى المدرسة أن يفحص عن أية خريطة جغرافية أو آلة علمية معروفة فى ذلك العصر . ويسر طلبة الجامعات فى هذا العصر ، الذين يقضون شطراً كبيراً من دراساتهم فى مكاتب منظمة حافلة بصنوف المؤلفات ، أن يعلموا أن هذه التسهيلات والمزايا كانت متوافرة لدى اخوانهم فى بلاد الاندلس قبل ألف عام

« كانت رفوف المكاتب مفتوحة لكل طالب . وسهلت قوائم المؤلفات السبيل لدى كل باحث وازدان الكثير من المؤلفات بمسحة من جمال النسخ رائعة وجلد الثمين منها فى غلافات من الجلد الموشى بنقوش بارزة ، ومن الخشب الفياح الرائحة . . . وحوت تلك المكاتب فى جنباتها كل ذخائر الماضى وأسراره وكل مكتشفات الحاضر وعلومه »

وعلى ممر الزمن عاد كثيرون ممن وفدوا من البلدان المسيحية إلى أوطانهم يحملون معهم الثروات العقلية والفكرية التى احتازوها فى طليطلة وفى قرطبة وفى غيرها من المدائن . ويروى

لنا التاريخ أن ذلكم النفر من العلماء قد نقل من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية فى عالم الطب وحده أربع مائة كتاب . وانشئت المدارس فى إيطاليا وفى فرنسا فانتشرت بذلك العلوم والمعارف . وفى الوقت نفسه رحل سكان المدائن الأندلسية أنفسهم إلى مدن أوربا فاذاعوا الأفكار العربية ، والافكار الاغريقية القديمة التى كانت محفوظة فى اللغة العربية والمؤلفات العربية . وكان غالبية أولئك الرحل من اليهود ، وقد كانوا الاداة الرئيسية لنقل الحضارة العربية ووضعها تحت امرة أوربا وذلك لاسباب عدة ، فان اليهود لم يكونوا رحالة ناشطين وحسب ، بل كانوا جنساً مبعثراً فى الشتات لهم فى كل بلد جماعة رحبت بالوافدين اليها من بنى جنسهم . وقد كان اليهود بسبب الظروف الخاصة التى أحاطت بهم عقب السبي والشتات على معرفة بكثير من اللغات ، فكانوا لذلك اداة صالحة للتفاهم بين جنس وآخر . وفى الاندلس لم يتكلموا العربية فقط بل قرأها كثير منهم وكتبها فى سهولة وطلاقة وكان بين اليهود والعرب فى الاندلس علاقة سعيدة ، وتعاون وثيق فى العلم والتعلم

«وكان الحبر اليهودى « حسداي بن شيروط » من الوزراء البارزين فى خلافة عبد الرحمن الثالث واستخدم الحاكم الثانى كثيرين منهم فى أهم مفوضياته فى البلدان الخارجية . وأمر هشام الثانى بترجمة التلمود اليهودي الى اللغة العربية . . وكان لرجال المجمع اليهودى مكانة الكرامة والتوقير فى نظر العرب المثقفين . . وقد شهدت أوائل القرن العاشر خراب اكاديميات بلاد فارس الذائعة الصيت تلك المعاهد العلمية التى نادى أفرادها بالآراء والتعاليم العصرية المستحدثة فاصطدموا بالتعصب الشرقى وجموده . فخلت جمعياتهم وهرب العلماء ، ابقاء على حياتهم ، فى النفى والتشريد ، وقد حمل القرصان الافريقيون بعض مشاهيرهم ، ومنهم الحبر اليهودى موسى ، وعرضوهم للبيع فى أسواق الرقيق بمدينة قرطبة . وكان ذلك الحبر على جانب عظيم من ذيوع الصيت فلما ازيح القناع عن شخصيته وعرف أمره انتخبوه أميراً على الأمة الحصبانية العبرانية »

* * *

ولنقتف الآن خطى طالب من أبناء الشمال يذهب الى طليطلة عوضاً عن قرطبة ، وذلك قبل ٨٠٠ سنة أى حوالى القرن الثانى عشر . وهناك أيضاً نرى التبادل والتعاون المشترك بين الثقافات المسيحية والاسلامية واليهودية ، فى ظروف وأوضاع مختلفة . فلئن كانت طليطلة وقد عادت فى سنة ١٠٨٥ إلى ايدى المسيحيين ، ولئن كان الحكام العرب قد انسحبوا الى الجنوب بعد أن خلفوا وراءهم تراثاً هائلا من العلم والعرفان ، فالمدينة ظلت حافلة بالكتب العربية ، ومكتظة بجيش غفير من السكان الذين يعرفون شيئاً من العربية واللاتينية . وكان فيها من سنة ١١٢٦ — ١١٥١ رئيس أساقفة يدعى ريموند الأول جمع حوله مدرسة من المترجمين الاوربيين ، وبين الكتب التى ترجمت بحوث فى الحساب والفلك والجبر ومؤلفات الغزالى والقرآن . وصاحبنا هذا الذى نقتفى خطاه يجيء إلى طليطلة مزوداً برسالة توصية من أحد عظماء بلاده إلى رجل من أحبار الكنيسة المسيحية

وهذا الاخير لا يتكلم الا اللاتينية فلا يقدر أن يعين العالم الوافد اليه على درس الفلسفة العربية . والعرب قد رحلوا عن المدينة وبقى فيها اليهود كحفظة على هذا الميراث الثمين الذى خلفته وراءها العلوم والثقافة العربية فماذا يفعل صاحبنا العالم الأوربى ؟ يضطر إلى التعرف باحد اليهود ويجتمع معه مرة بعد أخرى، فى غرفة صغيرة فى الحى اليهودي ، وذلك لنقل المؤلفات العلمية أو الفلسفية من اللغة العربية إلى اللاتينية ، واليهودي نفسه لا يعرف اللاتينية ، وصاحبنا الأوربى لا يعرف العربية ، فكان عليهما أن يستعينا بشخص ثالث مسيحى من الأندلس يعرف قليلا من العربية واللاتينية ويتوسط بين المترجمين ليفهما الواحد الآخر فى شىء من التوفيق . ويقال أن عالماً انكليزيا مشهوراً يدعى « اديلارد اوف باث » فاز بهذه الطريقة ، فترجم جداول العرب الفلكية للخوارزمى حوالى سنة ١١٢٦ — وكذا « مقدمة الخوارزمى فى علم الفلك » ويقول أحد علماء الامريكان عن هذا التعاون المشترك ما يأتى : —

« كان النشاط العلمى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر بالغاً حده فى الرياضيات والفلك والطب والتاريخ الطبيعى الخ ، وكان ذلك النشاط مصطبغاً بصبغة دولية ظاهرة فلم يكن تقدم الجنس البشرى معزوا إلى هذه الأمة أو تلك ، ولا إلي هذا الجنس أو ذاك ، ولا إلى هذه الطائفة أو تلك . بل كان منشأوه الجهود المشتركة . وكانت غالبية قادة الفكر فى القرن الثانى عشر من المسلمين ، ولكنهم من المسلمين الوافدين من بلدان كثيرة . فلما خرجت الزعامة من أيديهم تناولها المسيحيون من فرنسيين وايطاليين واسبان وانكليز . وفى الوقت نفسه كان لليهود فضل كبير فى اخراج أنضج ثمار البحوث العلمية »

* * *

من ابرز شخصيات ذلك العصر بتروس الفونس ، وقد ولد سنة ١٠٦٢ من أسرة يهودية واتقن اللغة العربية أيما اتقان . ثم اعتنق الديانة المسيحية وتعمد سنة ١١٠٦ فى مدينة أراغون . وكان من باكورة آثاره كتاب قيم فى علم الفلك . ثم صنف بعد اعتناقه المسيحية كتاباً عنوانه « مدرسة تدريب الكهنة » ضمنه النصائح للدعاة والمبشرين وقصصاً وجيزة للاستعانة بها كمثائل فى العظات وكان قد جمع هذه الأقاصيص من مصادر شرقية ، ثم نقل كتابه إلى اللغتين الفرنسية والالمانية فكان اداة صالحة لنقل الاقاصيص الشرقية إلى بلاد الغرب . ونهض كاكستون الناشر الانكليزى الشهير وادمج بعض هذه الاقاصيص فى كتاب آخر طبعه سنة ١٤٨٣ ـ ثم جمعت مرة أخرى فى مجموعة القرون الوسطى أطلق عليها اسم Gesta Romanorum. طبعت سنة ١٥١٠ ، وقيل ان جانسر وشكسبير انتفعا بها فى مؤلفاتهما . وبهذه الطريقة أدمجت الأقصوصة الشرقية فى الأدب الانكليزى وفى مقدمة ذوي النفوذ والسلطان فى ذلك العصر نذكر الفيلسوف العربى « ابن رشد »

، ١١٢٦ — ١١٩٥) وهو مسلم ولد فى مدينة قرطبة وامتاز بقوة العقل ، وشدة الذكاء ، والجلد على العمل والانكباب على الدرس ، حتى لقد قيل أنه لم يمض عليه فى حياته إلا ليلتان لم ينصرف فيهما إلي الدرس والبحث ـ وهما ليلة زواجه ، وليلة وفاة أبيه . وقد شغل منصب قاضى قرطبة ردحاً من الزمن ، ودرس الطب ومارسه ، وأخرج عدداً هائلا من المؤلفات فى الدين والفقه والفلسفة والطب . وأهرق زبد عقله وفكره فى « اخراج سلسلة من التفاسير » المطولة لمؤلفات ارسطوطاليس الفيلسوف الاغريقى الذى شغف به ومال اليه أكثر من سائر الناس . . ومن الحقائق البارزة أنه لم ينل أحد من قوة الاثر وسعة النفوذ على الفكر اليهودى فى القرون الوسطى المتأخرة ماناله ابن رشد وها ههنا نري أيضاً العملية تتكرر . فتنتقل الثروة العقلية من جنس إلى آخر . ويحلو لنا أن نصور لانفسنا الطلبة الاوربيين ينصتون الى محاضرات ابن رشد ، وقيل لنا أن علماء اليهود أحبوه وأكبروا قدره فكثرت النسخ الخطية العبرية من مؤلفاته حتى لم يفقها فى العدد مؤلفات أخرى سوى الاسفار الخمسة . وقد ترجمت تلك المخطوطات العبرية إلى اللغة اللاتينية ، وقام بترجمتها المترجمون المسيحيون واليهود ، كل اثنين منهم بالاشتراك معاً

ولكن بن رشد هذا قضى الشطر الاخير من حياته فى ذلة وانكسار وسجن . وذلك لان المحافظين من المسلمين ثاروا ضده بسبب آرائه العقلية وانتقاداته اللاذعة ، وتألبوا معاً على اسقاطه فاقصوه عن وظيفته كطبيب البلاط ، وحرموه من وظيفته القضائية . وصادروا كل أملاكه . فاضطر أن يهرب من وجوههم ويلجأ إلى افريقيا . حيث عرض نفسه فى شيخوخته وعجزه . إلى امتهان الدهماء وبذائتهم فكانوا يبصقون على وجهه وهو جالس فى عجز وضعف أمام باب المسجد فى مدينة فاس . .

وإذا حاولنا أن نفهم سر الأمر ، عرفنا أن علوم العرب فى الأندلس كانت مقصورة على طبقة معينة تقدموا مواطنيهم بخطى واسعة واستبقوهم إلى الأمام وكان لاولئك العلماء المتقدمين فريقان من الاعداء الالداء . وهما جمهرة الشعب والحزب المحافظ المتطرف وقد تآلف الفريقان على مقاومة كل جديد من الآراء . ومعاداة كل من تحدثه نفسه بالشك فى صحة عقائدهم الدينية . ونحن لا يفوتنا القول أنه لزام على كل رجل معتصم بدينه أن يغار عليه ويكون موالياً لله . محباً له قبل كل شيء سواه إنما يجب أن نذكر أن الافكار والعلوم الدينية لم تفقد شيئاً . بل ربحت كثيراً بفضل الانتقادات المخلصة ، وآراء العلماء المنزهة عن الاغراض فى سعيهم نحو الحق بعقولهم المتزنة المفكرة . فاضطهاد عالم من كبار العلماء الذين أنجبتهم البشرية لغير ماسبب سوى أن تعاليمه لا تتفق والعقائد الدينية المعاصرة ـ انما هو فى الحقيقة عمل مخجل مشين . وانتحار للهيئة البشرية التى تجنح اليه . ومن

الناحية الأخرى فان اضطهاد المعاند الصادق ، وخصيم الدين الذى يؤمن بصدق مايقول ، لاينفعه شيئاً . بل يزيد نفسه مرارة وحقداً . وحياته فقراً وجفافا . واليك من الاقوال مايثبت هذه الحقائق :

« لم يذكر التاريخ شعباً بلغ شأواً رفيعاً فى الحضارة . وكان من سياسته القمع المنظم للآراء الدينية وكبت الافكار الحرة فى هذا الميدان . لان التعصب الدينى من أخطر العقبات فى سبيل الرقى العقلى » . .

وأيضا « إن البحوث العلمية كالبحوث الفنية والدينية تماماً . لن يمكن حصرها فى حدود ضيقة . . بل ينبغى أن تكون حرة طليقه »

* * *

فى كثير من السجلات التاريخية نجد البيانات المفصلة عن العلماء والمترجمين من اليهود الاندلسيين وهى تنفث روح الحياة فى أولئك العلماء فترفعهم من مجرد أشباح تاريخية إلى شخصيات حية وليس شك أن تعشقهم للخط الجميل كان من عوامل توثيق الروابط بينهم وبين أصدقائهم العرب وتزايد روح العطف بين الفريقين :

« احس جميع اليهود بما فى الخط الجميل من سحر وتأثير . ولا سيما الذين عاشوا فى الاندلس وجنوبى فرنسا . وقد كتب يهودا بن طيبون إلى ولده يقول : حسن خطك . لان جمال الخط . وتفوق القلم والورق والحبر . من بواعث اعلاء قدر الكاتب » وانه لمثير لدهشتنا أن نعرف الطريقة التى تدرب بها الولد على الكتابة فى مدرسة ذلك الزمن . فان اللوح الاردواز كان شائعاً بين الطبقات الوضيعة كما هو الآن . وكان المعلم يكتب على اللوح سطوراً ويدفعها للطالب . فيأخذ فى تعلمها حتى يحفظها عن ظهر القلب ويجيد هجاءه الكلمات . ثم يمحوها المعلم بعد ذلك ويكتب له سطوراً غيرها . وقيل إن المفكر العظيم ابن ميمون تعلم بهذه الطريقة وهو ولد صغير

والذي نعلمه أن برنامج الدراسة العادية للولد اليهودى فى القرن الثانى عشر بالاندلس تضمن الكتاب المقدس . والتلمود . والشعر . ومنطق ارسطو . وعلاقة الفلسفة بالوحى . والحساب والفلك والعلوم الطبيعية . والفلسفة العقلية . ويقول ابرهام الذى نقلنا عنه شيئاً من قبل ، وهو حجة فى موضوع كتابه عن الحياة اليهودية فى القرون الوسطى . ما يأتى

« ان اليهود فى اسبانيا وإيطاليا لم يحصروا أفقهم العقلى فى دائرة الدين . ولعله من الصواب أن نقول إنهم حسبوا الدين الهدف الذى ترمى اليه التربية والتعليم . ولكنهم اهتموا بموضوعات الدراسة الاخرى وكانت ضرورية فى نظرهم »

ونحن اذا تصفحنا صفحات التاريخ عن تلك الفترة من الزمن نراها لامعة باسماء المشاهير والعظماء

من المسلمين واليهود والمسيحيين . وأول ما يتبادر إلى ذهن القارىء ليس عظمة العرب . ولا عظمة المسيحيين الذين كانوا طلائع نهضة العلوم فى أوربا بل بالاحرى عدم تكامل فريق بدون الآخر ولعل أفضل ما كتب فى هذا الصدد ما قاله الأستاذ « سل » . « كان مسلمو الأندلس فلكيين مهرة ولكنهم مزجوا هذا العلم بدجل التنجيم . وقد هيأ لهم نشاطهم العقلى سبيلا لعمل التقديرات الفلكية العويصة الغامضة - وكانوا كيمائيين مهرة ، وبزوا فى علم النبات ، وتفوقوا فى العلوم الطبيعية ، ولكنهم خلقوا علم تحويل المعادن إلى ذهب ، وهو وهم صادف هوى الخيالات العربية أما علومهم الطبية فقد أخذوها بالاكثر عن اليهود الذين حذقوا هذه المهنة حتى كانت شبه احتكار فى أيديهم . وصار المسلمون أطباء نطاسيين ولكنهم أهملوا شأن الجراحة . وكان علماء المسلمين فى الاندلس أبعد شوطاً من علماء الفرنجة فى كثير من ميادين العلم . أما الفلسفة فقد أخذوها من المصدر الذى استقى عنه الخليفة المأمون فى بغداد ، اى من الأغريق . ودرس المسلمون فى الاندلس مؤلفات ارسطو واذاعوها فى بلدان غربى أوربا ، وكانوا قد أخذوا عنه قبل من علماء أوربا الشرقية وفى القرن الثالث عشر أخذت تتكاثر أعراض النشاط المسيحى وقوة الابتكار »

ويخيل الينا أن الأمة - أو الجنس - لا تكون فى أبهى مظاهرها وأقوى حياتها إلا حينما تنسى ذاتها فى عمل التجديد والاحياء لخير الآخرين . والعمل المجدد هو بلا شك دليل على المكانة العليا فى العظمة القومية . يضاف الى هذا أيضاً نسيان هذه العظمة وعدم التبجح بها . ونحن نعتقد أن قوى ابن رشد وابن ميمون وزملائهما قد استوعبت فى تجديد الافكار والحياة بحيث لم يكن لديهم متسع من الوقت للتفكير فى النعرات الجنسية . وأنه لمن السخف أن نجعل أمثال هؤلاء المفكرين والعلماء موضوعا للتفاخر القومى أو المباهاة الجنسية . وذلك لان الازدياد فى التواضع يصحبه دائما تزايد فى المعرفة فى الفرد او الامة على حد سواء . أما الفرد الذى يميل إلى التفاخر والمباهاة فهو اما شاب محدث أو شخص مضمحل القوى . كذلك أيضاً الامة التى تجنح إلى التفاخر فهى إما محدثة فى بداية حياتها ، أو هرمة قد ولى مجدها

* * *

والجمال كلمة مرادفة لله ، والصلاح كلمة أخرى مرادفة له ، والحق كذلك . فهو عز وجل الجمال والصلاح والحق . فالعظماء الذين تحدثنا عنهم فى هذا المقال ، وهم من جنسيات مختلفة تربطهم روابط من الوداد وثيقة ، انما كانوا - دروا أو لم يدروا - يخدمون البشرية لبلوغ قصدها الاعظم ألا وهو اكتشاف الحق . وبعبارة أخرى معرفة الله تدريجاً . هذا هو الهدف الذي لا نفوز به الا عن طريق الجهود المشتركة . ليس من جنس واحد . بل من سائر الاجناس البشرية قاطبة

« الشرق والغرب »

الباقي على قيد الحياة

للقصصي الفرنسي بلزاك

ترجمة الاستاذ حسن محمد حبشي

حين دقت ساعة مدينة مندا الصغيرة مؤذنة بانتصاف الليل ، كان ضابط فرنسي شاب متكئا على حافة سياج طويل يحيط بالقلعة غارقا فى لجة من التفكير العميق ، وذلك أمر لم يكن هناك ظروف تبرره بالنسبة لما يحيط به من مظاهر حربية واستحكامات عسكرية ، ولكنه كان منصرفا عن كل ما هو فيه من وقت وليل ومكان الى التفكير القوى

وكانت سماء اسبانيا الجميلة تمتد فى زرقة صافية فوق رأسه ، وقد رصفت بالنجوم اللألاءة ، وضوء القمر الساطع ينير هذا الوادي الجميل الممتد تحت قدميه ، وهو يشرف على مدينة مندا ويعلوها بمائة قدم ، وكأن الطبيعة قد هيأتها هكذا لتكون فى مأمن من رياح الشمال الغربية الآتية من هذه الصخرة الكبيرة التى تقوم عليها القلعة ، واذا ادار الضابط رأسه أبصر البحر يكتنف البلدة بامواهه الفضية وكأنه قد استحال الى قطعة من اللجين الذائب ، وكأن القلعة كوكب أو جوهر ضوء وهاج

وكان وهو فى مكانه ، يسمع صدى رنات الموسيقى ، وعربدة الضباط فى الحلقة الراقصة ، يكرعون بنت الحان وقد أعلتهم نشوتها ، فراحوا يضحجون ويصخبون ، وقد اختلط ذلك بهمهمة الامواج الآتية من بعد ، وكان نسيم البحر والليل قد جدد نشاطه المنهوك ، زد على ذلك ما حوله من حدائق فيحاء ، وزهور عطرية الشذا ، نفاحة الاريج ، فكأنه مغموس فى بحر من العطر الذكى

وكانت قلعة مندا فى حوزة شريف أسبانى ، اتخذها وأسرته دار اقامة ، يشرف منها على البلدة ، وتصد عادية الغريب الاجنبي ، وكانت ابنته الكبرى كلارا الجميلة ترمق الضابط الفرنسى الشاب بنظرات مبهمة ، وان كانت تنم عن حزن عميق

وكانت كلارا هذه فتانة رائعة الحسن ، فوقع جمالها من قلب الضابط الفرنسى موقع الماء من ذى الغلة الصادى ، فوقف يفكر فى هذا الجمال . وبالرغم من أن ثروة أبيها كانت طائلة ، وموزعة بينها وبين أخوتها الثلاثة واختيها ، فقد رأى فكتور مارشاند « الضابط » أن فيها الكفاية لان تكون الدوطة كبيرة ، ولكن كيف يتسنى له أن يخطب كلارا ابنة الشريف الاسبانى ، وهو ابن

تاجر صغير فى السن ، أضف الى ذلك ما بين الاسبان والفرنسيين من احن

وكان الجنرال (ج) قد علم من مصدر سرى أن المركيز يحاول أن يوقد مشعل الثورة لنصرة فردناند السابع ، ولذا أرسل مرشاند ليعسكر فى مدينة مندا حتى يكون على علم تام بما ينتويه الثوار ولكى يخمد كل حركة يقومون بها ضد الفرنسيين

وفى ذلك الوقت وصلت اشارة سرية الى القائد العام بان المركيز الاسبانى يتصل سرا بالادارة الانكليزية فى لندن ، وليس من البعيد أن يرسل الانكليز مددا ، ومما حير لب فكتور مارشاند أن المركيز قد استقبله وعائلته استقبالا لا يدل الا على منتهى الهدوء والطمأنينة ، مما لا يجعل للشك غبارا يثور فى النفس ، وحار فكتور ، ولم يدر كيف يوفق بين هذا الهدوء المسدل طنبه على كل ماحوله والذى يتجلى بوضوح فى المركيز وأعماله التى لا تدل على نية موضوعه ، أوخطة مدبرة يراد بها الثورة ضد الغاصبين لارضه

ولم يدر كيف يوفق بين هذا وبين اشارة الجنرال من وجود مفاوضات سرية ليست من مصلحة الفرنسيين ، ولكن سرعان ماتلاشت هذه الخواطر من ذاكرته حينما مد بصره للامام فابصر عدة مصابيح مضاءة فى المدينة مع أنه أصدر أمره بان تطفأ الانوار فيها فى ساعة معينة من الليل ، بالرغم من أن الليلة كانت ليلة عيد ميلاد القديس سنت جون ، ولم يسمح مارشاند أن توقد الانوار الا فى القصر فقط

ومما أحال الشك يقينا عنده ، وأن هناك يدا تعمل فى الخفاء أن رأى ساريات عدة مراكب وسط مياه البحر ، وتحت أضواء القمر الفضية ، وهى تقبل المياه ، وبينما هو سابح فى تيار التفكير العميق اذا به يسمع وقع أقدام خلفه ، فالتفت صوبها ، ولما تبين صاحبها عرف فيه أحد رجاله يلهث وحين رآه قال له

— أهذا أنت ياسيدى الضابط

— نعم هو أنا . . ماذا تريد ؟

— ان هؤلاء الوحوش يزحفون زحف الديدان

— ثم ماذا؟

لقد رأيت رجلا يخرج من القصر وفى يده مصباح مضاء ، وهذا مما أثار الشك فى نفسى ، وبعثنى على أن اقتفي أثره ، وأتتبع مسيره ، وأظل قريبا منه جهد ما أمكننى . أجل قد يكون مسيحيا محافظا على التقاليد

— أسرع وأوجز !

— غير أن الحالة التى هو فيها ومخالفة أمرك ، كل ذلك مما يجعل الشك يحيك فى نفسى وثم أمر آخر ياسيدى الضابط ، ذلك أن اكتشفت على قيد خطوات منك عرمة من الحطب والوقود

ولم يكد الجندى يصل الي هذا الحد من الكلام حتى دوت فى المكان صرخة صدعت السكون العميق ، وانفجرت قنبلة أودت شظية منها بالجندي فخر مجندلا لساعته وسط لجة من الدماء المهراقة واندلع لسان من اللهب على بعد عشر خطوات فقط ، من الضابط الذى سقط فى يده ، ولم يدر كيف يفعل ، بل ظل فى مكانه مبهوتا وقد ألجمه الحادث بتصاريفه الشاذه ، وحادثته الغريبة الفجائية وتبين له أن فى الامر دسيسة ، وأن الثوار قد تأهبوا للفتك بالاعداء ، فاضطرب فى مكانه أذ لم يكن معه حسامه ، وهاهو ذا يرى رجاله وقد ترددوا فى ساحة المدينة . وصمتت الموسيقي وتلاشت ضحكات الضباط ، ومر على مخيلته ماسيلاقيه — اذا هو ظل حيا — من محاكمة واهانة فلم يجد أمامه من وسيلة للنجاة الا أن يلقى بنفسه من هذا العلو الشاهق الى سفح الوادى حيث يتحطم جسمه على الصخور الجاثمة هناك

واذا كان على أهبة تنفيذ ما اعتزم ، أحس يدا أعاقته عما هو قادم عليه ، فاشرأب الى صاحبها فاذا بها كلارا تهيب به أن اسرع فان اخوتي على آثارى قادمون للفتك بك ، وامض الي الصخرة القائمة عند سفح التل ، وستجد حصان أخى جوانيتو فامتطه ولا تتريث لحظة ، والا فقدت شبابك ، وصافح الحسام رقبتك

فحدق الفتى فيها دقيقة ، وقد فاضت نفسه بالدهشة ، ولكنه تنبه أخيرا ، اذ ثارت فى نفسه غريزة حب الحياة ، تلك الغريزة التى تتمثل فى الجميع علي السواء ، فى حيوان أو انسان ، وحمل اليه الريح صدى صوت . كلارا تهيب باخوته الا يتريثوا فى اقتفاء أثره ، كما سمع وقع حوافر دوابهم تسابق الريح وهم على صهواتها يرسلون عليه وابلا من الرصاص الذى كان يمر بجانب رأسه ، وبعد بضع ساعات كان فى حضرة الجنرال ، وكان فى ثلة من اخوانه يتناولون طعامهم فارتمي أمامه قائلا

— مولاى ان حياتى بين يديك افعل بها ماتشاء !

ثم أخذ يقص علي الجنرال قصته فاذا الجميع ينصتون اليه ، وكأن على رؤوسهم الطير ، وقد علت وجوههم غبرة ، ترهقها قترة وألجم الخبر أفواههم ، وجعلهم أذانا فحسب ، فلما أتمها قال له القائد العام :

— ياهذا اني أراك سيء الحظ أكثر من أن تكون مذنبا ، لا تثريب عليك واني لابرىء ساحتك الا اذا رأى المرشال غير هذا

— واذا سمع الامبراطور بالحادثة ؟

— فسيكون القتل نصيبك ، ولكن دعنا الآن من هذا وهيا ندبر خطة ننتقم بها من هؤلاء الاوغاد ، أوشاب الانسانية ، لابد أن يكون الثأر شديدا حتى نخمد فى نفوسهم الوحشية والدناءة

* * *

وفى ساعة من الزمن هدت فرقة من الجند رحالها على رأسهم الجنرال بصحبة الضابط فكتور واذ علم الجنود بمصير زملائهم الذين أخذوا على غرة ثارت فى عروقهم دماء الانتقام واستحالوا شعلة تتأجج لأحرق الاسبان واقسموا أن ينتقموا لاخوانهم الذين تردوا فى الميدان كالنعاج المذبوحة وان يكون الانتقام فظيعا وقد دفعتهم هذه العاطفة لان يقطعوا المسافة بين مدينة مندا وبين مركز القيادة العليا فى مدة قليلة

ورأي الاسبان أنفسهم محاصرين وعلموا أن الجنرال لايتردد لحظة فى الفتك باهل المدينة لاتأخذه فى ذلك شفقة ولا رحمة فبعثوا اليه رسل المهادنة ورضى هو أن يسلم كل من فى القصر أنفسهم اليه من أصغر الخدم الى المركيز نفسه واتخذ القصر مركزا للقيادة العليا وأمر بكل فرد من أفراد الاسرة الحاكمة وخدمها بان يقيد . ونكل بالثوار أشد تنكيل ولم يرحم رجلا ولا امرأة ولا طفلا بل ثارت فيه غريزة الوحشية وبينما هو فى مجلس من رجاله اذ أقبل عليه فكتور مارشاند وقال له :

— أسألك يامولاى أن تجيب لى طلبا ، هو أن المركيز يرجوك أن تفرق بين الاشراف وبين العامة ، وذلك بان تطيح رقابهم بيد الجلاد لابالمشنقة ، وأن تفك قيودهم التى كبلوا بها ولن يحاولوا الهرب ، وذلك عهد قد قطعوه على أنفسهم ، وأنه ليتخلى لك عن جميع أملاكه وأمواله اذا عفوت عن أحد أبنائه الشبان ، ووهبته الحياة ! فما قولك يامولاى ؟

— إن أمواله قد أصبحت ملكا للملك جوزيف ، ولكنى سأهبه ماطلب ، وان كنت أعرف علة رجائه فى أن يبقى اسم الاسرة ببقاء فرد منها ، ولاينـدثر ، سأهب ذلك لمن يرضى منهم أن يكون جلادهم ، ويطيح برقابهم ، والآن لاتذكر لى شيئا عنهم البتة ! !

* * *

اجتمع الضباط فى الحجرة التالية يتناولون غداءهم وكانوا فى نهم شديد أثرما كابدوه من نصب وتعب، فاقبلوا على الطعام كالوحوش الضارية، قد انشبت مخالبها فى فريسة دسمة بعد طول سغب وتفقدوا الضابط فكتور مارشاند فلم يجدوه بينهم، ذلك لانه مضى الى الحجرة التى فيها عائلة المركيز، وآلمه أن يرى سادة الامس ومن كل الفار هامهم مقيدين كالعبيد، قد ارتسمت على وجوههم دلائل الاسى الشديد واللوعة المرة، وأي لوعة أشد على النفس من أن ترى المرء عبدا حقيراً يتحكم فيه وهو السيد المطاع!

وسرت رعشة فى جسد الضابط حين فكر فى هذه الرءوس الجميلة، وأنها ستهوى على أقدام الجلاد، مصبوغة بالدماء وكأنما هم كانوا يفكرون فى هذا الامر نفسه، فقد بعثروا حولهم تنهدات الالم والحزن التى ملأت جو الغرفة، وإذ أبصروا فكتور يدخل حجرتهم اشرأبت اليه أعناقهم طمعا فى أن يكون حاملا اليهم بشرى العفو عنهم، فأمر الجند أن يفكوا قيود السادة ومضى هو بنفسه يحل وثاق كلارا فقابلته على صنيعه هذا بابتسامة اغتصبتها اغتصابا، ومس فى رفق ذراعها البضة الناعمة، وأعجبته خصلات شعرها الفاحم، المتهدل على جبينها الوضاء، وفتنة قدها الممشوق الجميل، وخصرها الاهيف، فسألته هل نجح فى مهمته فهمهم همهمة حزينة مضطربة، وجال ببصره فى وجهها ووجه إخوتها الثلاثة وكان «جوانيتو» أكبر الابناء سنا، يبلغ من العمر الثلاثين عاما وأخوه «فيليب» عشرين ربيعا وكان «عمانويل» يبلغ ثمانية أعوام، ذا أنف رومانى وطلعة جميلة

جمع فكتور أطراف شجاعته ثم أسر اليها برأى الجنرال فسرت رعدة الرعب فى أوصالها، ولكنها تشجعت ومضت تخبر أباها بما أسره اليها فكتور، وزادت عليه قولها:

— أبى! عليك أن تأمر جوانيتو، وعليه أن يصدع لأمرك اذا كان مخلصا لك، ففى طاعته إياك وتلبيته لرغبتك إسعادنا، فلما سمعت الأم ذلك أحست بالامل يعاودها، وظنت أن نجاتهم أصبحت قاب قوسين أو أدنى، وما علمت أن المركيز إذ ذاك يطلب من ولده أمراً إداً، تنهد له الجبال هدا. وإذ تبينت الحقيقة وعلمت بالواقع المؤلم ارتدت الى الوراء تعلوها صفرة اليأس وعرف جوانيتو السر، وأنه سيظل حياً لا يقتل، اذا قام باطاحة رقاب أمه وأبيه واخوته، فثارت دماء الغضب حارة فى عروقه، وهب ثائراً كالاسد قد الفي نفسه أسير قفص من الحديد، بعد أن كان يطأ الثرى تيها فى زهو الامير وخيلاء العظيم، ويرى الغابة كلها تكاد تضيق عن خطى أقدامه، ولكن الاب هدأ كل ذلك بنظرة دقيقة الى ابنه وقال له «جوانيتو»

فكانت إجابة جوانيتو هزة الرفض من رأسه وارتمى خائرا على مقعده، يصعد ناظريه فى

أبويه ، وقد تجلت الدهشة والاسى والغضب فى عينيه الحائرتين ، فلما رأت كلارا إصرار أخيها على الرفض ، تركت مكانها الى حيث جوانيتو وطوقت عنقه بذراعها البض وجثت أمامه وقبلته فى عينيه قائلة :

— أى جوانيتو ! يا أعز ماأملك ! آه ! . . . ما ألذ الموت اذا كان من يدك . إنك لاتدرى حلاوته كما أشعر بها الآن . أنقذنى ياجوانيتو . من يدى السفاح . الملوث اليدين حتى لايقال . . ان جلادا حقيرا أطاح رقاب العائلة الحاكمة ، وأنقذنى من براثنه ، ومن بين مخالب رجل آخر . .

ثم نظرت شزرا الى فكتور ، نظرت اليه نظرة تفيض حقداً وكراهية واحتقارا ، وكأنها بذلك تثير فى نفس أخيها الحقد والاحتقار للفرنسيين ، وتشعل الضغينة فى صدره عليهم ثم قال له أخوه فيليب متوسلا :

— كن شجاعا صنديدا ، والا محوا اسم عائلتنا الشريفة من الوجود

وأمره الاب فلم يجب، فجثا المركيز أمامه هو واخوته جميعا ورفعوا أكفهم متوسلين اليه أن يضع المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة ، وأن ينقذ اسم العائلة من أن يدنس ، وعرف الاب من أين تؤكل الكتف فأهاب به قائلا :

— أى بنى ! أغادرتك شجاعة الاسباني واحساسه الشريف ؟ ! أجثو أمامك وأتوسل اليك ولاترد طلبى ؟ أتفكر فى ألمك فحسب ولاتزنه بآلامنا جميعا اذا أصررت على المكابرة ؟

ثم التفت الى زوجته قائلا

— أهذا ولدي يازوجتى المركيزة ؟

فقالت فى يأس : سيلبى طلبك أيها المركيز

ولمحت جبين جوانيتو ينعقد أكثر ، وتبينت أنه يألم لها اكثر من الجميع ، وحينذاك كانت أخته الثانية «ماركينا» قد تعلقت باطراف ذيل أمها بقبضتيها الضعيفتين ، وأخذت تذرف الدموع فلما شاهدها فيليب لامها وانتهرها . واذ ذاك دخل الحجرة كاهن المدينة ، فالتفوا حوله كصغار الطير ومضوا به الى جوانيتو الصامت ، فلم يستطع مرشاند حينئذ أن يري هـذا المنظر الاليم ، فبارح الغرفة الي حيث يجتمع الجنرال مع بعض قواده يجرعون الخمر ، وقد أصدر أمره باحضار فرقة من الجند تذب الناس عن أن يقربوا من جثث الخـدم المشنوقين مدلاة أمام أعين السابلة ، ووقف الجلاد بهيئته المفزعة ليحل مكان جوانيتو اذا ماخانته شجاعته ، ولم يستطع أن يقوم بتنفيذ

ماعهد اليه . وصدع هذا السكون الضارب أطنابه على المكان وقع أقدام عائلة المركيز ، يحيط بهم الجند شاهرين سيوفهم يلمع فى ظباها الردى ، ولم تفارق الهيبة أفراد الاسرة ، وكانوا يتقدمون الى حيث النطع ممدود فى خطوات هادئة ، لا أثر للخوف او الاضطراب فيها ، غير أن أحدهم قد علته صفرة الموت ، سار متكئا على ذراع الكاهن الذى أخذ يهدىء روعه المضطرب بترانيم دينية ، فعرف الجميع حينئذ أن جوانيتو سيقوم بمهمة الجلاد فى إطاحة الرقاب . وجثا الجميع قريبين من المقصلة ، وأى مشهد آلم للنفس من أن ترى عزيز قوم ذلّ ؟ لقد كان المركيز وزوجته وابنتاه وولداه أمام جوانيتو الذى أسر اليه الجلاد ببعض كلمات فى كيفية الاعدام !

* * *

حينئذ اقتربت كلارا من أخيها وصاحت به

— جوانيتو ! ابدأ بى إذا أردت أن ترفق لشجاعتى المنهوكة . هيا أطح رأسى أولا !

وساعتئذ ابصر الناس الضابط فكتور مارشاند مسرعا نحو كلارا التى جثت على ركبتيها تتأهب للامر الواقع ، وتستعد لان يطاح رأسها ، فلما حاذاها تماما قال لها فى أذنها :

— إن الجنرال ليعفو عنك ويهبك الحياة اذا رضيت به زوجا لك !

فصوبت اليه نظرة ملؤها الكبرياء بنفسها ، والازدراء له ، ثم صاحت باخيها كأنها اللبؤة الضارية فى شدة :

— هيا ياجوانيتو . . انى على أتم استعداد . . .

وإذ ذاك أبصر الناس رأسها الجميل يتدحرج تحت قدمى أخيها ، وقد انفصل عن جسدها وسرت الرعشة فى جسد أمها إذ رأت ابنتها تقتل على مقربة منها ، ولكنها ملكت عواطفها وتقدم أخوه « عمانوبل » وسأله :

— أتراني فى مكاني تماما أيها العزيز جوانيتو ؟

وطاح برأسه ، ثم أقبلت أخته الصغيرة « ماركينا » والدموع تنهمر من عينيها ، وجثت على النطع ، ماركينا تلك الفتاة الصغيرة التى لاتعرف شيئا والتى تتمثل فى نظراتها البراءة والسذاجة ؟

فلما أبصرها جوانيتو تبكى ، ثارت فيه عاطفة الاخوة قائلا :

— حبيبتى ماركينا . . . أتبكينى يا أختاه ؟

فقالت — نعم ياحبيبى جوانيتو ، انى أبكى من أجلك ، اشد مايؤلمنى أن تظل وحيدا بعدنا تبحث عنا فلا تجدنا معك

ولـكنه رفع السيف فى يده ثم أهوى به على رقبة الصغيرة ، فتدحرج رأسها وقد انفجر الدم وصبغ شعرها الاصفر الجميل بلونه القانى ، واذ ذاك تقدم منه أبوه المركيز فصوب ناظريه وصعدهما فى دماء أبنائه الجارية تحت قدميه ، كأنها المياه المتدفقة شاهدة على ظلم الانسان لأخيه الانسان ، ثم التفت صوب الجماهير الذين عقدت الدهشة ألسنتهم ، فـكانوا أصناما لاتتـكلم أو تتحرك ، تأثرا من هذا المشهد المروع ، ثم مد يده الى جوانيتو وصاح فى صوت قوى النبرات حادها قائلا :

— أيها الاسبانيون ! انى ابارك ولدى وأهبه دعوات الابوة ، والآن هيا أيها المركيز أطح رأسى ، ولايأخذك الخوف أو الرعب . هيا لاتثريب عليك أو جناح !

فلبي نداء أبيه صامتا حزينا

وحينئذ أقبلت أمه ، منهوكة القوي وخائرة الاوصال ، كيف لاوقد رأت أبناءها جميعا ، وزوجها المركيز تطاح رقابهم ، ألم يؤلمها ذلك المنظر وهي تشاهد بنيها وولديها تتدحرج رقابهم معفرة بدمائهم الطاهرة ، انه قلب الام الذى

لاربة النسيان ترحم حزنه وترى بكاه
كلا ولا الايام تبلى فى أناملها أساه
الا اذا ضفرت له الأقدار إكليل الجنون
وغدا شقيا ضاحكا تلهو بمرآه السنون

أقبلت أمه متكئة على ذراع الـكاهن ونظرت اليه نظرة الوداع ممزوجة بأحر الالم ، فما رآها حتى تنبهت حواسه الخامدة وثار غاضبا وقال :

— كلا كلا لن أقتلها ، إنها أرضعتنى صغيرا من ثدييها هذين !

فانتفض الجميع حين سماعهم هذا وانتزعت تلك الـكلمات صرخة الفزع من قلوبهم جميعا وسكنت ضحكات الضباط وعرفت المركيزة وقتئذ أن شجاعة جوانيتو ولت ، ولم يعد ذلك القوي فجمعت ماتبقى من شجاعتها المبعثرة ثم قفزت من فوق قمة المنحدر فهوت فى القاع وقد مزقتها الصخور الجاثمة فى أسفله شر ممزق ، فهتف الجمهور المشاهد هتاف الاعجاب . أما جوانيتو فقد غشى عليه وحملوه الى الخارج وظل يعيش فى وحدته يناجى خيال اخوته وأبويه ، وأطلق الجميع عليه لقب « الجلاد »

حسن محمد حبشى

جنون العظمة

بقلم الدكتور أمير بقطر

نقصد بالجنون هنا أوسع معانى الكلمة . نعنى به التمادى فى خطته الى أبعد مايدخل فى حدود المعقول ، والاسترسال فى رأى الى حد تنبو عنه الطبيعة البشرية ، وتنفر منه الاذواق السليمة . نعنى به تلك الثورة النفسية الحادة التى تطوح أحيانا ببعض الرجال الى أعمق أعماق الخديعة والنذالة والقسوة، والفتك بعباد الله الآمنين

نعنى به تلك النفس الجامحة الهائجة الطموحة ، التى ثملت بنشوة الشهرة والفوز ، وترنحت بخمر الجاه والسطوة والسلطان، فقذفت بصاحبها الى سماك الجبروت والزهو والخيلاء ، وحلقت به فى سماء العجب والتيه والاختيال ، فداس بقدميه رغبات الافراد والشعوب، واستهتر فى سبيل الاثرة وحب الذات ، حتى أسف الى أحط درجات الاسفاف ، وتغلغل فى مراتع القصف والترف واللهو الي أقصى حدود التغلغل

نعنى به شدة التطرف والشذوذ والخروج عن المألوف ، خروجا يحاكى من أصابه مس من الخبل أو اعتراه طائف من الجنون

هذا مانعنى بالجنون فى بحثنا . أما العظمة فلا تحتاج الى بيان ، اذ أنها الصفة التى تلازم فطاحل الرجال من الملوك والزعماء السياسيين والاجتماعيين، والفلاسفة والكتاب وقادة الرأي وقواد الحروب وأساطين العلم ورؤساء الدين ، والبراطرة والحكام والسلاطين

ويمكن أن نقول أن حقيقة موضوعنا جنون العظماء (لا جنون العظمة) على أصح تعبير ، وأرجو ألا يتبادر الى ذهن أحدنا أننى أتكلم عن العظماء عامة ، أو أننى اتحدث عن المجانين عامة ، حاشا فهيهات أن يكون كل العظماء مجانين ، وهيهات أن يكون كل المجانين عظماء . واسمحوا لى أن أذكركم بالحقائق الاتية التى قد تكون خاصة على بعضكم وهي

أولا — أن ذلك النوع من الجنون الذى نؤاخذ عليه العظماء ، قد يتصف به غير العظماء ، غير أننا لانعيره اهتماما ، ولا يسترعى أنظارنا ، لعدم شهرة أصحابه وخمول ذكرهم

ثانيا — يظهر أن العظمة كالعبقرية تلازمها فى كثير من الاحايين صفة من صفات الجنون التى اسهبنا فى تعريفها فى صدر الكلام

ثالثا — قد يكون جنون العظماء مسا حقيقيا فى العقل ناتجا عن اضطراب فى الجهاز العصبى مصدره امتداد السلطان ، أو خمرة الانتصار أو ذيوع الشهرة أو وفرة التفكير وانشغال البال واشتداد الهمة ومواصلة العمل أثناء الليل وأطراف النهار . ويكون هذا المس وقتيا يعاود صاحبه من حين الى حين

رابعا — قد يكون جنون العظماء منتهى الحكمة وعصارة العقل ، وخلاصة الذكاء . معنى ذلك أن ما نسميه جنونا أحيانا ان هو الا ابتكار لا يدرك كنهه الا ذلك العظيم المبتكر ، أو فكرة لا يعلم مراميها ويقرأ منافعها من وراء حجب المستقبل البعيد ، سوى العظيم صاحب الفكرة

خامسا — ان جنون العظماء الذى قد يروعنا أمره لصدوره من أولئك الافذاذ العباقرة . هو ثمرة تلك الطبيعة البشرية التى يقول لنا علماء النفس انها لا تزال على فطرتها الاولى كما اتصف بها أجدادنا منذ



الدكتور أمير بقطر

عشرات الالوف من السنين حينما كانوا يتسلقون الاشجار ويعيشون فى الادغال تلك الطبيعة التى رغم تقدم العقل الانساني تقدما لامثيل له فى عالم الماديات والمخترعات والاستكشافات ، ورغم انتشار العلوم والمعارف التى هتكت استار الكون واخترقت حجب الظلام رغم كل ذلك لا تزال تلك الطبيعة البشرية همجية وحشية خشنة فظة لاتختلف الا قليلا عن طبائع الضوارى فى القفار ، والوحوش فى الغابات والآجام

* * *

لنرجع الان الى التاريخ نقلب صفحاته . ولنأخذ من هنا ومن هناك أفرادا من رجاله الذين تخلدت اسماؤهم ، سواء أأجمع المؤرخون على الاطناب فى صفاتهم أم اختلفوا وسواء أاتفقوا على القدح فى شمائلهم ، أم لم يتفقوا

وكما قلنا فى تعريف العظمة ، قد يكون بين هؤلاء الافراد الذين سنتخذهم أمثلة لموضوعنا من لايستحق أن يدعى عظيما فى نظر البعض ولكنا ندرجه بين العظماء لان التاريخ قد خلد اسمه على كل حال . فلو كان الشيطان شخصية تاريخية حقيقية غير وهمية له اسم ولقب وتاريخ ميلاد ووفاة وصناعة ومكان مختار لما ترددنا لحظة فى وضعه فى مقدمة هذه الامثلة . لانه رغم كونه شخصا وهميا خياليا لاوجود له ، فانه بلا شك شيخ المجانين اذا قصدنا بالجنون معناه العام الشامل ، وهو المعنى الذى نقصده . كما أنه كذلك عظيم بلا نزاع ، اذا قصدنا بالعظمة المعنى الذى حددناه فى موضوعنا

* * *

ولنبدأ الان بالتأمل فى حياة بعض هؤلاء العظماء لنبحث عن نصيبهم من الجنون أو اذا تساهلنا فى التعبير فلنتأمل فى هؤلاء المجانين لنبحث عن نصيبهم من العظمة

وليكن أول هؤلاء الاسكندر أو اسكندر الاكبر ، أو اسكندر ذا القرنين (سنة ٣٥٦-٣٢٣ قبل الميلاد) وتربطنا به نحن المصريين صلة قرابه ، اذ أن عاصمتنا الثانية أسست بيده وسميت باسمه

لم يكن الاسكندر مجنونا بالمعنى الخاص كما يتضح من هذه الحقائق التاريخية الثابتة . فقد ولد من أب كان شعلة من الذكاء ، وهو فيليب المقدونى ، وربى على يدي ارسطو رب العلم والفلسفة فجاء الاسكندر خلاصة الحسب . لم ير الاغريق أكرم منه أخلاقا ، ولا أنبل فطرة ، ولا أطيب عنصرا ، فكأن شمائله سبكت من الذهب المصفى

قتل أخوه الصغير من كيلوبترا زوجة فيليب الثانية ، وكذلك امنتاس ابن عمه ، حتى يخلو له

سرير الملك . شب الاسكندر شجاعا فوق كل شجاعة . وبطلا مغوارا لا تعادله بطولة . شديد الولع بمجابهة الاخطار وملاقاة الخطوب ، ماهرا فى اذكاء نار الحماسة فى الجنود ، حاذقا فن الحيل الحربية ومفاجأة العدو بعد استدراجه والتقهقر أمامه تقهقرا مصطنعا ، وقد تولى زعامة جيش وهو فى السادسة عشر من عمره ، أخمد به ثورة اندلع لهيبها فى تلال مقدونية

وكان له فوق مواهبه الحربية صفات ممتازة تستحب . فقد كان خصب الخيال ، ثابت العزيمة عاملا لايتطرق اليه الملل . وكان على النقيض من ملوك الرومان ، عفيفا ، عزيز النفس ، قوى الشكيمة ، فى ضبط عواطفه وشهواته ، شديد المحافظة على الشرف والاعتزاز بالنبل ، دقيقا فى واجباته الدينية نحو الالهة ، ماهرا فى اصابة الحكم ، عندما كانت ترتاب حاشيته فى الشكوك والتردد شديد الغيرة على انجاز وعوده

وكان بعيداً عن التبذير ، يغل يده الى عنقه فيما يختص بنفسه ، ويبسطها كل البسط فيما يتعلق بالغير ، وكان بذولا ، فياضا ، بسيط الكف فيما يختص بحاجات الدولة

ولكن . . رغم ما جبل عليه من الاريحية وما نحت عليه من المروءة ، فانه من الغريب ، لم ينج من ذلك الخبل ، ولم يفلت من نزعة الجنون التى كثيرا ما تصيب العظماء . فقد كان مجنونا فى حب الشهوة ، والظهور بمظهر العظيم الفاتح القاهر ، حريصا علي الشموخ فوق الجميع فى كل زمان ومكان . يغضب اذا ما انتقده الغير ، أو أسدى اليه الاصدقاء النصيحة ، ينصت الى عبارات المديح والملق ساعات ولا يمل ، ويفتح أذنيه لمن يطنب فى صفاته ، ولا يشبع . وقد زاده طول شعره ، وجمال طلعته غرورا بنفسه ، فأطلق شعره فوق عنقه ووجهه وزينه تزيينا ، قلد به الاسد الضرغام . فكان يخاله الناظر اليه وهو جالس مسندا رأسه الى يديه ، كأنه ليث رابض فى عرينه ، وكان اذا جرؤ أحد على مخالفته ، زأر زئيرا ، وزمجر زمجرة ، ، انتفض لها اقرب المقربين اليه . وقد تمادى فى ادعاء الجبروت والقوة والعظمة ، حتى انتفخ كبرياء ، وادعى الالوهية عقب عودته من فارس ، وحض الشعب على عبادته ، والسجود اليه ، وزعم أن نسبته الي فيليب المكدوني والده ، او اتصاله بأى نسب انسانى كان ، أمر لاصحة له على الاطلاق . ولما جرح أخفى جراحه ، وأنكر اصابته ورفض فى بادىء الامر أن ينعكف فى فراشه ، وأراد أن يلقى بنفسه فى نهر الفرات بعيدا عن عيون الرقباء ، حتى يقال عنه انه كان سليل الالهة ، وانه لم يمت بل صعد الي السماء حيا كسائر الالهة

نترك الاسكندر ، ونقفز قفزة سريعة ، مداها ثلاثة قرون أو أكثر ، الى عصر الرومان فى فى الجيلين الاول والثانى بعد المسيح . واذا ماذكرنا روما فى ذلك العصر ، عادت الى الذاكرة

العظمة ، والمدنية ، والثقافة ، والفن . يحدثنا التاريخ أن روما فى القرنين الاول والثاني للميلاد كانت أكثر مدنية وثقافة من انجلترا فى عهد الملكة فكتوريا . مثال ذلك أن توزيع المياه وتوصيله للانابيب الى المنازل ، كان لايقل نظاما عما هو عليه اليوم فى أكثر البلدان تمدينا . وأن الهواء الساخن الذى تتمتع به الفنادق والمنازل فى أوربا وأميركا اليوم فى فصل الشتاء « ولا تتمتع به فى مصر » كان معروفا فى كل قرية رومانية فى الجيل الاول للميلاد . وكان التعليم فى الدولة الرومانية سنة ٢٠٠ للميلاد ، اكثر انتشارا ورقيا منه فى دولة ايطاليا سنة ١٨٥٠ للميلاد

ويحدثنا المستكشفون الفرنسيون أنه مع شذوذ الكثيرين من حكام الرومان وبراطرتهم وتفننهم فى ضروب الجنون ، وانغماسهم فى مراتع اللهو ، والقصف والترف ، فانهم كانوا ميالين الي التعمير والاصلاح ، شديدي الغيرة والوطنية

وقد عثر أولئك المستكشفون على آثار يستدل منا يقينا أنه كان للرومان فى الجيل الثاني للميلاد مستعمرة فى شمال افريقيا (ولعلها ليبيا وطرابلس) استحالت فيها الصحراء الجرداء بفضل جهودهم جنة ناضرة ، وأن أحد سراتها وهب مكتبة للمدينة التى يسكنها أنفق عليها مايعادل اليوم بالعملة الانجليزية نحو ٩٠٠٠ جنيه ، وأرصد لها من ماله ٢٠٠ جنيه سنويا ، وتبرع بثلثى نفقات مدرسة ثانوية بشرط أن يتبرع أهل المدينة بالثلث الباقى (وهذا ما يجري اليوم تماما فى أميركا وأوربا وعلى الاخص فى أميركا فان المحسن يتبرع بجزء كبير من نفقات مشروع بشرط أن يتبرع غيره بالباقى فى زمن معلوم) . وتبرع غيره بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه للفقراء و ٤٠٠٠ للحمامات العمومية (للفقراء ولا يوجد عندنا شيء منها) و ١٦٠٠ جنيه للمعتقين من العبيد

فى جانب هذه المدنية الراقية التى تزرى بمدنية هذا العصر فى كثير من البلدان . وبجانب هذه الغيرة على الوطن النادرة المثال ، وبجانب هذه العظمة التي حسبنا الاشارة اليها ، كلما أشرنا الى مجد روما الغابر ، وتاريخها الخالد ـ بجانب هذه المظاهر الخلابة نجد عظماء تلك الدولة ونبلاءها يسكرون بخمر العظمة والسلطان فى قصور الدولة ، كما يسكرون بخمر الدنان فى مواخير بومباى.

كان يأكل العظيم منهم حتى يتخم ، ويملأ بطنه من اللحوم حتى يبشم ، ويستهتر بالشراب ، ويسف الخمر حتى تلعب براسه . ولا يزال كذلك حتى لايطيق احتمال المزيد . فيعمد الى دنان مطمورة في الارض لهذا الغرض . ويقىء فيها كالكلب، ثم ينزل الى بركة للسباحة يغتسل فيها عاريا ، مع حسان

عاريات . فاذا ما نال منهن وطره ، أعاد الكرة لالتهام الطعام واحتساء الشراب . وهكذا يقضى شطرا كبيرا من العمر بين الكؤوس والدنان . والنساء الحسان ، حتى يهىء له القضاء امرا كان محتوما

وبلغ جنون الحكام والبراطرة فى عهد الرومان درجة لم يسبق لها فى تاريخ الظلم والاستبداد والقسوة والاستهتار بالارواح من مثيل . وكانت نتيجة ذلك الجنون وهذا الاستبداد ، ان حياة رجال الدولة وكبارها باتت فى خطر مستديم . فاذا ما لاحظ أحد الوزراء او أعضاء المجالس التشريعية أو أحد كبار رجال البلاط ، ان الامبراطور عابس فى وجهه او اذا تخيل ذلك ، أيقن أن سيد البلاد غير راض عنه . فلم يبق أمامه الا أن يغلق بابه ويدخل مخدعه ، ويقطع شريانا من شرايينه ويستنزف دمه حتى تزهق روحه بعد أن يكون قد كتب وصية حرم فيها جميع ورثته وأوقف جميع ماله وعقاره على ذلك الامبراطور (الذى عبس فى وجهه) وختم وصيته بالدعاء الى الامبراطور والاطناب فى عظمته وحسن خصاله والقول بأنه أعدل الحكام وأشدهم رحمة بالعبادة وأكثرهم صلاحا وتقوى

وقد تفنن حكام الرومان فى الجنون ، فضربوا فيه بسهم وافر ، ولا يبعد أنه على يديهم نشأ المثل العالمى المعروف « الجنون فنون » فمن هذه الفنون فن الفتح والغزو ، واستعباد الأمم المغلوبة على أمرها ، ولا يزال للاسف هذا اللون من الجنون ، يزين هامات بعض الملوك من غير ذوي التيجان . ومن هذه الفنون ، قاتلها الله ، احتساء الخمر حتى يستحيل صاحبها حيوانا جامحا ، وبهيما طائشا ووحشا ضاريا ، ويتبع ذلك الفن عادة ، الاستسلام للشهوات الحيوانية ، والغوص فى لججها فى وسط زمرة وفيرة العدد ، من فاجرات النساء ، وأشدهن جمالا وخديعة ، وعهارة واستهتارا . ومن هذه الفنون التعطش إلي الدماء ، والاستمتاع بتقتيل الابرياء والشهداء ، ورؤية الارواح تذوب أمام عيونهم على شفرات السيوف . وقد بلغ شغفهم بهذا النوع من الجنون مبلغا قال فيه أحد المؤرخين إن لحكام الرومان وبراطرتهم غريزة خاصة يولدون بها وتمتزج بدمائهم ، وراثة أبا عن جد ، وهي غريزة الولوغ فى الدماء

وليس ثمة من المبالغة فى شىء أن يقول لنا المؤرخون ، بأن براطرة الرومان وعظماءهم ، كانوا يقضون شطرا كبيرا من الزمن فى مسارح المصارعات والالعاب الرياضية و « الامفتياترات » ولا تزال أثارها موجودة إلى اليوم كالكولوسيوم فى روما وفيرونا ، يشاهدون الشجعان تفتك بهم الاسود ، وتمزق أعضاؤهم جذاذا ، بينما هم (البراطرة) فى مقصوراتهم الفخمة يأكلون ألسنة البلابل

مشوية ، تقدم لهم أطيب الاطعمة فى أطباق من الذهب ، وأعتق الخمر فى أكواب من المعادن الثمينة ، وتحيط بهم الحسان إحاطة السوار المعصم أو الهالة بالقمر ، فمن جالسة على ركبتيه ، الى مطوقة عنقه ، إلي مقبلة وجنتيه ، إلى مهيئة طعامه ، الى ساقية خمر . ولا يطيش سهم ظننا بعيداً اذا استنتجنا أن ملاهى كبار الاندلسيين (الاسبان) اليوم ، ما هي الا صورة مصغرة لملاهي الرومان ، فان أحب الاشياء الى سراة الاسبان اليوم ثلاثة : النبيذ والنساء والثيران أو كما يقول كتاب الانجليز wine , women & bulls

بيد أن العدل يقضى بألا نسترسل فى لوم هؤلاء الذين شئنا أن نلقبهم بالمجانين ، لان بعض اللوم منشاؤه البيئة التى ترعرعوا فيها ، وتقاليد الازمنة التى فيها يعيشون . ان ألوان الجنون « كالمودة » تروح وتجىء ، وتتعدل وتتطور ، فيتزيا بزيها العظماء أحيانا رغم أنوفهم ، ونزولا على ارادة بطاناتهم . ويدلنا التاريخ على أن عصر البذخ والتبذير والفخفخة فى عهد نيرون تبعه التدبير والبساطة فى عهد « فيسبيسان » خليفة نيرون ، وكانت الحياة فى عصر تراجان وهدريان منظمة مهذبة ، وكانت الفلسفة فى عهد أورليوس أكثر انتشارا بين العظماء والاشراف من الرذيلة ، وأكثر تحببا الى قلوبهم ، وتقربا الى أفئدتهم من أقداح النبيذ ووجنات الحسان

ولا أكون مصيبا المرمى اذا تركنا الحديث عن الرومان قبل أن نعرج على كبير المجانين ، صديقنا نيرون الملقب بالظالم (٣٧ — ٦٨ ميلادية) الذى قيل عنه كذبا أو مبالغة أو صدقا ، أنه أحرق روما الخالدة ، وجلس ينشىء قصيدة وصفا فى مجدها الذائب فى نار الاتون ، المندلعة ألسنها وأمامه كعادته أقداح النبيذ ، وعازفو الموسيقى ، ومهرة المغنين والمغنيات والراقصين والراقصات

ويحمر الجبين خجلا اذا ما أتينا على كل ما اتصف به نيرون من ألوان الجنون ، وضروب الشذوذ . وحسبه أنه قتل جميع أقاربه ، حتى ظلت الاسرة المالكة قبله وفى عهده وبعده بغير قيصر وارث نحوا من مائه سنة . ومن أولئك الذين نالهم سيف جنونه ، كلوديوس ، الذى قتله نيرون بيده بالاشتراك مع أمه « أجريبا » ومنهم سنيكا مربى نيرون ومعلمه — سنيكا ذلك الفيلسوف الروائى الكاتب الذى ربح من رواياته التراجيدية ، مارفعه الى منزلة الموسرين الاشراف الارستقراط ، وحمل سنيكا على الانتحار بواسطة ذلك الطاغية تلميذه نيرون سنة ٦٥ م . ولم يكتف بقتل أقاربه حتى قضى على حياة أقربهم اليه وهى أمه أجريبا ، فقد سولت له عاصفة جنونية أخيرا أن يذبحها ذبح الاغنام ، فلما اقتربت منها جنود نيرون ، توسلت اليهم أن يطعنوها بالخناجر فى بطنها قائلة وهي

تبكى « اطعنوا غير آسفين ذلك البطن الخبيث الذى حمل ذلك الوحش المفترس »

كان نيرون مشرق الجبين ، وضاح المحيا ، تلوح عليه منذ الصغر ديباجة الحسن . وكان كالاسكندر مولعا بشعره الجميل الكثيف المنساب على وجهه . وكان كلما هز رأسه لابعاد الشعر عن عينه ، امتلأ المكان بالعبيق وشدة العطور . ولكنه كان خسيس الملكة ، دنىء الاصل والفرع ، طوى على الشر ، وكأنه كانت تجرى عصارة الفساد والتهتك فى دمه ، فكان وهو فى السابعة عشر من عمره يداعب الزانيات ، ويقبل الخليعات على قارعة الطريق

فهل من المستغرب أن نسمع عنه أنه تزوج غلاما ، وضاجع ذكورا ، وزنى بقريباته من النساء؟ وهل من المستغرب أن نرى عظماء القوم ونبلائهم فى عصره ، يتشبهون به ، وينسجون على منواليه، فارتكبوا الفحشاء جهارا مع عماتهم وأمهاتهم ، وخالاتهم وأخواتهم ، وأبناء الاخوة وبناتهم ، والناشىء علي دين ملوكهم ؟ وهل من الغرابة ان تبلغ الجرأة فى عهده أن مهام الدولة الرومانية ، وسياستها الخارجية والداخلية ، كانت تقرر في صالونات السيدات ، وأسرة النوم ومجلس الحسان وأنديتهن ؟ وهل من الغرابة أن تفسح هذه الحياة فى ذلك العصر مجالا لدسائس العصور وفضائح البلاط الرومانى ، على يد أمهر النساء حيلته ، وأشدهن دعارة وتهتكا ؟ ولولا ضيق الوقت لذهبت سريعا ، بهذه المناسبة ، الى مثل هذه الحياة المستهترة فى بلاط لويس السادس عشر ومارى انتوانيت فى فرنسا فى الجيل السادس عشر فى عهد هنرى الثامن الذي كان مزواجا ، كثير التعشق بالنساء من نبيلات وخادمات ، حتى ضرب به المثل ، وكذلك فى عهد مارى كوين أوفاسكوت « الجيل السادس عشر أيضا » تلك الشابة التى استهوت الباب رجال بلادها وغيرهم من عامة الشعب حتى اضطر مجلس البلاط أن يضع رأسها على النطع ويفصل الجلاد رأسها بالفأس وهي فى العشرين من عمرها

نعود الى نيرون ، فنقول ان ثائرة جنونية هيأت له أن في ميدان النبوغ متسعا للجميع ، فخيل اليه أنه مؤلف ، وشاعر ، وموسيقى ، وممثل ، وفيلسوف مفكر ، ولو وقف عند هذا الحد ، وألف ونظم وعزف وأنشد وتفلسف ماشاء من التأليف والشعر والموسيقى والتمثيل والفلسفة . لو فعل ذلك فى قصره أمام النبلاء والاشراف والمعجبين به من رجاله ونسائه ، لهانت البلوى ، ولكن وصل به الخرف والهتر أن يخرج مواهبه المسرحية العظيمة من مكامنها ، فظهر على مسرح روما موسيقياً ، وراقصاً

وممثلا ، وأكثر من ذلك أنه فى سنة ٦٦ ميلادية ، أراد ألا يحرم الشعب اليونانى من هذا النبوغ فظهر بعظمته الامبراطورية على مسرحي أولمبيا ودلفى تباعا فكان عمله مهزلة تاريخية لم يسبق لها مثيل . ومن الغريب أن يثير هذا النوع من الجنون سخطا بطبقة الارستقراطية فى روما ، حتى أن مجلس الشيوخ اضطر أخيراً أن يضع حداً لهذه المهزلة الجنونية ، فحكم عليه بالموت ، ولما سمع اقدام الجنود القادمة لقتله ، جمع أطراف شجاعته ، وأردى نفسه قتيلا بيده

ولمارا ح غير مأسوف عليه لقب بالظالم وحسن الرذيلة كما لقب طبريوس بالظالم الشهوانى (libidian) واقلاديوس بالبهلوان المتحذلق ، وجايوس بالمجذوب المعتوه . ولم يكن نيرون وحده كما نرى مجنونا من مجانين العظماء

ولاضرب لكم مثلا فكها من أمثال الجنون فى شخص جايوس هذا (Gius or Caliula) كان الامبراطور جايوس شديد الاحتقار للنبلاء ، كما هي العادة عند بعض الحكام الذين يباهون باحتقارهم لرجال الدولة ، لزعمهم أنهم عبيد لهم وخدم طائعون

حدث فى أيام جايوس أن خلت وظيفة قنصل جنرال فى مملكة من الممالك التابعة للامبراطورية الرومانية الواسعة الاطراف . فطالب أفراد أسرة شريفة بمنح هذه الوظيفة السامية لأحدهم. واحتقاراً لهذه الاسرة النبيلة التى جرؤت على هذا المطلب ، أصدر جايوس أمره الامبراطورى بتعيين جواده الاصيل قنصلا جنرالا لتلك المملكة . وعين أحد رجاله وكيلا للقنصل بالطبع . وقدذكرتنى هذه المواقعة التاريخية باحدى المجالس المحلية للتعليم فى أميركا فقد أراد ذلك المجلس فى سنة ١٩٣٢ أن يعترف رسمياً بخدمات بغل ظل أكثر من عشرين عاماً يجر عربات لنقل الطلبة الى مدرستهم من قرى مختلفة . فلما جاء يوم توزيع الدبلومات على الذين أتموا دروسهم الثانويه ، دهش الحاضرون أن يروا على المنصة التى وقف فوقها الطلبة من بنين وبنات ذلك البغل الامين بين الطلبة ، وزادت دهشتهم عندما سلم مدير المجلس البغل دبلوم الشرف الدراسة الثانوية مربوطا بالطبع بالشرائط الحريرية . .

ولجايوس الامبراطور هذا طائف آخر من طوائف الجنون فقد كان مولعاً بأصداف أم الخلول وقيل له أن شواطىء نورماندى (الواقعة فى شمال فرنسا على بحر المانش) تكثر فيها أنواع أم الخلول هذه ، فما كان منه الا أنه عبأ عدة فيالق من جيشه . مع عظم المسافة بين روما ونورمندى - وناط بهم جمع الاصداف من هناك

ويعوزنا الزمن اذا عرجنا على جنون الفلاسفة وشذوذهم من ديجون وسقراط وفولتير وكانت ونيتشه وشوبنهور وشوبير وغيرهم من الملوك والقواد والبراطرة والسكرادلة . كنت أستطيع أن أتحدث عن ثورة الجنون التى حدت ببطل الشمال بطرس الاكبر قيصر الروسيا أن يذبح ابنه وولى عهده . ولـكنى سأكتفى بسيرة نابوليون ، وما أظهره من علائم الجنون . أن لهيب العظمة ودخان المجد . يطوحان بأقوى الرؤس إلى حضيض الخبل والمهاترة والوسواس : وليس طغيانه على أوربا ، ومحاولته اكتساح روسيا ، ورغبته فى اخضاع العالم أجمع ، سوى نزعة من نزعات الجنون

وكان سكرتيره الخاص (لويس فلران) ووزيره (جرانف) يفهمان نابوليون جيداً . ففرق بين الحالة التى تهب فيها على نابوليون عاصفه الجنون ، والحالة التى يكون فيها عاديا . فاذا ما أملى نابوليون على سكرتيره رسالة وأمره وزيره أن يعجل فى ارسالها مع رسول ، فان الوزير أو السكرتير يراعى مقتضى الحال . فاذا كانت صادرة عن أناة وتؤدة وروية ، نفذ أمره . واذا كانت نتيجة نزعة جنونية « صهين » عن ارسالها . فاذا ماسئل بعدئذ أجابه « لم أشاء ياجلالة الامبراطور ان اعجل فى ارسالها قبل اطلاعك عليها » ولا يكاد يطلع عليها حتى يقول « لقد احسنت فى عدم ارسالها ، حقاً انك تفهمنى جيداً »

وكان نابوليون كما نعلم يجفو الرقاد ولا يطمئن جنبه الى مضجع نظراً لوفرة اعماله ، وكثرة تفـكيره ، وكان ايضاً صليب العود صادق البأس والصرامة — ومع ذلك فانه جن شغفا بالنساء ، وشدة فى الغرام بهن حتى حامت حوله الشبهات ، فقيل انه كان له علاقات غير شريفة مع زوجة ابنه لويس وهي ابنة جوزفين ، ولما ولدت زوجه هذه ولداً تبناه نابوليون ، فزادت الشبهة رسوخاً فى الاذهان رغم ادعائه انها دسيسة من جوزفين . ومما دل على جنونه من هذه الناحية ما قيل عنه من انه اغوى اخواته واحدة بعد الاخرى ، واتصل بهن اتصالا معيباً . فاذا صحت دعوى المؤرخين فى هذه الرواية ، كان نابوليون شبيها بنيرون بعض الشبه ، ولا غرابة إذا قيل إن مخادع السيدات فى عهده كانت أشد أثراً من قرارات مجلس الوزراء . ولعل لهذا يعزى ضعف ثقته فى المرأة فمن أقواله المأثورة انني أشك فى عفة كل امرأة جميلة

من ضروب الجنون الفـكهة ، أنه حدث بعد تتويجه ان دعا رؤساء الاقاليم المثول بين يدى البابا بيوس السابع — فاقتصاداً للمال قرروا الذهاب من فنادقهم إلى مقر البابا على الاقدام . ولما كانت الشوارع موحلة في شهر ديسمبر فى باريس وطبعوا على سيقانهم لفائف من القماش غطوا

بها جواربهم البيضاء الحريرية . وكان منظرهم فى زيهم الرسمى وسيوفهم البراقة مضحكا . ولما أن مثلوا أمام البابا التى عليهم عظة مؤثرة أذرفت دموعهم . وحدث أن بعضهم كان نسى فوضع تلك اللفائف البيضاء الملوثة بالطين فى جيوبهم فأخرجوها ظناً منهم انها مناديل ومسحوا بها عيونهم فتلوثت وجوههم بالوحل وكان منظرهم «كوميديا» من الدرجة الاولى . . اما نابوليون فاتخذ هذه المهزلة أساساً للضحك وناط بالممثل الشهير مكو تمثيل هذه الواقعة امام الامبراطورة ورجال الحاشية فى باريس فى حفلة تمثيلية اقامها لهذا الغرض .

ونابوليون كثيرون ، ادى به جنون العظمة الى التدخل فيما لايعرف . فقد كان يدعى الفلسفة احيانا فيتكلم عن الخلود والروح والاسلام والمسيحية . او يقرأ من فولتير أو الاوديسيا أو التوراة أمام حفل من الرجال والسيدات ، وكان يزأر غضباً إذا ماغلب النعاس علي السيدات ، وهو يهاتر فى فلسفته ، وظل يقول : « أين الروح فى الطفل ، وأين الروح فى الرجل المجنون ؟ اذا دققت مسماراً فى مخك ذهب عقلك ، فاين تذهب روحك وما مصير الروح بعد الموت ؟ اذا مت أنا أصبح جسمى فى الثرى غذاء للكرمب والجزر . إن الماى بالتاريخ الماماً تاماً يجعلنى بعيداً عن أكون متدينا. أنا لا أصدق أن المسيح عاش حقيقة ولا اعتقد فى الدين المسيحى الا لمذا كان منشأه منذ الخليقة غير أن الدين لازم للمحافظة على نظام المجتمع الانسانى . لقد أخطأنا فى انشاء مجلسى الشيوخ والنواب من العبث أن نقضى الزمن سدى فى الدستور وكانت انجلترا متمتعة به من مئة سنة قبل ذلك التاريخ . . . أن شئت ان تذكى نار الثورة فى بلد فما عليك الا ايجاد ممثلى الامه « . . . وترلو ، وترلو ، كل شىء متوقف على وترلو . . وان المرأة لايصح معاملتها على قدم المساواة مع الرجل . انها لم تخلق الا للتوالد . من المضحك الا يكون للرجل الا امرأة شرعية واحدة . الانسان ثمرة الجو وحرارة الشمس . واذا خيرت بين الاديان فانى أعبد الشمس لانها هي حقيقة الهة الارض » أليس هذا ضربا من المهاترة ؟

ولنسمع ماجاء فى الكتاب الذى وضعه « أصول الايمان » للجامعة . ويحتم على كل طالب حفظه «ما الواجب علينا نحو الامبراطور ؟ علينا للامبراطور نابوليون الاول الاحترام والطاعة والامانة والولاء والخدمة العسكرية . علينا أن نصلى لاجله ولتقدم الدولة الروحى والمادى . نفعل ذلك لانه خليفة الله الذى نصبه على العرش وخلقه علي مثاله . الذين يخونون الامبراطور بحسب تعليم بولس الرسول يخطئون وعليهم لعنات الله الابدية ! » وليس هذا كل شىء فبعد أن أصبح ذلك القائد

الصغير امبراطورا هذه سلطته وهذا سلطانه لم يكتف بان دعا نفسه خليفة الله المخلوق على مثاله ، بل أظهر عدم رضائه . ولما توج امبراطورا فى ديسمبر سنة ١٨٠٤ قال لوزير البحرية « لقد جئت الي هذا العالم متأخرا فنحن فى زمن كثرت فيه المنافسة وليس من الممكن أن يقوم الواحد منا بعمل عظيم بمعنى الكلمة » . ولما استغرب وزير البحرية اعترضه نابليون قائلا « أعلم اننى صعدت سلم المعالي وان حياتى كانت مفعمة بحوادث العظمة ، ولكن شتان بين عصرنا وعصر القدماء ! انظر الي اسكندر ذى القرنين بعد أن استولى علي آسيا زعم أنه ابن جوبتير وماعدا أمه وأرسطو والقلائل من متحذلقي اثينا ، فان جميع الشرق أمن على زعمه . أما أنا المسكين فاذا ادعيت الالوهية فلا يبقي صعلوك او حقير الا ويقابل ذلك بالتصفير حتى زوجة الصياد . كلا يا ديسى ان الناس قد استنارت عقولهم ، ولم يبق أمامنا سوي النزر اليسير من مراتب العظمة ! »

من هذا يتبين أن نابوليون كان على وشك أن يحذو حذو الاسكندر وينادى بنفسه الها

وقيل عن أحد ولاة مصر أنه أمر ان يعد فى الحال يختا خاصا لسياحة نيلية له واعضاء بطانته ، فاعترض ربان اليخت قائلا انه لايضمن حسن النتيجة لان اليخت غير صالح للسفر فى زمن التحاريق غير أن الوالي أصر على رأيه وهدد الربان بالقتل اذا لم تكن النتيجة كما يريد . ولم يسر اليخت كثيرا حتى غاص فى الطين فامر الوالى ان يوثق الربان ويلقى فى النهر ، ولولا شفاعة رجال البطانة لكان الرجل من عداد الاموات . وتشبه هذه الرواية رواية أخرى للكاتب الاجتماعي تيلور فى مؤلفه Primitive Culture ذكر فيها أن أحد براطرة الهند الصينيين حكم على باخرة جديدة لم تحسن السير بالاعدام وفعلا كسرت تكسيرا رغم نفقاتها الكثيرة

ومن الروايات أيضا أن واليا من ولاة مصر عاد من رحلته فى البحر وقبل الاقتراب من الاسكندرية أمر الربان أن يوثق جميع رجال بطانته ويلقون فى البحر بغير سبب . فلما علم رئيس البطانة بذلك من الربان استأذنه فى بضع دقائق ودخل على الوالى راجيا منه أن يمهله حتى يكتب تاريخ الوالى المفعم بالحوادث الجليلة فطلب منه أن يسرد له بعض هذه الحوادث فاخذ هذا يقول ويطنب فى القول حتى رست السفينة عند الاسكندرية ونسى الوالى أوامره

وحدث أن واليا من ولاة مصر أيضا قيل له ان الاجانب يقولون عنه أنه جبان ولكى يبرهن أنه ليس كذلك أمر ان يرصف طريق طوله كيلومتر بالديناميت (عمق بوصتان) ، وأن يترك فضاء صغير جدا بجانب الطريق ثم أمر رجال حاشيته أن يشعلوا سجايرهم ويسيرون بجانب ذلك الطريق فى ذلك المسلك الضيق المحفوف بالخطر . وسار هو خلفهم والسجارة فى فمه وبذلك برهن علي شجاعته .

وارد احد شاهات العجم ان يشاهد مرصداً جديداً بناه فطلب من مديره أن يريه كسوف القمر فلما بين له المدير ان الكسوف ليس تحت أمره قطع رأسه

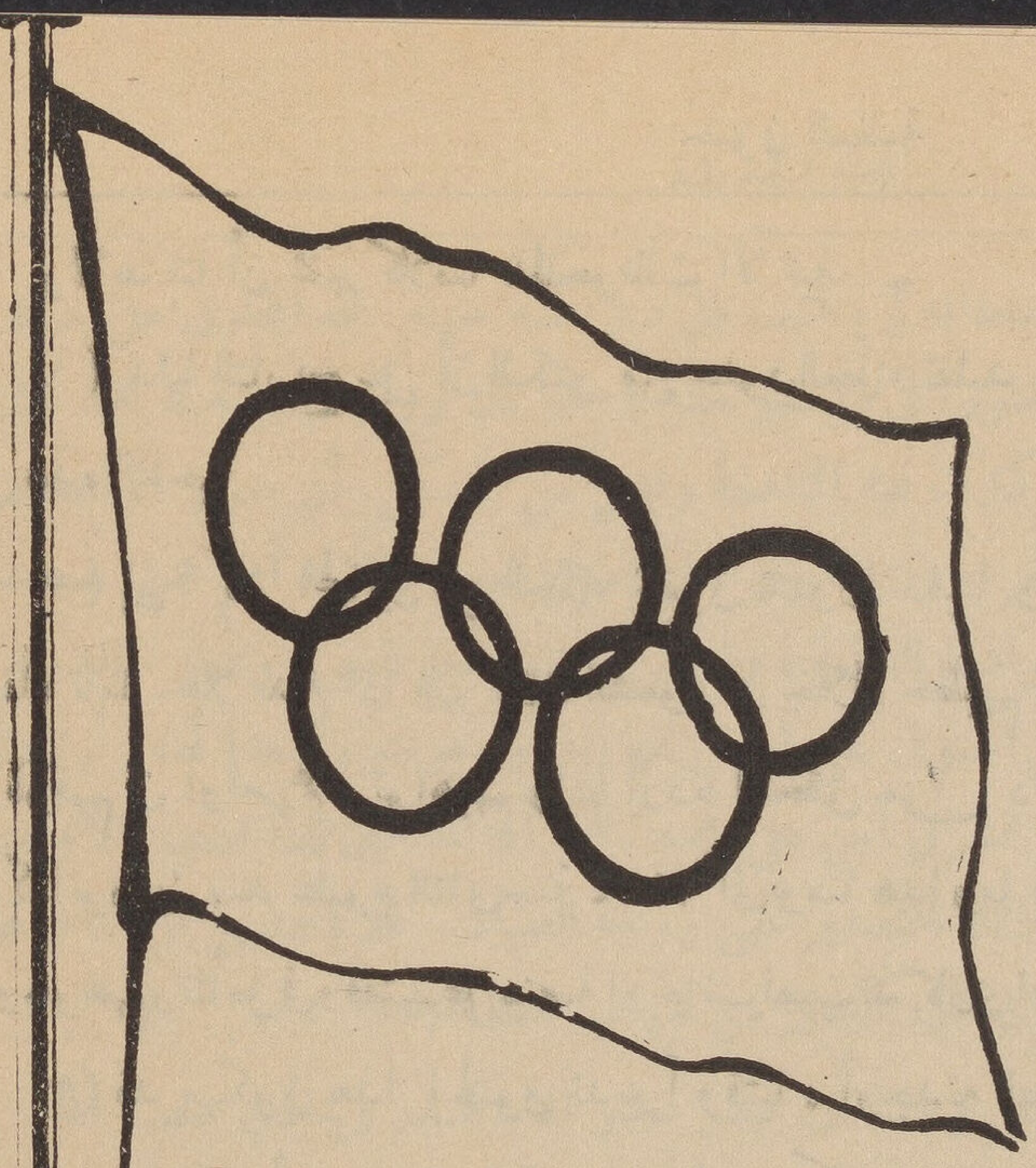
ولا بد لنا أن نختم كلامنا بالملحوظات الآتية . –

١) يدلنا التاريخ على أن الكثير من جنون العظماء تقليد يكاد يكون أعمى لعظماء سابقين مجانين من هذه الناحية

٢) إن اكثر المجانين من العظماء يخفون شعورا دفينا وهميا بالالوهيـة يعسر عليهم إخفاؤه اخفاء تاما . فلا بدع اذا ظهر ذلك الشعور فى خلال خطبهم ونداءاتهم العامة ، وتبين فى سيرهم ، ووقوفهم فى أوامرهم ونواهيهم واذا أردنا التحقق من ذلك فما علينا إلا أن نقرأ بعض خطب الدكتاتوريين منذ غليوم الثانى سنة ١٩١٤ الى يومنا هذا وما علينا الا أن ننظر الى صورهم، ونتفرس فى وجوههم ونتأمل فى وقفتهم على منصة او بجانب نصب تذكارى او تمثال لاحد الابطال الولاة والحكام

٣) قد يـكون هذا الجنون تدبيراً وقتيا ، أوجدته الطبيعة لسبب لا نعلمه تماما ، والباعث لنا على هذا الظن أن هذه العظمة وهذا الجنون كثيرا ما يشيد من الدور العامة ، ويشق من الطرق ويرصف من الشوارع ، ويغرس من الحدائق ، ويبنى من دور التحف والصور والآثار والملاهى ، فى بضعة شهور مالا يستطيع أن يقوم به عظماء عاديون غير مجانين فى أحقاب وأجيال طويلة .وأن هذه العظمة أوهذا الجنون كثيرا مايقضى بجرة قلم ، أو بنقطة واحدة على مئات من الخزعبلات والاباطيل والخرافات والعـادات والتقاليد والمعتقدات البائدة ، فى لحظة واحدة ،مالا يجرؤ عظيم غير مجنون ، غير مستبد ، أن يفعله فى نصف قرن وما أحوج العالم إلى عدد من هؤلاء المجانين ، المستبدين الطغـاة فى وقت الشدة بشرط ألا تطول فترات جنونهم فيعيثون فى الارض فساداً

٤) ان جنون العظماء من الولاة لا يتمشى الا مع نظام الدكتاتورية ، ولا يظهر داؤه الخبيث فى المصاب به الا فى نظام الحكم المطلق ، نظام الاستبداد والجور بغير رقابة الامة ، نظام الطغيان على أفراد الرعية كبارها وصغارها بغير محاسب، واحتقار الشعب وتقييد حريتهم سيرا وقولا وكتابة وتجهرا ، وقمع حركاتهم بالعنف والشدة بغير حياء أو خشية . ولا غرابة اذا كانت الدساتير ومجالس الامة بعبع العظماء المجانين . ولا غرابة إذا كان البرلمـان أو مجلس النواب لهؤلاء الدكتاتوريين المستبدين بمثابة مستشفى المجاذيب لهؤلاء العظماء المجانين.وأعنى بذلك أن المجالس النيابية يخافها العظماء المستبدون كما يخاف المجانين مستشفى المجاذيب ، وأن هذه المجالس النيابية فيها شفاء لداء العظمة ووقاية الشعب من ذويه ، كما أن مستشفيات المجاذيب فيها شفاء لداء الجنون الاصيل ، ووقاية الناس من ذويه





الالعاب الاولمبية

حاول اليهود فى الولايات المتحدة أن يثيروا حربا على ألمانيا ويمنعوا الحكومة والهيئات الرياضية المختلفة من الاشتراك فى الألعاب الأولمبية بدعوي أن الالمان قد فرقوا فى السلالات البشرية واضطهدوا اليهود وان ذلك يخالف الروح الرياضى . ولكن الامريكيين لم يعيروا هذه الاقوال التفاتا وقررت جميع هيئاتهم الرياضية أن تشترك فى الالعاب

وقد استطاع الالمان فى الولايات المتحدة أن يثيروا الجمهور عن دعوي الاضطهاد التى تتهم بها أمتهم . فأوضحوا أن اليهود كانوا مستولين على البورصة والقضاء والمحاماة والصحافة والمسرح . وأن الالمان رأوا أن هذا الاستيلاء لا يتفق وكرامة الامة فنزعوا منهم هذه المراكز . أما اليهودى الذى يعمل فى التجارة ويرتزق بالطرق المألوفة ولا يحاول أن يتزعم فلا يجد أى اضطهاد . ولذلك فان نحو نصف مليون من اليهود لا يزالون يعيشون فى ألمانيا ولا يشكون شيئا

أما ان الالمان يحرمون الزواج بينهم وبين اليهود فلهذا العمل أشبه فى جميع الامم تقريبا . والامريكيون يمنعون زواج الزنوج بالنساء البيض

* * *

لايمكن الالمان ان يتناولوا موضوع الالعاب الرياضية دون أن يعالجوه بالثقافة المحيطة التى يتسم بها الذهن الالماني . ولذلك كثرت المطبوعات الالمانية عن الرياضة

عند الاغريق وعن علاقة التغذية بالرياضة وعن المقاييس المختلفة التى يقاس بها الجهد وتأثير التعب وما إلي ذلك . ولذلك فان كل نشرة تنشرها الهيئات المتصلة بالالعاب الاولمبية هى درس فى التاريخ أو الصحة أو الثقافة العامة . ونحن ننقل عن النسخة الفرنسية صورة العداء الانجليزى «لو» وهو فى اللحظات الاخيرة قبل بلوغ الهدف . والمتأمل لصورته هنا يعتقد أن الصورة الفوتوغرافية هي رسم متقن لاحد الرسامين البارعين قد صور فيه الاعياء وارتخاء الاعضاء والجهد الذى يتكلفه «لو» بشق النفس لكى يبلغ الهدف

* * *



العداء الانجليزي لو في نهاية الشوط

زار برلين فى الشهر الماضى الكونت بياه لاتور رئيس اللجنة الدولية للالعاب الاولمبية . وقد عقدت له وليمة حضرها رجال الصحافة . وقد كان الكونت لاتور عضوا بهذه اللجنة منذ سنة ١٩٠٣ ورئيسا لها منذ سنة ١٩٢٥ وقد خطب فى اطراء الروح الاولمبى الذى يجمع بين الشعوب في منافسة سامية من أجل الصحة والقوة والطهارة . وقد استقبله الرئيس هتلر فى برلين

* * *

أخبار اقتصادية

الأدوية الجاهزة في مصر

القى الصيدلي رشيد حداد على جمعية الصيادلة هذه الكلمة

تعلمون أنه بسبب كثرة انتشار الادوية الاجنبية الجاهزة من جهة . وكثرة العيادات المجانية والمستوصفات الخيرية من جهة أخرى(وهذه لا ترفض قبول الاغنياء ومتوسطى الحال فى عيادتها وتعطيهم الادوية مجاناً) قد أصبح الصيدلى لا يجد عملا يستعمل فيه فنه ويمارس مهنته ونسى موضع الخلاصات و الصبغات والعقاقير لقلة الطلب عليها . واقتصر عمله على بيع الادوية الجاهزة المركبة من تلك الخلاصات والصبغات والعقاقير التى يركبها زملاؤه فى جميع أنحاء العالم . كما يفعل أي مستخدم أو خادم فى أي مخزن أدوية . فهل يرضيكم أن نصل إلى هذا المركز الحقير بعد أن سهرنا الليالى فى الدرس والتحصيل وصرفنا الاموال الطائلة وقضينا زهرة العمر فى المدارس والجامعات . وجزنا الامتحانات القاسية لنيل دبلوم الصيدلة؟ فعلينا تجاه هذه الحالة المحزنة ألا نتوانى لحظة فى طلب الاصلاح ونلح على الحكومة بأن تمنع جميع المركبات الاجنبية الجاهزة من الدخول إلى بلادنا صوناً لحقوقنا وحرصاً على مالية بلادنا وصحة جمهورنا . وأما المستحضرات والاكتشافات العلمية التى لاغنى لنا عنها فى الوقت الحاضر فيصرح بدخولها بشرط أن يوضع على غلافها الخارجى الثمن الذي تباع به للجمهور بالنقد المصرى بحيث لا يبيعها إلا الصيدلى . ولا يقل مكسبه منها عن ثلاثين فى المائة . كما هو متبع فى جميع العالم كاليونان وإيطاليا وخلافهما . وإذا تعللت الحكومة بعدم إمكانها تنفيذ هذا الطلب بسبب الامتيازات الاجنبية وحرية التجارة فنسألها أين كانت تلك الامتيازات وتلك الحرية عندما منعت دخول اللوترية الارلندية ، ولوترية الحكومة الفرنسية إلى القطر المصرى بحجة ضررها بمالية البلاد ؟

وهذه الادوية الجاهزة لا يقتصر ضررها على مالية البلاد فقط بل تتعداها إلى الضرر بصحة الجمهور أيضاً لأن الجمهور يتعاطى تلك الأدوية بتأثير الاعلان عنها ، وبدون أن يصفها له الطبيب وكثيراً ما كان ضررها أكثر من نفعها .

يجب علينا أن نلح فى الطلب لتنقيح قانون الصيدلة الأخير لأن فيه متناقضات كثيرة وإجحافا بحقوق الصيادلة . وأنا أقدم لكم مثلا عن ذلك التناقض . فقد منع هذا القانون الأطباء من عمل

عيادة فى الصيدلية ، ومع ذلك تصرح الحكومة للأطباء بفتح صيدلية فى عياداتهم . وهذا القانون نفسه قد منع الصيدلي من تركيب برشامة اسبيرين أو بيعها بدون تذكرة طبية لأنه من الادوية الفعالة الداخلة فى الجدول الأول ، وها نحن أولاء نبيع أسبيرين باير بدون تذكرة طبية ، ونراه يباع فى كل دكان من دكاكين البقالين وبائعى السجاير وخلافهم . فما هذا التناقص الغريب ؟

ترون أن الحكومة قد شجعت على انتشار الادوية الاجنبية الجاهزة فى بلادنا لانها قيدت أيدينا بفرض ضريبة قدرها ثلاثة جنيهات يدفعها الصيدلى المصرى عن كل مستحضر جاهز يعرضه للبيع وسمحت للمستحضرات الاجنبية بأن تباع فى أسواقنا بدون دفع ضريبة مماثلة . فلولا هذه الضريبة العالية فى هذه الايام العسيرة لكان كل منا يشرع فى تركيب أدوية جاهزة مشابهة لما يأتينا من الخارج وبنصف ثمنها ، نقاوم بها التيار المتدفق من تلك المستحضرات التى تستنزف جزءاً كبيراً من مالية البلاد

مكتب العمل وتدخل الحكومات فى الاقتصاديات

أذاع مكتب العمل (أحد فروع عصبة الأمم) تقريراً عن الحالة الاقتصادية العامة جاء فيه قوله

انتهت السنة الخامسة من سنى الأزمة بدون أن يعقبها الرخاء العام المرجو ، على أن سنة ١٩٣٥ تفضل سابقتها من جهة حصول تحسن ظاهر فى الحالة الاقتصادية . فقد رأينا تناقصاً فى عدد العمال العاطلين فى عدة بلاد ، ونمواً فى المحاصيل ، وثباتا فى الأسعار لحد أن البلاد التى تمتعت بشىء من الرخاء خلال السنة الماضية أخذ الاعتقاد يسود فيها بزوال دولة الكساد واضمحلالها

ولم يحصل فى بلد من بلاد العالم انقلاب اجتماعى واقتصادى مثل الذى حصل فى ألمانيا وأدى الى شبوب الثورة فيها ، أو مثل الازمة التى نزلت بالولايات المتحدة سنة ١٩٣٣ ، فالحالة الاقتصادية العامة قد يجوز أن يقال أنها سائرة سيراً حسنا ولكنها لا تزال بعيدة عن مستوي الرخاء الحقيقي الذي تمتع به الناس فيما مضى من الزمن

فالنشاط البادى اليوم لا يزال نشاطا سطحيا أكثر منه ثابتا وطيداً ، فالتجارة الدولية لا تزال ضئيلة وان كانت أفضل مما بلغته فى سنة ١٩٣٤ . وهناك أموال وافرة مدخرة لا يستفاد منها بشىء والأسعار وان تكن أثبت من قبل إلا أنها لا تزال عرضة للتقلقل . وفى كل مكان لا يزال الناس يصرون نقودهم ، على صورة مصغرة مما حصل فى عهد أزمة البنوك فى أميركا . أضف إلى كل ذلك أن المعين الدولى للقروض لا يزال جافا . فهذه العوارض وأمثالها تدل على ضعف الشعور بمتانة هذا الرخاء ، أو بضمان استمرار التحسن البادى . ولا جدال فى أن بعض البلاد قد استقرت الحالة فيها

إلا أن غيرها لا يزال فى حالة تقلقل وتذمر . وقد يقال أن بعض الدول قد نجح فى تخفيف وطأة البطالة ، أو فى ازالتها بتاتا ، إلا أن ذلك شاذ . فالعالم فى الاجمال لا يزال يسير بجزع وعناء يتلمس الطريق السوي ، فلا يرى فى النظام الاقتصادى الجديد الذي أخذ يبرز إلى الوجود موضع ثقة عظيمة ، بل بالعكس لم يكن فى الحوادث التى جرت ما يدل على جدارته بتثبيت أركان السلام والطمأنينة فى البلاد . فما بدا من مظاهر الفرج عندما لاحت أمارات التقرب بين الدول فى أواخر سنة ١٩٣٤ وانتهاء مشكلة السار بين ألمانيا وفرنسا ، دل فى الوقت نفسه على ما يسود الناس والحالة من ريب وغموض ، وهذا من أهم العوائق فى طريق الانتعاش .

ثم أن النجاح الذى ظهر فى بعض الجهات كان نتيجة جهود قومية ، وقصرت منافعه على الميدان القومى ، لكل قوم على حدة بمعنى أن تأثيره كان ضعيفا فى اعادة نشاط التجارة الدولية واحياء المالية الدولية اللتين بدونهما لا يتاح للعالم أن يتمتع برخاء دائم شامل . وقد ظهر فى صيف السنة الماضية فتور فى مساعى الحركة القومية مما كان يصح أن يتخذ علامة على بلوغ القوميات الغاية القصوى من جهودها ودخولها فى دور شعرت فيه بوجوب اعادة تشغيل الجهاز الدولى على أسلوب ينال رضى الجميع ، اذا أرادت الحصول على رخاء أوفر وأتم .

وقد نبهنا فى تقرير السنة الماضية إلى بعض مظاهر الأزمة المالية مما لا غنى للباحث فى المسائل الاجتماعية ، من اعتبارها ودرسها ، فقد قلنا مثلا ، أن تدخل الحكومة فى أمر النظام الاقتصادى والاهتمام بمجرى حوادثه للحصول على أغراض اجتماعية معينة ، أمر لا مفر منه . وقد اشتد اعتقاد الناس بوجوب الاحتماء بنظام اقتصادى شامل حتى أن الحكومات ، اجابت لنداء الرأي العام وأخذت الواحدة منهن بعد الأخرى تهجر موقفها السلبي ساعية للقضاء على أسباب الكساد الذى كان يهدد كيانها الاجتماعى . ومن هنا نشأت فكرة مراقبة السياسة المالية ، وانشاء المشاريع العمومية ، وتوسيع مجال الصناعة التى وضعت الحكومات اسسها ، وأحاطتها بعنايتها ، ومن هنا نشأ مبدأ مراقبة المحاصيل وتعيين أسعارها ، وتسوية التجارة الدولية ، ومعالجة البطالة وتخفيف وطأتها على حساب الأمة . وكان لتدخل الحكومات فى هذه المسائل الحيوية أثر بارز كما شوهد ذلك فى ألمانيا وايطاليا واسوج واليابان والولايات المتحدة وروسيا وغيرها .

وقد تبين مما حصل أن النظام الاقتصادى القديم القائم بذاته يجب أن لا يطلق له العنان اذا عجز أن يضمن للناس حياة اجتماعية ميسرة ، وفى حالة كهذه يتحتم على الحكومات أن تتدخل للمحافظة على مصلحة الجمهور وخيره ، وخصوصا مصلحة الزراع والصناع وهم أكثر الناس تعرضاً لتبعات الكساد وأخطاره .

وقد تضمنت حوادث السنة الماضية ما قد يمكن أن يجعل الحكومة تقلل من تدخلها فى الشئون الاقتصادية بعد ظهور بوادر الانتعاش المالى ولكن الذى حصل كان عكس ذلك إذ أدى الى تجدد شعور الناس بوجوب تثبيت النظام وحمايته . فضمان سلامة الدولة ، كما يظهر اليوم ، لا يتوقف على منع الاعتداء على حدودها ، بل يتوقف على مقدرتها على أن تضمن أسباب الحياة لجميع رعاياها بصورة كافية مطردة .

وما مضى يدلنا على اشتداد ميول الطبقات الراقية الى ضمان الفوائد المادية والادبية التى يعدونها عنصراً مهماً فى كيان الحضارة العصرية . لم يكن للناس قديماً أنظمة اجتماعية معينة لمعالجة الازمات الاقتصادية إذا وقعت لانهم كانوا يعدون البطالة والفقر والكساد من مصائب الدهر التى لابد لهم على النجاة منها . أما اليوم فالناس لا يصبرون طويلا على احتمال هذه الرزايا وأشباهها ، ويرون من حقهم على الدولة أن تضمن لهم عيشاً هنيئاً سعيداً قائماً على تدبير منظم جامع

فمطالبة الحكومة بوجوب التدخل لحل مشاكل الحياة الاقتصادية أمر معقول أيدته حقائق راهنة ، منها أن العوز الحاصل اليوم لا يعود فى أسبابه لخلل فى ناموس الطبيعة ، بل لعجز فى ناموس البشر ، عن جعل خيرات الطبيعة كافية لجميع الذين هم بحاجة اليها . ففى حالة حصول أزمة اقتصادية ناجمة عن قحط أو طوفان أو وباء يتعذر التفادى من نتائجها ، لا يطاب من اولى الامر عندئذ الا توزيع ما تصل اليه أيديهم من الميرة على المنكوبين بصورة عادلة سوية . ثم أن مشكلة النقص فى المحصول قد حلها العلم وساعد على هذا الحد سهولة تبادل المتاجرين جميع دول العالم . فلا يجوز إذن أن يجوع مخلوق فى وقت تفيض فيه المواد الغذائية والمواد الخامة وتزيد على المقدار اللازم للاستهلاك . وبينما نرى الفلاح لا ينال أجراً عادلا على اتعابه ، نرى ملايين من البشر يتضورون جوعا لصعوبة الحصول على المواد الغذائية التى يقدمها هذا الفلاح جاهزة أمامهم لتناولها فهذا التناقض الغريب هو الذى حمل الناس على مقت النظام الاقتصادي ونبذه . وعند الناس اليوم حجة لا تدفع وهى . يجب حيث يزيد العرض على الطلب أن توزع هذه الزيادة على أدق منوال وافيده للجمهور وأن هذا التوزيع مستطاع أمره وسهل تنفيذه اما أن تبقى الامور جارية على نظام مجحف مضر . فأمر لا يحتمل وخصوصاً إذا اعتبرنا ما بلغه البشر من الرقى فى العلم والحضارة ولذلك فيحق للناس أن ينتظروا اليوم من الحكومات أن تخصص . لتوفير أسباب الراحة لرعاياها وضمان حصولهم على ما يحتاجون اليه من غذاء ولباس ومسكن . شيئاً من الجهود والعناية والاهتمام التى تبذلها بسخاء على تنظيم المواصلات الجويه مثلا . أو تحسين مناطق الدفاع وتحسين آلات اللاسلكى .

وهذه الظاهرة النفسية العميقة فى مطالبة الحكومات بتدخلها فى المسائل الاقتصادية . وتعليل هذه المطالبة . تعد من أبرز العبر التى أدت اليها حالة الكساد . وقد أدركت حكومات العالم ضرورة انتهاج خطة جديدة لمعالجة الازمات الاقتصادية . وشعر كل منها بما شعر به موسولينى وأطلق عليه « الانتقال من النظام القديم على أساس فائدة الفرد إلى نظام جديد يرمى لفائدة المجموع » وشبيه بهذا ماورد على لسان روزفلت عندما فسر مدى هذا التنقل بقوله « الى ان تصبح المصلحة الاجتماعية فوق المصلحة المالية المجردة لانها أهم من هذه وألزم » .

وقد صرح عدد كبير من أقطاب السياسة فى بلدان العالم بان الامن الاجتماعى مفروض على الحكومات الاهتمام به اهتمامهم بأمر الأمن السياسى على حد سوى . واعتقاد الناس اليوم أن « المقام القومى للحياة » يجب أن يكون فى مقدمة مهام الدولة لتثبيته بدلا من أن تعبث به التقلبات الاقتصادية كلما هبت رياحها . هذا هو الباعث الحقيقى لمطالبة الحكومات بوضع نظام للحالة الاقتصادية . وليس المقصود بهذا النظام زيادة الكفاية رغبة فى زيادة المحصول أو ايجاد أسواق لتصريف أكبر حصة ممكنة منه كلا ! بل الغاية الاولى منه هى اجتماعية ، ليست لتوفير أسباب الثروة فقط . بل لايجاد أفضل وسيلة لتوزيع هذه الثروة . وللاحتراس من اتلاف كل ماله قيمة مادية اجتماعية . وهذا يقودنا إلى الغرض العام المنشود وهو كما يعبر عنه روزفلت « حل مشكلة قلة الاستهلاك ، أو جعل الانتاج مساويا للاستهلاك . ومشكلة توزيع الثروة والمحصول بصورة عادلة . ثم مطابقة النظام الاقتصادى الحالى لمصلحة الشعب » .

وقد نبهنا فى تقرير السنة الماضية إلى أن التشريع الاجتماعى وتنظيم الانتاج وتوزيعه بواسطة هيئات رسمية . ثم قيام الحكومة بالمنافع العمومية . ومراقبة المبادلة التجارية مع تحديد الأسعار والكميات . كل ذلك لا يتم الا بواسطة تداخل فعلى دقيق فى سير العوامل الاقتصادية . وقد شاهدنا فى السنوات الأخيرة تدخل فرنسا والمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة فى شئون البلاد الزراعية : وارجنتين واستراليا والمانيا وبريطانيا واليابان واسوج والولايات المتحدة فى المسائل المالية . ثم النظام الصناعى الجديد الذى اعتمدته إيطاليا والولايات المتحدة . وما قامت به عدة حكومات لتنظيم الأعمال العمومية وتفريج ازمة العمال . كل ذلك يدل على ان الحكومات اليوم قد هجرت هجراً تاماً السياسة القديمة القائلة باطلاق الحرية لاعمال الناس .

أخبار اجتماعية

معجم ثورندايك للصبيان

من أهم المسائل التى يعنى بها كبار المربين فى انجلترا وأمريكا تأليف كتب فى شتى الموضوعات تتلاءم وحاجات الصبيان واستعدادهم بحيث يستطيعون استساغتها ويتشوقون الى قراءتها والرجوع اليها . وليس وضع كتاب من هذا النوع من السهولة بمكان . اذ ليست مهمة المؤلف اختزال كتاب من الكتب الكبيرة أو تبسيط الفاظه وحسب ، وانما عليه أن يدرس سيكولوجية الصبى دراسة نظرية وعملية قبل أن يقدم على وضع كتاب من هذا النوع

أمامنا الآن قاموس جديد من نوعه تأليف زعيم علماء النفس فى أمريكا : الاستاذ ثورندايك قاموس جديد للغة الانجليزية لسد حاجة صغار الطلبة فى هذا العصر

The Thorndike Ceutury Junior Dictionary (D. Appleton Century & Co. New York, 1935).

قد يستغرب القارىء أن تبسط هذه المجلة بعض صفحاتها للتحدث عن قاموس من القواميس . فالقواميس فى نظره متشابهة تشابها تاما بحيث يخيل اليه أنها منقولة بعضها عن بعض . وهى قليلة الاهمية فهو قلما يلجأ اليها واذا لجأ اليها فسرعان مايضيق بها ذرعا ويطرحها جانبا الى حيث لايرجع اليها — مع ما فى ذلك من الخطر الشديد على ثقافته إذ أن كل شخص متعلم فى حاجة مطردة الى زيادة محصوله من الالفاظ . فالالفاظ كالجنود لايتم لها الظفر فى تفهم المعاني والتعبير عنها الا إذا تكاثرت وشد بعضها أزر بعض . ولكنا مع ذلك نعذر القاريء بعض العذر فى نفوره من القواميس واضرابه عن استعمالها فكثيرا ما يلتبس عليه المعنى وكثيرا مايضيع وقته سدى وكثيرا ما يعانى البصر من التعب والجهد فى تصفح القاموس والبحث عن الكلمة ومعناها

أما الآن وقد ظهر هذا القاموس النفيس لثورندايك فقد انتفى بظهوره كل التباس وكل ضياع وقت وكل تعب وجهد يصيب البصر ويضره

يرى ثورندايك أن ما يحتاج اليه الصبى من الالفاظ فى حياته التعليمية لايخرج عن ٢٣٠٠٠ كلمة . وهذا الكلمات يختلف بعضها عن بعض من حيث مقدار ذيوعها ومقدار أهميتها . ولذا عمد الى تقسيمها الى مجموعات مستعينا فى ذلك ببعض كبار اللغويين . فمجموعة (١) تشمل الفا من الالفاظ الأكثر شيوعا . ومجموعة (٢) تشمل الفا من الالفاظ الاقل شيوعا من الاولى وهكذا . وبذلك يستطيع القارىء أن يدرك لأول وهلة مقدار أهمية الكلمة ودرجة انتشارها

وطريقة ثورندايك فى تفسير المعاني طريقة جديدة لم يسبقه فيها أحد فيما نعلم . فثورندايك يعلم أن الصبى لايهمه ترتيب معانى الكلمة حسب نشوئها التاريخي أو حسب انطباقها على قواعد النحو والصرف . وانما يهمه أن يفهم المعنى الحرفى قبل المجازى ، والعام قبل الخاص ، والشائع قبل النادر ، والسهل قبل الصعب . ولذا يراعى ثورندايك هذه الاعتبارات كلها فى تفسيره معانى الكلمات بل ويعمد — زيادة فى الايضاح — الى استعمال كل كلمة فى جملة مستعينا فى ذلك بالصور والرسوم المختلفة ، مرتباً كل معنى حسب درجة أهميته ومرتباً كل كلمة حسب درجة شيوعها

ويمتاز قاموس ثورندايك زيادة علي ذلك بتعليمه النطق والهجاء . فنحن لانعهد فى القواميس العادية أى ذكر للاسماء التى يتغير هجاؤها فى حالة الجمع أو حالة التأنيث ، أو أى ذكر لاجزاء الفعل المختلفة كالماضى والمضارع واسم الفاعل واسم المفعول أو أى ذكر لاسماء الاعلام . أما فى هذا القاموس فيتسنى للصبى أن يدرك أن جمع

ox, oxen و knife, knives و baby, babies

وأن تصريف lose, lost, lost, lost, losing و stop, stopped, stopping

يرقد lie, lay, lain, lying — ويكذب lie, lied, lied, lying

وأن الصفة فى حالة التفضيل قد تصبح هكذا

happy, happier, happiest و easy, easier, easiest

وهكذا يرشد هذا القاموس كل من لجأ اليه — صبيا كان أو راشدا — الى معرفة هجاء كل كلمة موجهاً عنايته الي عدم الوقوع فى الاخطاء الشائعة فى هجاء الكلمات الانجليزية — الامر الذى يشكو منه المدرسون عادة مر الشكوى

هذا ومن أهم ماعني به ثورندايك فى وضعه هذا القاموس مسألة صيانة العين من الجهد والتعب الذى تلاقيه فى تصفح القاموس وفى البحث عن الكلمة ومعناها . فحجم الكلمة والمسافة بين كلمة وأخرى وترتيب صفحات القاموس من الخارج على حسب الحروف الهجائية . كل هذا يكفل للعين الصيانة التامة من التعب والجهد

وهناك ثمة غرض آخر يرمي اليه ثورندايك من تأليفه هذا القاموس . ولعل هذا الغرض هو أهم مايرمي اليه ثورندايك . فهو لا يكتفى بمجرد تعليم الصبى معنى الكلمة وهجاءها ونطقها ولا يكتفى بحفظ نظره من التعب وانما يهتم قبل كل شيء بالناحية النفسية للصبى . يهمه أن يحب الصبى القاموس ويلجأ اليه ويطمئن له ولا يسأمه أبدا وبذلك يزيد محصوله من الالفاظ باطراد وتتكون عنده عادة البحث والاعتماد علي النفس فينشأ محبا للقراءة شغوفا بالبحث يعتبر الكتاب صديقه الاول والقاموس صديقه الثانى

جرجس ميخائيل

مبادىء القراءة والكتابة في التعليم

بحث فلسفى للسيدة المربية الدكتوره مارى منتيسوري من محاضرات ألقتها فى كلية المعلمين بلندن

الكلمة رفيقة الفهم المدهشة ، وقوته الخفية ، والكلام أعجب ما فى الانسان وأشد ما فيه قوة وعظمة . وكل ما يدور فى ذهن المرء يصبح ثابتا منتظما متى وجدنا الكلمة المناسبة للتعبير عنه . والطفل الصغير بطبيعته شديد الميل الي تفهم الكلمة ، كثير الشغف بادراك معناها قبل النطق بها بزمن طويل . ترى الطفل الذى عمره أربعة شهور يتطلع أحيانا الى حركة شفاه الذين يتكلمون وكثيرا مانراه بعد هذه السن ينصت بولع شديد الى محادثة الكبار ، كأنه يريد أنه يختلس منهم تلك الاشياء المبهمة الخفية التى يسمونها الكلمات

فدور الطفولة فى الحقيقة دور حساس يشتد غرام الطفل فيه بالكلمات ، فلا تكاد تمضى ثلاث سنوات ونصف من حياة الصغير حتى يقبل على حياة جديدة فى المدرسة وهو مزود بعدد وافر من الكلمات التى يفهم بعضها ولا يفهم الآخر

وهذا الميل الطبيعى وهذا الدافع الغريزى فى الطفل شديدان جداً حتى أن المعلم الذى يتبع

طريقة منتيسورى لا يفكر فى عدد المفردات التى يجب على الطفل الالمام بها ، ولا يعبأ بمقدار مايحصله الطفل منها غير أنه يعبأ . بما يتعلمه تلميذه من سر الكلام ودلائله العميقة

أما الكتابة بحكم المنطق وطبيعة الحال فقد جاءت سابقة للقراءة ألا يحدث كثيرا أن الطفل يستطيع أن يرسم الكلمة كتابة ولكنه يعجز عن قراءتها ؟ يجد الطفل - فى طوره المدرسى الاول - فى فن الكتابة ما يسحر لبه ، ويفتتن بايجاد الحرف الذى يعبر عن الصوت ومخرج اللفظ تعبيراً صحيحاً ، بغض النظر عن مدلول الالفاظ ومعانى الكلم . فالحروف عند المبتدىء كصندوق الموسيقى الذى يلعب به الصغار - يضغطون مفاتيحه فيخرج منه صوت موسيقى عذب . لهذا يحب الطفل بطبعه أن يبنى الكلمات بعد تحليل الاصوات التى تتكون منها

أن الكلمة الايطالية « io » معناها « أنا » والكلمة « zio » معناها « عم » وعند ما يبدأ الطفل تعلم هاتين الكلمتين ، ينظر الى الحرف « z » الصغير كأعجوبة خارقه للعادة لأنه يحول ضمير المتكلم الي « عم » بهذه السهولة

وعندما شرعت فى نشر طريقتى فى المعهد الذى كنت أديره فى روما ، شك المعلمون فى امكان تعليم الاطفال فى الرابعة والخامسة من أعمارهم كتابة الكلمات بمجرد سماعها . وقد دهشوا عندما وجدوا الصغار يكتبون مايملى عليهم من الكلمات الصغيرة أولا الى الكلمات ذات عشرة المقاطع بعد ذلك . وكلما كانت تجىء حصة الكتابة كان يندفع الاطفال فى عملهم بشغف لاحد له ، وسرعان ما تعلموا كيف يحركون أناملهم برشاقة طبيعية ، من تلقاء ذواتهم ، وما هو أهم من ذلك وهو تحليل الكلمات الى أصوات ومعرفة الحرف الذى يقابل كل صوت منها

* * *

أما فن القراءة فأصعب بكثير من فن الكتابة . لاننا عندما نكتب نعرف عادة الكلمة التى نكتب ، أما عندما نقرأ فاننا نحاول استكشاف الكلمة التى نقرأها . وقد كنت أتغلب على هذه الصعوبة فى القراءة فى مدرستى الاولى فى روما باستحضار الاشياء التى تدل عليها الالفاظ وكتابة أسماء هذه الاشياء على بطاقات ملصقة بها . (كقلم وكرة من خشب وصورة ومسطرة وحذاء) ثم أسأل الطفل أن يقرأ الكلمة المكتوبة بعد النظر الي الشىء المحسوس المعلوم لديه . وبعد قليل أصبحت هذه الكلمات محفوظة فى ذهنه واستطاع قراءتها بغير أن ينظر الى الشىء المحسوس

محاكم الصبيان فى باريس

كتب الاديب الفرنسى المعروف بييروولف فى بعض مذكراته يقول :

لم أكن أذهب إلى محكمة الصبيان لأقضى فيها الساعة والاثنتين عبثا ، بل كنت أذهب لاتعلم فكان جد ما يروقنى هناك الرئيس فلورى يسأل الصغار المذنبين ويبدى جانب الرقة أحيانا ويضخم صوته ويرفعه ويزمجر أحيانا ولكنه يسمع الاعترافات والاقرار بحلمه المشهور

كنت يوما فى هذه المحكمة فرأيت أربعة من الصبيان لا تزيد سن أكبرهم على سبع سنوات فأقبل عليهم الرئيس وقال أى ابليس منكم هو رئيس العصابة ؟ أأنت أيها الشيطان (وأشار إلى أحد الاربعة)

قال المشار اليه كلا ياسيدى الرئيس لست الزعيم بل فيرمان

قال فيرمان كلا ياسيدى الرئيس بل هو يوليوس

وكانت أمهات هؤلاء الاطفال قد وقفن وراءهم فصاح فيهن الرئيس فلورى

وقال مارأيكم فى هؤلاء الابالسه من الصغار الذين سرقوا فحما من افريز برسى وضبطوا فانبرت أم أصغر الصبيان وتقدمت باكية تقول ألا تعفو يا سيدي الرئيس فى هذه المرة . ان اليوم يوم أحد !

وقدمت ابنة صغيرة تعمل فى مصبغة وتهمتها أنها سرقت من عاملة أخرى من زميلاتها قطعة من ذات المئة من الصلديات . وشهد مراقب المحل أنها أخفت القطعة فى مكان قريب من باب المصبغة لتأخذها عند الخروج . فلم يطق أبوها هذا الاتهام . وصاح فى المحكمة : أمن الممكن أن يقع هذا من ابنتى . فرأى الرئيس أن هذا الوالد تخطى واجب الاحترام للمحكمة . وأمر بوضع الغل فى يده فالتفتت ابنته المتهمة اليه وصرخت تقول أبى أبى ياسيدى الرئيس مسكين أبى

قال الرئيس وقد رأي أنه أفرط قليلا فى الشدة : اذن اعترفى وأنا أطلق سراحكما . قالت أعترف ياسيدى الرئيس أننى سرقت ١٠ فرنكات . . بل ١٠٠ فرنك فأطلق أبى وعاقبنى . فأطلق الرئيس سراح الاثنين

تقدم العلوم والفنون

الزبد

الزبد هو أحد الاربع الروائح ذوات الاصل الحيواني المعروفة والمحبوبة عند صانعي الروائح وتفرزه حيوانات صغيرة تسمى قطط الزبد. وكان يسمى قديما ضبع ارستطاليس. وظنه البعض قطاً بريا. وتوجد أربعة أنواع

ففي أفريقيا (Civet Cat) وفي آسيا (Zibette) وفي سومطرة (Tangalunga) وفي الهند (Rasse) ولا يربى هذا الحيوان لمادته المرغوبة إلا في أفريقيا وآسيا. وهو في أفريقيا في حجم الثعلب. له فروة رمادية اللون. ذات نقط سوداء ويوجد في المنطقة الاستوائية، في سنغال وغينيا والحبشة حيث سوق الاتجار بمادته. وهو لا يربي في أديس بابا ولا فيما بجوارها من البلدان ولكنه يوجد في ولليجا ودجما وكافيا من مقاطعات الحبشة

لا يربي الحيوان كما يفهم من كلمة التربية وكل ما في الامر أنه يصطاد ويوضع في أقفاص حيث يطعم باعتناء لان كمية الزبد تتوقف على اختيار الطعام وصحة الحيوان. وغذاؤه اللحم الطازج. ويفضل الضأن واذا كان طعام الحيوان من الطيور الداجنة كانت مادة الزبد تكاد تكون بيضاء ومن نوع فاخر. ولكن قلما يحدث ذلك لغلاء الطيور

جيوب الافراز قريبة من أعضاء التناسل في كل من الذكر والانثى ولكي تجمع المادة المفرزة يشد وثاق الحيوان في قفصه الذي يفتح من الاسفل وتؤخذ محتويات الجيوب بواسطة ملعقة من العاج وتكرر هذه العملية مرات كثيرة في الاسبوع ومتوسط الانتاج من ثلاثة إلى أربعة جرامات في الاسبوع. وهو في الذكر أحسن نوعا وأوفر كمية. ويزداد حين يعاكس الحيوان أو يخوف

وطريقة الاتجار في الحبشة هي أن يصطاد الوطنيون الحيوان. ويبيعوا الزبد للناجاديس وهم صغار التجار أو مندبو المصدرين. ويرسلونه لأديس بابا لأنها عاصمة الحبشة. ومنتهى الخط الحديدي المبتدىء من جيبوتي على البحر الاحمر. وتسير القوافل من داخل المملكة إلى العاصمة

محملة بالخام من جلود وشمع وزبد وحاصلات من عسل وحبوب ثم ترجع بالاقمشة والمنسوجات والمشروبات . والزبد يجد الاسواق الرائجة فى فرنسا ثم فى الولايات المتحدة وانجلترا وتستهلك اليمن جزءاً منه

والزبد مادة سائلة تقريبا لها لون أصفر ولكنها حين تتعرض للهواء أو تمكث كثيرا يزداد قوامها صلابة ويسمر لونها . وهو مادة دهنية ناعمة ، متجانسة ، لها رائحة كريهة . واذا خففت كثيرا جدا تكون أكثر قبولا

وهي لازمة فى الروائح لما لها من قوة كبيرة فى التثبيت وطعمها مر ويكاد يكون حريفا .

والزبد غير قابل للذوبان لافى الماء ولا فى الاحماض ولا فى القلويات ودرجة ذوبانه متفاوتة فى الاثير البترولى وفى البترول والكلوروفورم والاسيتون وأقل ذوبانا فى الكؤل الاثيلى والكؤل الميثيلى وهو أكثر ذوبانا وهو دافىء

والزبد الخالص يوجدهذا النوع فى التجارة وهو نفس الزبد الا انه بدون أكثر المواد الدهنية التى توجد طبيعيا معه . وهو يحتوى على كل العناصر التى تكون رائحه الزبد وقوته أكثر بقليل من ضعف قوة النوع الطبيعى . وهوقابل للذوبان فى الكؤل وفى الزيوت الثابتة وفى الموادالمذيبة المستعملة فى صناعة الروائح

الزبد الشبه والواتنجى وهو بين الزبد الخالص والزبد الطبيعى . وهكذا أصبح من الممكن بواسطة الصنفين المذكورين أخيرا أن نحضر محاليل كئولية أو غير كئولية للزبد بأى نسبة كانت .

عبد العزيز عبد الرحمن

الثوم وضغط الدم

تقوم شركات التأمين بابحاث طبية تقصد منها الى فوائدها المالية ولكنها مع هذا القصد الخاص تهتدى الى حقائق تخدم الصحة العامة . وهى التى عممت النحافة وأوضحت للجمهور مضار السمن لانها أثبتت أن النحاف أطول أعمارا من السمان

وقد قامت احدى شركات التأمين الامريكية ببحث خطير عن ضغط الدم العالى ووجدت أنه بمقارنة الامريكيين بالصينيين نجد أن الضغط عاليا عند الاولين منخفضا عند الثانين . ويعزى

السبب لهذا الفرق الى أن الامريكيين لغناهم يأكلون مقادير كبيرة من المواد الازوتية كاللحم والبيض والجبن فى حين يعجز الصينيون لفقرهم عن الحصول على هذه الاطعمة ويقنعون بالخبز والرز والبقول وعند مايهجر الصينى بلاده ويعيش فى أمريكا ويأكل ما يأكله الامريكيون من المواد الازوتية يرتفع ضغط الدم عنده . وهذا يدل على أن اللحم والبيض والجبن تزيد الضغط

وقد قام بعض الاطباء الروس بتجارب فوجدوا أن الثوم سواء أكل نيئا أم مطبوخا يخفض الضغط . والمظنون أن السبب لذلك انه يمنع التعفن فى الامعاء الغليظة . وهذا التعفن يسمم الجسم ويزيد الضغط . بل ربما كان الضغط الحادث من اللحم والبيض والجبن منشأه هذا التعفن فى القولون أى الامعاء الغليظة . فان المواد الازوتية يسرع اليها التعفن بخلاف المواد النشوية أو الدهنية فان التعفن فيها بطىء وقليل

زواج الاخ بالاخت

المشهور بين العامة أن زواج الاقارب ليس حسنا وانه لايتفق وصحة الابناء . وهذا هو الواقع اذا كانت الاسرة تشكو عاهة أو نقصا أو ضعفا وراثيا لان الزواج هنا يؤكد الصفة السيئة ويزيدها سوءا . ولكن اذا كانت الاسرة حسنة ليس بها عيب وراثي فان الزواج بين أفرادها يؤكد صفاتها الحسنة أيضا

ومما يدل على ذلك ان كليوبطرة التى تزوجت أخويها واحدا بعد آخر كانت هى نفسها سليلة اربعة أجيال كان الاب والام فى كل منها أخوين . وقد كان فى اسر الفراعنة من الملوك من كانوا يتزوجون باخواتهم ثلاثة عشر جيلا متعاقبة ومع ذلك لم تبد فى النسل أية علامة سيئة . بل انقطع زواج الاخ بالاخت لأن الجيل الاخير كان مؤلفا من ذكور فقط ليس بينهم بنات

فرخة بلا رأس

فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٤ كانت طاهية فى احدى مدن متشيجان بالولايات المتحدة تذبح فراخا . وذلك بفصل الرأس عن العنق . وبعد أن انتهت من الذبح وشرعت تغمس الفراخ المذبوحة فى الماء الساخن لتنظيفها نظرت حولها واذا بفرخه تسير فى المطبخ وليس لها رأس . وذعرت الطاهية وخرجت من المطبخ صارخة

وبعد التحقيق وجد أن هذه الفرخة لم تمت على الرغم من فصل رأسها . وكان الطعام يوضع فى حوصلتها بانبوبة تدخل فى المرى . وبقيت الفرخة حية ١٧ يوما وكانت ترفرف بجناحيها وتلوي عنقها كأنها تريد أن تنتتف . ولم تمت عفوا وانما حدث أن الدم جمد على قصبة الرئة فاختنقت وماتت

هذه هى القصة التى قرأناها . والذين شاهدوا الدجاج وقت ذبحه يعرفون أنه يبقى مدةطويلة وهو حى بعد قطع المرى والقصبة ، وهو لايموت الا بالنزف . ولكن يجب أن يلاحظ أننا لانفصل الرأس من الجسم . وهذا الفصل يقطع عصب الفقار المتصل بالمخيخ . ولذلك نحن نرجح أن الذبح لهذه الفرخة لم يفصل الرأس من العنق تمام الفصل بل ترك المخيخ . وأن هذا هو السبب لبقاء الفرخة حية طول هذه المدة

وفاة برستد

مات فى الشهر الماضى العالم الكبير برستيد . وكان اكبرمصرلوجي وأعظم ثقة فى تاريخ مصر القديم . وقضى أكثر من ثلاثين سنة فى مصر يبحث وينقب عن تاريخ الفراعنة وما قبلهم . وقد لخص له الاستاذ بشرى الضبع كتابه الاخير « فجر الضمير » فى هذه المجلة قبل أشهر . وكان برستد من القائلين بان مصر هى التى اخترعت الحضارة للعالم . وأثبت ذلك بمقابلات بين الفنون عند مصر وعند الامم الاخرى . ومن أقواله في كتابه « فتح الحضارة » لقد ثبت نهائيا أن الحضارة ظهرت أولا فى مصر

ولما نقل المسيو كابار رئيس المتحف المصرلوجى فى بروكسل عاصمة بلجيكا كتابه عن تاريخ مصر قال فى المقدمة انه ليس هناك أحد له الحق أن ينقح أو يبدل في هذا الكتاب ما لم يكن برستد نفسه . وليس المسيو كابار من العامة اذ هو مصرلوجى أيضا وشهادته هذه تدل على مكانة برستد

وبرستد امريكي وكانت الجامعات الامريكية وخاصة جامعة شيكاجو تقوم بنفقات التنقيبات التى يشرف عليها فى مصر. وقد مات فى نحو السبعين

حديث الأدب والأدباء

امندصن

من مقال للاستاذ حسين مؤنس في روز اليوسف

بحار واسعة كأنها الآمال ، وثلوج متراكمة كأنها الجبال ، ورياح تسفع وتعصف وأمواج تشتد وتعلو . . وصقيع يمزق الأجساد تقطيعاً . . وسفين حائر مضطرب . . تتقاذفه الأمواج فتعلو به حينا وتهبط به حينا . . وتصفو له آنا وتعبس له آنا . . وشراع عاجز ما ترق له الرياح وماتشفق عليه ويلقى من شرها مايلقى . ونفوس أعزها الله بالأمل . . وأمدها الله بالصبر وأوسع لها فى رحاب النصر . . فانحدرت الآلام عنها وصغرت العقبات فى ناظرها ، وزادها الله قوة وزادها الله أملا . ونفوس أخرى بعيدة والهة حرى تتطلع الى السفين وأنها لتشفق عليـه إشفاقا شديداً . . وتتبع الراحلين وأنها لتذوب رقة . . وصحافة تتنسم الأخبار وتتسقط الروايات لتطمئن الحيارى وتوقظ الآمال . .

تلك هى رحلة امندصن الثانية إلى القطب الجنوبى . .

وكان الرجل قد استقر فى مقدمة سفينته يسرح الطرف فى هذا الخضم الواسع المديد وقد اتخذ هيأة القدماء من ملوك الجرمان الاعزاء . . وأنه ليتراءى كواحد منهم . . فى هذه الهيئة الجافية وتلك النفس التى جمع الله كل جمالها فى قلوبها . . فى دروعه وسيوفه ونفسه المشرئبة للمغامرة والفتح وهذا هو البرد يقسو عليه فيبتسم . . والتعب يشتد فيزداد فرحا . . لقد ظل طوال ما انقضى من عمره يحلم بهذا . . وقد أدركه !

اراد له أبواه أن يكون طبيباً ، وأرادت له المقادير أن يكون بطلا . . فثقلت على نفسه دراسة الطب وطلب الملاحة واخذ يدرسها على أربابها من عباقرة الملاحين الشماليين ، ولم يكد يقوى كيانه حتى قام ورفيقا له برحلة يجتازان بها اسكنديناوة من الشرق للغرب . وكاد الفتى الناشىء يهلك فى هذه المغامرة . . انقطعت عنه الازواد أياما أربعة حتى أرسل الله اليه العون فانقذه إذ هو على حافة القبر . ثم ارتقى فى سلك الملاحين حتى أصبح الضابط الاول فى السفينة « بلجيكا » التى كان يقودها دى كرلاشى لكشف قارة الانتاركتيكا سنة ١٨٩٧ ، وصحبه فيها طائفة من أنبغ الكاشفين من أمثال أركتوسكى وأضرابه

كانت هذه الرحلة ضربا من البطولة وان لم يكتب الله لها النجاح ، تلكأ الرحالون طويلا فى جزيرة الغار « تيراد لفويجو » ولم يكادوا يقربون من الانتاركتيكا حتى دهمهم الثلج وحصرهم حصراً شديداً . . وظلوا فى قبضة يده عاما كاملا ! حتى كتب الله لهم الفكاك فعادوا أدراجهم وقد أنهكهم التعب وأضر بهم طول الكفاح . . وأفاد الفتى امندصن فائدة عظمى . . وعرف عن جو الاقطاب وبرده وليله ونهاره ما نفعه أكبر النفع فى رحلاته التالية

ثم سمت نفسه إلى الرحلة بمفرده . والى القيام بمغامرة تقترن باسمه ، ولكن المال أعوزه وكم يعوز المال الأبطال ! . ولكنه يحتال له تدبيراً . . ويجد فى طلبه جهداً وتقتيراً . . حتى أمكنه أن يشترى سفينة قديمة حمولتها خمسون طنا ، ثم عكف عليها يصلحها ويدبر لها العدة لرحلة طويلة مقبلة ثم أقلع بسفينته وعبر البحر المنجمد الشمالى حتى أدرك جرينلاند أي الأرض الخضراء . وهناك عكف هو ورفاقه على تتبع خطوات شاكلتون الامريكى الذى كان قد سبقهم الى تلك الجهات هناك قاسوا من الثلج الأمرين . . حصرهم فى الشتاء ثم أقبل الصيف فاخلى لهم السبيل ثم عاد الشتاء فاحاط بهم الجليد فحبسهم شتاء آخر . وأقبل الصيف فعبروا المحيط الاطلسى فلقيهم الناس مهللين فرحين . ودعاه الأمريكيون إلى بلادهم فذهب الى هناك وحاضر الناس وكسب من ذلك ما مكنه من وفاء الديون التى كان قد اقترضتها فى أثناء هذه الرحلة .

هنالك أدرك الناس قدر هذا الرجل فاعطاه الامريكيون السفينة « فرام » واعدوها له بكل ما يلزم الرحلات الكبيرة من عتاد . وأخذ من يتأهب لكشف القطب الجنوبى . ولكن انظر أن القدر لا يريد له هذا المجد . ها هى الاخبار تترامى والانباء تتوالى . أن بيرى الامريكى قد أدرك القطب الشمالى ورفع عليه الراية الامريكية سنة ١٩٠٩

لم يفت هذا فى عضد امندصن وأن كان قد نال من عزائم كل المستكشفين فمضى يعد المعدات لرحلة بعيدة لم يصارح أحداً من رفاقه بامرها . . ثم شد رحاله ولا يعلم أحد وجهته واتجه صوب الجنوب حتى اذا أدرك جزائر ماديرا فأفصح لزملائه عن غايته وأنبأهم أنه ماض بهم إلى الانتاركتيكا وكان الناس يظنون أنه مول وجهه شطر مضيق بهريج ، وأراد هو أن يستأذن الكابتن سكوت الانجليزى الذي كان يعمل فى كشف هذه القاهرة فارسل له رسالة لاسلكية لم تصله . ومضى امندصن فى هذه الرحلة التى بدأنا فيها الحديث . ومضى الرجل فى صبر حتى إذا كان الرابع عشر من ديسمبر سنة ١٩٩١ فقد أعلن الناس أن امندصن قد وصل القطب الجنوبى ورفع عليه الراية النروجية

ولكن الخير لم يأته خالصا وانما شابته مرارة قليلة . . لقد مات منافسه سكوت فى هذه المحاولة فحزن من أجله حزناً شديداً ، وملكه من ذلك هم ناصب وحزن لاعج ، فانصرف عن العمل حيناً

ورغب عن الشهرة حتى لقد رد إلى الجمعية الملكية وسامها الذهبي الذى كانت قد منحته اياه . ثم جاءت أيام الحرب فاوقفت مشاريعه وسخط عليها سخطا حدا به الى رد النياشين التى كان قيصر ألمانيا قد منحه اياها .

ثم خطر له بعد ذلك أن يستعمل الطيران فى ارتياد القطب ، وأخذ يعد العدة ، وفى هذه الاثناء طاف على قدميه من سبتزبرجن الى يوم مسافة طويلة أجهدته اجهادا شديداً

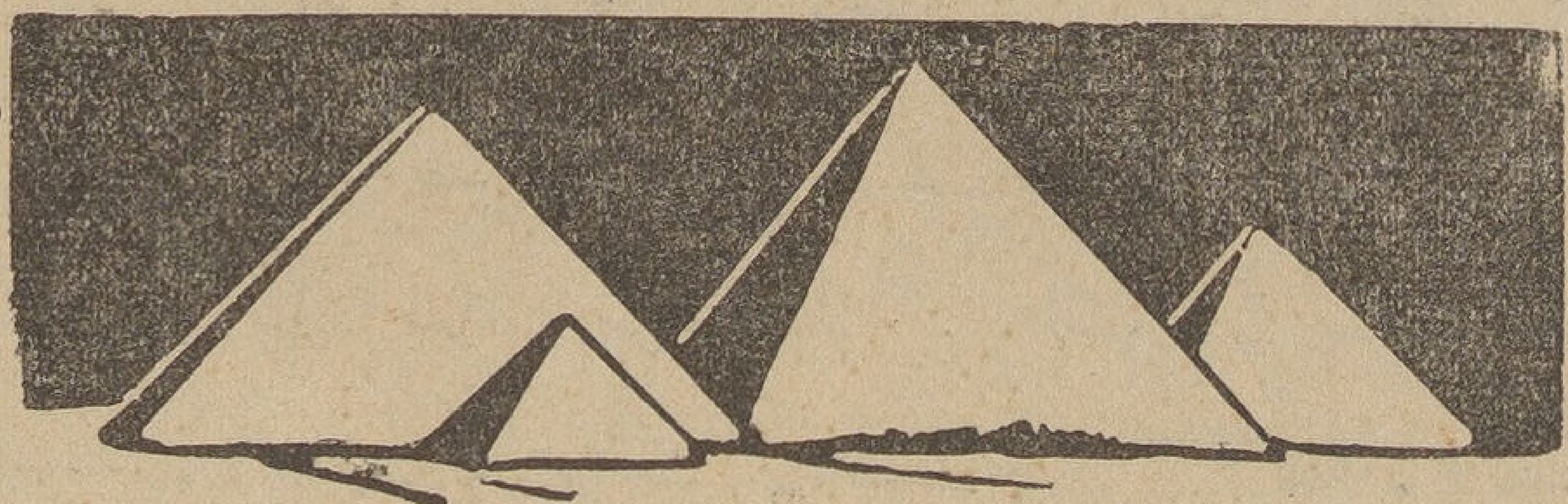
وجمع الله عليه عليه مجازفا امريكيا طياراً اسمه لنكولن الذورث ، استطاع بمعاونته أن يصل إلى خط ٨٨ شمالا . . وأن يقف على بعد ١٢٠ ميلا من القطب . . ولكن الرياح شلت حركته تماما ، وهددته بقطع الامداد عنه وعن رفيقه وكان قد اتخذ جزيرة سبتزبرجن مركزاً لحركاته فعاد اليها مسرعا . ثم بدأ يستعد مع لنكولن من جديد لرحلة مقبلة . ولكن المقادير تعاكسه مرة أخرى . إذ يشرع بيرد الأمريكى فى رحلة جوية للقطب الشمالى ، ويدركه ويعود قبل أن تهم سفينة امندصن بالطيران

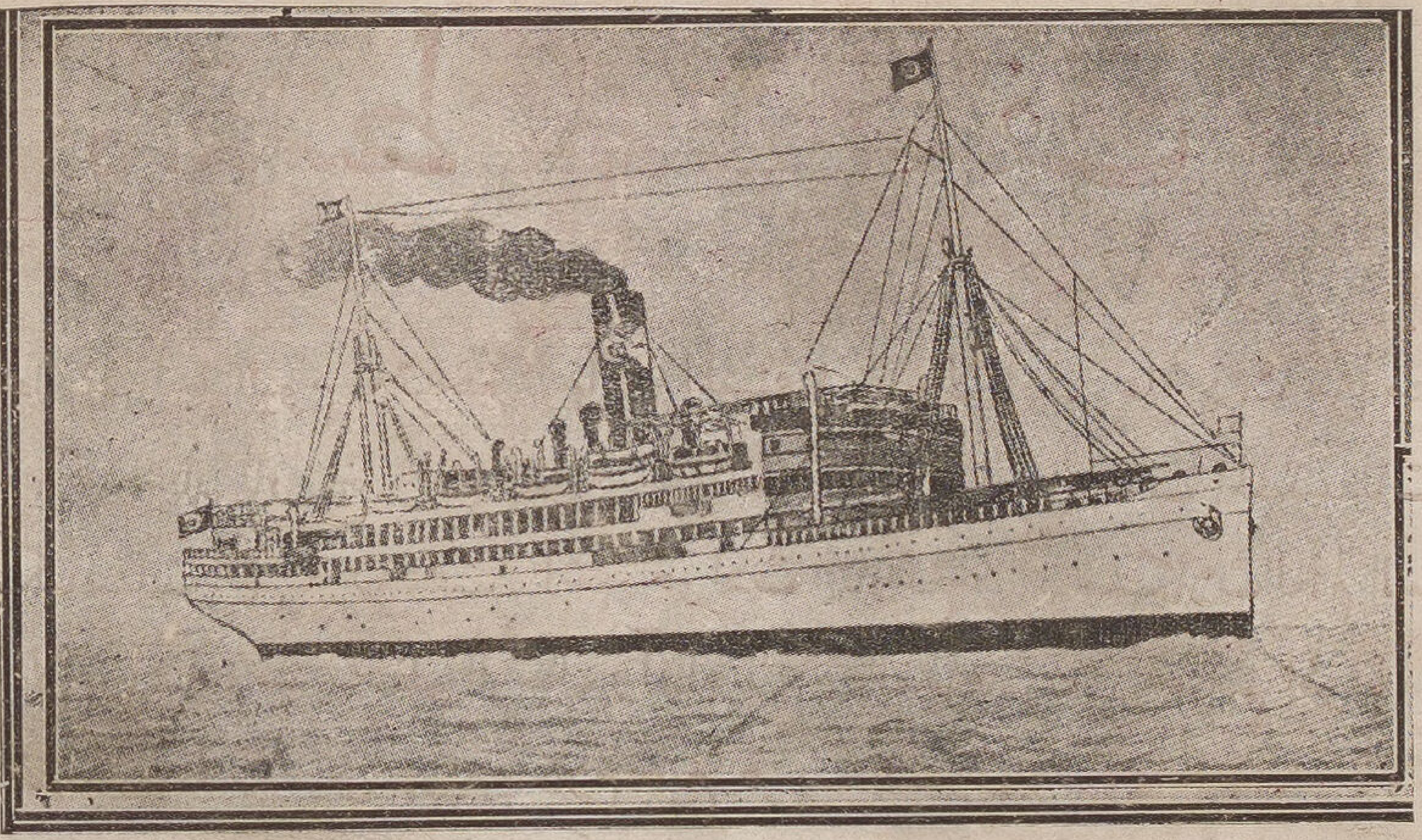
وكثر فى حسابه المنافسون وصار ارتياد القطب سباقا بين المغامرين ، شرع الطيار الايطالى وبيلى فى قيادة رحلة جوية هائلة لارتياد القطب ، ولكن الحظ خانه فارتطمت طائرته « ايطاليا » وتحطمت قبل أن يبلغ القطب .

هنالك نهض امندصن لينقذ منافسه البطل ، فاقلع فى ١٨ يونيه على سفينة فرنسية مع أربعة من الملاحين على رأسهم القبطان جلبو . .

ومضى الرجل لينقذ البطل التائه . .

ولم يعد إلى يومنا هذا . .





المجلة الجديدة

٥/٢

فبراير ١٩٣٦

الثمن ٣ قروش

اقرأ فى هذا العدد

وكذلك اقرأ بهذا العدد كتابا كاملا ٤٨ صفحة

الدنيا بعد ٣٠ سنة لسلامة موسى

مطبعة المجلة الجديدة

فبراير سنة ١٩٣٦

١ — الاشتراك فى المجلة الجديدة الشهرية في مصر والسودان لمدة عام هو ٤٠ قرشا و٢٠ قرشا لستة أشهر. وفي الخارج ٥٥ قرشا فى العام

٢ — الاشتراك فى المجلة الجديدة الاسبوعية فى مصر والسودان هو ٢٥ قرشا فى العام و١٣ قرشا لستة اشهر. فى الخارج ٥٠ قرشا فى العام و٢٥ قرشا لستة اشهر

٣ الاشتراك فى المجلة الجديدة (الشهرية والاسبوعية) فى مصر والسودان هو ٦٠ قرشا فى العام و٣٠ قرشا لستة اشهر. وفى الخارج مائة قرش فى العام و٥٠ قرشا لستة اشهر.

تصدر المجلة الجديدة ١٢ عددا سنويا

وتهدي الي قرائها كتابين كبيرين

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين بمصر)



صاحب الجلالة الملك ادوارد الثامن

صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السادس

المجلة الجديدة

العدد الثاني
من
السنة الخامسة

فبراير سنة ١٩٣٦

سير الحوادث

جرت الحوادث بسرعة فى مصر فى الشهر الماضى . وكان السبب لسرعتها أن الحكومة البريطانية استجابت الي ماطلبته الامة من ضرورة الشروع فى المفاوضة لعقد معاهدة يتحقق بها استقلالنا وننتهي فيه من التحفظات الاربعة . واستقالت وزارة نسيم باشا بعد اضطرابات عمت البلاد وعجزت عن معالجتها ، وقد الفت وزارة صديقة للوفد وفى الوقت نفسه محايدة ترضاها جميع الاحزاب كما الف الوفد الرسمى للمفاوضة من جميع الاحزاب . وفى ظل هذه الوزارة ستجرى الانتخابات كما تجرى المفاوضة . فاذا جاء البرلمان فى شهر مايو من هذا العام تألفت وزارة وفدية بحكم الاكثرية البرلمانية . وهذه الوزارة التى يؤيدها البرلمان تمضى المعاهدة كما يصدق عليها البرلمان

والوفد الرسمى المعين للمفاوضه يحتوى على ١١ عضوا منهم ٧ من الوفديين . ومع أن الانسان يأسف على الاضطرابات وعلى الضحايا العديدين الذين قتلوا فان النتيجة التى وصلنا اليها تعد حسنة مرضية . ونعتقد أن المعاهدة ستعقد هذه المرة لجملة أسباب أهمها أننا نحن ازاء الخطر الايطالى ندرك قيمة المحالفة العسكرية مع دولة قوية مثل بريطانيا تتفق مصلحتها مع منع اعتداء ايطاليا علينا . والثانى ان الانجليز قد أصبحوا يشعرون بضرورة عودة المصريين الى السودان لكى ينشطوا الحركة التجارية فيه ويعيدوا اليه شيئا من الرخاء الذى فقده بخروج الجيش والموظفين المصريين . وسبب ثالث هو أن السنين الخمس عشرة الماضية قد أثبتت لنا أننا لانستطيع أن نصلح بلادنا ما لم نعقد معاهدة تزيل عن أذهاننا هذه المشاغل السياسية التى بيننا وبين الانجليز . والامة راغبة أشد الرغبة فى المعاهدة وكذلك الحكومة البريطانية . ولذلك نعتقد أننا عن قريب

سنحظى بالاستقلال التام وندخل فى عصبة الامم ونلغى الامتيازات أو ننـال معظم هذه الاشياء ان لم ننلها كلها

وفاة الملك جورج



المرحوم الملك جورج الخامس

توفى فى الشهر الماضى المرحوم الملك جورج الخـامس وارتقى العرش ولى العهد — ذى برنس أوف ويلز ـ واصبح الملك ادوارد الثامن. والانجليز ملوكيون وهم أبعـد الامم الاوربيـة عن الحركات الجمهورية او الفاشية او الشيوعية ومن أعظم الاسباب التى تجعل الملوكية قوية فى بريطانيا أن الملوك دستوريون لا يحدث بينهم وبين الوزارات أو البرلمانات أى تصادم لاي سبب. فان الملك يحـافظ على الدستور كما يحافظ عليـه أى عضو فى البرلمان . وقد حدث فى أيام الملـكة فـكتوريا

قبل ستين سنة أن المستر جلاد ستون رئيس الوزارة لم يرض عن وصيفة من وصيفاتها فطلب الا تعين الوصيفات الا بعد استشارته . فقبلت الملكة ذلك . وأصبح تعيين الوصيفات باذن الوزارة قاعدة دستورية . ولا يمكن الانسان أن يقرأ تاريخ الملك ادوارد السابع أو الملك جورج الخامس الا ويعجب بوطنيتهما التى تبرر حب الجمهور البريطانى لهما . والملك الجديد كان ملكا غير متوج قبل ان يرتقى العرش . وهو يمتاز بالسمة الانجليزية وهى التعلق بالرياضة والرغبة فى الاقتحام . ولا بدأن واجبات العرش ستكفه عن ذلك كثيرا ولكنه الى الآن يعد الانموذج السامي للاخلاق البريطانية

وسيذكر تاريخ الملك جورج الذى اقتعد العرش ٢٥ سنة بالحرب الكبرى التى كانت مأساة لاوربا عامة وللبيت الملوكى البريطانى خاصة . فان قيصر روسيا وامبراطور المانيا يعدان من أعضاء هذا البيت ، الاول ابن خالة الملك والثاني ابن عمته . وقد قتل الاول هو وأولاده ونفى الثانى. وقد نزل الملك جورج مدة الحرب على قدم المساواة مع سائر أفراد الشعب فى معاناة الضيق الذي انتجته الحرب . فلم يكن القصر يمتاز بطعام أو شراب دون سائر الامة . وسيذكر التاريخ أن الاصلاحات الاجتماعية مثل معاشات الشيخوخة وتأمين العمال من العطل والمرض وبناء المنازل على حساب الحكومة والهيئات العامة كانت من حسنات هذا الحكم

توحش ايطاليا

فى الوقت الذى وقف فيه زحف الجيش الايطالى على الحبشة لعوائق طبيعية لم يحسب لها الايطاليون حسابا ارتكب الجيش الايطالى فظاعات يرتفع عنها المتوحشون الهمج فقد ضربوا المستشفى الاسوجى متعمدين ضربه . وقد تعللوا بالخطأ ولكن رسم الصليب الاحمر فوقه كان من الوضوح بحيث لا يمكن الشك فيه . ولكن هذا الرسم بدلا من أن يكفهم عن الضرب قد أصبح هدفا لهم . وقد بلغ القتلى الي الآن نحو الخمسين معظمهم من الجرحى والمرضى . ولم يسمع قط عن مثل هذا التوحش فى أى حرب ماضية

وايطاليا لم تحصل على استقلالها الا منذ عهد قريب وهى لذلك خلو من التقاليد التى تخفف أحيانا من كلب القوة . وقد جعلها موسولينى كالمحدثة يهذى ابناؤها عن « رسالة ايطاليا » عن

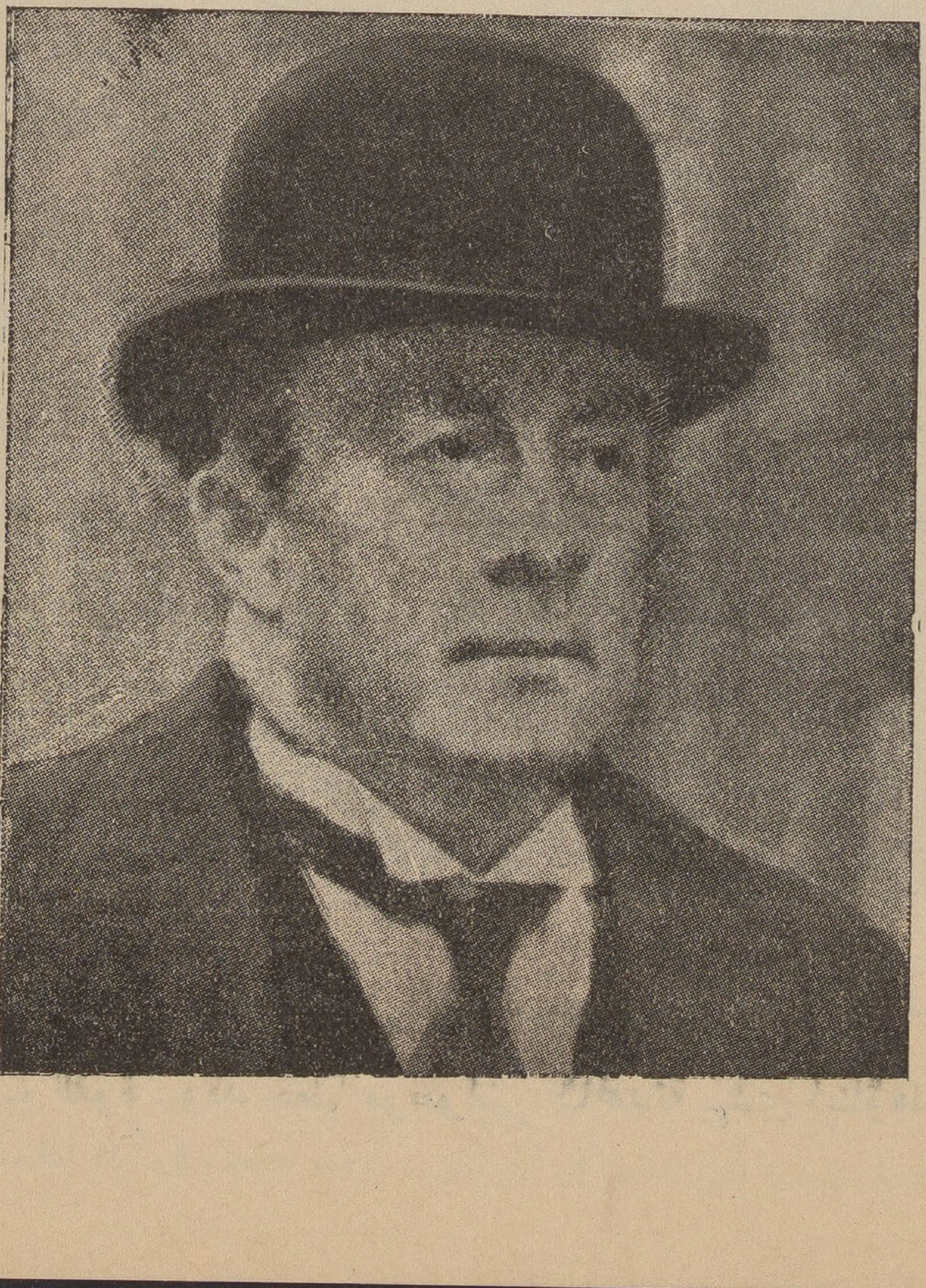
« حضارة ايطاليا » وكأنهم نسوا أن معظم السكان فى الجنوب لايزالون يجهلون الحذاء ولا تزال البلاغرا تتفشى بينهم . . . وهم يتحدثون عن الغاء الرق فى الحبشة مع أنهم هم أرقاء لموسولينى

وقد مضى على الحرب أربعة أشهر . ولاينكر أن الجيش الايطالى قد أحرز تقدما يذكرو أنه قام بمجهود كبير . ولكن الحبشة قطر كبير جدا . واذا استمر الايطاليون على زحفهم البطىء هذا فانهم يحتاجون الي سنتين أو ثلاث قبل أن يستولوا على الحبشة . وفى أثناء هذه المدة يكون الضيق الاقتصادى قد أحدث الثورة التى تقضى على الفاشية فى ايطاليا

ويبدو أن الآلات الضخمة الحديثة كالدبابات والمدافع الثقيلة لم تأت بنتيجة تذكر فى الحرب فان الاحباش استولوا الى الآن على ٢٢ دبابة . وهذا من المعجزات التى لم يكن أحد يتوقعها

الخطر علينا

ليس بعيدا أن تقع الحرب بين بريطانيا وايطاليا اذا قررت العصبة حظر البترول على ايطاليا



المستر بولدوين

رئيس الوزارة البريطانية

فان الايطاليين يعرفون أن طائراتهم وأتومبيلاتهم ودباباتهم لن تكون لها أية قيمة اذا منع عنهم البترول . وعندئذ تصبح مصر أحد الميادين لهذه الحرب وأمة بلا تقاليد فى الحرب أو الاستقلال مثل ايطاليا لن تكف عن استعمال الغازات ولذلك يجب أن نشعر الجمهور بالخطر المنتظر . ولا يمكن أن نتهم حكومتنا بالاهمال فى توقى هذا الخطر لان جميع وسائل التوقى الحاضرة لا يمكن الاعتماد عليها . وعندنا أن أحسن ما يمكن أن يتخذ وقت الغارات الجوية أن يرحل القادرون من المدن الى الريف حيث لا تنتظر قنابل الغارات

وليس عندنا أقل شك أن الحرب - اذا وقعت - ستنتهى بانتصار البريطانيين بل باحتلالهم لايطاليا

أحوال العالم

١ - لا تزال اليابان تمزق الصين وتؤلف من الاقاليم الشمالية أقطارا مستقلة تحت حمايتها وليس بعيدا أن تعلن هنرى بولى امبراطور منشوكيا امبراطورا على الصين فتضرب حمايتها بذلك على الصين جميعها

٢ - وفى الوقت نفسه تتفشى الشيوعية تفشيا سريعا فى الاقاليم الشمالية الغربية من الصين . وتقدير هذا العامل فى هيمنة اليابان علي الصين ومقدار نجاحها فى خطة التوسع لا يزال مجهولا

٣ - ومع أن حركات اليابان فى الشرق الاقصى تثير روسيا فان الروسيين لا يرغبون فى الاشتباك معها فى حرب فى الوقت الحاضر

الى القراء

١ - نرجو المشتركين الذين لم يسددوا قيم الاشتراك أن يرسلوها هذا الشهر

٢ - وتهيىء الادارة كتابين للطبع سيرسلان هدية للمشترك الذي سدد اشتراكه . ونرجو أن يكون أحد هذين الكتابين كتاب الاستاذ عبد القادر حمزة عن أثر المصريين القدماء فى الحضارات القديمة . وكنا وعدنا القراء بان نرسله هدية فى العام الماضي ولكن الأستاذ المؤلف احتاج الى تأخير طبعه لمراجعته وتنقيحه

ماذا نريد من الشباب

لصاحب السعادة محمد على علوبة باشا

نريد من الشباب النماذج العالية لما ينبغى أن تكون عليه الشبيبة فى نزعاتها وخطراتها وغاياتها نريد أن تكون الاخلاق فى الشاب هي العنصر الجوهرى فى مادة حياته ، عنها يصدر واليها يرد ، وحولها يحوم ، وصوبها يقصد . لأنه متى استشعر المصرى الكرامة لنفسه ولجماعته ولشعبه وأيقن أن هذه الكرامة أمانة فى عنقه لايحل له التفريط فيها ، ومتى احتقر المادة ، فلم يحكمها فى ضميره ، ولا فى عمله ، ولا فى حياته ، ومتى استخف بالحياة فى سبيل الشرف ، واتته الحياة صاغرة . وأدرك — برفعته وعزته أضعاف ما كان يفوته بضعته وذلته



ساحب السعادة محمد على علوبة باشا

انا نعيش لافى دنيانا وحدنا ، ولكن فى دنيا الناس جميعا ، وليست حياتنا سراً ينطوى فى أنفسنا بما له وما عليه ، ولكن حياتنا مكشوفة للأعين تحت المجهر وللآذان تحت المذياع ، فالامم ترمقنا، وتسمع علينا، وتتحسس منا مواطن الضعف لتنفذ الينا بأطماعها من خلال الشهوات والنزعات

فما أحرى كل مصرى أن يكون فى نفسه كالجندى القائم على حراسة ثغر ، فانه اذا توانى أو تلهى ، أو تشاغل أقتحم عليه من مأمنه فكان من المدبرين

وما أحرى كل مصرى أن يتعلم أنه لا عزة له بهوان قومه ، ولا غنى له بفقرهم ، ولا متعة له باذلالهم ، ولا قوة له بأضعافهم — فقد يستهويه ظرف طارىء ، أو حالة عارضة ،

ولكن مرده فى النهاية الى قومه ، أراد أو لم يرد ، فحتم عليه أن ينظر أهو يصير منهم آخرا الي حيث أزلف الحسنات ، أم الى حيث أسلف السيئات

نريد أن يكون المصرى قويا فى نفسه وبنفسه ، معتداً بشخصيته ، معتزا بقوميته ،وأن يذكر دائما أنه حيث كان سفير قومه ومشخصهم ، وكما يكون يكون قومه فى أعين الناس

نريد أن يصان الشاب عن أن تزل به قدمه وأن يعلم أن الامراض الخلقية اذا حافت به استفحلت مع الايام وتشعبت جذورها فلا يمكن اقتلاعها من نفسه

ولقد عرفت فى الشباب من كانوا بحكم سنهم لا يزالون فى أول ذلك الدور من أدوار العمر ولكنهم بأخلاقهم ، بعزتهم ، برجولتهم ، بتضحيتهم ، ببطولتهم ، كانوا فخر قومهم وكانوا شهادة عالية لمصر بأنها فى دور النضوج والارتقاء ، كما عرفت منهم من لم يكن لهم نصيب من المناعة الخلقية ، وكان الضعف يستمرىء نفوسهم ، ويراها مرتعه الخصيب ، فلما تقدمت بهم السن ، رأيناهم كما كانوا اخفافا ضعافا لايصلحون ولا يؤمنون

***

فابنوا أيها الشبان ، أو تمموا البناء ، وتلافوا ما تهدم من بنيان الاخلاق فى الانفس الضعيفة التى يقتلها الضعف فى كل يوم مرة . أدركوا الانفس التى لوثها ضعفها وقتلها خوفها فكانت مثلا سيئا فى الحاضرين

الحر لايموت الا مرة والموت أحلى من حياة مرة

بنتام

قبل أكثر من ثلاثين سنة نقل المرحوم فتحى زغلول باشا كتابا للمؤلف الانجليزى بنتام عن أصول الشرائع لايزال يجد جمهورا من القراء ينتفع به . وقد مات بنتام سنة ١٨٣٢ ولكن مؤلفاته تقرأ وتدرس بين طلبة الفلسفة والشرائع والاصلاح الاجتماعي الى الآن

وكان أول مؤلفاته نقدا للدستور الانجليزى ظهر سنة ١٨٨٩ أوضح فيه عيوب هذا الدستور على الرغم من الثناء الذى كان يلقاه من الكتاب الانجليز والفرنسيين . ثم استمر يؤلف فى الفلسفة والاصلاح الاجتماعى إلى أن ذاعت شهرته . وهو صاحب القول المأثور من أن غاية الشرائع والفلسفة يجب أن تكون « أكبر مقداراً من السعادة لأكبر عدد من السكان » وكانت هذه الكلمة من الكلمات المحورية فى تفكير الفلاسفة والمصلحين طول القرن التاسع عشر



ومع أنه قد مضى على وفاة بنتام ١٠٤ سنة فانه لايزال يرأس جلسات مستشفى « كلية الجامعة » فى لندن . وذلك انه أنشأ هذا المستشفى سنة ١٨٢٧ وحبس عليه جميع ثروته ولكنه اشترط أن يرأس جلسات مجلس الادارة طول حياته فاذا مات فيجب أن يوضع هيكله العظمى فى كرسى الرياسة بملابسه التى كان يلبسها فى حياته ويحضر جميع الجلسات . وقد فصلت جمجمته ووضعت فى ماعون من زجاج بين قدميه كما يرى القارىء فى الصورة المرافقة . والى الآن تعقد جلسات هذا المجلس برياسة المستر بنتام الذى يذكر فى المحضر بأنه « حضر ولكنه لم يعط صوته »

وتعلل هذه الوصية الغريبة بأن بنتام فى آخر حياته كان أعزب وقد أصيب بالسوداء . فتطلع الى الخلود الذى فقده فى النسل بابقاء جسمه الميت فى صورة الحى فى مجلس ادارة المستشفى

بنتام

ماوراء الامس

« ولكن ماوراءك ياعصام »

شاعر قديم

أما فكر هذا النا   س كم من قاتل عاتي
لو أن لكل ذي حقد   مناه في الرمايات
لو أن الامر فوضى لا   حسيب على الجريرات
لكان الامر ما كان   قديماً في البداوات
إذ الأشره في الأرحـ   ـم مقضى المشيئات
ودامي الناب من لحم   أخيه والسخيمات
وغر الناس مايخد   ع من بذل المروءات
وغر الامن والسلم   وآيات السموات
ومن يصغى لآيات   وأرواح رحيمات
وخلف الامن والسلم   كحرب الذئب والشاة
قتال بالنكايات   وآخر بالسعايات
وبالكذب وباللؤم   وأرجاس الغريزات
سلاح كل ما أسعـ   ـف في حرب المباراة
ولو تقتل الحاظ   نمت قتلى العداوات
اسم مابدا في اللحـ   ـظ أم سهم الحزازات
وقوم الزمن الماضي   كقوم الزمن الآتي

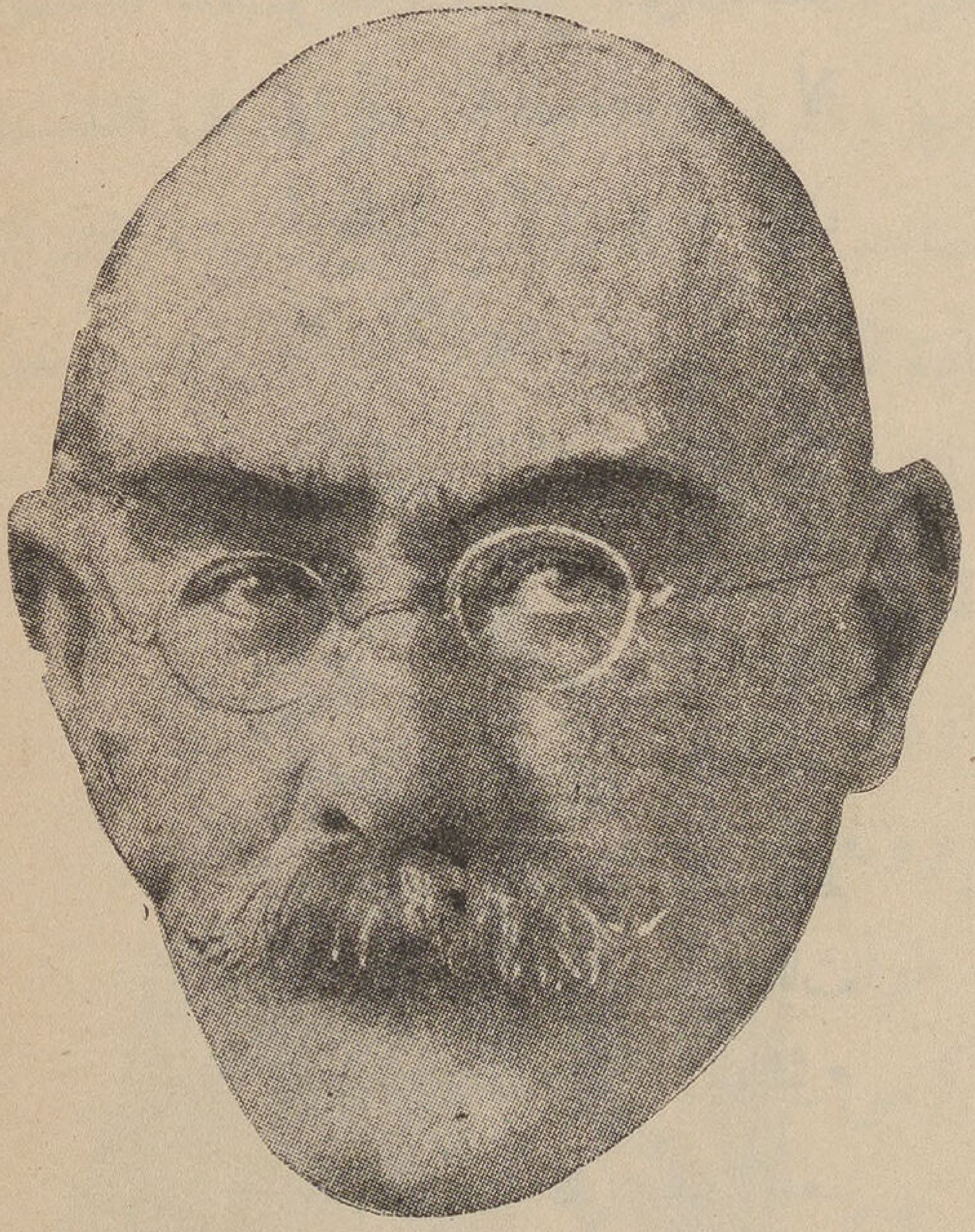
* * *

سألت الله أن يخلـ   ـف ظني عند ميقات
بأن يخلف أقواما   كراما في السجيات
فمن فجار مهواة   إلى أطهار مرقاة
ومن رجس المباراة   إلى طهر المؤاخاة

عبد الرحمن شكري

الشاعر كبلنج

نعت التلغرافات الشاعر الكبير كبلنج . وبين الانجليز من يعده اعظم الشعراء منذ شكسبير وربما يكون هذا الا كبار من مقامه عائداً الى نزعته الامبراطورية . ولكن مما لاشك فيه أن انجلترا بل العالم الانجليزى كله قد فقد فيه شاعراً من أعظم الشعراء


كبلنج

واللغة الانجليزية من اوفق اللغات للشعراء فان رنين الفاظها يسمو أحيانا الى النغم الموسيقى والقارىء للقصائد الانجليزية يلتذ تلاوتها لصوت المسموع كما يلتذ معانيها بل احيانا اكثر وفى الخيال الانجليزى تحفظ يجعل الشعر محترما بين الشيوخ كما هو محبوب بين الشباب

وقد عرفت اللغة الانجليزية فى الاربعمائة من السنين الماضية شعراء عديدين يختلفون فى اللون ويتفاوتون فى القوة حتى ليبدو للمتأمل لهم كأنهم من سلالات مختلفة لا يربطها غير النطق بالفاظ اللغة ، فان الفرق بين الشاعر سوينبورن وهو يدعو الى الالحاد فى ابيات كأنها قد قدت من الفولاذ وبين الشاعر تنيسون وهو يؤلف المقطوعات وكأنها الصلوات هو فرق فى النوع وليس فرق التفاوت فى الدرجة . وكذلك الفرق بين بيرون الذى كان يؤمن باخلاق الفراعنة فى المسائل الزوجية وبين كبلنج داعية الاخلاق ومؤبد العرف وعدو الاشتراكية وشاعر الجيش والأسطول . وكذلك الفرق بينه وبين اوسكار وايلد زعيم المنحطين

نشأ كبلنج فى الهند وتعلم فى بريطانيا وحملته بين البلادين بواخر بريطانية وطاف حول العالم ورأى بعينه هذه الامبراطورية التى تنبسط على القارات الخمس . فكان يرى فيها جميعها لغة ابائه وتجارة مواطنيه قد كتبت لهما السيادة . والانسان يزداد وطنية كلما بعد عن وطنه . بل يحدث أحيانا كثيرة ان يكون التغرب سبباً للوطنية الحادة . وهذا هو الذى حدث للشاعر كبلنج فانه

بعد الطواف عاد الى وطنه يقول .

« أنه لا يعرف انجلترا من يعرف انجلترا فقط »

اى يجب لكى يعرف الانسان العظمة الانجليزية ، أن يطوف فى العالم فيرى الامبراطورية قبل أن يرى انجلترا نفسها ومثل هذا الكلام يلاقى القبول بل الحماسة عند تلاميذ المدارس قبل الجمهور . والواقع أن كبلنج على الرغم من ابداعه أبداً وتعمقه أحيانا هو شاعر التلاميذ يحفظون أشعاره وينشدونها عفوا بلا تكليف لانها تشيد بالامبراطورية ومجد بريطانيا وقوة الجيش وعظمة الاسطول ومتانة الاخلاق البريطانية

ولكن يجب الا ينخدع القارىء فيعتقد أن هذا الشاعر كان درويشا من دراويش الامبراطورية فان له قصائد خارقات . وقصيدته « إذا » ستبقى جوهرة من جواهر الآداب العالمية فقد جمع فيها الاخلاق الانجليزية كما يحب الانجليزى أن يراها فى بنى وطنه وهى تلك الاخلاق التى هى ثمرة الثقافة والحضارة البريطانيتين وهى التى تمتاز بالاعتدال فلا غلو حتى فى الفضيلة ولاقسوة فى العقاب ولا مبالغة فى الاستمتاع يسودها جميعها تحفظ يشبه الحياء مع ادخار للقوة وكراهة للتباهى بها . وقد رأيت محاولات كثيرة لترجمة هذه القصيدة الرائعة الى لغتنا ولكنها لا تدانى الاصل

وقد كان كبلنج مبدعا فى القصص كما كان فى الشعر . فانه هو الذى ابتكر هذه المسحة البدائية فى القصة وأعاد للغابة والوحش والبادية مكانهن فى القلب الانسانى . ومؤلفاته هنا هى نسيم نقى يحمل الينا العطر البدائى من الازهار البرية . وكان فى شعره أحيانا استقباليا يمارس ما يدعو اليه ماريتنى زعيم الدعوة الاستقبالية فكان يصف القطار والباخرة والتلغراف ويجيد فى هذه الموضوعات اجادة من طالت مرانته مع أنها كلها بكر لم يسبقه اليها أحد

وقد حملته نزعة الامبراطورية على أن يقول مدة الحرب أقوالا أساءت الى الالمان كما سبق له ان قال « ان الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقى الاثنان » ولكن الذين يعرفونه يقولون انه رجع عن هذه الاقوال التى هى أشبه بالمستر تشرشهل منها بالشاعر الأديب . ولا بد أن الآراء الحرة التى سادت بريطانيا فى السنوات العشر الماضية قد أثرت فيه وجعلته ينظر لعصبة الامم نظرة الاحترام التى كان ينظر بمثلها للامبراطورية البريطانية قبل ثلاثين أو أربعين سنة

الدنيا الجديدة للعقول القديمة

- أنشىء فى أسوج مصنع يكفى جميع السكان حاجاتهم من مواد الالومينيوم

- سافر إلى الصين أستاذ من جامعة كورنيل بدعوة من الحكومة الصينية لكى يدرس طعام الصينيين ويشير بطرق اصلاحه

- أسس معمل للكيمياء والطبيعيات فى انجلترا وقد صنع كله من الاسمنت حتى الكراسى والموائد والادراج

- يستعمل البنزين المستخرج من الفحم وقودا للاتومبيلات فى المانيا وبريطانيا كما يستعمل الكئول لهذا الغرض أيضا فى ايطاليا والمانيا

- عبرة للشرق . أول ماعرف البترول فى الشرق الأدنى وهو آخر الأقطار التى انتفعت به

- بلغ ما استخرج من الريون أى الحرير المطبوخ سنة ١٩٣٣ سبعة أمثال ما استخرج من القز أي حرير الدود

- متوسط عمر الشاهقة «ناطحة السحاب» فى الولايات المتحدة هو ٣٠ سنة وليس ذلك لانها لاتعيش اكثر من ذلك بل لأن هذه المدة تجعلها قديمة من حيث البدع الكثيرة فى البناء

- صنع الانجليز مدافع لمكافحة الطائرات يمكنها أن تسقط الطائرات التى على ارتفاع سبعة كيلومترات

- يمكن الذين يقتنون التلفون فى سويسرا أن يسمعوا إذاعة الراديوفون دون أن يحتاجوا إلى شراء جهاز خاص للتسلم

- تضاف عطور كيماوية الآن الى الورق والكوتشوك والسوائل المعقمة واصباغ الجدران وأشياء أخرى لتعطيرها

- يستعمل الغاز المستخرج من فحم الخشب وقوداً للاتومبيلات فى تشكوسلوفاكيا

- ظهر فى ألمانيا عود كبريت يمكن استعماله أربعين مرة

- صنعت مسامير من الورق بالضغط الهيدرولى . وهى تستعمل حيث يخشى من مسامير الحديد التى تنقل التيار الكهربائى

- تقوم الحكومة الاسوجية بتجارب لاستخراج السكر من الخشب . ويقول الخبراء أنهم يعتقدون أنهم سوف يستخرجون من غابات اسوج مليون طن من السكر كل عام

- تفتح حديقة الحيوانات فى لندن بعض أيام الاسبوع فى الليل وذلك لكى يرى الجمهور الحيوانات التى تنشط فى الليل وتنام فى النهار

ـ كان المتعلمون من الزنوج فى الولايات المتحدة سنة ١٨٧٠ يبلغون خمسة فى المائة فقط . وهم الآن ٨٥ فى المائة

ـ سيفتتح خط جوى بين شنغهاى فى الصين إلى لهاسا فى ثبت فتقضى المسافة فى أربعة أيام وهى تحتاج الآن بالجمال والبغال إلى ثلاثة أشهر

ـ نجحت الولايات المتحدة فى استنتاج سلالات جديدة من النخل فى السنين العشرين الماضية تفوق ما استنتجه الشرقيون فى بضعة الآلاف من السنين الماضية

ـ ثبت بالتجربة أن العقاب على الخطأ يؤخر التعلم

ـ ولد طفل له سحنة مغولية وبقى سنتين وهو أبله . ثم أعطى خلاصات ثمانى غدد صم فاعتدلت سحنته وعاد اليه ذكاؤه

— تشتغل حكومة أسوج بانشاء مستشفى بالقرب من ستوكهولم ستبلغ تكاليفه مليونين من الجنيهات . وقد أنفذت عددا كبيرا من أطبائها إلى مستشفيات أوربا وأمريكا لكى يدرسوا جميع المستحدثات الطبية وينقلوها الى هذا المستشفى

— يصل التيار الكهربائى الى كل منزل من منازل الفلاحين فى ألمانيا ولذلك تصله اذاعات الراديوفون . وقد اخترع مخزن للتبريد الكهربائى يمكن الفلاح أن يحفظ فيه مأكولاته مدة الصيف فلا تتعفن

— تستعمل الكهربائية فى بيوت الفلاحين الالمان والانجليز والاقطار الشمالية فى حضانة البيض للتفريخ وفى حلب اللبن والتدفئة والتبريد كما تستعمل لانذار السكان من اللص المهاجم فى الليل

ولـــــــدى

رف فى خاطرى وذاب بنفسى — صورة حلقت بفكرى وحسى
هو طفل فى باطن الحس يلهو — لم يصر بعد فى الوجود ويمشى
هو وحى يرف فى عالم الوهـ — ـم أيغدو فى عالم الاحياء ؟
وخيال يطوف بالفكر هلا — سيصبر الخيال حكم القضاء ؟
طف بفكرى كما تشاء ولكن — لاتكن قط فى ربوع الحياة
واحتجب فى الخفاء اياك إيا — ك وجودا فى هذه الكائنات
نا قد ذقت من حياتى شقاء — وتراني به كليما وحائر
ليس ما فى الوجود يرضيك حاذر — لا تخاطر فتهبط الارض حاذر
فاحتجب فى الخفاء ياطفل واعلم — أن هذى الحياة ناءت بشر
هكذا نحن فى الوجود حيارى — فهنيئا لك الخلود بفكرى

محمد السيد المصرى

السابح الموهوم

ارسلت عقلي فى الحياة محققا — فرأيت أنى سابح موهوم
ورأيت هذا الكون بحراً زاخراً — الخلق أشباح به ورسوم
والموت والاحداث امواج له — تعلى وتخفى من يشاء هواها
وأرى الحقيقة تحت أشباح البلى — وارى الجميع خيالها وصداها
وانا على هذا المحيط معذب — خلف الامانى والخيال النائى
وورائى الاقدار تقذفنى بما — جمعت فى الآلام والارزاء
لا الوهم منتظر ولا انا واقف — حتى أجفف أدمعى ودمائى
ومدار سيرى خلفه لا ينتهى — مادام روحى حارسا أجزائى

عز الدين على السيد



وجهان حبشيان



وجهان حبشيان

فضيلة الخوف

للدكتور أمير بقطر

الشعور بالعجز طبيعة فى الانسان منشأوها الخوف ، والخوف غريزة يولد بهـا الحيوان والانسان ، لغرض سام ، وهو المحافظة على النفس من الفناء ، وتخليد النسـل . . وليس الخوف ، كما يتوهم الكثيرون عيبا ينبغى درؤه ، لأنه كالألم إنذار بحلول الكارثة، أو قرب وقوع الأزمة ، أى ناقوس الخطر تدقه الطبيعة البشرية ، كلما تعرض صاحبه لأذى ، خارج عنه أو باطن فى جسمه وما الخوف الذى يعيبنا الناس عليه سوى المغـالاة والتطرف فى هذه الغريزة ، تطرفاً ندعوه فى الحقيقة جبنا

قد يكون الأصل فى الكفاح فى الحياة ، والجهاد فى سبيل الكسب وطلب الرزق ، قد يكون الأصل فى هذه أكثر من غريزة واحدة ، كالحب مثلا ، وشهوة الفوز والظهور والسيطرة . غـير أن أول هذه الغرائز التى تدفع المرء إلى طلب العيش هى الخوف من الجوع . وما تبدأ فيه بعـد ذلك من الغذاء . ولا يقصد بذلك أنه كلما هممنا للعمل ، فعلنا ذلك بدافع الخوف ، ولكن يقصد أن الخوف كسائر الغرائز حيلة ميكانيكية دفينة فينا ، كامنة غير منظورة تدفعنا للكد من حيث لاندري ، أى أننا لا نحس بوجودها إلا من حين إلى حين ، خصوصا عند حلول الأزمات

نجد فى التوراة آيات كثيرة عن الخوف يناقض بعضها بعضـا فى الظاهر . فالآية المشهورة رأس الحكمة مخافة الرب ، يناقضها فى الظـاهر آيات أخرى كثيرة عن الخوف كقوله لا تخافوا . قولوا لخائفى القلوب كونوا أقوياء كونوا كرجال . كونوا أقوياء . نعم كونوا أقوياء لاتخف أيها الانسان . . . الخ . غير أننا اذا دققنا البحث وجدنا أن هذا التناقض ليس فى الصميم . فاذا فهمت بقوله مخافة الله ان الله ذو بطش ، مؤذ غير رحيم ، فهذا بالطبع خطأ لا محـالة . أما اذا قصدت بذلك معنى أوسع أي الخوف من كل ما يعمل على ايقاع الأذي للانسـان والتحفز للوقاية منه ، ففى هذا منتهى الحكمة

جميع المخلوقات الخبيثة من الباشيلس الى الفيل جاهدت فى سبيل الحياة مدفوعة بالخوف والشعور بالعجز وقضت ملايين السنين مهددة بالتغيرات الجوية العظيمة ، بنار الحر وقارس البرد ، بقلة الطعام ، بطغيان الوحوش المفترسة ، والزحافات السامة ، التى تفوقها قوة وافتراسا ، بالطوفانات

والزلازل والبراكين. وهكذا ظلت تنتقل من خطر الى خطر ، فيفنى منها الضعيف ويبقى القوى ، وكلما تهددها خطر جديد دفعها الخوف إلى السعى إلى مواطن الامن والطمأنينة ، حتى انتقلت إلى اليابسة بعد أن طغى عليها الماء ، وطارت إلى الهواء بعد أن طغت عليها اليابسة ، وكونت لها أجنحة سريعة بعد أن طاردتها أخطار الجو فخلقت وارتفعت واتزنت أجسامها فاستطاعت أن تدور وتعلو وتهوى وتتأرجح

وقبل أن يصل الانسان إلى حلقات النشوء والتطور والارتفاء هذه ، استهدف المخلوق الحى إلى أشد الهجمات عنفاً ، وأكثرها خطراً ، وكان فى كل مناسبة يتخذ لها العدة المناسبة ، بعد أن يفنى من بنى جنسه القوي ، ويبقى الضعيف . ومن أمثال هذه العدد التى جابه بها الاخطار وتغلب بها على الصعاب القشور والاصداف لأم الخلول والقواقع والزواحف ، وأذناب القرص للعقرب وأكياس السم للثعبان ، والزعانف للأسماك ، والفراء لحيوانات المناطق الجليدية المتجمدة ، والريش لتلك التى تعرضها الطبيعة للبرد والحر بالتناوب ، والشعر للتى تتعرض للمناطق المعتدلة ، والأصابع المشتبكة للحيوانات السابحة ، والاصابع القابضه المتسلقة الأشجار ، والاقدام المستوية بواطنها للسائرة على الارض مستقيمة قائمة — وبالاختصار فان الطبيعة وهبت كلا من هذه المخلوقات الكائنة الحية العدة التى تناسبها ، مدفوعة بالعجز والخطر والخوف

ومغزى حكاية النشوء هذه — أو الخليقة إذا شئتم أن تسموها كذلك — مغزاها أننا كأفراد ، كمخلوقات كائنة حية ، فى حاجة مستمرة ملحة إلى اخطار وعقبات ومخاوف وشكوك نتغلب عليها وبغيرها لايكون النجاح والرقى والتقدم حليفنا . وما الخوف إلا دافع قوى يدفعنا إلى هذا التقدم. ونستطيع أن نقول بعبارة أخرى أن الخوف الذى يصل إلى حد الجبن يزول إذا علمنا وأيقنا أن الخوف ماهو إلا عريضة الدعوى التى يراد بها منا أن نستغل قوانا دفاعا عن الخطر وتسلقا السلم المعالى

ولا ننس أن المخلوقات الكائنة الحية التى سبقت الانسان لم تشعر بعجزها أو تعرضها للموت — شعور الانسان — ذلك الشعور الذي قد يعكر صفوه وهدوءه — وذلك لأنه كان ينقصها التصور والخيال المبنيين على الاختبارات السابقة

الخوف والشعور بالعجز أول علامة وصل اليها المخلوق الحى من علامات التقدم وحالما ظهر ذلك المخلوق قوى الذاكرة والتفكير والتصور ، جاء هذا علامة على ظهور ما تسميه الانسان

ولد الانسان فى بيئة يحوطها سياج من الخوف ، لأن كل الأخطار كانت تحدق به وتهدده من كل جانب ، وكان يجد نفسه وحيدا يدفع عن نفسه هذه الاخطار . وغريزة الاجتماع التى تمتاز بها الحيوانات ذوات الثدي والتى الانسان أحدها لم تفده كثيراً فى بادىء الامر لانه لم يستطع أن يجد فى بنى جنسه هذا التعاون الذى ينشأ عادة من هذه الغريزة . والسبب فى ذلك أنه فضلا عن

أن الحيوانات كانت أعداءه الدودة ، فان الانسان نشأ أيضا عدو الانسان . ورغم تلك السنوات الخالية التى تعد بعشرات الالوف ان لم يكن المئات الالوف من السنين، لاتزال آثار هذا العداء وهذه الخصومة باقية فى القرن العشرين

ولا شك أن هذا العداء وتلك الخصومة وهذه المخاوف هى من أكبر العوامل التى تدفع الانسان إلى النشاط والعمل والابتكار والاستكشاف والزحف والعدو إلى الامام ، وهو الذى حدا ببنى الانسان أن يتحد مع بنى جنسه ويتعاون فأسس الاوطان والقوميات والممالك والطوائف والشركات والجيوش والجماعات والاندية

ومبدأ الحياة أو التغلب على المصاعب جعل لهذه المصاعب والشدائد والمخاوف قيمتها . فلولا الشعور بالعجز والخوف من مخاطر الطبيعة وبطش الوحوش المفترسة وغزو الزحافات السامة ، وقلة الطعام ، وشدة التغيرات الحيوية ، لولا ذلك لكانت الحياة سهلة وظل الانسان دون القرد منزلة وظل سائرا على سيقانه الاربع ، ولم يتقدم الى الامام ولم تقو ملكاته العقلية التى أعانته على هتك أستار الكون واختراق حجب الطبيعة ، واخضاع قواها ذلك الاخضاع العجيب الذى نراه ، لولا هذا الكفاح الذى يضطرنا اليه العيش ومصدره الخوف لما كنا على ما نحن عليه الآن

قد يكون هذا الخوف باطنا أى لا نشعر به تماما ولكنه هناك على كل حال فالملل والسآمة وظهور الحياة أمامنا سائرة على وتيرة واحدة والتعب والوحدة وعدم القناعة كلها علامات تدلنا على أننا نطمح الى المعالى نتلمس بأيدينا التقدم . نريد التسلق والصعود والتحليق فى جو الرقى . وكلما هزمنا أعداءنا سهل علينا الغزو . ولاينجح شىء أكثر من النجاح . وكلما قلت الحاجة إلى الكفاح زال الخوف ، واستتبت الطمأنينة ، أخذنا فى الهبوط لان كل وقوف تقهقر ولا يعد النجاح نجاحا إلا بالسير إلى أعلى . لذلك يعتقد البعض أن الوظيفة الثابتة بمعاشها وزيادة مرتباتها زيادة دورية بمجرد مضى المدة لا نتيجة الجدارة — وظيفة هذه صفاتها موت واثباط للهمم وكل تزحزح فى الوظيفة وعدم ثبات دافع للنجاح وإذكاء للهمم

وما يقال فى الاشياء المادية يقال فى الادبية الاخلاقية . إن المرء لتتدهور أخلاقه إذا ما اطمأن عليها . ولم يعمل على السمو بها فوق المستوى الذى بلغه لان وقوفه بها عند حد يظن هو أنه يحسن السكوت عليه هو بمثابة سقوط

وهنا يجدر بنا أن نوجه العناية الى النقط الآتية —

(١) ان تخويف الاطفال أو الكبار توصلا لبلوغ فضيلة أو أمنية ليس من السهولة بمكان لان عملا كهذا محفوف بالاخطار ويكون ضرره أكثر من نفعه ويحسن ألا يلجأ اليه الا خبير بنوع

التخويف وذلك بايجاد الوسيلة التى يستطيع بها الطفل أو البالغ أن يرى عن كثب الخطر محدقا بنتيجة العمل السىء أو الاهمال والترك

وعلى ذلك يكون تخويف الصغار بالضرب توصلا إلى تعويدهم الفضائل السامية سياسة خرقاء ، وتخويف الفتيان والفتيات بالزهرى والسيلان تكريها إياهم فى الفحشاء ، بمثابة تعويدهم الجبن وإذلالهم ، وتخويف الكبار بجهنم حتى يأتوا الصالحات سخافة لامبرر لها ، كما أن الكلام عن الجنة رشوة لاغش فيها

(٢) إن أبعد الوثبات التى وثبها بنو الانسان منذ انفصالهم عن القردة أو الحيوانات السفلى ، وأوسع الخطى التى خطاها فى سبيل تحسين النوع فى الجسم والعقل ، جاءت فى أشد العصور وعورة وأكثرها تقلبات ، وزلازل وبراكين واضطرابات جيولوجية وأشدها برداً وثلجا ورياحا . وأشير هنا إلى مايسمونه بالعصور الجليدية التى طغت موجاتها بشدة على العالمين فأدت إلى تلك التغيرات التى بسببها هام الناس على وجوههم . خصوصا أشدهم مطامح وأكثرهم نشاطا وذكاء حتى اهتدوا إلى مكان سادوا فيه على الطبيعة وأخضعوا قواتها ، بعد أن غربلوا غربلة فباد ضعفاؤهم وبقى أشدهم جسما وعقلا

(٣) إن أشد مايتهدد الفرد أو الجماعة هو الطمأنينة وزوال الخوف والشعور بالعجز زوالا تاما . والدليل على ذلك أن الرومان لما استقر ملكهم واستتب لهم الحكم والاستعمار ، زال عنهم الخوف فانغمسوا فى بحر من اللذات فسفوا الى الحضيض . وأخشى أن أقول أن الدولة البريطانية بعد أن استتب فى أمبراطوريتها الواسعة الامن ، أهملت أسطولها وعدتها الجوية وسلاحها البرى فاستخفت بها ايطاليا وحاولت أن تضربها فى الصميم

ولدينا من مفكري الافرنج والعرب كليهما من الحكم المأثورة مايبرهن لنا على صحة ماأقول . فقد جاء فى رواية شكسبير ، مكبث ، هذه العبارة ومعناها الطمأنينة ألد أعداء الانسان

وقال الطغرائى فى لاميته المشهورة

وحسن ظنك بالأيام معجزة   فظن شرا وكن منها على وجل

(٤) ان الناس على قدر عقولهم وأمانيهم ومواهبهم يواصلون أعمالهم ويخافون ضياعها ، جميعهم سواء . فالخوف الذى يدفع الخادمة لغسل الأطباق فى المطبخ وتمسكها بعملها ، هو عين الخوف الذى يدفع الممثلة الأولى فى الاوبرا أو النجمة فى السينما إلى اتقان دورها الغنائى أو التمثيلى . وإذا حرمت الخادمة من عملها ورفتت من وظيفتها فانها تحزن على حرمانها من غسل الاطباق حزن الممثله الاولى على حرمانها من موقفها الغنائى فى الأوبرا أو التمثيلى فى الاستوديو

(٥) ان التعاون لايأتى إلا فى وقت الشعور بالعجز أو الخوف من الكارثة . يتناسى أفراد الاسرة الواحدة الحزازات والضغائن وقت الشدة فيقولون أنا على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب . وما يقال فى الاسرة يقال فى أبناء الوطن وأحزابهم وجماعاتهم السياسية والاجتماعية على اختلاف نزعاتها مثال ذلك التحالف الثلاثى ونهضة بريطانيا المالية بعد كبوتها سنة ١٩٣٢

(٦) ان الفرد الذى تموت فيه الامانى والأحلام وتخمد فيه نار المطامح كأولاد الذوات والاغنياء والوارثين والمحدثين الذين يواصلون أنهارهم بلياليهم بين الكأس والميسر ومداعبة النساء - هؤلاء أموات ، أوفى طريق الموت ولانهم لايشعرون بالعجز ولا يخافون أعداء الحياة - كالفقر مثلا . وأكثر من ذلك أن الدافع النفسانى المتحرك الذى يسميه برجسون elan vital الذي هو دولاب الحياة قد تكسر ولا سبيل إلى اصلاحه غالباً الا بكارثة كفقر أو مرض

(٧) لاينصت الناس إلى صوت الضمير أو صوت الحق أو صوت الشعر أو صوت الدين إلا فى أزمان الشدة أزمان الحزن أزمان التجربة إذن لانستغرب إذا علمنا أن أصل الدين كما يقول لنا علماء الاجتماع هو الخوف من القوى الطبيعية الخوف من المرض والبحر والريح والموت والشياطين والارواح النجسة والفقر

ولذلك لاندهش إذا تغيرت آراء الناس فى الدين بتغير أنواع الخوف ولا غرابة اذا رأينا عقائد الناس فى الدين تتغير بتغير الازمنة وليس من ينكر أن الكنيسة اليوم ليست هى الكنيسة التى أسسها رسل المسيح أو أن الكنيسة البروتستانتية اليوم هى غير التى خلفها عصر الاصلاح

(٨) ان التفكير الصحيح لايأتى صاحبه إلا فى وقت العجز والشعور بعقبة تعترضه فى سبيله أو مسألة يحتم عليه حلها ، أو خطر سيهدده او حيرة تنتابه أوشك يريد تبديد غياهبه خوفا من خطر يحدق به

(٩) وينشأ عن الملحوظة السابقة أن أجمل ماتركه لنا السلف من الفنون الخالدة من نثر وتصوير ونحت ورواية ونثر وشعر قد وضعه أصحابه فى وقت الشدة . ألا نجد أن ما كتبه حافظ إبان فقره أجمل بكثير مما كتبه إبان وفره أنظر مايقول فى مقدمة البؤساء التى ترجمها عن فكتور هيجو « وكتبها كاتبها وهو بائس وعربهـا معربها وهو بائس فجاء الاصل والتعريب كالحسناء وخيالها فى المرآة »

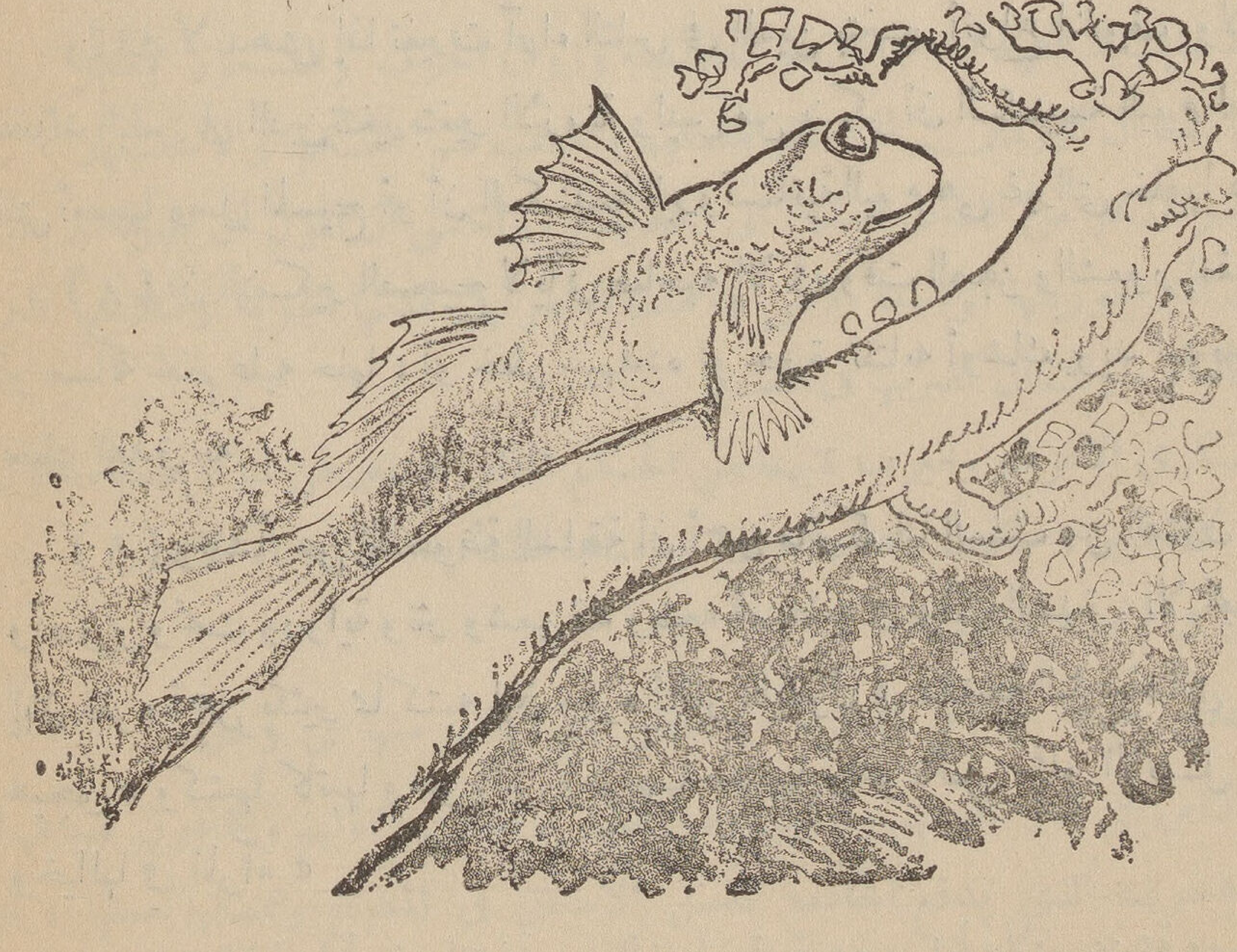
« ١٠ » إنا فى الخوف لنتخذ من الضعف قوة ومن الخذلان عزيمة ومن الهزيمة نصرا ومن الخيبة رجاء ومن الشك ايمانا ومن الموت حياة

كتبنا عن الخوف كفضيلة من الفضائل لأن الناس عامة لايرون منه إلا الناحية السوداء ، ولذا

اتخذت لنفسي موقف الدفاع عنه فتحدثت للقراء عنه كفضيلة . وبعد كتابة ماتقدم عثرت على مؤلف صغير لطبيب معروف ، وهو أستاذ معروف للأمراض العصبية فى إحدى كليات الطب فى اميركا جعل عنوانه « الخوف دواء للوقاية » نقتطف منه العبارات الآتيه .

« الخوف ، رغم ما حاق به من الظلم والازدراء من بنى البشر من أشد العوامل التى تؤول للبناء والمحافظة على النفس والنسل فى الحياة . فلولا الخوف من البرد القارس ، لماشيد الناس الدور والقصور والبنايات الشاهقه ، ولما عثروا على أسرار النار واتخذوها وسيلة للمنفعة العامة . ولولا خشية الجوع لما أجهدوا نفوسهم فى عزق الأرض وحرثها واستثمار غلتها . ولولا خشية الفناء من الجوع لما كانت فضيلة الاقتصاد والتوفير والادخار ، ولولا خشية المرض ما كان الطب ولا كانت عجائب الجراحة ، ولولا خوف الموت لما كان الدين ، ولولا خوف الفناء الأزلى لما كانت فكرة الايمان الابدية والخلود »

السمكة المتسلقة

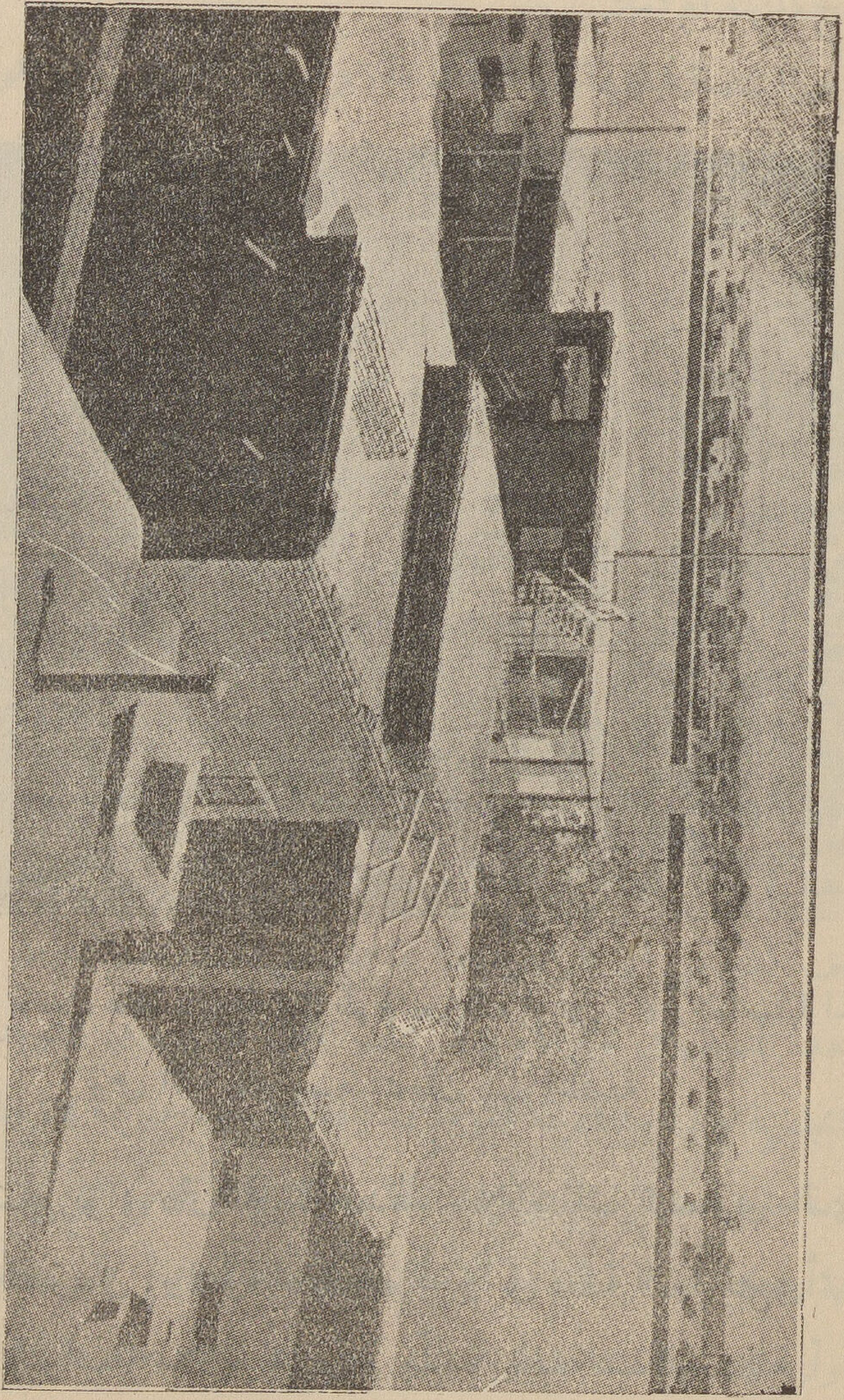


السمكة المتسلقة

يرى القارىء هنا سمكة تعيش حول الجزر الملاوية فى الجنوب الشرقى من آسيا . وهي عند ما ينحسر المد وينكشف الطين تتلبط فيه وتسير على زعنفتيها الي أن تبلغ الاشجار المحيطة فتتسلقها لكى تأكل الحشرات

بيت الخليفة بأم درمان

فى الثانى والعشرين من شهر يونيو سنة ١٨٨٥ ، قضت حمى التيفوس على حياة محمد أحمد المهدى فووري جثمانه فى التراب بمنزله بام درمان ، فى نفس الحجرة التى اسلم فيها الروح . ثم شيد اتباعه



منظر لبيت الخليفة عبدالله بأم درمان مأخوذ من الطائرة

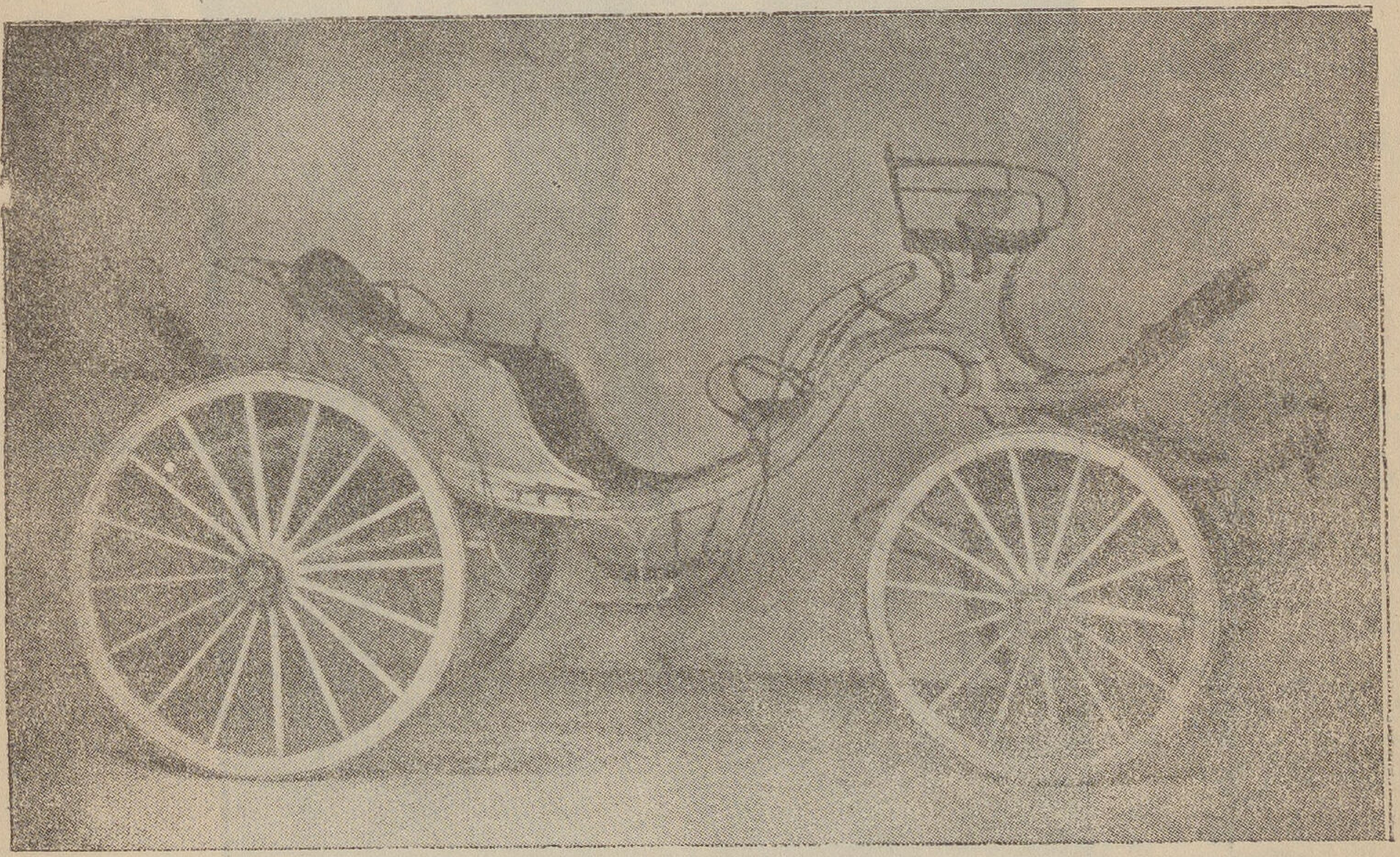
فوق ضريحه قبة شامخة ما تزال آثارها باقية الى الآن تنبيء عن ضخامتها

وتنفيذا لوصية المهدى تربع على دست حكومة المهديين من بعده : عبدالله التعايشى ، الذى

صار يدعى بعد توليته الحكم . خليفة المهدى أو الخليفة عبدالله

ومنذ ذلك الحين أصبح بيت الخليفة عبدالله كعبة تخر لدى أبوابها الجباه وتخشع الابصار أجلالا لساكن الدار ، وتحت سقف هذه الدار كان يجتمع مجلس بلاط الخليفة ، أو قل برلمان حكومة الدراويش ! للتصرف فى شؤون الامة السودانية من سياسية وحربية ... الخ

وقد ظلت هذه الدار مقراً لحكومة السودان الوطنية زهاء ثلاثة عشر عاما من ١٨٨٥ الى ١٨٩٨



هيكل لعربة غنمت عند سقوط الخرطوم بين الدراويش وكان يستعملها الخليفة
وهى الآن معروضة بمتحف بيت الخليفة

ومن الذين كانوا ضمن بوابي دار الخليفة عبدالله سلاطين باشا النمسوى الذى كان مديرا لمديرية دار فور بغرب السودان . ولسوء حظه وقع أسيرا فى قبضة الدراويش فى أثناء ثورة المهدى

وقد مكث المدير « البواب » ملازما لعتبة دار سيده الخليفة عبدالله متظاهراً بالاسلام قرابة عشر سنوات ، يقوم بأعباء وظيفته الشاقة كأى بواب شريف !

ولكن سلاطين باشا الرجل الاوربى المثقف لم تعوزه الحيلة ، فدبر أمره مع معارفه بالقاهرة وفر من السودان الى مصر على ظهور الابل وبارح أم درمان مختبئا تحت أستار ظلام ليلة ٢٠

فبراير سنة ١٨٩٢ وما كادت تشرق شمس يوم ١٩ مارس من هذه السنة حتى كان سلاطين بالقاهرة

وقد أورد سلاطين فى كتابه « السيف والنار فى السودان » وصفا لبيت الخليفة جاء فيه

« يتكون بيت الخليفة من غرف متصلة بين كل واحدة وأخرى رواق صغير . وقد بنى الخليفة على سقف مجموعة هذه الغرف طبقة ثانية ، ويتمكن الناظر من منافذ هذه الطبقة من مشاهدة منظر عام واضح لمدينة أم دمان

« تمتاز غرف استقبال الخليفة بالبساطة التامة . وكل ما فيها من زينة هو مجموعة من العنجريبات » وهى الاسرة الخشبية السودانية وعلى كل منها حصيرة مصنوعة من سعف النخيل

واما غرف الخليفة الخاصة فمزخرفة بكل ما يستطيع الحصول عليه من زينات وتزاويق فى السودان . ففى كل غرفة من الغرف الداخلية أسرة من النحاس والحديد عليها الوسائد الموشاة أطرافها بالحرير الخالص . وعلى الابواب والنوافذ ستائر ملونة زاهية »

هذا وأن الذى أخنى على « يلدز » ذات القصور فى الاستانة فاحالها الى « كازينو » قد أخنى على بيت الخليفة بام درمان - والقياس مع الفارق - فاحالها هي الاخرى الي متحف يحتوى مخلفات حكومة المهدية والحكومة التركية المصرية التى تقدمتها

تدخل هذا المتحف بعد أن تدفع رسم الدخول وهو قرشان صيفا وخمسة قروش شتاء . فتشاهد معدات الحرب كالدروع والسيوف والحراب والرماح التى كان يستعملها آباؤنا الدراويش . كما ترى بجانب ذلك هيا كل الاسلحة النارية المنقرضة التى كان يحارب بها الجيش المصرى فى عهد محمد على باشا . وبالمتحف كثير من الآثار غير هذا مما يستحق المشاهدة والدرس

دخلت هذا المتحف فى يوم ما وبينما كنت أقلب الطرف فى محتويات احدى الغرف اذ لفت نظرى غانية انجليزية حسناء ممشوقة القوام قد وقفت امام « فترينة » زجاجية ، وثغرها الارجواني يفتر عن ابتسامة ساحرة ساحره . فحدا بي حب الاستطلاع للوقوف علي ما حمل الحسناء على الابتسام فاتضح لى انها كانت تقرأ الترجمة الانجليزية للرسالة الغريبة التى بعث بها الخليفة عبدالله الي الملكة فيكتوريا فى سنة ١٣٠٤ هجرية ، أى قبل ٥٠ سنة . يدعوها فيها الى اعتناق الدين الاسلامي والاذعان لحكومة الدراويش والا فالويل كل الويل للملكة الانجليز ولامبراطوريتها التى لاتغيب عنها الشمس .

والى القارىء فقرات من تلك الرسالة على سبيل التفكه

«وبعد فمن العبد المعتصم بمولاه القاهر. خليفة المهدى عليه السلام . الخليفة عبدالله . الى عزيزة قومها فكتوريا ملكة بريطانية : سلام على من اتبع الهدى . فاعلمى ان الله عز وجل هو ملك الملوك القادر المقتدر ... وانى أدعوك الى الاسلام فان اسلمت وشهدت ان لا آله الاالله وان محمداً رسول الله واتبعت المهدى عليه السلام واذعنت لحكمه فانى سأقبلك وابشرك بالخير والنجاة من عذاب السعير . وتكوني « كذا » آمنة مطمئنة لك مالنا وعليك ما علينا . وتتصل بيننا المحبة فى الله . ويغفر الله ما فرط منك فى زمن الكفر . . » والرسالة طويلة « درويشية الاسلوب » كما تري محشوة بالتهديد والوعيد . والعجيب فى أمر هذه الرسالة انها ارسلت الى لندن لخمسين سنة مضت ثم دارت الايام فعادت ثانية الى أم درمان لتعرض كأثر من الآثار فى بيت الخليفة الذى حررت فيه !

فكم أنت مذهشة يا أعمال المقادير أويا أفعال الله !!

أم درمان . سودان

المبارك ابراهيم

أقصوصة روسية

الناسكان

بقلم فالديمير سولوفيوف

كان ناسكان يتعبدان فى صحراء مصر . وكانت صومعتاهما متجاورتين إلا أن أحدهما لم يتحدث إلى الآخر قط . بل كان الاتصال بينهما مقصوراً على الاشتراك فى الترتيل أو مناداة أحدهما الآخر باسمه من حين الى حين . وقد لبثا على تلك الحال سنين عديدة فعرفا بالقداسة والطهر وتجاوزت شهرتهما حدود مصر الى كثير من البلدان

الا أن الشيطان الذى كاد يقتله الغيظ من قداستهما الفذة ، كان واقفاً لهما بالمرصاد فاستطاع على مر الزمن ، ان ينجح فى اغرائهما . فأوقعهما فى شركه فى وقت واحد . فقاما من فورهما دون أن يتبادلا كلمة واحدة ، وجمعا ما لديهما من السلال والحصر التى ضفراها من الحشائش وسعف النخل فى أوقات فراغهما الطويلة وانطلقا الى مدينة الاسكندرية . وهناك باعا ما لديهما فلما استوليا على الثمن قضيا ثلاثة أيام وثلاث ليال فى لهو ومرح مع السكيرين والخطاة . وفى صباح اليوم الرابع نفذت نقودهما فرجعا الى صومعتيهما فى الصحراء

وفى أثناء الطريق راح أحدهما يبكى بكاء مراً ويولول بصوت عال بينما كان الثانى يمشى مرحا متهلل الوجه يدندن بالاناشيد الدينية . كان الاول يصرخ قائلا : « لقد حلت بى اللعنة . فاني لا محالة هالك الى الابد . ومهما صليت فانى لن أستطيع أن أمحو أثمى الشنيع . . . لن أستطيع لقد كان صومي كله عبثا . بل ان صلواتي وأناشيدي كلها لن تشفع لى . حتى لكأنى قضيت أوقاتى الطويلة كلها فى ارتكاب الآثام . فقد ضاع نسكى جميعا فى لحظة واحدة . ويالها من لحظة منحوسة . »

أما الناسك الآخر فكان يسير وهو يغنى فى هدوء وفرح . فصرخ فى وجهه الناسك الاول قائلا : ماذا بك ؟ هل جننت ؟ فسأله الناسك الفرح : لماذا ؟

— لماذا لا تندم وتتوب ؟

— فقال الآخر : — أى شىء فعلته يستحق الندم؟

— وقال رفيقه : والاسكندرية ، هل نسيتها ؟

— ماذا بالاسكندرية ؟ مجداً لله تعالى الذى يحفظ تلك المدينة الشهيرة النبيلة من السوء !

— ولكن ماذا فعلنا فى الاسكندرية ؟

— ماذا فعلنا ؟ اللهم لاشىء سوى أننا بعنا سلاتنا وصلينا أمام أيقونة القديس مرقس ، وزرنا عدة كنائس وتمشينا قليلا فى المدينة وتحدثنا الى ليونيلا البارة التقية و . . . . »

فما كان من الراهب التائب الا أنه حملق فى زميله مبهوتا وقال : — « وماذا تقول فى منزل الدعارة الذى قضينا فيه الليل ؟ »

فقال الآخر . — اللهم احفظنا ! اللهم احفظنا ! يا أخى . لقد قضينا المساء والليل فى مضيفة البطريرك »

فصرخ الناسك التائب قائلا : — يا الهى ! لقد أفقده الله صوابه . . . ولكن قل لى . مع من سكرنا فى مساء يوم الثلاثاء ؟

— لقد تناولنا النبيذ واللحم فى البطريركية . فقد وافق يوم الثلاثاء عيد أم الآله

— مسكين ! ولكن من قبلنا ؟ أجب ؟

فى ساعة رحيلنا كان لنا الشرف أن يقبلنا قبلة مقدسة أبو الآباء ، صاحب القداسة بطريرك الاسكندرية العظيمة ومصر كلها وليبيا وبنتابوليس ، وكور تيموني التى تضم المحكمة المقدسة والآباء والاخوة وجميع الاكليروس الابرار »

— ولكن لماذا تهزأ بي ؟ هل معنى ذلك أن الشيطان قد تملكك بعد تلك الاعمال الشائنة التى أتيناها بالامس . لقد عانقت الخطاة وقبلتهم أيها الملعون »

لست أدرى أينا تملكه الشيطان . أنا أم أنت ؟ أنا الذى يفرح ويسر بنعم الله وارادته المقدسة ، وبمجد الخالق ويحمده على ما صنع . أم أنت الذى تخرف فتزعم أن بيت البطريرك المقدس هو بيت الدعارة ، وتشنع على رجال الدين الابرار فتدعوهم خطاة !

فصرخ الناسك التائب فى وجهه : — آه . أيها الزنديق . أيها الوحش الدنس » ثم انتفض على زميله يريد الفتك به . فلما فشل فى تحقيق رغبته يئس من محاولاته . واستأنفا السفر الى صومعتيهما

فكان الناسك النادم يضرب رأسه فى الصخر طول الليل ، ويقطع شعر رأسه ، وكانت الصحراء تتجاوب باصداء صراخه وعويله . أما زميله فكان يسير فى هدوء وفرح وهو ينشد الاناشيد الدينية

وفى الصباح راح الناسك النادم يتأمل حاله ويفكر على هذا النحو : —

« فكر فى الامر . لقد حبتنى السماء ببركة خاصة وقدرة مقدسة بسبب صيامى وصلواتي وتعبدى لله . وقد ظهرت هذه القدرة فى المعجزات والعجائب التى استطعت أن أقوم بها . ولكنى فقدت كل شيء بعد هذا الذى حدث . فانى اذا سلمت نفسى لشهوات الجسد قد ارتكبت اثما عظيما أمام الروح القدس . ولن يغفر لى الله هذا الأثم لافى هذه الحياة ولافى الحياة الاخرى لقد طرحت طهارتى السماوية الى الخنازير لتدوسها بأقدامها ، بل طرحتها الى الشياطين . لقد تلقت الشياطين جوهرتى المقدسة وداستها فى الوحل . وستتبعنى لكى تمزقنى . فاذا كنت لامحالة هالك فأى فائدة فى بقائي هنا فى الصحراء ؟ » وعاد الي الاسكندرية واستسلم لحياة الفسق والفجور وقد حدث أنه أعسر اعسارا شديدا فتآمر مع غيره من اللصوص الاشرار وهجموا على رجل غنى وقتلوه وسلبوه أمواله . وقد قبض عليه وحكم عليه بالاعدام فمات غير تائب

أما زميله القديم فقد استمر فى حياة القداسة والبر والنسك فسما الى درجة فائقة من الطهارة طبقت شهرته الافاق لما قام به من الآيات الرائعات عند مدخل صومعته . وكان كثيرا مايحدث وأن تحضر اليه امرأة بلغت سن اليأس فتحبل وتلد غلاما بكلمة واحدة ينطق بها هذا القديس ولما مات ، ترعرع جسده المتجعد البالى فجأة ، وعادت اليه نضارة الشباب وجمال الصبا وأصبح شفافا وفاح منه أرج سماوى ملأ الهواء . وقد شيد دير عظيم فوق رفاته المقدس وسرى صيته من كنيسة الاسكندرية الي بيزنطية ثم الى معابد كيف وموسكو

* * *

ومغزى هذه القصة ، كما يقول فارسونوفى الذي قصها ، هو أنه ليس هناك خطايا مهمة الا خطية اليأس . ألم يقترف هذان الناسكان نفس الاثم ، ومع ذلك فان أحدهما فقط قد هلك هذا هو الذى استسلم لليأس

الفاشية كما يراها دعاتها

تأليف جيابا برتسوليني وتلخيص غالى أمين

يصورون الفاشية اما بصورة القديس جورج ممتطيا صهوة جواده الابيض وهو يطعن التنين فى الاعماق (والتنين هنا هو المبادىء الاشتراكية) واما بصورة كلب للحراسة مما كان يستعمل فى العصور الوسطى متيقظا لحراسة الخراف « والخراف هنا هى ايطاليا » من عدوان الساسة الذين يريدون أن يمزقوا الوحدة الوطنية بخلقهم الاحزاب ، والكلمة فاشية فى معناها تفيد جمع الاغصان ليشد بعضها بعضا . وشعارها هو حزمة العصى والمغزى هو الاتحاد

جندت ايطاليا أبناءها وأرسلتهم إلى الحرب العظمى ليضعوا حداً لهذه الحرب وكانت قد أمطرتهم سيلا من الوعود الخلابة عندما ينالون النصر . فلما كتب لهم النصر وعاد الجيش الظافر منهوك القوى مثخن بالجراح متأثرا مما رأى من فظائع استقبل استقبالا فاترا ولم تف الحكومة بوعودها المغرية فلم توزع عليهم الارض ولم يقلدوا الوظائف ، حتى الموظفين منهم لم تحتفظ لهم بوظائفهم ووجدوا أن الحكومة والشعب فى بذخ فاحش بينما هم يموتون جوعا . إذ تضخمت أجور العمال وصار الفلاحون ملاكا . وساء الجيش أن يرى ذلك الاجحاف بحقوقهم وامتلأت قلوبهم بالحقد على الحكومة وتمشت فى اوصالهم نيران الثورة على نظام الحكم وسياسة أصحاب رؤوس الاموال فأنشأوا الهيئات والجمعيات السياسية التى تعارض المبادىء الاشتراكية وتتفق مع مبادىء جريدة بوبولو دى ايطاليا التى كان يحررها بنيتو موسوليني الذى سعى لعقد اجتماع لهذه الاحزاب والهيئات المعارضة للحكومة فى ميلان . وفى غفلة من الجمهور تصدر موسوليني الاجتماع وأدار دفته رغم حضور الكثيرين من الشخصيات البارزة وزعماء هذه الاحزاب ووضعوا خطة لمجهوداتهم تنحصر فى أربعة النواحي السياسية والاجتماعية والحربية والمالية . فقرروا سياسيا أن تشترك المرأة فى الانتخابات وأن ينزل الحد الادنى لعمر النائب من ٣٣ سنة الى ٢٥ سنة وأن يحل مجلس الشيوخ وأن يدعو الى دستور جديد يقول بايجاد مجالس أهلية للعمال والصناع والمواصلات والمسائل الصحية وهذه المجالس تنتخب من طبقتهم وتطلق يدها فى هذه الامور . وقرروا اجتماعيا

أن تـكون مدة العمل ٨ ساعات فى اليوم وأن تقوم النقابات بوضع قانون للعمال ، وقرروا حربيا أن تؤلف قوة أهلية دفاعية تـكون مدة التمرين فيها قصيرة وأن يستعاض عن استيراد الذخائرمن الخارج بانشاء مصانع لهذا الغرض . وقرروا ماليا أن تفرض ضريبة اضـافية على رؤوس الاموال وأن تطالب الهيئات الدينية بدفع حصة مئوية من دخلها وابطال امتيازات رجال الـكنيسةوتعديل العقود التى أبرمت لشراء ذخيرة من الخارج مع تخفيض ٨٥ ٪ من تعويضات الحرب لهذاالغرض وابتدأوا فى توزيع المنشورات والقاء الخطب وتعبئة المظاهرات . وقام الوزير نيتى يقـاوم هذه الحملة فاقتلع بطرق ملتوية من الحـكم . أما الوزير جوليتى فقد وجد فى هذه الحركة عضدا له فى تنفيذ مشروعاته فساعدها وقواها حتى يستند اليها لـكنها عندماوجدت نفسـها قد قويت تنـكرت له وا كتسحته في طريقها الي غرضها المنشود

وتهيئةالفرص لمساعدة هذه الحركة على النهوض . فالحركة الشيوعية قد فشلت ولم تجـد مرتعاخصيبا والاشترا كيون لم يتمكنوا من القيام بالثورة التى كان ينشدها الجميع .ورأى جماعة العمال والفلاحين أن الاحزاب الثورية لم تحقق أغراضهم بل هى تسببت فى ضـياع بعض الامتيـازات التى كانوا يتمتعون بها وكان أصحاب الاعمال وكبار الملاك متأففين مما يعـانون من تحـكم الاشتراكيين وتهديد الشيوعيين

قامت الفاشية فعارضت الشيوعية وطالبت بالهدوء والطاعة والنظام وأخذت تبث فى الشـعب المبادىء الوطنية وتحرضه على كراهية الحـكومة وتألفت فى جميع أنحاد ايطاليا الشـمالية هيئات فاشية من رجال الجيش والطلبة والشباب والعمال وحتى من رجال الاعمال الذين يعارضون المبادىء الاشترا كية — وتمشت الفاشية مع مطالب الشعب فانضم اليها بكثرة وكانت قررات المؤتمر هي الدافع على هذا التـكالب على مبادئه الاصلاحية . وقامت أول حركة فى ميلان دلت على أن الفاشية فى روح العمال عند ما جاء يوم أول مايو الذى يضرب فيه العمال ، فقدأضرب عمال ميلان ولـكن اضرابهم كان شاذا إذ صمموا على الاستيلاء على المصانع حتى تجاب مطالبهم وكان المشجع لهم علي هذه الحركة العصيانية محرر جريدة بوبولو دى ايطاليا أى موسولينى نفسه

وكانت الاشترا كية متفشيه في ربوع نهر البو فقد أخذت يد العمران تدب فى تربته فعج بالعمال وتحولت مناقعه وبطائحه الى رياض خضراءفا كتظ بالفلاحين وتـكونت الجمعيات الاشترا كيه فطغت واستبدت وحرمت على غير أعضائها حق المعيشة وتنفس الهواء فالتجـار لايعدونه بالمؤنة

والعمال لايعملون فى مصانعه أو أرضه والاطباء لايعيدون مرضاه وحتي اذا توفى فلن يجد من يدفنه . جاءت الفاشية بأساليبها المغرية فانفجر المرجل وثار الشعب واستبشروا وأقبلوا يستظلون بالعلم الجديد بمحض ارادتهم غير متذمرين أو مضطرين

وجاء دور الانتخاب سنة ١٩١٩ فنالت الاحزاب الثورية ١٥٦ مقعد من ٥٣٥ وجاء هؤلاء الثوريون الى حفلة افتتاح البرلمان وقد علقوا شارة حمراء في ستراتهم وعند ما تقدم الملك لالقاء خطبة العرش انسحبوا بهدوء من القاعه . فكان هذا الفوز بهذا العدد الكبير من مقاعد البرلمان سببا في تفاقم الحال واضطراب الامور فصار التجوال فى الطرقات من أخطر المجازفات وتبع ذلك اضطراب اقتصادى أيضا كاد يودى بالبلاد

وظهر فى الطرقات العلم الروسى الاحمر وتوالت الاضطرابات والتخريب وعلقت صور لينين فى الميادين للتعظيم والتبجيل واتخذ المتظاهرون شعار الدولة الروسية واحتل العمال المصانع والمعامل واشترطوا اشتراطات معجزة وطالبوا بامتيازات لايتصورها العقل وتبادل النواب الطلقات النارية فى أثناء مناقشاتهم ومون بعض العمال جماعة المتظاهرين بقنابل فتاكة لتدمير دور الحكومة . وقتل النائب جوردونى فاثار موته سخط المعتدلين ورأوا فى الفاشية خير مخلص لهم من هذه الفوضى

وفى نوفمبر سنة ١٩٢١ تطورت الحركة الفاشية فصارت حزبا غامر فى الانتخابات فحصل على ٣٤ مقعدا وأخذ الحزب الاشتراكى يذوب . وانضمت الطبقة الوسطي التى كانت أكبر عون له الي حزب الفاشية المعتدلة المنظمة المسالمة

« ٥ »

والفاشية هى ثورة الطبقة المتوسطة المشبعة بالآراء الاشتراكية ممتزجة بالمبادىء التقليدية الايطالية لمقاومة القوة الحاكمة والرأسمالية لأن الاولي لم تف بوعوها والثانية استبدت بالعمال وهى تؤيد الدين الى أبعد حد بل هى تدعو الى التمسك به بدون قيد أو شرط وقد هدمت الفاشية؟ صروح الديمقراطية فى ايطاليا بزحفها على روما . ولكن هل كانت ايطاليا يوما ما بلاداً ديمقراطية فالمدارس كانت وقفا على طبقة خاصة من الطلبة والمراكز الحكومية منحة بعيدة عن التنافس ولم تكن حرية الصحافة وحرية التدين الممنوحتين الا محاكاة لما كانت عليه البلاد الفرنسية

اما ايطاليا فلم يرضها شيء من هذا ولم تدع قط العمال والزراع للمساهمة في حكم البلاد بل كان ينظر اليهم كطبقة لم تسم بعد الى مستوى الحكام

وكان من المحقق لحركة مثل الفاشية تألفت من عناصر متضادة خالية من المبادىء والافكار غنية بالحماسة فقط لاتملك حق التفاخر ببرنامج قامت به بل كل ماعندها وعود خلابة فهى كانت مثل الآله التى لم يتم صنعها عند ما تدار تئز وتنتفض وتهدد بالانفجار . كان من المحقق لها أن تهبط وتموت وتتلاشى لو لم يأخذ بقيادتها عامل خلاص انقذها من الدمار وانقذ المحيطين بها من الهلاك .

ولد موسولينى فى التاسع والعشرين من شهر يوليو سنة ١٨٨٣ فى قرية تدعى دفيا على تلال الابنين من أب رقيق الحال يصطنع الحدادة ويهوى عقد الاجتماعات السرية لتأليف جمعية دولية ظنها البوليس ان لها صبغة سياسية فاضطهدها . وكانت هذه القرية على صغرها مرتعا خصيبا للجمعيات الثورية والافكار الجامحة يدوى فيها صوت الرصاص فى رائعة النهار وتشتم من أزقتها رائحة البارود لاتفه الاسباب . وكان سهل رومجنا المحيط بهذه القرية مسرحا لعصابات اللصوص الذين لايعرفون غير التبجح العلنى والاغتصاب القاسى

نما الطفل بين هذه الاعاصير وتلقى دروس الحياة الاولى فى هذا الوسط فاختلطت الحمية والشجاعة والمجازفة بدمه وكونت منه رجلا من حديد ونار فكثيرا ما كان يصرح بافكار ثورية وهو بعد فى المدارس الابتدائية كان من أجلها يضرب ويطرد . وعندما نال أجازته الثانوية انضم الى مهنة التدريس ولكنه تمرد واراد السفر الى سويسرا ليعيش هناك . ولما كان فى طريقه الى هناك اطلع فى الجرائد على نبأ القبض على والده فلم يهتم وواصل رحلته ، ولما وصل الى محطة فردون كان كل ماملك بضعة قروش لاتكفيه أسبوعا فاشتغل عاملا بسيطا ولكنه لم يكن ليطيل المكث فى مصنع واحد . فقد كان يصبو الى ما هو أرقى فاحتاج وجاع ولما وجد بعض النسوة مجتمعات في احدى ساحات المدينة طلب منهن بلهجة الآمر ان يطعمنه فتصدقت عليه احداهن ببعض الخبز اليابس فاخذه فى استكبار ولم يتنازل لشكرها . وكان قد اختار الطرقات فى النهار وتحت الجسور فى الليل مكانا مختارا لم يجد عنها بديلا

وأخيرا انضم الى محررى احدي الجرائد الاشتراكية ولكنه أراد أن يكون حرا فى عمله وتفكيره فرجع الى ايطاليا وانشأ جريدة البوبولو سنة ١٩٠٩ وفى سنة ١٩١٠ ابتدأت الحكومة

فى مراقبته كثائر وعطلت جريدته مرارا فاقتصر على البحث وانزوى فى منزله يلتهم الـكتب الثورية ولما تشبعت نفسه بهذه المبادىء . ظهر فجـأة ذات يوم وامطر الحـكومة مقالات نارية هاجم فيها تصرفها الشائن فى طرابلس وقام فى وجه الاستعمار لتلك البلاد الآمنة وسلب حريتهـا فـكان عقابه على ذلك أن امضى العام ضيفا فى السجن ، ولمـا خرج كانت ثورته قد احتدت وعواطفه قد اشتعلت ورمقته العيون باعجاب فتمادى فى ثورته

وفى سنة ١٩١٢ تهجم على مؤتمر اشتراكى كان منعقداً في بولونيا وارغم الاعضاء على سماع خطبته التى مـلأها بالتهـكم والنقد للمجتمعين الذين لم يـكن لهم مأرب عنـده الا الاستيلاء على المناصب الحـكومية وأعلن انه سيحارب كل فـكرة تسعى الى طلب الشورى فيما يختص بسياسة الامة وان البرلمانات والنقابات ماهى الا عصابات لصوص مغرضة لان السياسه المثلى لحـكم البلد هى سياسة الدكتاتورية المطلقه والقوة الباطشه التى تشل الايدى التى تمتد للسرقة وتعقد الالسنة التى تتطاول على النقد

وعكف بعد ذلك على مهاجمة اعدائه ونشر فـكرته بجريدته التى ظهرت ثانيا وعاضد كل حركة ثورية تقوم في البلاد . وفى سنه ١٩١٤ نال فوزا آخر عندما انعقد مؤتمر انكونا عقب الاضطرابات والاضرابات العامة فقوبل بالهتاف والتصفيق وخلع عليه لقب حامى شرف الاشتراكيه من دسائس الاشتراكيين المغرضين

وقامت الحرب العالمية فعارض موسولينى فى دخول ايطاليا ونادى بسقوط التحالف الثلاثي مع المانيا والنمسا وشدد فى طلب الوقوف علي الحياد وأعلن أن الحرب على فرنسا جريمة شنعاء . وقد كان موسولينى لايعارض باطناً فى الحرب مع جنود الحلفاء ولو أنه لم يجهر بذلك أولا ولـكنه فجأة ترك جريدته وانضم الى الجيش وحارب وجرح فى نحو خمسين موضعا وأقام فى المستشفى مايقرب من الشهرين . ولما لم يتمكن من الرجوع الى الميدان عاد الى جريدته يصلى الشعب الايطالى نار الحماسة والوطنية وبمقالاته التى لم تعد تصطبغ بلون الاشتراكية بل انحصرت فى دائرة العمال والمنتجين ومهاجمة الاشتراكيين ولو أنه كان اشتراكيا مثلهم

وكان يغرى بالثورة فى ايطاليا ولـكنه كان يخشى أن تقوم على اكتاف الشيوعيين بعد أن خابت الاشتراكية فى إشعالها . لذلك رأى أن حزب الوطنيين هو الاجدر بالقيام بمثل هذا العمل فاخذ يساعدهم ويخطب فى اجتماعاتهم ويسعى فى ضم العائدين من الحرب الى صفوفهم . وهنا هبت

ريح الفاشية فى ذلك الوقت . وقد كانت نتيجة منتظرة منطقية لدخول أمة فقيرة غير منظمة لا سياسياً ولا مالياً فى الحرب وهي مع ذلك مكتظة بالسكان الى الاختناق . ونجحت الفاشية فقد وجدت التربة الخصبة وانتشرت كالوباء بين الاهالى الذين رأوا فيها مزايا ووعودا تفوق الاشتراكية والشيوعية وكان الفضل فى توجيه شعور الجمهور نحو الفاشية للصحفى موسولينى . تلك الشخصية التى كان لابد لها من حركة سياسية لتقودها فلما وجدت الفاشية توافق أمانيها ارتمت فى أحضانه وبسطت عليه رعايتها وأخذت تسعى فى اجلاسه على عروش القلوب

وقد رأى موسولينى أن تعدد الاحزاب لايجدى وأن الشيوعية لم تنجح إلا بالسيف والبارود لذلك سعى فى تنظيم الفاشية على أسس حربية مستورة فى مبادىء رياضية - وقام الفاشيون بالحركات النشيطة فى شمال ايطاليا . ولما كان الاعضاء من الجنود الذين ذهبوا إلى الحرب فقد استعملوا مواهبهم فى هذا الجهاد فكانت براهينهم المسدسات والسيف ومناقشاتهم محشوة بالبارود والنار . وتطورت أساليب الفاشية فصارت عسكرية محضة . فهناك كلمات مرور وشفرات سرية للتخاطب وضباط وجنود ومجالس عسكرية وأطلقوا على أنفسهم القاب الشرف والتمجيد فهم المثل الاعلى للوطنية وحماة البلاد من الفوضى وحارسو التخوم من العدو . وانتصرت الفاشية على طول الخط عند ذلك تركت الحكومة مبادئها الاشتراكية التى كانت تكتمها وصرحت باستحسانها للفاشية واغتر الفاشيون بانفسهم وقرروا وضع حد لهذه الفوضى بزحفهم الى روما . فنظموا الجيش الاهلى ولبسوا القمصان السود شعارا لهم وأعادوا السلام الرومانى القديم - ولما رأى الجمهوريون والاشتراكيون والسردينيون أن نجاح الفاشية راجع الى التنظيم العسكرى سعوا فى تنظيم صفوفهم ولبس الحزب الوطنى القمصان الزرق واشترك مع أصحاب القمصان السود فى الزحف على روما

وفى اكتوبر سنة ١٩٢٢ أعلن موسولينى التعبئة العامة وابتداء الزحف على روما ولم تعرف جيداً بعد الظروف والملابسات التى ساعدت على نجاح هذه المجازفه التى كانت بدايه الثورة المنتظرة وقد كان الزحف فجاءة . فدل موسولينى على أنه ربان ماهر سريع الخاطر فقد انتظرت ايطاليا ٣٠ عاما تعد عدتها لمثل هذه الطفرة ولكن لم يتمكن أحد غير موسولينى لاشعال الفتيل . وأظهر موسوليني حماسه تفوق طيش الشباب وتضحيه تطغى علي تضحية الفدائيين ومقدرة تؤهله لان يكون دكتاتوراً فذاً . فالاقتصاديون كانوا يرجون فيه أن يضع حداً لتعسف العمال وكثرة مطالبهم والطبقة المتوسطة كانت تنظر اليه كما تنظر الى منقذ آلهى سوف يعيد النظام الى المرافق

العامه والجيش كان ينتظر منه أن يعطيه جزاءه علي اتيانه بالنصر وبقية الشعب كانت تنتظر منه أن يضع حداً للفوضى الاجتماعية. كل هؤلاء رضوا بموسوليني دكتاتورا بعد أن طوقوا عنقه بآمالهم

أخذ موسوليني بناصية الحكم فجعل شعاره « الغاية تبرر الوسيلة » وأظهر أنه رجل فردى لايعتد برأى أحد ولا يعترف بالشورى مؤمن بالنظام ومغرم بالقوة. وقد عرف فى نفسه أنه يصلح لحكم بلد اكثر تقدما من ايطاليا لذلك عول أن يجعل ايطاليا ذلك البلد المتقدم. وقد كان العمال فى ذلك الوقت متراخين متكاسلين يمضون أوقاتهم فى الحانات ويتسكعون فى الطرقات يسعون لتنظيم حفلاتهم الخاصة البوهيميه فجاء موسوليني العامل ونزل معهم الى الميدان فايقظهم من سباتهم وطالبهم بمضاعفة منتجاتهم وبث فيهم روح النشاط والطموح وخلقهم خلقا جديدا

ولم تأته متاعبه من خصومه السياسيين بل جاءته من الاعضاء الفاشيين أنفسهم فقد طالبوا بالاجر جزاء مساعدتهم له على التربع على الحكم وظائف ومراكز ممتازة ولما كان الحزب ينقصه الشخصيات النابغة لادارة الشئون فى مثل هذا الوقت العصيب لم يسمح لهم بالتوغل فى المصالح الحكومية

ولما كان موسولينى هو الارادة المجسمة التى لاتحتسب للعقل سطوة فانه عندما يريد لن تقف العقبات أمامه مهما كانت بديهية النتائج اذ هو مستعد لان يضحى بالكثير من الرجال والمال فى الطريق مادام سيصل الى النهاية أخيرا. لذلك وجب علينا ان نعترف بأنه قوة وحماسة مدخرة لاينضب لها معين ولا يجف لها مجرى وكثيرا ماانتقدت أغراضه ومراميه ولكن لم يتمكن انسان من نقد أساليبه الجبارة فى الوصول الى هذه الاغراض. فهو كسياسى روح حية تعم نشاطها الحزب كله. لذلك لم تجد بقية الاحزاب الايطاليه الا الاذعان لموسولينى وطلب رعايته — ولما كان موسولينى مسئولا عن رفاهية وسلامة ايطاليا سياسيا ومدنيا فقد رأى أن من يقف فى سبيله من هذه الاحزاب انما يعترض تقدم ايطاليا لذلك وجب ان ينتزع وينحى عن الطريق ليتقدم بالبلاد الى الامام

وقد عاونت موسولينى فى مهمته عدة شخصيات متباينة كل قامت بما تحسن وتجيد فيما تخصصت له. ففرناندو اجو نوليتى الكاتب المشهور قد أوجد جيش البليلا الصغار لكى يتدربوا على محبة موسولينى وايطاليا منذ الصغر، وسيزار روسى الصحافى الكبير كان من أكبر الدوافع

العمليـة فى تحبيب موسولينى الى الشعب ، وروبرتو دفنزاتي الذى كان من زعماء الحزب الوطنى كان له الفضل الاكبر فى انضمام حزب القمصان الزرق الى موسولينى عند زحفه على روما فاكسب حركته روعة ونصرا ، وجيوفانى مارنيلى الثورى الثائر والاقتصادي الـكبير الذى استطاع بفضل مواهبه الجبارة عندما تسلم وزارة المالية فى أول عهد الفاشيه أن ينقذ ايطاليا من خراب كان مؤكدا ، وروبرتو فرنانسى الملقب بالرأس فرنانسى لانه كان الحاكم المطلق لمقاطعة سيرومونا وكان برأس عدة جمعيات حربية لها فرق منظمة ، قد كون فيما بعد جيشا ايطاليا تهابه الآن دول أوربا ، والفريدوا ميسوري النائب القـدير الذى بفضل حملاته الخطابية قد اكتسب للفاشية معظم نواب ايطاليا . وغير هؤلاء كثيرون

* * *

لما كانت الفاشية نتيجة من نتائج الحرب العظمى ولمـا كان القائمون بهذه الحركة من عنصر الشباب المتحمس لذلك هى أبعد الحركات عن النشاط الفـكرى الثقافى . فتسلسل وقائعهـا لم يكن أساسه الترتيب العلمى المنطقى بل كان فى طفرات جنونية ساعدت الظروف والملابسات على نجاحها ـ وحتى الآن فالفاشى يحصر اهتمامه فى الاجسام ويهمل العقول نسبيا : فأدب الفاشية هو صياغة المدح فى مبادئها وكتب الفاشية هي الجرائد التى تدعو إلي اعتناقها . ولم تخرج المطابع الى اليوم كتابا راج رواج الـكتاب الذى جمعت فيه خطب موسولينى غير ان من أشد ما تحرص عليه الفاشية هو احياء مادرس من عادات وتقاليد وقوانين . ولمـا كانت روما قديما مهبـط العلم والعرفان لذلك وجب على الجيل الحاضر أن يكون متعلما عارفا . وهذا هو الداعي لانقلاب موسولينى فجأة على حزب الاستقباليين الذى كان يدعو بزعامة مارينتى إلى هدم المتاحف والتخلص من تقاليد القديم البالى واغلاق المـكاتب والاكاديميات والتـحرر من القواعد فى اللغة والقوانين فى المعاملة والاستعاضة عن الـكلمات بالحس والصوت . وقد كان هذا صراعا بين القوة والعقل فان الاستقبالية فـكرة بسطها مارينتى على روسيا وأمريكا وألمانيا وهنغاريا وغيرها أما الفاشية فهى حركة محليه لاتصلح إلا لايطاليا ومع أن الاستقبالية كانت أكبر عون للفاشية فانهـا لم تتمش معها إذ أن هذه أعادت دراسة اللاتينية والآداب الرومانية القديمة فبرهنت على أنها حـكم حديث بوسائل عتيقة

ومن أشهر كتاب الفاشيين سيكرت الذى يمثل الرجل الـكاثوليـكي المحـافظ مع أنه كان

يجب أن يكون حر الفكر ثائرا أما الكاتب أردينجو سوفيسى فقد كان يعتقد أن الدنيا منقسمة إلى قسمين الاخيار وهم الكاثوليك والاشرار وهم البروتستانت. وعلى هذا المنوال نسج مقالاته وخطبه فصفق له الفاشيون لأنه كاثوليكى قح. والكاثوليكية من تقاليد ايطاليا القديمة، أما الفيلسوف جيوفانى جنتيلى فقد كان قبل الزحف على روما ملكا للعالم أجمع ولكن موسولينى نصبه وزيرا وأقنعه بأن يوجه جهوده لنصرة الفاشية فأفتى بأن على الحكومة أن تحقق المبادىء السامية للأمة. أما الشعب فيجب أن يتتبع خطواتها بانصياع للمهمة الملقاة على عاتقها لان الفاشية حركة تحبذ الوطنية الحرة المخلصة وعليها أن تملك جميع المرافق فى البلاد وتهيمن عليها لانها تريد أن تصل بها الى المجد

* * *

تولى موسولينى الحكم بعد الزحف على روما بمقتضى مرسوم أمضاه الملك بعد أن أعلن البرلمان الثقة التامة بالحكومة الجديدة — وقد صرح موسولينى فى أول الامر بأنه لايميل لانشاء جمهورية يكون هو على رأسها ولعله رأى أن شعور الامة لم يتهيأ بعد لهذا التغير. ولما كان ينقص حزبه الاداريون والسياسيون فقد احتفظ بمعظم رجال الحكومة السابقة وأبقاهم فى مناصبهم بعد أن سلط على رقابهم قوته الباطشة وأفهمهم بأنه لايتوانى فى القضاء على من لاينفذ له أمراً وقد اكتسب كثيرا من هذه الشخصيات الى حزبه واستعاض عن الباقين بمن تدربوا من أفراد حزبه على أعمالهم. ولم يشأ أن يغير الدستور كما كان يقتضى الحال بل زاد فقط فى مواده لكي يتمشى مع الحالة الراهنة. وقد كان من الصعب جدا عليه أن يوفق بين مصالح حزبه وحكومته ولكنه نجح فى ذلك أيضا، لانه ينجح دائما ـ فقد كان البرلمان يمثل الحكومة ـ وقد كان المجلس الفاشى الاعلى يمثل الحزب وأعضاء الهيئتين يعينهما موسولينى لانه لايعتقد بديموقراطية الانتخاب وقد ذهب الى أبعد من ذلك فأوجد رجلا من حزبه يشاطر كل حاكم أو ادارى مهمته ليكون عليه رقيبا وليرى أن الحزب فوق كل اعتبار. كذلك أنشئت المجالس الفاشية فى الارياف لكى تتعاون مع الهيئات الحكومية على التصرف

وقد رأى موسولينى أن الامة يجب أن تأخذ بأساليب النظريات الحديثة والاكتشافات الجديده بدل ثقافتها القديمة. ولما كان رجال حزبه لايعرفون إلا الحديد والنار فقد أنشأوا أربع هيئات ادارية وعلمية واستعمارية وثقافية من الاخصائيين والعلماء وعهد اليهم أن يعدوا

الحزب والشعب بما يجد ويكتشف وان يكونوا العقل المفكر للحزب

وقد أصدر موسولينى أمراً بأن كل شاب بين الخامسة عشر والسابعة عشر من عمره يجب عليه أن ينضم الى احتياطى الجيش . والاطفال بين التاسعة والخامسة عشر يجب أن ينضموا الى البليلا لكى يتشربوا بمبادىء الفاشية ويشبوا جنودا للحزب وللوطن . كذلك دعى الايطاليون الذين يعيشون خارج ايطاليا لكى يؤلفوا مثل هذه الهيئات حتى تكون صلتهم بوطنهم الاصلى أمتن وأشد . هذا غير الهيئات الاربع التى تكونت فى المستعمرات للغرض عينه

وقد ساعد موسولينى على انشاء عشرين جريدة يومية أهمها احراق البخور تحت اقدام حكومته والتشهير بمن يتجرأ على مخالفة أوامر الفاشية

وكان من المحتوم أن يتمشى التنظيم الاقتصادى مع التنظيم السياسى فأنشئت النقابات وكان برنامجها يتلخص فى انتداب الاخصائيين فى الامور المالية والصناعية والاقتصادية لتنظيم البلاد وتنظيم الدعاية الخارجية للصناعات الايطالية ومحاربة الاحتكار وقد بلغ عدد أعضاء هذه النقابات سنة ١٩٢٩ مليونا ونصف مليون عامل موزعين على أربعة عشر نوع من النقابات

وانشأ موسولينى الجيش الاهلى لكى يستند اليه فى مشروعاته ولكي يساعده فى تسيير الامور بنظام وقال عنه انه بمثابة بوليس اهلى له الحق فى ان يعاقب كل من يقف فى طريق الحكومة او النظام بالقتل . وسلح أفراده بذخيرة الحرس الملوكي الذى حله موسولينى لعدم الحاجة اليه . وأوهم رجاله بانهم انما يؤدون واجبا مقدسا نحو بلادهم فمن العار أن يتقاضوا اجرا على أعمالهم لذلك تركهم يؤدون أعمالهم وحرفهم فى النهار ويذهبون ليلا الى مراكزهم للتدرب ليظهروا فى عرض عام أيام الآحاد والاعياد — وقد صرح الملك فى خطاب له بانه يعد الجيش الاهلى جزءاهاما من الجيش النظامي

« • »

خطب موسولينى فى أول عهده بالحكم فقال « انى اعتقد تماما أن تقاليدنا اللاتينية وعزتنا الامبراطورية كامنة فى ديننا الكاثوليكى فعلينا به ان كنا نريد اعادة مجدنا . انه يسوءنى جداً رؤية كنائس عدة فى العالم لاتخضع لروما ولا تحج الى قصر البابوية فعلى ايطاليا أن تعين البابا على بسط نفوذه على العالم فبذلك تسود ايطاليا وتتمجد . فنحن الآن نفخر بأن ٤٠٠ مليون كاثوليكى ينظرون بخشوع نحو روما فما بالكم لو سجد العالم كله للكنيسة الكاثوليكية ؟ »

وقد قال موسوليني نفسه سنة ١٩٠٤ بأن لاوجود لله وأن الدين هو سبب تأخر ايطاليا وانه ان كنا نريد التمتع بالفردوس فعلينا باخراج الله منها اولا . ولـكنه اليوم يقول ان الايطالى خلق ليكون كاثوليكيا وأن الحـكومة الغير المتدينة مكتوب لها الخيبة العاجلة

وادخلت التعاليم الدينية على المنهاج الدراسى وأدى موسولينى الصلاة بانتظام وظهر الصليب ثانيا يزين واجهات المنازل . ولـكن الفاتيكان لم يؤخذ بهذه المظاهر وظل رابضا لايتقدم بل يتقبل التقدمات والوعود التى ينشدها موسولينى فى خطبه وتصريحاته لان الفاتيكان يعلم أنه ملك للعالم فمن المحال ان يتعاهد مع امة واتخذ سياسة التسويف والمماطلة مبدأ مع موسولينى

والفاشيون يعدون الماسونية عدوا لايسمح له بالانضمام الي الحزب لان الماسونية فى ايطاليا كان لها صبغة سياسية نفعية أكثر منها خيرية وكانت تنفر من رجال الـكنيسة وتعاليمهم

* * *

تختلف الحقيقة عن الخيال كل الاختلاف فوعود الفاشية قبل ان تتقلد الحـكم تختلف جد الاختلاف عما قامت به بعد تسلم الحكم بل فى بعض الاحايين جاءت عكس ماوعدت . ولـكن الحقيقة الدامغة التى لاشك فيها هى أن الفاشية قد قامت باصلاحات مدهشة فى مدة وجيزة

وأول هذه الاصلاحات هى نوع من الحرية الشخصية والصيانة العامة للافراد . والحرية فى ايطاليا تختلف عنها فى الاقطار الاخرى فاصحاب الاعمال لهم الآن الحرية فى خفض أجور عمالهم بدون أن يتعرضوا للخراب والتدمير . والمسافر يتمكن من التنقل من بلدة الى أخرى بدون ان يسلب فى الطريق او يدفع جزية لعصابة من اللصوص اذا ماراد ان يمر فى منطقة نفوذهم . والفلاح يتمكن من الذهاب ليلا الى منزله تاركا مزرعته لان عصابات الحقول قد وضع حد الاعمال الارهابية ومنحت حرية الاجتماع للفاشية ومنعت عن الاحزاب الاخرى . كذلك أقفلت جميع الجمعيات والهيئات والاندية التى ليس لها صلة بالفاشية ومنحت الصحافة حرية التغنى بفضائل الفاشيين . أما الحرية الشخصيه فقد اسىء اليها فقد هجم الفاشيون على منازل أعدائهم وخربوها وأحرقوا أثاثها . عند ذلك سحبت منهم هذه الهبة . لان تقاليد الايطالى لم تتح له فهم معنى الحرية الاهليه فهو اذا رغب فى الحرية طلب الحريه الشخصية ليسىء استعمالها لانه لم يحكم حسب نصوص الدستور يوما بل تعود ان يقهر ليطيع

اما الاصلاحات الاقتصادية التى قام بها الفاشيون فاهمها توازن الميزانية العامة فقد أصلح

المشاريع الحكومية كالسكك الحديدية والبريد وجعلتها هيئات اهلية تعمل لحساب الحكومة فاقتصدت الملايين التى كانت تصرف للمرتبات

أما الاصلاح التعليمى فينحصر فى تنظيم المنهاج وجعله صالحا للعصر فقد قام وزير المعارف الفيلسوف جنيل بتوحيد اللغة التى تدرس وجعلها الايطالية وتوحيد الديانة التى تمارس وجعلها الكاثوليكية وفرض درس اللاتينية فى التعليم الثانوى وقامت الوزارة بارسال الامتحانات العامة لكل المدارس الاهليه وجددت وبدلت كثيرا من المواد وكانت طفرة جريئة لم تنجح النجاح كله أولا ولكنها كانت اساسا للتقدم الحالى فى التعليم الايطالى

* * *

لم يطمع موسولينى فى أكثر من ان تكون ايطاليا بلدا متقدما ممتازا فهو قد رفض ان يتفق مع فرنسا على المانيا سنة ١٩٢٤ وأن يمضى معاهدة الفولاذ ليشل حركة المانيا الصناعية . وقد صرح مرارا لمؤتمر لندن سنة ١٩٢٤ بأنه لا يوافق على أى تغير يطرأ على معاهدة فرسايل وأن اقليم روهر يجب أن يظل لالمانيا وأن تمتنع فرنسا عن المشاكسات التى ربما اعادت الحرب ثانية . فموسولينى رجل مسالم إلا فيما يتعلق بعزة قومه فقد خسرت أيطاليا بعد الحرب اقليم دالماطيا ومدينة فيوم على البحر الادرياتى، وكان لزاما على يوغسلافيا أن تعيدهما الي ايطاليا او تعرض نفسها لحرب ضروس ولكن موسولينى منعا لحدوث الصدام تقدم بروح المودة والصفاء الى يوغسلافيا طالبا ابرام معاهدة فتحت موانى البلقان للسفن الايطالية ووضعت حدا لتدخل فرنسا في شئون اوربا الوسطي

ولكن روح موسولينى الثائرة ظهرت فجأة عندما قتل الجنرال سيلينى فى بلدة كورفو حين كان على رأس وفد ايطالى لعقد معاهدة مع اليونان . فقد ارسل موسولينى جيشه واحتل كورفو جزاء لها على فعلتها الآثمة وقد كانت هذه صدمة عنيفة لسياسة بريطانيا وفرنسا لانه من الخطر على مصالحهما أن تكون ميناء كورفو فى يد جيش قوى . وقامت عصبة الامم سنة ١٩٢٣ بما كان يجب عليها ان تقوم به فى مثل هذا الحال . فهدد موسولينى بالانسحاب من العصبة فما كان منها إلا ان تغاضت حرصا على السلام العالمى

وقد ساعد موسولينى على استتباب السلام العالمى بعقده المعاهدات التجارية مع معظم دول اوربا حتى مع روسيا الشيوعية التى تتعارض مبادئها مع الفاشية والتى لم تعترف بحكومتها بعض دول

أوربا . فقد مد لها يده معترفا بحكومتها مشترطا عدم تنظيم اية دعاية شيوعية فى ايطاليا . وطلب سفارة رسمية لها فى روما . وبادل الاتومبيلات الايطالية بالقمح الروسى . وفتح أمام سفنه سوقا جديدة فى البحر الاسود

وجاءت سنة ١٩٢٦ فتطورت آراء الفاشيـة وصارت ثورية بعد ان كانت معتدلة فمجالس الفاشية التى كانت قد انشئت لتتعاون مع المصالح الحكومية فى التصرف قد ابتلعت هذه المصالح وصارت هي الحاكمة الآمرة . وخنقت الصحافة وضيقت عليها ، وأجبرت جميع الاحزاب على ان تنحل وتندمج فى الفاشية وملئت السجون بالمعارضين . وقامت أساليب التهديد والعنف مقام القانون نخفتت الاصوات . وسنت القوانين للمحافظة على احترام الفـاشية وعوقب كل من تجرأ على رفع صوته للمناقشة . وحظر على الموظفين الانضمام الى اى هيئة غير فاشية وخاصة جمعيات الماسون ، ولـكن مع هذا القمع سنت قوانين نافعه فانشئت الطرق وجففت المناقع ومدت خطوط السكك الحديدية واتسعت المدن وانشئت الصناعات

وفجأة انقلب موسولينى على نفسه وصرح بأن ايطاليا شعارها السرعة والطمأنينة والراحة والحياة النشطة المنتجة لذلك يجب ان نبتعد عن الخيال ونتمسك بالمدنيه الحقه المتقلبة لان شركة فيات التى تصنع الاتومبيلات انفع لنا من برج بيزا المائل وكهربة خطوط السكة الحديد امتع من الحمام الذى يطير فوق كنيسة سانت مارك ، وأن القديم الذى حرصنا على انعاشه يجب ان لايمنعنا من النهوض للاخذ بأساليب الحضارة الحديثة وإلا فليذب تحت اقدامنا اذا وقف فى طريقنا ، ونظر الى البابوية فوجدها جامدة محافظة لاتريد التمشى مع ايطاليا فى طفراتها فتركها متغاضيا عن جميع وعوده وأمانيه وتقدم بايطاليا الى الامام ، كذلك الغى الديون الانجليزية والامريكية التى كانت على ايطاليا وثبت النقد وقوى مركز ايطاليا المالى وصرح بأن ايطاليا تريد ان تتنفس وأنها أكثر البلدان حاجة الى المستعمرات وذهب وزار ليبيا فى موكب اخاذ يهيء أفكار البلاد الى الفـكرة الجديدة ، وأمر أن يعين يوما كل عام يطلق عليه يوم الاستعمار تلقى فيه الخطب وتكتب المقالات فى مدح الاستعمار ووجوبه ، وقال فى دفاعه عن فكرته أن الايطالى عالى النفس كبير المطامع يأنف ان يذهب الى بلد أجنبى ليتعيش اذ خلق الايطالى لكى يحكم . وتطلعت الانظار الي سوريا والكامرون وتونس فتحفزت فرنسا . والى تركيا والحبشة فتحركت بريطانيا

وفى الختام لنا ان نتساءل هل الفاشية جاءت ايطاليا لتبقى أم هى ظاهرة عرضيـة سوف

تختفى ؟ . . . وجوابا على هذا نقول أنه يحدث ماهو خارق وبعيد عن التصور فستعمر الفاشية مادامت ايطاليا باقية فهى تملك الجيش والاسطول وجميع المرافق الاقتصادية والاجتماعية والعمرانيـة والحـكومية . وهى لا تسمح بظهور اى حزب او بتكوين اى هيئة . وقد تعود الشعب حكم الفاشيين وأغرموا به ولن يرضوا به بديلا او على الاقل لن يستطيعوا ان يفكروا فى ايجاد هيئة حاكمة بدلا منه . فحرية الانتخاب والصحافة قد دفنت منذ اجل بعيد فلا يعرف ميل الشعب تماما الا مايقرره لنا الفاشيون . وهذه سياسة خرقاء تؤذى نفسيـة الشعب الذى سوف يخيب تماما فى حكم نفسه اذا فرض وأتيحت له الفرصة يوما ما وكان ديمقراطيا ، كذلك انعدام روح النقد وترك الحـكومة تفعل ماتهوى كثيرا مايسبب خيبة بعض المشاريع التى يعوزها البحث والتمحيص ، ومما يؤلم أيضا أن القضـاء أداة فى أيدى الحـكومة يأتمر بأمرها وينفـذ أغراضها ولـكننا نأمل أن يسترجع القضاء حريته اذا مااستتب الامر للفاشيين

ومما هو جدير بالذكر أن موسولينى بخلقه ايطاليا من جديد قد وضع نفسه فى مصاف العظماء الذين تطلع اليهم الانظار متمنية أمثاله ليتقدم ببلادها . وأن ايطاليا كنتيجة لمجهوداته قد أخذت مكانها فى مقدمة الدول العظمى التى ينظر اليها بالاحترام

الالعاب الاولومبية

سيشترك فى هذه الألعاب للدورة الأولمبية القادمة التى ستقام فى جارميش هذا الشتاء ما يقرب من ١٠٠٠ متسابق يمثلون ثمانى وعشرين دولة مختلفة وهذا رغم قياس جديد لم يسبق أن اشترك مثله فى دورة أولمبية سابقة . ففى شامونيكس حيث أقيمت الدورة الاولمبية لالعاب الشتاء فى سنة ١٩٢٤ لم يشترك سوى ٢٩٣ متسابق يمثلون ١٦ دولة . وفى الدورة الثانية فى سان موريتز سنة ١٩٢٨ اشترك ٤٩٢ متسابق يمثلون خمسة وعشرين دولة . وأخيراً فى سنة ١٩٣٢ فى بحيرة بلاسيد اشتركت سبع عشرة دولة أرسلت ٣٠٧ متسابق .

أما فى دورة جارميش المقبلة فقد فان عدد فان المشتركين فيها عدد الذين اشتركوا فى جميع الدورات السابقة بمراحل وهذا فخر جديد نسجله للعالم الرياضى ودليل قاطع على ما نالته الرياضة الآن من ذيوع وانتشار فى مختلف الدول .

النشيد الأولمبى

لقد قر قرار لجنة تنظيم الألعاب الأولمبية القادمة على اتخاذ نشيد أولمبى يلقى عند افتتاح الدورة مع نشيد برادلى كيلر الذى ألقى لأول مرة فى دورة لوس أنجليس السابقه

والنشيد الجديد هو الذى وقع عليه اختيار اللجنة من بين ثلاث آلاف نشيد قدموا اليها وهو من تأليف روبرت لوبان وقد عهد الى الموسيقار العالمى الفنان ريتشارد ستراوس فى تلحينه وقد ترجمه الى الانكليزية الموسيقار المعروف بول كربى ،

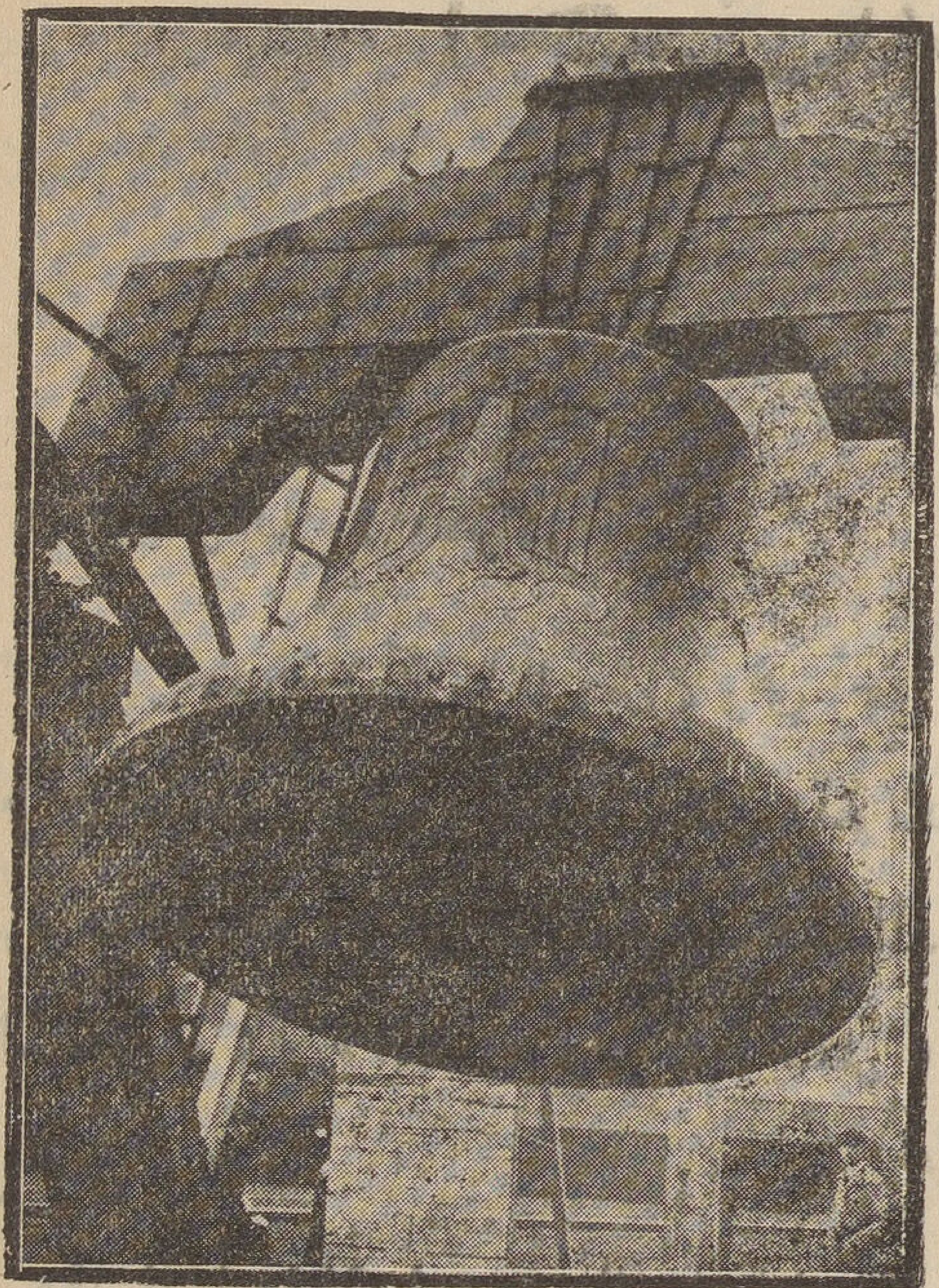
الطقس فى برلين

أذاعت النشرة الأولمبية بيانا عن الحالة الجوية فى برلين فى أثناء موعد اقامة الدورة الأولمبية وفى أثناء الفترة التى تسبق هذه الدورة والتى قد يكون اللاعبون فيها هناك استعدوا لها

وقد أصدرت هذه البيانات بناء على الاحصاءات الدقيقة التى قامت بها المراصد الجويه فأخذت متوسط درجات الحرارة بين سنتى ١٨٥١ و ١٩٣٠ فظهر أن النهاية العظمى لدرجة الحرارة فى شهر يونيه وصلت إلى ٢٥٫٨ درجه والنهاية الصغرى ٩٫٨ درجة فيكون بذلك متوسط درجة الحرارة فى هذا الشهر حوالى ١٧٫٣ درجة

فى شهر يوليه بلغت النهاية العظمى ١ر٢٧ درجة والصغرى ٥ر١٢ درجه فالمتوسط ٣ و ١٩ . أما فى شهر اغسطس وهو شهر الدورة الاولمبية نفسها فاقصى درجات الحرارة تبلغ ٩ر٢٥ درجه وأقلها ٤ر١٢ درجه فالمتوسط ١ر١٨ ٥

أما الامطار فقليلة جداً ولا تذكر فى هذه المدة .



إلى اليسار — الجرس الأولمبي الهائل الذى ركب أخيراً ويبلغ قطره ثلاثة أمتار تقريباً وارتفاعه ٧٠ر٢ متر وهو يزن ١٣٨٤٠ كيلو جرام

أخبار أولمبية صغيرة

ـ سيشترك فى الدورة ٣٧ دوله بملاكميها الذين قد يبلغ عددهم ٢١٨ ملاكم وهذا رقم قياسى لم يسبق له مثيل .

— ترسل جنوب أفريقيا إلى الدورة فريقاً قويا يقول عنه المستر امرى سكرتير عام اللجنة الاولمبية فى جنوب أفريقيا أنه أقوى فريق غادر شواطئها لتمثلها فى الخارج

— قررت خمسة عشر دولة (حتى الآن) الاشتراك فى مسابقة كرة القدم فى الدورة المقبلة ومن بينها مصر .

— اهتمت اللجنة الأولمبية بتخصيص بواخر صغيرة تنقل المتفرجين على سباق اليخوت إلى عرض الماء فى كيل حيث سيقام السباق الدولى للدورة الأولمبية

كمال

أخبار اجتماعية

المسلمون فى منشوكيو

قال مراسل البلاغ فى منشوكيو

خربين مدينة يسكنها الروس ، وهى أجمل بلاد امبراطورية « مانشوكيو » و حدث مدنها ، ومع أن الصينيين يؤلفون أغلبية سكان هذه المدينة فان الحى الذى يسكنون فيه يقع على بعد خمس عشرة دقيقة منها ، وكان قد قدم على هذه المدينة منذ ثلاثين عاما بعض مسلمى الروس من طبقة « الباشقورد » و « التتار » واتراك « مشلر » وأقاموا وتوالدوا فيها حتى بلغ عددهم زهاء ألفى نفس

وقد أنشأ هؤلاء لهم هناك جامعا لصلواتهم ومدرسة أولية لتعليم أطفالهم ثم معهداً دينيا للذين ينجبون منهم ووقفوا كثيرا من أموالهم وأعيانهم على هذه المؤسسات ضمانا لبقاء قيامها بوظائفها

وهناك فى الحى الصينى من هذه المدينة عشرون الف مسلم من الصينيين ولهؤلاء الاخوان أيضا مسجدان جميلان ، بنى أحدهما أخيراً على طراز مساجد الهند

وفى جوار « خربين » قرية اسلامية أنشئت فيها ثلاثة مساجد ، وقد انتهز زعماء المسلمين هناك فرصة وجود اخوانهم الآخرين بينهم فى « خربين » فعقدوا اجتماعا فيها منهم ومن هؤلاء الزعماء المسلمين الصينيين والترك والتتار ، فأدى اجتماعهم الى ضم صفوفهم جميعا وتوحيد كلمتهم

وعلى الرغم من وجود أربعة ملايين من المسلمين فى مانشوكيو تختلف لغاتهم وعاداتهم ، أمكن عقد ائتلاف بينهم ، استطاعوا بهذا أن ينشئوا فى « خربين » جمعية كبيرة ستكون لها باذن الله فروع عديدة فى أنحاء « مانشوكيو » لخدمة المسلمين والعمل لنشر دينهم

ومما يحسن ذكره أن حكومة « مانشوكيو » أظهرت عطفاً كبيرا على المسلمين وساعدتهم فى ايجاد رابطة قوية بينهم بأن أفهمت زعماءهم أنهم فى حاجة شديدة الى رابطة تجمع كلمتهم

وبعد أن وضع الزعماء المجتمعون القواعد الضرورية لتحقيق هذه الرابطة بين المسلمين أقاموا مأدبة لمائتين وخمسين نفسا من أركان حكومة مانشكيو العسكريين والملكيين وكبار الموظفين اليابانيين ، وألقيت فى أثناء هذه المأدبة خطب كثيرة دلت جميعها حول رقى الاسلام وعلو شأنه .

ولقد كان من بين الخطباء رئيس المسلمين فى اليابان السيد قران على ثم وكيل محافظة « خربين » فالقى كل منهما خطابا قيما قوبل بالاستحسان

ومما يسر المسلمين جميعا ان يعرفوا شيئا عن حالة اخوانهم فى دين الله بمدينة سين كين عاصمة « مانشكيو » الجديدة . ويبلغ عدد هؤلاء خمسة وعشرين الفا . ولهم مسجد وأوقاف كثيرة تدر أموالا طائلة يصرف منها على هذا المسجد وعلى رجال الوعظ والارشاد وطلبة العلم . ومن هؤلاء المسلمين قواد عديدون فى الجيش برتبة « جنرال » كما يوجد موظفون كثيرون فى مختلف درجات الوظائف ومن هؤلاء معاون رئيس البلدية ومديرون عديدون فى شعبات كثيرة بدائرة الحكومة والبلدية

وأهم مايلفت النظر أن كبير مرافقى الامبراطور وهو الجنرال « قودو » مسلم ، وأن رجال الدولة والوزراء يحبون المسلمين ويعطفون عليهم عطفا كبيراً ، وهم يقتدون فى ذلك بالامبراطور الذى يعنى بالزعماء المسلمين عناية خاصة عند تشرفهم بالمثول بين يديه وهو دائب فى السعى لتقوية الرابطة بينه وبينهم

الفحم في انجلترا والقطن فى مصر

كما انحط القطن المصرى فى قيمته الاقتصادية كذلك انحط الفحم الانجليزى . وتكاد المقابلة تتم حتى فى التفاصيل بين المحصولين . فان استخراج الفحم لم يعد سهلا كما كان قبل ثلاثين أو أربعين سنة لأن العروق الحسنة قد استنفدت وأصبح العامل مضطرا الي أن يضاعف مجهوده لكى يستخرج المقدار الذى كان سلفه يستخرجه بنصف هذا المجهود . ثم أن الانجليز لم يعنوا بادخار ماعندهم من الفحم كما يفعل الالمان . فانهم نشأوا فى وفرة وكثرة فاسرفوا فى الاستهلاك . والمناجم الباقية ضنينة بل بعضها يقترح اقفاله لانه لايكاد يفى بنفقابه

وكما أن الريون قد زاحم القطن وطارده من الاسواق كذلك أخذ البترول يطارد الفحم . حتى أن بعض القطع الحربية الانجليزية تؤثره فى الاستعمال على الفحم

والآن لننظر فيما قامت به الحكومة البريطانية لانعاش الفحم ؟

١ ـ أول ماقامت به — وكان ذلك عقب الحرب الكبرى — انها منحت اصحاب المناجم اعانات مالية لكى يستطيعوا مزاحمة الفحم الاجنبى . ولكنها لم تداوم بل اكتفت بمنح الاعانات فى السنوات السيئة

٢ ـ كان أهم ماقامت به أنها أنشأت فى طول البلاد وعرضها شبكة كهربائية شجعت الجمهور على زيادة الاستهلاك للفحم دون الانفاق على نقله من المنجم الى المصنع أو البيت . فان المصنع يستخدم التيار الكهربائى للادارة كما تفعل كذلك ربة البيت فى جميع حاجاتها من طبخ وغسل وتدفئة وكنس واضاءة وتبريد . ووصل التيار الكهربائى الى المزارع فبعث حياة جديدة فيها كما نقل ألوانا من الترف لم تكن تعرف قبل

٣ ـ واسست شركات لاستخراج البترول من الفحم . فلم تهمل الحكومة فى الاعانة اذ كفلت للمصانع القائمة بهذا العمل الربح بضع سنوات . وتؤمل الحكومة البريطانية أن تصل قريبا الى اليوم الذى تستغنى فيه عن استيراد البترول والبنزين ومشتقاتهما من الخارج بما تستخرجه من الفحم الانجليزى . وهي بهذا السعى الحميد تنشط صناعة الفحم وتكفل لنفسها فى المستقبل استخراج الوقود للطائرات والاتومبيلات من ارضها دون الحاجة الى العراق أو ايران أو غيرهما

بهذه الطرق الثلاث للاعانة تمكنت بريطانيا من تنشيط صناعات الفحم . ولكن الازمة التى نقصت الاستهلاك عامة قد اثرت فيها حتى صرنا نسمع كل يوم تقريبا عن الخلافات القائمة بين العمال وأصحاب المناجم . والعمال يطلبون نزع المناجم من أصحابها وتسليمها للحكومة وهذا هو البرنامج الاشتراكى الذى يقول به حزب العمال

والمسألة تتوقف على زيادة الاستهلاك اذ هو الذى يزيد الربح فينتج لاصحاب المناجم زيادة الاجور لعمالهم . ولكن العلم الذى خدم بريطانيا فجعلها تنشط هذه الصناعة باحالة الفحم الى تيار كهربائى يعم البلاد كلها ويغنى عن تكاليف نقل الفحم ثم خدمها باستخراج البترول والبنزين منه سوف يخدمها أيضا خدمات أخرى نلمح بعضها فى هذا الخبر الذى ورد من روسيا حيث أمكن اقامة مصنع داخل المنجم لاستخراج الغاز من الفحم فلا يحتاج القائمون به الى نقله خارج

المنجم . والغاز يحمل بأنابيب الى القرى والمدن كما يحمل سائل البترول

ولو كنا فى مصر نجد مثل هذه المحاولات العلمية للانتفاع بالقطن لما أفلسنا . ولكنا لانجدها بل نقنع من المصير السيء الذى ينتظرنا بالاسف والحسرة

عيد الغطاس وأصله

كتبت الاجبشيان جازيت مقالا تحريريا بحثت فيه عيد الغطاس الذى يحتفل به العالم المسيحى فى القارات الخمس . ولكن مصر لاتحتفل به . وقد ردته الجريدة الى أصوله المصرية التى لا تنكر وهذاليس العيد الوحيد الذى يحتفل به العالم تحت أسماء مختلفة ولا هو العقيدة الوحيدة التى تؤمن بها طوائف تعد بمئات الملايين وتجهل أن الاصل والمرجع هما مصر

وعيد الغطاس يقع فى مصر فى ٦ من شهر طوبه وذلك لان عيد الميلاد للاقباط لايزال تابعا للتقويم القديم وهو يقع فى ٧ يناير . ولكن هذا التقويم قد أصلحه البابا جريجورى وجعل هذا العيد يوم ٢٥ دسمبر فاصبح يوم الغطاس عند جميع المسيحيين فى العالم - باستثناء الاقباط - يوم ٦ يناير

وقد استطاع محرر الاجبشيان جازيت أن يرد هذا العيد الى أصوله المصرية الفرعونية . اذ هو من أعياد النيل القديمة التى مازلنا نحتفظ بواحد منها وهو فتح الخليج. فان حضارة مصر القديمة كانت حضارة الزراعة وكانت ممارستها لهذا السبب حافلة بالعقائد التى تتصل بالنيل والشمس واذا كان فتح الخليج ويوم الغطاس من أعياد النيل فان شم النسيم من أعياد الزراعة المصرية

وقد كان يوم الغطاس من الاعياد المصرية العظيمة . وكانت الحكومة المصرية الاسلامية والشعب كله يحتفلان به كما ذكر ذلك المسعودى الذى عاش فى القرن العاشر

وتقول التقاليد المسيحية أن يوم الغطاس هو اليوم الذى تم فيه تعميد المسيح فى الاردن ولكن هذا اليوم نفسه هو يوم الغطاس عند المصريين القدماء . والمعقول إذن أن الآباء المسيحيين فى العصور الاولى رأوا أن يستبقوا الاعياد القديمة التى لاضرر منها على الدين الجديد حتى يسهل على الشعب أن ينتقل وهو لايحس بانقطاع الاسباب والتقاليد القديمه

وقد نقل محرر الجازيت اقتباسا من كاتب اغريقى يدعي ارستيد ريتور وضع كتابا سنة ١٦٠

للميلاد جاء فيه أن المصريين فى ١١ طوبه يعتقدون أن مياه النيل تكون صافية وهم ينزلون ويجمعون منها مايستطيعون فى احتفالات ومواكب ثم يحفظون هذا الماء سنوات . كما أن السفن الاجنبية كانت تزدحم فتملأ بمائه صهاريجها وتسافر به الى أنحاء الدولة الرومانية لكى تبيعه حيث كان يستعمل فى أعياد الربة اسيس . وكان المصريون يعتقدون أنه كلما طال الزمن على هذا الماء وهو مخزون فى المنازل جاد وحسن كما هو الحال بالنبيذ المعتق

الاقليات فى تشوسلوفاكيا

من أعظم ماتعانيه تشوسلوفاكيا أن فيها طوائف كبيرة من الأقليات التى تداخلت فلا يمكن فصلها فى أقاليم ومنحها حكومات ذاتيه . ولو كانت منفصلة لما تردد مازاريك فى العمل لمنحها الاستقلال الذاتى . فان الرجل كان كبير العناية بالاقليات حتى لم يحدث أى تذمر منها طول مدة رياسته مع أن جميع هذه الاقليات كانت السائدة على الشعب التشكوسلوفاكى قبل الحرب . وكانت لها عنجهية السيادة فلم يكن يسهل عليها ان تعود أقليات . ولكن المعاملة السامية التى عاملها بها مازاريك أزالت الشعور السىء الذى ربما كان يحدث لو أن رجلا آخر غير مازاريك تولى الحكم

ففى تشكوسلوفاكيا نحو ١٤ مليون نفس منهم :

٧ ، ٤٤٥ ، ١٣٧	تشكوسلوفاكى
٣ ، ١٨٨ ، ٥٣٠	الماني
٤٥٨ ، ٠٩٤	روسى
٨٠ ، ١٨٢	بولندى
١٢٠ ، ٢٧٧	يهودى

ولم يتردد مازاريك فى تعيين وزراء من هذه الاقليات وخاصة من الالمان . وليس من السهل أن يكون نصف الامة تقريبا أقليات . فان الامم تعجز عن قيادة الاقليات ولو كانت دون ذلك وهذا النجاح يعزى الى مازاريك فقدكان رجلا مشبعا بروح الثقافة الديمقراطية

التوسع اليابانى

يحسن بالذين يتتبعون أخبار التوسع اليابانى فى الصين أن يعرفوا هذه الحقائق :

١ : فى سنة ١٨٩٥ استولت اليابان على جزيرة فورموزا

٢ : وفى سنة ١٩٠٤ استولت على بور ارثور

٣ : وفى سنة ١٩٠٥ استولت على كارافوتر

٤ : وفى سنة ١٩٠٥ استولت على كوريا

٥ : وفى سنة ١٩٢٠ حصلت على انتداب من العصبة على جزر المحيط الهادى فوق خط الاستواء

٦ : وفى سنة ١٩٣٢ استولت على منشوريا وأسمتها منشوكيا

٧ : وفى سنة ١٩٣٣ استولت على جيهول وضمتها الى منشوكيا

٨ : وفى سنة ١٩٣٤ استولت على منغوليا

حكومة الصين تحتكر التأمين

اجاز مجلس الامة فى الصين مشروعا يعد الاول من نوعه فى العالم وهو احتكار الحكومة لاعمال التأمين للحياة فى كل انحاء البلاد . وفى المشروع أن وزارة المواصلات هي التى ستقوم بالعمل بواسطة بنك التوفير التابع لها . والبنك هو الذى يصدر العقود ويجمع الاقساط ويقوم بسائر التعهدات الواردة فى العقد . وقد حدد المشروع قيمة العقد من ٥٠ ريالا حدا اذني ، الي ٥٠٠ ريال حدا اعلى . ويجوز لكل صينى من الثانية عشرة الي الستين من عمره أن يشترى عقد تأمين بلا فحص طبى .

تقدم العلوم والفنون

مبتكرات الزهاوى

« زهاوى زادة جميل صدقى افندى » هذا هو اسم الاستاذ الزهاوى شاعر العراق فى مقال كتبه سنة ١٨٩٦ أى قبل ٣٩ سنة حين كانت التعابير التركية شائعة

وقد لفت نظرنا الى هذا المقال بمناسبة ما كتبناه عن الخط اللاتينى . فان الزهاوى المفكر كان قبل أربعين سنة يفكر فى اصلاح الخط العربى ويرى أن الهجاء الحاضر شاق وسىء معا لان جميع الحروف فى المطبعة يجب أن يعرف ٤٠٠ حرف وهذه الحروف على كثرتها لاتؤدى الغاية من الصحة فى الهجاء وارشاد القارىء الى النطق السليم

ويرى الزهاوى في مقاله هذا انه يمكن أن نجعل الحرف يؤدى أربعة حروف بأن يكون له أربعة جوانب مختلفة فاذا وضع على أحد جوانبه صار له معنى يختلف من معناه الآخر عندمايوضع على جانب آخر . وهلم جرا . وبهذه الطريقة يمكن الاقتصاد فى الحروف فينزل عددها الي مائة حرف بدلا من ٤٠٠

ولكن الزهاوى ينسى أن الاقتصاد هنا فى مقدار الرصاص فقط لان الجميع يضطر الى أن يحفظ ٤٠٠ حرف .فهى فى ذهنه وان لم تكن فى صندوق الحروف

وحروف الهجاء الاوربية لاتزيد على ١١٢ والسبب لقلتها — مع أنها تؤدى من الاصوات أكثر مما يؤديه هجاؤنا — ان الحرف واحد سواء أكان منفصلا أم متصلا

الارقام الاوربية

لايزال المغاربة يكتبون الارقام الاوربية ولا يعرفون الارقام « العربية » التى نستعملها فى مصر والعراق وسوريا . وكان هناك من يظن أنهم أهملوا الارقام العربية واتخذوا الاوربية بدلا منها . ولكن الصحيح أن الارقام الاوربية الحاضرة هى أرقامنا العربية القديمة كما يتضح من هذه الابيات الثلاثة التى وجدت فى مخطوط في مكتبة زكى باشا . وهى تصف الارقام من ١ الى ٩

والوصف ينطبق على الأرقام الاوروبية ولا ينطبق على الارقام العربية . وهى :

الف وحاء ثم حج بعده عو وبعد العوعين ترسم
هاء وبعد الهاء شكل ظاهر يبدو كخطاف إذا هو يرسم
صفران ثانيهما قد ضما معا والواو تاسعها بذلك تختم

امتحان الامتحانات

قبل أيام عقد فى لندن مؤتمر جماعات التربية وقد ألقى فيه السر ميكايل سادلر خطبة قال فيها ان التحقيقات التى قامت بها لجنة المربين عن الامتحانات قد زعزعت الثقة فى قيمة الامتحانات وأن للحظ أى البخت شأنا كبيرا فى اعطاء الدرجات للطالب أو التلميذ سواء أكان هذا فى امتحانات الشهادات الابتدائية أم فى الامتحانات المدرسية الدورية

وقد قرأنا فى العدد الأخير من مجلة نيتشر — المجلة الانجليزية للعلوم — تلخيصا للتقرير الذى وضعته اللجنة التى كان يرأسها السر سادلر هذا . ويحسن بكل معلم أن يقرأ هذا التقرير بل يحسن بوزارة المعارف عندنا أن تشترى منه بضع مئات وتوزعها على رجال التعليم فى مصر لكى يبصر الممتحنون بنقائص الامتحان وفضائله فى قدر الكفاية عند الطالب أو التلميذ

وقصة هذا التقرير ترجع الى أن مؤسسة خيرية أسسها الثرى الامريكى كارنيجى قد ألفت لجنة لامتحان الامتحانات وهذه اللجنة دولية وقد فحصت عن الامتحانات فى أمم مختلفة لكى تعرف الدرجات التى يضعها الممتحنون وقيمتها فى تعيين الكفايات . وهذا الامتحان للامتحانات قد أثبت أن مستقبل التلاميذ والطلبة معرض كما قلنا للبخت أو الحظ أكثر مما هو معرض لأى شىء آخر . وقد كان السر سادلر رئيسا للجنة التى فحصت عن الامتحانات الانجليزية . وهذه الخطبة التى ألقاها قبل أيام فى مؤتمر لندن هى ثمرة التحقيقات التى جرت برياسته واشتراكه

ونعود الى التلخيص الذى وضعته مجلة نيتشر . فانه يتناول خمسة أنواع من الامتحانات :

١ — الامتحان المدرسى للمدارس الثانوية وعدد من يتقدمون له فى انجلترا يبلغ أحيانا سبعة آلاف تلميذ

٢ — امتحانات الصبيان فى المدارس الابتدائية وعدد المتقدمين له يبلغ نحو نصف مليون كل عام

٣ – امتحانات الكليات فى الانشاء والناجحون فيه ينالون حق التعلم بالمجان
٥ – امتحانات الرياضيات فى الجامعات للحصول علي درجات الشرف
٥ – امتحانات التاريخ فى الجامعات للحصول على درجات الشرف

والطريقة التى اتبعتها اللجنة أنها تسلمت أوراق الامتحانات وسلمتها للممتحنين من اللجنة وطلبت اليهم تعيين الدرجات ، فكانت النتيجة مزعجة ومضحكة معاً ، بل هى تزعج أكثر مما تضحك لان مصير الشبان فى كثير جدا من الحالات ليس معلقا بكفايتهم بل بالمصادفات والبخت. والنجاح والاخفاق متوقف فى أكثر الاحيان على مزاج الممتحن الذى يضع الدرجات

مثال ذلك ان خمس عشرة ورقة تحوى كل منها اجابات التلاميذ على أسئلة التاريخ قد أعيد وضع الدرجات لها. وكانت هذه الاوراق قد اختيرت وهى متساوية فى المجموع حسب الامتحان الاول . أما فى الامتحان الثاني فقد اختلفت الدرجات بين ٢١ و ٧٠ من المجموع الكلى للامتحان وهو ٩٦ . وهذا مع العلم بأن أسئلة التاريخ تتناول أسماء معينة و كان يجب أن يقل فيها اختلاف لدرجات مهما اختلف الممتحنون

وأخذت أوراق ٣٩ طالبا أعطوا جميعهم درجات الرسوب . فلما أعيد وضع الدرجات لهذه الاوراق منح ٢٤ درجات النجاح و ٨ درجات النجاح المتفوق و٣ درجات النجاح مع الامتياز

وأعيد امتحان بعض الطلبة الذين امتحنوا امتحانات شفهية وحصل كل منهم على مكافأة مائة جنيه . فنزل الاول فى الترتيب حتى صار الثالث عشر

والتقرير كله يتناول هذه الموضوعات ويخرج بالنتيجة المؤلمة وهى أن الامتحانات كما هى بأساليبها الحاضرة لايمكن أن تدل على الكفاية وانها تحتاج لاصلاح كبيرحتى يقل نصيب البخت. فيها . وستطبع اللجنة تقارير أخرى تبحث فيها وجوه الاصلاح . وعندنا أن جميع الذين يقرأون هذا التقرير يؤيدون جميع ما جاء فيه . وعسى أن تستنير وزارة المعارف عندنا بهذه التقارير وتصلح من شأن الامتحانات عندنا فى ضوء مقترحات اللجنة الدولية التى تقوم بتحقيقها

حاجة الزراعة الى الفيتامين

من الابحاث التى تعنى بها وزارة الزراعة وكلفت بعض الاخصائيين بها مسألة السماد الطبيعى وحاجة الارض الزراعية له وهذه الحاجة تقوم علي نظرية ان الانسان لايحيا إلا بالفيتامين من النبات والحيوان . وقد دلت التجارب على أن النبات لايحصل على الفيتامين إلا اذا كانت الارض غنية بالمواد الحية وهذه المواد لاتتوافر إلا فى السماد البلدى الذى هو نتيجة أو خلاصة لفيتامينات مختلفة . وهذه الفيتامينات تنتقل الى النبات كما تنتقل اليه المواد المعدنية" ولهذا يرى الاخصائيون أنه لاغنى للزراعه عن الاكثار من الماشيه" وتربيتها فى الارض الزراعيه" لانها تغذيها وتكسبها خصوبة ومناعه" بالعناصر الضرورية

المحار الجبار

نعرف من المحار أنواعا كبيرة فى البحر الاحمر . ولكنها لاتبلغ فى الكبر المحار الجبار عند الجزر الملاوية . فان المحارة هناك ربما يبلغ وزنها ٥٠٠ رطل أو اكثر . وهي تكثر فى المخاضات او الزكارق القريبة من السواحل فاذا صادفها رجل ووقعت رجله عليها انطبقت صدفتاها عليه فلا يمكنه أن يفلت . فاذا جاء المد غمره الماء وخنقه

وفى كنيسة سان سوبليس فى باريس صدفتان تستعملان للماء المقدس ووزنهما يبلغ ٥٧٠رطلا وطول الواحدة منهما لايقل عن متر ونصف متر . ولابد أن المحارة التى كانت تعيش فى هاتين الصدفتين لم يكن يقل وزنها معهما عن الف رطل

الطريقة الامريكية فى التعليم

يمكن تلخيص المبادى التى تسير عليها المدارس الامريكية الجديدة فى خططها التعليمة فيما يلى :

(١) وجوب الاتصال التام بين التربية والحياة العملية

(٢) التربية التى لاتحسب حسابا لشخصية المتعلم وميوله وادراكه واختباره وحياته لاخيرفيها ولا أثر لها

(٣) المعرفة المرغوب فيها هى التى لها نفع مباشر للمتعلم والعكس بالعكس

(٤) ليس المقصود من التربية حشد المعلومات بل تمهيد الطريق للتفكير

(٥) من دلائل المقدرة على التفكير القدرة على حل المسائل التي تعترض الفرد والجماعة

(٦) الحكمة وبعد النظر هما الهدف الذي يجب أن ترمي اليه التربية لا السير على منوال رسمه لنا الغير

(٧) من نتائج التربية الحقة الاعتماد على الذات وضبط النفس والاقدام واذا كان تمكننا فالابتكار

(٨) هذه كلها ثمرات يجب قطفها والوصول اليها بغير اجهاد أو ضياع الصحة أو فقدان السعادة الشخصية

كتب الشهر الجديدة

سجلات كيسنج العصرية

أعظم ما ينتقد على الموسوعات أو — كما يسميها الاوربيون — السيكلوبيديات ، أنها كثيرة التكاليف . فاذا تم طبعها عجز الناشر عن تجديدها إلا بعد عشر سنوات على الأقل . وفى هذه المدة تكون الدنيا تغيرت فى السياسة والاختراع والاكتشاف والعلوم والآداب . وهذا هو ما يحدث مثلا فى الموسوعة البريطانية . فان أصحابها بعد أن ينفقوا الوقت والمال على اخراجها فى أكثر من عشرين أو ثلاثين مجلداً ضخماً لا تكاد تمضى عليها السنة حتى تعود قديمة وخاصة فى هذا الزمن الذى تتغير فيه الدنيا بسرعة عجيبة

ولذلك فان كل موسوعة تولد إلى حد ما ميتة لأنها تخلو من صفة الحياة وهى التجدد . وقد عالج الفرنسيون هذا النقص بعض العلاج . ولكن أحسن ما اهتدينا اليه مما يقرب من فكرة الموسوعة الحية هو هذه « السجلات » التى تنشرها شركة هولندية وتذيعها على العالم بأربع لغات هى الهولندية والفرنسية والألمانية والانجليزية

فالمشترك فى النسخة الانجليزية يعطى قبل كل شىء غلافا قد رتب بحيث يمكن أن توضع فيه الأوراق التى ترد اليه بمعدل ثلاث مرات كل أسبوع . وهذه الأوراق تحتوي على فهرس أبجدى للحوادث والأخبار السياسية والاجتماعية والعلمية . ومع كل خبر اشارة إلى الخبر السابق عنه بالذات أو المتصل به . وترسل فهارس أبجدية مجددة يطلب فيها من المشترك أن يتلف ما قبلها استغناء عنه . وأمامنا النسخة الانجليزية من هذه السجلات ونحن نفتحها جزافا فنجد أخبارا عن الانتخابات فى أرلندا وتأثير الضوء الكهربائى فى النبات ومحصول الريون عند الأمم الصناعية وقرارات عصبة الأمم فى مسألة الحبشة ومعالجة الرومتزم بالذهب الخ

والقائمون بتحرير هذه السجلات يلتفتون كثيراً للمسائل الاقتصادية وهذا هو المنتظر فى العصر الحاضر لان الاقتصاديات هى روح العصر . وعندنا أن كل رجل يشتغل بالمسائل الثقافية العامة وخاصة منها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية يحتاج إلى هذه السجلات لتنظيم ذهنه . وقيمة الاشتراك السنوى فيها ٣٧٠ قرش تقريبا إذا كان المشترك يطلبها أوراقا منفصلة تصل نحو ثلاث مرات كل أسبوع . وهى جنيهان إذا شاء أن ترسل اليه هذه الاوراق مجموعة مرة كل شهر ؛ واسمها بالانجليزية Keesing's Contemporary Archives.

حياة يسوع

تأليف الدكتور بترز سمث وترجمة الاستاذ حبيب سعيد . صفحاته ٣٩٧ من القطع الكبير

أصدرته جمعية نشر المعارف المسيحية ببولاق بمصر

هذا الكتاب أعيد طبعه فى اللغة الانجليزية ٣١ مرة فى ثمانى سنوات وهذا يكفى لبيان قيمته بين الجمهور القارىء فى انجلترا والعالم الانجليزي . والكتب التى الفت فى ترجمة السيد المسيح تعد بالمئات بل بالالوف . وهى تختلف اختلافا كبيرا لان المؤرخين لا يستطيعون أن يتحاشوا الذاتية لكى يكتبوا كتابة موضوعية . فالمؤلف الذي يجارى العقليين مثل رينان يمكنه أن يخرج كتابا جميلا يترجم بالمسيح دون أن يعزو اليه معجزة . والمؤرخ السيكوجى مثل اميل لودفيج يمكنه أن يخرج كتابا تحليليا لا يغضب المؤمن أو الكافر . والمؤلف الخيالى مثل جوفانى بابينى يستطيع أن يملأ نفس القارىء غبطة بحلاوة أسلوبه وعذوبة عبارته وجمال خياله حتى ليجد حلاوة فى أسطورة المذود ، والمؤلف المفلسف مثل سفيتزر يمكنه أن يغمرك بالروح الدينى حتى حين يناقش بل يناقض رواية الانجيل

وليس من السهل أن يكتب الانسان كتابة موضوعية عن المسيح أو عن أى نبى آخر . وربما يقال انه يمكنه ذلك اذا كان ملحدا . ولكن الملحد يكن فى نفسه ثأرا على الدين يشق عليه اخفاؤه . فهو حين يؤلف ويترجم بأحد الانبياء يترجم بنفسه أيضا فيغرض ويميل ويتحيز

ومؤلف هذا الكتاب قسيس يكفى القارىء لكى يعرف نزعته أن نقول انه يدافع عن معجزات المسيح . وأعظم ميزاته قدرته على شرح البيئة التى عاش فيها المسيح وعرضه للحوادث عرضا مفهوما موضحا بالتعليقات التى تنير القارىء عن بعض الخفايا التى تعترض قارىء الاناجيل لانها تتصل بملابسات تاريخية بعيدة عن عصرنا يدق علينا مغزاها . وكان يكون الكتاب أحسن لو أن المؤلف لم يناقش . فان المسيحية هى بعد كل شىء عقيدة والعقائد لا تجديها المناقشة . وكان يمكن المؤلف أن يسرد القصة ويقنع بذلك

وعلى كل حال يمكن القارىء الذى يحب أن يقف على تفاصيل الحياة التى عاشها السيد المسيح أن يقرأ هذا الكتاب فانه يبسط هذه الحياة بسطا وافيا اذا لم يكن منزها عن الغرض فهو على الاقل حاويا لمقدار وافر من الحقائق

ولغة المترجم سهلة بسيطة تتفق وموضوعها

مجلة العـــــــــلوم

تصدر عن جمعية خريجى المعلمين العليـا

صدر العدد الأول من السنة الثالثة لمجلة العلوم وهى مجلة علمية أدبية اقتصادية مصورة تصدر شهرية موقتا وبحجم صغير على نسق المجلات الاسبوعيه عن جمعية خريجى المعلمين العليا التى تتخذ لها مركزا بشارع فؤاد الاول رقم ١ بالقاهرة ويحرر هذه المجلة عدد من أساتذة المدارس المصرية ذوى المؤهلات العلمية

وبين مواضيع هذا العدد . الجنس . والبترول من الفحم الحجري . وعلاقة طعم المادة بتركيبها الكيمائى . الاشعاع الراديومى والتركيب الداخلى للذرات . وفى جوف الأرض . والشفق الشمالى . وطاليس أبو الهندسة . وفلسفة الاستنباط . وأثر علم النفس فى التربية الحديثة وغيرها من المواضيع العلمية الحديثة الهامة . .

وهذا العدد رغم صغر حجمه يحتوى على ثلاثة عشر بحثاً علميا . ونحن فى نهضتنا الحاضرة فى حاجة الى أمثال هذه الصحيفة العلمية التى يحررها المثقفون لخدمة بلادهم ونرجو أن يزداد اقبال المثقفين لخدمة بلادهم ونرجو أن يزداد اقبال محبى الثقافة العالية على هذه المجلة حتى يتسنى لهم تكبير حجمها وجعلها فى مصاف المجلات الكبيرة

واشتراك هذه المجلة عشرة قروش فى السنة داخل القطر وعشرون قرشاً خارجه ؟

ق . ى

الحب والدسيسة

تأليف فريد ريك شيلر وترجمة حسن صادق صفحاته ١٦٨ من القطع الكبير طبع بمطبعة الاعتماد بمصر

سبق لنا أن نوهنا ببراعة الاستاذ حسن صادق فى ترجمته لقصة ادولف . وهذه القصة التى نقلها عن الاديب الالمانى شيلر تستحق الثناء كالقصة السابقة سواء . ومؤلفها شيلر لاتقل مكانته عند الالمان عن جيته بل الواقع أن مؤلفاته تقرأ اكثر مما تقرأ مؤلفات جيته وان كان الاحترام أو التقدير لشخصية جيته اكبر من الاحترام أو التقدير لشخصية شيلر . وفى شيلر خيال وصبابة إلى المثل العليا السياسية والانسانية تحمل إلى النفس نسيما منعشا . وهذه القصة من أحسن مؤلفاته فى هذه الناحية

وقد ألحق المترجم قصة أخرى للمؤلف البلجيكى مايترلنك هى « بلياس ومليزاند » وهى من القصص الرمزية التى يبرع فى حبكها هذا المؤلف

وهاتان القصتان عزاء للقارىء الجديد الذى يطلب الثقافة والفن أمام الطوفان الذي يغمر القاهرة من القصص القذرة التى تذاع كل يوم فى المجلات الاسبوعية باعتبار أنها من الفن وهى لاتزيد على أن تكون من الاغراء الجنسى الوقح

حديث الأدب والأدباء

تفسير التاريخ

من مقال لسلامه موسى في البلاغ

لم يعد شك فى أن التفسير الاقتصادى للتاريخ هو التفسير الصحيح لأن البيئة الاقتصادية هى التى تقرر البيئة الاجتماعية . وذلك لأن الناس يتفاوتون طبقات اجتماعية بمقدار تفاوتهم فى الشئون الاقتصادية . ثم هم فى أحوالهم الاجتماعية عرضة للتأثر النفسى وذلك لأن السيكلوجية ثمرة الاجتماع والاجتماع ثمرة الاقتصاد

فنحن نفكر ونحب ونكره ونؤمل ونيأس ونزهد ونطمع لاننا نعيش فى بيئة اجتماعية لها هذه الآثار فى نفوسنا . ولو فرضنا أن انسانا يعيش منفرداً فى جزيرة مقطوعة عن العالم لخلا من المركبات النفسية بل هو يخلو تماما من التفكير الاجتماعى . وكذلك لا نستطيع أن تدرس الاجتماع الا فى ضوء الاقتصاد . فان حياة الفلاح المصرى مثلا هى من حيث الاجتماع خاضعة كل الخضوع تقريباً للبيئة الاقتصادية . إذ هو يأكل ويلبس ويسكن ويطمع وييأس بما تمليه عليه الظروف الاقتصادية وهكذا الشأن فى سائر الطبقات

ولهذا السبب يعد التفسير الاقتصادى للتاريخ تفسيراً اجتماعيا وسيكلوجيا أيضا فاذا نحن عمدنا الى تاريخنا قبل الف أو مائة سنة وبحثنا العوامل الاقتصادية التى سادته وعرفنا اين كان موضع الثراء والفقر وقوة الطبقات المتوسطة بين الاثنين ودرسنا الصناعات السائدة وطرق التكسب امكننا أن نصل الى فهم الامة من ناحية الاجتماع والسيكلوجية . فنستطيع بذلك ان نعلل الثورات والحروب والظلم والعدل والحرية والرق وهذه الدعاية للمذهب وهذه النزعة فى الادب ولماذا نجحت احدى الفرق وخابت الاخرى .

وإذا نحن فعلنا ذلك اتضح لنا أن التفسير الاقتصادى للتاريخ هو التفسير المجدى لاننا نستطيع أن ندرك منه أثر العوامل الاقتصادية المحيطة بنا الآن فى عصرنا ونفهم آثارها السيئة أو الحسنة فى اجتماعنا وعاداتنا وعقولنا وعواطفنا وأدبنا وفنوننا

وانى أود لو أن أحد المؤرخين توفر على درس التاريخ المصرى فى ضوء التفسير الاقتصادى .

وكذلك أو دلو فعل آخر ذلك فى درس التاريخ العربى . مثال ذلك هذه الغزوة العربية لمصر . لماذا لا يعمد اليها مؤرخ لا يقتصر على درس الاحوال الاقتصادية فى جزيرة العرب بل كذلك فى الدولة الرومانية . فان التدهور الحربى الذى بدا من الرومانيين أمام العرب كان نتيجة التدهور الاجتماعى وهذا كان أيضا نتيجة التدهور الاقتصادى . ولكى نعلل هزيمة الرومانيين يجب أن نبحث أحوال الفلاحين فى الريف والعمال فى المدن والطبقات المتوسطة وتضخم النقد البيزنطى . ولا عبرة بان يقال أن السبب لهذا التدهور هو مظالم الحكام ونهب الولاة والتعصب المذهبي بين الفرق الدينية. فان كل هذه كان نتيجة محتومة لنظام اقتصادي سيء

ثم يستطيع مؤرخ آخر أن يشرح مصر العظيمة الغنية أيام المماليك ومصر الحزينة الفقيرة الضعيفة أيام الاتراك تفسيرا اقتصاديا . ويخرج من هذا الشرح الى تعليل الأدب الناهض الناشط أيام المماليك وموت هذا الأدب أيام الأتراك بل نستطيع أن نكتب تاريخاً للادب العربى فى ضوء التفسير الاقتصادي . بل نفسر سيكلوجية الكاتب أو الشاعر ببحث الطبقة الاجتماعية التى نشأ هو فيها أو تلك التى كتب لها أو الأثنتين معاً . ولا يمكن التفسير السيكلوجى لأي كاتب أو شاعر مالم تجعل قاعدة هذا التفسير تحليلا للاحوال الاجتماعية التى ترتكز على أحوال اقتصادية

لقد سبق لى أن اتهمت المتنبي بالسادية أي حب القسوة للذة القسوة ، ولكن المتنبي لم يكن ليجد الرواج الذى لقيته أشعاره عن الدم والقتل والضرب مالم يعش فى بيئة حربية أي أن لون الاجتماع فى عصره كان حربياً . وكان كذلك لان هناك عوامل اقتصادية حركت العداء والمناضلة بين سيف الدولة والرومانيين . وعلى ذلك نقول أن نفس المتنبى كانت خاضعة للاجتماع المحيط به . ومرض السادية عنده احالة الى عبقري لانه عبر — فى مبالغة المرض — عن نزعة اجتماعية سائدة هى النزعة الحربية

ولو كنا نعرف حياة الادباء العرب مع تفاصيل التربية الاولى والنشأة الاجتماعية والظروف الاقتصادية لاستطعنا أن ننتقدهم جميعهم نقداً اجتماعيا وسيكلوجيا ونعلل نزعاتهم المختلفة . ولكننا للاسف لانعرف شيئاً كثيراً عن ذلك . على انى أعتقد أن المحاولة مع ذلك مجدية . فان انحطاط ابى نواس وزهد ابى العناهية ونسك المعرى وثورة الغزالى على البيئة الاجتماعية التى كان يعيش فيها وقعقعة المتنبي وزركشة الحريرى — كل هذا وغيره يمكن تفسيره من الناحية السيكلوجية اذا عرفنا الحياة التى عاشها هؤلاء وحللناها فى ضوء البيئة الاجتماعية الاقتصادية

والاساس هو البيئة الاقتصادية التى تقرر الاجتماع للامة ، هذا الاجتماع الذى هو الاصل للفكر والعاطفة والعلم والأدب والثقافة بل حتى الدعوة المذهبية هى نتيجة الاجتماع . فاذا ظهر « المهدى » فى السودان فلنلتمس بحث الأصول لدعوته فى الحال الاقتصادية . وإذا شاء المنبوذون أن يتركوا الديانة الهندوكية فلنلتمس أسباب هذه الثورة فى حالتهم الاقتصادية القائمة . وكذلك تعصب البراهمة للهندكية وهم كهنة الهند وسادتها يمكن أن يفسر تفسيراً اقتصاديا

مارك توين

من مقال فى جريدة الشعب

احتفلت امريكا من مدة وجيزة بمرور مئة سنة على ميلاد الكاتب الهزلى العالمى المشهور مارك توابن الذي مات فى سنة ١٩١٠ بعد أن عالج مهنة البحار والبحث عن الذهب والصحافة واشتاتا من الاعمال المختلفة ثم استقر كاتبا فكها هزليا من الطراز الاول بل من الافذاذ النوابغ فى هذا الفن الكتابى الدقيق

ولقد كتب فى تمجيد هذه الذكرى المثوبة لهذا الكاتب النابه . أديب من اكبر أدباء فرنسا وهو مسيو تريستان برنار فى جريدة «بارى سوار» فبعد مقدمة وجيزة تبين كيف نشأ يتيما وهو فى الثانية عشرة من عمره . وكيف كافح فى طلب القوت فعمل فى جمع الاحرف ثم فى البحر وفى عشرات من الصناعات . ثم كيف أقبلت عليه الشهرة بعد نشره رواية « الضفدع النطاطة » وغيرها من السير الممتعة وكان يكتب أحسن مايبتدعه وهو فى السرير . عاد أديبنا يبسط فن توابن فقال :

من مميزات مجد مارك توابن أنه مستحيل المحاكاة يعجز من يقلده . ومع هذا لايدرى الناقد أي سبيل سلك حتى وصل الى مايأتى به من غريب مضحك

وليس صفاء العقل الفكاهى بمقصور على الطبقات المهذبة المتعلمة ففى الطبقات الدنيا من الناس من يرسل النكته البارعة فى اثر أختها من غير أن يخل بشىء من الأدب أو يصدم الشعور

وهناك نكات وفكاهات تفهمها وتسيغها كل الطبقات على اختلاف المراتب والافهام والاذواق وقد كانت كتابات توابن من هذا النوع العالمى البارع الجذاب وقد تجلت فى روايات «سرقة الفيل الأبيض» و «الشاب الصغير اوريلى»

وما أبرع ماقصه توابن فى صدد حادث من حوادث حرب الانقسام الامريكى فقال :

ان جنديا كان فى بعض ساحات الوقعة فاستنجد به جريح ملقى أرضا فاسرع الى نجدته فقال الجريح انشظية قنبلة ذهبت بساقى فاحملنى الى إحدى النقالات فحمل الجندى الجريح والقتال محتدم اللظى وسار به ورأس الجريح إلى وراء ظهر الجندى فمرت شظية أخرى من شظايا القنابل المتطايرة فاودت برأس الجريح من غير أن يشعر بذلك حامله

والتقى ضابط بهذا الجندى فصاح به ماذا تحمل أيها الأحمق . الق بهذه الجثة من على كتفك

قال الجندى ليست جثة . هذا جريح بترت الشظايا ساقه

قال الضابط بل بترت رأسه أيضا أيها الابله

فالتقى الجندي بالجريح عن عاتقه فاذا هو بغير رأس . نخفض الجندى وجهه وقال أقسم لك ياسيدي الضابط على أن الجريح كان يقول بان ساقه هى التى بترت !

هذا وشبهه مما لايوحى بمثله إلا إلى مارك تواين وهذا هو سر مجده وعظمته التى لاتضاهى

* * *

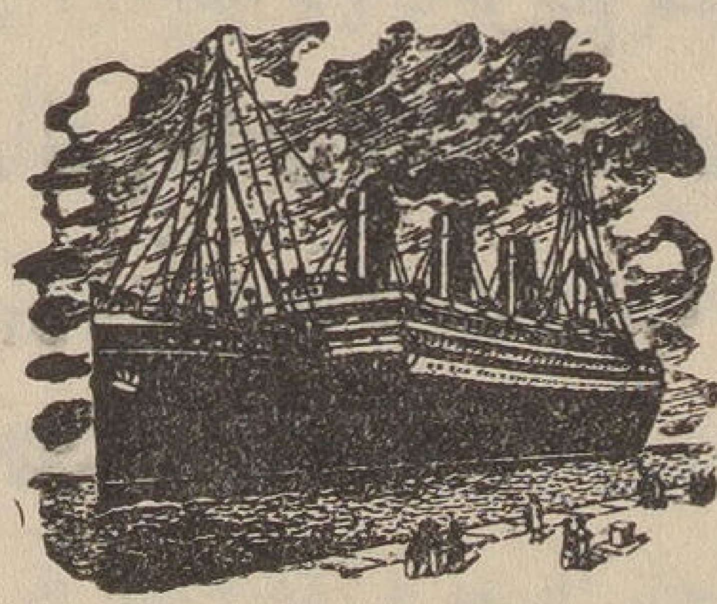
منحت جامعة اكسفورد فيما مضى مارك تواين اجازة دكتور الشرفية فلما وفد إلى لندن لتسلمها فى حفلة رسمية تألب من حوله الصحفيون والمصورون وأهل الفضول وضايقوه كثيرا فى غدوه ورواحه . . . ولكنه تلقى يوما من أحد المعجبين به صورة وكتابا يقول فيه المرسل «أبعث اليك وأنا شبيهك كل الشبه بصورتى وأرجو منك قبولها »

فكتب اليه تواين يقول « وصلتنى الصورة وأرى حقا أنك شديد الشبه بى اكثر من شبيهى لنفسى ، لهذا وضعتها فى إطار وعلقتها فى غرفة زينتى مكان المرآة لاحلق أمامها فى كل صباح . »

* * *

ولم يشتغل مارك توين بالسياسة إلا مرة واحدة فى حياته فاشترك فى معركة انتخابية لصديقه الجنرال حوزيف هادلى . ولما دعى إلى الخطابة يوما فى أحد الاجتماعات نهض قائما وقال «أيها السادة ان جوزيف هادلى خليق بعضدكم . نعم ليس فى وسعه بمفرده أن يطهر مجلس الشيوخ فان طاقة واحدة من الزهر ذى الارج لاتستطيع أن تعطر مصنعا من مصانع الغراء . . . ان صديقى هذا رجل خير وسوف لاترونه يقصى سائلا عن بابه قط خالى اليد فلا بد أن يعطيه شيئا ولو كتابا من كتب التوصية يرجونى فيه أن أمد اليه يد المعونة»

ولم يذكر الرواة هل انتخب الجنرال بعد هذه الخطبة أم لم ينتخب



الدنيا بعد ثلاثين سنة

تأليف

سلامة موسى

1936

مطبعة المجلة الجديدة

فهرست

كتب التكهنات

إذا تقلقلت القواعد الاجتماعية وتراخت الروابط كما هو الحال فى أزمنة الانتقال كثر التكهن عن المستقبل . ومما لا شك فيه أن هذا التقلقل يبدو الآن فى اوربا والولايات المتحدة . فان المبادىء الاساسية للحكومة الديمقراطية والحكم البرلمانى وحقوق المرأة والسعى الحر وغير ذلك مما نشأنا على أن نحترمه ونعتقد أنه غاية يجب على الامة المتمدنة أن تتوخاها ، هذه المبادىء قد تزعزعت فى بعض البلاد الاوربية كما يتضح من قيام الحكومات الشيوعية والفاشية ومن الدعايات المتناقضة التى يؤمن بها الملايين من المتمدنين

ويكفى القارىء أن يتأمل خبرين صغيرين ذكرتهما الصحف . الاول ان هوي لونج عضو مجلس الشيوخ فى الولايات المتحدة قد قتل بيد أحد خصومه . وهذا الشيخ كان يدعو الى ايجاد نظام لمنح كل انسان فى بلاده ٥٠٠ جنيه فى العام . والخبر الثانى ان المستر دوجلاس وهو اقتصادى انجليزى قد دعى الى ولاية البيرتا (فى كندا) لكى يبتكر نظاماً مالياً لايجاد دخل عام لكل فرد من السكان . وهذه آراء تدل بغرابتها على ما أشرنا اليه من التقلقل الاجتماعى . فان الايمان بالقواعد الاقتصادية القديمة قد تزعزع . ونحن الآن فى طور الانتقال الى أنظمة تقع لنافى الخيال ولا نستطيع التفكير فيها إلا عن طريق الحدس والترجيح مستضيئين بالعوامل الراهنة التى تؤثر فى حياتنا المنزلية والصناعية والمدنية

وفى عصور الانتقال تكثر التكهنات عن المستقبل . وقد مر بالعالم الاوربى عصر انتقال مدة النهضة الكبرى . فألف كل من توماس مور واللورد بيكون « طوبى » أي هيئة اجتماعية يتخيل أنها المثل الأعلى وانها سوف يصل اليها الناس عندما يبلغون أقصى ما يمكنهم من الرقى . وانما كان هذا المؤلفان يتكهنان لأنهما شعرا ان الارض تحت اقدامهما لم تعد فى ثباتها السابق . وان الآراء الجديدة التى كانت تنقل اوربا من النقل الى العقل أو من تقاليد القرون الوسطى الى النظر المنطقى أو العلمى جعلت المستقبل أغمض مما كان اذ خرج عن رسم التقاليد وبات معرضا للآراء والمخترعات والمبتكرات . ولذلك وضع توماس مور وبيكون كتابيهما للتكهن وقد حسن ظنهما بالدنيا والناس فتخيلا المحاسن دون المساوىء

وفى القرن الماضى شعر جمهور اوربا شعورا عميقا بقوة العلم وبأنه قادر على تغيير الدنيا . فكان ان قام جول فيرن بقصصه العلمية التى تخيل فيها الطيران والسير تحت الماء الى آخر ذلك مما تحقق

اكثر منه . وفى بداية هذا القرن رأيناه . ج . ولز يتابع التكهنات العلمية التى شرع فيها جول بيرن . بل رأينا برنارد شو يضرب أو يخبط فى المستقبل البعيد فيتخيل الناس وهم يعيشون بعد ٣٠٠٠٠ سنة

ومنذ بضع سنوات ظهرت قوة الآلات بل برزت هذه القوة وأصبحت تأخذ على المفكرين طرق التفكير فى الاقتصاديات أو الاجتماعيات . فرأينا كاريل كابيك يتخيل المستقبل فى تشاؤم مظلم . حتى لقد اخترع لفظة « روبوط » للرجل الآلى الذى يعمل مسيراً كالعبد بل أسوأ من العبد وذلك لتحكم الآلات فى الانسانية القادمة . وقد سارت هذه اللفظة ودخلت جميع اللغات المتمدنة إلا لغتنا التى تستنجس الالفاظ الاجنبية

وقبل سنوات أخرج الأديب الانجليزى الدوس هوكسلى كتابا على هذا النمط اتجه فيه الى بحث التأثير الذى تحدثه التربية السيكلوجية فى أبناء الأجيال القادمة وكيف يمكن بهذه التربية أن تقسم الأمة طوائف كأنها سلالات منفصلة

لقد زال عنا الاطمئنان ولن يثق واحد بأن الحال التى عاش فيها فى الخمسين من السنين الماضية سوف يعيش فيها أبناؤنا فى الخمسين من السنين القادمة . وقد رأينا فى حياتنا من التغيير فى الاجتماع والاقتصاد والحكومة والمخترعات ما يثير فى أذهاننا هذا السؤال وهو كيف يعيش أبناؤنا واى تغيير سيطرأ على الدنيا بعد ٤٠ أو ٥٠ سنة ؟

قبل شهرين كتبت أدعو الى العناية بالطائرة الجديدة التى اخترعها الطيار عثمان حمدى والتى لا تزيد تكاليفها على ١٥٠ جنيه . وفى هذا الاسبوع قرأت عن طائرة اخترعها رجل فرنسى وطار بها فى انجلترا ولا تزيد تكاليفها على ٧٠ جنيها . وليس بعيدا أن تعود الطائرة كالبسكليت

فانظر الى التأثير الذي يحدثه مثل هذا الاختراع . فان أقل ما فيه أنه سينقل السكنى من المدن الى الريف أو الى شواطىء البحار . اذ لماذا أرهق نفسى بالسكنى فى القاهرة اذا كانت ٢٠ دقيقة تكفينى لأن أطير الى مكان مثل رأس البر أو أبى قير لكى أعيش فيه

ثم اذكر أيضا هذا الاعلان الذى أذاعه وزير البريد العام فى بريطانيا حين قال ان التلفزة ستعمم فى أواخر هذا العام أو أوائل العام المقبل

وأضف الى هذا التجارب الاجتماعية والاقتصادية التى سيقوم بها موسولينى وهيتلر وروزفلت وعصبه الامم

ان الدنيا تتغير . وكل اختراع جديد فى الآلات يؤثر فى اقتصاديات الامة كما ان التغيير فى الاقتصاديات يستتبع انقلابات أخرى فى الشؤون العامة . ثم هناك التقدم العلمى فى الكيمياء التى

أوجدت لنا الريون وهونسيج سوف يمحو زراعة القطن من العالم أو يجعل الناس يزرعونه لزهره فقط . ثم انظر الى التقدم فى الآراء التى تتعلق بالتربية أو الصحة أو النقد أو غير ذلك

ولذلك يجب أن نقول ان عصرنا الحاضر هو أليق العصور لتأليف الكتب فى التكهن عن المستقبل لأن كل شيء قد أصبح فى البوتقة . ولا يمكن أن يكون المتكهن نزيها لانه يضطر الى توجيه القارىء اذ هو ، من حيث لا يدري ، سيدافع عن نظرياته وهو فى هذا الدفاع سيوجه القارىء اليها ونحن عندما نقرأ تكهنات ولز عن الدنيا بعد ألف سنة أو تكهنات شو بعد ٣٠٠٠٠ سنة انما نقرأ ما يحب كل منهما أن يراه محققا

والتكهن سهل حين يضرب المؤلف عن المستقبل البعيد لانه عندئذ يمكنه أن يتخلص من ظروف البيئة الحاضرة . أما حين يتكهن عن الهيئة الاجتماعية كيف يعيش بعد ٤٠ أو ٥٠ سنة فانه بحاجة الى أن يلتزم العوامل البارزة فيها اى العوامل التى لا يمكن أن تمحى فى هذه المدة . وهو أن يكتب تاريخ المستقبل فى حدود الظن الذى يقرب من الترجيح

وقد أكثرنا من قراءة التاريخ للعصور الماضية فلماذا لا نقرأ التاريخ للعصر القادم وخاصة القريب منه ونعرف ماذا يحدث لنا وللعالم بعد نصف قرن مثلا ؟

التكهن عن مستقبل الزراعة

أظن أن المتأمل لحال الزراعة فى مصر مع مقابلتها الى التطور الصناعى والزراعى فى أنحاء العالم لايسعه الا الاعتراف بانها سوف تتغير تغيرا كبيرا فى مدى الاربعين او الخمسين من السنين القادمة وهذا اذا لم يطرأ هذا التغيير قبل هذه السنين . ففى السنوات العشرين الماضية رأينا تطورا يعرفه جميع المحتكين بالزراعة . فان الاتومبيل طرد الجمل والحصان طردا يكاد يكون تاما من ريفنا لانه قام بالنقل دونهما . وليس بعيدا أن يطرد الثور من الحرث فى بعض الانحاء وخاصة فى العزب الكبيرة

وفى العالم طريقتان للزراعة احداهما تقوم بالاعتماد على اتومبيلات الحرث والحصاد الكبيرة بحيث تصبح العزبة عشرة آلاف أو حتى مائة الف فدان . وقد نشأت هذه الطريقة فى الولايات المتحدة وشاعت فى كندا واستراليا حيث تتسع العقارات الزراعية ويقوم الفلاح بسهولة بزراعة مائة فدان . وهذا بالطبع لايتيسر له إلا بالآلات الكبيرة

أما الطريقة الثانية فهى الطريقة الدنمركية حيث يملك المزارع مقدارا صغيرا من الارض يستغله بأقصى ما يمكنه بحيث يربى عليه الخنازير والعجول والخراف ويستخرج منه النبيذ والجبن والزبدة ويزرع فيه الخضراوات والفواكه . والطريقتان متضادتان . لان الاولى تعتمد على الآلات الكبيرة والثانية تعتمد على الايدى . وتبالغ دنمركا فى الاحتفاظ بهذه الطريقة كأنها مذهب حتى أنها تمنع اشتراك مزارعين اثنين فى زراعة ارضهما

وظنى أن الطريقة الدنمركية هى التى ستعم ريفنا وهى بالطبع قائمة الآن ولكننا لانستمتع بمزاياها فلا نربى العجول ولا نخرج الجبن والزبدة ولا نستنبط النبيذ بل نحن نزرع العقارات الصغيرة بحساب العقار الكبير ونقنع بالقمح والذرة والقطن . وهذه محصولات يستطيع الامريكى أن يزرعها بحساب مائة فدان لكل فلاح . ولابد انه عندما ييأس من القطن سيعمد الى الطريقة الدنمركية ويعود كل فلاح صانعا ماهرا يخرج لنا اللحم الذى يصدره الى المدن والزبدة والجبن . وبعيد جدا ان نظن أن صناعة النبيذ ستنتشر فى الريف كما هى منتشرة فى أوربا حيث يصنع كل فلاح نبيذه بمنزله . وذلك لمخالفة هذه الصناعة للاسلام

أما أننا سنيأس من القطن قريبا فهذا مما لاشك فيه . وذلك أولا لعوامل محلية مثل انحطاط المحصول . فان كثيرا من الارض كان ينتج قبل ثلاثين سنة ١١ قنطارا من القطن للفدان وهى لاتنتج الآن أكثر من ٣ أو ٤ قناطير . وعلاج هذا الانحطاط سواء أكان بمكافحة الحشرات ام بتجفيف التربة يحتاج الى مجهود كبير . وثانيا لعوامل عالمية هو أن القطن يتقهقر أمام الريون اى القماش

المطبوخ . فان هذا الريون بلغ محصوله فى العام الماضى نحو ستة ملايين قنطار اى نحو محصول القطن المصرى وهو يطرد فى الزيادة . ثم ان القطن نفسه يزرع الآن بالطريقة الامريكية فى أمريكا الجنوبية والمحصول يزداد عاما بعد آخر

هذه هى العوامل التى تجعلنا نيأس من زراعة القطن ، وظنى انه قبل ٣٠ أو ٤٠ سنة ستزول زراعته من بلادنا ، وأكبر العوامل فى زواله هو الريون الذي تستعد له الامم الجديدة ، فان استراليا مثلا تزرع من الأشجار منذ الآن نحو أربعة ملايين فدان ربما تزاد فيما بعد الى عشرة أو عشرين مليونا من الأفدنة وهى تفعل ذلك اعتقاداً بأن الريون سيستهلك مقدارا كبيرا من الخشب وأنه سوف يقوم مقام القطن والحرير

وقد سبق أن رأينا أن الكيمياء الصناعية الألمانية أخرجت للعالم اصباغا مختلفة أغنتهم عن استيراد صبغة النيل الهندى ، وكان الهنود يزرعون نحو مليون ونصف مليون فدان من نبات هذه الصبغة فكفوا عن زراعته وصاروا يستوردون الأصباغ الكيماوية والألمانية ، وستكون حالنا قريبا كذلك نكف عن زراعة القطن ونستورد الريون الذي يصنع من الخشب فى فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة واليابان الخ

والصناعات الكيماوية ، تتقدم كما يتضح من نجاح المانيا وبريطانيا فى استخراج البترول من الفحم ونجاح روسيا فى صنع الكوتشوك وغير ذلك ، فيجب أن نؤكد زوال القطن من العالم أمام الريون وخاصه لأن هذا القماش الكيماوي يقبل الترقية والتنويع الكثيرين حتى انه يمكن أن نصنع مائة نوع يختلف اثمانها من قرش واحد الى مائة قرش للمتر

واذا زال القطن من بلادنا لا يمكن ريفنا أن يعيش بالقمح والذرة ، واذن لا بد لنا فى المستقبل القريب من الاعتماد على زرع الفواكه والخضراوات مع استخراج الجبن وتربية الدجاج والعجول والخراف للحومها وبدلا من أن يعتمد المزارع على محصول القطن سوف يعتمد على ما يصدره إلي أوربا وسائر العالم من هذه المنتجات ، وربما يعمد بعض الريفيين من الاقباط الى صنع النبيذ ولكن لا يمكن أن ينتظر انتشار هذه الصناعة فى قطر اسلامى

فزراعتنا فى المستقبل القريب هى الزراعة الدنمركية القائمة على العقار الصغير والعناية الكبيرة بالفلاحة التى تنتج الطعام والشراب من لبن وجبن ولحم ، وهناك تجارب تجرى فى بعض المعامل الكيماوية لا حالة الخشب الى طعام ، واذا نجح القائمون بهذه التجارب فانهم يقضون القضاء الأخير على الامم الزراعية ولكن الارجح ان هذا النجاح يحتاج الى اكثر من ٥٠ سنة

مستقبل الزراعة ايضا

لست أظن أننا بعد أن نستزرع الاقاليم الشمالية للدلتا وبعض الاقاليم فى شرقها وغربها وهى الآن بطائح لاتحتاج إلا الى العناية بالصرف ، سنستطيع استزراع شىء من الصحراء وهذا مع العلم بأن الصحراء ليست كلها « صحراوية » فان فيها نبذ تنبت فيها الاشجار . ويمكن مع العناية القليلة ان نستزرع النخل أو غيره فى هذه النبذ

ولكن رقينا الزراعى لن يتوقف على ما سوف نزيده من الارض على ما نملك الان بل هو سيتوقف على الرقى الذى سنحققه فى الفنون الزراعية بحيث تصبح فنونا دقيقة نستغل بها الارض بأقصى ما يمكن فيبيع منها الفلاح المواد المصنوعة بدلا من المواد الخامة. فهو اذا ربى عجلا فلن يفعل ذلك لكى يبيعه حيا بل لكى يذبحه ويرسل لحمه الى المدن يفعل ذلك منفردا او عن طريق الجمعية التعاونية التى يشترك فيها . وهكذا الشأن فى سائر الاشياء . فان كل قرية يجب ان تحوى عددا كبيرا من المصانع التى يقوم بها الافراد أو الجمعيات التعاونية فتصنع الجبن والمربيات وتدبغ الجلود وتبيع المدن البيض واللحم والدجاج المذبوح . وسنضطر بعد قليل من السنوات الى الانتفاع فى قرانا بالكيمياء والصناعة

فان هذه الكيمياء التى سوف تطرد القطن من بلادنا وتمحو زراعته من أنحاء العالم بنسيج الريون سيكون فيها أيضا الدواء للزراعة كما كانت بعض الداء . وعلى كل يجب ألا ننسى أن الريون يحتاج الى مقدار كبير من الشجر . وقد أنشىء فى انجلترا مصنع للعسل أى عسل القصب والبنجر فان هذا العسل الذى يباع بالجرار للفلاحين عندنا هو من أعظم المواد الخامة اذ يمكن أن تستخرج منه مركبات مختلفة للصناعة . ولعل القراء يجهلون أن الالمان يستخرجون الآن من البطاطس والبنجر كئولا يستعملونه وقودا للاتومبيلات وتشترط الحكومة ألا يستعمل البنزين خالصا اذ يجب ان يخلط بالكئول . وذلك لأن البنزين من الواردات الاجنبية أما الكئول فمن مصنوعات المانيا . وهذا أيضا هو ما تفعله إيطاليا التى تقدر أنها ستستغنى عن البنزين بالكئول بعد سنوات قليلة ولن تمضى علينا سنوات طويلة قبل أن نقوم نحن أيضا بمثل هذا العمل فان عيون البترول المصرية لاتكفى البلاد والمستقبل مجهول بشأن العيون الاخرى التى ينتظر أن تبجس . وعندما نتمكن من إيجاد هذا الوقود الباقى يصبح الاتومبيل صديقا للزراعة . ولن تقف الكيمياء الصناعية عند هذا الحد فان حبة الذرة ستؤدى للكيماوى طائفة من المركبات التى لانكاد نحلم بها والمنتظر فى الخمسين من السنين القادمة أن تتخذ الزراعة فى العالم هذه الاطوار الثلاثة التالية :

١ — فى مصر واوربا ستكون زراعة العقار الصغير لاستخراج الطعام والفواكه واللحوم والكئول

٢ — فى أمريكا واستراليا ستكون زراعة العقار الكبير للحبوب

٣ — فى الاقطار الاستوائية حيث الزنوج وأشباههم سترتقى الاحوال فيسود شكل من الزراعة يشبه الزراعة القائمة الآن عندنا فى مصر

ثم ان انتشار الاتومبيل — والطائرة عن قريب — سيؤديان حتما الى نزوح عدد كبير من سكان المدن الى الريف ، فان لندن تتناقص هذه السنين بمتوسط ١٠،٠٠٠ ساكن كل عام . وذلك لان رب الاسرة الذى يملك اتومبيلا يجد أنه خير لصحته وأوفر لماله ان يسكن فى الحقول التى تبعد عن المدينة بنحو ٢٠ أو ٣٠ ميلا اذ أن الهواء هناك أنقى والنفقات أقل مما هى الحال فى لندن وستزداد هذه النزعة قوة باختراع الطائرات الرخيصة وعلى ذلك يمكننا أن نقول ان عصر التكاثف والتضخم فى المدن قد مضى . وأن السكان سينساحون فى الريف معتمدين على الاتومبيلات والطائرات للنقل

وهذه الحال ستعم مصر أيضا . بل أن كثيرين من الموظفين والمحترفين بالقاهرة يسكنون الضواحى البعيدة عنها . وعندما يعم الامن بانسياح آخر فى الثروات ويزول الفقر الذى يؤدى الى الاجرام ، يلغى قانون العزب فيجوز لكل انسان ان يبنى حيث يشاء فى الحقول كما هى الحال الآن فى اوربا . وعندئذ تكثر المنازل فى الريف فيعود اليه رواؤه ورخاؤه . لان الاغنياء أوعددا كبيرا منهم سيبنون منازلهم فيه ، ولا بد أن اذهان المخترعين ستتجه نحو إيجاد آلات صغيرة يمكن استعمالها فى المنزل الريفى بحيث تعده لان يكون منزلا متمدنا ، هذا وسنذكر أنه يمكن استغلال البراز والروث لايجاد غاز يضىء المنزل ويدير الآلات ويولد قوة كهربائية لتسلم الاذاعة الرديوفونيه والتلفزيونيه . ومثل هذه الآلات ستجعل المنزل الريفى محبوبا يجذب اليه سكان المدن

ثم ان ارتقاء الصناعات فى المدن سينقص من قيمة الارض الزراعية لأنه سيجذب الفلاحين الى مصانع المدن فتقل الايدى العاملة ويرتفع أجر العامل فى الريف وستقل تبعا لذلك إيجارات الارض فلن يباع الفدان بمئات الجنيهات إلا اذا كان ممتازا بأشجار الفاكهة الغالية . وهذا حسن . لان غلاء الارض الحاضر انما يعود الى قلة الاجور التى يتقاضاها العامل الزراعى . وقلة الاجور هذه هى السبب الاصلى للفقر المدقع الذى يخيم على الريف

فى التمكين الزراعى ايضا

لست أشك فى أن زراعتنا القادمة ستسير على الطريقه الدنمركية أي العقار الصغير مع الاحتكار ولن تجرى على الطريقة الامريكيه أى العقار الكبير مع الاستغلال الآلى الكبير . وأعود الى التبسط فى هذه النقطة لأن كثيرين يشكون فيها . فان فى مصر مليونى مالك يملكون فدانا أو أقل من فدان . وهناك عدد آخر كبير يملكون أقل من خمسة أفدنة وهؤلاء هم البذرة للزراعة على الاصول الدنمركية

وقد يقال انه يمكن بايجاد الجمعيات التعاونية أن ننتفع بطريقة الزراعة الامريكية بالآلات الكبيرة بحيث يترك كل مالك أرضه ويعود مساهما فى عزبة كبيرة تبلغ مساحتها ٣٠٠٠ او ٥٠٠٠ فدان تزرع باضخم الآلات وتقيم المصانع الزراعية ثم توزع الأرباح كل بمقدار سهمه . ولكن المزارع المصري يتعلق بارضه تعلقا حميما يحول دون نجاح هذه الطريقة فى المستقبل القريب . ثم ان قله الارض التى لن تزيد على سبعة ملايين قبل نصف قرن مع تكاثف السكان سيضطرنا الى « احتكار » الزراعة أى الى استغلالها باقصى مايمكن . فنحن صائرون اذا ساعدنا الحظ الى الصيغة الدنمركية لهذا الاحتكار . واذا ساء الحظ الى الصيغة الهندية والصينية حين يحتاج فلاحنا الى الافيون لكى يخفف ألم الجوع . . .

وفى دنمركا من العبر الزراعية مانستضىء به فى تطورنا الزراعى القادم حينما نستغنى عن القطن لقلة فائدته . فان السكان فى هذا القطر الصغير لايزيدون على ثلاثة ملايين ونصف مليون منهم عدد كبير يعمل فى الصناعة وأرضهم لاتزيد على سبعة ملايين فدان ، ومع ذلك يصدر زارعو هذه الارض الى بريطانيا وحدها كل عام (احصاء ١٩٣١) من

الزبدة بـ ١٥ مليون جنيه

والبيض بـ ٤ ونصف مليون جنيه

ولحم الخنزير بـ ٢٢ مليون جنيه

ونحن قادرون على أن نصل الى مثل هذه الحال . وقد شرعنا فيها الى حد ما . فان « بساتين بركات » فى مديرية الشرقية تصدر موالحها الى اوربا ، وقد زرت بنفسى عزبة المرحوم عزت شكرى بك ورأيت كيف أمكنه أن يستغل من فدان الموالح مائة جنيه فى العام . وفى مديرية الدقهلية بالقرب من ميت غمر قرى اختصت بغرس الكروم ونجحت فيها حتى ان « كفر شكر » استطاع

سكانه وهم لا يزيدون على ثلاثة آلاف أو أربعه آلاف نفس تأسيس مدرسة ثانويه لأولادهم . وهم مع ذلك يبيعون العنب مادة خامة . وقد أسس ابراهيم نور الدين بك مزرعة بالقرب من الزقازيق يربى عليها نحو ٧٠ جاموسة لبيع لبنها وجبنها وزبدها

هذه هى الزراعة « المحتكرة » التى سوف نسير فيها على الرغم منا لأن القطن سيخذلنا ورويدا رويدا ستمتلىء مزارعنا باشجار الفواكه والبقول وسيصبح كل منزل ريفى مصنعا للمربيات والجبن والشهد وتربية الدجاج والارانب ، ويمكن أن نسمى هذه الزراعة بالزراعة الدقيقة والفرق بينها وبين الزراعة الحاضرة كالفرق بين النجار الدقى ونجار السواقى فى الريف

بل انى أشك فى أننا سنزرع القمح والذرة فان الأقطار الجديدة مثل استراليا وكندا وبرازيل وزيلندا الجديدة يمكنها اذا شاءت أن تغمر العالم بالقمح الذي لا يزيد ثمنه على ٥٠ قرشا للاردب وبالذرة التى لا يزيد ثمنها على ٣٠ أو ٤٠ قرشا . وهى قادرة على ذلك لقلة السكان وسعة الارض ، ونحن عاجزون لكثرة السكان وقلة الارض ، وليس من الخطط الاقتصادية السديدة أن نحمى زراعة القمح والذرة عندنا بمكوس جمركية اذا كان يمكننا أن نشتريهما من هذه الأقطار بنصف ثمنهما ونزرع مكانهما فواكه أو خضراوات أو نربى الدجاج ونستخرج الجبن والزبدة والمربيات والمشروبات واللحم والبيض

وإذا كان هذا النظر للتطور الزراعى عندنا صادقا فيجب أن نوجه اليه الجهود لكى نزيل العراقيل من طريقه ونشجع عليه · كأن نمنع مثلا الوارد من الحاصلات أو المنتجات الزراعية التى يمكن الزارع المصرى أن يقوم بها وكذلك نبعث البعثات لدرس الصناعات الزراعية فى هولاندا ودنمركا فان بعثة زراعيه لأحد هذين القطرين أنفع لنا من عشر مفوضيات سياسية ننشئها فى الشرق أو الغرب

وذلك المعلم الذى يمكنه أن يعلم الفلاحين كيف يصنع الجبن الفلمنكى أو الرومى ويعمم هذه الصناعة الشريفة فى ريفنا لا يستحق المكافأة المالية فقط بل هو جدير بان تقبل يديه اعترافا بفضله لأنه ينقل زراعتنا من الطور البدائى الى الطور الفنى ويجعلنا نبيع السلعة المصنوعة بدلا من المادة الخامة

والزراعة مع تقهقرها أمام الصناعة لا تزال تحتفظ بكثير من الحيوية بل الارجح انها ستزداد حيوية لأن الصناعات ارتقت بقوة الآلات . ويبدو أن هذه الآلات قد بلغت حدها الأقصى فلن يكون فيها جديد وكل مايجد سيكون زيادة فى الكم وليس فى الكيف . أما الزراعة فانها ستنتفع من الكيمياء الصناعية هذه الكيمياء التى جعلتنا نلبس الحرير من رب الخشب . وأنا أضرب مثلا واحدا على ماينتظر للريف من هذه الكيمياء ولست أعتقد أننا سلنتفع بهذا المثل فى القريب وان كان لا بد لنا يوما ما من الانتفاع به

فان من المعروف أن براز الانسان وروث الحيوان يحتويان على مواد كيماوية مختلفه بحيث يمكن استخراج غاز منهما يكون وقوداً لادارة الآلات . ومن المرجح أن يؤلف المنزل الريفى فى المستقبل بحيث يصنع له مخزن تنحدر اليه مخلفات الانسان والماشية ثم يهيأ هذا المخزن بآلات لاستخراج وقود غازي يضىء المنزل ويدير المضخة ويخضخض اللبن لاستخراج الزبدة ويؤدى أعمالا أخرى كالطبخ والخبز ومثل هذا المنزل يجعل الاقامة فى الريف محببة الى النفس

وهناك أقطار مثل بريطانيا والمانيا والولايات المتحدة أمكنهن أن يزودن المنازل الريفية بالقوة الكهربائية وذلك لأن الفحم متوافر عندهن ، ولاينتظر هذا عندنا إلا فى بعض القرى القريبة من المدن أو القريبة من الشبكة الكهربائية التى تمتد فى الأقاليم الشمالية من الدلتا أو من مساقط المياه التى ينتظر استغلالها فى خزان اسوان مثلا ولكن الشبكات الكهربائية فى قطر مثل مصر كبيرة التكاليف

سيطرة العلم القادم

السائر فى شوارع القاهرة بالليل يجد اعلانات مضيئة بالالوان المختلفة وهي زاهية إلى حد لازعاج . وهذا الضوء الجديد هو غاز النيون قد سلطت عليه شرارة كهربائية فاضاءته . وفائدته تكاد تكون مقصورة على الاعلانات ولكن لن يطول الزمن قبل أن يستعمل للاضاءة العامة . وقد استعمل بالفعل فى بعض المصابيح

والعالم الذى استغل غاز النيون للاعلانات وللاستصباح هو جورج كلود الفرنسى . وقد أراد هذا العالم ان يدخل مجلس النواب فرشح نفسه للانتخابات وقصد الى دائرته ومعه شحنة أتومبيل كبير من الاجهزة العلمية ثم وقف يخطب فقال :

« أنا لا أعرف شيئا عن السياسة . وعندى أن ما تحتاج اليه فرنسا ليس هم رجال السياسة المشبعين بالروح الحزبي بل هم الكيماويين الطبيعيين والمهندسين والعلماء والخبراء بالآلات التى تطبع حضارتنا بطابعها . انتخبونى وأنا أحاول أن أجعل فرنسا أعظم مما هي بالعلوم والهندسة . وانظروا الى كيف أعرض عليكم هذه الاجهزة العجيبة »

ثم شرع يعرض عليهم عجائب علمية ويشرح لهم قيمتها إذا هي استعملت فى المدن والحياة العامة .

ولكنه سقط فى الانتخابات وتغلب عليه مرشح آخر يجيد الكلام فى ذلاقة عن الوطنية والحرب والمانيا وتاريخ فرنسا الخ

وهذه الحادثة هى رمز للحال السائدة فى الدنيا . فان السياسيين يحولون دون الانتفاع بالعلوم ويمنعون العلماء من تولى الشئون العامة . مع أن الحضارة القائمة بمحاسنها ومساوئها وأزماتها هى ثمرة العلوم الحديثة . ووضع السياسيين فى موضع الزعامة لهذه الحضارة هو بمثابة وضع الاطفال لادارة العدد الضخمة . وهو وضع يؤدى الى الفوضى

أو ليس العالم المتمدن الآن فى فوضى تهدد كيانه ازمة اقتصادية مضحكة فى أصولها مبكية فى نتائجها يجوع الناس فيها من كثرة الخيرات ووفرة الانتاج ! وقد اخترع العلماء الغازات السامة فاخذها السياسيون لكى يستعملوها فى الحرب للدفاع عن الوطنية والاستعمار والفاشية والشيوعية الخ

ولو كان العلماء هم الذين يسيطرون على الحكومات لادركوا لاقل تأمل أن المخترعات فى الكيمياء والطبيعيات قد تقدمت كثيرا وانه يجب أن ترافقها مخترعات فى الاجتماع . وبعد تفكير منظم لايحتاج لالقاء الخطب وذلاقة اللسان كان يمكن تنظيم الاستهلاك على قدر الانتاج . وتعود الدنيا فى خير وكانت عندئذ تخترع للناس وطنية أخرى غير وطنية الحدود فتزول الحروب

ولكن الجماهير التى تنتخب حكامها لاتفضل ذلك الجمهور الباريسى الذى رفض انتخاب جورج كلود وآثر عليه مهذارا فى السياسة والقاء الخطب . ولابد من أن تتربى هذه الجماهير تربية علمية جديدة تجعلها تقدر العلم وممكناته البعيدة فى اصلاح الهيئة الاجتماعية . ولكن الجو العلمى لايزال بعيدا جدا عن الجماهير اذ لايكاد يكون له أثر الا القليل جدا فى الصحف والمدارس وما زال الاهتمام عظيما بهذه المجموعة من القصص والحكايات والمواعظ والخرافات والقصائد التى يطلق عليها اسم الادب وهو شغل البطالين الذين يتعلقون بالنوادر والنكات والقيل والقال ، وهذا الادب هو الذى تعنى به الصحف لا اعتقادا بفائدته لجمهور القراء بل لانه يشبه أخبار الجرائم والتحقيقات فى المحاكم والقيل والقال عن الاوانس والسيدات وهى أخبار قد ثبت لرواتها أنها تجذب أكبر عدد من القراء

ولكن هذه الحال لن تدوم . ورويدا رويدا يعرف الجمهور قيمة العلوم وسوف يطلبها بالحاح من الصحف . وقد أخذنا نشم روائح الجو العلمي فى هذا الشغف باجهزة الراديو . فان فى القاهرة

الان طلبة صغارا لو شاء أحدهم أن يؤلف كتابا عن الراديو لفعل . وهو كتاب قيم مع ذلك والقارىء للمجلات الاوربية وخاصة تلك المجلات الامريكية يرى أن للعلوم قيمة تزداد سنة بعد أخري . بل فى واشنطون نشرة يومية للعلوم . وهذا هو الجو الذى نريد أن يسود بلادنا وظنى أننا بعد سنوات سنرى الفرق بيننا وبين الامم الاوربية كبيرا جدا لأن النهضة العلمية عندهم مع أنها لاتزال مبتدئة ، ضعيفة ليس لها وجود عندنا . ونهضتنا الحاضرة فى مصر أعنى النهضة الثقافية هي نهضة أدبية منحطة قوامها الكلام الفارغ عن النظامين فى الأدب القديم . ومن شأن الأدب أن ينظر للوراء ومن شأن العلم أن ينظر للامام أى للمستقبل

فيجب أن نهيىء بلادنا بالصحف والمدارس لهذا الجو الجديد الذى يلحقنا بالعصر العلمي الحديث . ومن المبالغة فى الطمع أن نطالب صحيفة يومية للعلوم . فان الوسط الحاضر غير مهيأ حتى لصحيفة أسبوعية الا اذا اختصت لأجهزة الراديو أو خصت هذا الموضوع بمعظم صفحاتها

ولكن مما لاشك فيه أننا فى غضون الثلاثين أو الأربعين من السنين القادمة سنرى هذا الجو العلمى قد تسلط علينا وغمر عقولنا وثقافتنا . ولن يكون انشاء جريدة يوميه للعلوم بعيدا عندئذ فان حل المسائل القائمة من فقر ومرض وبغاء وجرائم سيتوقف على العلوم وليس على السياسة . وسيكون موضوع الانتخابات البرلمانية يوما ما تعميم الكهربائية فى المزارع أو تزويد الفيتامينات لكل أسرة أو بناء المنازل بمادة جديدة واعطائها بالمجان للاسر أو التعقيم أو الطيران أو نحو ذلك مما هو من اختصاص العلماء

واذا كان جورج كلود قد خاب فى الانتخابات فانه هو أو غيره ممن يشبهه فى النزعة العلمية سوف ينجح . ولن نتخلف نحن كثيرا فى مصر عن تهيئة أنفسنا لهذه الحال لأننا لانستطيع التخلف اذ لايمكننا أن نرضى بالانتحار . والامة التى تهمل العلوم هذه الايام تنتحر انتحار أكيدا لاغش فيه

مستقبل الصحة

كنت أحادث ذات مرة أحد هواة الخيل الذين يعرفون من خواص العتق فيها مانجهله . وكنا أمام فرس شريف الطلعة رشيق الحركه ، فقال انه ليس بشيء من العتق وانما كل مافيه أنه أكرم بالعلف .

وهذا حق ، فاننا كثيرا مانخطىء الصحة فنحسبها جمالا . ومعظم هـذا الجمال الذى نراه فى الطبقات العالية وهو جمال يكاد يميزها من الطبقات الفقيرة هو صحة اكتسبت بالطعام الحسن مدة الطفولة والشباب . كما أن الدمامة التى نراها فى بعض الفقراء أو الذين نشأوا فى بيئـة فقيرة انما تعزى الى التغذية السيئة مدة الطفولة ، وقلما ينال انسان حقه من الجمال والذكاء والاستقامة فى الاخلاق اذا كان قد أهمل غذاؤه مدة الطفولة . فان هـذا الاهمال يطبع طابعه مدى الحياة ولست أعنى أن كل الجمال أو كل الذكاء يعود الى الغذاء الصحيح الكامل مدة الطفولة . فان للوراثة شأنها ولصحة الغدد الصماء شأنها أيضا . ولـكن قسما كبيراً من صحة الجسم والذهن والاعصاب يعود الى العناية بصحة الطفولة

ومعظم الصحة العامة فى أوربا وأ كاد أقول كلها — تعود الى أسباب اقتصادية . والغذاءالوافر أولها . فان الجوع لاتعرفه أوربا والامراض التى تنشأ من نقص الغذاء عندنا مثل البلاجرة مجهولة جهلا تاما فى أوربا ؛ وكان هذا المرض الى وقت قريب يتفشى قليلا فى الاقاليم الجنوبية من ايطاليا ولـكنه زال عقب النهضة الفاشية التى استزرعت القاحل من الارض وزادت الغلات

ولـكن ليس الطعام الوافر كل شيء فى الصحة العامة . فان الثراء الذى تتمتع به أوربا قد أتاح لها أن تنتفع بجميع المخترعات الحديثة وخاصة الهندسية منها كمد الانابيب للمياه النقية ونقل كساحة المنازل بانابيب أخرى. وهذان العملان هما أعظم مايعم الصحة بين السكان المتمدينين ، فان توافر المياه النقية قد شجع الناس على النظافة ومحا العدوى التى كانت تنتقل لقلة النظـافة وتلوث المياه . وشيوع الصابون الرخيص بالطرق الحديثة التى يستغنى بها عن الزيوت الغالية جعل النظافة عامة بين السكان . ولا تعزى الصحة العامة الى كثرة العقاقير الجديدة أو الطرق العـديدة للعلاجات ، وانما تعزى الى الثراء الذى يمكن الناس من النظافة والحصول على ماء وافر نظيف وغذاء حسن

ولست أنـكر أن لهذا الثراء ضرره فى تفشى بعض الامراض مثـل الديبيطس ولـكن أمراض

الفاقة تزيد مائة ضعف على أمراض الثراء وهى تقتل أطفالنا بالآلاف كل عام ، كما أن تفشى الحميات يعود أيضا فى أكثره ان لم يكن فيه كله الى أسباب اقتصادية والبرهان على ذلك أن بعض هذه الحميات قد محى محواً تاما من الاقطار الاوربية الغنية التى استخدمت فيها أموال الحكومة لمصلحة الأمة كما هو الحال فى نروج وهولندا وانجلترا والمانيا . فان القذر الذى يفشى هذه الحميات فى البيئات الفقيرة عندنا يجهل جهلا تاما فى هذه الأقطار . وليس ذلك لأن سكانها أنظف منا بتربيتهم بل لانهم قادرون على النظافة ونحن عاجزون عنها . إذ أن للنظافة ثمنا لانطيق تأديته ، فاننا نبنى منازلنا الى جوار المناقع والبرك ونترك البعوض ينشر بيننا الملاريا ، ونترك فلاحنا يحفر الارض كالقط لكى يتبرز فتنتشر منه البلهارسيا والانكلستوما . ويعيش فقراؤنا وهم عاجزون عن شراء الصابون الكافى فتغشاهم جيوش القمل التى تنقل اليهم حمى التيفوس ، ولا نوفر الماء النظيف لبعض المنازل فتنتقل الى سكانها حمى الملاريا

ونبخس عمالنا أجورهم فلا يجدون الطعام الكافى فيمرضون بالتدرن ، وتفشى الرمد الذى يؤدى كثيرا الى العمى يعزى الى قلة النظافة أى إلى عجز فقرائنا عن شراء الصابون . وهلم جرا

وخلاصة القول أن صحة الامة سيئة وأطفالنا يموتون وتتفشى بيننا الحميات المختلفة ونصاب بالرمد لاننا فقراء أو لان طبقة كبيرة من السكان لاتتمتع بالثروة التى تتيح لها الطعام والنظافة الكافيين . وهما طعام ونظافة لايخدمان صحتنا فقط بل يخدمان جمالنا ، لأن كثيرا من الجمال هو فى حقيقته صحة . واذا بقينا فى فاقتنا الحاضرة أو اذا بقى سواد الامة فى الفاقة المضنية التى يعانيها فان القبح والمرض سيبقيان بل سيبقى الموت الذى يحصد أطفالنا بالآلاف كل عام

ولكن ظنى أننا فى السنوات الثلاثين أو الاربعين القادمة سنزداد ثروة بدخولنا فى الحركة الصناعية . وهذه الحركة زيادة على ماستوفره من الطعام الكافى والمسكن الصحى بزيادة الثراء العام سوف توجهنا توجيها جديدا . وعندئذ تعود الموضوعات التى تهملها حكومتنا وصحفنا والرأى العام موضوعات حيوية نشتغل بها ونهتم لها أكبر الاهتمام . فلن ننفق أموالنا على الأبهة الكاذبة بانشاء مفوضية جديدة ولكننا نعنى بتوزيع زيت السمك فى المدارس . ولن نباهى بأن رئيس الوزارة عندنا هو وسائر الوزراء ينالون من المرتبات مالا مثيل له فى العالم إلا فى بريطانيا الغنية بل نباهى بأن لفلاحنا مرحاضا فى منزله وأنه حين يتبرز لايفعل كالقط يحفر التراب ثم يهيله على برازه بل ونفاخر ببناء المصحات والمستشفيات

هذا التوجيه الجديد سيكون ثمرة الحركة الصناعية التى تنشر بيننا ثقافة علمية تجعلنا نواجه الحقائق فنحاول حل المشكلات القائمة ونقدر على حلها للثراء الذى ينتظر أن يعمنا فى هذه الحركة وبذلك سنزداد صحة وجمالا

المنزل القادم

تطورت منازلنا فى المدن فى الماضى كثيراً . ولكن تطورها فى السنين الثلاثين أو الاربعين القادمة سيكون اعظم . ثم لابد أن يتجاوز هذا التطور المدن الى القري إذ لا يعقل أن تبقى منازل الفلاحين فى المستقبل كما كانت فى الماضى وكما لا تزال فى الحاضر رمزاً للذلة والهوان والقسوة

والمنزل هو أول ما يتجه اليه المصلح الاجتماعى . ولذلك فان الحكومة لابد قائمة بنصيبها الكبير من البناء فى المستقبل القريب . كما أن المباراة بين الافراد والشركات والتقدم الاقتصادى العام وزيادة مستوى الثراء ، كل هذا سيجعلنا نصل الى التطورات الحديثة التى بلغها البناء فى أوربا وأمريكا

وهم فى أوربا يتحدثون الآن عن بناء الجدار بالزجاج الذى يبطن بالفلين . اي أن المنزل يبنى هيكلا من الحديد ثم يلبس بالزجاج الذى لا تزيد تخانته على سنتيمتر ويبطن بالفلين الذى تبلغ تخانته ثلاثة أو اربعة سنتيمترات . ويقول المهندسون أن هذا الجدار يحتوى على جميع الميزات من حيث الوقاية من الحر والبرد والضوضاء . وان خفته تجعل البناء سهلا . ثم يمكن صاحب المنزل أن ينقله من مكان الى آخر كما ينقل الاثاث

واذا صحت هذه الفكرة فى بناء الجدران — وهى لا تزال فكرة — فانها تخفف عبء البناء تخفيفا عظيما . ولكن شيوع هذا البناء يحتاج الى مدة طويلة حتى تدخل الفكرة فى حيز التنفيذ وربما يؤخر شيوع هذه الطريقة عندنا قلة الحديد

ولكن ليس شك فى اننا سنستخدم الاسمنت كثيرا فى البناء . فانه من المواد المحلية . بل ربما نستخدمه فى فرش الطرق بدلا من الاسفلت الذى نستورده من الخارج . كما اننا قد نقوم بتجارب مجدية فى استخدام الحجرين المتينين البازلت والجرانيت فى فرش الطرق والبناء . وان كانت صعوبة قطعهما لا تزال قائمة ، واذا نجحنا فى الاهتداء الى طريقة لقطعهما أو قطع أحدهما صفائح رقيقة لاستطعنا أن ننقل بلادنا مدنا وقرى من أسوأ حال الى حال المتمدنين المرفهين . بل كنا حينئذ نغبط من الامم الاخري على وفرة الاسمنت والجرانيت والبازلت

وليس من المنتظر أن نعرف « الشواهق » التى عرفت فى الولايات المتحدة وهى الابنية التى يحوى كل منها نحو ٥٠ أو ٦٠ طبقة ، وقد بلغت بعض الابنية فى القاهرة عشر طبقات ولكنى

أظن أنها لن تزيد كثيراً على ذلك ، واذا زادت فسوف تكون ١٥ طبقة فقط ، والبناء الحسن فى مدينة المستقبل القريب هو بناء يحتوى ١٢ أو ١٥ طبقة بكل طبقة نحو ستة مساكن أو ثمانية يحدق به فراغ أو فضاء من الميادين والبساتين . أى أن البناء بدلا من أن يتسع افقيا ويزحم المدينة بالجدران يتسع عموديا ويترك فراغا حوله للاستمتاع بالهواء والخلاء . ومثل هذا البناء تسكنه نحو ٧٠ أو ٨٠ أسرة تزود فى الطبقة الارضية بدكاكين مختلفة تؤدي حاجاتهن

وقد شاعت بنايات جديدة فى الولايات المتحدة أغلب الظن أننا سنرى منها أمثلة قريباً فى بلادنا ألاننا أحوج اليها من سكان الولايات المتحدة . وقد بنيت بالصين أولى هذه البنايات فى العام الماضى وأعظم ميزة لهذه البنايات الجديدة أنها ترفض الاعتماد على الطبيعة هواؤها وشمسها فهى خالية من النوافذ ولها سقف يحتويها ويدخل فيها الهواء بعد تنقيته من الغبار وتحديد درجته فى الرطوبة والبرودة . ويدور الهواء فى جميع الغرف ثم يجر من السقف بمضخات ، ويستعاض عن ضوء الشمس بالمصابيح الكهربائية التى يصنع بعضها لكى تحتوى عناصر الضوء الصادرة عنه على جميع ميزات الضوء الشمسى

ومثل هذا البناء لايدخله غبار ولايحس فيه بحر أو برد . وهو بالطبع يحتوى على نحو ٧٠ أو ٨٠ مسكنا لايسمع الساكن فيه ضوضاء الشارع إذ ليس هناك نافذة تنقلها اليه

ولكن مثل هذا البناء سيبقى طرفة نادرة للأغنياء ولن يعم المدن الا بعد سنين لا تدخل فى حساب التكهن القريب لانه كثير التكاليف ، ولكن التطور القريب سيكون فى تعميم الخدمة الكهربائية للمنازل ، فان رب البيت المصري الذي لا يزيد دخله على ٣٠٠ أو ٤٠٠ جنيه يستخدم الآن خادمين لمنزله . مع أن ربة البيت الأمريكى التى يبلغ دخلها ودخل زوجها الف جنيه لاتستخدم خادما آدميا واحداً . والسبب لذلك انها هناك فى وسعها أن تطبخ طعامها وتغسل ملابسها وتكنس أثاثها وتدفىء مسكنها وتبرده بالوسائل الكهربائية . وهى بوساطة التلفون يمكنها أن تشترى أى شىء وهى قاعدة هانئة بالمنزل . أما هنا فان خدمة المنزل عبء بل اعباء تحتاج للخدم الكثيرين . ويكفى القارىء أن يعرف مقدار تفشى الخدمة الكهربائية إذا علم انه قد بيع فى الولايات المتحدة أكثر من مليون آلة كهربائية لغسل الملابس

وإذن لنا أن نقول أن التطور المنتظر فى البناء سيتناول مادة البناء نفسها كما سيتناول شكل البناء

ففى الاولى سنستخدم مواد كالاسفلت والبازلت والجرانيت بل ربما الزجاج والفلين . وفى الثانى سنتجه نحو البناء الكبير الذى يشمخ مرتفعاً وحوله فضاء كبير يصح أن يكون ميادين للعب أو

حدائق للتنزه . وليس بعيدا أن تبنى بيننا الشواهق المقفلة يعيش فيها المترفون فيتنفسون هواء مبرداً مصفى من الغبار ولا يسمعون ضوضاء ولايصيبهم فيها حر أو برد لان اشعة الشمس يحال بينها وبينهم . ثم فى الوقت نفسه تزداد الوسائل الكهربائية للخدمة المنزلية فتغنينا عن الخدم الآدميين . .

ملابسنا القادمه

حركة العرى التى تطفو من وقت لآخر هي قمة الموجة التى تسير فى أنحاء العالم المتمدن . فان هذا العالم يعكس النظرية عن الملابس ويطلب التخفف منها . وهذا التخفف يقوم على اعتبارات صحية وحيائية يبالغ فيها بعضهم فيصل بها الى حد العرى

فقد كان الوقار والغنى يطلبان من رجال الطبقة العالية ونسائها الاستكثار من الملابس كما يتضح من الرسوم القديمة التى ترى الى الآن فى المتاحف

والقصة المروية عن ابى الطيب المتنبى حين زار بغداد فكان يبدو لزائريه وهو فى نحو عشرة أثواب مترا كمة تدلنا على أن الوقار كان يحسب بثقل الملابس . بل هناك من رجال الدين من كان يعزو الطيش الى اولئك الذين يستغنون عن العمامة

ولكننا فى عصرنا الحاضر قد قلبنا النظرية لاننا نطلب التخفف من الملابس حتى حين نستقبح الدعوة الى العرى . وعندى أنه اذا كانت هذه الدعوة صائرة الى الخيبة فليس ذلك لان العرى ينافى الوقار أو الحياء بل لانه قبيح . ونحن لانطيق أن نرى أجسام الناس بلا زينة تخفف من قبحهم ، والملابس هى الزينة التى تستر كثيرا من القبح والدمامة والنقص والخلل فى أعضاء الجسم . ولن تنهزم حركة العرى للحياء لان الحياء عادة يمكن ان تنقح أو تبدل . والحياء مشتق من الحيا وهو لذلك قريب الاتصال بالعواطف الجنسية التى تحركها الملابس أكثر مما يحركها العرى .

وليس هناك شك فى أن الملابس تتصل بالعواطف الجنسية اتصالا وثيقا كما يتضح من الازياء النسوية التى تبرز بعض الاعضاء وتخفى بعضها وتجعل التأكيد فى ناحية دون سائر النواحي من الجسم . فاذا كان وزن الملابس سيقل فلن يكون ذلك لان الناس سيقصدون الى زيادة الاغراء

الجنسى منها بل الى نقصه

ولكن من الصعب أن نتخيل أنه حتى مع التربية الجدية للمرأة فى السنين الخمسين القادمة سينقص هذا من الاهتمام الجنسى نقصا كبيرا عما هو عليه فى أيامنا . وإذن لابد أن تبقى للملابس قيمتها الجنسية

ولكن اذا كان سيحدث شيء من التطور للملابس فذلك سيعود فى أكثره الي اعتبارات صحية وصناعية وليس الى اعتبارات حيائية او جنسية ، فقد ثبت فى أذهان الجمهور المتمدن أن الصحة تنال من ضوء الشمس كما تنال من الطعام كما أن هناك الاقبال العظيم على الشواطيء حيث يتعرى قسم كبير من الجسم وأيضا هذه النظم الجديدة فى بناء المنازل حيث تنفذ الشمس الى جميع الغرف.وحركة هذه المنازل وبنائها التى تسير على أقصى سرعتها فى انجلترا انما هي قائمة على هذا النظر الجديد لقيمة الضوء الصحية ، وظنى أن ملابس النساء لم تخف لهذه الاعتبارات ولكنها وجدت مايؤيد التخفيف فى النظريات العلمية الجديدة عن قيمة الضوء ، فان الذراعين العاريتين والساق التى تتجرد من الجورب والعنق المكشوفة كل هذه الاعضاء تجد الصحة فى التعرض للضوء ولا تجده فى الاختباء تحت الاقمشة الثقيلة . واذا كان لهذه الاعضاء المكشوفة بعض الاغراء الجنسى فانه سوف يزول بالالفة الطويلة

ولا شك فى أن المرأة تمتاز من الرجل بصحة ملابسها الخفيفة ، ونحن الرجال مازلنا نرهق أنفسنا بملابس ثقيلة ، ولكن هذه الحال لن تطول فان كم القميص قد اختزل الآن الي النصف وليس بعيدا أن يلغى الغاء تاما كما أن الاستغناء عن الجوارب يجد من المبررات الاقتصادية ماسوف يعجله ويعممه بين الرجال كما هو عام الآن بين السيدات والاوانس والصبيان

ولكن المرأة والطفل ينتفعان بالاستغناء عن الجوارب لان ملابسهم لاتتجاوز الركب أما نحن الرجال فان البنطلون يكسو سيقاننا الى الحذاء . وليس للاستغناء عن الجوارب هنا سوى القيمة الاقتصادية .ولذلك فان المرجح أن يتطور البنطلون الطويل الحاضر الى بنطلون صحى يترك الساق عارية تحت الركبة

والاغلب أن حركة الاختزال للملابس سواء للرجال أو النساء لن تقتصر على هذا القدر ولكنها اذا تجاوزته فلن تبالغ فى التجاوز لان كلا من الرجال والنساء محتاج الى الزينة بالملابس ولكن هناك تطورا آخر سيطرأ على الملابس من الناحية الصناعية فان ملابس القطن ستزول

لكي تأخذ مكانها ملابس الريون وكذلك ملابس الصوف التى ستأخذ مكانها أقمشة كيماوية. وقبل أيام ذكرت الصحف أن الايطاليين سيستغنون عن الصوف الخام بغزل جديد يصنعونه من اللبن

وعندى أن هذه الاقمشة لن تغنينا عن القطن والصوف لا لانها ستكون أمتن منهما بل العكس هو الصحيح لان الناس فى المستقبل لن يطلبوا المتانة بل هم سيطلبون سخافة اللباس بحيث يمكن الاستغناء عن غسله وكيه فيشترى أبناؤنا أو احفادنا مثلا القماش بتافه الاثمان ثم يلبسونه بضعة أسابيع حتي اذا بلى نبذوه واشتروا الجديد بدلا منه

ومن هنا أظن أن الناس لن يشتروا الاقمشة لكي يقصدوا الى الخياط ولن يتعبوا أنفسهم فى التفصيل والقياس لان سخافة القماش لاتحتاج الى كل ذلك بل الاغلب أنه ستعم بين الناس شكة خاصة للعمل أو شكة للرجال وأخري للنساء يلبسونها ماداموا يعملون وشكة أخرى للتنزه فاذا كان الليل نزعت ملابس العمل ووضعت فى غاز معقم ثم تلبس فى الصباح بعد أن تكون قد نظفت نظافة علمية أي عقمت

وهذا الذى يطرأ على الملابس من حيث قلتها قطعا ووزنا سوف يطرأ أيضا على مفروشات البيت فان التباهى بوفرة الاثاث سيزول كالتباهي بوفرة الملابس وكذلك ستعم المنسوجات الصناعية الكيماوية أقمشة البيت من الستائر الى المراتب الى الاغطية المختلفة وستصنع من أنسجة لها قوام الكوتشوك أو المشمعات حتى يسهل مسحها وتنظيفها



الفراغ القادم

تبدأ أنواع الترف مقصورة علي الاغنياء ثم لاتزال تتفشى حتى تنزل الى أحط الطبقات وهى فى هذا الانسياح تنقل العامة الى مرتبة الخاصة وتجعل الكماليات ضروريات . فان الحرير مثلا كان من ملابس الملوك ثم انحدر منهم الى الامراء فالاغنياء فالمتوسطين حتى الفقراء صاروا يلبسونه أو يلبسون النوع الخام منه . وكذلك الشأن فى الذهب بدأ بالملوك او بالفراعنة اولا ثم مازال الطلب يزداد له حتى تفشى بين جميع الطبقات وأصبح ضرورة بعد ان كان كمالا . وقل مثل ذلك فى الاتومبيل الذى شرع الاغنياء يقتنونه للتأنق والتنزه ثم صار من ضروريات كل انسان متمدن

والفراغ ترف كان يتمتع به الاغنياء والامراء والملوك ولكنه مثل انواع الترف الاخرى قد أخذ يتسع حتى أصبح الفقير يتمتع به ، والمشاهد انه كلما تقدمت الامة فى الحضارة الصناعية زادت انواع الترف . فان بعض العمال فى الولايات المتحدة يتمتعون فى بيوتهم بالمطبخ الكهربائى ويغسلون ملابسهم ويكنسون غرفهم ويبردون طعامهم بادوات كهربائية ولكل منهم اتومبيله وقد كانت الفراء من ملابس الاغنياء ، ولكن السائر فى شارع من شوارع نيويورك أو واشنطون يجد آلاف السيدات والاوانس وهن متلفعات بالفراء

وهذا هو الشأن فى الفراغ فانه نوع جديد من الترف كان يتمتع به الامراء والاغنياء . أما الآن فقد اتسع هذا الترف حتى وصل طبقات العمال الذين يتمتعون به فى لون آخر هو العطل . فان العاطل الانجليزى رجل يهنأ بفراغه كما يهنأ باربعة وخمسة جنيهات أوستة فى الشهر مكافأة تؤديها له حكومته على هذا الفراغ باسم (اعانة العطل) واذا نحن تأملنا هذا العطل لم نجد مفرا من أن نسميه فراغا . فان الحضارة الصناعيه أمعنت فى التقدم حتى صارت تكفى السكان طعاما ولباسا ومسكنا دون أن تعمل المصانع طول العام ، ويمكننا أن نقول فى تفسير هذه الظاهرة انه يمكن بدلا من ان يفصل فريق من العمال ويعطلوا ويؤجروا على عطلهم الكامل بضعة أشهر او احيانا بضع سنين كما هى الحال الآن فى المانيا وبريطانيا والولايات المتحدة وغيرهن نقول بدلا من ذلك يمكن بنظام جديد ان يعمل جميع العمال نصف الساعات التى يعملونها الآن .فان العامل فى هذه الامم الصناعية يعمل ثمانى ساعات او سبعا فى اليوم ، وعمله هذا يكفى لان يعول عاملا آخر وهو عاطل

لايعمل بتاتا . فلماذا اذن لايقسم العمل بين العامل والعاطل وتنزل ساعات العمل الى أربع فى اليوم وعندئذ يتمتع كلاهما بالفراغ سائر اليوم ؟

هذا هو النظام الجديد الذى ينتظر أن يعم العالم قريبا . ثم هو ليس مع ذلك الكلمة الاخيرة فى النظام لان الرقى الصناعى الذى جعل العطل (قل الفراغ) ممكنا الى حد ما فى أيامنا سيزداد حتى يزداد العطل (اى الفراغ) الى ان يعود ٢٢ ساعة فى اليوم لان الانتاج الكافى لجميع السكان لن يحتاج الى اكثر من ساعتين فى اليوم بل أقل

هذا هو الفراغ القادم الذى سوف نتمتع نحن به أيضا فى العشرين أو الثلاثين من السنين القادمة حين تعمنا الحركة الصناعية ويقوم الحديد والآلات الكهربائية مقام اليد العاملة

ولكن لهذا الفراغ خطره . فاننا نشأنا على أن نتعلم فنون العمل ونعرف قيمة الاجتهاد ونضرب الامثال بنملة سليمان الحكيم ونتعلم فى المدارس كيف نكسب عيشنا ولكننا لم نتعلم فنون العطل أى الفراغ ونحن حين نذكر فراغ الاغنياء نتخيل السهرات والولائم والخمور والقصف والضرب فى الافاق وليالي باريس وقراءة القصص السخيفة والالعاب وسباق الخيل . وهذه هي فنون الفراغ التى نعرفها وهي أسوأ الفنون

وليس هذا غريبا فان الفراغ كان نوعا من الترف لايتمتع به غير الاغنياء فلم تكن حكومة تباليه . أما الآن فقد اتسع حتى وصل طبقات العمال فلا بد من العناية به ودرس فنونه . وسوف تقل هموم العيش ويتجه التعليم نحو اتقان فنون أخرى هى فنون العطل الى جنب فنون العمل . بل يجب أن نأخذ الفنون الاولى التى نملأ بها عطلنا المقام الاول فى التعليم القادم . ولاشك فى أن الراديو والسينما ثم التلفزيون وكذلك المسابقات للرياضيين أو للخيول سوف تملأ كثيرا من فراغنا القادم . ولكن هذه المتع تترك الفارغ أى العاطل فى صيغة المنفعل لا الفاعل . ولا يمكن أن يقال ان فنون الفراغ ستقتصر على أن يقعد الناس متفرجين أو مستمعين اذ لابد أن يتعلموا فنونا يملأون بها فراغهم ويكون كل منهم مع ذلك عاملا فاعلا فيها

ومن هنا سوف تكثر السياحات فالتطواف حول العالم سيكون نزهة عامة يقوم بها الملايين من الناس جملة مرات فى حياتهم . والتصعيد فى الجبال سواء فى هملايا بالهند أم فى سويسرا أو الرحلة الى القطب الشمالى او الجنوبى كل هذا سيكون فى مقدور جميع الناس تقريبا وخاصة اذا عرفنا أن النظم القادمة ستخرج العمال من العمل عند ما يبلغون الخمسين وربما يخرجون عند ما يبلغون الاربعين

اذ ربما تجعل بعض الامم العمل ثماني ساعات فى اليوم مدة عشر سنوات فقط . فى حين تجعلها أمم أخرى أربع ساعات مدة عشرين سنة . وسائر العمر يقضى شطره الاول فى التعلم وشطره الاخير فى التمتع بالفراغ بعد الاربعين

ويجب لهذا السبب أن تنتظر عناية كبيرة بالادب والفنون الجميلة على اختلافها لانها هي قبل غيرها تعد فنونا للفراغ والخيال والابتكار والتسلية النفسية السامية كما يجب أن ننتظر التوسع فى البحث العلمي حتى يمكن كل انسان أن يشغل نفسه بحيث لايسأم الحياة . ولو أننا فوجئنا بفراغ عام فى مدة هذه السنين لحار كل منا كيف يملأه بل هذه الحيرة نراها واضحة فى الموظفين الذين تحيلهم الحكومة على المعاش اذا لم يكن الضعف والشيخوخة قد شغلاهم من السأم بالعناية الدائمة بصحهم . وهذا يدلنا على أن هذه المتعة لم نتهيأ بعد للاستمتاع بها مع أن الحضارة الصناعية توشك أن تحققها لنا جميعا وتخرجها من ميزات الاغنياء الى حقوق الشعب

السجون والجرائم

احسن التفاسير للجريمة هو التفسير الاقتصادى أو هو على الاقل التفسير الذى يبين لنا الاسباب الحقيقية لنحو ٩٠ أو ٩٥ ٪ من الجرائم التى تقع حولنا : فان الضيق الاقتصادى هو السبب لمعظم الجرائم . وقد يقع هذا الضيق للمتوسطين ويبعث فيهم الرغبة فى ارتكاب الجرائم كما نرى فى قتل الآباء للحصول على الميراث والاختلاسات فى الشركات أو المصالح الحكومية او فى جرائم النصب والتزوير . فان كل القائمين بهذه الجرائم تقريباً ليسوا من الفقراء المحرومين ولكنهم فى ضيق اقتصادي تبعثه مساوىء مختلفة فى النظام الاجتماعى كالرغبة فى الترف والزهو وما اليهما

ولكن هل هناك من يشك فى أن طبقة الفقراء أكثر اجراما من طبقة الاغنياء . وان ٩٥ فى المائة على الاقل من المسجونين فى سجوننا قد ارتكبوا جرائمهم للفاقة التى وقعوا فيها . وانهم لولا هذه الفاقة لما أجرموا ؟

ان هذا مما لا شك فيه . وقد دلت الاحصاءات المصرية على انه كلما تفشت بيننا أزمة مالية ازدادت الجرائم فاذا زالت وعاد الرواج والرخاء قلت الجرائم . وحيث يقل التفاوت الاقتصادى فلا فاقة مضنية ولا ثراء بالغ كما هى الحال فى سويسرا ونروج ودنمركا مثلا ، تقل الجرائم قلة كبيرة لا

نكاد نتخيلها فى مصر . بل لقد ثبت أن بريطانيا وهى تزيد فى سكانها بنحو ثلاثة أضعاف على سكاننا لاتبلغ جرائم القتل فيها مقدار ما تبلغه عندنا . والسبب ان الحرج الاقتصادي لا يكاد يعرف هناك لان الانظمة التأمينية التى تعمل بها الحكومة البريطانية قد الغت الفاقة اوكادت

فاذا سلمنا بان الفاقة أو الحرج الاقتصادى يؤدي الى الاجرام وان اليه يعزي كثير جداً من الجرائم فى بلادنا فان مما لا شك فيه انه عندما ندخل فى الحركة الصناعية ويتوافر العيش بكثرة الانتاج وتسود البلاد حركة عامة من الترفية فان الجرائم ستقل قلتها الحاضرة فى الاقطار الاوربية المتمدينة وتستمر فى القلة كلما اطرد الرخاء وازداد

ولكن مهما زاد الرخاء وكثرت المسليات التى تفرج عن النفس المكبوتة سيبقى عدد من الجرائم التى نعزوها إلى الشهوات والنزغات . وهذه لا تزال باقية فى أرقى الامم وان كان عددها أقل مما هو عندنا

ولكن هذه الجرائم أيضاً يعود عدد كبير منها إلى سوء التغذية أو الى سوء التربية فى الصغر . وربما يعود ذلك أيضاً إلى الفقر . فاذا كان كذلك فالسبب هنا لايزال اقتصاديا إلى حد ما

وذلك أن سوء التغذية فى الصغر تنشأ عنه أمراض جسمية كالكساح مثلا . ويرافق اختلال الجسم اختلال آخر فى العواطف والذهن . كالطفل الاكسح يتقوس ساقاه ويبرز بطنه وتعلو وجهه صفرة كريهة ويرافق ذلك كله نقص فى الذكاء . وكذلك المجرم الكبير ما أشبهه أحيانا بالطفل الاكسح مختل الجسم ومختل الذهن مضطرب السحنة زائغ النفس

ولكن أحيانا لايكون النقص فى الغذاء بل فى التربية فتنشأ مع الطفل مركبات نفسية تؤذيه مدى حياته . فالطفل المدلل ينشأ على الانانية فيؤثر نفسه على الهيئة الاجتماعية ولا يبالى أن يضرها مادام هو يبقى سالما . والطفل المضطهد الذى يكرهه أبواه يكره الهيئة الاجتماعية كلها . وفى هذه المركبات وأمثالها يربى الميل نحو الاجرام

فاذا صح لدينا كل ذلك جاز لنا أن نقول ان الجرائم سوف تقل فى السنين القادمة

أولا — لان زيادة الانتاج واستعمال الآلات سيوفر الطعام وصنوف الخير فتزول الفاقه وهى العلة الكبرى للجرائم

وثانيا — سوف تؤدى وفرة الغذاء والعناية بالطفولة الي منع الجرائم التى تثمرها قلة التغذية أو سوئها

وثالثاً — سوف تؤدى المعلومات السيكلوجية التى تزداد عاما بعد عام الى توقى المركبات النفسية السيئة التى تغرس فى الطفولة فتبدو جرائم فى الرجولة

ولكن بعد كل هذا سيبقى مقدار من الجرائم لا يمكن تعليله . اذ هو أشبه بالتطوحات أو

الشذوذات التى يقع فيها الجنين . فكم من طفل مثلا يولد بلا قحف يكسو دماغه ! وكم من طفل يولد وهو مزين بذنب بل هناك من يولدون بلا اعين أو تنقصهم بعض الاعضاء الاخرى . وكما يحدث هذا الشذوذ فى الاعضاء كذلك تحدث شذوذات فى النفس أى مجموعة العقل والغرائز والميول والنزعات . وقد رأينا فى عصرنا كيف أن امما كثيرة عمدت الى التعقيم لمعالجة هذه الحالات . وظنى أن التعقيم سيكثر استعماله فى المستقبل لهذه الحالات

وأما أولئك الذين تدفعهم المركبات النفسية السيئة الى الاجرام فسوف يعالجون بالتحليل النفسى حتى ينقل اليهم نقصهم من ظلام العقل الباطن الى الوجدان الواضح . ثم يمرنون بأعمال مختلفة تبعث فيهم روح التعاون بدل الانانية وحب الهيئة الاجتماعية بدل كراهتها

وخلاصة القول أن الجرائم سوف تقل لأن الفاقة ستقل بالحضارة الصناعية التى نوشك أن ندخل فى غمارها . وإذن ستقل السجون وتضيق بل تعود مستشفيات يعقم فيها أولئك الذين لا ترجى معالجتهم من شذوذهم ويربى فيها أولئك لذين يعلل شذوذهم بمركبات نفسية سيئة

اللغة العالمية

كلنا يشعر بنزعة عامة نحو التنظيم العالمى ومحور هذا التنظيم بالطبع هو عصبة الامم الذى تتجه اليها أنظار الأمم لفض الخلاف القائم بين الحبشة وإيطاليا . ولم تكن الحال كذلك من قبل ومنا من يشك فى نزاهة العصبة ولكنا حين نفعل ذلك نكون بمثابة من يشك فى عدالة أى محكمة أخرى . أما وجود المحكمة فنسلم به إذ هو حقيقة واقعة

والازمة الحاضرة قد أشعرت الجميع بضرورة إيجاد نقد عام للعالم . وقد كان الذهب على الرغم من اختصاص كل أمة بمقدار منه بمثابة النقد العام لأنه كان الوحدة للاثمان فى جميع الأقطار . أما الآن فبعد الخروج عن قاعدته قويت الرغبة فى إيجاد نقد تقبله جميع الامم

ثم هناك من سرعة المواصلات ماجعل الكرة الأرضية أصغر معنويا مما كانت وهذا التقلص فى المسافات سيجعل الحاجة الى التوحيد فى الحكومة والنقد وغيرهما أكبر مما كان فى الماضى وقد جاء السينما والراديو وسيلة جديدة لتقريب الثقافة وأحيانا لنشر اللغة . فهل يبعد أن ينتهي العالم الى لغة واحدة يجعلها للتفاهم بين الأمم مع احتفاظ كل أمة بلغتها الأصلية ؟

لقد فكر كثيرون فى اختراع لغة يرضاها جميع الناس . وظهرت لغة الاسبيرانتو التى توخى فيها مخترعها البساطة مع بعض الميزات التى لا تمتاز بها اللغات الأخرى ولهذه اللغة مجلات وكتب وأحيانا يعقد لها مؤتمرات يحضرها الهواة الذين تحملهم حماستهم وروح البر الذى فى نفوسهم الى الدفاع عنها لأنهم يرون فيها الوسيلة لتعميم السلام . ولكنها على الرغم من عمرها الذى أوشك أن يبلغ نصف قرن لم تتجاوز هذا الحد أى لم تتجاوز الهواة . وقد اخترعت لغات أخرى غيرها تنال اعجاب بعض الهواة المتحمسين أيضا

ولكن الناس لن يتفقوا على لغة يجعلونها لغة العالم بالاختيار . ولن تنال إحدى اللغات الحاضرة أو المخترعة هذه الميزة إلا بالاضطرار فان تعلم اللغة يقتضى مجهودا لايرضاه الناس الا مضطرين ومؤملين المنفعة المباشرة التى تزيد على روح البر والرغبة فى السلام . ولا بد لهذا السبب أن تكون اللغة العالمية القادمة إحدى اللغات الحاضرة

ونظن أن أكبر عامل ينشر اللغة ويضطر الاجانب الى تعلمها هو استعمالها فى التجارة أى قيمتها الاقتصادية . وهذه القيمة الاقتصادية أكبر من ناحية التعميم والنشر من القيمة الثقافية فان لغة الالمان حافلة بالثقافة العالية وبلادها تحوى من الجامعات والكتب مايعد من الطراز الاول . ولكن الثقافة لاتكفى للانتشار اذ لابد للغة من سلطان سياسى وتجارى يهيىء لها السلطان العالمى

وعندنا أن اللغة الانجليزية هى التى سيعم انتشارها فى العالم . وذلك أولا لانها لغة الامبراطورية البريطانيه التى تنبسط عل القارات الخمس . وللامبراطوريه فى كل منها بذرة تنمو فيها هذه اللغة وتتسع بالعلاقات التجارية . وفى أقصى الشرق تجد استراليا وزيلندا الجديدة . وهذان القطران يستطيعان استيعاب نحو مائة مليون انجليزى . ثم هناك افريقيا الجنوبية وسائر المستعمرات الافريقية وهى تستوعب مثل هذا العدد أو أكثر ثم هناك كندا فى شمال القارة الامريكية وهناك مستعمرات أخرى صغيرة متفرقة

والمتأمل لهذه الامبراطورية وللارض التى تحتلها يشعر أنها كالدولة العربية فى القرن الأول للهجرة . فكما أن معظم العالم فى القرنين السابع والثامن للميلاد قد استحال الى قطر عربى كذلك معظم العالم سيستحيل فى هذا القرن الى أقطار انجليزية وخاصة اذا أضفنا الى هذه الامبراطورية الولايات المتحدة التى يبلغ سكانها نحو ١٣٠ مليون

ويسكن الانجليز والامريكيون أقطارا بكرا فى مقدورها أن تستوعب من السكان مايزيد على سكانها الحاضرين (وهم ٢٠٠ مليون) ثلاثة أو أربعة أضعاف ولذلك فنموهم سيطرد مادام الطعام متوافرا . واذا فرضنا أن الامبراطورية البريطانية سينحصر مدها فان الولايات المتحدة ستبقى . ويجب علينا أن نسلم بالنتيجة المنطقية لذلك وهى أن اللغة الانجليزية تستعمر الاسواق أكثر مما تستعمر بريطانيا المستعمرات وستصبح هذه اللغة عن قريب لغة التجارة فى العالم وتجد كل أمة نفسها مضطرة الى تعلمها ان لم يكن من سلطان الانجليز التجارى والسياسى فمن سلطان الامريكيين أو سلطانهما معا

ولا عبرة بأن يقال ان الثقافة الحقة فى اللغة الالمانية أو الفرنسية أو الايطالية فان الثقافة تخضع للسلطان الاقتصادى والباعث الاقتصادى أقوى أثرا من جميع البواعث الاخري لتعلم اللغات ومع ذلك ليست اللغة الانجليزية ناقصة من حيث الثقافة فان مايطبع فيها من الكتب كل يوم (أجل كل يوم) لايقل عن مائتي كتاب . وليس فى انجلترا أو الولايات المتحدة مدينة صغيرة إلا ولها مكتبة عامة . وأينما حل الانجليز فى مستعمرة جديدة تجد حركة ثقافية حتى فى جرائدهم . ويصل الى القاهرة بالطائرة من أفريقيا الجنوبية كل أسبوع جرائد انجليزية يعجب المتصفح لها من قدرتها على الاحاطة باخبار والظهور بمظهر ضخم يدل على رغبة الجمهور فى القراءة

وللغة الانجليزية ميزة السهولة فى التعلم . فانها لغة بلا نحو يكتبها أبناؤها والاجانب عنها كما يتكلمون بها . والنزعة السائدة بين أبنائها الى زيادة السهولة وليس الي تصعيبها كما عرف القراء من حركة الاستاذ أوجدن الذي يقول بالاقتصار على ٨٥٠ كلمة واهمال الباقى . ولكن السهولة والصعوبة فى التعلم لاقيمة لهما الى جنب فائدة اللغة فى التجارة والى أنها لغة الامة أو الامم السائدة سيادة اقتصادية . فلو كانت أصعب اللغات لانتشرت لهذه السيادة . فان الهنود مثلا يتعلمونها لانهم واقعون تحت سلطات الامبراطوريه ولا يفكر واحد منهم فى سهولتها أو صعوبتها

واذن نستطيع أن نتكهن بأن اللغة الانجليزية سوف تكون اللغة العالمية قريبا . وستكون لغة التجارة والثقافة يتعلمها كل فرد من ابناء الامم المستقلة الى جنب لغته الاصلية

المدارس الجديدة

تنتشر فى أنحاء العالم المتمدن « المدارس الجديدة » لانفاذ التعاليم الجديدة التى يقول بها علماء التربية وخاصة أولئك الامريكيين الذين يسترشدون بآراء ديوي وثورنديك وأمثالهما من الاجتماعيين والسيكلوجيين . ونحن فيما يلى نذكر المبادىء التى تعمل بها المدارس الجديدة اعتقادا بأن هذه المبادىء سوف تعم المدارس فى السنين القادمة وهذه المبادىء ننقلها عن احدى المدارس الجديدة فى بلجيكا . وهى تعمل بها وتجد منها أحسن النتائج

١ ـ ان المدرسة الجديدة فى تطور مستمر إذ هى تعتمد على الاكتشافات السيكلوجية الجديدة وتستغلها . كما أنها تراعى التطور المادى والروحى فتعد التلاميذ له

٢ ـ المدارس الجديدة يجب أن تكون مدارس داخلية لكى تستغل الوسط كله فلا تترك بعضه جزافا . وهى لا تفعل ذلك اعتقادا بأن النظام الداخلى للمدارس خير الأنظمة : إذ هى تعترف بأن وسط الأسرة الحسنة هو خير وسط للتربية ولكنها ترى فى الوقت الحاضر أن الأسرة الحسنة ليست متوافرة

٣ ـ المدرسة الجديدة يجب أن تقام فى الريف . وذلك لكى يعيش التلميذ فى وسط يتيح له اللعب والعدو والقفز كما يتيح له غرس الأشجار والأعمال الزراعية العامة التى تساعد على تنمية كفاءاته

ولكن لأجل تربية ملكات التلميذ الفنية والثقافية يجب أن تكون المدرسة قريبة من احدى المدن التى تزار متاحفها ومصانعها من وقت لآخر

٤ ـ يجب أن يعيش تلاميذ المدرسة الجديدة جماعات لا تزيد على ١٠ أو ١٢ تلميذا فى بيت أحد المعلمين وزوجته . . بحيث يعاشر التلميذ الزوجين فيجد الوسط البيتى أي وسط الاسرة . وهو وسط لا يعرف فى المدارس الداخلية الآن لأنها تجمع التلاميذ فيما يشبه الثكنة العسكرية

٥ ـ الاعتماد على التربية المشتركة أى يقعد التلاميذ مع التلميذات فى الدرس ويشتركون فى جميع الاعمال المدرسية . إذ وجد أن لهذا الاشتراك أثرا حسنا فى الاخلاق والنشاط الذهنى

٦ ـ تشترط المدرسة الجديدة على كل تلميذ أن يعمل عملا يدويا كل يوم ساعة على الاقل . وليس الغرض من هذا العمل اليدوى حرفيا أى لكى يحترفه التلميذ بعد تخريجه بل الغرض اخلاقى وذلك لقيمة هذا العمل للفرد وللجماعة

٧ ـ النجارة فى رأس هذه الاعمال اليدوية . لانها تعلم التلميذ الدقة وبراعة اليد وصحة القياس وضبط النفس . ولحرث الارض ولتربية الحيوانات الصغيرة مقام فى تاريخ البشر يجب أن يعرفه التلميذ ويروض نفسه عليه

٨ ـ إلى جانب المواد التى تعلم طبقا للبرنامج الموضوع يجب أن يؤدى التلميذ عملا آخر عفو نفسه ويكون الغرض من هذا العمل تربية الذوق وتحريك النفس إلى الاختراع والاكتشاف

٩ ـ تؤدى الثقافة الرياضية بألعاب جمنازية يقوم بها التلميذ وهو عار أو على الأقل لا يكسو جسمه شيء إلى الخصر . وكذلك يدرب على المباريات الرياضية

١٠ ـ خروج التلاميذ جماعات على الأقدام أو على البسكليتات ومعهم خيامهم يجب أن يعد ضمن التربية الحديثة . وعلى التلاميذ أن يقوموا بأنفسهم بتهيئة الطعام

١١ ـ تتوخى المدرسة الحديثة تثقيف الذهن بتدريب التلميذ على صحة الحكم بدلا من حشو ذهنه المعارف . ويعلم النقد بالطريقة العلمية : الملاحظة ثم تأليف الفروض ثم تحقيقها ثم وضع القاعدة . ويحصر التعليم فى نواة لدرس أحد الموضوعات ثم يهيأ بالكتب لكى يستزيد بحثا ومعرفة

١٢ ـ يقوى التثقيف العام بالتخصص فى مادة ويبدأ هذا التخصص عفوا بأن يساعد التلميذ على التوسع فى المادة التى يحبها ثم ينظم هذا التوسع ويوجد بنية أن يكون فى المستقبل العمل الذى يحترفه التلميذ

١٣ ـ المعارف التى يتعلمها التلميذ هى معارف الحقائق والتجارب ويحصل عليها التلميذ بزيارات المصانع والحقول وبالعمل اليدوي . فاذا لم تتوافر هذه الأشياء فيجب أن يقوم مقامها الدرس فى الكتب

١٤ ـ وبهذه الطرق يتضح أن أساس التربية هو النشاط الشخصى للتلميذ. وهذا النظر يستوجب الاشتراك الحميم بين مواد التثقف والأعمال اليدوية

١٥ ـ وأساس آخر للتربية فى المدارس الجديدة هو الميل العفوي أى التطوعى . ويجب أن تستغل الحوادث التى تحدث بالمدرسة أو بأى مكان آخر للحديث والمناقشة

١٥ ـ يحتوى عمل التلميذ الفردى على درس الحقائق ببحث الاشياء والكتب والصحف وتحضير المحاضرات التى تتفق وكفاءته بين زملائه

١٧ ـ أما عمله الجماعى فيحتوى على تبادل الأعمال الفردية بينه وبين زملائه

١٨ ـ ينحصر القاء الدروس فى ساعات الصباح إلى الظهر . أما بعد الظهر فيجب ألا تزيد العمل فيه على ساعتين للمذاكرة . أما الأطفال دون العاشرة فيعفون من المذاكرة

١٩ - يجب ألا يعلم فى اليوم أكثر من مادة أو مادتين . والرغبة فى التغيير يجب أن تشبع فى النواحى المتعددة لمعالجة المادة الواحدة وليس بمعالجة بضع مواد

٢٠ - يجب الاقلال من المواد الدراسية التى تعلم كل شهر . وأن تستعمل بعض طرق الدرس الجامعية فى المدرسة الابتدائية بحيث تتاح للتلميذ فرصة لأن يعين لنفسه جدول أعماله

٢١ - تعليم الاخلاق يجب ألا يكون بقوة السلطة التى للمعلم بل يجب أن يصدر من التلميذ ويمرن التلميذ على أعمال تطالبه بالاخلاق . كأن تصبح المدرسة حكومة جمهورية على رأسها الناظر ولها جمعية مؤلفة من التلاميذ والمعلمين بل أحيانا يشترك معهم خدم المدرسة . وهؤلاء جميعا يسنون القوانين لتنظيم الاعمال فى المدرسة . وهذه الطريقة من أفعل الطرق لتعليم الاخلاق

٢٢ - إذا وجد ان هذه الطريقة شاقة فانه يمكن أن يستبدل بها وذلك بأن يعين التلاميذ زعماء منهم يتحملون تبعة المحافظة على النظام وسن القوانين

٢٣ - يجب أن يقوم التلاميذ مناوبة بأعمال اجتماعية مختلفة

٢٤ - المكافآت فى المدرسة الجديدة هى زيادة الفرصة للتلميذ بأن يمارس أعماله التى يحبها والتى يقوم بها من تلقاء نفسه

٢٥ - يجب أن تكون العقوبات متصلة بالعمل الذى استدعى العقوبه . بحيث يتمكن التلميذ فى المستقبل من ألا يستهدف للعقوبة

٢٦ - روح المباراة عند التلميذ يجب ألا نقصر على المقابلة بين عمله وعمل اخوانه بل كذلك يجب أن يقابل عمله فى الوقت الحاضر بعمله فى الأوقات الماضية ومقدار ما أحرز من نجاح

٢٧ - وسط التلميذ يجب — كما تقول الين كى — مشبعا بالجمال . وأول شروطه النظام والعمل اليدوي الذى يعمله التلميذ يجب أن يفتح له باب الثقافة الفنية

٢٨ - يجب أن تعطى الموسيقا مكانا فى المدرسة الجديدة . فيؤدى التلاميذ ألحانا جماعات كما يتعلم كل منهم العزف المفرد

هذه هى مبادىء التربية الحديثة فى المدارس الجديدة التى يهنأ بها أبناء الاغنياء فى الامم المتمدنة فى أيامنا . ولا بد أن الاصلاح الاجتماعى سنقلها ويعممها بين جميع المدارس القادمة فى المستقبل القريب

مستقبل الصحافة

ترد الى مصر كل أسبوع مجلة صغيرة تبلغ صفحاتها اثنتى عشرة وتباع بثلاثة قروش غير أجرة البريد . وهذه المجلة هي «سينس نيوزلتر» أي الخطاب العلمي وترد أيضا الى مصر جرائد امريكية كبيرة تزيد صفحات النسخة منها على مائة وهي لو قيست بقطع الاولى لبلغت ٢٠٠ أو ٣٠٠ صفحة ومع ذلك لا يزيد ثمنها على قرشين أو ثلاثة . وهي تباع في مصر بثمن عال لان أجرة البريد عالية اذ هي ثقيلة

فاى الصحيفتين سيتجه اليها التطور الصحفي القادم الضخامة أم النحافة ؟

أننا هنا في مصر نسير نحو الضخامة بل عندنا مجلات تبلغ احداها مائة صفحة ولا يزيد ثمنها على قرش . وعندنا جرائد لو ثنيت صحائفها لاخرجت كتابا تبلغ صفحاته ١٢٠ أو ١٤٠ صفحة من أحسن قطع . ومع ذلك تباع بخمسة مليمات وظنى أننا سنسير نحو التضخم في السنوات العشر او حتى العشرين القادمة وليس بعيدا أن نرى بعد عام أو عامين جريدة تحتوى ٢٤ او ٣٠ صفحة او اكثر من ذلك . ولكن بعد هذه السنين العشر أو العشرين سنعود الى الاقلال من الصحائف فتعود الجريدة ثماني صفحات أو عشر صفحات قصيرة

ولتفسير ذلك نقول أن هذا التضخم الذي رأيناه في الصحف الاوربية والامريكية والذي انتقل الى صحائفنا انما هو نتيجة التزاحم التجارى وتغذية الصحف - جرائد ومجلات - بالاعلانات فلا يمكن الآن صحيفة أن تعيش بلا اعلانات بل هي كما قيل فيها اعلانات قد كتب في ظهرها مقالات وأخبار . ولو قطعت الاعلانات عن الجرائد لنزلت - في مصر - إلى نصف قطعها الحاضر وكانت تنزل في اوربا وامريكا إلى عشر قطعها . وما دامت المزاحمة التجارية في سبيل الاحتداد والاشتداد في مصر فما لاشك فيه أننا سنسير في الصحافة نحو التضخم

ولكن هذا التضخم سيبلغ حده لأسباب مختلفة . منها أن الجمهور سوف يسأم شراء اكداس من ورق الاعلانات بدعوى انها صحائف اخبار وسيطلب الجريدة الصغيرة التي يسهل تناولها ومنها أن الثرثرة ستقل وليس هذا لما يزعم احيانا من الرغبة في السرعة بل لان الجمهور سيزداد فهما وتثقيفا فلا يحب أن يقرأ لغطا وهذيانا وتكرارا بدعوى أن هذه الاشياء كلام

مفهوم أو كلام بليغ ، ومنها أن المزاحمة التجارية نفسها ستقل لان الشركات التجارية بدلا من أن يزاحم بعضها بعضا ستتحد وتملك السوق فلا تحتاج الى اعلانات ومنها أن الحكومة نفسها ستتدخل فى الصحافة كما هو الشأن الآن فى بعض الحكومات الاوربية بحيث تكون لها رقابة أو مايشابه الرقابة على الصحف كما لها الان على الراديوفون . وهى لقاء هذه الرقابة ستعاون الصحف ويكون لها رأى فى ماليتها واخراجها وتعفيها فى الوقت نفسه من الحاجة الى الاعلانات

لهذه الاسباب نعتقد أن الجرائد التى نراها الآن كالبلاغ أو الاهرام فى ١٢ و ١٦ صفحة ستكون بعد عشرين سنة أقل قطعا وصفحات مما هى الان وهي لن تمتاز بقلة الاعلانات فقط بل هي ستحقق من الرقى المطبعى مايجعلها تحفة بالمقابلة الى ماهى عليه الان فانها ستطبع على ورق أبيض بحروف واضحة وصور زاهية الالوان المختلفة وسوف تجد من قرائها العديدين ما يعوضها من الاعلانات

* * *

وقد رأي القراء فى السنوات القريبة الماضية أن الجرائد اليومية أخذت من المجلات بعض خصائصها مثل الصور وأخبار التسلية وبعض الابحاث الجديدة وستزداد الجرائد قوة فى هذه النزعة لان الرقى المطبعى الذى أشرنا اليه سيساعدها على ذلك . وأعظم ماتمتاز به المجلة من الجريدة فى وقتنا الحاضر أن الاولى تطبع على ورق حسن غالى الثمن . ولايمكن الجرائد أن تستعمل هذا الورق لان الاعلانات تضطرها الى التوسع فى الصفحات مع الثمن البخس ، وهذا يقتضى شراء أسوأ الورق وأرخصه

ولكن عند مازول عبء الاعلانات من الصحف ستعود هذه الى استجادة المواد التى تصنع منها ورقا وحبرا وحروفا وصورا الخ . وكذلك ستكون مع صغر جرمها وقطعها تحفا جميلة تقرأ فى لذة واستمتاع

وقد أخذ السيناتوغراف بقسم كبير من التفات الجمهور والاخبار التى يذيعها على المتفرجين هى من الطرافة والحداثة والجمال بحيث لاتبلغها جريدة . وهو بالطبع سائر نحو الرقى فيجب أن يحسب حسابه فى تطور الصحافة القادم وهو حساب ربما يكون له أثر سيء فى البداية والواقع أن له هذا الاثر الان لانه جذب فريقا كبيرا اليه كان يرجى أن يغذو الصحف بما له ويواظب على قراءتها ولكنه لايفعل اكتفاء بالسيناتوغراف . وكذلك الحال فى الراديوفون فان له مثل هذا الاثر السيء الآن

ولكن هذين العاملين الجديدين سيكون لهما أثر حسن أيضا فى بعث الصحف على الابتكار لمقاومة هذه المزاحمة الجديدة . ومن المعروف أنه ليس شىء يقوم مقام القراءة فلن تموت الصحف لان الجمهور سيقنع بسماع الاحاديث المذاعة أو لانه سيرى الاخبار مصورة وموضحة على الشاشة البيضاء حتى ولو كانت هذه الاذاعة مزودة باشباح المذيعين وفى انفراد المنزل الخاص

وعندى أن كل هذا الرقى سيقتصر أثره فى أخبار الصحف على الغاء الثرثرة ثم تجويد الورق والطبع والصور مع الاقلال من الصفحات حتى تصبح الجريدة اليومية أقرب الى المجلة الخفيفة منها الى الحصير الذى لا يسهل طيه

تطور الحكومة

لا يمكن المتأمل لاحوال الامم الا أن يعترف بغلبة العوامل الاقتصادية فى عصرنا الحاضر كما لا يمكنه أن ينكر أن الحكومات تتدخل فى مراقبة الاعمال الحرة أو معاضدتها . وفى أوربا الآن أربع حكومات تصرح بانها قائمة على اسس اقتصادية منها ثلاث حكومات فاشية هن إيطاليا وألمانيا ونمسا وحكومة شيوعية هى روسيا . ومع التناقض فى المبادىء بين الشيوعية والفاشية تعتمد كل من هذه الحكومات على النقابة وتبنى عليها هيكل الحكومة

والحكومات الاخرى التى ليست شيوعية أو فاشية تعطى الاقتصاديات أعظم جهودها . وهى تعين الاعمال الحرة بملايين الجنيهات . فالحكومة البريطانية مثلا تؤدى الملايين من الجنيهات لكى تعين صناعات الفحم والبترول الكيماوي والملاحة والسكر واللبن . وهى كغيرها من الحكومات الاوربية والامريكية تتناول المكوس الجمركية بالزيادة والنقص لكى تعين الصناعات الوطنية . بل لقد رأينا سياسيا من المحافظين المعروفين وهو المستر تشرشهل يدعو الى ايجاد مجلس اقتصادى الى جنب مجلس العموم يختص بدرس الانتاج والاستهلاك

وقد كان هم المفكر الاجتماعى قبل مائة أو خمسين ومائة سنة أن يحقق للافراد حريتهم الشخصية ويكفل لهم الحقوق المدنية والدستورية والمساواة فى هذه الحقوق أمام القضاء . ولكن المفكر الاجتماعى فى أيامنا يحصر همه فى بحث الوسائل التى تكفل للافراد حريتهم الاقتصادية . وذلك لأن

الصناعات قد توسعت دوائرها وخرجت من رقابة أصحابها وعمالها . اذ هم الآن الخاضعون لها وليست هى الخاضعة لهم . ومن هنا هذا العطل الذى تضرب به على العمال من وقت لآخر حتى تضطر الحكومات الى التدخل لاعانتهم . فالحكومة فى الأمة الصناعية تتدخل من ناحيتين الأولى اعانة الصناعات التى لا يمكنها أن تقف على رجليها بمجهودها فقط . والثانية انها تؤمن العمال من العطل الذي يوقعهم فيه نظام هذه الصناعات . وبكلمة موجزة تقول ان نظام الصناعات سيء من ناحيتيه لا يمكنه أن يعيش الا باعانة الحكومة . ومثل هذه الحال سيكون علاجها فى العشرين أو الثلاثين من السنين القادمة اهم وأعظم ماتقوم به الحكومات

ولا يكاد يكون هناك علاج بغير الاتجاه نحو النظام الاشتراكى أي أن تتولى الحكومات رويداً رويداً الادارة لنظامى الانتاج والاستهلاك . فالحكومة القادمة هى اشتراكية أو كالاشتراكية . ولذلك يجب ان نوطن النفس على أن أعمالا كثيرة مما تقوم به الشركات الحرة أو الأفراد سوف تقوم به الحكومات قيام الاحتكار . وفى أول هذه الاعمال التأمين من المرض والعطل والوفاة والاقعاد والاصابة . فان الشركات تقوم ببعض هذه الطوارىء كما تقوم الحكومات ببعض آخر ولكن التفكير الاجتماعى الحديث يتجه نحو حصرها جميعها فى يد الحكومة تتولاها بدون اي مزاحم لانها تطلب التأمين الاجتماعى وتتكفل به . وكذلك صناعة الطب سوف تصبح جميعها حكومية فلا يجوز للطبيب أن يمارس حرفته الا كموظف فى الحكومة . وعندئذ تنتقل مصلحة الطبيب من الاعتماد فى الكسب على تفشى المرض الى الاعتماد على تفشى الصحة . وكذلك بناء المنازل سيصبح مثل شق الطرق من واجبات الحكومة وحدها . وكل هذه الأعمال تقوم الحكومات المتمدينة الآن ببعضها . ولن تمضى سنوات حتى تقوم بها جميعها

أما سائر الصناعات فستدخل رويداً رويداً فى يد الحكومة . وأغلب الظن أن ذلك سيكون عن طريق الاعانة لتنظيم الاستهلاك ثم تنتهى الحكومة بالتدخل وتزداد فيه الى أن تستولى على العمل كله . وسيكون هذا الاستيلاء بيروقراطيا اي يقوم على موظفين تعينهم الدولة كما هو الحال الآن فى السكك الحديدية والتلغراف والبريد والتلفون . ولكن هذا النظام يستحيل بالتدرج إلى نظام نقابى كما هو الحال الآن فى الدول الفاشية أو كما نرى فى نقابة المحاماة فى مصر

وسيتطور معنى الديمقراطية من الحكم على يد الشعب إلى الحكم لمصلحة الشعب على ايدى الفنيين فان الحكومة ستزداد تعقداً وستقل حاجتها للخطابة كما تزداد حاجتها للفنون الاقتصادية والكيماوية

والعلمية . وهنا تدعو الحال أيضاً إلى النظام النقابى فى صناعات كثيرة لكى يوفر لها الكفايات الفنية

وكذلك ستتطور الحكومة من النظام المركزى الذى يرى فى فرنسا ومصر الى النظم الفرعية المستقلة التى ترى فى بريطانيا والولايات المتحدة . وهى بالطبع ستخضع فى كل ذلك للضرورات الاقتصادية التى ستكون لها السيادة بل الكلمة الأخيرة فى تقرير النظم

وهذا هو الذى سوف نراه فى أوربا . أما فى مصر فان التطور الحكومى سيسعى فى أثر التطور الصناعى سرعة وبطئا . فاذا اعيقت الحركة الصناعة أو إذا بطؤ سيرها فان جميع التطورات الحكومية ستعاق أيضاً أو يبطؤ سيرها

أدبنا ولغتنا وهجاؤنا

بدأ الادب العربى الحديث ينهض بالالتفات الى الوراء . وهذا هو ما يجب ان يكون . لان الادباء فى مصر والعراق وسوريا كانوا فى حاجة الى ان يتعرفوا مكانهم من الزمن وما خلفه سلفاؤهم لهم من تراث . ولذلك كثر اقبالنا على الثقافة العربية وزاد بتوالى السنين ادماننا لدرس الاساليب العربية القديمة . وسادنا او ساد بعضنا وهم هو أننا مقصرون عن القدماء فى الادب والاسلوب وأننا مهما وعينا من الفاظ اللغة وتأنقنا فى الاسلوب فلن نبلغ ما بلغه هذا الكاتب أو ذاك ايام الدلة العباسية

وقد انتفعنا بهذا الوهم مدة لانه بعثنا على نبش كل ثمين واخراجه للنور وافشائه بين جمهور القراء . وكان من المعقول أن يكون لهذه الحركة حد نقف عنده او على الاقل كان يجب ان نساير هذه النهضة فى تاريخ الادب العربى بنهضة أخرى فى تعريب الآداب العصرية . ولكن هذا للاسف لم يقع . فاننا مازلنا فى ظل الآداب العربية

وهذه الآداب هى — بعد كل شىء — آداب القرون الوسطى لاتزيد . وهى متلبسة بجميع خصائص هذه القرون اذ كتبت للخاصة من الاغنياء والامراء وحسب هذا الظرف فى تأليفها سواء من حيث الأسلوب أم من حيث المادة. ولذلك هي بعيدة بعدا عظيما عن النفسية العربية المهذبة فى الاقطار الثلاثة التى شرعت فى النهضة . وهذه الاقطار ونعنى الطبقات المتحضرة فيها تجد أن

مايربطها بادباء الغربيين أكبر مما يربطها بادباء الدول العباسية . وهذا هو المنتظر لان النظام الاقتصادى الذى نعيش فيه فى مصر والعراق وسوريا هو نفسه النظام السائد فى أوربا وأمريكا وهو يثمر نظاما اجتماعيا متشابها . وهذا بدوره يثمر نفسية متشابهة تطلب ألوانا من الفنون والافكار والآراء والحريات لم يعرفها قط أدباء الدولة العباسية وما أعقبها أو رافقها من دويلات

ولذلك أعتقد أن السنين القريبة القادمة ستقربنا من الأدب الاوربى والامريكى وأننا سنستلهمه كثيرا فى نهضتنا الادبية . وهذا الادب نفسه سينزلنا الى الشعب الذى أبعدتنا عنه دراسة الادب العربى القديم . لان الادب الاوربى ليس أدب الطبقات العالية بل هو أدب الشعب أى الادب الذى يتحدث عن هموم الام فى منزلها وبين أولادها وعن الاقتصاديات الصغيرة التى يهتم لها الفلاح وعن الحب الذى تحسب ظروفه بحساب أجرة العامل وعن الآمال التى يعقدها العمال بمستقبلهم وعن الطوبيات التى يثمرها التفكير فى المصنع والمزرعة عندما يسودها العلم

وهذا النزول الى الشعب سيجبرنا فى الثلاثين أو الاربعين من السنين القادمة الى أن نأخذ شيئا كثيراً من ألفاظ الشعب وتعابيره . ولن يكون هذا هجرانا للغة القديمة بل تسوية بين القديم والحديث . وكذلك لن يفصلنا اتخاذ بعض الالفاظ العامية عن الاقطار العربية الاخرى لأن ماسنأخذه سيكون قليلا وسيكون له من القيمة ما يجعل جميع الاقطار العربية تشترك فيه . وقد مضى الزمن الذى كان يخشى أن تنفصل فيه الاقطار العربية بانفصال اللهجات لان انتشار الصحف بينها وسرعة التنقل وكذلك اذاعات الراديوفون بل انتشار السينماتوغراف الى ذيوع المؤلفات العربية ، كل هذا سيحول دون الانفصال وسيعمل للتوحيد فى النطق واختيار الكلمات . ويكفى القارىء أن يذكر كيف أن أغانى عبد الوهاب أو ام كلثوم أو نادرة أو غيرهم تنقل بلهجتها المصرية الى بغداد وبيروت وجده وطرابلس عن طريق الراديوفون والسينماتوغراف وتعمل للتوحيد فى النطق بين الاقطار العربية . ولنذكر أن هؤلاء المغنين ينقلون لغتنا العامية دون الفصحى وهي تعم وتتفشى وترقق اللهجات العامية فى دمشق وحلب وبيروت

والى هنا سوف يسير تطورنا فى رفق بلا خصام ولا عناد . ولكنى أظن اننا سوف نصطدم بعقبة الهجاء العربى وأننا سنضطر الى اتخاذ الخط اللاتينى راضين أو كارهين . وربما تكون العراق السابقة الى اتخاذ هذا الخط وهي تتحمل ضغط تركيا من الشمال وايران من الجنوب وكلتاهما قد انتهت الى التفرنج بلا قيد ولا شرط . ونحن واهمون اذا كنا نعتقد أن ايران لاتنوى

اتخاذ الخط اللاتيني لأن القوة الجديدة التي تشعر بهـا ومجاورتها لروسيا وتركيا ستدفعانها الى التفرنج بأقصى حدوده . ولا يطيق العراقيون هذا الضغط وهم سكوت . وارجح الظن أنهم سيسبقون أقطار العالم العربي جميعها الى اتخاذ الخط اللاتيني

وقد قلت أن القوة هي التي ستدفع ايران الي اتخاذ الخط اللاتيني . وهذا عـكس مايفهمه جمهور القراء اذ يعتقدون أن الضعف هو الذي يؤدي الي الانسلاخ من التقـاليد والثورة على التاريخ . ولـكن الواقع أن القوة لا الضعف هي السبب لهذا التطور . وذلك لان التزام التقاليد الذي ينتهي الي الجمود يعود في مرجعه الى الخوف من الدنيا ومن المخاطرة بالمستقبـل . وقد كانت تركيا جامدة في ضعفها أيام عبد الحميد فأصبحت ثائرة في قوتها لاتخشى اتخاذ الخط اللاتيني

ولـكن ما الذي يدعو العالم العربي الى اتخاذ الخط اللاتيني ؟

هو عموم الحضارة العصرية . فان هـذه الحضارة التي ولدت في اوربا (بل في انجلترا) هي حضارة العلم والصناعة . وهي تنمو الآن في انحاء العـالم . وكل أمة تريد ان تتحضر يجب ان تتخذ من الثقافة العلمية أداة لرقيها الاجتماعي . وهذه الثقافة غير ممـكنة في لغتنا كما تـكتب الآن بالهجاء العربي . فاننـا نستطيع ان نعرب لفظة فتوغراف . ولـكن جهلنا بتشريح الـكلمة يضيع علينا معناها . مع أننا حين نقرأها بالهجاء اللاتيني تتضح لنا اجزاؤها فنفهم مدلولهـا . وهكذا الشأن في جميع الالفاظ العلمية التي لايـكفي ان تعرب كما هي في الاصل بل يجب ان تقرأ بحروفها . ثم ان نزعة التفرنج التي سوف نسير فيها بقوة ستجعلنا نتخذ القبعة ولا نعارض في اتخاذ هذا الخط . وجمودنا الحاضر ، عند مالا تطلبه وتدعو اليه جهات رجعية مختلفـة تنتفع به ، انما هو ثمرة الخوف والتردد وهما بالطبع زائلان قريبا . وبزوالهما لن نخشى مجابهة المستقبل كما جابهته ايران وتركيا

الزواج والاسرة

الاسرة فى كل أمة متمدنة أو كالمتمدنة هي الوحدة الاجتماعية الاساسية ولكن يجب أن ندخل فى كنه هذه الحقيقة لكى نعرف أنها أيضا وحدة اقتصادية . فالرجل مع زوجته وأولاده يؤلفون شركة اقتصادية لها دخل وخرج ويجب أن تنجح فى هذه الشركة وإلا تحطم مركزها الاجتماعى. والنظام الاقتصادى فى كل مكان هو الاساس للنظام الاجتماعى . وكل طلاق لهذا السبب هو تحطيم لشركات اقتصادية صغيرة كما هو أيضا تحطيم لشركات اجتماعية

ويجب أن نعى هذا الدرس . وهو أن المكانة الاجتماعية التى تنالها احدى الطبقات فى الامة كطبقة العمال أو النساء أو رجال الدين أو الموظفين المدنيين أو الجنود ، هذه المكانة الاجتماعية تتوقف من ناحية الرقى أو الانحطاط على المكانة الاقتصادية . فاذا كان العامل يكسب مقدارا من المال يكفيه لكى يعيش العيش الحسن فانه يحترم . ومتى احترم استطاع ان ينال حقوقا مدنية واجتماعية لا ينالها لو كان فقيرا معدما . ويجب ألا ننسى أن الانجاس المنبوذين فى الهند انما يستبقى البراهمة نجاستهم بحرمانهم من التكسب ولذلك فان عجزهم الاقتصادى يؤكد لهم الفاقة ، وهذه تجلب عليهم الاحتقار وتحطهم الى أحقر منزلة اجتماعية

وعلى هذا المنطق يمكننا أن نفكر فى مستقبل المرأة والزواج والاسرة سواء فى بلادنا أو فى غيرها . ويمكننا أن نقرر أنه حينما يرقى المركز الاقتصادى للمرأة فان المركز الاجتماعى سيرقى أيضا . وان قواعد الطلاق والزواج ستخضع للاحوال الاقتصادية العامة

والذى يلاحظ أن المرأة الاوربية قد نالت حقوقا مدنية ودستورية وشخصية عقب خروجها الى ميدان العمل الحر وتكسبها . وهى تحقق من المساواة الاجتماعية بالرجل بمقدار ما تحقق من المساواة الاقتصادية به . ومركز المرأة الاجتماعى فى الامم الاسكندناوية وبريطانيا والولايات المتحدة يكاد يستوى ومركز الرجل من احتراف الوظائف الكبيرة أوالصغيرة كالسفارة أو الوزارة او الكهانة أو الوعظ فى الكنائس أو القضاء أو المحاماة أو الطب أو العمل فى مكاتب البريد أوغير ذلك . وهذا كله نتيجة المساواة الاقتصادية . وكذلك لا يكاد يكون هناك أى اختلاف بين حقوق الرجل والمرأة فى دعاوى الطلاق والحضانة والنفقة

* * *

والحضارة الصناعية التى سادت أوربا والولايات المتحدة والتى أخرت الزواج وأجبرت المرأة على التكسب بالعمل الحر دون الارتكان الى الزواج ، هذه الحضارة الصناعية نفسها سوف تعم بلادنا وبمقدار عمومها سيكون لها هذا الأثر عندنا فى تأخير الزواج وفتح أبواب الرزق للمرأة فى العمل الحر . ومتى وصلنا الى هذه الحال أصبح للمرأة المصرية حقوق اقتصادية جديدة بأن تكسبها حقوقا اجتماعية كتلك التى نالتها المرأة الاوربية أو قريبا منها . وعندئذ ليس بعيدا أن نرى فى مصر طلبات نسائية تتعلق بالطلاق والزواج والرغبة فى المساواة بالرجال وغير ذلك مما هو ثمرة الاستقلال الاقتصادى ونستطيع أن نقول ان الاسرة سوف تسير فى اوربا نحو التراخى من حيث الانحلال من القيود الحاضرة للزواج والطلاق . وسوف تسير فى مصر نحو التماسك من حيث زيادة هذه القيود . وليس فى هذا تناقض بل توافق من حيث النظر الى مصلحة المرأة كما تراها هي لا كما نراها نحن الرجال

ونحن حين نقرر هذه التطورات لا نمتدحها كما أننا لا نطعن فيها وانما نستنتجها فقط من سير الحوادث وجبرية العوامل الاقتصادية التى يخضع لها الاجتماع ويسير وراءها تابعا .

ويمكن الراغب فى تحليل الاخلاق ان يجد ماسوف يؤسف كثيراً جداً فى الاخلاق القادمة التى سيثمرها نظام الحضارة الصناعية وحرية المرأة فى التكسب واستقلال شخصيتها واستغنائها عن سند الرجل . وقصة « الفتاة الغلامية » التي الفها فيكتور مرجريت تومىء الينا بأشياء كثيرة تبعث على القلق . فان هذه الفتاة تمثل المرأة التى استغنت عن الرجل وأخذت تحقق شخصيتها فى الحب والعمل كما يفعل الرجل المستقل الذى لا يفكر فى وجوب الزواج كشرط اساسى للاستمتاع والعيش . ويمكن هذا الراغب فى تحليل الاخلاق أن يزداد تشاؤما عند ما يعرف ان الوسائل التى تستعمل لضبط التناسل قد كثرت حتى اعفت المرأة من العواقب الوخيمه التي كانت خبرتها تدل على أنها عرضة لها اذا خالفت العفاف والطهر . وقد ظهرت هذه الاعتبارات جميعها فى احصاء قريب قامت به احدى الجامعات الامريكية بين الطالبات . فقد سئلن — دون ان يطلب منهن تعيين اسمائهن — عن التعارف الجنسى وهل لهن به خبرة فثبت ان ٩٥ فى المائة منهن لم يكترثن للعفاف

اليوجنية وصحة السلالة

لفتت المانيا أنظار العالم الى صحة السلالة باصرارها على نقاوة الدم الآرى واكبارها من شأن السلالة النوردية . وقد بلغت مسامع الجمهور أخبار التعقيم لبعض المجرمين والمرضى فى المانيا ولكن المانيا لم تكن الاولى فى هذه الدعوة أو حتى فى ممارستها فان التعقيم معروف قبل نحو ٢٠ أو ٣٠ سنة فى اسوج وسويسرا والولايات المتحدة . والخوف من افساد السلالة أو الدم الارى يبلغ احيانا حد الجنون عند الامريكيين الذين لا يطيقون تعارفا جنسيا بين زنجى وبيضاء ويعاقبون عليه بالاعدام العرفى الذى لا تنتظر فيه محاكمة قانونية

وليس شك فى أن السلالات البشرية - كالافراد - تختلف من حيث المزاج والذكاء والصحة بل ربما تختلف أيضا من حيث التعمير . وهذا إلى ميزات أخرى فى الجمال مهما اعتقدنا انها عرفية قد انغرست بالتربية فان لها من القيمة فى نفوسنا مايتجاوز حتى قيمة الصفات الاخري الوراثية وقد جعلتنا المانيا ندرك أن للدم البشرى أو للسلالة كرامة تستحق الصيانة من الخلط السيء بالتزاوج الطائش . ونقول « الخلط السيء » لاننا لا نعتقد أن كل خلط كان كذلك بل ربما كان بعضه مفيدا . ولكن عند ماتفترق سلالتان وتتسع الهوة بينهما كما هو الحال بيننا وبين الزنوج تكون نتيجة التزاوج فوضى الاخلاق فى النسل الذى لا يمكنه أن ينشأ على غرار أحد أبويه بل يخرج هجينا بينهما . أما عند مايقل الاختلاف كما يكون مثلا بين أسرتين من سلالة واحدة قد باعد بينهما المناخ فان أغلب الظن أن التزاوج يؤدي الى أحسن النتائج لان الاختلاف هنا يعود كالسم الخفيف الذى ينبه ولا يقتل ويوقظ ولا يخدر

والموضوع مع ذلك لا يزال بكرا وقد نفاجأ فيه بمدهشات . وقد بدأت النهضة العلمية من حيث اعتبارها ثقافة تؤثر فى الامة وتوجه حضارتها بدرس الطبيعيات . هذه الطبيعيات التى هى الاصل للحركة الصناعية القائمة فى العالم المتمدن لانها هى التى بعثت الاختراع للآلات . ثم جاءت بعد ذلك الكيمياء التى نرى بوادرها فى الريون والانيلين والبترول من الفحم والكوتشوك الكيماوى وما الى ذلك . ولم نصل بعد الى نهاية هذه النهضة الكيماوية وربما تكون نهايتها القضاء على مقدار كبير من المزروعات أو المنتجات الزراعية مثل القطن والصوف والسكر

أما النهضة العلميه الثالثة فهى بلا شك نهضة بيولوجية غايتها التحكم فى الخلية الحيوانية وتأصيل الانسان . وهذه النهضة هى التى تبعث على التعقيم وهى التى أوجدت العلم الذى يسمى اليوجنيه

وهذا العلم يدرس علماؤه قواعد الوراثة بغية الاستنتاج الحسن سواء اكان للنبات أم الحيوان أم الانسان وهو الذي أوعز الى العلماء فكرة التعقيم للتخاص من الناقصين سواء أكان هذا النقص ذهنيا أم جسميا وهو لايزال فى البداية يتحسس الطرق للاصلاح ويعتمد على الحقائق الواضحة دون الحقائق التى يشك فى صحتها . وهو لهذا السبب سلبى أى أنه يقنع بمنع التناسل عن الناقصين ليس بين اليوجنيين من يجرؤ على القول بتشجيع الاكفاء على زيادة التناسل بقوة القانون وان كانت هناك مقترحات تجرى مجرى الخواطر والمقترحات فقط . فمن ذلك مثلا مقترحات لبرناردشو عن استنتاج السبرمان أى الانسان الذى يعلو علينا بمقدار ما نعلو نحن عن القردة

ولكن هذه المقترحات لاتتجاوز الخيال الآن فلا ينتظر لها درس صحيح قبل أن تتهيأ الافكار . وربما تكون المانيا واسوج الامتين الاولين فى التفكير فى اليوجنية الايجابية . وقد لايبعد أن تسبقهما روسيا بما نشأ عليه الجيل الجديد هناك من النظر المادى الصرف

ومما لاشك فيه أن تعقد النظم الاجتماعيه والاقتصادية سيحتاج الى مقدار كبير من الذكاء والاخلاق . والامة التى سيكتب لها التفوق هي الامة التى تحوى من الذكاء أكبر مقدار . ولذلك لايسع أى أمة ان تهمل اليوجنية وان تسمح للبله والمجرمين والمنحطين بالتناسل وخاصة ازاء التنبه الذى نراه فى الامم الشمالية

عصبة الامم والحرب

يجرى القتال فى الحبشة منذ أكثر من ثلاثة أشهر . والفريقان المتقاتلان عضوان فى عصبة الامم ومع ذلك عجزت العصبة عن وقفهما أو عن كف الدولة المعتدية . وفى الشرق الاقصى جرى قتال بين اليابانيين والصينيين قبل سنوات فلما أصرت العصبة على وصم اليابان بالاعتداء وخيانة العهد الذى وقعته عند مادخلت عضوا بالعصبة تركتها اليابان واستمرت فى قتالها وهي تتحداها ولا تبالى

وقد يبدو من هذين المثالين أن العصبة هيئة ضعيفة لصيانة السلم . ولكن قليلا من التفكير جدير بأن يبدل هذا الرأى . فان العالم مريض بالاستعمار والحرب وقد مضت عليه آلاف من السنين وهو يعلق المجد بالسيف ويتغنى شعراؤه بالدماء والقتل . وقد ورثنا جميعنا هذه العقلية ومن المكابرة ان نقول أننا لانلتذ هذه الاشعار أولا نفتتن بسيرة الاسكندر او نابليون

ومهمة العصبة هى تغيير هذه العقلية فى العالم كله بحيث يصبح فض المشكلات بالسيف محالا بين دولتين . فاذا فرضنا أن الامم مريضة بالعقلية الحربية فيجب أن نعتبر موقف العصبة الحاضر مما يدعو ال التفاؤل لانها بمثابة الطبيب الذى يقنع من المريض ببعض الشفاء وليس بالشفاء كله .

وقد رسخ فى أذهان الامم أن العصبة تحمي الامم المستضعفة أزاء المطامع الاستعمارية . وبها الآن نحو خمسين دولة منها على الاقل ٤٥ تعد من الدول الصغيرة التى تجد أن مصلحتها بل استقلالها وحياتها تتوقفان على بقاء العصبة حية

والعصبة خمس هيئات هى : ١ — مجلس العصبة ٢ — السكرتيرية ٣ — مكتب العمل ٤ — محكمة الهاى ـ ٥ الجمعية العمومية

وجميع هذه الهيئات فى جنيف . ولكن المحكمة فى هولندا . وقليل من النظر فى هذه الهيئات يدل على أن العصبة لاتختص بصيانة السلم فقط . بل تنظر أيضا فى الصحة العامة والتأمين الاجتماعي والقضاء فى الخلافات الصغيرة أو الكبيرة بين الدول

والعصبه لايمكن أن تختلف فى تطورها القادم عن الهيئات البرلمانية السابقة . فاذا استضأنا بالتاريخ ونظرنا مثلا كيف بدأ البرلمان الانجليزى قبل نحو ٧٠٠ سنة ألفيناه هيئة صغيرة متعثرة

قليلة الحقوق تربح وتخسر وتتقدم وتتأخر ولكنها بتوالي القرون ازدادت قوة حتى أصبحت القوة الوحيدة التى تقوم بسن القوانين وتشرف على الحكومة . وهكذا الشأن فى عصبة الامم فانها ستلقى حظوظا مختلفة فى السنين القادمه . ولكن المرجح الذي يكاد يكون مؤكدا أنها جاءت لتعيش وتبقى . وأن الحاجة العامه لها بين خمسين دولة صغيرة تخشى الاعتداء ستكفل لها البقاء وازدياد القوة . ومن البلاهة التعامي عن هذه الحقيقة

نحن نسمع منذ الآن من النواحي السياسية الرسمية أو شبه الرسمية مقترحات لتقوية العصبة تدل على أنه ينظر اليها منذ الآن كأنها الحكومة العالميه التى يجب أن تشرف على جميع الحكومات كذلك المقترح الذى يقول بتسليم جميع القوات الجوية لها

ثم أن الظروف الاقتصادية الجديدة واختصار المسافات وتقارب الامم وسهولة التنقل ، كل هذه الاشياء ستجعل الحاجة الى عصبة الامم كبيرة جداً والاستمساك بها عظيما لان العالم يصغر كما يزداد فيه الاحتكاك والتبادل ولذلك سترداد المشكلات التى تحتاج الى الحلول السلميه المتوالية . وبدون العصبة لايمكن الدول مع هذه الظروف الجديدة أن تعيش فى سلم

ولا بد أننا سنجد عن قريب مقترحات تتعلق بالنقد وتوحيده بين جميع الامم بعد الفوضى التى عانتها كل أمة فى السنوات الخمس الماضيه . ثم هذا الاصلاح نفسه يقتضى انشاء بنك عالمى . وربما يكون أساسه بنك التسويات الحاضر . وقد رأينا كيف أن الاعتداء على ملك يوغوسلافيا فى مرسيليا قد دعا الى التفكير فى سن قانون عام تقبله جميع الدول لمنع المؤامرات . ومثل هذه القوانين ستكثر وتكون العصبة المقترحه لها . وسيكون فى أولها قوانين تحمى المرأة والعامل والطفل والنقد وحيوان البحر واليابسه . وليس بعيدا أن تنتقل إدارة البريد والنقل البحرى والجوى من أيدى الأمم الى يد العصبة فى السنوات القريبه . إذ هى مولود لابد أن يأخذ فى النمو وضعفه الحاضر فى الازمة الايطالية الحبشية هو طارىء لابد أن يزول

التثقيف القادم

يتفشى الاصلاح فى المدارس الابتدائية الجديدة . وإذا نحن تأملنا كنه هذا الاصلاح رأيناه يتلخص فى شيئين

الأول . أن هذه المدارس تجعل الصبي يتعلم بان يعيش . فهو لايلقن الدرس من المعلم ويمتحن فيه ولكنه يعمل ويرشده معلمه فى عمله فيلتذه ويقبل عليه ويمتص المعارف التى تتصل به رويدا رويدا

والثانى . انها نقلت طريقة الجامعات العليا . فالتلميذ الصغير لايحفظ المادة ولايجعل المعلم هذا الحفظ غرضه من التعليم وإنما هو يعلمه الطريقة التى يمكنه أن يعلم بها نفسه . شأنه فى ذلك شان الطالب فى الجامعة . والفرق بينهما هو فرق الدرجة فقط . فان التلميذ يطلب منه أن يبحث بنفسه على صغر سنه عن المصادر التى تزيد معارفه فى المادة التى يدرسها . وقد ألفت كتب كثيرة صغيرة لاسعافه بحاجته هذه

وعلى هذا الأساس اخترعت طريقة « المشروع » للمدارس الابتدائية . وألف دبوى كتبه الرائعة فى فلسفة التعليم . وقد أصبح الاجتراء على نقد التعليم كبيراً جدا . فان بين المعلمين من يتساءل . ما الفائدة من درس الجبر ؟ وهل الامتحان يؤدى إلى الغاية المقصودة منه وهى ابراز الكفاءة ؟

ولاتزال المدارس الثانوية تحمل أوزار التعليم التى ورثتها عن القرون الوسطى أى المواد الكثيرة التى تعد من الثقافة المجردة التى لاتتصل بالحضارة القائمة . ونرى هذه الثقافة المجردة على أفدحها فى المدارس اللاتينية (فرنسا وإيطاليا وأسبانيا) وعلى أقلها فى المدارس الانجليزية والامريكية حيث يكتفى بمواد قليلة يلتفت فيها إلى الاتقان مع العناية بثقافة الجسم وتربية الأخلاق . ولسوء الحظ وقعنا نحن فى مصر فى النظام اللاتينى الذى يعزي اليه فساد التعليم عندنا

وغاية التعليم هى بالطبع التثقيف وتربية الذهن والجسم والأعصاب . ولايمكن الانسان أن يعلى من شأن الثقافة الذهنية ويحط من شأن الثقافة الجسمية . فان كفاءة المرء بل سعادته تتوقف على الانتين . وتربية الاعصاب لاتعنى شيئا آخر سوى ترقية الاخلاق فاننا حين نتحدث عن الشجاعه أو الامانة أو الولاء أو القناعة أو النظافة والجلد انما نتحدث عن حالات خاصة للاعصاب نستنير فيها بتجارب بافلوف الروسى وفرويد النمسوى اكثر مما نستفيد بمئات الكتب القديمة عن فلسفة الاخلاق والمواعظ والحكم . وربما يكون النظام الداخلى فى المدارس الابتدائية والثانوية هو النظام الذى سوف يسود لأنه يتيح للمشرفين عليه أن يتسلطوا على أعصاب الصبيان لتربية خلاقهم بضبط حركاتهم ونشاطهم حتى يحدثوا فيها الاستجابات الاخلاقية المطلوبة

ثم إن الاصلاح الذى يتفشى فى المدارس الابتدائية (الاوربية والامريكية) سوف ينتقل إلى المدرس الثانوية . فيكون أساس التعلم الطريقة وليس المادة حتى يزود التلميذ بما يجعله طالباً مدى حياته يلتذ البحث والدرس بل الاكتشاف والاختراع وإذا شاعت هذه الطرق الجديدة فى المدارس أمكن الجامعات أن تتوفر على البحث العلمى لان الطالب الذي يدخلها يكون قد اعتاد عادات حسنة فى الدرس تهيئة لهذا البحث . وعندئذ تكثر المواد التى تتناولها الجامعات وتقل فيها المحاضرات لان التجارب تأخذ مكانها

ومما لاشك فيه أن الجامعات فى حالها الراهنة منفصلة فى ثقافتها إلى حد ما من الحضارة المحيطة بها . وسوف يتجه الاصلاح فيها فى السنين القادمة نحو زيادة الاتصال بين الثقافة والحضارة حتى يتم التفاعل بينهما . وقد رأينا فى السنوات الاخيرة هذا الاتجاه إذ أنشئت كليات جامعية يدرس فيها الطالب صناعات اللبن فى (انجلترا) أو إدارة الفنادق (بسويسرا) وهذا تقدم عظيم إذا عرفنا أن جامعة اكسفورد بقيت سنوات طويلة تعارض فى إنشاء كلية للطب أو الهندسة لان هذين العملين يتصلان بالعيش وهذا الاتصال يعيب الثقافة المجردة التى ورثتها عن القرون الوسطى

وسوف تنشأ الكليات ـ لهذا السبب ـ بالقرب من المناجم وفى جوف المصانع بحيث يكون الطالب عاملا فى الوقت نفسه ينتج المواد المطلوبة للاستهلاك كما يجرب التجارب العلمية للاختراع والاكتشاف

ولكن المدارس والجامعات لن تكون الوسيلة الوحيدة للتثقيف . فان الافلام لن تبقى طويلا فى أيدى الشركات لكى تملأها بالسخف الذي تنتظر منه الربح المالى إذ لابد أن تستولى عليها الحكومات وتوجهها نحو التربية والتثقيف . بل لابد أن الحكومات ستفعل ذلك أيضا بالصحافة والراديوفون والتلفزيون

بماذا يمتاز قارىء

المجلة الجديدة

١ — بانه لا يقرأ المجلة الجديدة الشهرية أو الاسبوعية للتسلية فقط بل للدرس والتثقيف فمستواه الذهنى لهذا السبب أعلى من مستوى قراء الصحف التى لا تعنى الا باللهو والتسليه

٢ — وهو يعرف مثلا عن صحة نظرية التطور عشرات الادلة . وهذه النظرية تفتح له أبواب التفكير المثمر

٣ — وهو ينظر النظرة البيولوجية لتقدم الامة ويعرف دلالة التعقيم واليوجنيه

٤ — ويمكنه أن يفسر التاريخ ـ الحاضر والماضى ـ تفسيراً اقتصاديا ، وليس التاريخ عنده حوادث بل نتائج لأنظمة اقتصادية

٥ — وقارىء المجلة الجديدة يعرف أن الاجتماع هو نتيجة النظام الاقتصادى وأن السيكلوجية ثمرة الاجتماع

٦ — وليس فى مصر بين قراء المجلات جمهور يعرف طرق العقل الباطن وأسرار النفس الانسانية كما يعرفها جمهور قراء المجلة الجديدة

٧ — وقارىء المجلة الجديدة لا يطلب حرية الفكر بالمنطق بل هو يمارسها بحكم العادة والمواظبة

٨ — وهو أيضاً لا يفهم تاريخ الفراعنة على أنه تاريخ فقط بل وطنية وقداسة ودعاية

٩ — وكذلك لا يفهم الوطنية على انها فكرة بل عمل لانه لقن نحو مائة درس على أن المصرى للمصرى

١٠ — وهو يدرك كنه الحضارة القائمة ويعرف أنها حضارة الالات تغذوها ثقافة العلم

١١ — وهو لهذا السبب يتوجه ببلاده نحو الحضارة الصناعية

١٢ — ويدرك قارىء المجلة الجديدة كنه الأزمة الحاضرة لانه قرأ تشخيصها ودرس ما يقترح لها من الحلول

١٣ — وهو يعرف أساس النهضة الاوربية والفرق الاساسى بين الغرب والشرق

١٤ — كما انه يعرف الحركة البشرية ومدلول هذه الكلمة الخطيرة

١٥ — كما انه درس الاصلاح الاجتماعى وعرف حرمان بلادنا منه

اشترك فى المجلة الجديدة الشهرية والاسبوعية لكى تجدد ذهنك

المجلة الجديدة

مارس ١٩٣٦ — الثمن ٣ قروش

اقرأ فى هذا العدد

مطبعة المجلة الجديدة

مارس سنة ١٩٣٦

١ — الاشتراك فى المجلة الجديدة الشهرية في مصر والسودان لمدة عام هو ٤٠ قرشا و ٢٠ قرشا لستة أشهر وفي الخارج ٥٥ قرشا فى العام

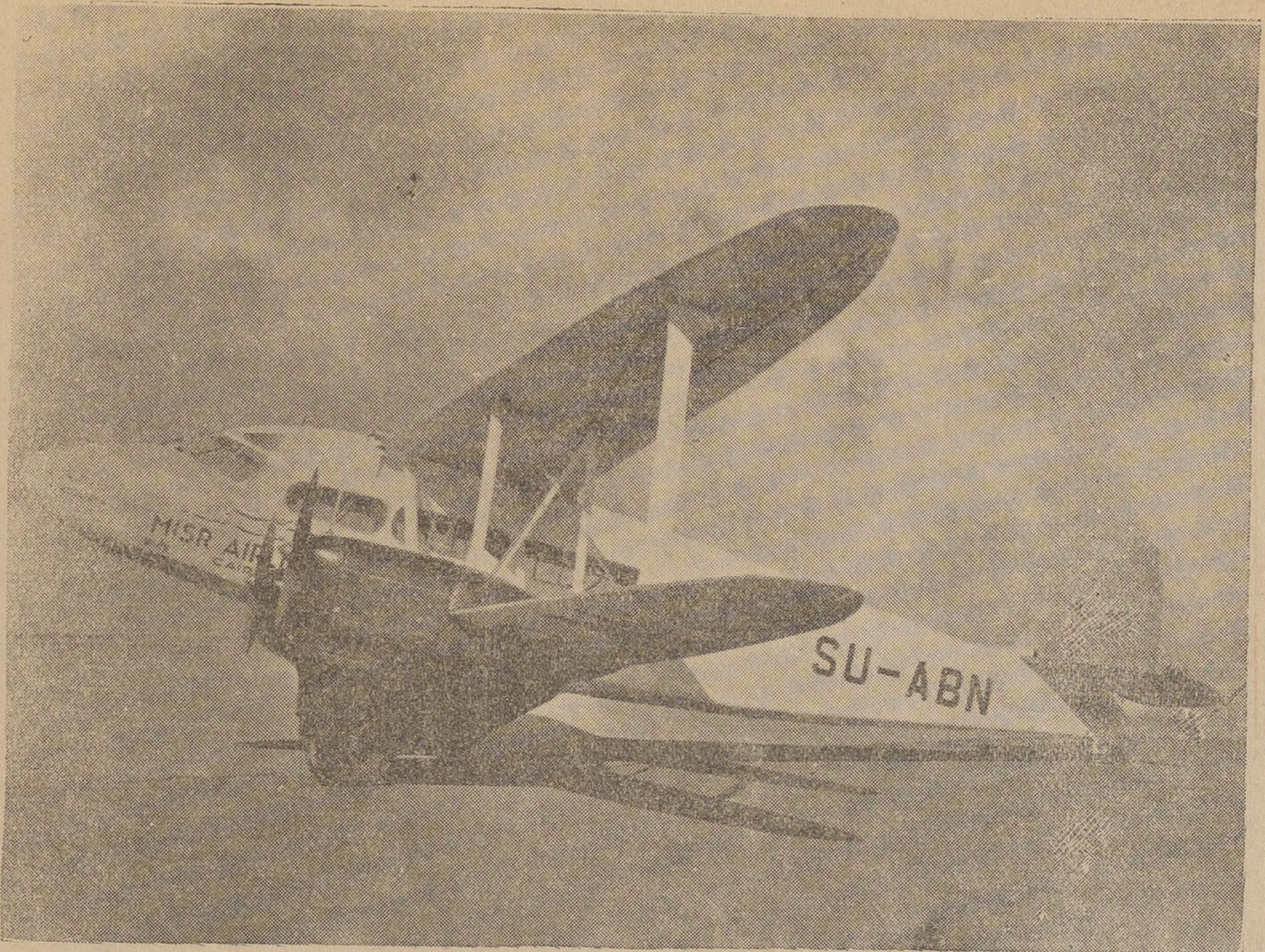
٢ — الاشتراك فى المجلة الجديدة الاسبوعية فى مصر والسودان هو ٢٥ قرشا فى العام و ١٣ قرشا لستة اشهر وفى الخارج ٥٠ قرشا فى العام و٢٥ قرشا لستة اشهر

٣ ــ الاشتراك فى المجلة الجديدة (الشهرية والاسبوعية) فى مصر والسودان هو ٦٠ قرشا فى العام و٣٠ قرشا لستة اشهر .وفى الخارج مائة قرش فى العام و ٥٠ قرشا لستة اشهر .

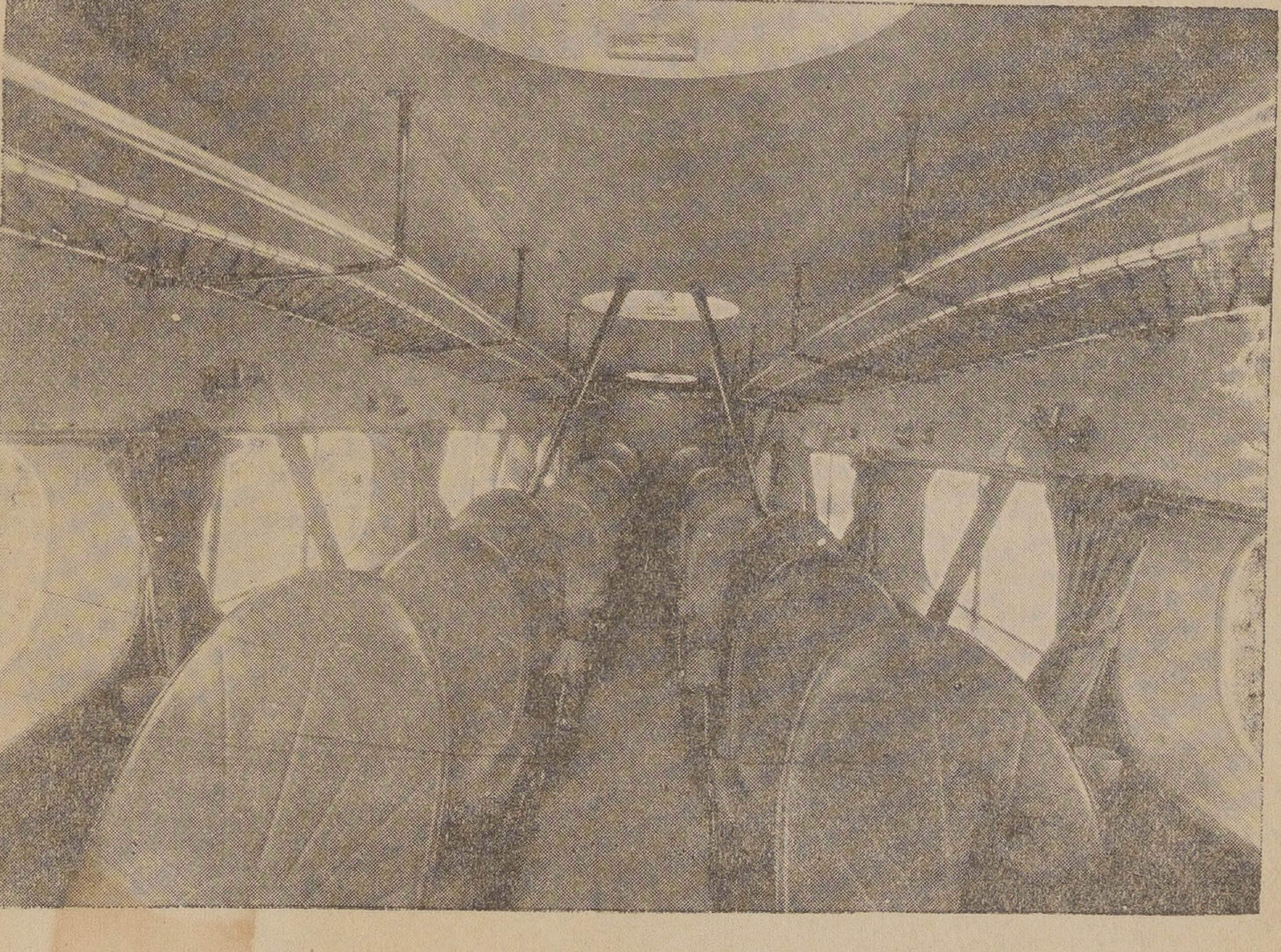
تصدر المجلة الجديدة ١٢ عددا سنويا

وتهدي الي قرائها كتابين كبيرين

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين بمصر)



طائرة من طائرات شركة مصر للطيران تسع ١٤ مسافرا وبها أربعة موطرات ومجهزة باللاسلكى



المقاعد الفاخرة داخل الطائرة حيث يقعد المسافرون

صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السادس

المجلة الجديدة

العدد الثالث
من
السنة الخامسة

مارس سنة ١٩٣٦

سير الحوادث

فى رئيس الوزارة صاحب الدولة على ماهر باشا ذكاء كثيرا ما يبعثه على الجراءة الموفقة . وهذا الذكاء هو الذى بعثه أيام كان وزيراً للمعارف على أن ينقح التعليم الثانوى تنقيحا كاد يشبه الانقلاب إذ أدخل مواد جديدة منيرة مثل نظرية التطور لو أنها بقيت الى الآن بالمدارس لأخرجت لنا جيلا جديدا من الشباب. ولكن يجب أن نقول مع الاسف أن بعض الوزراء الذين تولوا بعد هذه الوزارة جعلوا هذا الاصلاح دون ماكان يقصد منه مبتكره : ولذلك لم تعد له القيمة الاولى

وهذا الذكاء نفسه هو الذى وفقه فى الشهر الماضى الى حل معضلة من تلك المعضلات التى لاتحدث الا فى مصر حيث الميدان ينفسح لتنازع سلطات وأهواء لاوجود لها ولا معنى لها فى قطر آخر . فقد تعقدت العلاقات بشأن المفاوضة بيننا وبين بريطانيا تعقدا كدنا نعتقد أنه يحتاج الى معجزة للحل . ولكن على ماهر باشا استطاع أن يوفق بين نحو عشرة أهواء متضاربة وأن يصل بينها الى « القاسم المشترك الاعظم » وأن يؤلف بذلك وفدا رسميا للمفاوضة من جميع الاحزاب. ولم يحدث قط فى تاريخ علاقتنا ببريطانيا أن توالت ظروف تجعل كلا الفريقين يطلب الاتفاق برغبة اكيدة واخلاص صادق . فمن الجهة الواحدة قد أكد لنا موسولينى ضرورة المحالفة الحربية مع دولة قوية مثل بريطانيا لكى نأمن على أنفسنا من أن نندمج يوما ما فى « الدولة الرومانية » التى يتخيلها ويعد العدة لكي يحققها ولكي لاتصبح الاسكندرية «ميناء ايطالية» كما يقول الفاشيون. ومن الجهة الثانية قد ثبت للانجليز أن السودان يحتاج للمصريين وأن اخراجهم منه سنة ١٩٢٤ كان غلطة كبيرة يمكن تصحيحها الآن

ووفد المفاوضة الذى يرأسه صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا ويضم بين أعضائه اكثرية من الوفد المصرى قد حاز رضاء الجمهور . وهذا الرضاء يكسبه قوة وحرية معا . وخلف الوفد وزارة لايجد عضو من أعضائها غير الاحترام والثقة من أفراد الشعب . وهذه جميعها ظروف تجعلنا نتفاءل بان المفاوضة ستنتهى الى عقد معاهدة قريبة . بل نظن أنه يجوز لنا أن نقول انه اذا كانت هذه الظروف المحيطة بنا الآن وماحل بالبلاد فى السنوات الاربع أو الخمس السابقة للوزارة ، لاتكفى لأن نقدر قيمة المعاهدة وتنتهى بالاتفاق المنشود ، فان المستقبل لن يتيح لنا فرصة أخرى تفضل الفرصة الحاضرة كما أننا نقيم الدليل لانفسنا وللعالم على أننا لم نتعلم من اختباراتنا السابقة

وقبل أسبوعين القى اسماعيل صدقى باشا خطبة فى نادى حزب الشعب قال فيها انه يدعو الي دستور سنة ١٩٣٠ لأنه خير للبلاد من دستور سنة ١٩٢٣ . فاذا كانت لنا عقول فلنعقل ولنتفق ولننته من المعاهدة

قضية الدين

كان حكم المحكمة المختلطة فى الشهر الماضى باعثا للسرور العام . فقد قضت هذه المحكمة ـ بهيئة الاستئناف ـ بانها غير مختصة بالنظر فى القضية التى رفعها صندوق الدين على الحكومة يطلب منها أن تؤدى الاقساط المطلوبة منها عن الدين العام بالذهب بدلا من الورق

وجاء هذا الحكم مطابقا للعدل . فان حكومة فرنسا انزلت الفرنك الى ربع قيمته وسددت ديونها فلم تعترض عليها دولة أو فرد دائن . وفعلت فعلها دول أخرى

والجنيه المصري لم ينزل الا الي ٦٠ فى المائة من أصله . وكان يمكن الدائنين الذين يعرفون جبرية الازمة الاقتصادية العالمية أن يدركوا عدالة مركزنا ويمتنعوا عن رفع هذه الدعوي . ولكن هؤلاء الدائنين يحتفظون بتقاليدهم التى ورثوها عن أسلافهم هؤلاء الاسلاف العظام الذين جعلونا نقترض منهم القرش فنرده جنيها كاملا . . .

والمتأمل للدول المدينة فى اوربا وعجزها عن أداء ديونها بل احيانا امتناعها عن الاداء مع القدرة عليه ، لايسعه الا التساؤل : لماذا لاتشرع حكومتنا فى مفاوضات تؤدى الى خفض هذا الدين . فان عرض تاريخه ـ كما هو مدون فى كتاب خراب مصر ـ يكفى لان يبعث الاستنكار عند كل اوربى أو أمريكى منزه عن الغرض . ونحن بعد المعاهدة سنجد أمامنا مشكلات اجتماعية

واقتصادية كثيرة تحتاج الى الانفاق . والامة فقيرة لاتتحمل زيادة التكاليف بفرض ضرائب جديدة . فلو خففت عنها اعباء الدين العام بعض الشيء لكان فى هذا التخفيف مايقويها على الاصلاح

الريف المصرى

خبران عن الريف المصرى أحدهما حسن والآخر سيء

فأما الحسن فهو تعيين وكيل جديد فى وزارة الداخلية لكى يختص بدرس الشئون القروية التى تؤدى الى الترقية الاجتماعية للقرية . وسيكون له مجلس استشاري مؤلف من الخبراء الذين يعرفون حال الفلاح الحاضرة ويرغبون فى رفع مستواه الصحي والاجتماعي . وهذا خبر نزفه مع السرور الى القراء . فان عناية الحكومة كانت الى الآن تتجه نحو ترقية الارض دون ترقية الفلاح وقد أنفقت الملايين من الجنيهات على زيادة الخصوبة وزيادة الماء للارض ولم ينفق شيء على مساكن الفلاحين . ولذلك نعد انشاء هذه الوكالة الجديدة فألا حسنا للمستقبل

أما الخبر السيء الثانى فهو عجز المزارعين عن سداد الاقساط المطلوبة منهم للبنك العقارى . وهذا العجز يزداد خطورة لانه جاء بعد التسوية الاخيرة الحسنة . وجميع الامارات تدل على أن هذه المسألة تحتاج الى درس جديد . وربما تكون احالة جميع الديون العقارية الزراعية على الحكومة خير حل يمكن الاهتداء اليه فى النهاية

المعرض الزراعى الصناعى

كان المعرض الزراعي هذا العام برهانا على تطور البلاد الاقتصادى . فان الزراعة تقهقرت بعض الشيء فى حين برزت الصناعة وتقدمت . وقبل نحو ثلاثين عاما لم يكن فى البلاد سوى الصناعات اليدوية ولم يكن يعرض منها فى المعرض سوى القليل التافه الذى يقصد منه الى ترويح المتفرجين . أما هذا العام فان المعروضات الصناعية تدل على صناعات آلية راسخة . وشركات بنك مصر هى المحور لهذا التطور الذى نرجو أن يرقى ببلادنا رقيا اجتماعيا كما هو اقتصادي . ويرى المتفرج أقمشة مصرية تخرج من المحلة الكبري لاتقل متانة أو جمالا عن أقمشة منشستر . وهى ليست طرفا تقتنى لغرابتها أو ندرتها بل أنسجة مفيدة تتحمل الابتذال الطويل . والمتأمل للمعروضات الزراعية لايجد أنها تقدمت فى الثلاثين أو الاربعين من السنين الماضية بل ربما تأخرت

كما هو واضح فى القطن الذى انحط مقدارا ونوعا . ولهذه الحال مغزاها . فان الامة الزراعية هى أمة راكدة بركود زراعتها . والامة الصناعية دائمة التطور

جميل صدقى الزهاوى

توفى جميل صدقى الزهاوي . وبوفاته يخسر العراق بل الشرق العربى باجمعه رجلا حرا كان يطلب التجديد أيام لم يكن فى هذا الشرق مجدد واحد . وفى سنة ١٩٢٨ زار مصر وعهد الى صاحب هذه المجلة طبع كتاب شرط عليه فيه ألا يخرجه الا بعد وفاته . وهذا الكتاب هو «نزغات أبليس » . وسننظر فى طبعه هذا الشهر

وكان الزهاوى يحسب نفسه شاعراً . ولكن الحقيقة انه كان مفكرا . ولذلك كانت أبياته باردة برود العقل قلما تعرف حرارة العاطفة . وقد جاء فى آخر قصائده التى ألقاها بالعراق هذه الابيات التى تدل على نزعته التجديدية

ان العروبة لا تريد … مجداً له عهد بعيد
بل انها تبغى جديدا … والجديد هو المفيد
الخير فى المجد الطريـ … ـف فقد قضى ذاك التليد
ولقد يبيد ذوو العرو … بة والعروبة لا تبيد
قل للعروبة أسرعى … لا ينفع المشى الوئيد
واذا العتاد أردته … فالنار عندك والحديد
والى شهيد ان يكن … بك حاجة فانا الشهيد
أما الجنود فانما … كل الشباب هم الجنود
عن حقه كل على قـ … ـدر استطاعته يذود
وابر من هذا وذا … ك الصدق والرأى السديد

الحبشة وايطاليا

ليس شك فى أن الايطاليين أوقعوا بالاحباش وهزموهم فى المعركة التى التحموا فيها بهم فى الميدان الشمالي فى الشهر الماضى . وكادت تكون هذه المعركة مذبحة ذبح فيها الاحباش المساكين اذ حصدتهم المدافع حصدا . وليس للايطاليين أن يفخروا بهذا النصر الذى يثبت توحشهم

ودناءتهم وخستهم فى حرب باغية يعتدون فيها على امة ضعيفة تكاد تكون عزلاء بالمقابلة الى العدد الحربية التى تعتمد بها ايطاليا

ونقول هذا ونحن لايداخلنا شك فى أن الايطاليين لن ينجحوا فى الاستيلاء على الحبشة . وذلك لان هذا الاستيلاء يعنى موت عصبة الامم ولن ترضى أوربا بموتها . ولان الاحباش يستطيعون أن يصمدوا لهذا العدو على الاقل ثلاث أو أربع سنوات . وفي خلال هذه المدة تكون الثورة قد نشبت فى ايطاليا للتخلص من نير الفاشية

ثم هناك احتمال آخر هو ان حظر البترول ربما يوقف الحرب فجأة أو يوقع ايطاليا فى حرب اوربية جديدة تخرج منها منهزمة وتسحب جميع جيوشها التى بالحبشة

العسكرية اليابانية

نكتب هذه السطور والثورة ناشبة فى اليابان . فان العسكريين يريدون الغاء البرلمان واقامة حكومة عسكرية ترصد أموال الدولة للجيش وسائر القوات . ثم تشرع الحكومة فى الاستيلاء على الصين ولاتبالى أن تصطدم بروسيا أو الولايات المتحدة

والعسكريون اليابانيون يجهلون شعور العالم نحوهم وهو شعور المقت لانه يعرف الحال التعسة التي يعيش فيها سواد الامة لكى ينفق العسكريون ملايين الجنيهات على خطة التوسع التى يتخذونها فى الصين . وفى اليابان حركة تدعى « آسيا للاسيويين » وهي تعنى فى لبابها أن آسيا لليابانين وترى علاماتها فى الحرب الجائرة التى يعلنها هؤلاء العسكريون على الصين التعسة . وأرجح الظن أننا سنرى حكومة ديكتاتورية فى توكيو . ثم تليها حرب بين اليابان وروسيا . وفى هذه الحال يبعد جدا أن تسكت الولايات المتحدة . وهذا المستقبل الاسود لايراه العسكريون اذ هم يحسبون أن العالم يعجب بهم لأنهم خلفاء طبقة الساموراى التى كانت تحكم اليابانيين وتستبد بهم قبل أن تنهض حوالي سنة ١٨٦٠

بافلوف

توفى العالم السيكلوجى الروسى بافلوف . وقراء هذه المجلة يعرفون انه كان يقوم بتجارب فى الكلاب انتهى منها بان التفكير هو انعكاسات معدولة . وهو يمثل النظر المادى الصرف للسيكلوجية

وأن كل الاعمال العقلية هي تنبيه واستجابة . وستعد تجاربه فى الكلاب مرجعا يعول عليه فى السيكلوجأة كما يعد « أصل الانواع » مرجعا للبيولوجية .

وقد وجد السلوكيون الذين يتزعمهم واطسون فى تجارب بافلوف مايؤيد مذهب السلوكية

ولسنا نسلم بان واطسون او بافلوف قد عرفا كنه « النفس » الانسانية . بل هما ينكران هذه اللفظة . ولكننا نسلم بأن النظر المادي والاعتماد على التجربة يؤديان على الدوام الى نتائج مفيدة . وهذا التسليم لايمنعنا من أن نقول أن نظر فرويد او يونج أو ادلر أو كوهلر للنفس الانسانية أدق وأعمق من نظر هذين الماديين . وسنتناول هذا الموضوع بالشرح فى الشهر القادم

هديتنا هذا العام

سنهدى هذا العام كتابين الى مشتركى المجلة الجديدة (الشهرية) هما

١ — مصر القديمة وأثر ثقافتها فى الاغريق للاستاذ عبد القادر حمزه وهو يزيد على ٢٠٠ صفحة من قطع المجلة

٢ — برنارد شو لسلامه موسى . وهو درس عميق لهذا المؤلف مع الالتفات خاصة الى ارائه الاجتماعية . وهو لن يقل عن مائة صفحة من قطع هذه المجلة

والادارة ترجو جميع المشتركين أن يسددوا اشتراكاتهم المتأخرة منذ العام الماضى ويجددوا اشتراكاتهم هذا العام

البترول فى العالم

عرف الشرقيون البترول وذكره العرب باسم النفط ولكنهم لم ينتفعوا به . بل كانت منابع البترول التى عرفها الفرس والاتراك والعرب آخر ما انتفع به الانسان مع أنها أول ماعرف من البترول على وجه الارض . وللبترول فى عصرنا قيمه الفحم فى القرن الماضى فان عليه يعتمد الطيارون فى الوقود الذى يستعمل للطائرات كما يعتمد عليه غيرهم فى وقود الاتومبيلات والسفن الموطرية

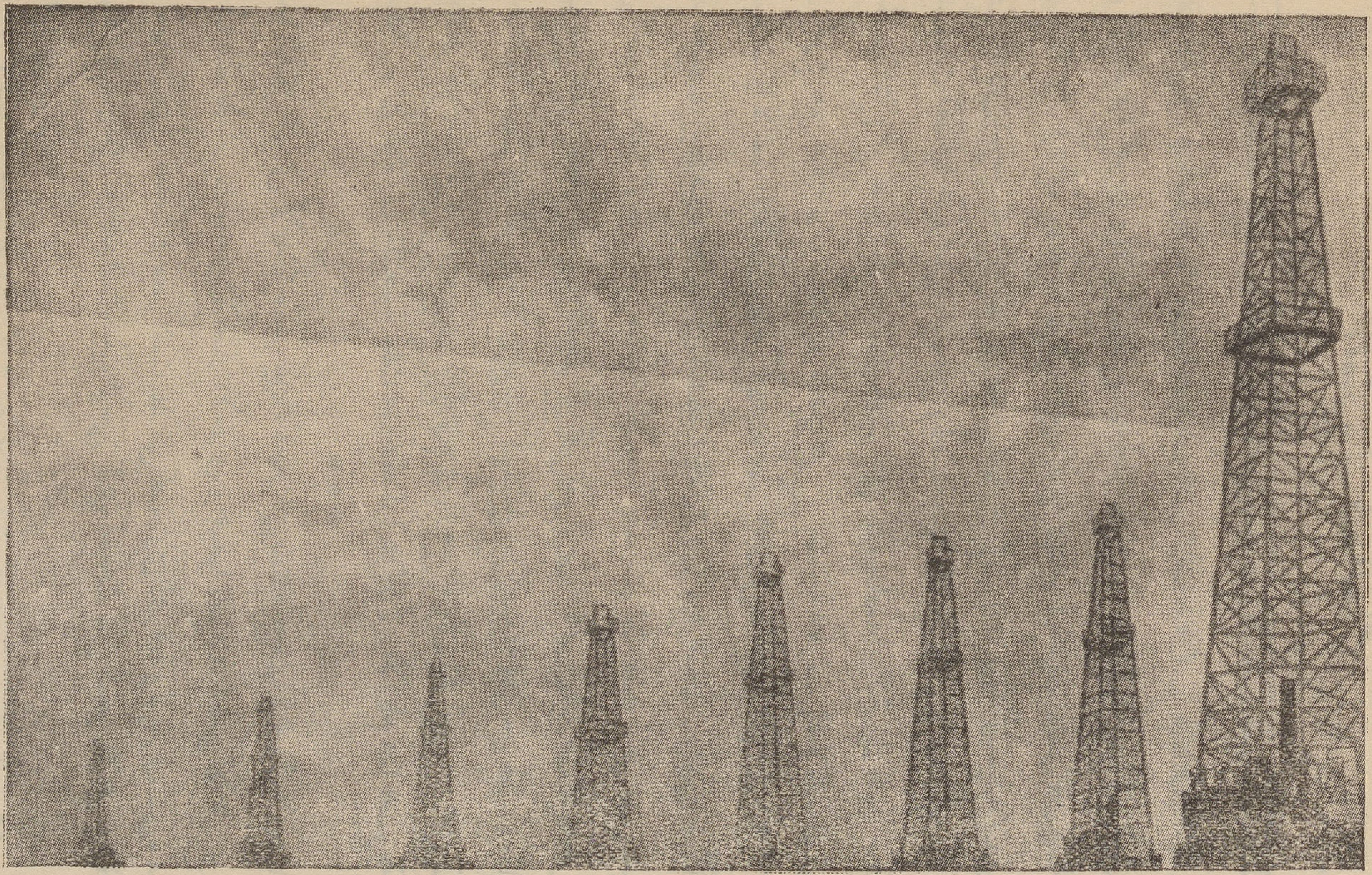
وقد قبلت ايطاليا جميع الجزاءات التى وقعتها عليها عصبة الأمم لاعتدائها على الحبشة ولكنها تهدد بالحرب اذا وقع عليها الجزاء الذي يحظر على الامم اصدار البترول اليها . وذلك لأنها تعرف أنه حين تحرم من البترول ومشتقاته تعجز عن متابعة الحرب إذ لاتجد الوقود للطائرات أو الاتومبيلات كما لاتجد الاسفلت الذى تمهد به بعض الطرق الكبرى فى الحبشة

وقد نجحت بريطانيا والمانيا فى استخراج البترول من الفحم . وليس بعيداً أن تستغنى كل منها عن استيراد هذا الوقود من منابعه الطبيعية بعد سنوات قليلة بل ليس بعيداً أن تنخفض تكاليف صناعته باستخراجه من الفحم الى أن يعود مزاحما قويا للبترول المستخرج من المنابع . بل ربما هذا الاحتمال هو المرجح لأن المنابع تستنفد اما الصناعة فلا حد لها . ومقادير الفحم كبيرة جدا لاينتظر لها نفاد قريب . ويرى القارىء فى الرسم البيانى المرافق أن مخزون البترول لايزال كبيرا جدا . وان الولايات المتحدة تملك منه مقدارا هائلا . والارقام هنا محسوبة بملايين البراميل

***

وهذا الشكل البيانى لايذكر مصر بين الاقطار التى يستخرج منها البترول لان منابعه عندنا صغيرة لا قيمة لها بالمقابلة الى منابعه فى الاقطار الاخري وجميعها تقع عند البحر الأحمر . و مماهو ذو مغزى أن جميع المعاون التى وجدت فى مصر تستنبط من الصحارى الشرقية ولايعرف شىء منها فى الصحارى الغربية وهذا يدل على أن للحادث الجيولوجى الذي أحدث شق البحر الاحمر علاقة بهذه المعادن أى بمناجمها فى جواره

ولا يستطيع أحد أن يقول كيف نشأ سائل البترول . فان الفحم يعرف اصله لان الاشجار القديمة التى استحالت اليه أي تفحمت لاتزال أشكالها وأوراقها وأغصانها ترى على صخور الفحم . ولكن ليس هناك شىء يدل على أصل البترول . وكل مايمكن أن يقال وهو لايزيد على الحدس هو أن البترول نشأ من انحلال الاسماك وسائر حيوان البحر فى برك منقطعة طمستها الرمال أو الصخور



الولايات المتحدة	روسيا	العراق	ايران	فنزويلا	مستعمرات هولندا	رومانيا	مكسيكا
١٤٫٢٤٥	٣٫٣٤٤	٢٫٤٨٥	٢٫٣٨٠	١٫٦٤٥	٩٣٠	٧٩١	٢٤٥
مليون برميل	مليون برميل	مليون برميل	مليون برميل	مليون برميل	مليون برميل	مليون برميل	مليون برميل

حمورابي ملك بابل

بقلم العالم الأثري جيمس برستد

بعد حروب كثيرة طالت مدتها قرنا من الزمان ارتقى الى اريكة الملك حمور ابي الملك السادس من الاسرة الامورية فى بابل سنة ٢١٠٠ ق. م . فوجد فى المدن السوميرية التى كان قد تضاءل شأنها. فى الجنوب قوما يعرفون بالعيلاميين كانوا قد دخلوا البلاد قادمين من عيلام فى الجبال الشرقية فحاربوه وظلت الحرب بينهم و بينه سجالا مدة ثلاثين سنة انتصر فى نهايتها عليهم نصرا مبينا فطردهم من البلاد واستولى على المدن السوميرية وجعل لاول مرة بابل قاعدة ملكه سيدة مدائن البلاد . وما نالت بابل هذه المنزلة الساميه من السؤدد والنفوذ ودعيت البلاد كلها باسمها الا بعد سنة ٢١٠٠ ق. م. ومن ذلك الوقت فصاعدا بقيت مدينة ذات شأن

وعاش حمورابي بعد انتصاره هذا اثنتى عشرة سنة كانت سنى سلام برهن فى أثنائها كما برهن فى سنى الحرب علي انه — بلا جدال — اقدر ملوك الاسرة التى ينتمى اليها . كان سرجون أول ملك قدير عظيم قام فيها وكان حمور ابي ثانيا له عظمة واقتدارا . وكان اسلافه قبل هذا العهد ببضعة أجيال . كاسلاف سرجون ، يترحلون فى البادية متنقلين من مكان الى مكان بلا ترتيب ولا نظام فى رحلاتهم .ومن البينات على أصله البدوى حلقه الشعر عن شفته العليا . لان ذلك عادة قديمة لاهل البادية . وبعد ان استولي على مدن بلاد بابل المكتظة بالسكان جعلها فى زمن قصير مثال الترتيب والنظام اللذين لم تر لها مثلا فيما انقضى من تاريخها . وأما المصدران الخصوصيان اللذان نستقى منهما معلوماتنا عن ملك حمور ابى فهما رسائله الخمس والخمسون والاثر الفخم الذى نقشت عليه شرائعه . وقد قاومت هذه الآثار الثمينة عوامل الطبيعة اربعة آلاف سنة لكى تعلن لنا أعمال هذا الملك العظيم واخلاقه

ان رسائل حمور ابي تتيح لنا أول مرة فى التاريخ ان نلقي نظرة على حياة ملك شرقى قدير وهو فى مكتبه بقصره فى بابل وكاتبه جالس الي جانبه مستعدا ان يكتب الرسائل التى كان سيده مزمعا ان يمليها عليه . وهي تتضمن اوامره ونواهيه لعماله فى المدن السوميرية القديمة الخاضعة الآن

له و كان الكاتب يكتب بقلم من قصب يحفظه فى محفظة جلد منوطة بمنطقته ، على أجرة صغيرة يملأها من الكتابة المسمارية بسرعة و بعد أن ينجز الكاتب ما أمر بكتابته كان يذر على الاجرة الرطبة قبضة من التراب الناعم الناشف لكى لايلصق غلاف الرسالة بالكتابة التى على وجه الاجرة الطريه ويكتب العنوان على الغلاف الاجرى . ثم يرسل ما كتبه الى الفرن (الكوشة) ليشوى

وكانت الرسائل تأتى الملك من الجهات تترى مكتوبة ومغلفة كالتى كان يرسلها هو الي عماله فكان أمين سره يكسر غلافها فى حضرته ويتلوها على مسمع منه و بعد أن يسمعها ويعيها كان فى الحال يملي عليه أجوبتها . وكتب اليه حاكم لارسا مرة أن السيول طغت وأوقفت بطغيانها سير السفن فى الفرات لكثرة ما رسب من الاتربة فى مجراه فكتب اليه حالا أمرا بوجوب كرى النهر بلا امهال لكى يعود صالحا للملاحة

وكان الملك شديد الاهتمام بقطعانه الكثيرة كأن ميكروب الغريزة البدوية لم يتلاش من دم عشيرته فكان يصدر اوامره الى عماله فى الجهات وموظفى المملكة بأن يحضروا الى بابل احتفاء بجز الغنم حاسبا ذلك عيدا عظيما . وحدث مرة أن الشهر القمرى لم يوافق الفصل الشمسى المعين لجز الغنم — ومعلوم أن الشهور القمرية دوارة — فارسل الملك اذاعة الى جميع عماله بها يأمرهم بأن يسموا الشهر المذكور ايلول الثاني

واندر الملك الحاكم بأنه لايجوز تأخير جمع الضرائب المستحقة الاداء فى الشهر التالى بسبب الاصلاح الذى أدخل على التقويم بزيادة الشهر وذكر الجباة المقصرين بوجوب تسديد حساباتهم بلا تأخر . . وكان يعاقب بشدة كل من يأخذ رشوة مهما كان مركزه فى مملكته . قيل انه مرة حمى غضبه على ثلاثة من رجال البلاط الملكي فاصدر امرا بالقبض عليهم وكان هو يملي الأمر على الكاتب قاطبا مغيظا . وكتب الى حاكم لارسا غير مرة مذكرا اياه بوحوب الاهتمام الكلى فى تنفيذ الاوامر الملكية بالسرعة المقتضاة

وكم من صاحب دعوى كان يرفع دعواه الى مجلس الملك حين لم يكن ينصف فى مجالس القضاة وملء صدره الامل بأنه يعامل بالعدل فلم يخب أمله وصدرت اوامر ملكية لرئيس خبازى الهيكل بالذهاب الى أور لمشارفة مأدبة دينية كان فى النية اقامتها فيها فوجد ان استدعاءه للقيام بهذه المهمة يقع فى الوقت الذى ترى فيه دعوى له فى المحكمة . فالتمس من الملك تأجيل رؤية الدعوى . فيظهر من ذلك أن الملك كان يهتم بالولائم الدينية اهتمامه بالعدل فى القضاء ويفهم من كثير من

رسائله التى كان يمليها على كتبته انه كان يهتم باوقاف الهيا كل وبادارتها اهتماما دائما

وكان هذا الملك حازما نشيطا نافذ البصر فى جميع شؤون مملكته من اقصاها الى أقصاها فارتأي أن يوحد الشرائع التى كانت شائعة فى زمانه مع ماكان بينها من التناقض ويوفق بين العادات والتقاليد التجارية فى مملكته . ولذلك جمع لديه كل الشرائع المكتوبة القديمة وما جرى عليه أهل المملكة فى عرفهم التجارى واصطلاحهم الاجتماعى ونسقها تنسيقا جميلا . أصلح الشرائع القديمة بالزيادة عليها أو الحذف منها وحيث رأى داعيا الى سن شرائع جديدة سنها . ثم ألف منها كتابا ضخما سمي دستورا أو مجموعة قوانين ولم تكن هذه الشرائع مكتوبة باللغة السومبرية كالشرائع القديمة التى كتبت قبلها بل بلغة الاكديين والاموريين السامية . ثم أمر بنقشها على عمود جميل من الحجر كان منقوشا على أعلاه مشهد يمثل الملك وهو يتناول الشريعة من الاله «الشمس» ثم نصب عمود الدستور الجديد فى هيكل الاله العظيم مردوخ فى بابل وبقى الى زماننا الحاضر وهو أقدم مجموعة من الشرائع القديمة حفظت الى أيامنا

ان شرائع حمورابى تحض كثيرا على وجوب اجراء العدالة للارملة واليتيم والمسكين إلا أنها أبقت على كثير من الافكار والمبادىء الفطرية المتعلقة بالعدالة . وأشهر تلك المبادىء وأظهرها هو المبدأ القائل بوجوب مقاصة المجرم بمثل ماجنت يداه وهو مبدأ « العين بالعين والسن بالسن » ولكن كثيرا ماتكون عاقبة هذا المبدأ الظلم والعسف . مثلا اذا سقط بيت وقتل بسقوطه ابن صاحبه وجب أن يقتل ابن بانيه البرىء أخذا بالثأر . وقد كان للزواج قبل حمورابي علاقة محكمة بموجب اتفاقات شرعية بين الرجل وزوجته . ولكنه عدلها ونسقها وضمها الى شرائعه . وكانت منزلة المرأة فى العالم البابلى القديم سامية كما كانت فى مصر فكان النساء يتعاطين الاعمال التجارية وسواها لحسابهن الخاص مستقلات . ويقمن مقام الكتبة الفنيين وكان لابد لهن من الاستعداد اللازم لذلك فى مدرسة

وبعد أن تنظمت أحوال المملكة البابلية على نحو مامر آنفا جرى السكان شوطا مهما فى مضمار التقدم والنجاح لم يتسن لهم مثله من قبل . وكان معظم محاصيلهم من الزراعة وخصوصا الحنطة والتمر . وكان لديهم كثيرا من قطعان الغنم والمعزى وأصورة البقر فحصلوا منها على منافع جمة من صوفها وشعرها وجلودها . وكانت حياكة الصوف رائجة جدا لشيوع لبس ثياب الصوف فى أسيا الغربية . وكان قد بطل الآن استعمال النحاس لقيام البرونز مقامه . وفى بعض المكتوبات

اشارة الى الحديد ولكنه كان لايزال نادرا ولم يكن استعماله فى الصناعة فى حيز الامكان لغلاء ثمنه . ولم يشع استعماله فى الاعمال العادية إلا بعد زمن حمورابي بالف سنه

وكان للمملكة فى زمن حمورابي جيش منظم يقوم بحماية الثغور وتوطيد الامن فى البلاد . وكان الامن ناشرا أعلامه حتى كانت قوافل الحمر تسير على رسلها حاملة سلع التجار الي مختلف المدن والاقوام الذين رغب تجار بابل فى الاتجار معهم ، وكان هؤلاء كثاراً جداً على ضفاف الفرات العليا ، ومن تلك المدن مدينة حاران المشتقة الاسم من اللفظة البابلية التى معناها سفرة ، وكانت بالات البضاعة فى أفنية المنازل ركاماً مركوماً بعضها فوق بعض وعلى كل منها ختم صاحبها ليدل على اسمه وحين فتح البالات كانوا يكسرون ختومها ويطرحونها علي الارض ولذلك يشاهد كثير من تلك الختوم بين أنقاض المدن البابلية على ما أفادنا الاثريون الذين جمعوا مارأوه منها بين الانقاض ، وكان لايزال اسماء اصحابها ظاهراً على وجهها الواحد وأثر الحبل على وجهها الآخر

كان تجار مدن سورية والبلاد التى وراء مضائق الجبال الشمالية مضطرين أن يقرأوا الختوم التى كانت على البالات والقوائم التى كانت ترسل معها ، فنتج عن ذلك ان انتشرت الكتابة المسمارية تدريجا فى آسيا الغربية حتى صار التجار السوريون بعد أمد يسير يكتبون رسائلهم وقوائمهم التجارية على الاجر كتجار بابل أنفسهم وطارت شهرة حمورابى التجارية فى جميع الارجاء الغربية المعروفة فى ذلك العهد ، وبقى ذكره حياً بين يهود سورية وفلسطين حتى بعد مرور الف سنة على وفاته أو يزيد

وكان تجار بابل أصحاب حول وطول حتى كان منهم فى بعض المجتمعات الحكام أصحاب الامر والنهى ، وكانت الهياكل ذات الاملاك الشاسعة مركز الحياة التجارية ، فكانت تعقد للتجار القروض وتتعاطى التجارة وتدير أراضى متسعة

ولم تكن النقود المسكوكة قد عرفت بعد ، فكانوا يثمنون الاشياء بقطع من الفضة ذات أوزان معلومة كان تداولها شائعاً بين أهل ذلك الزمان ، فكانوا يقولون مثلا « ثمن هذا الثور كذا أواق من الفضة » الا أنهم استعملوا الشاقل بدل الأوقية ، وكان عقد القروض شائعاً ايضاً فيما بينهم مع ما كان عليه معدل الفائدة من الفحش — عشرين بالمئه على أقل تعديل ، وكانت

القروض توفى نجوما وأقساطا شهرية ، أما الذهب فكان قليل الاستعمال لغلاء قيمته بالنسبة الى الفضة

كان المصالح التجارية عند البابليين الشأن الاول والمنزلة الرفيعة حتى فى أمور دينهم ، فقد رأينا قبل أنه كان لسدنة الهياكل مركز مهم فى الحياة التجارية وقد ألهاهم شغفهم بالتجارة عن واجباتهم نحو المساكين والمستضعفين ونصرتهم حين كان يتصدى لاذلالهم والاجحاف بحقوقهم أهل النفوذ وأرباب الثروة . وكانت غايتهم الاولى والعظمى من الدين جر المنافع المادية من الالهة وجعل أنفسهم فى حرز حريز من غضبها وسخطها ، وكانت طقوسهم الدينية تدل على انهم كانوا يشعرون بخطاياهم وعدم استحقاقهم لمراحم الالهة

وكان الشعب لايزال يقدم عبادته لالهة السوميريين القديمة ولكن تفوق بابل السياسى مكن أهلها من تبوئةمرودخ آلههم السامي المقام الاول بين الالهة وجعل اسمه فى الاساطير القديمة مكان اسم انليل إله السوميريين القديم صاحب المنزلة الاولى وبوئت عشتاروت إلاهة الحب الاسيوية أسمى منزلة بين الالاهات وصارت إلاهة بابل العظمى ، ثم اجتازت الى سواحل البحر المتوسط . وصارت افروديت اليونان

وكان فى عداد المنافع التى أنعمت بها الالهة على بعض الناس فى ذلك الزمان البعيد المقدرة على الانباء بالمستقبل أي العرافة ودعى الذين مارسوا العرافة عرافين وكان مهرتهم يدعون أنهم يفسرون العلامات السرية التى على كبد الشاة المعدة للمحرقة ، وكان الذين يأتون اليهم لكى يستعلموهم أسباب مادهاهم من الهم ومناهم بالقلق ، يوقنون بأنهم قادرون على هتك ستار المستقبل ومعرفة ما خبأته لهم الاقدار ، وكان أولئك العرافون يرصدون النجوم الثابتة والسيارةمعتقدين أنهم بذلك يدركون قضاء الآلهة من جهة المستقبل ، والظاهر أن اعمال العرافه اتصلت الى الغرب بدليل ان قراءة العلامات السرية على كبد الشاة كانت شائعة فى رومية وتطورت العرافة تدريجا مع كرور الايام حتى صارت علما قائما بذاته عرف بعلم التنجيم وهو أبو علم الهيئة الحديث. واقتبس اليونان علم التنجيم ومارسوه آمادا طوالا وبقيت منه بقية بينهم حتى زماننا الحاضر

ورأى البابليون ان المدارس ضرورية لتربية الشعب واعداد الشبان لتولى أمر الكتابة فى المحال التجارية الكبرى ، وكانت مدارسهم فى الغالب ضمن الهياكل أو متصلة بها ، وقد وجد ن آثار مدرسة فى اطلال بابل ، منذ عهد حمورابى ومن تلك الآثار ألواح الاجر التى

كان الطلبة من الجنسين يكتبون عليها الفروض المدرسية منذ أربعة آلاف سنة ، وجدت مطروحة على أرض المدرسة ، ومنها علم كيف كان الولد فى ذلك العصر البعيد يقاسى التعب فى حفظ ثلاث أو أربع مئة علامة رمزية وكتابتها حال كون التلميذ عندنا لايضطر ان يتعلم اكثر من ثمانية وعشرين حرفا

كان الدفتر الذى يكتب فيه التلميذ تمارينه المدرسية اجرّة ملساء يستطيع أن يمحو ما يكون قد كتبه عليها بمسح وجهها بشحفة أو شظية من حجر أو خشب ، وكان قلمه قصبة مبرية يرسم بها على الاجرّة صفوفا من الاسافين بعضها أفقى وبعضها عمودى والبعض الآخر مائل ولكن كل منها مستقل عن الاخر لا اتصال بينهما ، وبعد أن يحذق التلميذ رسم الاسافين مفردة كان معلمه ينقله الى عمل أرقى وهو تركيب الاسافين المفردة معاً بحيث يتألف منها العلامات الرمزية عندهم ومتى مهر فى ذلك يكون قد بلغ نهاية التهذيب وصار قادرا أن يكتب كلمات كاملة ويؤلف جملا بسيطة ثم جملا مركبة وينقل اقتباسات من مكتوبات قديمة ، وقد وجد الباحثون عن الاثار أجرة فى انقاض احدي المدارس مكتوبا عليها مثلا من أمثالهم يبين منه أن البابليين كانوا يقدرون الكتابة حق قدرها أما المثل فهو هذا « من يتفوق فى الكتابة على الاجرّ يتألق كالشمس » ومما لاريب فيه أن كثيرين من شبان بابل دبت فى صدورهم النخوة وهم ينسخون هذا المثل الذى أثار فى نفوسهم الحماسة حتى لم يشعروا بمضض مشقة الكتابة

الحكومات الحاضرة ومستقبلها

لسلامه موسي

تعددت أنواع الحكومات فى وقتنا . وطوالع الحال تدل على أنها سوف تتعدد فى المستقبل أكثر وأكثر . وكذلك يجب لكى نتابع التطورات القادمة أن ندرس العوامل الحاضرة واشكال الحكومات القائمة لكى نقدر التغيرات المنتظرة

والحكومة الشائعة فى العالم المتمدن هى الحكومة النيابية . والأساس الذى تبنى عليه هذه الحكومة — بوجه عام — هو أن الذى يتول الحكم بضعة أشخاص يختارهم البرلمان. وهو ما دام يثق بهم فانهم يتولون الحكم أما اذا ذهبت هذه الثقة فلا يجوز لهم ذلك . وهؤلاء الاشخاص هم من نسميهم الوزارة

١ ـ فالحكومة النيابية عند الامم الشمالية فى نروج واسوج وهولندا ودنمركا وبريطانيا لا تزال تحتفظ بالروح الديمقراطى وتؤمن به وهى جميعا تسير على النمط البريطانى أي أن الحكومة المركزية لا تتناول من الاعمال سوى تلك التى لا يمكن المجالس المحلية ان تتناولها . ففى انجلترا مثلا تقتصر لندن على حكم نفسها ولا تحكم منشستر أو برمنجهام ولا تعين لهما المدير أو الحكومة أو الحكمدار أو قوة البوليس أو معلمى المدارس . لان كل مدينة تتولى ذلك بنفسها دون تدخل الحكومة المركزية

٢ ـ ثم هناك الحكومة النيابية عند الامم الاتينية مثل فرنسا وأسبانيا والامم اللاتينية فى أمريكا الجنوبية وأيضا فى ايطاليا (قبل الفاشية) ففى هذه الحكومات نجد أن الحكومة المركزية تبتلع القطر كله حتى لتشعر القرية الصغيرة النائية بأثرها . فان مرسليا مثلا تنتظر أن تعين لها باريس محافظها وقوة بوليسها ومعلمى مدارسها

فالحكم الذاتى فى الامم الشمالية متقدم راق . وهو فى الامم اللاتينية متأخر . وهذا على الرغم من أن الحكومة الرئيسية نيابية . والامم الشمالية لتقدم الحكم الذاتى فى المدن والمديريات أكثر إلفة للنظام البرلمانى وأعمق ادراكا للروح الديمقراطى . وهى لهذا السبب نفسه أكثر سكونا الى الحكومة النيابية ورضى بها . ولهذا لا نجد فى هذه الامم أية دعاية يؤبه بها عن الفاشية أو الشيوعية

٣ ـ وهناك نوع ثالث من الحكومات النيابية يرى فى سويسرا والولايات المتحدة . وهو

أشبه بالأمم الشمالية منه بالامم اللاتينية . وكل ما فيه مما يلفت النظر ان الحكومة المركزية - التى تمثلها فى تلك الحكومات باريس ولندن مثلا - هى فى مركز ثانوي أزاء حكومات الولايات . لان الاصل هنا أن الولاية مستقلة والحكومة المركزية « اتحاد » فقط بين هذه الولايات . ومن هنا الصعوبات التى يلقاها المستر روزفيلت فى الولايات المتحدة وقيام « المحكمة العليا » التى يقصد منها قبل كل شيء حماية حقوق الولاية أزاء الاتحاد

٤ - وقد قلنا أن لباب الحكومة النيابية أو الأساس الذي تبنى عليه أن الوزارة هى بضعة أشخاص يأتمنهم البرلمان على الحكم أي أنها لجنة من البرلمان نفسه مكلفة بالحكم

هذا هو الأساس . ولكن هناك اختلافات تنقض هذا الأساس بعض الشيء . فان الوزراء فى الولايات المتحدة مثلا ليسوا خاضعين للبرلمان

والمألوف أنه اذا اختلف البرلمان والوزارة جاز للوزارة أن تحتكم الى الشعب أى تحل البرلمان وتطلب برلمانا جديدا يؤيدها أو يخذلها . ولكن الوزارة الفرنسية لا يمكنها أن تحل البرلمان . وكذلك الحال فى معظم الامم اللاتينية

* » *

فى الحكومات النيابية ثلاث بدع يحسن بنا أن نعرفها هى .

١ - طريقة الانتخاب النسبي كما يمارس فى ست دول هن سويسرا وهولندا وبلجيكا والدول الاسكندناوية الثلاث

٢ - طريقة الاستفتاء كما يمارس فى كثير من الدول مثل سويسرا أو اليونان

٣ - طريقة الاستشراع كما يمارس فى سويسرا والولايات المتحدة وهذه الطرق الثلاث نجهلها جميعها فى مصر . ولنأخذ الطريقة الأخيرة أولا . فانه قد يحدث أن الجمهور يطلب قانونا جديدا ولكنه لا يجد من البرلمان استعداداً للنظر فيه وعندئذ يأخذ هو على عاتقه الدعوة الى القانون واجبار البرلمان على قبوله . وذاك بان يوقع ٣٠٫٠٠٠ شخص طلبا بالقانون . فاذا كان هذا القانون يقصد الى تغيير فى الدستور وجب أن يكون عدد الموقعين ٥٠٫٠٠٠ أما فى الولايات المتحدة فالاستشراع لا يمكن إلا بعد أن تدعو اليه ٢٠ ولاية

أما الاستفتاء فمعروف وهو أن تعمد الحكومة الى استشارة الشعب كما حدث قريباً عند ما استشير الشعب اليونانى فى عودة العرش

بقيت طريقة الانتخاب النسبي التى قلنا أن ست دول من أوربا يمارسنها فان هذه الطريقة تحول دون الاضرار الناشئة من الاكثرية المطلقة

وهذه الطريقة تحتاج الى بعض الشرح ، فان الانتخابات للبرلمان تجرى بالاكثرية المطلقة. أي أنه اذا فرضنا أن الاصوات فى دائرة ما تبلغ ٢٠٫٠٠٠ صوت . ونال أحد المرشحين ١٠٠٠١ ونال الآخر ٩٩٩٩ فان الأول يفوز والثانى ينهزم

وقد تتكرر هذه النتيجة فى مائه أو مائتى دائرة . فيخرج الحزب المنهزم وليس له أعضاء مع أنه لو جمعت الأصوات التى حازها فى أنحاء البلاد ووزعت على التقدير العددى لكل عضو لحق له ان ينال عدداً كبيراً من كراسى المجلس.وحيث يكون الحزب ضعيفا تؤثر فيه الاكثرية المطلقة تأثيراً فظيعا . فان الاشتراكيين الانجليز نالوا فى الانتخابات الأخيرة ٩٫٣٢٥٫٠٠٠ صوت فلم يحصلوا إلا على ١٥٤ مقعد

ونال المحافظون ومؤيدوهم ١١٫٥٨٦٫٠٠٠ صوتا حصلوا منها على ٤٢٨ مقعدا ولو أعطى الاشتراكيون عددا من الكراسى بنسبة الأصوات التى حصلوا عليها لبلغ أعضاؤهم فى العدد نحو ثلاثة أرباع المحافظين

ومن هذا التفاوت بين عدد الأصوات فى مجموع الأمة، وعدد الأعضاء للحزب المخذول ظهرت فائدة الانتخاب النسبى . فان الحزب يجمع الاصوات فى جميع أنحاء البلاد ويأخذ بها كراسى فى البرلمان

* * *

ولكن الأنظمة الحكومية لم تعد مقصورة على الحكومة النيابيـة التى يختارها الشعب . فان الديمقراطية قد وجدت خصوماً منتصرين فى ثلاثة دول هن ايطاليا والنمسا وألمانيا حيث تسود الحكومات الفاشية

والحكومة الفاشية هى حكومة نقابية تمثل الصناعات ولا تمثل الأفراد . مثال ذلك أننا بدلا من أن نجد برلماناً مؤلفاً من مجلسين قد انتخب أحدهما الشعب وانتخبت الهيئات الأخرى المجلس الثانى نجد (فى ايطاليا) برلماناً مؤلفاً من ١٣ نقابة هكذا :

واحدة منهن للحرف الفنية كالطب والمحاماة

وست منهن للعمال

وست منهن لاصحاب العمل

ومن هذه النقابات الثلاث عشرة يتألف البرلمان الذى يسن القوانين للأمة

* * *

ففى وسط هذا التيه من الانظمة هل يمكننا أن نصل الى أجابة سليمة عن الحكومة فى المستقبل القريب وكيف تكون ؟ أن خصوم الديمقراطية يزدادون كل يوم. وحجتهم على الديمقراطية مزدوجة.

فهى أولا قد أصبحت غير ممكنة بل هم يقولون أنها لم تكن قط فى العصور الحديثة ممكنة . وهى ثانياً قد أصبحت غير مفيدة

فالديمقراطية عند هؤلاء الخصوم كانت أيام الاغريق يمكن العمل بها لان الحكومة القائمة كانت حكومة المدينة . فكان يمكن جميع السكان فى المدينة تقريباً أن يعرفوا شخص المرشح للانتخاب ويقدروا أخلاقه . أما الآن فالحكومة هى حكومة القطر . والشعب الذى يريد أن يحكم بنفسه كما هو المعنى المقصود من لفظة الديمقراطية لا يمكن أن يعرف أشخاص المرشحين للانتخاب . ولهذا فان رقابته عليهم خفيفة أو معدومة . والحكومة الديمقراطية لهذا السبب غير صالحة للحكم

ثم هى أيضاً غير مفيدة . لان الحكم لم يعد مقصوراً على صيانة الامن العام كما كان الشأن فى الحكومات القديمة الساذجة بحيث كان يكفى الجمهور أن يسلم القضاء لرجل معروف بالدين والتقوى. بل أصبحت الحكومة فنية تحتاج الى المهندس والطبيب والكيماوى والاقتصادى وغير هؤلاء ممن لا يمكن الشعب أن يقدرهم وأن يميز الكفء منهم من الناقص . واختبارات الانتخابات تدل على أن هؤلاء الاكفاء من الفنيين أعجز الناس عن النجاح فى مباريات الانتخابات. والجمهور لسذاجته يؤثر المرشح الذي يجيد الخطابة على المرشح الذي يجيد الهندسة أو الطب أو الكيمياء مع أن الأمة لا تحتاج الى الخطيب بل الى هؤلاء القادرين على اصلاح شؤنها الاجتماعية

كانت الحكومات القديمة الديمقراطية ساذجة قليلة الأعمال فكان يمكن الشعب أن يثق برجل عرف عنه العدل ويقنع منه بكف الأعتداء عن السكان . ولكن الحكومة الحاضرة قد حملت على عاتقها أعمالا فنية كثيرة . فهى تحتاج الى الفنيين الذين يعجز جمهور الشعب عن أن يقدرهم

* * *

لقد رأينا أن الحكومات نوعان فى أوربا .

١ ـ حكومة من الشعب كما هو الحال فى الأمم الشمالية مثل بريطانيا ودنمركا

٢ ـ حكومة من الصناعات أى النقابات مثل ألمانيا وايطاليا ونمسا وظنى أن حكومة المستقبل هى مزيج من هذين النظامين . فلن تكون شعبية خالصة ولا نقابية خالصة

وذلك لان العوامل الاقتصادية تزداد قوة وأثراً فى الهيئة الاجتماعية . وستكون هى المحور الذي تدور عليه الحكومة فى المستقبل القريب . وهذا واضح من المسائل التى تستقل بها جميع الحكومات المستحدثة . فان الانتاج والاستهلاك والنقد والمواد الخامة والعمال والصادرات والواردات والوطنية الاقتصادية كل هذه مسائل تكاد تستوعب جهود الوزراء . وهى مسائل فنية

لا تحتاج الى الخطب بل تحتاج الى رجل الفن الذى يدرس أحد العلوم أو الفنون ويحذقه لكى يعالج الغلطات عندنشوئها قبل أن تستفحل وتضر

ولذلك لا بد أن تأخذ الحكومات بشىء من نظام الفاشيين مع الاحتفاظ برقابة الشعب أو بما يمكن منها . فان النظام النقابى الذى أوجده الفاشيون يجعل مسألة الانتاج محور الحكم . وما فيه أحياناً من عسف انما يرجع الى الرغبة فى زيادة الانتاج الذى يجب ألا يعوقه أى عنف من حركات العمال لزيادة أجورهم مثلا . وسيبقى الانتاج والاستهلاك الشغل الشاغل للحكومات فى السنين القادمة وسيكون هو المقرر فى النهاية لنظام الحكم

ونحن نرى حتى فى الحكومات الديمقراطية أو التى لا تزال تسمى نفسها كذلك بين أمم الشمال تدخلا متوالياً فى الأعمال الحرة. وهذا التدخل يصبغ الحكومة باللون الاقتصادي ويشبكها بالمصالح الاقتصادية . وهى ما دامت سائرة فى هذه الخطة فانها ستنتهى بالرقابة على هذه المصالح

* * *

وهذا التدخل المستمر فى الحكومة فى العمل الحر أى الاشتباك المتوالى بالمصالح الاقتصادية سينقل مهمة الحكومة أي غايتها من تأمين الناس من العدوان الى تأمينهم من الفقر

وذلك لان الحكومة بتدخلها فى الانتاج وتنظيمها للاستهلاك ستصبح قبل كل شىء أداة اقتصادية وليست سياسية. وكلما تقدمت المصانع فى الانتاج ازداد اهتمام الحكومة بالاستهلاك حتى لا تتخم الاسواق بالبضائع ويحدث العطل. وهذا الموقف الذى ستقفه كل حكومة متمدنة سيجعلها دائبة فى الدرس للاقتصاديات وهى لذلك ستتجه فى التأمين الاجتماعى نحو التأمين من الفقر . ونحن نرى بزور هذه الحركة فى النظم المختلفة التى ترى، الآن فى أمم الشمال للتأمين من العطل . ومن الشيخوخة ومن المرض

لقد كانت أهم وزارات الحكومة المتمدنة قبل خمسين أو ستين سنة وزارة الخارجية بل كان يفهم من (خطة الحكومة) تلك السياسة التى ستتخذها نحو الدول الاجنبية وكانت الانتخابات تقرر على هذا الأساس . ولكن الحال قد تغيرت فى أيامنا ففى كل حكومة متمدنة وزارات تختص بالشئون الاقتصادية . وعلى هذه الشئون تبنى الخطط التى تكسب بها الاحزاب الانتخابات

* * *

ان الأصل فى الحكومة البرلمانية فى جميع الأمم المتمدنة هو الحكومة الانجليزية . فان البرلمان الانجليزي قد نقل نقلا يكاد يكون أحياناً أعمى عند جميع الأمم . حتى أننا نرى أن مجلس « الاعيان » البريطانى قد نقل مع أننا نجد له فى تاريخ بريطانيا ظروفا تبرر وجوده عندها ولا

تجد مثل هذه الظروف عند الأمم التى نقلته عنها . ولذلك فان الامم الجديدة النشيطة مثل أرلندا لا تتأخر فى الغاء المجلس الثانى

ولكن هذا النظام البريطانى الذى يقول بالديمقراطية قد أصبح فى ظروف الحرج الاقتصادى الذى ينشأ من وقت لآخر فى زماننا يجد صعوبات فى تنظيم الحكم . لانه هو فى لبابه هيئة سياسية يطلب منها معالجة الشئون الاقتصادية . بل الانسان يشك حتى فى قدرة هذه الهيئة على معالجة السياسة . وكل ما يمكن أن يقال فى مديحها أنها استطاعت أن تستخلص الدستور من الملوك وانها نقلت الحكم منهم الى الشعب . أما الآن فان الانجليز أنفسهم -على حد ما يقول المستر تشرشهل- يحتاجون الى برلمان اقتصادى وليس سياسياً

وخلاصة القول أن الانظمة الحكومية سوف تتعدد لباعث واحد هو قوة العوامل الاقتصادية . وأن هذه العوامل ستكسب النقابة شأناً جديداً أو ستنقل معنى التأمين الاجتماعى من حماية الناس من الاعتداء الى حمايتهم من شرور الفقر . ولهذا السبب ستصبح الحكومات فنية تفهم الديمقراطية على أنها خدمة الشعب فقط

الشعر بين الفلسفة والصياغة

للأستاذ على محمد البحراوى

— ١ —

اذا وقفنا فى تقسيم الشعر عند الاقسام الثلاثه التى يوزعه عليها المدرسيون من انه غنائي وقصصى وتمثيلى ، فاننا نحس باننا نفقد بعض املنا فى الفن

أما السؤال عن ماهية هذا الامل فهو تعسف لا يجيزه مبرر لاننا كلما نوجه هذا السؤال إلى أنفسنا نعود وليس فى طوعنا له تعريف كامل ، فاذا كنا نستطيع أن نقربه الى التصوير والنفس المتجاوبة مع الشعر نفيد منه متعة الحس وعزاء الروح ، وان كنا نجد متعة الحس غالباً فيما يتجاوب مع النفس فى شعر الغناء أو الملحمة القصصية أو الدرامة التمثيلية فقد لا نجد فى ذلك العزاء الروحي الذى هو قوام حسابنا بتأثير الفنون عامة والشعر على وجه خاص ، فقد يتعدى هذا التقسيم للشعر بعض المقطوعات الوجدانية والصور النفسية التى تكتمل فيها الاحساس بالتجاوب فيتحرك شعور العزاء الروحى الذي يثيره كمال الفن

وشأن الشعر فى ذلك شأن الدين والفلسفة فان الانسان مهما تقدمت به أساليب المدنية ، ومهما أخذ من أسباب الحياة فهو دائم الشعور بنقص هو فى حاجة مستمرة الى الخلاص منه : فهو لا يرضى على الحياة باعتبارها المثل الذى يطمئن عنده الا إذا مات فيه ينبوع الحيوية . ولذلك يشتد إيمانه بالدين ، الدين الذى يرسل إلى نفسه معانى العزاء ، ولذلك يترسل فى بعض مناحي الفلسفة ، فلسفة تحليل الحياة وتجريدها من خطرها والاستهانة بما تجود أو تبخل به فان ذلك يبعث فيه صور العزاء الروحى المنشود ، فالدين والفلسفة والشعر هى بواعث العزاء الذى تتلمسه النفس البشرية لتعيش فى هديه ، وهى العزاء الروحى الذى يعاونها على معالجة شئون الحياة فى هدوء واطمئنان

ويعتقد الناقد الانجليزي المعروف ماثيو ارنولد أن البشرية ستكشف يوما بعد يوم عن حاجتنا الى الشعر ليفسر لنا رموز الحياة ويبعث فينا روح العزاء والاحتمال ، وهو يقول بان العلوم بغير الشعر ناقصة لأنه قوامها وروحها الصافية ، بل هو يذهب الى أبعد من ذلك فيقصر بعث العزاء الروحى على الشعر وحده ، ويقدم أثره فى ذلك على أثر الدين والفلسفة ، ويقول أن الدين الذى

يعتمد على التدليل بالمحسوس تارة وبالروحانيات البعيدة تارة أخرى وأن الفلسفة التى تعتمد على التعليل والكائن المحدود واللانهائى ما هى كلها الا أطياف واحلام ومظاهر خاطئة للمعارف ، وسيأتى اليوم الذى تعجب فيه الانسانية من اعتبارها مسائل حديثة يمكن الاعتماد عليها .

وهو يقول انه بقدر مايبدو حوار الدين والفلسفة يمكن الوصول الى تقدير العلوم والاحساس بصفاء روحها عن طريق الشعر

وهذا القول لا يخلو من الغلو والتعصب للشعر وإن كان فيه تصوير طريف لقوة أثره ، فقد يمكن أن نوازن بين الشعر والفلسفة فى العزاء الروحى ، وقد يمكن تقليب تأثير الشعر لأنه يستطيع أن يهضم الفلسفة ويعبر عنها ويكشف عن روحها حينما لا تستطيع الفلسفة أن تهضم الشعر او تؤدى رسالته . فالشاعر القادر الموهوب يستطيع أن يجعل من الشعر فلسفة مقبولة ، اما تأثير العزاء الروحى للدين فيجب أن يكون فوق هذه المقارنة لأنه بغير شك أقواها خاصة وأبعدها أثراً ، والنفس المتهيئة للتأثر بالدين هى نفس يملؤها الايمان . ومن الميسور أن نتجاوب مع تأثير الشعر والفلسفة لأن التدين يرهف الاحساس الى حد يجعله مستعداً لمؤثرات الفن الأخرى . والدين فى أي صورة يدعو الى تقدير جمال الانسانية مع ما يدعو اليه من التجرد والرياضة الروحية .

يقول كارليل ان « الشعر الهام ينشأ فى أخص وأقدس نواحى النفس الانسانية » وهذا تفسير موفق لموهبة الشعر من وجهه نظر الشاعر الذي تضطرب فى نفسه مختلف العوامل إذا عرض لهذا التفسير فلا يستطيع أن يكني عنه الا بانه الهام . والهام قد ينشأ فى اخص وأقدس نواحى النفس .

ويشبه الأديب الفرنسى الكبير « بول فاليرى » شعور الشاعر بشعور الحالم ويطابق بين الشعر والحلم وإن كان يحرص على التنبيه الى ان ذلك لايعنى ان الحلم كله شعر وان جاز العكس لأن الاحلام وهى صور تكونها المصادفة . لا يمكن أن تكون ذات انسجام واتساق الا بالمصادفة كذلك . اما الشعر فهو الحلم المنسق المنسجم الذى يصور الحياة ملونة باحساسنا بها . ويرى فاليرى كذلك أن الشعر حاله غير مستقرة ولامستطاعة فى كل الاوقات فهى لا تجرى على قياس . وهى تضيع عرضاً كما تأتى عرضاً . تأتى بها المصادفات وتذهب بها المصادفات أيضاً .

ويقول ارسطو معلم الفكر الانسانى أن تعالى الشعر فوق التاريخ يكون فى توفر الحق السامى والجد الرائع . وهذه المفاضلة بين التاريخ والشعر التى يتفوق فيها الأخير بالحق والجد ، تمهد لنا أبر سبيل لتعريف الشعر من وجهتى نظر الشاعر والناقد . وهو على هذا الأساس ليس إلا جمال التعبير عن الاحساسات الصادقة الجادة . وفى هذا يقول الناقد الانجليزي ماثير ارنولد

« سيكون نقد الحياة من القوة بنسبة مايحمل الشعر من سمو لا انحطاط فيه ، ومن كمال لا نقص فيه ، ومن صدق لا كذب فيه . أى أن أداء الشعر لرسالته الاولى ـ وهى نقد الحياة ـ على أكمل الصور مرهون بمقدار مايحمل من عناصر نجاحه ، وهى السمو والكمال والصدق

وإذا كان الكاتب الانجليزى ماكولى يزعم أن الصدق غير متفق مع جوهر الشعر لأن الفكرة الشعرية تقوم ـ فى رأيه ـ على خيال لايساير منطق العقل وأن ماتؤدى اليه نتائجها فروض لايمكن تصديقها إلا اذا أنكرنا معارفنا ، فهى أقرب الى الوهم . والشاعر العبقري هو الذى يستسلم لهذا الوهم ويتركه يفعل بنفسه ماتفعله الحقيقة

ويظهر أن ماكولى لم يذكر هذا الرأى الطريف إلا فى معرض التحدث عن العلاقة بين الشعر والفلسفة ويلوح أن رغبته القوية فى التفريق بينهما وبيان استحالة اقترانهما فى أي مظهر من مظاهر الفكر هى التى رفعته الى تحريم الشعر من كل ظاهرة منطقية معقولة حتى لايسير والفلسفة فى طريق ولقد اشتدت حماسته لهذا الأمر فاخذ يتلمس البراهين على أن الشعر والفلسفة نقيضان وأن الشعر الفلسفى محض محاولات عقيمة فى النظم ، وأن من يحاول أن يكون شاعراً فيلسوفا هو جاهل باغراض الشعر ومعانيه . واضطر ماكولى أن يقصر مايسميه شعراً على دوافع العواطف الخلابة التى تستمد وحيها من القلب مباشرة غير متأثرة عن أي طريق بالنقل أو المنطق . فهى استرسال فى الاحلام دون ميل إلى التحليل أو التفكير لأن فى هذا الميل أثر الفلسفة ، والفلسفة والشعر لايتفقان

وإذا لم يغرب عن الذهن أن الفلسفة ـ وغرضها البحث عن الحقيقة ـ لم يصل أصحابها بعد إلى الحقيقة ، وأن مقدماتها الاولى هى مسائل فرضية يضعها خيال لايخضع كل الخضوع لأحكام العقل والمنطق ، استطعنا أن نسيغ الرأى القائل بان الشعر والفلسفة من نبع واحد وإنما تتفرق وسائلهما وأساليبهما وطرقهما . كما يخرج عدة أنهار من نبع واحد يأخذ كل منها طريقاً مختلفاً

وأحدث تصوير للشعر يقول بانه هو حديث العقل الباطن . واذا تأملت الفلسفة تأمل درس عميق لم تجدها سوى خواطر مايسمى بالعقل الباطن . والشعر والفلسفة ليسا سوى بحث عن « المعرفة » يتخذ طريق استثارة الاحساسات والعواطف اناً ويتخذ طريق التنقيب الرزين المتئد آونة أخرى . وهو فى كلا الطريقين يحاول أن يستشف كنه النفس البشرية. ولن يستطيع .وهو لو استطاع لحرم العقول والأخيلة متعة الدنيا وعزاء الحياة

ان بعض الفروق بين الشعر والفلسفة لايتعدى أن الاول هو تفكير وتحليل يقلب عليهما أثر العقل الباطن وقد لايتيسر للعقل الواعى أن يسيطر عليهما كل السيطرة بينما الفلسفة هى تفكير وتحليل يرعاهما العقل الواعى فى الاغلب وإن كانا لايسلمان من أثر العقل الباطن

وليس معنى هذا أن الشعر والفلسفة شقيقان مقترنان . فلكل منهما سبيله وأساليبه وان لم تخل إحداهما من أثر للآخر فى اكثر الاحيان . فان متابعة الفيلسوف لنتائج التطورات والفروض ومحاولة تصورها أشبه بمتابعة الشاعر لصور الخيال التى هى اكثر ماتقوم على الافتراض

على أن ذلك لايرمى إلى مزج الفلسفة بالشعر مزجا علمياً فان أثر احدهما بالآخر لايخرج عن دائرة التوجه العام . والشاعر الذى لايتأثر بتوجيهات الفلسفة هيهات أن يؤدى رسالة الشعر

والذين يسخرون من مثل هذه الآراء من اخواننا الرجعيين المعتزين كل الاعتزاز بالأدب العربى القديم فحسب يخطئون فى توجيه سخريتهم كل الخطأ لأن أفذاذ الشعراء العرب كانوا متأثرين بالفلسفة تأثراً يظهر فى شعرهم عامة بل هو أظهر فى روائعهم الخالدة . والشاعر الذي يعرض لوصف الاسد ـ مثلا ـ ويقف عند الحدود التى يفرضها عليه الرجعيون لن يبلغ مهما أطنب فى وصف هيبة الاسد واعتداده مابلغه « المتنبي » اذ يقول :

يطأ الثرى مترفقاً من تيهه فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته الي يافوخه حتى تصير لرأسه اكليلا !

فهذه النظرة التى تصور من الاسد المتئد فى سيره طبيبا يفحص عن العليل فى ترفق وتترجم هزة رأسه الى الوراء بالرغبة فى رد الشعر خلف الرأس لتأخذ مظهر الإكليل لم تكن لتتهيأ للمتنبي إذا كان ساذجا لايقرأ الفلسفة ولايتأثر بها !

وهل يستطيع شاعر لايتنكب مواطن الخيال الفلسفى أن يصف الخمر بما وصفها به « ابن الرومى » حين يقول :

ومدامة كحشاشة النفس لطفت عن الادراك باللمس
لنسيمها فى قلب شاربها روح الرجاء وراحة الناس
وتمد فى أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الامس

وهل الشاعر الذى يصف الخمر بالخفة حتى ماتدرك باللمس ! ويصف أثرها مرسلا للرجاء وللناس ممهداً لفسحة الأمل حتى أمل بعث الامس . هل هو شاعر ساذج لايقرأ الفلسفة ولايتأثر بها ؟

وهذان المثلان من الشعر الوصفى وهو أقل فنون الشعر تأثراً بالفلسفة لانه مرتبط بمادة موجودة فكيف إذا كانا فى غير هذا الضرب ؟

وماذا يقال عن المعرى إذا حشدنا الف شاهد وشاهد من شعره . وإذا نظرنا أول مايصادفنا منه وليكن ـ مثلا ـ داليته المشهورة فى الرثاء التى يقول فيها

ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد

أو أبياته التي يقول فيها

نفارق العيش لم نظفر بمعرفة   أى المعانى باهل الارض مقصود
لم يعطنا العلم أخبارا يجىء بها   نقل ولا كوكب فى الارض مرصود
وابيض مااخضر من نبت الزمان بنا   وكل زرع إذا ماهاج محصود

فهل كان المعرى يقول ذلك لو لم يكن مطلعا على الفلسفة عارفا باسرارها متأثراً بتوجهاتها

— ٢ —

إذا خلصنا من بحث فلسفة الشعر وأثره إلى التحدث عن صياغته فان أول مايجب أن نشير اليه هو موضوع الشعر المرسل أو مايسمونه النظم الذي لايجري على سنن واحد . وقد يكون هذا الموضوع الجديد فى الادب غريباً عن الادب العربى شديد الغرابة على الرجعيين الذين ينصبون من أنفسهم حماة للغة العرب ، والذين يقولون أن أى تغيير يدخل على تقاليد الشعر العربى ، وهو الذى ساير الدهور قرونا وماشى مختلف الحضارات واتسع لكل ما احتاجت اليه حياة العرب السياسية والاجتماعية من أغراض هو عبث بهذا التراث ، وهو نزعة طائشة يجب أن تقاوم فى نفوس أصحابها اعنف المقاومة

وهذه ظاهرة طبيعية فى كل أمة وفى كل جيل . ولو أن المجددين والمصلحين يلقون الطريق ميسراً ممهداً أمام رسالتهم لتسابقت المدنيات ولوصل العلم إلى غاياته بل لسمت البشرية الى مثلها العليا من زمن بعيد ولكن أصحاب الجديد يحاربون فى كل عصر حربا تطول وتقصر وتشتد وتضعف حسب تقدم العصر واستعداده لقبول الجديد من الآراء والمذاهب ، ولابد من التسليم بان أوزان الشعر وقوافيه الحالية من أقوى مايحجزه عن مسايرة النهضات الحديثة . ولابد من بعض الحرية فى الترسل حتى يستطيع الشاعر العصرى أن يرضى فئة الجديد بمعالجة نظم الملاحم والقصص شعرى ، وليس فى ميسور شاعر تتتابع على ذهنه مختلف الصور أن يحرص على رقة تصورها كل الحرص اذا شغل بمراعاة القوافى المرسومة ، والملحوظ أن سبب « الحشو » الذى يتخم الشعر العربى اكثر مايرجع الى الرغبة فى المحافظة على سياق القافية . ثم كيف نطالب الشاعر بالقصد فى الفاظه وتعابيره وجعلها على قدر معانيه لايتجاوزها اذا الزمناه أن يتبع سنة تحتم عليه طائفة خاصة من الالفاظ المقفاة ؟

يقول تاجور فيلسوف الهند وشاعرها الاشهر أن الجمال أداة التعبير عن الفن ولكنه ليس الغرض المقصود منه . وهذا القول من انسب مايذكر لهؤلاء الذين يأخذون على الشعر المرسل فقدانه لجمال موسيقى القافية فى نظرهم وخروجه بذلك عن معانى الشعر مع أن للترسل موسيقاه وجماله وروعته

على أن مسألة الترسل فى الشعر والتخلى عن بحوره المعروفة أو مزجها يجب أن تكون مسألة ثانويه لاتستحق كل هذا الاهتمام لأن الشعر هو الشعر فى كل صوره وليس من المعقول أن تتحكم الابواب فى المعانى لأن المنطق الصحيح هو أن تتحيز المعانى مايروقها من مظاهر وأثواب والبساطة والقوة والطلاقة هى صفات السمو فى هذا العصر . ولنترك الشاعر يأخذ طريقه اليها فى شعر موزون مقفى أو فى شعر مرسل أو فى شعر حر أو فى شعر منثور ومن الحكمة ألا تقدم الوسائط الصناعية على الطبيعة الطلقة الخالصة

يرى الأديب الفرنسى الكبير « بول فاليري » ان على الشاعر أن يعالج مطلبا لايختلف كثيرا عن مطلب الموسيقار بينما هو محروم مما يتاح لزميله من شتى الوسائط ، لأن الموسيقى قديمة أوهى أزلية الوجود ، لان نغماتها قد وجدت مع الكون وهى تطغى على شتى مظاهر الحياة وان تمييزها من الضوضاء هو الذى أدى الى اكتشاف النغمات واستغلال عالم الاصوات . فالموسيقار لديه وسائله التى ان تكن محدودة فهى دقيقة منظمة تصور له العالم الذى يسبح فيه بفنه ، أما الشاعر فهو مضطر الى ابتداع أدوات فنه الموسيقى وليست هناك خصائص معروفة لعناصر هذا الفن ، فلا موازين لضبط الحركات والنغمات والاصوات وما لدي الشاعر من الفاظ لغوية لاتأخذ الى السمع اتجاها واحدا والكلمة الواحدة يكون لها من المعانى والنغمات بعدد من يسمعونها أو يقرأونها لانها لاترسم معنى واحدا أو نغمة واحدة فى كل الاذهان خصوصا اذا اندمجت فى الصياغة الشعرية على أن هناك شبه مقياس للمعانى والنغمات من ناحيتها العامة هو الذى يجب أن يستند اليه ناقد الشعر اذا عرض لدرس الشاعر

وفاليرى يريد أن يصل بنا إلى أن الشاعر الموفق فى معانيه وموسيقاه انما يأتى بما يشبه المعجزات وقد يكون هذا صحيحاً فللشعر الكامل اعجازه الذى لا يعرفه الا الشاعر أو من حاول الشعر !

وكان العرب يعنون بانتقاء بحور الشعر ومراعاة توافقها مع ماينظمون من موضوعات . وكانوا على الاجمال يحبون أوزاناً معينة ويؤثرونها على غيرها من الاوزان . وكانوا يعيبون من يلجأ إلى الاوزان الثقيلة المهجورة وان كانت منهم طائفة لم يكن يعجبها إلا معالجة المهجور والتفنن فى فى تنويع ما ينظم فيه من أغراض . وقيل أن أحد ملوك الاندلس كان لا يقترح على الشعراء الا بحر الخبب لاستصعابه اياه فكانوا يتبارون فيه !

وكان العرب يعنون بتخير القافية كذلك وبالملاءمة بينها وبين البحر من ناحية وبينها وبين الموضوع من ناحية أخرى . وكان حرف « الراء » احب حروف اللغة اليهم فى التقفية . ولقد بلغ

الامر ببعضهم الى القول بان كثيراً من القصائد غير الرائية لو استبدل حرف قافيتها بالراء لكان لها شأن غير شأنها الاول . وهذا كلام لا يخلو من طراقة ومن عجيب . ولكنه يصور لنا الى أي حد كانت العناية منصرفة عن معانى الشعر وفلسفته الي مظاهره والفاظه .

وليس يعنى ذلك أننا ندعو الى اغفال العناية بالموسيقى الشعريه ولكنها فى رأينا لا تحتاج الى انصراف خاص اليها من الشاعر المطبوع لأن للشعر العالى صفاء يترجم عن موسيقاه الطبيعية المتسقة إذ يفسدها التكلف كما تفسدها الصناعات اللفظية المبهرجة التى قد تطغى على جوهر الشعر

— ٣ —

وقد ذكر صاحب كتاب « سر الفصاحه » فى معرض الحديث عن القوافى فى الشعر أن بعض الشعراء « قد التزم اعادة مالا يلزم اعادته طلباً للزيادة فى التناسب والاغراق فى التماثل » وأورد عدة أمثلة على هذا الضرب من النظم ثم قال

« وليس يغتفر للشاعر إذا نظم على هذا الفن لاجل ما الزم نفسه مالا يلزمه شيء من عيوب القوافى لانه انما فعل ذلك طوعاً واختياراً من غير الجاء ولا اكراه . ونحن نريد الكلام الحسن على أسهل الطرق وأقرب السبل . وليس بنا حاجة الى التكلف المطرح . وان ادعى علينا قائله أن مشقة نالته وتعباً مر به فى نظمه »

وما من شك فى أن هذا القول انما يعنى الانصراف عن هذه القيود الى تقديم سمو المعانى وكمال الفكرة وعدم الوقوف عند هذا العبث الصناعى السخيف . ولو أن شعراء العرب كانوا يستبيحون النظم المرسل ما وصلت الينا اعاجيب الشاعر المتنطع الذي يقول

شبيه بابن يعقوب ولكن لم يكن ، يو
سف يشرب الخمر ولا يزنى ولا يو
سع بالامواه القهوة فرحا لم يكن دو
ن فى صبح وامساء ، وهذا منكر يو
شك الرحمن ان يصليه فى نار خزى هو
لنا أهل فلا يكشف عنه ربنا السو
ء فان الاخضر الابطين ذى الفحشاء لا يو
قد النار لأضياف ولو قيل ذو
دنانير واموال فيارحمن لا تو
سع الرزق على هذا الذى منظره لو
لؤ والفعل ستوق فوزن لا يو

ثم قطع الكلام على « يو » ! فاين موسيقى القافية فى مثل هذه الأبيـات التى يبلغ فيها حرص صاحبها حداً لا يتحرج من تجزئة كلمة القافية على بيتين ؟

وهل يجد مثل هذا النظم من يتذوقه ويسيغه ويتفهم معانيه ؟

— ٤ —

كان الشاعر جون كيتس وطيد الايمان بانه لا يجوز للشعر أن يهضم آراء الدين او الفلسفة أو السياسةأو غيرهالانه ينبغى ان يبقى رمزاً للجمال الخالص ولأن الشاعر فنان لا نبى ولا فيلسوف ولا داعية سياسى ، وكان يأخذ على صديقه الشاعر برس بيش شيلى نظرته الى الشعر نظرة تهذيبية انسانية ، ويأخذ عليه كذلك مثاليته العالية التى تستغل الشعر فى اثارة العواطف السامية .

وكان غريباً من كيتس هذا الرأى وهو الذى طالما تحدث عن الجمال وفلسفته فكان هو نفسه الفيلسوف المثالى المنعمق الذي لا يرضى عنه ، فضلا عن ان امتزاج روح شيلى الشعرية بالدراسات الثقافية كان امتزاجا طبيعياً مستساغا لا تكلف فيه وظهر شعره وكانما هذه الروح الفلسفية العالية جزء من فنه تزجيه موسيقاه الساحرة المشجية

وإذا كان صحيحا مايقول بعض الاطباء من أن مرض السل يشحذ الحواس وان كيتس ـ وقد انتقل اليه هذا المرض من أمه ـ كان نهماً إلى الاستمتاع بالجمال فى كل صوره ، وكان له بعض العذر فى الدعوة الى قصر الشعر على عبادة الجمال على أن ذلك لم يصرف كيتس عن معالجة ضروب من الشعر الفنى فاخرج بعض الشعر القصص والملاحم الرائعة قبل أن تعاجله المنية وهو فى عنفوان شبابه

وقد ذكرنا رأى كيتس فى الشعر وحللنا نظراته اليه تمهيداً للتحدث عن رسالة الشعر ورداً على بعض الآراء الحديثة فيه التى تقف عند نظرة كيتس اليها

والواقع ان رسالة الشعر الآن هى رسالة الادب اطلاقا . وهى رسالة الفن كذلك أو هى بالأحرى رسالة الحياة

والفكرة الناضجة أو الخاطر الموفق أو السانحة الطريفة يسجلها الادب ويسجلها الشعر وتسجلها الموسيقى ، كل منها باسلوبه ويبرزها بوسائله ويفيض عليها روحه ويحيطها بخصائصه ، فالقصيدة الشعرية هى عند القصاص قصة شائقة الفكرة ، وهى عند الموسيقى لحن ساحر النغم ، وهى عند المصور لوحة تستوقف نظر المتفنن البارع ولا معنى لاقامة الحدود بين الآداب والفنون على الاطلاق

والشعر متأثر بظروف العصر والبيئة والشاعر كانسان حى مطالب بالترجمة عن شعور البيئة والتعبير عن خوالجها ورسم مثلها العليا وفى هذا التصوير لناحية من نواحى الانسانية التى يجب أن تكون موضع هتمام أهل الفن . وليس يستطيع ناقد منصف أن يجزم بان المصور أو الموسيقى أو غيرهما من الفنانين قد سلم من تأثير العصر والبيئة

وليست رسالة الشعر إلا تصوير الحياة كما يراها الشاعر وكما يجب أن يراها . وفى هذا التصوير تفسير لهذه الحياة وبحث لأسرار الكائنات وتعبير عن الاحساس بالجمال فى النظم وموضوعاته لانه لن ينال فى هذه الحالة إلا من فنه ، فيجب أن ينضج الموضوع فى خياله وفى تفكيره وفى عقله الباطن قبل أن يتهيأ لنظمه إذا أراد ألا يفقد شعره امتيازه الفنى ، ويخطىء من يحسب أن الشاعرية هى مجرد المرانة على النظم والتقفيه وأن قوتها تساير القدرة على النظم فى أى ظرف وفى أى موضوع وهذه فكرة يجب أن تصحح عند فريق الشعراء المعاصرين الذين تتفاوت قيمة ماينظمون تفاوتا كبيرا مرده إلى دوافع النظم فشعرهم الجيد هو الذي تهيأت له الظروف التى أشرنا اليها وشعرهم الفج هو الذي نظم لمجرد اثبات المرونة على النظم وليس التفاوت فى شعر الشاعر إلا دليل الاضطرابات والاجداب . وقد قال أبو القاسم بن يحيى الامدي فى كتاب « الموازنة »

« وأما قول البحترى جيده خير من جيدى وردي خير من رديه ـ والكلام عن أبى تمام ـ فهذا الخبر ان كان صحيحا فهو للبحترى لاعليه لان قوله هذا يدل على أن شعر أبى تمام شديد الاختلاف وشعره شديد الاستواء والمستوي الشعر أولى بالنقد منه من المختلف الشعر »

وليس من شك فى أن حياة أبى تمام التى كانت تضطره الى النظم فى ظروف لايتهيأ له فيها جو الشعر هى التى جعلت فى شعره هـذا التباين الذى يعيبه صاحب كتاب « الموازنة » وتقدم عليه شعر البحترى من أجل ذلك

فكرة الله فى الفلسفة

النظرية الاجتماعية ترمى الى غاية بعيدة هى أن ترجع الى المجتمع وتفسر بالروح الاجتماعية جميع الظاهرات التى تحدثها ارادة الانسان أو يراها فكره أو يجدها ضميره وبمعنى آخر جميع مظاهر النشاط البشرى بما فى ذلك ما قد يعتقد أحيانا أن أصوله فى السماء أو فى صميم النفس الانسانية.

وتعتبر هذه النظرية الدين ظاهرة من الظاهرات الاجتماعية مثله مثل فكرة الله ، وتحاول أن ترسم خطواتها وتتبع آثارها من أول بدء الانسان بالحياة فى المجتمع وتساير تطورها ونموها حتى تبلغ منتهاها الذى هى عليه الآن

وكذلك دوركيم يرى أن فكرة الله ليست فكرة بسيطة تدرك بذاتها بالبصيرة والفطرة كما يقول بعض الفلاسفة ولكنها فى الواقع قمة تركيب ونهاية حياة متطورة ، وهو يردها الى المقدس الذى كان يعبده أجدادنا الهمج فى طور من أطوار حياتهم ، ويرى أن هذا المعبود يترجم عن روح المجتمع وقداسته وتشتق روحه من روحه

فهل حقيقى أن فكرة الله ترجع إلى فكرة أبسط هى المقدس ؟ والجواب عن دوركيم بالايجاب وتؤكده عنده الاساطير فدراستها تدلنا دلالة واضحة على أن فكرة الآله المتحققة ذاته فى شخصيته أو الآله المشخص تسبق فى العقل البشري بتصور عام قوة مقدسة غير مشخصة

وكذلك معرفة أحوال القبائل البدائية التى تناهت فى بداءتها تدلنا على أن فكرة الالوهية بمعناها مفقودة بينهم فليس الذي يقدسونه كائنا أو شيئا مميزاً له خواص مقدسة ولكنه موزع بين قوى غير محدودة ، غير متميزة الذات حقيقة بان تقارن بالقوى الطبيعية . ففى بعض المجتمعات البدائية يسود الاعتقاد فيما يسمى بالمانا « Mana » وهى قوي خفية سرية تحمل فى الاشياء والكائنات ويرجع اليها مايتميز به الشىء من قوة أو فضل ، فهذه القوى العامة غير المشخصة هى التى آلت فيما بعد إلى الآلهة كما نعرفهم

فاذا سلمنا مع دوركيم بان فكرة الله ترجع إلى فكرة المقدس العام ، وأنها كما نتصورها فكرة مركبة مشتقة من غيرها ، فيبقى أن نسأل من أين للانسان بهذا التصور عن القوة المقدسة الاولى؟ وعلى هذا السؤال يجيب دوركيم بانها تأتى من المجتمع وتتكون وتنمو فيه ، ويشرح ذلك فيقول انه فى الاعياد والاجتماعات والاحتفالات العامة حيث يلتقى الفرد ببقية المجموع ويشاركهم فيما يدعو اليه الحفل من غرض ويتأثر وإياهم بشعور واحد ، يجد الفرد احساسا بقوة جديدة يتغلغل

فيه ويسمو به ويمده بحياة لايستطيع أن يحياها بمفرده . فاذا كان بصدد التفكير والتأمل فى هذه القوة الجديدة عجز عن أن يردها إلى أصلها الحقيقى وهو المجتمع وروح الجماعة فيرجعها عقله البسيط إلى قوة غريبة خفية فوق مايتناوله عقله من النظام الطبيعى

ومما أثبت لدوركيم أن هذه القوة المقدسة هى المجتمع بالذات أمران أنها تحوز الصفات التى يتصف بها المجتمع فى نظره فهى مثله تسيطر على نفس الفرد من مكانة سامية تعلو على الجميع ، ومع ذلك يشعر بها كل فرد كما لو كانت تنبع من صميم نفسه وقلبه ، وهى قوة ليست كالاشياء الطبيعية لانه يضيف اليها صفات انسانية ويضعها موضع التجلة والاحترام

والامر الثانى الذي يدل على انتهاء فكرة الله إلى المجتمع أن التطور الاجتماعى يفترق دائما أبداً بتطور فى فكرة الله لاتخفى أوجه التشابه والتقابل بينهما

ففكرة القوة غير المحدودة الغامضة توجد فى المجتمع البدائى حيث تنعدم شخصية الفرد وتمتزج بشخصية المجموع فلا يشعر بضميره الفردي متميزاً واضحا مستقلا وعندما يأخذ هذا المجتمع فى الترقى ويبدأ انقسامه الاول الى قبائل مختلفة يوجد فى كل قبيلة مقدس خاص بها تختاره تارة فى نوع من النبات أو نوع من الحيوان تعتقد بحلول المانا فيه وهو مايعرف بطوطم القبيلة . فلما أن تقدم الزمن بهذه القبائل واجتمعت باختيارها أو بقهر بعضها للبعض الآخر وتألفت فيها سلطة واحدة لها حق السيطرة على الجميع وجد المانا العام المطلق بجانب الآلهة المبعثرة المتميزة واقترن وجوده بوجود رئيس القبيلة الاعظم

فثبت بذلك عند الاجتماعيين أن الله فكرة مركبة خضعت لتطور طويل على ممر السنين وأنها ترجع إلي أفكار أبسط منها منشؤها المجتمع بالذات

ووجه الاعتراض على الرأى الاجتماعى أن الدين يحوى من الافكار السامية مايتجاوز بسموه حدود المجتمعات مهما كان رقيها فاي مجتمع من المجتمعات يوحى بافكار هى مهما ترتقى وتتسامى تحوم حول شخصه ومنفعته ، فهى دائما مشبعة بالانانية وحب الذات وكره الغير والرغبة فى الاستيلاء والغلبة . أما الاخاء والعدالة والكمال فهى تصورات لايتأتى للمجتمع أن يبديها ولا بد لها من منبع سواه سواء أكان فى السماء أم فى جوهر النفس البشرية

ويوجد سبيل آخر للاهتداء إلى الله وهو التصوف والحال هنا يختلف عما أسلفنا وصفه فى عرض وجهتى نظر الفلاسفة وعلى الاجتماع فالله هنا ليس فكرة مجردة بسيطة نبلغها بالمنطق والفكر ولاهو فكرة مركبة يهدى اليها استقراء أحوال المجتمعات البشرية ولكنه ماهية عليا حافلة بالحياة نشعر بها فى أعماق نفوسنا ونسعد بهذا الشعور بعد جهد جهيد تتكلفه النفس فى التأمل والتسامى

ومما يلاحظ على المذاهب الصوفية أن أهلها يعنون بتلك التجربة النفسية العليا التى تجذبهم اليها جذبا عنيفا يجعلهم قليلى الاحتفال بالتقاليد الدينية المحفوظة والطقوس الشكلية والكتب والتعاليم

لانهم يجدون جميع هذا بالاضافة إلى مايشعرون بارداً لاحياة فيه ، ولهذا وجد دائما بين المذاهب الصوفية والسنية تنافر وجفاء

ولكن لامحيد للصوفية عن التأثر بالدين السائد لأن الصوفى كغيره ينشأ على دين يتأثر به شطرا كبيراً من حياته فهما تفانى فى الجوهر فلا يمكن أن ينسى ـ نسيانا تاما ـ الصور والاشكال. فهنا يمكن القول بان الصوفية كالفلسفة لاتنجو من أثر المجتمع وروحه

وبهذا ينتهى تصور الله الذى وجدناه فى بعض المجتمعات قوة عامة غير محدودة ولا شخصية إلى اله فردى شخصى حى يتفجر وحيه من قلب المتصوف العارف

وقد وجدت الصوفية تأييداً من بعض الفلاسفة أنفسهم فباسكال يقرر أنه توجد ثلاث وسائل للاعتقاد : العقل والتقليد والالهام ، والالهام وحده هو الذى يهدينا إلى الله ، وأما العقل والتقليد فيمهدان ويساعدان ويتعذر أن يوفيا بالغرض وحدهما ، فالبراهين الميتافيزيقية تمتنع على غير كبار المفكرين وحتى هؤلاء لايدوم تأثيرها فيهم إلا حين يتأملونها ، ولا يأمنون الزيغ عند انصراف عقولهم عنها إلى غيرها مما يسترعى التفكير والتأمل ، أما الشعور بالله شعوراً أبديا فيتحقق بالسمو اليه والاتصال بذاته والامتزاج بجوهره

وفلسفة برجسون تعتبر امتداداً لفلسفة باسكال وتتصل عن قرب بالصوفية

وبرجسون يتكلم فى فلسفته عن وسط تنطلق منه العوالم كالاسهم الناريه ، وهو ليس شيئا جامداً ولكنه حياة مستمرة منطلقة حرة . هذا الوسط هو الله وهو خلق حر خلق المادة والحياة وخلق الانسان ، وقد وجدت فى الانسان قوة مبدعة من شأنها أن تتم عمل الله فى الخلق والابداع فكأن قوة الله المبدعة لاتنحصر فى ذاته ولكنها تمتد إلى المخلوقات الراقية

والآن فلنسأل أنفسنا هذا السؤال : ما الذى تتركه فى النفس جميع هذه الآراء من الاثر ؟

ان البراهين العقلية تمهيد حسن و لفت قيم ولكنها لاتبلغ بالانسان درجة الاعتقاد الحقيقى ، وإنى لأجد نفسى بعد الاطلاع عليها حيث كنت من القلق والاضطراب

والرأي الصوفى يقف الانسان حياله مكتوف اليدين لانه حياة لايشعر بها إلا من يحياها ، ولكن تجربته تشمل الحياة باسرها وهى أعز من أن يجازف بها الانسان

على أن الله موجود فى صميم القلب بمعنى آخر اذ توجد عاطفة التدين فى النفس الانسانية وهى شعور انسانى جوهره السمو ومظهره آيات التقديس والجلال التى نعبدها فى النفس والطبيعة وقد يغالى الاجتماعيون عند مايردون هذا الشعور الى المجتمع كماقد يخدع الفلاسفة عند مايتصورونه أفكارا مجردة قوامها المنطق

نعم ان الله الذي تعرفنا به الكتب المقدسة فوق كل برهان أو دليل ولا حيلة للانسان فى الايمان به أو الانكار له ولكن يبقى لنا ايماننا الطبيعى الذي به نقدس ونقيد كل جليل وجميل فى النفس والكون

نجيب محفوظ

مغزى الآلات ومستقبلها

لسلامه موسى

الآلات الآن هي ركن الحضارة الحديثة . وهى كذلك سواء أكانت للخير أم للشر . ويمكن أن تقاس الامة المتحضرة بمقدار ما عندها من آلات مختلفة كأن تقول مثلا أن هذه الامة اكثر حضارة من تلك لان متوسط ما تنفقه من الوحدات الكهربائية أكبر . أو لان عدد الموطرات التى تستعملها فى المصانع أو الطائرات أو حتى الاتومبيلات أكبر . وهذا كما نقول ونكرر أنه مقياس للحضارة فقط سواء أكانت للخير أم للشر . فان الحضارة الآلية تحتوى على كثير من الشرور . ولكنها هى الحضارة المتفوقة السائدة الكاسحة التى تهزم كل من يعترضها

ويمكننا أن نعرف أن الآلات هى ركن الحضارة الحديثة من ناحية واحدة هى اسوأ نواحيها وهى أنها الاصل لمعظم المشكلات الحديثة الخطيرة . ففى العالم الآن مثلا أربع مشاكل متداخلة الواحدة فى الأخرى أو محدثة الواحدة للاخرى وجميعها ترجع الى الآلات

١ ـ أولى هذه المشكلات التى تبرز أمامنا سببا قويا للحرب أو النزاع المستمر سواء فى الشرق الاقصى أو البحر المتوسط أو غيرهما هذه الحاجة التى لا تنقطع للمواد الخامة . فان المصانع التى تديرها هذه الآلات تحتاج الي الفحم والبترول والصوف والقطن والحديد والنحاس والنيكل . والامة الصناعية التى تتمتع أو تكابد حضارة الآلات ترضى بان تضحي بأى شىء للحصول على هذه المواد ولو ساقتها هذه التضحية الى الحرب

٢ ـ والمشكلة الثانية هى كثرة الانتاج . فان الآلات لا تعمل كالانسان بيد من لحم ودم يصيبها الاعياء أو تحتاج الى الراحة . إذ هى حديد ونار يمكنها أن تعمل ٢٤ ساعة فى اليوم على طول العام تقريبا . ولذلك فانها تنتج انتاجا هائلا تزحم به الاسواق أو لا تجد من يشترى منتجاتها الكثيرة

٣ ـ مشكلة ثالثة هى استغنائها عن عدد كبير من العمال . لان المخترعين يوالونها بالاختراعات المطردة وغايتهم أن يقتصدوا فى التكاليف . واكبر هذه التكاليف هى بالطبع أجور العمال . فالمخترع يعصر ذهنه لكى يقتصد فى أجرة العامل باستخدام أقل عدد ممكن ويجعل الآلة بحيث تعمل

وحدها أو كأنها كذلك باشراف عدد قليل من العمال . فتكون النتيجة تكاثر العاطلين

***

والآلات هى السبب لكل هذا . سبب لحرب الاستعمار وسبب كثرة الانتاج والعطل والمغزى أن الآلات متقدمة والاجتماع متأخر وبكلمة أخرى قد كثرت مخترعات الآلات ولكن ليس هناك مخترعات اجتماعية تجارى التقدم فى الآلات . فمثلا قاعدة الذهب للنقود كانت من المبادىء الاقتصادية التى تخدم الهيئة الاجتماعية التى تعيش على الزراعة . وهى هيئة قليلة الانتاج قليلة الاستهلاك فكان يكفيها مقدار من النقود لا يكاد يزيد سنة بعد أخرى . ولكن الهيئة الاجتماعية التى تعيش على الصناعة أى صناعة الآلات تكثر من الانتاج فهى فى حاجة الى مقدار كبير جدا من النقود لكى تشترى ما أنتجته . فانها تملك الآلات التى تنتج فيجب ان يكون لديها من النقود ما يكفى لشراء ما أنتجته

ولكن الواقع الآن أن النقود القائمة على قاعدة الذهب أو حتى التى خرجت عنها ولكنها تشتبك بها من بعيد لا تكفى للموازنة بين المستهلكين والمنتجين

ومثل آخر . هذا الالتزام للطرق القديمة فى استخدام العامل معظم النهار كأنه فى بيئة زراعية تطلب منه أن يكدح ويتعب . مع أن المصانع يمكنها أن تقنع من كل عامل بساعات قليلة جدا بالمقابلة الى عمله الحاضر . وهى لو فعلت ذلك لاستخدمت العاطلين

ومثل ثالث : هذه الفاقة العامة بين طبقة كبيرة من الامة هى فاقة تبدو فى سوء المسكن والملبس وقلة وسائل الرفاهية مع أن الحضارة الصناعية يمكنها أن تكفى كل فرد فى الامة حاجاته الى الرفاهيه بل الى ألوان من الترف هى الآن مقصورة على طبقة صغيرة من الاغنياء

***

يجب أن تخترع المخترعات الاجتماعية لكى تلائم المخترعات الآلية . لان الآلات على خطورتها لا تقف إذ هى فى تقدم مطرد . فاذا ترك الاجتماع على ركوده وبقيت الآلات فى تقدمها فان الانفصال ينفرج بين الاثنين حتى يعود هوة عميقة

***

ويمكننا أن نبين ما نقصد اليه من مغزى الآلات وضرورة اختراع المخترعات الاجتماعية بما حدث فى آلات الحرب . فان هذه الآلات تقدمت تقدما عظيما جدا كما نعرف أو نسمع عن

الاساطيل البحرية والجوية والغازات . ولو تركت هذه الآلات تتقدم بروح المباراة بين الدول وطمع كل منها فى التوسع والاستعمار لاصبحت خطرا لا يقاس اليه خطر الاوبئة والطواعين والمجاعات

ولكن الامم الحربية الكبرى فطنت الى أنه يجب أن يخترع من المخترعات الاجتماعية ما يمكن أن يمنع خطر هذه الآلات . فكانت من ذلك عصبة الامم

عصبة الامم هى اختراع اجتماعي يراد به أن يقلل من خطر الآلات الحربية أو أن يزال هذا الخطر عن سبيلها

* * *

وهذا هو ما يجب أن يكون فى سائر المخترعات الآليه . فان المصانع التى تخترع المقادير العظيمة من الادوات والسلع والبضائع مع أنها لا تعمل إلا بأقل عدد من العمال يجب أن تجد اختراعا اجتماعيا جديدا يلائم تقدمها فى اختراع الآلات حتى تستوعب الامة منتجاتها . وهذا الاختراع الاجتماعى يجب أن يتجه نحو زيادة القدرة عند الجمهور على شراء هذه المنتجات . لان الالات اذا اطردت فى تقدمها وبقى الاجتماع راكدا لم تثمر هذه الحال غير العطل والفاقة مع وفرة الانتاج . وعندئذ لا يكون غير السخط والاضطراب

* * *

ان العالم المتحضر هو الآن فى دهشة المخترعات الآلية وهو يقاوم المخترعات الاجتماعية لانه لا يحب ان يفارق عاداته وما الف من عيش . ولكن رويدا رويدا تبرز هذه الحقيقة المؤلمة حتى للعامة وهى التطور السريع فى المخترعات الآلية والبطء بل الركود فى الاجتماع

لقد مات قبل أشهر شاعر أديب ارلندى هو جورج روسل . وكان هذا الشاعر مصلحا اجتماعيا يطلب نقل الحضارة من المدينة الى القرية وكان يرى أن العالم قد وصل الى حال من التطور تمكنه من أن يجمع بين جمال الطبيعة فى الريف وبين وسائل الرفاهية فى المدينة . وقد حاول أن يحقق هذا الخيال الجميل فى ارلندا عن طريق التعاون . ولكن التعاون مع أنه من أثمن المخترعات الاجتماعية الحديثة - لا يكفى للانتفاع بكل ما أثمرته الآلات من متع . ولابد من اصلاح النقد ومن تدخل الحكومة بالاشراف والمراقبة فى توزيع المنتجات

* * *

وليس اليوم بعيدا إذا عنيت الحكومات بالمخترعات الاجتماعية كما عنى أصحاب المصانع بالمخترعات

الآلية أن تصل الهيئة الاجتماعية فى وقت قريب الي المساواة بين الانتاج والاستهلاك . فما تخرجه المصانع لا يتكدس فى المخازن بل ينقل الي المنازل للاستمتاع . فان العقدة القائمة الان هى الوصول الي ايجاد المقدار الكافى من النقود لايصال المنتجات الى المستهلكين

وليست هذه العقدة كبيرة . ولا هي مما تحتاج الى ثورة أو قلب النظام الاجتماعى . ولكن كل مافيها أنها تخالف المألوف . وليست النقود فى ذاتها ثروة وانما هى وسيلة لنقل الثروة من شخص الى آخر . فالتنقيح والتبديل فى هذه الوسيلة ضروريان كلما طرأ طارىء يؤخر هذا النقل .

وهذه الأزمة التى لايزال العالم يكابد اثارها لم تجد من كل العلاجات التى عولجت بها ما كان مخففا من هذه الاثار سوى زيادة النقد فى ايدى المستهلكين فان الأمم الكبرى مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا اخترعت الوسائل لايصال النقود الى ايدي الجمهور لكى يجد القدرة على شراء المنتجات . وحتى عند ما لم تجد العمل الذي تطلبه جزاء منح النقود منحتها بلا جزاء . فالعاطل يحصل على جزاء نقدى على عطله . والشيخ الذى فات الستين أو الخمسة والستين يحصل على جزاء نقدى بلا مقابل . ولولا هذه المخترعات الاجتماعية لفدحت الازمة وكنا عندئذ نرى جماهير عظيمة من الناس يموتون من الجوع أو العرى فى الوقت الذي تمتلىء فيه المخازن بالقمح والاقمشة

***

وكل يوم يزيد الآلات قوة التفشى . فان القوة الكهربائية قد الغت الخدم من الولايات المتحدة الغاء يكاد يكون تاما وهي تغزو الريف بعد أن غزت المدن . ثم هذه القوة نفسها تزداد تفشيا لان طريقة توليدها من الفحم تنخفض سنة بعد أخرى فى التكاليف حتى انها الآن لا تبلغ نصف تكاليفها سنة ١٩١٥ . وقد حولت القوة الكهربائية المنازل الراقية الى مصانع صغيرة تبرد وتدفأ وتضاء وتنظف وتتصل بانحاء المدينة بل بانحاء العالم تحت الطلب . وهى مع ذلك فى بدايتها . والممكنات المنتظرة منها فى المستقبل القريب تكاد تتجاوز الخيال . وأقل ما يقال فيها أنها سترفع مسكن الفقير وتزوده بميزات المسكن الغنى . وأنها ستؤدى لكل فرد من الخدمات مالا يقوم به عشرات الخدم

وقد ذكرنا « مسكن الفقير » ولكن تقدم الآلات الحاضر يجب ألا يترك مكانا للفقير فى العالم لان الآلات تستطيع أن تغمرنا بأكثر من حاجاتنا من الطعام واللباس ووسائل النقل والاستمتاع

وتقدم لنا أحسن المساكن وأجمل المدن . وهذا بشرطين اثنين الأول أن نترك هذه الالات تعمل بنشاطها الكامل فى الزراعة والصناعة حتى تنتج أقصى ما يمكنها . والثانى أن نخترع من المخترعات الاجتماعية ما يمكننا من ايصال منتجاتها الى الجمهور

وهذان الشرطان للاسف لا وجود لهما . فان المصانع معطلة . وعطلها يعنى عطل العامل . ثم هو يعنى أيضا حرمان الجمهور من منتجاتها . وهى لو عملت وأخرجت منتجاتها لما وجد الجمهور النقود لشرائها .

* ٥ *

وجميع الأمارات تدل على أن الآلات تزداد قوة وأن هناك مصادر مثل الرياح والمياه الساقطة وغيرها لم تستغل . وهى عند ما يمكن استغلالها ستجعل الانتاج أكبر مما هو الآن . فاذا لم يكن هناك نظام للتوزيع يتكافأ وهذا النظام للانتاج فان الفاقة تزداد وسط الثروة . وعندئذ لا يكون غير الاضطراب

ادوارد لى ثورنديك

ولد ثورنديك فى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٧٤ وبدأ حياته العملية عام ١٨٩٨ بالتدريس فى جامعة كلومبيا حيث تألق نجمه وذاع صيته بفضل بحوثه الدقيقة فى علم النفس فهو واضع اساس علم النفس التجريبى وقد استعان به فى اكثر بحوثه العلمية التى تزيد على الاربعمائة جمعت بين دفاتها خير ما أخرج العقل البشرى لاسمى العقول البشرية وكشفت ما غمض من أسرار الطبائع الانسانية .

وله أكثر من أربعين مجلداً وصفها احد العلماء الافذاذ بقوله « ان هذه المجلدات الكبيرة ، بما دون فى بطونها من الارقام ، وماحوته صفحاتها من التجارب العلمية لم يستطع أحد من العلماء طيلة خمس وثلاثين سنة الى يومنا هذا أن يطعن فى صحة حرف منها أو يبرهن على عكسها او يستدل على عدم توخى صدق والدقة فيها »



ادوارد لى ثورنديك

لاشك أن ثورنديك زعيم علماء النفس بلا منازع فانت لا تقرأ كتابا من كتب التربية أو بحثا فى علم النفس دون أن تجد فيه أثرا من أثار ثورنديك للاستشهاد برأيه أو للايضاح

وقد فطنت حكومة الولايات المتحدة الامريكية لعبقرية ذلك الرجل فلجأت اليه فى الحرب العظمى ليعاونها على تنظيم الجيوش اذ عينته رئيس اللجنة المنوط بها الفحص عن الجنود فحصا علميا سيكلوجيا وتوجيه كل واحد للعمل الذى يحسنه ويجد فى أدائه اشباع ميوله ورغباته وقد أدى عمله على اساس علمى منظم

ويرجع الفضل الاكبر فى شهرة جامعة كلومبيا ومكانتها السامية بين جامعات العالم الي مجهودات ثورنديك العلمية . وهو مازال بها مديرا لقسم الابحاث النفسية بكلية المعلمين . وهذه المجهودات ثروة كبيرة يغذى بها علم النفس فقد اخرجته من العلوم التخمينية الافتراضيه الواهية الاساس الي العلوم الدقيقة المشيدة على دعامة متينة من التجارب المعززة بالارقام والشواهد

واذا كانت مباحث ثورنديك متشعبة النواحي لايحدها حصر فانه عنى عناية خاصة بدرس مقدرة الانسان على التعلم ، نشأتها وتطورها والعوامل التى تؤثر فيها والزمن الذي تبلغ فيه أشدها ثم هبوطها ومقدار ذلك الهبوط وأسبابه الى هذا البحث الذى تتوقف عليه الحضارة الانسانية اذ هي ثمرة النبوغ الانسانى بدرس الظاهرات الذهنية فى الحيوان فابتكر لذلك طريقة التيه او اللبرنت « بيت جحى » وهى ذات مسالك متعددة ولكنها ذات مخرج واحد . فيبدأ الحيوان بالطريق التى تصادفه وعندما لا يجدها تؤدى الى المخرج يجرب غيرها وهكذا الى أن يعرف الطريق المؤدية الى الباب . ومتى تكررت هذه التجربة ، يقل الزمن الذى يوفق فيه الى العثور على الطريق السوى وينقص عدد المحاولات تدريجيا حتى يمكنه معرفة الطريق الصحيحة من أول مرة وتعرف هذه « بالتعبيث »

ما استنتجه ثورنديك من نقص محاولات الحيوان كل مرة حتى يهتدى الي المخرج :

قوانين التعلم

١ — قانون التكرار أو الاعادة أو التمرين

٢ — قانون الاثر النفسى

٣ — قانون الرغبة (الاستعداد)

تطبيق هذه القوانين فى المدرسة

التعلم فى الكبر

لمؤلفه ادوارد لى ثورنديك

يشمل هذا الكتاب نتيجة تجارب وأبحاث سنتين . والغرض منه تقرير حقائق عن مدى التغيرات التى تطرأ على مقدرة الانسان علي التعلم من سن الخامسة عشر الى سن الخامسة والاربعين

ولهذا البحث أهمية خاصة للمعاهد العلمية والخيرية كجمعية الشبان المسيحية والمدارس الليلية ومدارس المراسلات التى تضخم بين جدرانها عددا عظيما من الشباب والكبار الطامحين فى مواصلة التعلم . ومدرسو هذه المدارس فى حاجة الى تفهم عقلية طلابهم ومبلغ تأثرها بالسن والا لما استطاعوا القيام بواجبهم على أحسن وجه . ولا يمكن الاعتماد على مبلغ تقدم طلبة هذه المعاهد لاستخلاص نظرية ثابته عن التعلم فى الكبر فانه يجب مراعاة كافة الظروف التى تحيط بهؤلاء الطلاب . فهل هم من الافراد الاذكياء الشغوفين بازدياد معلوماتهم ام هم من البلداء الذين قضوا وقت الطفولة والصبا فى اللهو واللعب فكان عليهم ان يحصلوا فى الكبر ما فاتهم فى الصغر ؟

هذه اسئلة لم يستطع الاجابة عليها علم النفس او علوم التربية . وليس أمامنا سوى أمثلة بالية لاتستند الى العلم فى شىء كقولهم « التعلم فى الصغر كالنقش على الحجر » وكقول جيمس « كل مايتعلمه المرء قبل سن الخامسة والعشرين هو فقط مايبقى عنده ويؤثر فيه كل حياته اى ان الانسان لا يستطيع ان يتعلم شيئا جديدا بعد تلك السن فان حب الاستطلاع — على مايقولون — يكون قد خمد ، وتكون الخلايا الذهنية قد تكونت واستقرت ، وتكون قوة هضم المعلومات قد وهنت . وهناك رأى سائد آخر يقول « كلما زاد عمر المرء بعد البلوغ قلت مقدرته على التعلم وزادت يقظته ومقدرته على استخدام معلوماته . غير أن العلم لم يصل الى رأى قاطع أو نظرية يمكن الاعتماد عليها تثبت أن مقدرة التعلم فى الطفولة والمراهقة أقوى منها فى الشباب والكهولة . ومباحث هذا الكتاب تضع أمامنا نتائج التجارب التى قام بها ثورنديك فى هذا الشأن وهو يترك للعلم فى المستقبل تأييد نتائجه أو مناقضتها

اذا كان علم النفس لم يقرر الى الآن وجود علاقة بين العمر والمقدرة على التعلم فان سجلات المشتغلين بالتربية مفعمة بحقائق عن تعلم المتقدمين فى السن بسرعة كبيرة وفى نواح متعددة كضبط الاعصاب ، والمهارة اليدوية ، ودقة الملاحظة « واكتساب عادات عقلية ، وقد أثبتت التجارب التالية هذا التقدم

ضبط اعصاب الحركة

طلب من المجربين عدم تحريك رموش العين عند ضرب جرس أمام عيونهم فتقدموا كلهم بعد عدة محاولات . واليك نتيجة احدهم عن مقدار نجاحه فى كل مائة مرة ضرب فيها الجرس على التوالى صفر ، صفر ، ٢ ـ ٤ ـ ٤ ـ صفر ـ ٨ ـ ٢ ـ ٦ ـ ٤ ـ صفر ـ ٨ ـ ٤ ـ ٢١ ـ ٣٢ ـ ٦٥ ـ ٣٩ ـ

٨١ ـ ٨٣ ـ ٧٧ ـ ٩٢ ـ ٨٦ ـ ٩٩ ـ ٨٨ ـ ٩٨

دقة الملاحظة : أعدت ورقة بها أرقام بينهـا اصفار . وطلب الى المجربين أن يضربوا على كل صفر فيها فى أقل وقت . فكانت النتيجة فى بادىء الامر شطب ٤٥ صفرا فى دقيقة وبعد اعادة الاختبار عشرين مرة استطاعوا شطب أصفار بسرعة ١٠٠ فى الدقيقة

تكوين عادات بسيطة : استعمل الآلة الكاتبة « التايبريتر » روعى فى الممتحنين ان يكونوا ممن لم يسبق لهم استعمال « التايبريتر » وأعطيت لهم قطعة مكتوبة لنقلها على الآلة الكاتبة فى أقل زمن فكان متوسط التحسن من ٣٠ كلمة فى الدقيقة الى ٩٠ كلمـة بعد تمرين ١٥ ساعة ثم بلغت نهاية التحسن الى ١٦٠ كلمة فى الدقيقه

تـكوين عادات عقلية بسيطة . كان موضوع هذه التجربة أشخاص تتراوح سنهم بين الثانية عشرة والخامسة والثلاثين وطلب منهم جمع أرقام لمدة سبعة أيام أعطى لـكل منهم ورقة فى اليوم بها ٤٨ عدداً كل عدد من ١٠ أرقام فـكانت الاوراق السبع التى أعطيت لهم فى السبعة الايام متشابهة فوجد ثورنديك فى اليوم السابع تحسنا واضحا فى سرعة الجمع وعدم الخطأ

تحسين الذاكرة . تجربة استظهار قائمة كلمات عددها ٤٨ (لا معنى لها) وكل كلمة مكونة من ١٢ مقطعا وأعطي لهم كل يوم أربع كلمات فاستغرق فى استظهار كلمات اليوم الاول اعادتها ١٢ مرة بينما استغرق استظهار الاربع كلمات الاخيرة اعادتها ٤ مرات

تدل نتائج هذه التجارب على أن للـكبار مقدرة على التعلم وانهم يتمتعون بغرانة ذهنية كالصغار

مقارنة بين المقدرة على التعلم عند الـكبار والصغار

أجريت تجارب عدة على عدد من الـكبار وعدد آخر من الصغار تحت مؤثرات واحدة من بيئة مماثلة لمعرفة الفرق بين مقدرة التعلم عند كل منهما

١ ــ ثلاثة أشخاص عمر كل منهم ٣٢ سنة وثلاثة آخرين عمر كل منهم ٢١ سنة طلب منهم رمي كرة فى سلة فـكانت نسبة الاصابات للمجموعة الاولى ٢٨٫٣ ٪ وللثانية ٢٥٫٨ ٪

٢ ــ أفراد التجربة أطفال ومراهقون وشباب من طلبة الـكليات وكهول تتراوح أعمـارهم بين ال ٦٠ ــ ٨٠ وطلب منهم تتبع رسم فى أيديهم معـكوس فى مرآة على أن ينظروا فقط فى المرآة . فرأى تحسـنا ظاهرا فى الأول سماه المقـدرة على المطابقة وتحسنا بطيئا فى المراحل الاخيرة سماه « المقدرة على الثبات » ورأى أن قوة ثبات الطفل ٨ سـنوات تبلغ ٦٥٫٠ ٪ منها في

المراهق وهى فى طفل عمره عشر سنوات ٧٥ ٪ منها فى المراهق وشوهد ان تصور الكبار على المطابقة أقل منها فى الصغار

٣ — الذاكرة . تجربة استظهار عبارات خاصة . والنتيجة تدل على أن الكبار أقدر فى هذا الميدان من الصغار مع العلم بأن المرء فى سن ال ٢٠ ـ ٢٥ أقدر على الاستظهار منه فى أى سن اخرى

٤ — المقدرة على تعلم لغز حسابي . وكان الممتحنون من طلبة الكليات مع طلبة المدارس الابتدائية (١٣ ـ ١١ سنة) وروعى فى اختيار كل من الفريقين أن يكونوا من الاذكياء . وكان فوز أقدر الاطفال مماثلا لفوز أقدر طلاب الكليات . وأجريت نفس التجربة على (ك) البالغ عمره ١١ سنة وأبيه دكتور فى الفلسفة وقد تعلم الابن ٧٦ مسألة بعد ١٤٦ محاولة وتعلم أبوه ٨٩ مسألة بعد ١١٦ محاولة

نستطيع أن نستنتج من التجارب التى ذكرتها الحقائق الثلاث الآتية :

١ — إذا كان هنالك فرق فى مقدرة التعلم فى الكبار والصغار فهو فرق ضئيل اذا قورن بالفروق التى نشاهدها بين أفراد كل من الجماعتين على حدة

٢ ـ اذا كانت جميع العوامل والمؤثرات مماثلة فى جماعتين لا فرق بينهما الا اختلاف السن أى ان تتكون الاولى من الصغار والاخرى من الكبار فان الفرق فى المقدرة على التعلم بين هاتين الجماعتين يكاد يكون صفرا

٣ ـ تدل جميع التجارب ونتائجها التى وصل اليها الباحثون فى هذا الموضوع ان فى كبار السن كما فى الصغار نسبة متعادلة بين متفوقى الذكاء ومتوسطيه وقليلى الذكاء

لا تغنى التجارب السالفة عن مقاييس أدق لمعرفة فرق المقدرة على التعلم وذلك أولا بقياس نسبة التقدم فى التعلم وثانيا قياس الذكاء ثم مقارنة نسبة التقدم عند مماثلى الذكاء من الصغار والكبار

أجريت لذلك عدة تجارب فى مختلف العلوم كالقراءة والكتابة والحساب والجبر واللغة الانجليزية الخ

الكتابة باليد الشمال : من ٢٠ ـ ٥٧ وجد فرق طفيف بين الصغار والكبار فمع أن تحسن

الصغار فاق فى أول الامر تحسن الكبار فان استمرار التحسن عند الاخيرين كان أكثر منه عند الاولين

تعليم الاسبرنطو : أختيرت اللغة الاسبرنطية لانها لغة جديدة يتساوى فى جهلها الطفل والرجل ويبين النجاح فى دراستها مقدرة متعلمها على الدراسة المنطقية الذهنية المنظمة فى كافة الدراسات الاخرى . وكان موضوع التجربة ٤٨ طالبا من طلبة احدى الجامعات تتراوح أعمارهم بين العشرين والسابعة والخمسين . وكانت مدة الدراسة عشرين ساعة ، عشر منها فى الفصل وأخرى فى الدراسة الفردية خارج الفصل . ثم أخذت النتيجة وقورن بين الطلبة بعد تقسيمهم الى جماعات ثلاث باعتبار أعمارهم وكان عدد الجماعة الاولى ١٨ (٢٠ ـ ٢٥ سنة) والثانية ٩ (٢٦ ـ ٣٤ سنة) والثالثة ٢١ (٣٥ سنة الى مافوق) وكان جميع الافراد متساوين فى الذكاء . فأحرزت الجماعة الاولى ٥ر٣١ ٪ والثانية ٣ر٢٦ ٪ والثالثة ٧ر٢٤ ٪ وكان الاختبار الذى أعطى لهم أربعة أنواع تركيب جمل وأسئلة تحريرية ، وأخري شفوية ، وقراءة . ويرجع تفوق الجماعة الصغيرة السن إلى تفوقها فى الاختبار الشفوى أما الاختبارات الاخرى فلم يكن فرق يذكر . ودلت اختبارات أخرى على ان الصغار (٢٠) سنة يفوقون الكبار فى المسائل المنطقية الشفوية . ودلت اختبارات أخرى علي ان مجموعة من الطلبة تتراوح أعمارها بين (٩ ـ ١٨ سنة) درست الاسبرنطو فى ضعف المدة التى درسها فيها المجموعات الثلاثة التى أشرنا اليها وكان مقدار تحصيلها نصف محصول الكبار . وهذه النتيجة تعارض الرأى القائل ان أنسب وقت لتعليم لغة من اللغات (قراءة وكتابة وفهما) هو وقت الطفولة ويليه فى الاهمية وقت المراهقة (١٣ ـ ١٩ سنة)

مقدرة التعلم عند ضعيفى الذكاء

أجريت عدة تجارب على ضعيفى الذكاء من المسجونين فى سجن سنج سنج حيث يقسم نزلاء السجن الى سبع جماعات حسب تفاوت درجة الذكاء . وقد وجد أن قليلي الذكاء فى سن الأربعين أقدر على التعلم منهم فى سن الطفولة والمراهقة . وهم فى تلك السن أقل مقدرة عنهم فى سن العشرين بمقدار زهيد جدا يقدرونه بنصف فى المائه

مقدرة التعلم عند متفوقى الذكاء

اثبتت التجارب أن مقدرة التحصيل عند الطلبة البالغين من العمر ٣٠ عاما أو أكثر تفوق

مقدرة الطلبة بين (١٤ـ١٦ سنه) وتزيد قليلا على مقدرة طلبة (١٧ـ١٩سنه) وتماثل مقدرة من فى سن (٢٥ـ ٢٩سنه) وتقل قليلا عن الطلبة الذين بين (٢٠ـ ٢٤سنه) . هذه نتيجة أجريت على ٨٨٦ طالبا من طلبة مدرستين ليليتين . أما الذكاء فوجد أن مجموعة الثلاثين فما فوق أعلى المجموعات ذكاء وتليها مجموعة (٢٠ـ ٢٤ سنه) وتقل عنهما مجموعتا (١٤ـ١٦) ، (١٧ـ١٩) تكادان تتماثلان. أما فيما يختص بالمواظبة فكانت مجموعة الثلاثين فما فوق الاولى أيضا

ماذا يقول المتعلمون عن مقدرتهم على التعلم

نتائج التجارب السابقة تدل دلالة واضحة على أن فى مقدور الكبار أن يتعلموا بسهولة وسرعة غير أن المشاهد يخالف هذه الحقيقة . فلنا أن نتساءل عما عساه يكون السبب فى تأخر الكثير ما دامت المقدرة على التعلم متوافرة . وللاجابة على هذا السؤال رأينا أن نستطلع رأى عدد كبير عن اختبارهم الخاص بمقدرة التعلم منذ الطفولة حتى الوقت الحاضر . وضعنا لهذا الغرض ٨٣ سؤالا وجهناها الي ٣٩ شخصا مما يزيدون على الاربعين عاما ، ٤٣ شخصا ممن تتراوح اعمارهم بين (٣٠ـ٣٩سنه) ، ١٧ شخصا من (٢٠ ـ ٢٩ سنه) وتوخينا أن يكون بين المجموعة التى وجهت اليها الأسئلة مدرسون وفنيون وبعض ربات البيوت وغيرهم ممن أخذوا نصيبا متساويا من التعليم الجامعي . أما الاسئلة الموجهة اليهم فانى سأذكرها حرفيا لاهميتها وعسى أن يكون « بيننا » من يريد أن يجيب عليها لفائدته الشخصية

متى « فى اى سن » تسلمت مايأتى . واذا كنت لم تتعلم هذه الاشياء فاذكر اذا كنت تستطيع تعلمها الآن

أسئله ١ ـ ٤٠ متى تعلمت السباحة ، الانزلاق على الجليد ، الرقص ، قيادة السيارات ، التجديف ركوب الخيل ، ركوب الدراجه ، التوقيع على البيانو ، والكمنجه ، والكتابة على الآله الكاتبة ، أكل الطماطم ، شرب الشاي ، القهوة ، المسكرات ، التدخين ، ابطال شرب الشاى ، القهوة المسكرات ، التدخين ، قراءة فرنسى ، الماني ، لاتينى ، تكلم الفرنسية ، الالمانية ، اللاتينية ، الاختزال ، لعب الشطرنج ، الخطابة فى الجمهور ، س ٤١ ـ ٨٣ الغرض من الاسئلة التالية هو معرفة السن التى استطاع فيها هؤلاء تغيير آرائهم أو خططهم بازاء مسائل خاصة

٤١ ـ هل تخاف أو تتضايق من الرعد

٤٢ ـ هل كنت فى اى وقت مضى تخاف أو تتضايق من الرعد

٤٣ ـ فى اي سن أمكنك التغلب على الخوف والمضايقه

٤٤ ـ هل تخاف أو تشمئز من الثعابين (٤٥) . . . . . (٤٦) . . . . .

٤٧ ـ هل تخاف أوتشمئز من رؤيه الفيران (٤٧) . . . . . (٤٩) . . . .

٥٠ ـ هل يزعجك منظر أو رائحة الدم (٥١) . . . . . . (٥٢) . . . .

٥٦ ـ هل انت عضو فى هيئة دينية أو كنائسية (٥٧) فى أى سن اصبحت عضوا فى الكنيسة

٥٨ ـ هل انت مواظب على الذهاب للكنيسة (تحضر ٣٠ مرة فى السنة على الاقل)

٥٩ ـ اذاكان جوابك بالسلب ففى اى سن انقطعت عن مداومة الذهاب للكنيسه

٦٠ ـ هل تعتقد أن يونان عاش فى بطن الحوت (٦١) هل اعتقدت ذلك يوما ما (٦٢) متى يثبت رأيك

٦٣ ـ هل تعتقد أن يهوذا الاسخريوطى ونيرون ومن على شاكلتهم يقاسون الاما جسيمة فى مكان يسمى جهنم

٦٤ ـ هل اعتقدت ذلك يوما ما (٦٥) فى اى سن غيرت رأيك

٦٦ ـ هل تعتقد انك بعد موتك ستحيا مرة أخرى فى عالم يشبه عالمنا حيث ترى وتسمع وتتكلم وتلعب وتتحرك مع أشخاص آخرين (٦٧) هل اعتقدت بهذا يوما ما (٦٨) ومتى غيرت رأيك

٦٩ ـ هل تعتقد أن اليهود لا يستحقون التقدير والاحترام مثل المسيحيين ـ (٧٠) . .(٧١)

٧٢ ـ هل تعتقد أن انجلترا كانت مخطئة على الاقل ٨٠ ٪ والمستعمرات كانت على حق ٨٠ ٪ فى المنازعات التى ادت الي حرب الثورة

٧٨ ـ هل تعتقد الان أن الحزب الجمهورى اسمى وأرفع شأنا من الحزب الديموقراطي . . . هل تعتقد العكس ؟

وكانت نتيجة الاجابات باختصار كالآتي :

تعلم السباحة والانزلاق والرقص (وهي تمثل المقدرة علي تعلم الالعاب الرياضية) تحدث فى أى عمر حتى سن الخمسين حسب تأثير العادة والميل الشخصى فان تعلم السباحة غالبا يأتى متأخرا لاسيما عند السيدات وكذلك الرقص لاسيما عند الرجال . ويستخلص من الاجابة أن الرأى السائد هو صعوبة تعلم اى نوع من الرياضة بعد سن الاربعين

حنا رزق

بانتالمون رومانوف

ليلة من الربيع

— ١ —

يخال لى أننى لم أرج الربيع بمثل هذا الصحو والاعتدال من قبل
ولكننى ياعزيزتى فيروشا أشعر بحزن عميق
أشعر باننى حزينة أو مريضة أو كانما أتيت امرأً ادا

وهاانذا أرى زجاجة مكسورة الرقبة فى نافذة غرفتى ... بها فرع ذابل من زهر الكريز أحضرته معى ليلة أمس . . . لست أدري لم أشعر برغبة ملحة فى البكاء كلما وقع بصرى على تلك الزجاجة

سأعتصم بالشجاعة وأخبرك بكل شىء . منذ عهد قريب تعرفت الى صديق طالب بجامعة أخرى يقول أننى خالية من العاطفة خلوا تاما ... بعيدة عن الاسف على براءتى الضائعة ... بعيدة عن الشعور بوخز الضمير « لسقطتى » الاولى ... ولكننى مع ذلك أملك شيئا غامضا مبهما لايستطيع أن يصفه أو يحدده

وسوف أخبرك فيما بعد — بصراحة لايشوبها الخجل — كيف حدث كل هذا ... ولكننى أحب أولا أن أتوجه اليك ببعض أسئلة وأرجو أن أسمع أجابتك عنها

عندما عرفت بول واتصلت به لاول مرة ... ألم تشعري بان اليوم الذى نعمت فيه بحبك الاول هو يوم عيد لديك ؟ . أو أنه على الاقل يخالف بقية الايام بالنسبة لك ؟

هلا كنت تعدين مثلا ان الخروج فى مثل هذا اليوم الزاهر من حياتك بحذاء قذر أو رداء ممزق عملا حاطا بك أو مذلا لك؟

اننى أتوجه اليك بهذا السؤال لانى أرى أن كل معارفى ... كل من هم فى سنى ... يرون فى هذا الامر رأيا غير الذى أرى . ولكننى لا أجد فى نفسى من الشجاعة والجرأة ما يحفزنى على العمل بحسب ما أشعر واعتقد

فان المرء ليحتاج الى جهد جبار اذا اعتزم ان يخالف البيئة التى يحيا فيها
ان بيئتنا تنظر الى الجمال بانفة الشباب ... وكذلك تنظر أيضا الى اناقة الملبس و نظام المنزل

ان المكان الذى نعيش فيه يفيض بالقذارة والاضطراب ... ان أعقاب السجائر وقصاصات الورق تتناثر فى كل أرجائه ... وليس فينا من يحاول أن ينال مسكنه بشىء من العناية والترتيب وخصوصا بعد أن ذاعت تلك الاشاعة باننا سننتقل الى مكان جديد ... فان الطلاب منذ ذلك الحين يقومون بتخريب كل مايقع تحت متناول أيديهم عمدا ومع سبق الاصرار

وكأنما نحن نخجل من التظاهر بالاهتمام بامر تافه قليل الشأن كالعناية بنظافة الغرف التى نعيش فيها والانتفاع منها بالشمس والهواء ... فانظري الى أي درك انحدرنا .. اننا لانهمل ذلك لانصرافنا عنه الى أمر آخر ذى بال أو لانقطاع الفراغ من وقتنا... ولكننا نفعله لاننا نشعر — راغمين — بازدراء كل ماله علاقة بالجمال

ولعل هذا الامر يبدو عجيبا اذا ذكرنا ان حكومتنا تنفق قدرا كبيرا من المال والجهد فى تجميل الحياة لنا ... فى انشاء الحدائق وغرس الزهور مما لم يكن لنا به عهد من قبل ... فى الايام الماضية أيام حكم السادة والنبلاء الذين كانوا يزهون على الدوام بحب الحياة الجميلة الانيقة . ان جامعتنا التى ظلت زهاء المائة عام كدار خربة تبدو الان أجمل بناء فى موسكو .. ونحن . نحن نشعر بزهو خفى من ذلك . ولكن حياتنا الداخلية مع ذلك لاتزال تسودها الفوضى ويعمها الدنس

ان فى خلق الفتيان والفتيات ظاهرة عجيبة ... كأنما يخشون ان يتهموا بالرقة والظرف فيسلكون عامدين طريقا فظة خشنة داعرة فى الحديث . وحين يتناولون المسائل الجنسية يختارون أفجر الالفاظ واكثرها فحشا .. مما قد يشمئز منه السوقة وأبناء الطريق

انهم يتنادون بعضهم بعضا باقبح الالقاب .. فاذا شعرت بعض الفتيات — ولست أقول كلهن — بالاهانة وحاولن الاعتراض او الاحتجاج لعجبت كيف يقابلن

ان الهجاء القاسى واللفظ الداعر واحتقار الاناقة فى أى لون من الوانها هى الحالة الغالبة عندنا الان . وقد يكون هذا راجعا الى فقر الغالبية منا وحرمانها من التمتع بالملابس الجميلة ومحاولتها السخرية من ذلك او التظاهر بالسخرية على الاقل .. او قد يكون هذا لاننا نرى — ونحن جند الثورة ووقودها — ان واجبنا الطبيعي يقتضينا أن ننكر العاطفة ونزدرى الجمال . ولكن اذا كنا جنود الثورة حقا فمن الواجب أن نحذو حذو الحكومة التى اقمناها .. فنعمل على تجميل حياتنا بقدر مانستطيع لا من اجل الجمال ذاته .. ولكن سعيا وراء النظافة والصحة . من أجل هذا يخيل لى ان قد آن الاوان لانكار هذه المنازل الشبيهة بالثكنات التى نحيا فيها

ولكن الغالبية كما تعلمين تحب هذه المنازل . الغالبية من فتياننا وفتياتنا على السواء لانها تمنحهم كثيرا من الحرية ولا تقتضيهم الا قليلا من ضبط النفس

غير أن اهمال الجمال والصحة على هذا النحو الشائن يؤدي الى نتائج مروعة فى أوثق علاقاتنا وأخصها . وهو يولد نوعا من الخشونة والضعف فى معاملة الجنس اللطيف ويمنع الشاب من الاحتفاظ بما ينبغى من الرقة والمجاملة ازاء صديقاته من الفتيات

وكل هذا ناتج من خوف مخالفة القانون الادبى المتعارف عليه

ولكن الامر يختلف عندك فى الاكاديمية ... هل تصدقين أننى أحيانا أشعر بأسف شديد لاننى التحقت بالجامعة . ان امى – وهى مولدة تعمل فى احدى القرى – تنظر الى بنوع من التقديس والاحترام كانما أنا شىء رفيع . ولكننى كثيرا ما أسائل نفسى . ترى باى عين كانت تنظر الى لو أنها شاهدت هذا الدنس الذى نتمرغ فيه او سمعت هذه اللغة التى لا نكاد نتحدث بغيرها

ان الحب شىء لاوجود له فى حياتنا ... ونحن نمارس العلاقات الجنسية فى بعض الاحيان ... لا سبيل الى انكار هذا الاله . ولكننا ننظر الى الحب كامر بعيد عنا أو متصل بناحيتنا «النفسية» ولا ندرك من حقوق حياتنا الا اشباع الناحية الجسدية او الفسيولوجية فقط

ان الفتيات يعشن اليوم مع أصدقائهن من الفتيان .. وأصبحن لايرين حرجا من قضاء أسبوع أو شهر معهم .. بل انهن أصبحن لا يرين حرجا من قضاء ليلة واحدة فقط . وكل من يحاول أن يلتمس الحب فى غير هذه العلاقات الجسدية لايكون نصيبه غير السخرية والازدراء والاتهام بالشذوذ او الجنون

— ٢ —

ماذا يحسب فى نفسه ؟.. طالب عادى مهلهل الهيئة رث الثياب .. انه يخدع نفسه لو رآها شيئا غير هذا

ان عينيه جذابتان ... وحين يسير بمفرده فى ردهات ثكناتنا الجامعية يخال للمرء أنه يري فيهما لونا من الجد والهدوء غير مألوف

ولكن ما ان يصطدم باحد زملائه من الطلبة حتى تتجلى طبيعته مكشوفة غير خافية .. تتجلى طبيعته الخشنة الصاخبة المبتذلة .. لقد كانت الفتيات يتطلعن اليه بكثير من الاعجاب لجمال هيئته وكان الرجال يركنون اليه لمهارته وكان هو على الدوام يسعى للاحتفاظ بروح الزعامة التى يحظى بها

وقد رأيت فيه رجلين . أحدهما على حظ كبير من قوة التفكير واتزان العقل والثانى ماجن مبتذل يثير محدثه بالطريقة التى يتكلفها للظهور أمامه بمظهر فظ خشن يفوق حقيقته كثيرا

وامس عند الغروب خرجنا معا لأول مرة .. كان الهدوء يشمل المدينة .. وكانت ضوضاء النهار قد سكنت وكان الهواء منعشا بما يتخلله من رطوبة الارض

وقال لى بعد فترة قصيرة « لم لا تأتين الى منزلى ؟ . انه لا يبعد عن هذا المكان كثيرا »

قلت « كلا . لن أذهب معك »

قال « ولم ؟ .. هل هذا من اللياقة فى شىء ؟ »

قلت « كلا .. انه ليس من اللياقة .. ولكنه ليس من الحكمة أيضا أن نقضى هذه الفترة من النهار بين جدران أربعة »

فهز منكبيه ولم يجب

وسرنا معا على افريز الطريق حتى بلغنا جسرا .. وأتت صوبنا فتاة تبيع زهر الكريز فابتعت قدرا منه . واضطررنا الى الانتظار فترة غير قصيرة حتى تعيد الفتاة الى بقية ما أعطيتها من ثمنه .. وانتحى هو فى أثناء ذلك جانبا من الطريق وأخذ ينظر عابسا

ولما فرغت من مهمتها التفت الى وقال « الا تستطيعين السير بغير زهر الكريز ؟ »

قلت « أستطيع طبعا .. ولكننى أفضل السير به على السير بدونه »

قال وقد زاد من تقطيب وجهه وكشر عن اسنانه « اننى أستطيع دائما السير بدونه واجد شيئا من الراحة فى ذلك »

فى تلك اللحظة وقع بصرى على فتاتين قادمتين نحونا كان يحدق بهما جمع من الطلبة . . . ولكنهما تخلصتا منهم .. فانفجر الطلبة ضاحكين وأخذوا يطاردونهما ويوجهون اليهما أخش اللفظ وأخشنه

قال زميلى « انهم يثيرون الفتاتين .. لا يوجد معهم زهر الكريز ... ولذلك فرحتا »

فقلت له متسائلة « لم تكره زهر الكريز الى هذا القدر ؟ »

قال « كلا .. فالأمر سيان لدى .. لم تقطعين علىّ الحديث ؟ »

قلت « انك تتحدث بهذه اللهجة لأنك لم تعرف بعد ماهو الحب »

قال « وهل تلزمنى معرفته »

قلت « اذن فماذا تطلب من المرأة ؟ »

قال « أطلب منها كثيرا ... اكثر مما تظنين »

ومررنا ببعض الأشجار الليلك ... فوقفت لحظة حتى أثبت زهرة الكريز الى ثوبى . وعلى حين غرة رأيته يهجم الى ناحيتى ويدفع الى الوراء رأسى محاولا أن يقبلنى فتراجعت الى الخلف وانا أدفعه

فقال « الا تريدين .. حسنا فليكن لك ماتشائين »

قلت « طبعا لا أريد ... أنك لم تعرف الحب بعد .. وليس يهمك أى امرأة تقبل .! ولو كانت

معك الآن امرأة أخري غيرى لحاولت أن تقبلها كما حاولت معى »

قال « هذا حق .. ان المرأة أيضا تقبل من تشاء ولا تقصر نفسها على واحد فحسب . لقد كنت فى حقل قريبا ... وقد قبلتنى خطيبة أحد أصدقائى بنفس الحماسة التى كانت تقبل بها خطيبها .. ولو كان هناك شخص ثالث لما كانت أقل شغفا الى تقبيله عن ذلك .. ومع ذلك فان هذين الخطيبين سيتزوجان عن حب »

شعرت بالالم يسرى الى قرارة نفسى وانا اسمعه يتحدث بهذه الروح . لقد كنت أخاله يميل الى بعض الشىء وكنت أحسبه يسترق النظر الى وانا بين جموع الطلبة ! . فما باله يفسد هذه الامسية الجميلة من ليالى الربيع بارائه الفاجرة الخليعة وحديثه الخشن المبتذل .. ! ان النفس لترنو الآن الى الحديث الهادىء الحنون

لشد ما كنت أبغضه فى تلك اللحظة ! . كنا نسير حذاء مقعد جلست عليه احدي السيدات .. وكانت ترتدى جوربا من الحرير وتضع ساقا على ساق وتتطلع الي كل من يمر بجوارها

حدق زميلى النظر فيها .. وما أن ابتعد عنها بضع خطوات حتى التفت اليها وأخد يحدق فيها ثانية ... عندئذ شعرت كأنما لدغتنى عقرب

قال وهو يشير الى المقعد المجاور « لنجلس هنا قليلا »

لست أدرى ماذا دهانى فى تلك اللحظة . ولكننى شعرت برغبة ملحة فى البكاء . وخشيت ان تغلبنى العاطفة فاخبرته باننى لا أريد البقاء معه بعد ذلك واستأذنته فى الانصراف

وذعر هو لهذه المفاجأة وعجب منها

وقال « لم تريدين الذهاب ؟ ماذا جرى ؟ . الست تريدين أن أكون صادقا ؟ . هلا تحبين الصراحة ؟ وهل تريدين أن انطق بغير الحق ؟ . اذا عقدت العزم على الذهاب فسأذهب أنا أيضا . الى اللقاء »

وأمسك يدى بين يديه برهة ثم قال « ولكنها حماقة .. نعم حماقه » ثم القى بيدى وتابع سيره منفرداً

فوجئت أنا بهذا العمل . فلم يكن يدور بخلدى قط انه سيتركنى على هذا النحو

وقفت فى ركن من الطريق وانا اتلفت حولى . كانت أمسية من تلك الامسيات التى يشعر المرء فيها انها ليلة العمر ... اذا ولت فلن تعود . كان القمر ساطعا فى زرقة السماء وكانت تحيط به هالة صفراء رفيعة ... وتداعبه بين الحين والحين قطع رقيقة من السحاب ... وكانت أضواء الطريق الباهتة الضعيفة تكاد تختفى فى ضوء القمر

كان الميدان غاصا بجموع من الشبان والفتيات يضحكون ويصخبون ... أما العاشقون فقد امتلأت بهم مقاعد الحديقه المتناثرة تحت الاشجار الباسقة المتعانقة

كنت أسمع صدى الأحاديث ورنين الضحكات وكنت أرى أطراف السجائر الموقدة ... كان يخيل لى أن الجميع فى نشوة .. أخذتهم روعة الليلة ... فلم يدعوا لحظة تمر منها دون الاستمتاع بها الي أقصى مايملكون

أما البائس المسكين الذين لاتجد هذه الليلة فى نفسه وترا يهتز لروعتها وجلالها .. اما التاعس الذى يجول وحيدا منفردا دون زميل أو أنيس ... فما اشقاه بالحياة وما أجدره بالرثاء

منذ لحظة قصيرة كان وجوده معى او انصرافه عنى سواء لدي ... اما الآن بعد أن لبث يحدق النظر الى تلك المرأة الجالسة على المقعد فقد عصف بذهنى هم قاتل وأخذت أشعر بقلق مروع وأحسست للمرة الاولى بالضعف يسرى الى نفسى حتى لقد وددت لو كان معى

أرجو الا تقسى فى الحكم على ... ولكننى لم أكن أطيق أن أبقى طريدة الحياة فى هذه الليلة المليئة بالحياة

دون وعى منى ودون تفكير فى العاقبه أو تقدير لها أسرعت الخطى فى طريقى الى منزله

— ٣ —

لم تكن تشغل ذهنى فى تلك اللحظة الا فكرة واحدة : ان أصل متأخرة فلا أجده فى المنزل عندئذ أخذت أهيل على نفسى اللوم والتأنيب لتسرعى فى الانفصال عنه بتلك الحماقة دون أن أبذل أى جهد من ناحيتى لاستمالته وارضائه

ذكرت أننى بهذا التصرف أشبه أولئك الذين اذا راوا أمرا لا يروقهم هزوا له مناكبهم دون أن يكلفوا أنفسهم شيئا من الجهد فى تعديله واصلاحه ... فهل كنت أتوقع الحصول عليه كما اشتهى دون أن ابذل من ناحيتى اى جهد فى سبيله ؟

واجتزت عتبه المنزل وشعرت وانا اجتازها بتيار بارد من الهواء يلفح وجهى ويختلف عن ذلك الجو الدافىء الذى كان يسود الليلة ويطبعها بذلك الطابع السحرى الجميل

لم يكن يتوقع أن يرانى ثانية ... وبدا لى انه كان يتأهب للعمل . وكان بالغرفة مائدة صغيرة مستندة الى أحد جدرانها ومصباح كهربائى متحرك تدلى من السقف فوقها ومثبت فى مكانه بواسطة مسمار صغير

والتفت الى ثم قال « واذن فقد عادت البطله ... لعلها راجعت نفسها ثانيه ... حسنا »

ثم تقدم نحوى وهو عابس الوجه مقطب الجبين وامسكنى من ذراعى نخلت انه يريد ان يقبلنى

أو يلطمنى ولكنه لم يفعل

وقلت له « انا آسفة غاية الأسف على هذا الشجار الذى نشب بيننا .. واود أن أصلح مالعله يكون قد فسد من الامر »

فاجاب « ماهذا الذى فسد وتريدين ان تصلحيه ؟ . انتظرى لحظة واحدة حتى اضع اشارة بالباب تنبيء بانى غير موجود والا فقد يتطفل علينا أي طارق »

وذهب الى المائدة فكتب الورقة ثم خرج ليضعها على الباب .. ورأيتنى وحيدة بالغرفة فاخذت أجول ببصرى فى أنحائها

كانت جدرانها ملوثة بعدد لايحصى من ارقام التليفون .. وكانت أرضها قذرة بما تجمع عليها من أعقاب السجائر وقصاصات الورق . وكان يقبع فى أحد أركانها سرير صغير مشوش الترتيب وكانت تتناثر هنا وهناك أطباق قذرة وزجاجات فارغة وقطع من ورق الزبدة وقشر البيض وعلب المأكولات المحفوظة وغير ذلك

شعرت على التو بشىء من المضايقه وحرت فيما سأقوله له حين يعود . فليس من الحكمة أن أبقى صامتة فيعزو سكوتى لسبب آخر غير هذا

ثم خطر لى أن اسائل نفسى . لم ذهب الى الباب ليضع عليه تلك الورقة ؟ فماذا يهم اذا وفد علينا طارق ؟

وادركت على الفور معنى هذه الخطوة فشعرت بالدوار يلف رأسى واشتد خفقان قلبى . اتجهت الى النافذة ويداى ترتجفان وأخليت جانبا منها من الزجاجات الفارغة والأطباق القذرة واستندت اليها وانا اولى الباب ظهري

لم أشعر قط بمثل هذا التوتر فى لحظه انتظار . كان اشد مايؤسفنى ان اقضى اول ايام حبي وافضل ساعات حياتى بين مخلفات طعام الأمس فى مثل هذه الغرفة القذرة المضطربة النظام

فلما عاد الى رأيتنى اقترح عليه الخروج فى الهواء الطلق . فارتسمت على وجهه علامة تعجب وانكار واجابنى « ولم ؟ انك آتية من الخارج توا »

ثم تغير صوته وهو يقول « لقد رتبت كل شىء فلا تخشى ان يزعج خلوتنا أحد دعى عنك هذا الهراء .. فلن ادعك تخرجين الآن »

فأجبته قائلة « ولكننى لا أريد أن أبقى هنا »

فقال غاضباً « هل سنبدأ العراك من جديد ؟ . . ماذا دهاك ؟ وإلى أين تريدين الخروج ؟ »

كانت الكلمات ترد على لسانه مسرعة وكانت يداه ترتجفان . . . وكان قلبي يخفق بقوة وعنف

حتى لقد حجبت غمامة سوداء الدنيا عن ناظرى . . كان يثور بعقلى إذ ذاك عراك هائل . . عراك بين الرغبة فى الاستسلام مع شعورى بالطمأنينة من أى طارق يعكر علينا خلوتنا وبين الرغبة فى التمرد والعصيان . . رغبة جامحة يثيرها صوته الهامس السريع وتعجله الجشع وثورته الطائشة التى أفقدته الهدوء وضبط النفس . . كان يخال لى أنه لا يفكر إلا فى أمر واحد . . أن يفرغ من هذا العمل قبل أن يقتحم خلوته أحد أصدقائه . . فكان بادى الملل سريع الحنق طائش الغضب لأقل مقاومة تبدو من جانبى

أننا معشر النساء — حتى فى الحب الحر — لا نستطيع أن ننظر نظرة سليمة الى الحقائق كما هى . والحقيقة عندنا تكمن على الدوام فى نهاية الفصل . . أما فى أوله فاننا لا نرى أمامنا غير الرجل ذاته . عقله ومواهبه وروحه ورقته . ونحن فى بادىء الأمر نتجه إلى هدف آخر غير الاتصال الجسدى . . فاذا لم تتحقق للمرأة هذه الرغبة وسقطت ضحية لثورة حواسها الطارئة فانها سرعان ما تشعر باشمئزاز شديد من نفسها بدلا من أن تشعر بالرضى والسعادة . . وسرعان ما تشعر أيضاً بكراهة عميقة نحو الرجل . . شريكها فى عثرتها ومحرضها على الوقوف فى هذا الموقف الكريه القاسى

وفى لحظة تجمعت فى مخيلتى عوامل متعددة . الفراش المشوش والقذارة البادية والنظرات المختلسة التى كانما تطالبنى بحق أن أنكره عليها . . تجمعت فى مخيلتى كل هذه العوامل فرأيتنى أصيح به وأنا أكاد أبكى « دعنى أذهب . . . أنا لا أستطيع البقاء هنا »

فقال فى لهجة حزينة « ماذا جرى ؟ . . ألا يعجبك الأثاث ؟ إنى أقر أن المكان يخلو من الشاعرية . . ولكنى لست موسراً . . »

لست أدري ماذا دهانى عندئذ . . ولكن ملامح وجهه أخذت تلين رويدا . . وكأنما أدرك هو ذلك فأراد أن يزيد من هدوئى وهو يقول « كل شىء على ما يرام . . تعالى يا عزيزتى . . فقد يأتى أحد الآن »

أننى أعترف بانه كان ينبغى لى ان اذهب فى تلك اللحظة . . ولكننى كنت وحيدة معه فشعرت بالرغبة تثور فى نفسى كما تثور فيه أيضا . . يا للعجب ! . . هل كنت أخدع نفسى عند ما اخترت البقاء بأمل ان يقطع علينا هذه الخلوة طارق جديد ؟

وقال وهو يطفىء النور « أنظري . . سيصبح المكان أكثر شاعرية الآن »

وكان الخير ما فعل . . فقد اختفى عن ناظرى على الأقل ذلك الفراش القذر المنزوى فى ركن الغرفة وتلك الزجاجات الفارغة والاعقاب المتناثرة هنا وهناك

كنت واقفة الى النافذة أوليه ظهرى فرأيته يأتى نحوى ويضع ذراعه حول عنقى . . ولبثت

كما كنت دون حراك . لم استطع بطبيعة الحال ان ارى ملامح وجهه فى الظلام . . ولكننى كنت شاكرة له هذا العناق حتى لكم وددت ان يمتد الى غير نهاية

واخيراً فقد صبره وغلبه الملل خشية ان يحضر أحد من زملائه . . فقال وهو يبتعد عن النافذة « تعالى ياعزيزتى . . لقد طالت بنا الوقفة . . اما لها من آخر ؟ »

* * *

وعند ما نهضنا بدأ باضاءة النور فصحت به فى ألم وارتياع « كلا .. أرجوك .. لا أريد الضوء »

ونظر هو إلى فى دهشة وعجب ثم هز كتفيه واطفأ النور ثانية واقبل على الفراش ينظمه وهو يقول « يجب ان أعيد النظام الى الفراش وإلا ظنت فانيا اننى أحضرت سيدة الى غرفتى فى اثناء غيابها »

ثم أخذ يجول حول الفراش وركع على ركبتيه كأنما يبحث عن شيء فقد منه . وبعد برهة قصيرة جاءنى وهو يقول « خذي . . هذه مشابك الشعر . . لقد زحفت وزحفت حتى عثرت عليها . . لا أدري لم تصممين على البقاء فى الظلام ؟ . . يحسن بك ان تخرجى الآن وإلا فقد يأتى أحد . . وعليك ان تخرجى من الباب الخلفى لان الباب الأمامى مغلق الآن »

لم يتبادل أحدنا كلمة مع الآخر . . بل لقد حسبت أننا نتحاشى ان تلتقى نظراتنا

وعند ما خرجت الى الطريق كنت أسير فيه كآلة لا تعى ولا تفكر . وفجأة شعرت بشيء فى يدي جعلنى أقف وارتجف . . ولكننى تذكرت على التو أنها مشابك الشعر التى أعطاها لى . . فوقفت أحدق البصر فيها . . نعم كانت مشابك الشعر لا أكثر ولا أقل

وواصلت السير الى المنزل وأنا ممسكة بها . . كانت زهرة الكريز لا تزال فى صدرى ولكن لحقها الذبول فتعلقت عليه كخرقة بالية . .

وكان الليل لا يزال مخيما على المدينة . . والقمر لا يزال مرتفعاً فوق المنازل والدور والسحب الصغيرة تظهر كأنها دخان يتجمع . . والأفق يبدو من بعيد غامضاً قليل الوضوح

ترجمة الدكتور صبرى جرجس

تطور الفكر والفلسفة

عند المصريين فى عصر الفراعنة

لم يصف برستد نفسه بأنه « بشرى » ولكن الذى يقرأ مؤلفاته عن مصر يشعر بأن هذا الوصف ينطبق عليه . فانه من أولئك القائلين بأن الاخلاق أو التمييز بين الخير والشر لم يحدث بتوفيق والهام . وانما حدث — مثل اللغة — بجهود بشرية . وكتابه « فجر الضمير » هو عرض واف لهذه الجهود لأولئك المصريين الأولين الذين ابتكروا للعالم حضارته وعلموا الانسان القراءة وفتحوا له بذلك أبواب الثقافة الادبية والدينية والاجتماعية والاخلاقية . ونحن أبناء الفراعنة لم نستبد بهذا التراث كما يشهد بذلك الف دليل . فان حروف الهجاء فى انجلترا والمومياءات المحنطة فى أمريكا الجنوبية وتقديس البقرة فى الهند وشعائر الاديان المختلفة من التطهر بالماء أو الفردوس إلى الثالوث بل حتى عبارة « ابن الانسان » قد عرفها آباؤنا قبل أربعة آلاف سنة ونشروها فى أنحاء العالم مع فن الزراعة الذى أخرجوا به الانسان من حياة الغابة والبداوة الي حياة الحضارة والاجتماع

وبرستد واحد من هؤلاء الرجال الذين يرصدون حياتهم لخدمة العلم على نحو مايرصد الرهبان حياتهم لخدمة الدين . فان فى الدنيا هذه الايام عبادة جديدة تقتضى من صاحبها نسكا وانكاراً للنفس وارصاد الفكر والصحة والمال للبحث عن ماهية الانسان وأصوله فى التاريخ القديم وعن مستقبله . وهؤلاء الناسكون الصوفيون يمارسون صوفيتهم فى المعمل الكيماوى أو السيكولوجى كما يفعل الكسيس كاريل أو بافلوف أو فى المعمل الاثرى كما كان يفعل برستد

ولا يحسبن أحد أن هذا الكلام يعنى المادية أو أنه يدعو الى نبذ الدين . فان من لا دين له لا شرف له على حد ما يقول هذا الصوفى العظيم برنارد شو . وأما عن المادية فان تاريخ الانسان يصيح باستنكارها. وقد اخرج لنا برستد من « شق الرحا » الذى وجده فى احدى مدن الصعيد ما يكشف عن بذرة الاخلاق والاتجاه الذى اتجهه الانسان الاول لكى يضع أسس الاجتماع

فهذا الشق يعود الى عصر بناء الاهرام أى نحو ٣٣٠٠ سنة قبل الميلاد. وهو أول لوح مكتوب

فى العالم لم يعثر على أقدم منه . وهو يذكر أصل الاشياء ويبين لنا أصل الاخلاق . وهو يذكر القلب بمعنى العقل والفهم . كما لا تزال عليه بعض اللغات . وهو يقول بالنص « كل شيء نشأ وتكون لان القلب (العقل) أراده واللسان نطق به » أي كانت الفكرة ثم كانت الكلمة . وهذه العبارة تدل على أن المصرى القديم شعر أن العقل فوق المادة

وشعوره هذا عجيب جدا . وهو يدلنا على أن طبيعتنا ليست مادية وان الانسان نفس قبل أن يكون جسما . وهذا الكاتب لشق الرحا لا يعرف من الخير والشر أو الفضيلة غير هذه الكلمات:

الرجل الذى يعمل مايحبه الناس له الحياة

الرجل الذى يعمل ما يكرهه الناس له الموت

وهذه هي الاخلاق الاولى كما عرفها الانسان قبل ٥٣٠٠ سنة . وهى تدل على شيئين :

الاول : أن مهمة الاخلاق الاولى هي خدمة الاجتماع بأن يعمل الفرد ما تحبه الجماعة

والثانى أن المعنويات فوق الماديات لان القلب (العقل) فوق كل شيء

وهذه البذرة الساذجة للاخلاق والفلسفة مازالت تتطور حتى وصلت بعد ألفى سنة (١٣٠٠ ق.م) الى فلسفة التوحيد والاخاء البشرى عند اخناتون . وقد أصابت فى عصر الدولة القديمة ثم عصر الاقطاع من نوبات الارتفاع والانحطاط شيئا كثيرا ولكن سلسلة هذا التطور تبدي لنا ناحيتين احداهما ناحية الشعب الذى يقوم أبناؤه من الملوك والصعاليك والكتاب والصناع بابتكار الاخلاق الجديدة للعصور الجديدة والارتفاع بالانسان الى مدارج سامية من الرقى والدقة فى معاني الفضيلة والرذيلة . وفى الناحية الاخرى نجد الكهنة الذين يحيلون الاخلاق الى شعائر جامدة لا تقبل التنقيح لانها مقدسة . فالابتكار يأتى من الشعب والجمود من رجال الدين

* * *

ولكن شق الرحا ليس أول ما كتب عن الاخلاق . وانما هو أول ما وجد فى عصرنا من النقوش القديمة لا يعرف أقدم منه . ولكن عصر الاهرام حافل بالنقوش العديدة التى تعطينا صورة من الاخلاق الاولى كما فهمها الانسان لاول اصطدامه بحقائق الدنيا وبالمسائل الاجتماعية

١ — فمن ذلك ان المصرى الاول لم يستطع أن يروض نفسه على السكون الى الموت . فهو لا يذكره باسمه إلا حين يدعو على عدو . اما حين يذكر حبيبا فانه يؤكد انه لم يمت وانه سيعيش

وسيعيش . وهذا يقال مع المومياء المحنطة . وهذا الخوف من الموت هو الذي ألهم بناء الاهرام وألهم التحنيط وألهم الفردوس المصرى القديم . فان الميت لم يمت . بل هو يعيش فى الفردوس . هذا الفردوس الذى نرى أوصافه فى كثير من الفراديس التالية

ولا يمكن أن يقال اننا نحن نسكن إلى الموت ونسلم به . فان الرغبة الحادة التى تجعلنا أحيانا نعقد المجالس « لمناجاة الأرواح » تدل على أننا مازلنا عاجزين عن التسليم بالموت . وان اختلافنا من المصرى القديم الذى كان يرفض أن يلفظ بلفظة الموت وكان يبنى الاهرام قصد الخلود انما هو اختلاف فى الدرجة فقط

٢ — وفى عصر الأهرام هذا نجد هذه العبارة فى التزكية « محبوب من الاب ممدوح من الام يحبه اخوته » وهذا يدلنا على أن الاسرة كانت أساس الحب الاجتماعى . وهى لا تزال كذلك . واشتقاق الرحمة من الرحم فى اللغة العربية يدل على أن هذه الفضيلة نشأت أولا لخدمة ذوى الارحام أى الاقارب . وكذلك كان الشأن عند المصريين القدماء . بل السيكلوجية الحديثة تدل على أن حب الطفل لأسرته هو النواة لحبه للهيئة الاجتماعية . واتفاق السيكلوجية والمصرلوجية برهان على عظم المكانة التى تحتلها الاسرة من الاجتماع

٣ — نجد فى عصر الاهرام حكم بتاح حوتب تدعو الى النجاح الشخصى ولكن مع الاستقامة . كما نجد ان الناس يحتاجون إلى التزكية بأعمالهم لكى ينالوا السعادة الابدية . بل الآلهة المصرية نفسها كانت تحتاج الي التزكية . وهناك ما يسمي « نصوص الاهرام » وهي النقوش التى وجدت فى قبر بيبى من ملوك الاسرة الخامسة والسادسة . وفى هذه النصوص نجد هذه الكلمات

« لم يفعل الملك بيبى شرا . وانها لكلمة كبيرة فى عينك يارع »

فنفهم من هذه الكلمة أن الملك كان فى حاجة لان يزكى نفسه أمام ربه ويثبت انه كان صالحا لا يظلم الناس

ويمكن أن نستخلص من عصر الاهرام أربعة مبادىء فى الاخلاق الاولى التى عمت مصر قبل ٥٢٠٠ سنة تقريبا :

١ — المبدأ الاول هو الخوف من الموت وأثر ذلك فى ايجاد الكهانة ومحاولة الخلود بالتحنيط والاهرام . وقد كان لهذا الخوف أثره الحسن فى انبعاث المصريين الى السياحة لجلب مواد التحنيط والدفن فانتشرت بذلك الحضارة الاولى كما عرفت مبادىء الصناعات والعلوم . ولكن كان له أثر

سيء هو سلطان الكهنة وارصاد الجهود الكبيرة لبناء الاهرام وتوجيه العقول إلى عالم آخر

٢ — المبدأ الثاني أننا نعرف من قصة شق الرحا ان الفضيلة كما فهمها المصرى الاول هي ما أحبه الناس . والعكس بالعكس

٣ — والمبدأ الثالث أن الاسرة هي أساس الاخلاق للاجتماع

٤ — والمبدأ الرابع هو أن كل انسان مسئول وانه محتاج لهذا السبب الى التزكية ولو كان ملكا

كل هذا نراه واضحا فيما بين سنة ٣٣٠٠ ق . م . الى سنة ٢٥٠٠ ق . م .

* * *

ولكننا بعد ذلك نبدأ بالشعور بأن الشك اخذ يتسرب الى العقائد . ومنذ حوالى سنة ٢٥٠٠ نجد المصريين ينظرون بعين الشك إلى قيمة الاهرام فى تخليد الميت . ولا بد ان كثيرا من هذه الاهرام التى كانت تعد بالعشرات قد بلى وتفتت كما تهدمت المعابد التى أقيمت بجوارها فتقلقلت العقائد الدينية وأصبح الناس يتساءلون — كما نتساءل — من هو الرجل الفاضل ؟ هل هو المصلى المتعبد أم هو الرجل العادل الذى لا يظلم الناس ؟ ونجد أحد الفراعنه ينصح لابنه مريك رع (٢٥٠٠ ق . م .) فيقول له « ان فضيلة الرجل المستقيم تجد من القبول أكثر مما يجده ثور الضحية الذى يقدمه الرجل السيء » وبكلمة أخرى الدين المعاملة . ولكن الشك فى ثور الضحية هو شك فى الدين

وفى هذا الوقت أيضا نجد ان الله يوصف بأنه خفى يعرف كل شيء . وفى هذا الوصف ما يعنى أن له رقابة على العالم . وهذا هو البذرة الاولى للتوحيد والمصرى القديم الذى يؤمن هذا الايمان يعد بلا شك زنديقا من ناحية ايمانه بالآلهة الاخرى

وحوالى سنة ٢١٠٠ ق . م نجد الشك يزداد . فان الثقة العمياء التى دفعت الملك خوفو الى أن يعبيء قوات الدولة لبناء الهرم الكبير لكى يعيش فى العالم الآخر الى الابد قد زالت وجاء مكانها روح جديد يشبه روح عمر الخيام . فاننا نسمع شاعرا مصريا ينشد « ليس أحد يأخذ معه أمواله وليس أحد من الموتى يعود » وهذا القائل كان يعرف الاهرام وكان بعضها قد مضى عليه ١٢٠٠ سنة . فكان ينظر اليها ويقول : ما الفائدة . لقد ماتوا وكل هذا عبث

ويقول هذا الشاعر فى قبر الملك انتيف من الاسرة الحادية عشرة (٢١٠٠ ق . م)

لايعود أحد من هناك (من الاخرة)

لكى ينبئنا عما جرى لهم وعن الحظ الذى لاقوه

حتى ترضى نفوسنا الى أن نرحل نحن أيضا الى المكان الذى

ذهبوا اليه

ثم يحض على الاستمتاع بالدنيا لان الآخرة لا تعرف فيقول :

أشعر قلبك الشجاعة وأنس الموت

وأمتلىء سروراً وأتبع رغائبك ما دمت حيا

ضع المر على رأسك (تطيب) والبس الاقمشة من الكتان

الحسن المهيأ بألوان الترف

. . . .

وزد مسراتك ولا تجعل قلبك يذبل . واتبع رغائبك وما تحب

ولتنتظم أعمالك علي الارض كما يشتهى قلبك . حتى يأتى اليك

يوم الرثاء حين لا يسمع القلب الساكت هذا الرثاء

* * *

هذا التفكير الجرىء الفاجر نجد منه كثيرا بعد سقوط الدولة القديمة . فان الاستقرار الذي بنيت فيه الاهرام والذى بقى نحو الف سنة قد تقلقل . وجاء عصر الفوضى والاختلاط وحكم الامراء المستقلين وتزعزع السلطان سواء اكان فى الدين أم فى الحكومة . وهذا العصر الذى يخسر فيه النظام يكسب فيه الذهن . لان الانسان فى مثل هذه الظروف يتساءل : ما السبب لهذا الفساد ؟ ولماذا كان أسلافنا صالحين ؟ ولماذا نحن غير صالحين ؟ وماذا ينقصنا ؟ وما هو مستقبلنا ؟

وهذا التفكير يكثر فى الازمات . ولا بد أن أسلافنا قاسوا فى هذا العصر ألوانا من القحط والحرمان للفوضى السائدة . وعندئذ نجد انهم يفكرون فى المنقذ الذى سوف يأتى فيعمم بين الناس الرخاء والعدل ويخفض الظالم ويرفع المظلوم . وقد أدى بهم هذا التفكير الى فكرة أصبحت تقليدية فى جميع الاديان تقريبا هى أن « المنقذ » فى شخص ملك أو نبى سيأتي وينقذ الناس من جميع الشرور التى حاقت بهم . وهذا المنقذ قد وصفوه بهذا الوصف العجيب « ابن الانسان »

ولا يمكن أن يفسر هذا الحلم الذي حلمه آباؤنا قبل ٤٠٠٠ سنة الا انه ثمرة الحرمان والقحط وتفشى الفوضى والعجز عن علاجها

* * *

كلنا يعرف أن التفكير الديني انتهى ايام اخناتون الى التوحيد الصريح وهدم الاصنام واستنكار تعدد الآلهة ومكافحة سلطان الكهنة . ولذلك يحسن بنا أن نتتبع الدرجات التي انتهت الى هذه النتيجة

ففى أيام بناة الأهرام كانت الدولة مستقرة والنظام سائداً والمعابد تبنى وترمم بكل عناية فى كل مكان . والايمان بالخلود بعد الموت عظيما جدا تؤيده أهرام ما زالت لايامنا قائمة . وفى مثل هذه الظروف لا يمكن أحدا أن يكون حرا فى تفكيره ولا هو يستطيع ذلك . ثم يجب ان نذكر ان الالهة كانت الهة مصر فقط

فلما كثرت الاهرام والمعابد والاضرحة أصبح من المحال ترميمها وتجديدها كلها فصارت تبلى وتتهدم وتترك على هذه الحال فيراها المصرى القديم فيفكر فى قيمة الخلود المزعوم والقوة الالهية المفروضة .ويشك فيهما . ثم يؤمن بأن الموت لا غش فيه و لا تخالطه حياة فيقول كما قال هذا الشاعر على جدران قبر إنتيف « استمتع بالدنيا »

ثم يأتي عصر الفوضى والقحط وقطع الطرق فيحلم آباؤنا عن المنقذ « ابن الانسان » الذى يعمم العدل . وكأنهم يئسوا من آلهتهم

ثم يستتب النظام من جديد فى الدولة الجديدة . ولكنه ليس كنظام الدول القديمة جاء على فطرة وسذاجة وخوف من الموت . وانما هو نظام يستند الى أفكار مختمرة متصارعة قد اختلط فيها الكفر بالايمان . والدين ظاهرة اجتماعية لايختلف من أى ظاهرة أخرى . ولذلك نجد تحطمس الثالث حوالي سنة ١٥٠٠ ق . م . ينشىء امبراطورية فيحتاج الى أن يجعل آلهتـه امبراطورية أيضا فيصف رع بانه يرى الدنيا جميعها فى كل وقت . وهذا هو المعقول . لانه اذا كان فرعون قد ملك الدنيا فيجب أن يملك الهه الدنيا أيضا . ومادام الاله رع يملك الدنيا فماقيمة الآلهة الاخرى؟ اذ ماذا تملك الى جانبه ؟ وهذا المنطق يؤدي الى التوحيد

وبكلمة أخرى نقول ان التوسع الامبراطورى الذى قام به تحطمس الثالث هو الذى هيأ الافكار للتوحيد . لان اله مصر لم يعد خاصا بمصر بل صار الها للامبراطورية : للدنيا

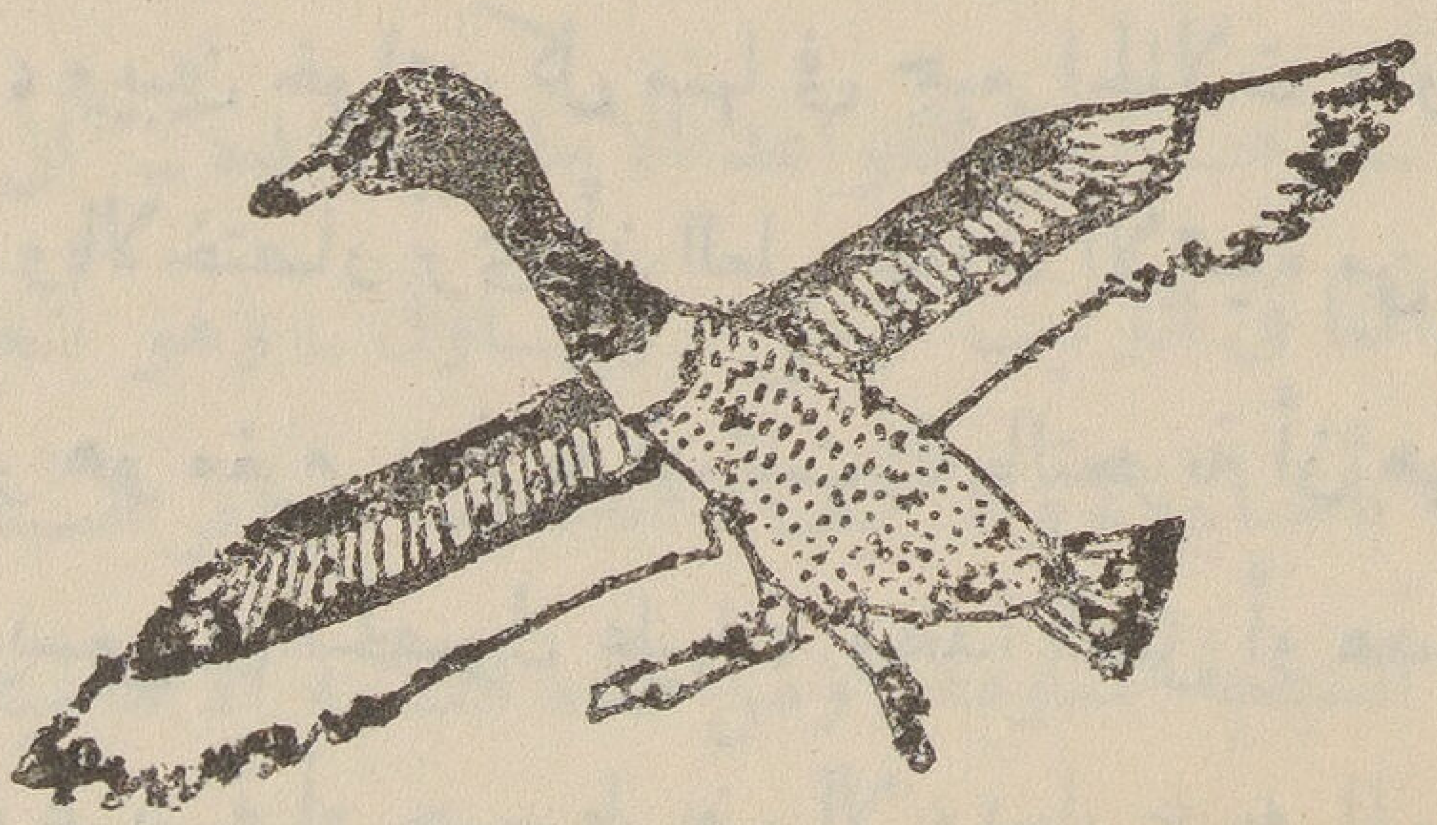
فاذا وصلنا الى اخناتون نجد أن مصر قد مضى عليها ٢٠٠ سنة وهى تتولى الحكم فى امبراطورية واسعة فيتسم التفكير فيها بالسمة العالمية . ويدعو اخناتون دعوة صريحة الى التوحيد . وهو يجد فى رع اليق الآلهة لان يتبوأ مكان الاله الواحد . وهو يسميه اتون من أسمائه القديمة ويدعو نفسه اخناتون أى الراضى باتون

وقيمة التوحيد كبيرة جدا لأنها تعنى الاخاء البشرى . وان الناس كلهم سواء امام الله . اذ هي الديموقراطية الدينية للبشر . فليس لشعب أن يقول هذا ربي وليس ربكم . بل الكل سواء

ولكن التوحيد الذى دعا اليه اخناتون فى مصر أخمده الكهنة وعادوا الى عبادة الاصنام . ولكن دعاة اخناتون نجحوا فى نشر التوحيد فى آسيا

هذه هي قصة الفكر المصرى الى عهد اخناتون (١٣٠٠ ق . م) ومابعد اخناتون ليس له قيمة كبيرة . وهذه القصة ان دلت على شيء فهى تدل على أن الشعب هو الذى يفكر وهو الذى يبتكر المذاهب والاديان الصالحة فى حين أن الكهنة يجمدون ويقاومون كل تطور

ان كثيرا من الامثال والحكم التى نعتقد أن العرب أو الاغريق قد اخترعوها انما هى من مخترعات مصر . مثال ذلك المثل القائل « القتل أنفى للقتل » فانه مثل مصرى قديم . وكذلك المقابلة بين القلم والسيف وان الاول أعظم من الثانى هو مثل مصرى قديم . ومايسمى الآن أمثال سليمان التى بالتوراة انما هي أمثال امينو موب المصرى . وكثير من الادب الاغريقى فى الياذة هوميروس يعود الي قصص مصرية . والمصريون هم أول أمة عرفت أن الدماغ هو مركز العقل وانه هو الذى يسيطر على حركات الجسم



وظيفة العلم ووظيفة الفلسفة

للاستاذ يعقوب فام

العلم يبحث عن المعرفة ، يرمي الى فهم هذه الدنيا وظواهرها المتباينة ، وكذلك الفلسفة تبحث عن المعرفة ، فكأن الاثنين يستويان فى الغاية والغرض وكأنهما متشابهان . والحقيقه أن أوجه الخلاف متعددة

(١) فوظيفة العلم الاولى أنه يجمع الحقائق التى تتصل بموضوع درسه ، يراقب الظواهر الطبيعيه التى تمس موضوعه ، ويجمعها ويدونها ، وكلما ظهر شيء جديد جمعه أيضا وأضافه الى مجموعة الحقائق التى يملكها ، الى أن يصبح فى آخر الامر وفى جعبته مجموعة كبيره متباينة عما يبحث فيه مثال ذلك أن « داروين » مكث بضع سنين يجمع كل ما يصل اليه من الحقائق عن الاحياء ، يجمعها ليس لانه يريد أن يدعم بها وجهة نظره بأي حال من الاحوال ، وانما أخذ يجمعها ويختزنها لمجرد الجمع والاختزان ، وبعبارة أخرى كان داروين عالما بأدق معاني الكلمة

(٢) ثم يأخذ العلم فى وصف الحقائق التى يجمعها ، أو وصف الموضوع الذى يدرسه ، فالماء سائل ، ثقله النوعى كذا ، يتبخر فى درجة حرارة معينة ، ويتجمد فى درجة حرارة أخرى معينة يحدث له كيت وكيت تحت ضغط معين ، يفعل كذا وكذا فى الاملاح وفى المعادن ، يتخذ شكل الوعاء الذى يوضع فيه ، مركب من كذا وكذا من العناصر ، ونسبة العناصر الى بعضها هى كذا يتركب فى حالات معينة وينحل الى عناصره الاولية فى حالات أخرى معينة ، ثم يتناول عناصره الاولية بالوصف التفصيلي ، ويبين خواص كل منها فى جميع الحالات ، وتصرف هذه العناصر فى الظروف المختلفه المتباينة ، وبالاختصار نرى أن العلم يتناول الاشياء من ناحيتها الوصفية

(٣) والعلم عمل آخر هو مغرم به لانه قد ثبت له بالتجربة أن هذه الوظيفة معينة له على الوصول إلى الحقائق التى يسعى فى الحصول عليها ، وهذا العمل أو هذه الوظيفة هى التحليل ، فما تكاد تصل الى يديه مادة غريبة أو جسم طريف إلا ويسارع به الى المعمل ليحلله الى عناصره الاولية ليرى مم يتركب ، يفعل ذلك فى الذرات المادية وفى الخلايا الحية على السواء

(٤) بعد أن يجمع هذه الحقائق ويضمها الى بعضها ، يأخذ فى تبويبها وتقسيمها الى مجاميع متشابهة مشتركة فى خاصة واحدة أو فى مجموعة من الخواص ، يميز كل مجموعة منها باسم خاص ، أو باصطلاح معين يدعوها به كلما أراد الدلالة على صفات معينة . فيقسم الظواهر الطبيعية الي مجاميع ، كالغازات والسوائل والجوامد ، ثم الاجسام الحية وغير الحية ، ثم النباتات والحيوانات، ثم العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية والعلوم الرياضية ، وهكذا يقوم العلم بالترتيب والتبويب ويجده وسيلة نافعة له فى فهم الاشياء

(٥) ثم بعد ذلك يحاول أن يشرح الظواهر الطبيعية او الحقائق التى تعرض له ، وبمعنى آخر يدل علي الحالات التى تحدث فيها الحوادث ، أو الشروط التى يجب أن تتوافر حتى تحصل بعض النتائج ، فمثلا يجد أنه عندما تتوافر حالة معينة فى جسم حى كأن ترتفع حرارة الانسان بشكل معين وتظهر عليه عوارض معينة ، ونوع من الحمى معين ، يجد أنه لابد أن يكون قد سبق هذه الحالة دخول ميكروب معين فى جسم الانسان وهو ميكروب الملاريا ، يلاحظ هذا الميكروب ويشاهده ويدون ملاحظاته ومشاهداته ، ثم ينتظره فى كل الحالات المتشابهة ، فعندما تظهر العوارض المتقدمة يتوجه فى الحال الى الدم ويحلله ويستبعد كل الاشياء والمواد التى يعرف أنها سوف توجد فى محتويات الدم ، ثم يصوب ميكروسكوبه الى الباقي فيجد كما كان ينتظر ذلك الميكروب بعينه ، فكيف أتى هذا الميكروب ؟ وكيف حمل الى الجسم الحي ؟ وكيف دفع الى الدم ؟ هذه أسئلة تجعله يبدأ بجمع الحقائق مرة أخرى وتبويبها من جديد ، فيجد مثلا أنه يسبق دخول هذا الميكروب الى الدم اتصال نوع معين من البعوض بجسم الانسان ولدغه وامتصاص قدر من دمه ، ويجد فى نفس الوقت أن بعض الانواع الاخرى من البعوض ، وجميع الحشرات الاخرى لاتحدث مثل هذه النتيجة فى الانسان ، فيذهب يستقصى تاريخ هذه البعوضة بالذات من يوم خروجها من البيضة الي أن تحط على جسم الانسان وتلدغه

وبعبارة أخرى يعتقد العلم — وهذا من القواعد الاساسية عنده — أن لكل نتيجة سبباً ، وان هذا السبب يسبق النتيجة دائما فى الترتيب الزمنى . ويحاول — وهو ينجح دائما فى محاولته هذه — أن يبين الحوادث مرتبطة بأسبابها ، و « كيف » انه عندما يتوافر السبب وتكتمل فيه جميع الشروط المطلوبة لابد أن تحدث النتيجة المعلومة . ومن هذه القضية الاساسية عنده يتدرج الى غاياته التى يسعى اليها ، فمتى وجد نتيجة معينة يذهب مباشرة يفتش على السبب المعلوم ، او متى

عرض له سبب ينتظر مطمئنا النتيجة المحتومة

ولا نغالى بحال من الاحوال اذا نحن زعمنا بأن المسألة السببية هى عند العلم حجر الزاوية ، والاساس الذى يقوم عليه كل شىء ، ولذلك نرى انه يستطيع فى جميع الحالات المعلومة أن يدل على « كيف » يحدث هذا الحدث « وكيف » توجد هذه النتيجة ، و « كيف » يمرض الانسان و« كيف » يصح بدنه و « كيف » تتحرك الكتل المادية و « كيف » تسكن الى آخر هذه الظواهر الطبيعية

ثم من قضاياه الاساسية أيضا مسألة الزمن فى السببية ، أو ترتيب الحوادث والظواهر ترتيباً يراعي فيه الزمن . فالسبب دائما أبدا يسبق النتيجة ، ولا يصح العكس بحال من الاحوال ، أما « لماذا » يسبق السبب النتيجة فهذه قضية لاتدخل فى حساب العلم لان العلم بعيد عن هذه القضية أو هذا السؤال . ثم هو لايحاول أن يعالج مشكلة أخرى لاتقل عن هذه أهميه ، وهى « لماذا » كان لابد لكل نتيجة سبب أو « لماذا » كان هذا السبب أصلا ؟ ولماذا يفرض وجود هذه السببية فرضاً ؟ كل هذه أسئلة لايحاول العلم أن يعالجها لانها ليست من اختصاصه ولا تقع فى دائرة نشاطه: هذه معضلة يتركها للفلسفة وسوف نتناولها عندما نتكلم عن دائرة نشاط الفلسفة

(٦) وللعلم وظيفة أخرى تميزه عن وظيفة الفلسفة وهى انه يحاول أن يضع للظواهر الطبيعية أو الحوادث (Events) قوانين عامة شاملة تربط بعضها ببعض . والواقع أن قوانين العلم ليس لها صفة الالزام بحال من الاحوال ، فليس وجود القانون معناه أن هنا لك قوة أو ارادة ترغم الاشياء على التصرف بهذا الاسلوب ، وبعبارة أخرى ان القانون فى الابحاث العلمية لايخرج عن أن يكون وصفا للظواهر أو الحوادث الطبيعية

فقانون الجاذبية مثلا ليس هو فى الواقع شيئا سوى وصف لما يحدث فى هذه الارض وفى الاجرام السماوية ، فالاجرام السماوية أو الاجسام الارضية لاتخضع فى الواقع لقانون الجاذبية . ليس فى هذا القانون قوة ملزمة للاشياء تجعلها تتصرف بهذه الطريقة أو بتلك ، وانما هو لايعدو أن يكون وصفا بسيطاً لبعض الظواهر التى تحدث ، أو هو وصف لكيفية الحدوث ليس غير . يزعم هذا القانون أن « الاجسام تجذب بعضها بعضاً بنسبة أحجامها طردا وبنسبة مربع المسافة بينها عكسا » أو كأن مقدرة جسم معين على جذب جسم آخر تتوقف على حجمه وعلى قربه من الجسم الآخر ، وظاهر من هذا الكلام أنه كلام وصفى لاغير ، لايعدو أن يكون شرحا لظاهرة طبيعية

وليس فى القانون خاصة تجعل الاجسام تخضع له ، وكل ما لهذا القانون من شأن أو أهمية أنه وصف عام شامل لتصرف جميع الاجسام السماوية أو الارضية

وملخص القول فى العلم أنه :

(١) يجمع الحقائق

(٢) ثم يصف هذه الحقائق

(٣) ويحلل الظواهر

(٤) ويسعى لمعرفة الاسباب والنتائج

(٥) ثم يستنبط القوانين العامة

ولو أمعنا النظر فى جميع هذه الوظائف لوجدنا أنها فى الواقع تندرج جميعها تحت باب واحد وهو الوصف وأنها كلها لاتصلح الا أن تكون جوابا لاحد سؤالين وهما « كيف » و « كم » وقد نجح العلم فى ميدانه نجاحا منقطع النظير ، واجاب على الاسئلة التى وجهت اليه فى دائرة اختصاصه وأصبح فى وقت من الاوقات يفاخر الفلسفة ويشمخ عليها بأنفه وان كان قد أخذ فى الثلاثين السنة الماضية يعود الى تواضعه المعهود ، وأمسك عن التدخل فى الشئون التى لاتعنيه

* * *

وللفلسفة وظيفتان مهمتان :

الاولى أنها تبحث فى القضايا التى لاتقع فى دائرة العلم بحكم وظيفته ، فهو يتناول الاشياء فى أجزائها وهى تتناولها فى مجموعها. العلم يبحث « كيف » تحدث الحوادث وتظهر الظواهر. والفلسفة تبحث فى « لماذا » هذه الحوادث والظواهر ، هو يتناول الكون من ناحية وصفه ، وهى تتناوله من ناحية معناه . العلم يصف والفلسفة تحاول أن تعطى للاشياء قيمة وقدرا . العلم يفسر الظواهر والفلسفة تريد أن تصل الى الحقائق التى تختفى وراء الظواهر

والوظيفة الاخرى للفلسفة تنحصر فى أنها تبحث فى قضايا العلم ذاته تنبه العلم الى انه ساذج فى بعض الحالات يأخذ الاشياء على علاتها ويسلم تسليما مطلقا للادوات التى يستعملها فى أبحاثه ، ويأخذ نتائجها على أنها صادقة لا تقبل الشك فى معظم الاحايين

العلم لايستعمل فى أبحاثه سوى الظواهر المشاهدة المحسوسة ، ولنضرب على ذلك مثلا بالسبب والنتيجة التى قدمناها . كل ما يعنى العلم فى هذا الموضوع هو شيئان (١) ان السبب يسبق

النتيجة ، أو بعبارة أخرى ان العلاقة بين السبب والنتيجة هي علاقة زمنية بحتة ، ومن وجهة نظر العلم ، بكيفية هذه العلاقة دون غيرها فهو لذلك لايحاول بحال أن يبحث وراء علاقة أخري قد تكون اوثق من مجرد الترتيب الزمنى ، ولذلك متى أراد العلم امرا هيأ له اسبابه فى فترة من الزمان ، ثم اطمأن واثقا بانه سوف يحصل على النتيجة المطلوبة فى الفترة الزمنية التالية

والشيء الثاني الذى يعنى العلم به كل العناية هو مجرد رأي او نظرية له عن الكون ابتدعها ابتداعا واخترعها اختراعا ثم استخدمها فى شئونه استخداما متواصلا ، وهذه النظرية او هذا الرأي هو ان الكون منتظم يتبع قوانين موضوعة لايحيد عنها بأى حال من الاحوال . يؤمن العلم بأن الكون صادق فى ظواهره لايكذب ولا يخدع ، موثوق به لايتصرف فى الغد الا كما تصرف بالامس ، وبعبارة اخري يؤمن بأن الكون منظم مرتب لايمكن ان يحيد عن خطته الموضوعة له او يخالف القوانين المألوفة لديه ، فالاجسام تجذب بعضها بنسبة معينة ، وهذا هو المشاهد بالامس وقد خضعت جميع الاجرام لهذا القانون فيما سبق ، وهذ بالطبع حق لاينازع العلم فيه منازع

وإنما العلم لايقف عند هذا الحد ، بل يتعداه ويفترض افتراضا لايقوم عليه دليل بحال بأن الكون سوف يخضع لهذا القانون فى المستقبل ، وسوف تجذب الاجسام بعضها بعضا بهذه الكيفية فى الغد كما فعلت بالامس . واذ نسأل العلم لماذا يفعل الكون هكذا ، ولماذا هو مطالب بان يتصرف فى غده كما تصرف فى أمسه يجيب بأنه موقن بهذا لان الكون منتظم لايناقض بعضه بعضا ، مرتب لا يشذ بعضه عن بعض

ولكن الفلسفة لاتسلم بهذا على علاته بل تلحف بالسؤال وتتطلب الجواب ، تتساءل الفلسفة قائلة : « وكيف عرفت ايها العلم ان الكون يخضع للقوانين ؟ » يقول العلم : « عرفت ذلك من جميع التجارب السابقة التى أجريتها » والفلسفة لاتجهل بالطبع جميع هذه التجارب . ولكنها تصر علي أن ما قد حصل لايعين ماسوف يحصل فى المستقبل . فقد يخلف الكون ظن العلم فى انه يخضع للقوانين . يجوز ذلك بالطبع . والعلم يسلم به ولا ينازع فيه . وكل مايزعمه العلم في الواقع ان قانونية الكون أو انتظامه هو فى الواقع مبنى على ايمان او ظن

الواقع ان العلم لم يبحث علة الانتظام فى الكون وخضوعه للقوانين العامة . لم يبحث هذا لانه ليس من شأنه ان يبحثه . وبحثه إياه ـ على فرض انه ازمع البحث فيه ـ لايهم العلم ولا يقدم او يؤخر فى ابحاثه العادية . وانما كل مايهمه من خضوع الكون لقوانين عامة تربط تصرف

جزئياته . ان هذه الجزئيات تتصرف بالطريقة التى ينتظرها العلم . فليس من شأنه مثلا ان يفهم طبيعة السببية أو هل السبب عامل موجب فى النتيجة . أم أن الصلة بينهما مجرد صلة زمنية فيسبق السبب النتيجة ثم ينتهي الموضوع عند هذا الحد . لايهمه هل السبب يخلق النتيجة . أم يوجدها بشكل من الاشكال . وهل هذا التتابع بينهما يبنى على قوة ملزمة فى طبيعة السبب . أو على وجود عقل فى الكون يحتم هذا الارتباط بينهما . لايهم العلم شيء من هذا . وانما كل مايهمه هو أن يجد النتيجة المطلوبة عندما يجهز لها أسبابها أو انه عندما يمنع السبب بمحض إرادته تمتنع النتيجة بالتبعية

ولكن الفلسفة تبحث فى نفس هذا الشيء الذى لايهتم له العلم . تبحث فى طبيعة هذا الارتباط بينهما ، وتتساءل عن نوع هذا الالزام ، ولماذا تتبع النتيجة السبب ، لماذا لاتتقدمه مثلا ؟ يقول العلم ان دخول نوع معين من الميكروبات فى جسم الانسان يسبب له الاصابة بحمى التيفويد ، فتسأل الفلسفة لماذا يصاب الانسان بهذه الحمى عندما تدخل هذه الميكروبات فى جسمه ، وما العلاقة بين الميكروب وهل الحمي من صنع الميكروب وبارادته ، ولماذا يتحتم هذا الارتباط بينهما، وهل هذا الانحتام من فعل الميكروب ذاته ، أم من فعل قوة خارجة عنه ، أم هل مجرد السبق فى الزمن كاف لحل هذا المشكل ؟ وبالاختصار فان السببية موضوع للفلسفة دون العلم

ثم تسأل الفلسفة ، إذا كان لكل نتيجة سبب ، أو لكل حادث قوة أو شيء يحدثه ، فما أصل هذا السبب ، من أحدثه وكيف وقع فى هذا الكون ؟ لابد وان يكون له هو بدوره شيء انتجه. لابد وان يكون السبب نفسه نتيجة لسبب آخر قبله ، ولنفرض أن كل سبب نتج عن سبب تقدمه ، فما هو السبب الاصلى أو الاولى الذى أوجد كل هذه الاشياء والحوادث والظواهر؟ ولسنا نتعنت فى ايراد هذا السؤال، لانه قد ورد على الانسانية من قديم الزمان وحاولوا له جوابا

ولكن نظام السببية هذا له لوازم لابد وأن تتبعه كظله ، له نتيجة منطقية لايمكن ان نتحلل منها ، وهي ان الحوادث تحدث بتقدير معين ، وبارادة معينة وبنظام موضوع محكم تخضع الحوادث للزمن ، وعلى التصرفات ولا يمكن لشيء أن يحدث الا متى أريد له أن يحدث ، واذن نكون نحن أيضا آلات صغيرة فى دولاب الزمن ، نسير لانه يسير ، وننفعل لانه يراد لنا أن ننفعل ونتصرف لاننا مضطرون لهذا التصرف دون سواه ، فكأن القاتل لامحيص له عن أن يقتل لأن النظام الآلى للكون يسلبه كل ذرة من الحرية ، ولان نظام السببية هذا يجعل الكون كدولاب

كبير يدور فى مجموعة وليس لاجزائه إلا أن تدور معه دون بحث او تفكير

وكيف يكون الحال هكذا على حين أننا نشعر كأفراد أن لنا حق الاختيار وحق العمل المستقل كيف ينسجم نظام السببية هذا مع ما أشعر به أنا فى قرارة نفسى من أن لي الحرية أن أكتب هذه الصفحات أولا أكتبها ؟ وكيف تتفق هذه الآلية مع نظامنا الاجتماعى ؟ اذ أن فى هذا النظام الاجتماعى يحاسب كل انسان على مافعل ، ولا يقبل منه تعلات أو معاذير ، فالمخطىء يجازى والمحسن يثاب دون التفات الى هذا النظام الآلي للكون ، ودون التفات الى النظرية السببية التى فرضها العلم على الكون فرضا وسار بمقتضاها فى أبحاثه المختلفة ، والنتيجة أن شعور الفرد بحريته يتنافى مع نظرية العلم فى السببية ، وهذا بالطبع وحده كاف لان تأخذ الفلسفة علي عاتقها بحث هذه القضية من أساسها بحثا بعيدا عن التحزب لرأى معين

ثم اذا كان كل شىء مقدراً تقديراً ، وكان الكون يخضع لنظام معين لا يمكن أن يحيد عنه فما هي غاية هذا الكون ؟ إذا كانت نظرية السببية صحيحة فالى أين يسير بنا هذا النظام لابد وأن تكون للكون غاية يسعى اليها وغرض يرمي اليه ، فما هو هذا الغرض ؟ يقول العلم ان الكون يسير بمقتضى خطة موضوعه ، فمن وضع هذه الخطة أولا ، ولماذا وضعت هذه الخطة وماذا ترمي اليه ؟ هذا أيضا تبحثه الفلسفة لانها معنية بأمثال هذه القضايا التى لاتهم العلم

ومع ذلك ، وبرغم ماتقدم ، قد يجوز أن العلم مخطيء فى تمسكه بنظرية السببية هذه ، وقد يجوز أنه أخطأ فى تقديره ان لكل سبب نتيجة ، وأن كل نتيجة تتبع سببا . قد يمكن أن تكون الصلة الزمنية بينهما مجرد وهم أو مصادفة ، فقد يمكن أن الحوادث تحدث من تلقاء نفسها وبالمصادفة دون تدخل من أحد أو من شىء . قد يجوز أن يصاب المرء بالتيفوئيد لمجرد أنه أصيب بها دون أن يكون هنالك سبب او نتيجة ودون ان يكون هنالك ارتباط بين هذا الحدث والحوادث الاخرى مثل دخول الميكروب الى جسمه ، اذا صح هذا — ولا يهم الفلسفة سواء أصح أم لم يصح — يكون الكون عبارة عن أجزاء مستقلة حرة لا يرتبط أحدها بالآخر الا عن طريق الوجود — فليس يرتبط التيفوئيد بالميكروب إلا أن هذا موجود . وذاك أيضا موجود . وكل منهما يتصرف مستقلا عن الآخر فى حدود اختصاصه

وبالاختصار نرى أن العلم يضع نظريات وقوانين عامة يطبقها فى الحالات الخاصة . ويجد أن هذه الطريقة تصلح له فى عمله . يفرض أن لكل سبب نتيجة مثلا أو يفرض أن الكون خاضع

لنظم وقوانين لايحيد عنها . ثم يسير العلم فى شئونه على هذا الزعم كأنه حقيقة واقعة لاشك فيها وهو يفعل ذلك لانه عالج بعض الحقائق الموضوعية وبعض الاختبارات وبعض الحوادث فتبين له أنها على الارجح تخضع لمثل هذه القوانين العامة . فيفترض وجود هذه القوانين والنظم ويذهب لشأنه يعالج هذه الحقائق الموضوعية لايعنيه شيء بعد هذا . واذا سألته هل يدرى انفروضه هذه حق . يجيبك أنه لايقطع بصحة ذلك قطعا باتا . ثم هو لايعنيه صحتها او عدم صحتها . وانما يعنيه شيء واحد وهو أنها قد حققت له اغراضه التى يسعي اليها . ثم اذا سألته هل هو واثق من أن هذه القوانين سوف تصدق فى المستقبل يجيبك انه لايدري . ولا يعنيه أن يدرى . وان كانت على الارجح سوف تصدق

اما الفلسفة فلا تكتفى بهذا . وانما تبحث وتجد وتجتهد الى ان توفق الى حل الاشكال فيتبين لها صواب هذه القوانين من خطئها . ولكنها علي كل حال لاتنى تبحث وتدرس . حقا أنها لم تصل الى نتائج باهرة قوية كما فعل العلم وكما لايزال يفعل فى كل يوم . وحقا ان موقفها كان سالبا اكثر منه موجبا فى هذه الابحاث — وهذا بالطبع أحد الاسباب التى جعلت العامة تنصرف عنها الى العلم — ولكنها على اى حال قد أدت واجبها فى كثير من الاحيان . ومن هذا الواجب أنها نبهت العلم الي كثير من اغلاطه التى وقع فيها واظهر هذه الاغلاط وضوحا ايمانه المطلق بصواب نتائجه التى وصل اليها

اتي على العلم وقت كان يقطع فيه بصحة نتائجه . ولا يني يؤكد بكل مايملك من قواه انهذه النتائج حق لايأتيها الباطل باي شكل من الاشكال . وانه اذا كان فى الوجود شيء اسمه حق فيكون هذا الشيء هو الحقائق العلمية : وامعن فى هذا التوكيد بشكل طغى على كل تفكير آخر حتى عدنا لانسمع بشيء ولا يسمح لنا ان نسمع بشيء الا اذا اقره العلم . والعلم شكل العالم بطريقة آلية مادية ينتفى معها كل اثر للقيم والغايات . فأصبح الكون آلة كبيرة تدور كالعجلة ولاتعلم لماذاهي تدور . وأصبحت المادية هى الدين الذي لايوجد دين سواه

فعل العلم كل هذا ناسيا ان الارض التى يقف عليها لاتثبت لنقد منطقى يوجه اليها . وكان ان الفلسفة خدمته بأن نزعت من رأسه الغرور ورجعته نوعا الى صوابه . فأصبح اليوم يعيش معها جنبا الى جنب . كل منها يسعد بابحاثه فى دائرته دون أن يعتدي على الآخر او يقرب منه . الا اذا كان لاطلاعه على كشف جديد او مفاوضة فى الرأى

لم تثبت الارض تحت قدمى العلم لسبب بسيط جدا تقدمت به الفلسفة واخمته به . فعاد متواضعاً حيياً كما يجب أن يكون العلم . من المعلوم أن العلم يبحث عن الحقائق الموضوعية والان ماهى هذه الحقائق الموضوعية؟ والواجب الذى نحظي به بالطبع هو أن الحقيقة الموضوعية هي مانشاهده أو ما نختبره فى حياتنا ، والمشاهدة والاختبار بالطبع لا يأتيان إلا عن طريق الحس ، كاللمس أو السمع أو النظر ، وكأن العلم يقول بعبارة أخرى : ان الحقيقة هى ما أتوصل اليه عن طريق واحد من أدوات الحس هذه . فاذا كان الامر كما ذكرنا ، واذا كان كل مانعلمه عن هذه الحقائق آتيا الينا عن طريق الحس فقط ، فهل يحسن بنا أن نأمن هذه الادوات دون غيرها فى الوصول الى هذه الحقائق ؟ هل نستطيع أن نفعل ذلك مطمئنين . والواقع أن أقل مايقال فيها أنها لاتقدم لنا الاشياء على حقيقتها

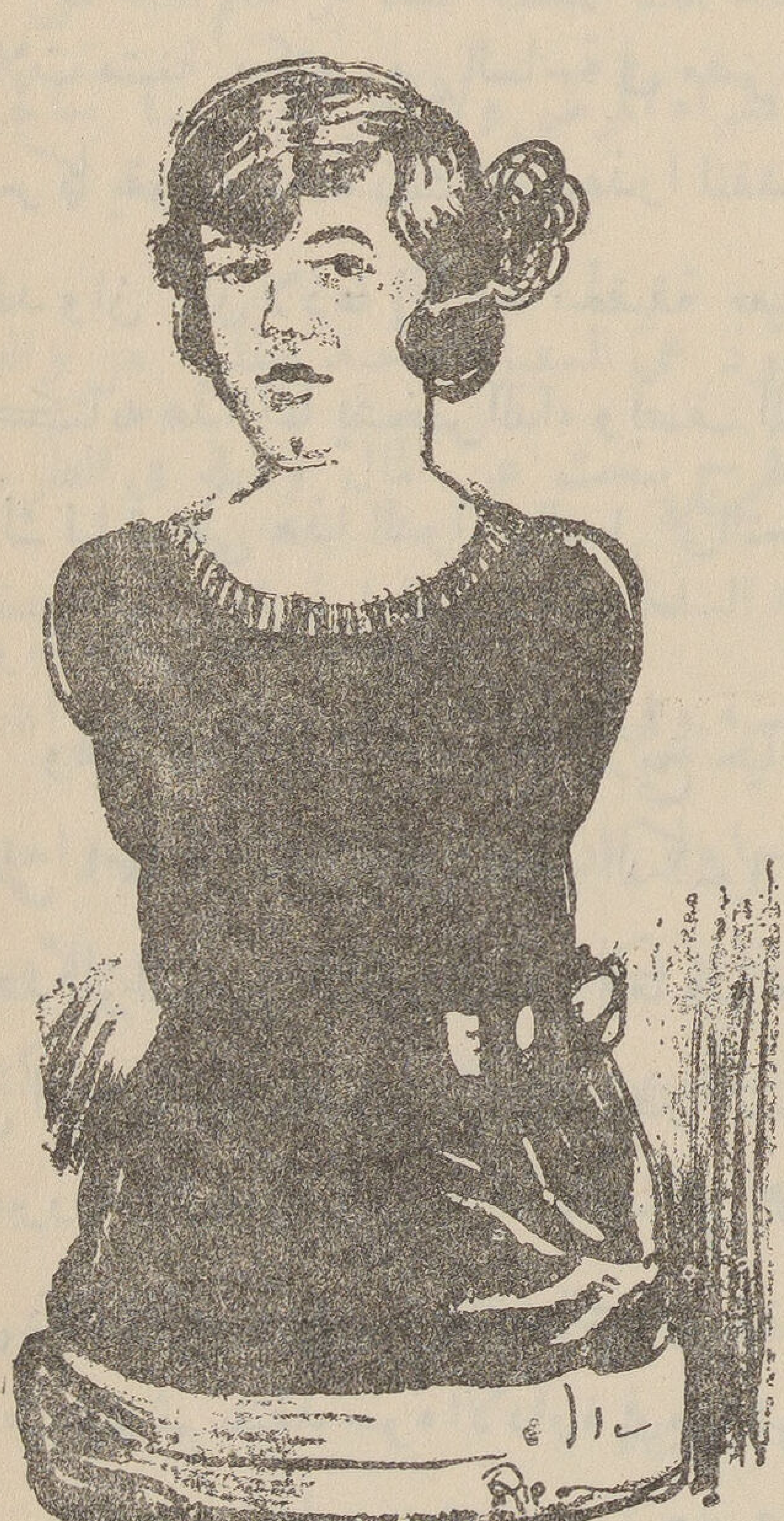
والبرهان على ان الحواس لاتقدم لنا الاشياء على حقيقتها قريب منا او هو بين أيدينا . ونستطيع أن نأخذه من العلم نفسه فنريح أنفسنا عناء التدليل بأدلة خارجية . أنا الآن جالس الى مكتبى أكتب هذه الكلمة . وأمامى مكتب من الخشب الصلب القوى له طول وعرض وارتفاع . وهو كتلة واحدة لايتخللها فراغ بأى شكل من الاشكال . او على الاقل حواسى جميعها تدلنى على أن أجزاءه مرتبطة ببعضها بشكل لاتجعل بينها فراغا : ولكن ما الرأى اذا كان العلم نفسه قد أثبت أنه مركب من الكترونات وبروتونات . وان هذه وتلك طاقة كهربائيه لامادة فيهـا وان الفراغ بينها أكثر بكثير من الشحنات الكهربائية الموجودة فيها . وبمعنى آخر ان المكتب الذى أكتب عليه ليس هو بمادة ولا صلب ويتخلله الفراغ الكثير . أو بعبارة أخري أن حواسى لم تصدق ولا فى واحدة من الحقائق التى أدخلتهـا فى رأسى ومع ذلك فالعلم يعتمد فى الوصول الي الحقائق على هذه الحواس التى برهن العلم نفسه على انها قد لاتصدق . وقد لاتنقل الاشياء على حقيقتها

هذا مثل واحد على ان الحواس التى يعتمد العلم عليها فى الكشف عن الحقائق قد تخطىء — بل لابد وان تخطىء . ونحن نعلم بالطبع أن حياتنا كلها واختباراتنا جميعها - من يوم أن نولد الي يوم نموت مؤسسة على هذه الحواس . ونحن نأخذ أخبارها على انها قضية مسلمة صادقة تتفق مع الحقائق التى تحيط بنا . وسنتناول هذا بالشرح والتفصيل فى وقت آخر . ويكفى هنا ان ننبه الى ان المدركات الحسية او الصور التي تدخل أذهاننا عن الاجسام والاشياء حوالينا قد لاتتفق مع حقيقة هذه الاشياء على الاطلاق واقرب مثل أمامنا هو كروية الارض فكل حواسنا تؤكد لنا انها

مسطحة ولا يمكن إلا ان تكون مسطحة بينما العقل اثبت بما لا يدع مجالا للشك انها ليست كذلك

تبين الان ان من وظائف الفلسفه انها تنبه العلم الى الحفر التي تعترض طريقه والتي قد يتردى فيها إن لم يحترس لنفسه . فكل قضاياه الكبرى التي يتمسك بها ويجدها صالحة له في اعماله التي يضطلع بها قد تكون خطأ من أساسها . وقد يجوز ان وسائله التي يستخدمها في ابحاثه تعجز عن اظهار هذا الخطأ في قضاياه . اما الفلسفة فتقدم له هذه الخدمة في جميع الادوار

القدرة مع العجز

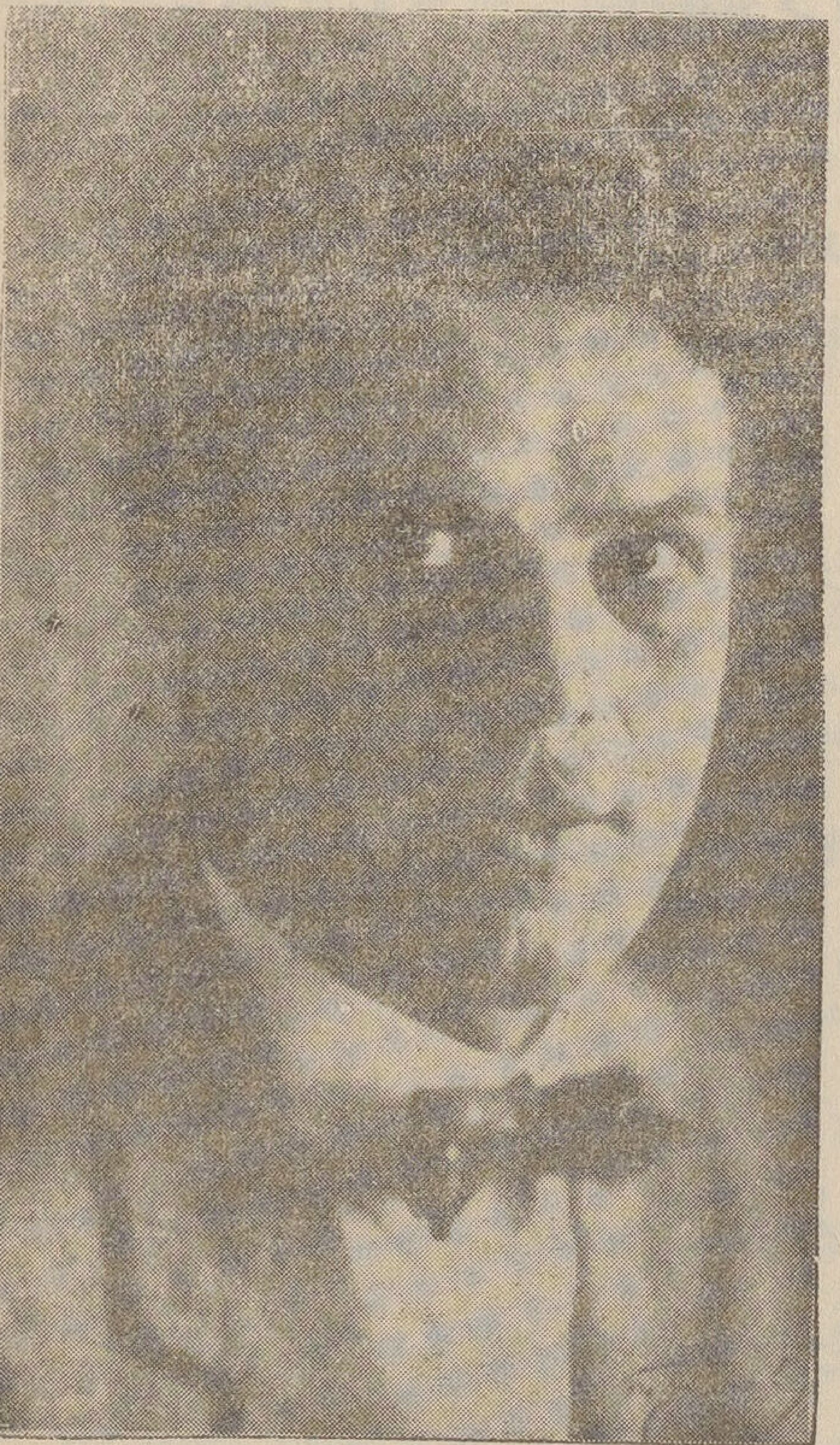


فيوليتا فتاة المانية تبلغ ٣٥ عاما . وقد ولدت بلا يدين ولا ذراعين . وكان أبوها رجلا حكيما رأى أنه اذا ساعدها في طفولتها نشأت عاجزة تحتاج الى المعونة مدي حياتها فتركها منذ الفطام تخدم نفسها . وكان هذا العمل قاسيا جداً لان الطفلة كانت تستنفد عقلها وعضلاتها في الابتكار لكي تأكل وتشرب وتلبس ملابسها وتنزعها وتمشط شعرها وتغسل وجهها . ولكنها الآن تعرف أن هذه القسوة كانت رحمة فان أبويها ماتا وهي لم تحتج بعدهما الى معونة أحد . وجميع حواسها سليمة وهي تقرأ وتلضم الابرة وتخيط القماش . وهذا يدلنا على أن قدرة الانسان — حتى مع العجز — عظيمة جدا اذا هي ربيت ونميت

قصة الدكتور ابراهيم

تأليف جون نيتل وتلخيص الآنسة أمينة السعيد

مؤلف هذا الكتاب رجل معروف في الادب اسمه جون نيتل مؤلف الكتاب الشهير « Via Mala » (أو طريق الشر) وقد زار مصر منذ ثلاثين عاما فأحبها واستوطنها وهو يسكن الان قرية عين شمس جوار المطرية .



جون نيتل

وجون نيتل رجل معروف بين علية القوم وله صلات متينة بكثير من الساسة في مصر . يحب مصر كما يقول ويتخذ ذلك الحب عذرا لنقده وهذا النقد وان كان لاذعا إلا انه الحقيقة بعينها فهو بكتابه هذا انما يشخص الداء ويصف الدواء ثم يترك لنا تعاطى هذا الدواء والعمل على التخلص من عيوبنا وامراضنا الاجتماعية

وهذا الكتاب يحتوى على تاريخ حياة طبيب قبطى اسمه ابراهيم وعلى لسان الدكتور ابرهيم ينتقد المؤلف سبل التعليم فى مصر وما فيها من قضاء على الوطنية والذكاء . . . ينتقد احترامنا الذى لامبرر له للاجانب ومجانة الاجانب التى هى اجابة على ذلك الاحترام ... ينتقد الشباب فى نزواتهم ووطنيتهم ثم ينتقد سوء الادارة فى مستشفى قصر العينى وغيره من المستشفيات ويحمل حملة شديدة على الذين يعرقلون سير الاصلاح فى مصر

***

كان إبراهيم طفلا لاسرة قبطية فقيرة تسكن مدينة أسيوط وكان والده يمتلك دكانا صغيرا للعطارة . وقد مرض ابراهيم وهو فى السادسة من عمره واشتد عليه الداء . ولما كانت الاسرة لاتحتمل

نفقات الطبيب فقد استدعى الحلاق لعلاجه ... وانكب الحلاق على علاجه بعقاقير تتناسب وجهله في فن الطب . وساءت حالة ابرهيم وازداد معها قلق الام فكانت تلقى بالعقاقير سرا ولا تعطى ولدها إلا اللبن الطازج والبصل ... وبفضل هذا العلاج الساذج تحسنت حالة الطفل واستطاع في أيام قليلة أن يترك الفراش ويجول قليلا في المدينة

وفي يوم بلغ ابراهيم أن هناك مستشفى يؤمه اناس كثيرون للعلاج ويديره أطباء معروفون فذهب اليه ووقف يتطلع الي الداخل بشغف. وفجأة ارتفع صوته من بين قضبان السرر ... انني مريض ... انني أموت فبالله عالجوني .وكان الجواب على ندائه أن لحق به التمورجي وضربه عصا جعلته يجري بعيدا صارخا عاويا كالكلب المسعور .. ومنذ تلك اللحظه عقد ابراهيم النية على ان يكون طبيبا يعمل للانسانية لا المال .. طبيبا لايضرب فقراء المرضى ولا يطردهم وانما يعالجهم بفنه وروحه ويحنو عليهم حنو الام الرؤوم

وبدأ ابراهيم يفكر في تحقيق أمنيته فخيل اليه ان النقود هي السبيل الوحيد فطلبها من والده وكان نصيبه الضرب طبعا .ولم يثنه هذا الاذى عن عزمه فخرج يبحث عن المال وقابله في الطريق اعرابي يقود بعيرا وقبل ابراهيم ان يقود له البعير الى « السلخانة » في مقابل قرش واحد حفظه ابراهيم فيما بعد ليكون الحجر الاول في مصاريفه المدرسية .وفي السلخانة رأى ابراهيم الحيوانات وهي تذبح ففزع وبكى وخرج عاقدا النية على ان لايعود اليها ولو كان في مقابل قرشين لاقرش واحد. ولكن في صبيحة اليوم التالي قادته قدماه مرة اخرى الى السلخانة فكان المه اقل مما شعر به في الامس وهكذا اعتاد ابراهيم زيارة ذلك المكان كل صباح. وكان يسأل عن اسم كل مايراه حتى عرف اكثر مما يجب لطفل في سنه

وفي السلخانة تلقى ابراهيم دروسه الاولى في التشريح فقد سرق مدية من والدته كان يذبح بها صغار الحيوانات والطيور ويكتشف مافي جوفها من احشاء واعضاء

واستمرت حياة ابراهيم على هذه الوتيرة بضع سنوات الى ان حدث حادث بدل من حياته قليلا فقد مات غم غني له وورث والده عنه بضع مئات من الجنيهات تغير بفضلها حال البيت فخلعت والدته رداءها الاسود القذر واستعاضت عنه بآخر جديد مزركش الالوان واصبحت مائدة العشاء تحليها قطعة من اللحم كل مساء . وقرر الوالد بعد ان اتته هذه الثروة المفاجئة ان يرسل ابراهيم الى المدرسة

واشترط لذلك ان يذهب دائما « بالجلابية » لان البذلة فى اعتقاده تقربنا من الاجانب وتمحو منا القومية والوطنية الحقة

وفى المدرسة تعلم ابراهيم مواد عقيمة بعيدة كل البعد عن روحه الوثابة الثائرة فكان يطلب الى المعلم ان يعطيه شيئا عن مصر وعن الحرية فكان نصيبه بعد تلك الطلبات ان يرسل الى الضابط وينال على يديه ضربا مبرحا

وفى صبيحة يوم حضر مفتش انجليزي من مصر لزيارة المدرسة فاقيم الطلبة واقعدوا لهذا الحادث الجلل واصطف التلاميذ فى ثيابهم النظيفة فى استقباله فحياهم تحية باردة واراد ان يكون لطيفا فسألهم عن الداعى الذي دعاهم الي دخول المدرسة فقالوا للتعلم ياسيدي . ولم تتعلمون ؟ فقالوا لنعمل فى الحكومة ياسيدى وهنا علت الابتسامة شفتيه وقال فقط ؟ فكان الجواب سكوتا كسكوت القبر

وهنا ثارت ثائرة ابراهيم فهتف قائلا اريد ان اكون طبيبا . فابتسم المفتش وقال لم ؟ قالوا لاعالج واشفى ابناء بلدى الفقراء . وقبل ان يتم ابراهيم كلمته صفعه الناظر صفعة شديدة لاجترائه على ذكر ابناء بلده فى حضرة هذا المفتش الكبير

ومرت الاعوام والنجاح حليف ابراهيم الى ان اضطرته المدرسة ان يترك الجلابية ويستعيض عنها بالرداء الافرنكي وخضع الاب لذلك مكرها وحين رأى ولده « بالبذلة » للمرة الاولى قال له يابنى لاتجعل الرداء الافرنكي يقضى على قوميتك بل كن مصريا فى كل شيء واعلم ان مصر لن تنال حريتها الا يوم تمزق هذا الرداء وتلقيه ارضا

وبقيت هذه العبارات عالقة ابدا بذهنه تشعل الوطنية فى ابراهيم طالبا وطبيبا ورجلا عظيما

وحين نال ابراهيم البكالوريا قرر والده وقد أصبح الآن رجلا غنيا ان يرسله الى القاهرة فى مركب شراعي ليتعلم الطب وزوده بالمال . وعند ما مر المركب على احدى قرى الصعيد اوقفها البوليس ومنعها من السير لانتشار الكوليرا فى تلك المنطقة وعرض ابراهيم خدماته على الدكتور احمد جادالله رئيس المستشفى فقبل هذا فرحا ومنذ تلك اللحظة بدأ ابراهيم خدماته للانسانية تلك الخدمات التى طالما تاقت نفسه اليها .

وكان انتشار المرض مخيفا في تلك القرية فكان افواج المرضى تدخل كل يوم وافواج الموتى تخرج كل يوم. واصيب ابرهيم بالكوليرا فى اثناء غياب الدكتور جادالله فنقله التومورجية الى احدى

الخيام واشتد المرض عليه فتحجر جسده وخيل الى من معه انه قد فارق الحياة فنقل حيا الى القبر وفى طريقه الى مقره الاخير انقذه الدكتور أحمد وعاد به الى الخيام

وحين عاد ابراهيم الى رشده بعد بضعة أيام لم يعد يرى الدكتور أحمد فلما سأل عنه قيل له انه قد أصيب هو الآخر بالكوليرا ومات مأسوفا عليه وبحث عن نقوده فوجدها هي الاخرى قد ذهبت مأسوفا عليها

وترك ابراهيم تلك القرية وقد أثقلت الاحزان قلبه على صديقه الراحل وماله المسروق وقادته قدماه الى قرية مجاورة وكان الضعف والهزال قد انهكا قواه فألقى بنفسه جوار جدار قديم وهناك رأته عزيزه الفتاة القروية الجميلة فحملته الى دار عمها فرحبوا به واكرموا وفادته . وكانت عزيزة على قدر عظيم من الجمال ذات كبرياء وأنفة قلما توجدان فى قروية فأحبها ابراهيم وأحبته هي الاخرى وكانا يتقابلان كل مساء فيمكثان معا الى مطلع الفجر وارسل ابراهيم الي والده ينبئه بضياع ماله فارسل له غيره ورجاه أن يسرع الى مصر . وكان سيد القرية باشا معروفا حضر ابنه الشاب « عباس » يوما ليطلب الى عم عزيزة السماح لها بخدمة والدته وكان غرض الشاب ظاهرا للعيان فاتفق ابراهيم وعزيزه على الهرب معا الى مصر . وفى الطريق لحق بهما ابن الباشا والخفراء وانتزعت عزيزه من ابراهيم بعد ضربه ضربا مبرحا

وعاد ابراهيم الى القاهرة وحيدا بائسا . والتحق بمدرسة الطب وسكن حجرة صغيرة بحى السيدة زينب وكان يشترك معه فى الحجرة صديق وزميل له فى المدرسة اسمه ابو بكر

ورغم صخب الحياة فى القاهرة وامتلائها بالحوادث المثيرة ما كان ابراهيم لينسى عزيزه القروية وقد عصمته ذكراها عن الاندفاع كزملائه فى مغازلة الممرضات المصريات فى قصر العينى

وكان الضرب الذى ناله ابراهيم على ايدى الخفراء قد ايقظ ما كان كامنا من حبه فكان يضرع الى الله كل مساء ان يضرب الفمرة ويرى عزيزه

وكان أبو بكر على خلاف ابراهيم مندفعا فى حوادثه الغرامية وملذاته الشخصية وكان شديد الوطنية بلسانه فقط لا بالعمل فكان مثلا يثور على قذارة الحى وعلى جهله وانحطاط مستوى سا كنيه فعرض عليه ابراهيم استئجار حجرة صغيرة فى منزلهم وتخصيصها لكى تكون مدرسة يقبل بها فقراء غلمان الحي . وضحك ابو بكر لهذا الاقتراح السخيف فأبى وفضل أن يشغل ساعات فراغه لا لتعليم جهلة شعبه بل لتدخين الحشيش ومغازلة النسوة الساقطات ومع ذلك استمر ابراهيم فى مشروعه

فافتتح المدرسة ولم تمض مدة قصيرة حتى امتلأت القاعة بصغار التلاميذ ولم يكن غرض ابراهيم تعليم القراءة والكتابة فحسب بل بث روح الوطنية والاعتزاز بالنفس فى تلاميذه واستطاع فى أسابيع قليلة ان يوقظ فيهم الروح المطلوبة فتمرد الاطفال على أهلهم طالبين منهم تنظيف المنازل والطريق وأصبحوا يرفضون تناول الطعام ان لم يكن نظيفا وثار اهل الحى لتلك الروح التى بدت على أطفالهم فذهبوا جماعات الى منزل ابراهيم وصرخوا فى وجهه ان يبعد أطفالهم عن هذه المبادىء الخطرة وان يلقنهم تعويضا عنها تعاليم القرآن . وهتف هاتف من بينهم ان ابراهيم قبطى يجهل القرآن

وحينئذ ثارت ثائرته فخطب فيهم قائلا انه ان كان قبطيا الا انه يحفظ القرآن . وانه ما أعد تلك المدرسة لهذا الغرض فهناك عشرات من الكتاتيب قد خصصت جهورها لحفظ القرآن . وانهم فى حل أن يأخذوا أطفالهم اليها أما هو فعليه واجب آخر وهو بث الوطنية الصادقة فى النفوس والحث على النظافة والنظام والدفاع عن الوطن وهذه المبادىء ان لم تكن حفظ للقرآن فهى تنفيذ لتعاليمه

وأعجب المجتمعون بهذا القول فتبدل غضبهم رضا وهكذا انتصر الاطفال واضطر الاهالى الى تنظيف منازلهم والطريق أيضا

وحدث أن كان ابراهيم وأبو بكر يجلسان معاً فى حجرتهما يدخنان فى هدوء ففوجئا بضابط انجليزى وبعض من الجنود المصريين وقبضوا على ابراهيم بتهمة أنه ثائر يدعو الى الثورة ويربيها فى النفوس . ومن سوء حظه أن كان البرهان والدليل القاطع مكتوبا على السبورة بخط يده وهو آخر درس تلقاه الاطفال ذلك الصباح وهى جمل تحض التلاميذ على كراهية الاستعمار والتفاني فى حب الوطن. وأغمي على ابراهيم تحت ضربات سياط الجنود وحين عاد الى رشده كان بالسجن يحاكم بتهمة افتتاح مدرسة دون ترخيص. وليست الحض على كراهية الاستعمار كما هو الواقع .. وثارت مدرسة الطب وأضربت احتجاجا على اعتقال ابراهيم . وكان يقود الثورة أبو بكر ولذا قبض عليه والقى فى السجن عاما . . . وبعد ثلاثة أشهر من دخول ابراهيم السجن أطلق سراحه فعاد الى حجرته فوجدها خاوية علي عروشها وقد سرق ماله وملبسه وأصبح لايملك من الدنيا إلا الرداء لممزق الذى يرتديه . . . فذهب الى المدرسة وهناك حمله الطلبة على الاعناق ودخلوا به على

الدكتور هرمان الطبيب الالمانى بالمستشفى الذى عطف عليه أشد العطف وأمر برده الى المدرسة مجانا وأعطاه جنيهين وبذلة قديمة من بذلاته . . .

واستأجر ابراهيم حجرة صغيرة جدا فى الجيزة . وانكب ابراهيم على دراسته بروح جديدة فهو الآن أشد مقتا واحتقاراً للاستعمار وأشد انتقاداً لحال مصر ولكنه وقد اكسبه السجن رزانة جديدة قد قرر أن يترك السياسة جانبا الى أن يتخرج طبيبا ، واذ ذاك يعود الى جهاده بسلاح أقوى وعقل أرجح . . .

وأتى فى طريق ابراهيم أحد الأمراء المصريين فعطف عليه وأحبه وقرر له مبلغا من المال الى أن يتخرج فقبل ابراهيم العطية من الامير مشترطا لقبولها اطلاق سراح ابى بكر وكان له ما أراد

ومرت الاعوام والنجاح حليف ابراهيم وتخرج من المدرسة بتفوق وعين طبيب امتياز بقصر العينى وحدث أن كان يوما يفتش على قسم الولادة فوجد بين النساء وجها يعرفه وكان هو وجه عزيزه التى كانت ترقد فى فراش والى جانبها طفل حديث الولادة . . وعرفها ابراهيم للحال وعلم منها أن طفلها طفل غير شرعى لعباس بن الباشا . . . وهالت ابراهيم هذه النهاية التى ما كان يرضاها لحبيبته عزيزه وقرر أن يصلح ما اعوج من أخلاقها فعاد بها الى منزله وأعطاها حجرته واشترك هو وأبو بكر فى الحجرة الأخرى وحين ضم المنزل عزيزه وابراهيم للمرة الاولى نظرت اليه ولم تتكلم ففهم ماترمي اليه فاجابها « كلا ياعزيزه سنكون هنا غير ما كنا فى الريف فالله يشهد اني ما أتيت بك هنا لتبعثى باولادمنك الى الرذيلة التى تفسمت هواها اننى اليوم حاميك وان كنت ما زلت أحبك الا أننى سأقتل هذا القلب لاقودك الى الطريق السوى » وانكب ابراهيم على اصلاح ما اعوج من اخلاقها ولكنها كانت دائما تفضل ان ترقص له ولصديقه او تغنى أغنية مبتذلة على أن تنصت الى تعاليمه الاخلاقية

وبدأ القلق على عزيزه فهى لاترضى بابراهيم كشقيق وأصبح هو مزعزعا بين عاطفتيه حبه لعزيزة ورغبته الصادقة فى تطهيرها من الادران التى التصقت بها وذات مساء حين عاد الى المنزل وجده خاليا فقد هربت عزيزه بصحبة ابي بكر وتركاه وحيدا لاانيس له الا تعاليمه الاخلاقية الفاشله

وعين الدكتور ابراهيم مساعدا لحكيمباشى مستشفى دمنهور فاسرع اليها هربا من القاهرة وذكرياتها المؤلمة . وفى دمنهور ذاق ابراهيم مر العذاب . فرئيسه يرتشى من الجميع حتى من

العاهرات ويضرب المرضى ويسرق أموالهم ومأ كلهم فحاول ابراهيم الاصلاح ففشل واضطر الى كتابة تقرير مفصل عن هذه الجرائم ارسله الى وزير الداخلية راجيا التحقيق

وبعد بضعة أسابيع اتى مفتش مندوب للتحقيق فقام بمهمته على أسوأ مايكون وانتهى بتوجيه تهمة الثورة الى ابراهيم ونقلة الى ادفو عقابا له على اخلاصه لعمله . وعرض بعض الاجانب مبلغا من المال يفتتح به مستشفى خاصا ويترك عمله الحكومى فأبى بدعوى انه مصرى شديد الاخلاص فى عمله

وسيعمل دائما علي اصلاح الحكومة حتى يرتقى بمصر الى المقام الذى يرغب فيه لها او ينال حتفة فى ذلة وانكسار وفى ادفو استطاع أن يخدم إحدى السيدات الانجليزيات فقد أجرى لها عملية انتهت بنجاح هائل فكافأته بمبلغ كبير من المال وعرضت عليه السفر على نفقتها الى انجلترا لاتمام تعليمه وتردد أولا فى قبول السفر ولكنه اضطر اليه بعد تقديم استقالته التى اندفع اليها تحت تأثير اضطهاد صليب بك مندوب مصلحة الصحة الذى كان يطلب منه مائتين من الجنيهات فى سبيل كتابة تقرير فى صالحه.وأتم ابراهيم دراسته بانجلترا بنجاح هائل وا كتسب ثقة الانجليز فمارس مهنته هناك عشر سنوات انتهت باصابته بالسل الرئوي وعجزه عن الاستمرار بالعمل . وفى طريقه الى سويسرا للعلاج اشتد به المرض بباريس فخرج يوما للنزهة ودخل حانة صغيرة وان كانت تدعى مرقصا فهى بؤرة فساد وبين عشرات الساقطات هناك التقى ابراهيم بعزيزة. فأتت اليه با كية وقالت أنها ما كانت ترغب فى أن يراها وقدسقطت الى أسفل الدرجات وعفا ابراهيم عن عزيزة واضطرها الى ترك المكان والسفر منه لا إلى سويسرا كما كان ينبغى وانما الى مصر وقبلت هي عن طيب خاطر ترك حياتها القذرة وعادا معا ليموت ابراهيم بين ذراعيها بعد أسابيع قليلة

***

والآن أيها القارىء وقد انتهى التلخيص أحب أن أقول أن جمال الكتاب ليس فى وقائعه وانما فى نقده الصادق لعيوبنا الاجتماعية العيوب التى نعترف بها معشر المصريين فى مجالسنا الخاصة وننكرها أشد النكران فى حضرة الاجانب ...

ينتقد المؤلف سبل التعليم فى مصر وما فيها من قضاء علي الوطنية والذكاء . فالطفل المصرى ماهو إلا آلة تحشى بشتى المعلومات تلقن كل شىء ماعدا الوطنية والحرية والقومية فليس بعجيب

إذن أن يترك الشاب المدارس وقد نسى الوطن وما يهم الوطن وما يجب عليه نحو الوطن ويحمل نيتيل حملة شعواء على أنظمة الحكومة ونظام المستشفيات الباشمارجي هو دكتاتور المكان يدخل من يشاء ويخرج من يشاء يفرض على المرضى ضريبة مالية ومن عجز عنها فنصيبه الاهمال والشقاء والآلام ...

ويكفى لتحقيق صدق هذا القول أن نسأل أحد فقراء المرضى فى قصر العينى ليقص علينا من فظائع التمارجية أشكالا وألوانا. ويعود المؤلف فيناقش مشكلة اجتماعية حيوية ألا وهى ما يصيب فقيرات الخادمات من الشقاء والمذلة فى البيوت. فعزيزة الفتاة القروية لم تتخذ خادمة إلا لجمالها الفتان وقد ذهبت اليه طفلة وبدل أن يتقوا الله فيها ويتعهدوها بتربيتهم علموها الفرنسية والرقص وألقوا بها بين أيدى ابنهم « البكر » ... وحين سقطت وقضى منها الوحش مأربه طردت كالكلاب خارج المنزل. هذه المشكلة حقيقة خطيرة تحدث كل يوم فى أسرنا الكبيرة والصغيرة وياله من عار أن أذكر هنا أن جماعة من الاجانب قد أنشأوا جمعية لحماية فقيرات الخادمات المصريات من اعتداء أسيادهن المصريين. وقد كشف لنا نيتل عن مخزية أخرى من مخازينا الاجتماعية وهي انتشار الرشوة فصغار الشباب لايصلون الي المركز الذى يتناسب ومواهبهم إلا بالرشوة . وكلنا مازلنا نذكر الفضائح التى ظهرت فى إحدى الوزارات والتى مازال التحقيق يتناولها لليوم

أما شخصية أبراهيم فهي الجمال بعينه فهو المثل الاعلى كما يجب أن يكون عليه كل مصرى فهو مثال المصرى المخلص لعمله ووطنه . مثال التضحية فى سبيل العقيدة تراه يأبى على نفسه رغباتها فى سبيل تقويم أخلاق عزيزة واصلاح ما اعوج منها وليس ابراهيم بالآلة الميكانيكية فهو بحبه واخلاصه لعزيزة قد ظهر مثالا انسانيا حيا يحب ويشعر ويتألم لأجل من يحب

ينتقد الكاتب فى قسوة وشدة احترامنا الذى لا مبرر له للاجانب ووقاحة الاجانب التى هي اجابة طبيعية لهذا الاحترام — ويكفى أن نقرأ الفصل الخاص بزيارة المفتش الاجنبي للمدرسة لنرى صورة فكاهية انتقادية لاذعة فناظر المدرسة يجهد الفراش والطلبة سبعة أيام طوال استعدادا لاستقبال ضيف المدرسة العظيم وحين يحضر المفتش يأبي الناظر إلا أن يسير خلفه لاظهار خضوعه واحترامه وما تكاد تنفرج شفتى المفتش بكلمة حتى يندفع الناظر كالببغاء. وهذه الصور وان تكن قاسية إلا أنها واقعية مع الاسف فنحن اذ نكره الاجانب فانما نكرههم كراهية الكلام لا العمل . وانى أتذكر جيدا ماقصه على طبيب مصرى فى قصر العينى ... فقد حدث يوما أن كان

بباب المستشفى جمهور كبير من فقراء المرضى يقفون بالترتيب حتى يأتى دور كل منهم . وأتى رجل اجنبي اذ ذاك فتخطى من حضر قبله ولم يحترم نظام المكان وتقدم الى ردهات المستشفى دون استئذان وكان هذا العمل يكفى لطرده فى أي بلد آخر يسوده احترام النفس والمحافظة على القوانين ولكن طلبة المستشفى ما كادوا يلمحون العيون الزرقاء والوجه الاجنبى حتى تسابقوا فى تقديم خدماتهم وسألوه فى احترام ظاهر عن حاجته وتطوع طالب باحضار تذكرة الدخول بنفسه ثم أدخل فى صحبة مظاهرة من الطلبة الى الطبيب الذى يقصده . وحين وصل الجمع الى الحجرة المقصودة تناسى الرجل ماقدموه اليه من خدمات فدخل دون أن يشكر أحدهم . هذا بينما يقف على باب المستشفى عدد كبير من فقراء المرضى يطلبون ويلحون فى الدخول فلا يصيبهم إلا صفعات التمارجية . . .

وعلى لسان والد ابراهيم ينتقد فينا الكاتب تشبهنا بالأجانب وأننا بعاداتنا الافرنجية ولباسنا الاجنبى قد أصبحنا عنصرا منبوذا فما نحن بالأوربيين لأننا دخلاء عليهم ولسنا منهم وما نحن بالفلاحين لأننا نأبى أن نكون كذلك. ولقدصدق جون نيتل إذا يقول أن مصر لن تنال حريتها الى يوم نمزق اللباس الاجنبى ونلقيه أرضا. وأنى وان كنت أقسو فى كلامي هذا فما ذلك إلا لأننى أرى العيب فى نفسى قبل أن أراه فى غيرى ويؤلمنى ذلك العيب وان عجزت عن مقاومته لضعف فى وانقياد أعمى الى المدنية الاوربية .

توفيق الحكيم

الرجل . . . والفنان

عينان فيهما هدوء البحر وعمقه ، ووجه مستطيل بين البياض والسمرة تترقرق فى نواحيه ابتسامة حلوة مشرقة ، وجسم طويل نحيل تقتحمه العين لأول ماتراه فتكاد تنكر - أوهى تنكر - أن يكون ذلك الماثل أمامها من قرأت له روائع الفن الخالد ، ولكنك لاتكاد تطمئن فى مجلسك حتى تتفجر لك نفسه عن أجمل روح محدثة ، يسحرك بحديثه العذب ، وتعجبك رقته ، ويأخذ عليك نفسك ، فاذا بشعاع عظمته يتسرب اليك حتى لتكاد تلمسه لمس اليد. يقبل عليك متحدثا فاذا أنت قبالة بحر من أى النواحى أتيته ألفيت عنده العبقرية يتوهج نورها الوقاد فى كل شىء فيه فيفيض على كل ماحوله سحراً .



الأستاذ توفيق الحكيم

والأستاذ توفيق سائغ الحديث ، رقيق الاشارة ، منبسط أسارير الوجه يترقرق الأدب والروعة والعبقرية فيه فتخرج من لديه مسحوراً بهذا الذكاء المسعر المتقد ، والعقل الراجح الوفير ، والطبيعة السمحة المشرقة الجوانب والنفس الصافية من أوضار الكلام وغثه ، واللفظ الحلو الرقراق ، والادب الجم ، إلى عذوبة روح متلألئة تفيض على محدثه بفيض من جلالها فيلمسه ولكنه يبقى عبثا ! إذا هو حاول أن يضع أصبعه على مكان هذا الجلال . أتراه فى تقاطيع وجهه ؟ أم فى حديثه ؟ أم فى طبيعته ؟ أم فى عينيه المؤتلقتين ؟ أم فى ذلك كله ؟ أم فى غير هذا ؟

قرأ الحكيم الادب العربى القديم فكان تكئة قوية لأسلوبه الرائع الجزل الذى تمسه فى كل مايكتب . وقرأ الحكيم الادب الغربى فكان عماده فى توسيع آفاق الفكر . أضف الى ذلك قريحة نفاذة قوية ، مشبوبة العبقرية ، ترى فى صغير الامور ماتعجز عنه العقول الكبيرة ، وما تتهاوى أمام شعلتها الخفاقة سجف الظلام وتتقهقر جيوشه وجحافله ، وتتفتح لها بعدها معارج الفن الرفيع ، فتصمد فيها وتأخذ باسباب الخلود ، وحسب معاصريه فخراً فى الغد أن يقال إنهم كانوا معاصريه ، وحسب الادب العربى الحديث من جلال أن يكون فيه توفيق الحكيم ليكون خير غناها ومفخرة له إذا ماتسابق فرسان الفن الخالد فى حلبة الفن الخالد

لم يقلد توفيق الحكيم أحداً فكانت كتابته صورة واضحة صادقة منه ، يجهدك البحث ويضنيك إذا حاولت أن تجد له قرينا فى أسلوبه أو خياله أو حكمته ، وإن مايتفتح أمام بصيرته يستحيل ان يتفتح إلا أمامه ، ويستحيل سواه أن يمضى فى هذا السبيل

وإنك لتقرأ لتوفيق الحكيم مايستحدثه فى الضاد من قصص أدبى ، فاذا هو يهيمن على عواطفك ويسيطر على شعورك ويتحكم فيك ، فتلقى اليه القياد ، رضيت أم أبيت ، وسواء أكنت صديقه أم عدوه أم لاهذا ولا ذاك فانا زعيم بانك ستقول : هذا هو فتى الفن ، هذا ابن بجدتها

فان كنت معه فى « أهل الكهف » طوى بك القرون القهقري إلى تلك الفترة البعيدة ، فاذا أنت بعض من أصحاب الرقيم ، وإذا بك تلمس عن قرب ويقين ماتعاور الحياة إذ ذاك من صنوف الاضطهاد ، وإذا بك تلمس الضمير الحر وصبر الايمان ، المتمكن فى بعض القلوب ، وإذا بك تلمس بعد هذا وذاك المعجزة الخالدة العجيبة ، ويقربها توفيق الحكيم إلى نفسك فتؤمن بها ، وتؤمن بانك أمام رجل قصاص جبار الفكر استطاع أن يتحكم فى نفسك وشعورك وعواطفك وخيالك

وطالعه فى « عودة الروح » تجد أمامك قصاصاً ماهراً لايعمد إلى البهرجة أو الادعاء ولكنه يصوغ من الحقيقة الواقعة كل مايتسرب إلى نفسك سريعا ويبهجها دون تعذر أو صعوبة فتحس بالهدوء يغمر مشاعرك ويفيض على جوانبك ، وتري فيها صورة من صور الحياة الحقة . كما تري فيها حدبه على ذلك « الفلاح » وعطفه عليه واحترامه إياه . وتري فيها صورة من صور السخرية التى يصطنعها البعض لهذا « الفلاح » المتفصدة جبهته عرقا كل قطرة منه تضيف إلى كنوز الأثرياء المال الوفير ويستحيل عندهم إلى أصفر رنان

وهل رأيت فيها إلى صورة ذلك الفتى الناشىء وقد هيمن الحب على نفسه وجوارحه . والحب أول كلمة من أول سطر من أول صفحة من كتاب الشباب . أرأيت إلى هذا الفتى اليافع وقد رشق كيوبيد سهمه فى شغاف فؤاده ، فطأطأ هامته للحب الذي بعث فيه النشاط والجد ووسع آفاقه ؟

وهل رأيت سخريته اللاذعة باحترامنا الكلى للاجانب وتفانى الشخصية القومية فى شخصيته ؟ وهل رأيت فى جلاء مابعده من جلاء إسرافنا فى الاكرام ؟ وهل رأيت غير ذلك من صور الفن ومشاهده مايطل من ثنايا كل سطر من سطور هذه القصة المصرية الرائعة ؟

واقرأه فى « شهر زاد » وانظر كيف بعثت من خيال توفيق الحياة تتفجر حياة وإبداعا وتفيض روعة وسحراً ، وتفيض فتنة واتساقا . أنظر إلى شهر زاد قد بعثها الحكيم بعد سبات طويل تخطر كأبدع مارأت عين وأبهى ما تمنت نفس وأخلد ماسطر الفن فى سجله

لقد بعثها قصاص مصر الكبير فاطلعها غرة فى جبين الفن والادب ، وكانت روعة الخلود ورميته ومثال الأدب الرفيع وربته وكانت فى سمائه النجم اللألاء وفى ليله الداجى الأفق المكوكب المقمر باشعة الخلود

وطالعه فى « أهل الفن » ستجد توفيقا الحكيم بروحه وخياله ودقة فنه وجلاله وروعة فكره وجماله . وستجد توفيقا الحكيم العقل الوفير والحكمة الخالدة والطبيعة الفنانة التى نجمت فى أحضان فولون ، والفكرة الدقيقة التى أطلقتها على لسانه مبثوقا

* **

وإن آخر ما أخرجته يراعة توفيق الحكيم من قصصه الرائع « محمد » آية الفن الأدبى الحديث وقصة البطولة المشرقة ، والعظمة النفسية . وشبه الشىء منجذب اليه . لقد قرأ الأستاذ الكبير توفيق سيرة الرسول العربى فى كتبها ومظانها ، كما قرأها آلاف وملايين من قبله ، وكما سيقرؤها الآلاف والملايين بعده . ولكنه أبصر بعين الفنان نور العظمة وضياء الجلال فسكبها فى رواية سيقرؤها الجميع وسيرون فيها تمكن هذا العبقرى من فن الرواية والحديث وقدمه الثابتة فى هذا المجال . وسيرون كيف أن أبواب الفن تفتحت مصاريعها أمام فكره فولجه وجاء بالمعجز المدهش وسيقول الذين فى قلوبهم مرض والذين أعمى الله بصائرهم وأسدلت سجف الغيرة على أفئدتهم ، والذين على قلوبهم أحنة من هوى مارق ، والموغورو الصدور والمتطلعون إلى العظمة وهم أخوى من الطبل الاجوف وعقولهم كالزبد الطامى سرعان مايذهب جفاء ، وطلاب الشهرة سيقول هؤلاء جميعا ومن على شاكلتهم : وما جهد توفيق الحكيم فى محمد هذا ؟ إن هو إلا رجوع الى المصادر القديمة وجعل الخطب والاحاديث فى شكل حوار ان لذ وأعجب الا أنا قد قرأناه من قبل ؟ والى هؤلاء الذين ختم الله على قلوبهم نقول ماقال الشافعى مامعناه « هذا أحسن ما عندنا فمن كان عنده أحسن منه فليأتنا به » والى هذا النفر أيضا نقول:

ــ وأين كنتم يوم كان توفيق الحكيم فى صومعته منكبا على دراسة حياة البطل الذي بعثه

الله نبيا ؟ لقد قرأتم ياهؤلاء القشور وجاء هو باللباب . وبغيتم العرض فاوفى بالجوهر وخرج به على الناس . ورد للفن الرفيع قصة محمد جزاء ما أرضعه من لبانه شابا ويافعا

لقد تعاون الفن والعقل الراجح على تصوير محمد كما يرضاه الحق وكما يرضاه الواقع وكما ترضاه سنته ، فما أدخل الاستاذ الكبير بمعنى ولن تجد فى كتابه مغمزا تلين به قناته . وما أنطق الرسول أو أصحابه بشيء مفترى وسيبقى هذا الكتاب مرجعا ادبيا تاريخيا فنياً للجميع كما ظلت سيرة محمد براقة فتانة فيها جوانب العظمة والجلال النفسى ، والشخصية القوية والبطوله العظيمة والايمان الجم والثقة بالنفس . وسيبقى اسم « الحكيم » فى الفن شعلة تبهر أنوارها الأبصار وتطأطىء الرءوس أمامها إجلالا

إن كتاب « محمد » عمل فنى قبل كل شيء ولكنك لن تلمس فيه إلا كل مايحبب الى نفسك دراسة الكتاب وصاحبه كما تذاكرت بظله الأجيال

أسمعت باسم بحيرة الراهب ؟ أرأيت حرب قريش العوان على محمد واضطهادهم إياه ذلك الاضطهاد المرهق الذى لن تجد له شبيها إلا فى مالقيه نصارى نجران أصحاب الأخدود من ذى نواس المتهود ؟ أرأيت ايمان أصحابه وكيف لاقوا من العذاب الامرين ، فما لانت لهم قناة ولا أرتدوا عما آمنوا به ؟ وكيف نصروه نصراً عزيزا ؟ وهل رأيت الى قريش ونحوها وكيف تعاونوا على الكيد له سراً وجهراً فما استطاعوا من ذلك شيئا ؟ وهل رأيت الى عمر بن الخطاب او خالد بن الوليد او عمرو ابن العاص أو غيرهم وقد كانوا أعوان الباطل على الحق ، فاذا هم يأتون محمداً مسلمين وجههم للذى فطر السموات والارض مؤمنين بدعوة محمد وأنه رسول يوحى اليه من قبل الله ؟ وهل رأيت إلى هذه الرءوس الضخمة وقد صارت من أقوى سواعد الاسلام وكيف نشرت دعوته وحاربت أعداءه وأيدته بقلبها ولسانها ؟ والقبائل بفتيانها وشيوخها ؟ وهل رأيت قبل هذا الى محمد يخرج بمفرده يدعو قومه الى عبادة الله وترك الاوثان وليس له من معين سوى صبي صغير هو على بن أبي طالب؟ وينتهى محمد بان يسلم العرب جميعا عبدة الاوثان وينتقلون من الوثنية الي الوحدانية مرة واحدة ؟

ترى كل هذا وغيره من دقيق حياة محمد وأصحابه فى هذه القصة التى ألف بين شتاتها الأستاذ الكبير توفيق الحكيم . والتى أودع فيها الحكيم فنه فكانت درة الفن الرفيع ، وقصة الادب العربى الحديث ؟

* * *

وبعد

فالى بعض شبابنا الذين تنكبوا سبيل الادب نسوق قصة هذا الفنان الكبير لقد قرأ الكثير

من الأدبين العربي والغربي ، وهضم الاثنين ثم مجهما أدبا جديدا له طابعه الخاص وروحه الخاصة به وعليه مسحة الشخصية التى لا يشاركه فيها أحد

فليكن من توفيق الحكيم لشبابنا الذين يريدون أن يعالجوا الادب قدوة يقتفون آثارها ، ويسلكون سبيلها ، وشعلة ييممون وجههم شطرها ، ومنارة يدلجون فى الليل البهيم على أنوارها ومشكاة تبدد ما كمن فى بعض النفوس من شهوة للشهرة سريعا

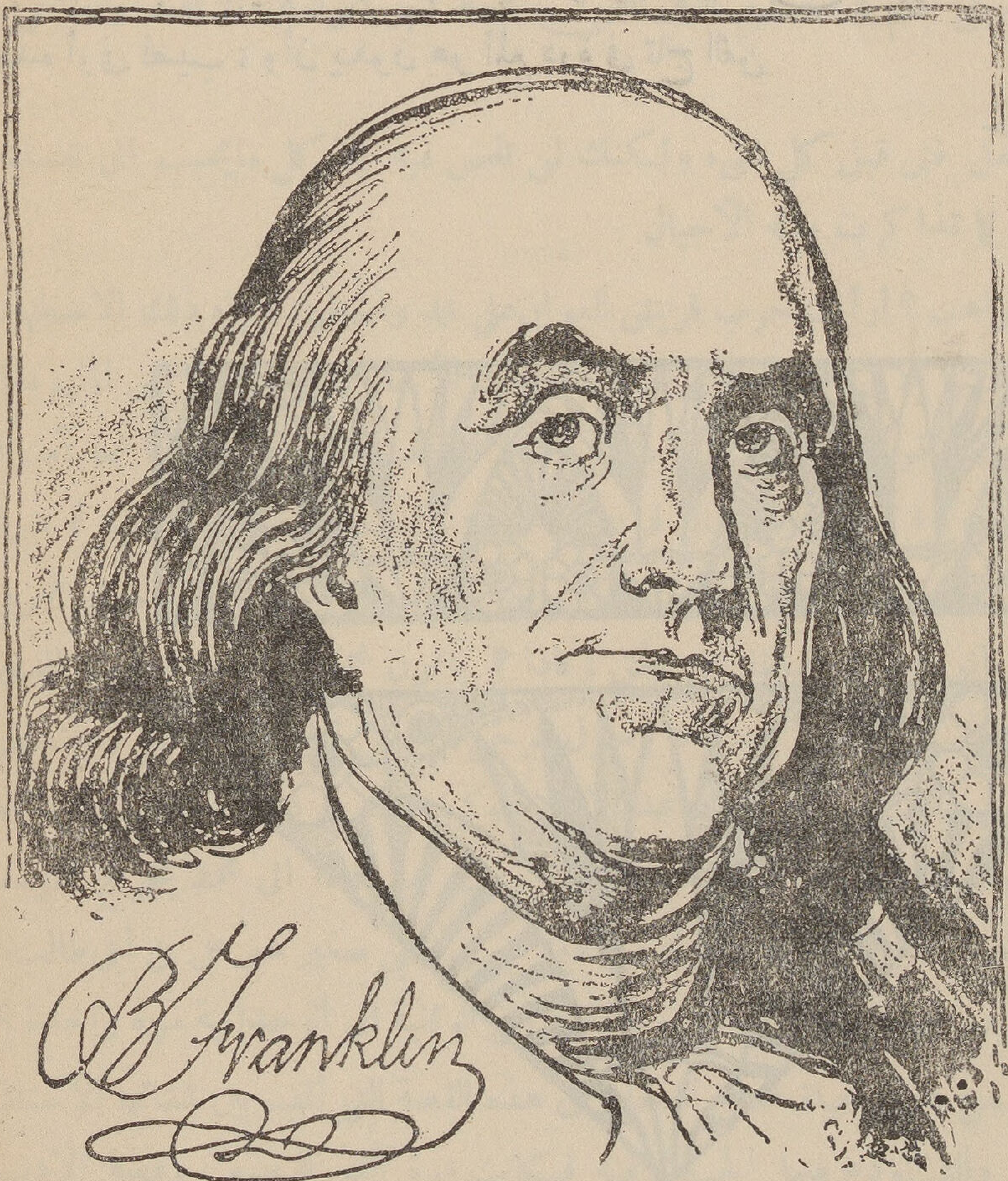
وإنى لأقول - وأنا واثق مما أقول - ان توفيقا الحكيم هو الفنان والقصاص المصرى الذى سيخلد الادب الحديث آثاره ، وحسبه - وهو العازف عن الشهرة والادعاء - أن يكون للفن عنده أوفى نصيب ، وأن يكون هو ألمع درة فى تاج الفن

حسن محمد حبشى

بنيامين فرانكلن

ماذا يمكن الانسان أن يؤدى لبلاده من الخدمات اذا كان عبقريا له ذكاء وأخلاق ؟

فى حياة بنيامين فرانكلن الامريكى الاجابة على هذا السؤال . فقد عدد أحد أبناء وطنه بعض ميزاته فذكر منها مايلى :



بنيامين فرانكلن

كان أول أمريكى متمدن

وكان أصغر لابناء لاصغر الابناء

وكان أول فيلسوف فى القارة الامريكية

وكان أول سفير لبلاده

وهو الذى اخترع الآلة الموسيقية المسماة هارمونيكا

وهو الذى اخترع الكراسى الهزازة

وهو الذى أقام المصابيح فى الشوارع

وهو أول من استعمل الصور الكاريكاتورية للاغراض السياسية

وكذلك هو أول مخترع للمكتبة السلفية التى تعير الكتب للمشتركين فيها

وهو الذى اكتشف « مجرى الخليج »

وهو الذي اخترع « موصل البرق »
وهو الذي دعا إلى تقديم عقرب الساعة فى الصيف لكى يبكر الناس فى الاستيقاظ
وقد انتخب رئيسا لولاية بنسلفانيا أربع مرات
وهو أول من أرسل الصحف بالبريد
وهو أول من وضع الرسوم لاتجاهات العواصف الشمالية الشرقية
وهو أول من أوجد مصلحة حكومية لتنظيف الشوارع
وهو الذى اهتدى إلى أن البرق والشرارة الكهربائية شىء واحد
وهو أول من استعمل الاعلانات التجارية
وهو الذي اخترع النظارة المزدوجة
وهو أول من دعا إلى اصلاح الهجاء الانجليزي
وهو أول من عرف أن الشهيق أى النفس الخارج من صدورنا يحتوي على غاز سام
وهو أول من جعل طب الأسنان علماً صحيحاً وحرفة شريفة
وهو أول من أوجد مطافىء الحريق
وهو مؤسس الحزب الديموقراطى
وهو مؤسس نظام البريد الحديث
وهو مخترع كانون فرانكلن للطبخ
وهو الذى اخترع الملابس البيضاء فى المناطق الحارة
وهو أول من استعمل الصور فى الاعلانات
وهو الذى أدخل نبات المكانس فى أمريكا
وهو أول من فهم طبيعة الزكام
وهو أول من اخترع الطرق الحديثة للتهوية
وهو أول من استعمل الجير سمادا
وكان أحد الخمسة الذين وضعوا « اعلان الاستقلال » للولايات المتحدة سنة ١٧٧٦
وكان أحد أعضاء اللجنة التى وضعت الدستور سنة ١٧٨٥

وقد عاش ٨٤ سنة إذ ولد سنة ١٧٠٦ ومات سنة ١٧٩٩ ، ولم يعرف رجل جمع بين السياسة والبحث العلمى والاكتشاف والاختراع مثل فرانكلن . وأقرب الناس اليه جيته الأديب الالمانى وبيكون الفيلسوف الانجليزى

الاديب والشعب

منذ زمن بعيد يدأب فريق من الكتاب ليحفروا بين الاديب والشعب هوةسحيقة، وليقنعوا الاديب أنه أعلى من الشعب ، كون من معدن غير معدنه ، وألهم لسانا غير لسانه ، وان أكبر مفخرة له أن يبقى غريبا عن الشعب ، مجهولا عنده ، حتى صارت أجل الصفات التى يمدح بها أديب ما ان يقال عنه . « عاش ومات ولم يفهمه عصره ! » وحتى غدت فى نظر الاديب أخصر الطرق لكى يصل إلى الشهرة أن يتعمد كتابة مالا يفهمه لا انس ولا جن !

رويدكم ياسادة ! انكم بذلك تنتزعون الطفل من صدر أمه ، وتباعدون بين المريض وطبيبه الوحيد ! . لان الشعب — مهما ادعيتم وتقولتم — بمثابة ام للاديب . تلده من دمها واحشائها . وتطعمه من فؤادها وتسهر عليه بدموعها وأفراحها . ولان الاديب — مهما وسوستم له — طبيب الشعب . يخبر من نظرة أوجاعه . وربما شعر بها قبل أن يشعر بها المريض نفسه . فيسعى لمعالجتها بما أوتيه من حس ملهم . وفكر ثاقب

كانت مسرحيات شكسبير وموليير — ولا تزال — تجمع متفرجين من كل طبقات الشعب . وكتابات جيته وتولستوي لم تكتب لطبقة خاصة من الناس . ومع ذلك فلم تكن هذه الصبغة الشعبية لتمنع شكسبير وموليير وجيته وتولستوى من أن يصبحوا كتابا عالميين وفنانين خالدين

ليعلم أدباؤنا الذين يكتبون بلغة ترجع الى ثلاثة عشر قرنا على الاقل انهم يخونون رسالتهم أشنع خيانة . وليفهم الذين ينسون آلام الشعب وعيوب المجتمع الحاضر ليتلهوا بفخرهم العنترى حينا . ودموعهم المخنثة حينا آخر . انهم جبناء يفرون من وجه الضرورة والمسؤولية فراراً مخزياً

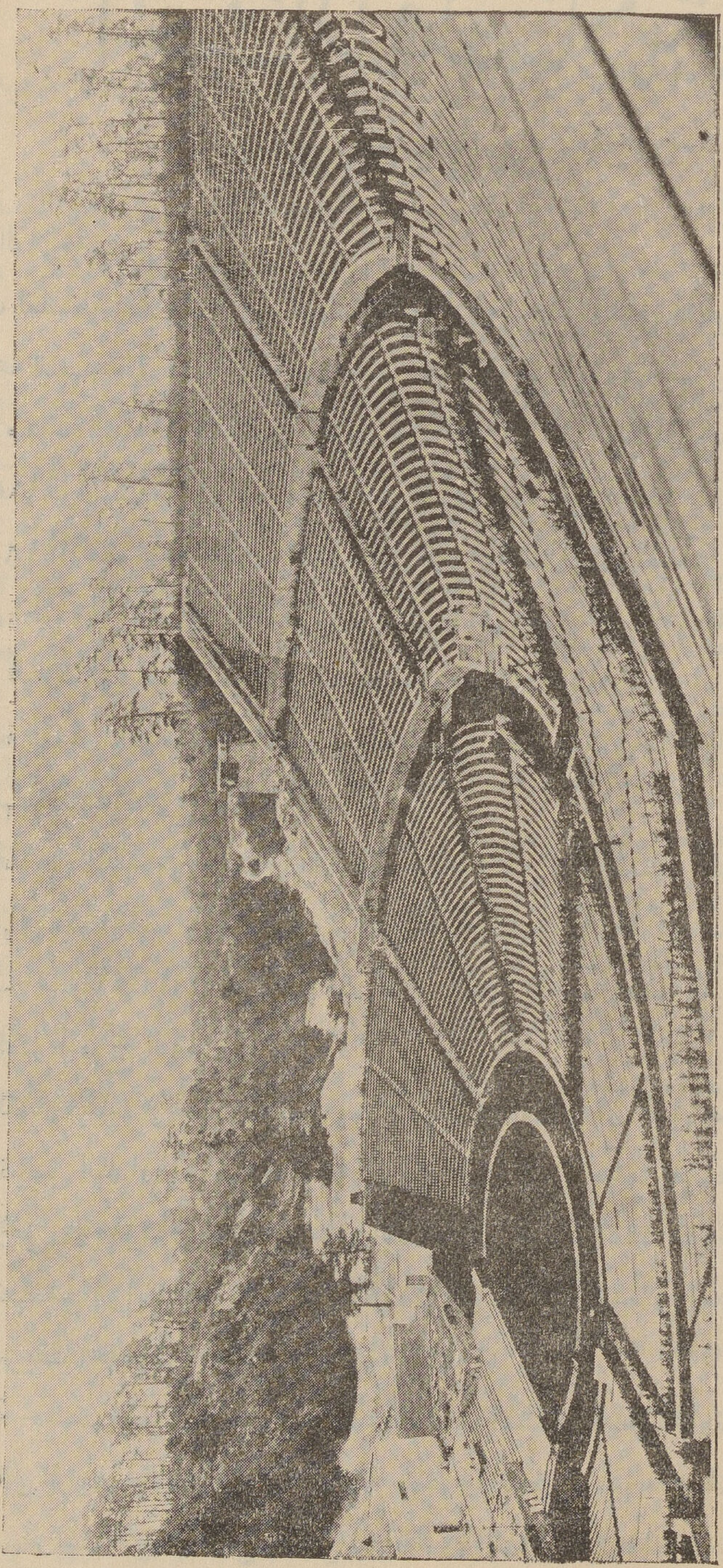
ان الانسانية لم تعبأ فى كل تاريخها بالادباء الانانيين الذين تناسوها فى سبيل اشباع كبريائهم . فهى قد نسيتهم وأهملتهم ولم تحفظ فى معبدها إلا أسماء الادباء الذين كانو مرآة لآلامها وافراحها . وخلدوا عنها صورة جامعة بين الحق والجمال

لقد آن للشعب أن يقول كلمته فى الادب والادباء . وان يوقف عندحدهم أولئك الذين يريدون أن يتجاهلوا وجوده ويقذفوه باحتقارهم

هذه الكلمة هى : نريد أدبا عاليا وموضوعات انسانية بلغة بسيطة تستجمع شروط الفن ويفهمها الشعب

كامل عياد

الالعاب الاولمبية فى ألمانيا



المسرح الفريد الذى أنشىء فى ساحة الرياضة بألمانيا لألعاب الفروسية الاولمبية وهو يسع عشرين الف متفرج وقد أوشك أن يتم

أخبار اقتصادية

الخمر والنبيذ في مصر

قالت مجلة الفلاحة :

اننا نعترف لفلسطين بالأولوية من حيث إتقانها لمستخرجات العنب فأصبحت اليوم من أوائل بلاد العالم صناعة للنبيذ والزبيب الجيد بينما مصر تقوم فى طريقها مصاعب واعتراضات لاحتراف هذه الصناعة «صناعة النبيذ» متخذين حجتهم فى ذلك أننا بلد اسلامى يجب ألا يصرح بعمل النبيذ فيه ، وهذا قول يناقض الواقع تماما وليس له أى وجه من الصحة . فمصر تستورد سنويا من النبيذ ما قيمته ٣١٦ ألف جنيه خلاف المشروبات الروحية الأخري كالوسكي وغيره ، فالبلد الذى يصرح بدخول الخمر ولا يمانع فى تعاطيه كيف يتأتى له أن يمنع عمل الخمر اللهم إلا اذا كان المعنى لذلك ألا نزاحم البلاد التى تصنع النبيذ بنبيذ تصنعه مصر فى أسواق مصر!

إننا نفهم أنه إما أن يمنع دخول الخمور ويمنع شربها بمصر وتمنع صناعتها أيضا ، وإما أن يصرح بدخولها وشربها وبذلك يصرح بعملها أيضا

وما نقوله هنا على النبيذ من حيث مايقام ضد صناعته من اعتراضات نقوله أيضا على صناعة الكونياك والعرقى فصناعتهما سهلة ميسورة يمكن القيام بها وفيها ربح كبير مضمون . وهذا المبلغ الذى تدفعه مصر سنويا ثمنا لما يدخل اليها من نبيذ والذى يقارب نصف مليون جنيه مصرى مبلغ لايستهان به ومصر أحوج اليه وأولى به

وإن مصر لقادرة تماما على صناعة النبيذ من عنبها وفى إمكانها أن تصل بصناعته إلى درجة من الاتقان يجعلها تنافس البلدان الاخري إن جاء الوقت الذى فيه تزيد ما تصنعه من نبيذ على ما تتطلبه أسواقها . ولا يخفى ما يعود على مصر من هذه الصناعة من تشغيل عدد كبير من العمال وما يعود على مزارعى العنب من فوائد وما ينتج عن ذلك من الرغبة الاكيدة فى زيادة المسائح المنزرعة عنبا وسهولة تصريف المحصول وارتفاع ثمنه تبعا لذلك

أما من جهة تجفيف العنب وعمله زبيبا فقد قام قسم البساتين بعمل تجارب فى ذلك ونجح فيها ، غير أن طريقة عمل الزبيب بفلسطين طريقة سهلة ميسورة تعطى زبيبا جيد النوع فاتباعها مع ما عندنا من أصناف عنب الزبيب التى تعد من أحسن أصنافه فى العالم تجعل عندنا آمالا كبارا فى أن يكون لهذه الصناعة شأن عظيم بمصر

صناعات أسيوط

يجدر بنا ونحن على أبواب المعرض الصناعى الزراعى العام أن نلقى نظرة على صعيد مصر مهد الصناعات ومنبع الثروة التجارية المصرية فى الماضى البعيد والقريب

لنقف فى أسيوط عاصمة هذا الصعيد وكانت فيما مضى صلة الوصل بين مصر العليا ومصر السفلى وملتقى القوافل الآتية من السودان والواحات حاملة الى مصر منتجات تلك البلاد وآخذة اليها أجود ما كانت تخرجه يد الصانع المصرى وأرض مصر

وعلاوة على شأنها التجاري الممتاز كان لأسيوط نصيب وافر من تحول المدنية المصرية القديمة فلما أسست طيبة أنبري أمراء « أسيوط » لمؤازرتها وتثبيت سلطتها ومعاونتها على دحر الرعاة الذين كانوا يحتلون مصر السفلى بعد استيلائهم على « ممفيس » فلولا أمراء « أسيوط » واخلاصهم لوطنهم لما بنت طيبة مجدها ولما كانت لمدنيتها هذه العظمة التى مازالت تحدثنا عنها آثارها الصامتة الخالدة . وحظ « أسيوط » من مجد طيبة كان كبيرا اذ اتسعت تجارتها وازدهرت صناعاتها حتى أصبحت نقطة دائرة القطر التجارية

حافظت « أسيوط » على هذا المقام الممتاز حتى بعد احتلال الاغريق والرومان فأدخل الاغريقى دون الرومانى الى مصر فنونه وعلومه وفلسفته واقتبس من مصر علومها وفنونها فتمخضت عن اندماج هاتين المدنيتين مدرسة الاسكندرية ونشأت فنون وصناعات جمعت بين النسقين المصرى والاغريقى وظلت مصر على حالها هذا الى أن جاء الفتح الاسلامى فزودها بلغته وفنونه

وبالرغم من التقلبات السياسية المتوافرة ظلت أسيوط محافظة على مقامها التجاري والصناعى الى أن تلاشت القوافل من جراء تقدم وسائل النقل السريعة فى أواخر القرن الماضى فانحصرت التجارة فى القاهرة عاصمة القطر

وبقيت أسيوط الصناعية إلى عهد قريب مورد العاج المشغول وأوانى الفخار الاحمر والاسود الزخرفية التى كانت تجمع بين أشكالها المتعددة أثار الفن الاغريقى والفن العربى وكانت تورد أيضا « الاكلمة » المصنوعة من صوف الجمال فانتشرت هذه المنتجات وتعددت أسواقها سواء فى مصر أو فى الخارج قبل الحرب العظمى وبعدها

ولما نشطت السياحة فى مصر كانت منتجات أسيوط هى الاكثر رواجا بين زوار القطر الاجانب الذين كانوا يقصدونها لمشاهدة معالمها الاثرية فى أثناء رحلاتهم فى الوجه القبلى فوجد الصانع الاسيوطى نفسه مضطرا الى استعادة فنه الماضى وأبدع فى اخراج القطع العاجية الجميلة وكلها منتخب

من الطراز العربى ولا سيما القطع الخشبية المطعمة بالعاج وكان الزائر الاجنبي يدفع ثمن هذه المنتجات غاليا مما شجع الصانع على المثابرة والاتقان وتأثرت صناعة الا كلمة والمصنوعات المحلية الاخرى بنفس المؤثرات

أما اليوم وقد أعرض السائح عن أسيوط نرى صانع العاج الصغير يعمل ليورد لتجار مصر بالجملة وبارباح يسيرة ليقوم بحاجياته الضرورية فهو الآن لايصنع الا القطع الصغيرة التى تكاد تشبه النسق الفرعونى وقد ضاع منها معنى الفن أما الفن العربى فى أشغال العاج فيوشك أن يتلاشى ان لم تأته نجدة تنعشه

ولنرجع الى صناعة أوانى الفخار الاحمر والاسود الزخرفية ونستطيع القول انها أمحت لانها لم تجد فى مصر رواجا

فاذا ألقينا نظرة على قائمة الاوانى الزخرفية التى تردالينا من الاقطار الخارجية نرى أن مصر تدفع سنويا لمصانع هذه الاوانى ألوفا من الجنيهات بينما الصناع الثلاثة والاربعة الباقون فى أسيوط بالرغم من حالة الفقر المدقع التى يتخبطون فيها لم ينسوا مابقى فى جعبتهم من الفن الذى تلقوه عن آبائهم وأجدادهم وما زالوا يعملون بالرغم من ضعفهم فيضعون الاوانى الخزفية التى تضارع بجمال أشكالها ونسقها الاوانى الاوربية ولكنها ليست متينة مثلها لانهم يحرقونها بعد صنعها فى أفران بيوتهم المتهدمة واذا دققنا النظر فى سبب تلاشى هذه الصناعة ألفينا ذلك عائدا الي حالة اليأس التى دفع اليها الصانع دفعاً فلجأ الى صنع أباريق الشاى وفناجين القهوة الخالية من مظاهر الفن وذلك كله طلبا للرزق القليل من صنعها

وفى أسيوط مدرسة صناعية كبيرة تحوى أقساما كثيرة يتلقى فيها النشء شتى الصناعات ومن الغريب انها خلو من قسم لتعليم صناعة الفخار الزخرفى. فهل لرجال أسيوط — وقد انجبت أسيوط لمصر نفرا من خيرة رجالاتها — هل لهم أن ينهضوا بهذه الصناعة التى كادت تبور فيفتحون لمنتجات الفخار الزخرفى أسواقا فى مصر والاسكندرية وبورسعيد وهل لهم أن يسعوا لدى وزارة المعارف لانشاء قسم لتعليم صناعة الفخار الزخرفى فى مدرستهم الصناعية؟

لقد نقلنا عن أوربا أساليبها الصناعية وآلاتها فاضمحل أمام هذه الآلات الصانع الصغير بعد ما جاهد طويلا

أما صانع الفخار الزخرفى وصانع العاج فليس للآلات فيهما تأثير فلماذا لا نأخذ بيدهما ونشجعهما حتى نستطيع يوما من الايام أن نفخر بمصنوعاتهما كما نفخر اليوم بمنتجات الفن العربى المعروضة فى المتاحف ؟

ولماذا لا نقتنى من هذه المصنوعات القطع الكثيرة بدلا من شراء الاوانى الزخرفية المستوردة من الخارج لتزين منازلنا بما تخرجه أيدى صناعنا فنؤدى بذلك واجبين واجبا اقتصاديا للوطن وواجبا انسانيا لصغار الصناع وفقنا الله الى مافيه الصواب

انطون عساف

الحركة الصناعية فى مصر

قامت فى مصر حديثا حركة صناعية قابلة للاتساع ، وخاصة على أثر إنشاء بنك مصر فى سنة ١٩٢٠ إذ عمد الى تخصيص جزء من الاحتياطى لتشجيع الصناعات الوطنية بتكوين شركات مساهمة لها شخصية مستقلة عن شخصيته وميزانيـة مستقلة عن ميزانيته ولكنها تتمتع بمساعدته وتعضيده وجعل الاكتتاب فى أسهمها مقصورا على المصريين . وبذا كانت رءوس أموالها مصرية بحتة ، وعمالها والقائمون بادارتها مصريين . هذه المشروعات التى أنشئت تحت اشراف بنك مصر أوجدت روحا جديدة فى النفوس وشجعت المصريين على تثمير أموالهم فى المشروعات الصناعية والتجارية . وكان من العوامل الملائمة لسمو النهضة الصناعية تعديل الحكومة المصرية للتعريفة الجمركية وجعلها أداة لحماية الصناعات الناشئة

ويدل تعداد السكان على زيادة عدد المشتغلين بالصناعة . فبعد أن كان عددهم فى سنه ١٩١٧ يقدر بـ ٤٢٨١٩١ زاد الى ٥٤٦٢٥٩ فى سنة ١٩٢٧ أى أن نسبة الزيادة فى عشر سنوات ٢٨ فى الماية بينما بلغت زيادة السكان ١١ فى الماية . كذلك نسبة التعليم الصناعى فقد زاد عدد طلبة المدارس الصناعية من ٢٦٥٠ فى سنة ١٩١٧ الى ٦١٧٥ فى سنة ١٩٢٨ أى بزيادة ١٣٢ فى الماية فى احدى عشرة سنة . ولا أريد أن أتعرض فى هذه الكلمة الى حالة الصناعات المصرية فى الوقت الحاضر وقوة انتاجها ومدي ماوصلت اليه من النجاح إذ المقام لا يتسع للاضافة فيها

عبد الحكيم الرفاعى

اخبار اجتماعية

طهارة الدم الالماني

فى البريد الاخير ان كلا من حكومتى هنغاريا ونمسا عنيت بمنع الزواج المختلط بين اليهود وبين الالمان الآريين على نحو ماتفعل الحكومة الالمانية . والمفهوم ان هذا المنع يسرى على الاريين من الالمان فقط أما غيرهم من المجريين أو النمسويين فيجوز لهم الزواج المختلط . وقد صدر فى كل من القطرين هذا القانون خدمة للالمان أو عطفا على حركتهم فى تطهير السلالة الالمانية

وربما يكون هناك خطأ فى قولنا « السلاله الالمانية » لان الحقيقة ان فى المانيا سلالتين آريتين احداها السلالة النوردية التى ترى فى سكان الاقاليم الشمالية والتى لايعرف غيرها فى الاقطار الاسكندناوية الثلاثة . وهم يمتازون بطول القامة وشقرة اللون واستطالة الرأس مع بروز خفيف فى الوجنتين . ثم هناك السلالة الالبيه التى يمتاز افرادها بقصر القامة واستدارة الرأس . وفى الاقاليم الجنوبية فى المانيا كما فى هنغاريا ونمسا كثير من افراد هذه السلالة . . أما السلالة الثالثة الآرية التى يطلق عليها اسم السلالة الميدترانية وهى التى ننتمي نحن اليها فلا تكاد تعرف فى المانيا . لان ابناء هذه السلالة يقيمون حول البحر الابيض المتوسط وان كان معظم سكان الجنوب فى انجلترا منها

والالمان حين يقولون بطهارة الدم الالماني لا يزعمون ان السلالات التى ينتمون اليها أرقى من غيرها . واذا كان هناك منهم من يتبجح بمثل هذا الكلام فهو فى الاغلب من الذين يندفعون اليه للحماسة الوطنية كما نندفع نحن أحيانا فى الفخر بالفراعنة أوالعرب . ولكن الالمان يقولون — وهم مصيبون — ان الاختلاط بين سلالتين بعيدتين مثل السلالة السامية والسلالة الارية او مثل الزنجي والاوربى ، هذا الاختلاط فى الزواج يؤدى الى نسل هجين قد فقد صفات ابويه . وهو ينشأ ضعيفاً فى اخلاقه مترددا فى عقائده لان جهازه العصبى والذهنى خلو من العناصر الخاصة التى يتكون منها تراث السلالة النقية

القوات البحرية

ترد الانباء التلغرافية كل يوم عن المؤتمر البحري المعقود فى لندن وقد عرف القراء ان اليابان

انسحبت منه لأنها رفضت المبدأ الذى سلم به اعضاء المؤتمر وهو وجوب التبادل فى المعلومات الخاصة بالبرامج البحرية بغيه تحديد القوات. ويجدر بالقراء ان يقفوا على الحقائق فى هذا الموضوع. فقد اصدرت الحكومة الفرنسية بيانا عن القوات البحرية عند الامم الكبرى جاءت فيه هذه الارقام التالية وهى تقدر الحمولة بالطن:

الولايات المتحدة	١،٣٧١،٥١٠	طن
بريطانيا	١،٣٦٢،٥٢٤	«
اليابان	٨٣٠،٧٠٠	«
فرنسا	٧٠٩٠٧٦	«
المانيا	٢٥٤،٩٤٩	«
روسيا	١٨٩،٥١٤	«

وقد انسحبت اليابان من المؤتمر لانها تريد بكلمات صريحة لا تتحمل الشك أن تجعل قواتها البحريه مساوية لقوات بريطانيا او الولايات المتحدة. ومن هنا الخطر فى انسحاب اليابان لانه يعنى ان اليابان تريد الاستعداد للحرب اذ لا يمكن انها تنوى ان تنفق على زيادة اسطولها بما تبلغ حمولته نحو ٥٠٠٠٠٠ طن للعبث واللهو. والمتأمل لجغرافية الشرق الاقصى لا يستطيع ان يقول أية دولة تريد اليابان محاربتها. واذا كانت الحركات الحاضرة فى منشوكيا تدل على انها تنوى محاربة روسيا والصين معا فان تنمية الاسطول أو تضخمه يجب ان تدل على شىء آخر هو محاربة الولايات المتحدة وبريطانيا

المرأة التركية

للسيدة هدى شعراوى

لما كانت سياسة الأمة التركية القديمة قائمة فى بدئها على الفتح، لم تلتفت الحكومة العثمانية لتعليم المرأة حتى عهد السلطان محمود المصلح، الذى اتجهت فيه الافكار الى ترقية شأن المرأة، فأنشئت مداس للبنات فظهر فى ميادين القلم سيدات بارعات فى الشعر والادب. ولما ازدادت المدارس فى عهد السلطان عبد الحميد، بدأت نهضة المرأة تنشط شيئاً فشيئاً، حتى جاءت حكومة الاتحاديين التى كان لها من بين النساء أنصار كثيرات اطردت مداس البنات فى الزيادة، وعظم اقبالهن عليها، فكثر عدد الكاتبات وتوجهن الى الاهتمام بالامور الاجتماعية والسياسية.

ولما قامت الحرب الكبري ، لعبت السيدات التركيات دوراً خطيراً بجانت الرجال ، فى الدفاع عن حرية بلادهم ، كما ملان فى الوقت نفسه الفراغ الذى كان يتركه الرجل فى الحقول والمصانع والمراكز والمستشفيات وفى مقدمة أولئكم السيدات خالدة أديب الكاتبة الذائعة الصيت والوطنية الغيورة التى شغلت فى ذلك الحين مركز وزير المعارف بالنيابة .

وبالرغم من وجود شخصيات نابهة عديدة قبل الحرب ، فان التركيات كن كغيرهن من نساء الشرق ، خاضعات للعادات والتقاليد الشرقية ، التى كانت تنقص من حقوقهن ، وتحول دون الوصول الى المطالبة بها ، كالحجاب والعزلة .

ولما وضعت الحرب أوزراها ، وهيأ الله لتركيا منقذها العظيم كمال أتاتورك ، أخذ يبحث فى وجوه الاصلاح ، الواجبة لنهوض بلاده الى أوج الرقى والمدنية الحديثة ، فاتجه أولا الي المرأة ، يستنهض همتها فى خطبه الرنانة ، ونداءآته الحارة ، ويحثها على الدخول فى معترك الحياة ، لتقوم بقسطها بجانب الرجل ، فى خدمة الوطن الذى ساهمت فى إنقاذه . فأمر برفع الحجاب الذى كان يحول دون نشاطها ، وفتح أبواب التعليم العالى على مصراعيه أمامها ، كما فتح أبواب العمل فى الوظائف الحكومية وغيرها .

ولما كان التعليم بتركيا إلزمياً مجانيا فى كل أدواره وفروعه ، اكتظت الجامعات وكليات العلوم والفنون بالشبات ، وأنشأ لهن فى أنقرة معهداً خاصاً ، يتلقين فيه الى اللغات والعلوم ، الاشغال اليدوية ، والتدبير ، والزراعة والصناعات الخاصة بالمرأة . والالعاب الرياضية . وهذا المعهد هو معهد عصمت باشا . وقد كان لنا فى الربيع الماضى الحظ فى زيارته ، وكم أعجبنا بنظامه ، ومقدرة معلماته ، وجلهن تركيات أتممن تعليمهن فى أوربا . وهذا المعهد لا يقل فى نظامه ومناهجه عن أمثاله فى أوربا

كان عدد تلميذات المدارس فى سنة ١٩٢٣ - ١٩٢٤ ٦٤٦١٤ وفى سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ ارتفع هذ العدد الى ٢١٦١٤٥

وبالمقارنة بين هذين العددين ، تدركون مقدار اقبال البنات على التعليم ، ولا ترتابون فى نتيجة هذا الاقبال ، الذى أدى الى مشاركة الجنس اللطيف للرجال ، فى كل مرافق الحياة

لما حل القانون السويسرى محل القانون التركى القديم ، ربحت التركية بحكمه حق المساواة فى

الميراث ومنع تعدد الزوجات ، مع احتفاظها ببعض مزايا الشريعة الاسلامية كحق التصرف المطلق في مالها . كما منحها القانون التركي فوق ذلك حق الاحتفاظ بجنسيتها .

وبفضل التعديلات التي أدخلت على المادة ٢ و ١٢ من قانون الجمهورية الجديد ، حافظت المرأة التركية على حقها في الحضانة ، ومنحت حق الولاية على أولادها اذا توفى زوجها ، رغم كل وصية يوصى بها قبل وفاته بحرمانها من هذا الحق . وكذلك لم تبخل عليها الحكومة التركية بحقوقها السياسية الكاملة . فأصبح للمرأة التركية سبع عشرة نائبة وفي مراكز القضاء خمس عشرة قاضية وفي أسرة المحاماة ثلاثون محامية وفي وظائف البوليس اثنتان وعشرون وفي جباية الأموال خمس مئة وفي الطب ثماني وعشرون طبيبة وثلاث مهندسات . وأول سيدة توظفت رئيسة لمصلحة الصحة العمومية في عاصمة تركيا هي السيدة بدرية راشد رئيسة الأطباء في مدينة أنقره . وواحدة برعت في علم الآثار . ومنهن من يشغلن مراكز العمدية في القرى . هذا الى اللاتي لاحصر لهن في الوظائف العمومية ، والمصالح التجارية ، والمعامل الصناعية .

ولقد سمعنا بقرب اندماج التركية في البحرية والحربية . وأن كثيرا منهن يرشحن أنفسهن للدخول في المدارس الحربية . ولما سئل كمال أتاتورك عن رأيه في هذا الموضوع أجاب قائلا :

«ان الشجاعة التي تدفع المرأة لتقديم نفسها للحرب هي دون الشجاعة التي تدفعها لتقديم ولدها»

ولما كانت المرأة في تركيا تتمتع اليوم بكل حقوقها ، ولم يبق لها مطلب نسائي خاص ، فقد انحلت جمعية الاتحاد النسائي عقب مؤتمر استانبول ، الذي فاق المؤتمرات السابقة بما تجلى فيه من روح الاتحاد والتعاون بين جميع نساء الشرق والغرب ، ولما طلب الى كمال أتاتورك بقاء هذه الجمعية قال : « مادامت المرأة التركية قد ظفرت بكامل حقوقها وتعمل بجانب الرجل في كل مرافق الحياة فلا حكمة لبقاء جمعية خاصة بها »

تقدم العلوم والفنون

علوم الفراعنة

القى الدكتور حسن كمال محاضرة بقاعة يورت بالجامعة الامريكية عن هذا الموضوع وقد استهل المحاضر كلمته باظهار تأثير فيضان النيل السنوى فى الثقافة الفرعونية ونسب اليه كل ما توصل اليه أجدادنا من علم ومعرفة فقال ان ضرورة المحافظة على مجراه واستعمال مياهه علمت المصريين هندسة الأنهر وما يتبعها من مساحة الاراضى . ولما تفقدوا السماء وجدوا فى حركات نجومها واسطة للاستدلال بها على ميعاد فيضان هذا النهر العظيم . ومن ثم بدأ اهتمامهم بالفلك واتسعت دراستهم له . وبما أن الفيضان إذا طغى على الاراضى محا معالم الحقول تفنن القوم فى ابداع المقاييس ومعرفة المساحة . ولما زاد اهتمامهم للفلاحة اقنع الفراعنة رعاياهم بان المحافظة على الحدود والاملاك الشخصية أمر مقدس تجب مراعاته ويتحتم احترامه . وبديهى أن كل زوال لفيضان كانت تعقبه مشاحنات ومضاربات ومن هنا نشأت ضرورة سن القوانين وتوقيع العقوبات . هكذا اجبر النيل سكان واديه على أن يضعوا لانفسهم اسس العلوم والقوانين والنظم السياسية

واستعمل النيل شريانا رئيسيا للتجارة الداخلية وأثر ذلك فى صناعة السفن وتقدمها . ثم ذكر المحاضر كيف أن مساحة الاراضى وكيل الحاصلات وتوزيعها اضطرتهم لمعرفة أصول الحساب من جمع وطرح وضرب وقسمة وكيف أن فن المعمار اجبرهم على معرفة الهندسة الفراغية . ثم عرج بعد ذلك على طريقة ابتكار الخط الهيروغليفى ثم اختزاله

بعد ذلك قسم مباحثه إلى أربعة أقسام رئيسية الاول خاص بتقسيم الزمن والثانى بالزراعة والثالث بالطب والرابع بالهندسة والحساب

فما قاله عن تقسيم الزمن يرجع فى نشأته الى أصول فلسفية متعددة . منها أن الانسان منذ نشأته فى هذا العالم وشعوره بالوجود وتقدمه فى السن ووفاته وميراثه بدأ يفكر فى الوقت ويتكهن بحقيقته . وبعد ذلك اورد فضل قدماء المصريين فى معرفة السنة الشمسية ذات الـ ٣٦٥ يوم وتقسيمها الى ثلاثة فصول زراعية وتجزئة كل فصل إلى أربعة أشهر وكل شهر الى ثلاثين يوما واضافة خمسة أيام فى آخر السنة كى يصير عدد أيام السنة ٣٦٥ يوما . ثم طريقة تقسيم السماء إلى عدة بروج وتقسيم الليل الى اثنتى عشرة ساعة بحركات النجوم ومواضعها وتجزئة النهار الى اثنتى عشرة ساعة

بالساعات الشمسية والمزاول . ثم وصف طريقة ابتكارهم للساعات المائية

بعد ذلك تناول موضوع الزراعة وبين طريقة تقسيم الاراضى الى حياض ثم انشاء خزان الماء فى الفيوم فى القرن التاسع عشر ق . م تقريبا ثم طريقة شق الارض وفلقها بالمحراث والفأس

ثم عرج على الطب المصري القديم وهذا الموضوع للاسف لا يزال فاقد القيمة فى هذا القطر ولا يعار الاهتمام اللازم له فكل جامعات اوربا بها قسم خاص بتاريخ الطب يتخصص فيه الاطباء بعد نيلهم شهاداتهم الجامعية . اما جامعتنا التى تحوي اختصاصات عدة فى الطب كالطب والجراحة وأمراض المناطق الحارة والصحة العامة والرمد فانها لا تزال مفتقرة الى قسم تاريخ الطب مع أن الطب والجراحة نشأ فى مصر وترعرعا فيه ومنه انتشرا الى سائر أنحاء العالم .وكل جامعات الدنيا الراقية تدرس هذا وكيفية حصوله وجامعتنا لا تزال جامدة من هذه الجهة

خذ مثلا ما ذكره الدكتور حسن كمال عن كيفية معرفة المصريين للقلب والنبض والاوعية وعلاقتها بعضها ببعض وعن نظريات هؤلاء القوم فى أمراض الأوعية مما ينطبق تماما على علومنا الحديثة وعن كيفية حرصهم فى رد الشباب لمن تدحرج إلى الشيخوخة وعن كتبهم الطبية المتعددة وابتكاراتهم لزيت الخروع وقشر الرمان والحنظل وكبريتات النحاس والأفيون وغيرها

أما الهندسة والحساب فذكر شيئا عنها وارداً بقرطاس « رند » المحفوظ بدار تحف لندن يحوي العجب والعجاب وأى عجب بعد أسئلة وأجوبة فى هذين العلمين يخيل للسامع انها من أسئلة امتحان شهادة الدراسة الثانوية . خذ مثلا ما يأتى —

١ — ما هو الكسر الذى يضاف الى ثلثين زائد ١ على ١٥ فيصير المجموع واحداً صحيحا ؟

« ٢ » قسم ستة أرغفة على عشرة رجال « ٣ » هرم ضلعه ١٤٠ ذراع ونسبة ميله ٥ وربع قبضة فما هو ارتفاعه « ٤ » ما مساحة دائرة قطرها كذا « ٥ » مامساحة مثلث قاعدته كذا وارتفاعه كذا

بعد ذلك تكلم على التعاليم الدينية وأظهر بعضا من معانيها السامية فذكر عبارات كان يقولها الميت فى اعتقادهم أمام الآلهة فى الآخرة هذا بعضها —

لم استعمل قسوة مع انسان لم أسرق لم أقتل . لم أخسر الميزان لم أرتكب غشا .لم أترك الاراضى الزراعية بورا . لم أوقظ فتنة . لم أغتب أحدا . لم أترك نفسى ضحية الغضب . لم أرتكب ذنبا ضد العفة . لم أ كن غليظ الخلق . لم أتصنع الصمم عند سماع الحق والعدل . لم أشعل نار فتنة .لم أسرع فى إصدار حكم .لم ألوث ماء . لم أتكبر . لم أسع لترقية . لم أزد فى ثروتى إلا بالحلال . لم أقصر فى إلهى . . . وغير ذلك مما نسميه نحن الآن « مكارم الاخلاق »

بهذه الطريقة فسر لنا الدكتور حسن كمال بعضا من تراث أجدادنا العلمى وهو فخر لا يجاوزه فخر وشرف لا يعلوه شرف . هو على قوله ظل سرمدي لعهد ذهبي

« م »

رحلات عالمية لطلبة المدارس

لايعجب القارىء إذا رأى من وقت إلى آخر كلمة عن هذه الرحلات التى أصبحت الشغل الشاغل لرجال التربيـة فصاروا ينظرون اليها كانها جزء من التربيـة ، خصوصا بعد أن بينا اشتداد هـذا التيـار وتوقعنـا زيادته على ممر الايام فى بعض أعدادنا الماضـية . وأمامنـا الآن وصف لعدة رحلات قام بهـا طلبة فى ناحية من نواحى المعمورة الى جهة قاصية عن بلادهم ، وأمامنا أيضا وصف طائفة أخرى من الرحلات المزمع القيام بها فى القريب العاجل . غير أننا سنكتفى بنشر القليل منها مع مراعاة الايجاز . والغرض من موالاة نشر هذه الاخبار إيقاف المعلمين على مبادىء التربية الحديثة التى تؤكد لنا ان المدرسة وحدها لاتربى شابا والكتب وحدها لا تربى نفساً ، كما أن السياحة ضرب من الوسائل الكثيرة التى تربى الناشئة فى غير قاعات الدرس . وهناك أمر آخر جدير بالاعتبار يجب ألا يفوتنا إدراكه ، وهو أن تشجيع هذه الرحلات الدولية مما يزيد حسن التفاهم بين الأمم ويحكم أواصر العلائق بين أهلها ، مهما تباينت مطامعهم السياسية أو اختلفت أصولهم وأجناسهم . ولعل الوصول إلى هذا الغرض عن طريق الشبيبة لا يخلو من الحكمة ، فان بث روح المودة والتفاهم فى نفوس الناشئين خير ضمان لبقائها قوية فى المستقبل

وإذا تتبعنا حركة القومية فى التعليم مما نوهنا عنه فى مقالات سبقت ، ألفينا حركة الرحلات مضادة لحركة القومية أو على الأقل مساعدة على تخفيف وطأتها . فالكتب التاريخية والجغرافية التى تستعمل فى ألمانيا «خصوصا قبل الحرب العظمى» بما فيها من الأكاذيب عن فرنسا والدول الأخري ، والكتب الفرنسية المفعمة . بالأضاليل عن ألمانيا ، كلها تصبح عديمة التأثير عند عدد كبير من الطلبة بعد اتساع نطاق الرحلات الدولية ، ولو أن هذه الكتب لم توضع إلا ترويجا للدعاية السياسيه

من هذه الرحلات رحلة قام بهـا ٤٠٠ صبي أمريكى فى العطلة الصيفية الماضية قاصدين إلى دانيمارك وأسوج ونروج فقد تمكنوا فى أثناء زيارتهم إلى تلك الأقطار الشمالية الجميلة من مشاهدة كل ماهو حرى بالرؤية واشتركوا فى حفلات عديدة للالعاب الرياضـية . ولم يقم أحد بدفع نفقات هذه الرحلة ، بل كانت كلها على نفقة الطلبة أنفسهم . إلا أن أصحاب الباخرة قبلوا منهم مبالغ ضئيلة فى مقابل تكليفهم القيام ببعض الاعمال التى تحتاج اليها باخرتهم . ومن أهم الرحلات الحديثة سفر عدد كبير من طلبة المعلمين فى أمريكا ، ومعلمى المدارس الابتدائية والثانوية إلى روسيا لدرس نظم التعليم التى ابتكرتها حكومة روسيا السوفيتية ، وقد نشرنا مقالة فى العدد الثانى من هذه السنة ، بقلم أحد الاساتذة فى هذا الشأن . ومن الرحلات التى ستقام فى أواخر

هذه السنة المكتبية رحلة تعدها كلية المعلمين فى نيويورك لعدد من الطلبة الذين يحسنون الالمانية لزيارة مدارس ألمانيا والوقوف على حالتها ودرس التحسينات التى أدخلت عليها بعد الحرب العظمى

وهذا نظام آخر لتبادل هذه الزيارات بين طلبة الامم المختلفة ، وهو أن تتكفل حكومة بالاتفاق على عدد من الطلبة من أمة أخرى ، فى مقابل أن تقوم هذه الحكومة الاخيرة بالاتفاق على طلبة من طلبة الامة الاولى . مثال ذلك أن انجلترا تتفق على ٥٠ طالباً فرنسيا يرحلون عن بلادهم فرنسا فى نهاية التعليم الابتدائى ، فتدبر لهم انجلترا أماكن فى أسر انكليزية يعيشون فيها ، ثم تلحقهم بالمدارس الثانوية ، وتتولى مراقبتهم والانفاق عليهم . وهكذا تتولى حكومة فرنسا الانفاق على ٥٠ طالباً انجليزيا بالكيفية نفسها

طريقة المبادلة هذه آخذة فى الانتشار بين جميع ممالك أوروبا وأميركا ، لا فيما يختص بالطلبة فقط بل فيما يتعلق بالمعلمين أيضا . وربما كانت ولايات أميركا المتحدة أكبر البلدان قسطا فى هذه الرحلات وأشدها اهتماما بالطلبة الاجانب . ولا غرابة إذا أعدت لهم فى بلادها الاندية الغنية الجميلة توفيرا لجميع وسائل الراحة لهم . ونذكر بهذه المناسبة أنه فى احدى الثورات التى اندلع لهيبها فى الصين ، نال الجالية الاميركية هناك بعض الخسائر ، فبدلا من أن تطلب حكومة أميركا التعويض من الصين نقداً ، اكتفت بأن طلبت من حكومة الصين أن تبعث اليها عددا من طلبتها كل عام لتلقى العلوم فى جامعات أميركا ، على أن تقوم حكومة الصين بهذه النفقات بما يساوى مبلغ التعويض

هل السكر من السموم

السكر الابيض المتبلور الذى نستعمله فى تحلية الشاى أو القهوة أو المربيات أو الحلوي على وجه عام يمكن أن يعد من السموم التى تعرض الجسم لخطر الامراض . وذلك لانه خلو من المعادن التى يحتاج لها الجسم والتى تبقى فى العسل الاسود . واذا أكثر الاطفال من تناول الحلوى المصنوعة من السكر الابيض منعهم ذلك من اشتهاء الدهن وهو ضرورى لبنيتهم كما هو ضرورى لتقوية الجسم على عدوى الامراض . وخلو السكر من المعادن يضعف النمو ويؤخره كما يسقط الاسنان

والسكر من هذه النواحى لا يعد غذاء وانما هو مادة كيماوية . وقد كان الى قبل بضع قرون يباع بالصيدليات كدواء وليس كغذاء . وتحسن الحكومات إذا فرضت عليه ضريبة عالية تنقص من استهلاكه . كما يحسن كل انسان إذا نقص من مقدار ما يأكله منه وخاصة الاطفال الذين يجب أن تصنع لهم الحلوى من العسل الاسود لاحتوائه على مقدار كبير من المعادن

كتب الشهر الجديدة

الوقت من ذهب	للدكتور أحمد فريد رفاعى
قصة الدكتور ابراهيم	للدكتور نيتل (بالانجليزية)
ديوان الاسكندريه	للاستاذ على محمد البحراوى
محمد	للاستاذ توفيق الحكيم
البراجماتزم	للاستاذ يعقوب فام
البدائع	للاستاذ زكي مبارك
الشركات	الاستاذ حسنى الشنتناوي
وحى الايام	للاستاذ محمود احمد البطاح
بطولة الشباب	للاستاذ على الغزالى الجبيلى
مداعبات عفريت	للاستاذ فهيم حبشي

هذه الكتب تتفاوت مادة ومعنى فنها الخطير ومنها التافه . وواحد من هذه الكتب قد صدر بالانجليزية ومؤلفه سويسرى ألمانى هو الدكتور نيتل . ويرى القراء فى هذا العدد تلخيصا حسنا لهذه القصة بقلم الآنسة الأديبة أمينة السعيد . وقد حظينا بلقاء هذا المؤلف وهو يقيم منذ سنوات فى عين شمس . وهو يحب مصر ويغار على ترقية الفلاحين . وقد ألقى أخيرا محاضرة عن مشروع لتعليمهم يقوم على ارسال المتاحف الدورية التى تعرض عليهم الافلام السينمائية ونماذج للعمليات الكيماوية أو الفسيولوجية أو الزراعية تعرض عليهم فيتعلمون وكأنهم يتفرجون . وفى غضون ذلك تلقى عليهم الدروس . والمشروع من الأفكار الجديدة التى يسهل علينا أن نعمل بها

أكثر مما يسهل على أوربا لاننا هنا خلو من المدارس المنظمة المنتشرة فى القرى والمدن الاوربية. ونظامها وكثرتها يمنعان تنفيذ مثل هذا المشروع . أما عندنا فالتربة لانزال بكرا



الدكتور فريد رفاعى

ولنعد الى الكتب بعد هذا الاستطراد . فالكتاب الاول للدكتور فريد رفاعى « الوقت من ذهب » هو أول حلقة من سلسلة نرجو ألا تنقطع . وهو بدعة طريفة عسى أن تنتشر بل عسى أن يقلدهـا المقلدون . فانه يريد أن يجمع أحسن ما كتبه كتاب العرب فى مجلدات صغيرة حسنة الطبع والتغليف بحيث تسهل فى التناول كما تتحمل الابتذال . والفكرة لاتستحق الاطراء فقط بل تستحق التقليد

ولو أن ما كتبه العرب فى أحسن أيامهم منتشر بين أيدينا فى مثل هذا الكتاب الجميل الصغير لكان قدرنا للثقافة العربية أكبر مما هو الان . إذ لايجب ألا ننسى أن اخراج الآداب العربية فى كتب زرية الورق والطبع ينقل الى أذهاننا صورة غير حسنة لهذه الآداب

وهذا المجلد الأول على صغره يحتوى ٣٤٩ صفحة شرح المؤلف الفكرة التى قصد اليها من تأليف هذه السلسلة فى الصفحات الاولى منها ثم اختار مقتبسات حسنة من أدب العرب مثل وصية عبد الله بن شداد ورسالتى أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وقصة أبى حيان التوحيدى ورسالة البصرى فى صفة الامام العادل الى غير ذلك . والمؤلف يقدم المختارات ويعقب عليها فى لغة بليغة وأسلوب رائع



الاستاذ على محمد البحراوى

أما « ديوان الاسكندرية » فيعد ثمرة الحركة الادبية فى الاسكندرية . ويرى القراء فى هذا العدد مقالا للاستاذ البحراوى يعرض فيه آراءه عن علاقة الشعر بالفلسفة . والاستاذ البحراوى هو الذي جمع أشعار هذا الديوان وكتب لها المقدمة . ويبلغ عدد الشعراء الذين اختير من قصائدهم لهذا الديوان ١٣ والاشعار تتفاوت فى جميع الاعتبارات تقريبا فمنها المتوسط ومنها العالي

وكتاب الاستاذ توفيق الحكيم لايختلف عن سائر مؤلفاته من حيث القدرة الفائقة على تأليف الدرامة أو الموقف الدرامى من الحوادث المألوفة . وقد تناول موضوعا خطيرا كان يخشى عليه أصدقاؤه من العثور فيه . وأنها

لظاهرة عجيبة أن يتفق كل من الدكتور طه حسين والدكتور هيكل والاستاذ توفيق الحكيم على التأليف عن النبي . ونرجو أن يكون لهذه الظاهرة نتيجة حسنة فى نهضتنا الادبية التى خلت منذ نشأتها تقريبا من النزعة الدينية بل هى جنحت أحيانا الي ضد هذه النزعة . ونحن نود لو أن أحد الكتاب الاقباط عمد الي المسيح فترجم بحياته أيضا . ولسنا نظن أحدا يتهمه بالتبشير بعد هذه المؤلفات الثلاثة . ومن حق الشباب الاقباط أن يروا ترجمة أدبية لزعيم المسيحية كما يجد الشاب المسلم . ونحن نقول بكل اخلاص أننا نثنى على هذه النزعة ولا نجد فيها غير الخير لشباننا



الاستاذ يعقوب فام

وكتاب البراجماتزم أو فلسفة الذرائع يعرف قراء هذه المجلة مؤلفه الاستاذ يعقوب فام . وهو كاتب مبين يستطيع ايضاح المشكل فى نظريات التعليم والفلسفة بلغة بسيطة بل أحيانا يبالغ المؤلف في بساطتها . والبراجماتزم هي فلسفة وليم جيمس وكنا نؤثر أن تسمي « الوسيلية » لان المقصود منها أن الحقائق انما هى وسائل لفهم الدنيا . وهى ثمرة أنبتتها البيئة الامريكية الحديثة

وكتاب « البدائع » للدكتور زكى مبارك هو مجموعة مقالات كتبت جميعها أو معظمها . وهى تتفاوت في القيمة بعضها جليل ممتع و بعضها تافه كتب فى شئون لاتستحق التخليد فى كتاب ولكن مقالاته عن لغة العرب قبل الاسلام . والتعليم في فرنسا . وكيف عرفت الشيخ السيد المرصفي . والتوراة فى باريس وكيف بساس الطلبة فى المدارس الفرنسية . وغير هذا من المقالات يستحق الدرس والتأمل

وكان يحسن المؤلف لو جمع المتجانس من مقالاته فى مجلد على حدة . فهنا مثلا مجموعة من المقالات التى تتصل بنقد التعليم لو جمعت على حدة لكانت كتابا فريدا . ومجموعة أخرى فى الخواطر الادبية المصرية . وهى تستحق مجلدا آخر

وكتاب « الشركات » للاستاذ حسنى الشنتناوى من الكتب التى يجب أن يقتنيها جميع المشتغلين بالشئون الاقتصادية . وقد شرح فيه القوانين التى تتعلق بهذا الموضوع ونقل كذلك الأحكام التى أصبح لها قوة القوانين

و « وحى الايام » مجموعة مقالات نشرت بالجرائد والمجلات وهى تتناول النقد فى الأدب العصرى . وللمؤلف آراء ربما لايوافقه عليها كثير وفيه مايمكن أن يعد تحاملا على بعض الادباء . وقد وعد بأن يتابع التأليف لهذه المجموعة فى مجلدات أخرى فعسى أن يكون أكثر انصافا . وهو يحسن كثيرا اذا جعل الثقافة العلمية أساسا للنقد الادبى



الدكتور زكى مبارك

و « بطولة الشباب » هو كتاب جميل فى ترجمة الشهيد محمد عبد الحكيم الجراحى . وقد جمع المؤلف الى ترجمته ماقيل فيه من المراثى مع مقدمات قصيرة عن أصل النهضة كان يمكن الاستغناء عنها وقصر الكتاب على الشهيد . وهذا المجهود الشريف الذى قام به المؤلف يستحق عليه أجمل الثناء

و « مداعبات عفريت » هو قصص وتعليقات قصيرة فكاهية كتب مقدمتها الاستاذ فكرى أباظه وهى جميعها مما يروح عن النفس ويسرى عنها سأم الجد

حديث الأدب والأدباء

في الأداء

من مقال لسلامه موسى في البلاغ

كنت أقرأ نقداً أدبياً في الانجليزية فصادفت هذه الجملة :

« كان دكنز موطراً أدبيا في العبقرية فاذا استحث واستعجل أخرج من ماسورة العادم دخاناً أسود من الهذيان »

والقارىء العربي الذي تفجأه هذه الجمل سيدهش لاول وهلة . فاذا أعاد تلاوتها ضحك من غرابتها . فاذا تأمل لم يسعه إلا الاعتراف بان الكاتب قد أدى عن معناه أحسن أداء وأحدثه بألفاظ مستخرجة من البيئة الحاضرة . يريد أن يقول ان دكنز القصصي المعروف كان في قوته كأنه الموطر الذي يدفع المركبات الضخمة . وكما أننا عند ما نسوق الاتومبيل على أقصى سرعته يخرج منه دخان كثيف من الخلف ، كذلك كان دكنز يحسن الاداء ويجيد ولكنه إذا استعجله الناشر فأسرع في الكتابة كتب هذيانا كثيرا لا يعد من الادب الحسن

وهذا تعبير حسن . فان الادب الحي يجب أن يستمد حياته من البيئة المحيطة ويأخذ بالفاظها ويتسامى بمعانيها وهو حين يبحث عن الفاظ قديمة انما ينقل صوراً حديثة بصيغ قديمة . واني أستطيع أن أجعل القارىء يفهمني حين اعتمد فيما استعمله من مجازات أو استعارات على الموطر والطاقة الكهربائية والدينام والفرملة ومروحة الطائرة والريون والمورفين والكلوروفورم . ولست أشك في أن القارىء سيستغرب هذه الالفاظ لاول وهلة ولكنه اذا اعتادها والفها عرف قيمتها وأدرك أنها تؤدي لنا من المعاني الدقيقة أكثر مما تؤديه العبارات القديمة التي نشأت في بيئة قديمة ليست لنا بها صلة . فان الكاتب الذي يقول أنه يلقي الحبل على الغارب يحتاج الى تفسير طويل لهذه الكلمات حتى يفهمها الطفل الذي يعيش في الاسكندرية أو القاهرة . لان الجمل لم يعد وسيلة النقل في شوارعنا كما كان قبل الف سنة . ولذلك نحن أحوج الى أن نعرف وان نستعمل في تعابيرنا الآلات والعدد التي يتألف منها موطر الاتومبيل منا الى ان نعرف ونستعمل الفاظ الرحل والغارب والهودج والغبيط

واللغة يجب ما دامت تعيش فى بيئة معينة أن تكون بعض هذه البيئة تتأثر منها كما تؤثر فيها وللالفاظ القديمه فائدتها فى التاريخ أى التاريخ القديم

أما التاريخ الحديث فيحتاج الى الفاظ حديثة

الطائرة والجمل فى الحجاز

من مقال لسلامه موسي فى البلاغ

وقف الاستاذ على الجارم فى المجمع اللغوى يخطب فى « تجديد » اللغة فتلا قصيدة طويلة وصف فيها النوق يحدوها الحادى فقال

تحدى بها اليعملات الكوم ان لغبت فلا تحس بانضاء ولا لغب
تهتز فوق بحار الآل راقصة والنصب للنيب يجلو كربة النصب
لم تعرف الصوت الا صوت مرتجز كأن فى فيه مزماراً من القصب

وقد وقفت عند هذه الأبيات أتأمل وجه التجديد فيها فلم أجد شيئاً لان وصف الناقة يحدوها الحادى قد تكرر حتى ليمكن المنقب فى الكتب العربية أن يعثر على خمسين أو ستين الف بيت فى هذا المعنى بأقل مجهود . والاستاذ على الجارم يعرف ذلك ولكنه لا يباليه لانه يفهم التجديد أو النهضة على أنهما أحياء لهذه المعانى القديمة التى أصبحت لا تكاد تتصل بنا أقل اتصال . وانا أستطيع أن أقسم انه ليس بين أعضاء هذا المجمع الذين سمعوه واحد ركب الناقة أو حداها وأغلب الظن أنهم جميعهم قد ركبوا القطار والباخرة وبعضهم ركب الطائرة . وأغلب الظن أيضا أنهم لا يستجملون مزمار القصب وانما يحبون الاوركسترا المنظمة

ولكن مما لا شك فيه أيضا أن معظم الاعضاء فى هذا المجمع يعتقد أن اللغة تنهض باحياء الميت من الفاظها . كأن الموت لم يكن حقاً على هذه الألفاظ أو كأنها لم تمت الا مداعبة أو مخاتلة لنا . ولكن الالفاظ أدوات للتفكير وموتها برهان على أنها لم تصلح لان تؤدى المهمة التى انتدبت لها أو على انها فقدت مدلولها بتغير فى الزمان أو المكان . ونحن فى القاهرة مثلا لا نركب الجمل ولا نحدوه ولا نرى الآل ولا نسمع الارتجاز ولا نرى الزامر . ولكننا نركب الاتومبيل و نعرف الموطر والفرملة والشاسى والكوتشوك وما الى ذلك . فاذا جاز لشاعر أن يخاطبنا فعليه أن يستخرج من أمثال هذه الألفاظ المجاز الذى يطلبه لمعانيه حتى نفهمه

ولكنى ارانى قد اضعت الوقت عبثاً . ويجب أن ننتقل من هذا الموضوع الذى لا يخضع للمنطق

أو العقل الى ما يسر النفس من التجديد الحقيقي كما يجب ان يفهمه الشاب المصري . فان هذا الجمل او هذه الناقة التي يتغنى بهما الاستاذ على الجارم لاعضاء المجمع قد انحطت مكانتهما فى جزيرة العرب او أوشكت على ذلك . والسبب فى هذا الانحطاط هو التجديد المصرى على أيدى الطائرين المصريين الذين يرشدهم ويربيهم المصرى المجدد محمد طلعت حرب باشا

فالدنيا تسير بل تجرى . ونحن نتعلم الطيران ونعلمه للعرب فى جزيرتهم ونحض شبابنا على أن يقفزوا فوق السحاب . وأي شيء ابعث للسرور فى نفس الشاب المصرى من أن يعرف ان أبناء بلاده قد استبدلوا بحداء الناقة بين مكة والمدينة أزيزاً موسيقياً للطائرات المصرية . وانى لاتخيل الطيار أحمد اسماعيل بوجهه المصرى المعروف وجسمه الرياضى النحيف فوق طائرته يرى السراب فى صحراء العرب فامتلىء فخراً بل كبرا وأتمنى لو ينبعث شاعر الى وصف هذا الطائر الميمون . بل أتمنى أن أرى اليوم الذى تطير فيه لطفية النادى فوق الارض المقدسة فيجد فيها أبناء الجزيرة مثالا عمليا مصريا لاراء قاسم أمين وبرهانا على نهضتنا

وهذا هو ما أفهمه من النهضة المصرية فانها بعيدة كل البعد عن أولئك الذين يحسبون أنه يجب علينا أن نسمى الترام جمازاً من أعضاء المجمع اللغوي

مصر فى المعرض

من مقال للاستاذ احمد حسن الزيات فى الرسالة

أليس من حسن توفيق الله أن يجلس المفاوض المصرى فى قصر الزعفران ، ومن ورائه مصر العامله العاملة محشودة كلها بسودانها وصعيدها وريفها فى المعرض ! تشدد قوته بروح النهضة ، وتؤيد حجته بدليل الحس ، وتسند هيبته بروعة الواقع ؟

أليس من جميل عون الله أن يتألف من ذات مصر ومعناها على هذا النحو الذى تراه فى المعرض قياس عجيب الانتاج ، وقصيد قدسى الالهام ، وخطاب سحرى البيان ، ودفاع قوى الاثر ، فى الوقت الذى بثّ فيه اللورد لويد عقاربه هنا وهناك ، يلسعون بالنمائم ، ويدبون بالأراجيف ، ويقسمون رأيهم فى الأمر على أن مصر بطبيعة ضعفها متخلفة لاتلحق وتابعة لاتستقل ؟ !

تعالوا ياطلائع الاستعمار ، وصنائع الامتيازات ، وثعالب الكرمة ! هذه هى مصر الحقيقية قد عرضت عقلها ويدها فى ستين فداناً من الأرض لتيسر لكم وسيلة الحكم ، وتقصر عليكم مدى النظر ، فلطالما خدعكم عن حقيقتها مغرور يريد الحكم ، أو منهوم يرغب فى المال ، أو محروم طلب الوظيفة .

زوروا المعرض الزراعى الصناعى تجدوا مصر التى لا تقرأونها فى صحيفة ، ولا تسمعونها فى خطبة ، ولا تبصرونها فى مظاهرة ، ولا تقابلونها فى ماهى ، ولا تحادثونها فى حزب ! هى تجرى مع الزمن فى سكون ، وتعمل مع الطبيعة فى صمت ، وتتشقق عن ثمار النبوغ كما تتشقق الأكمام عن أريج العطر فى هدوء الغسق !

زوروا أيها المفاوضون عن الحليفة المتجنية معرض الجزيرة قبل أن تدخلوا سراي العباسية تلمسوا فى كل ناحية من نواحى النشاط الصناعى ألف دليل ودليلا على نضوجنا المدني ؛ لأن الانتاج الزراعى إذا رجع إلى عمل الله وفطرته ، فان الانتاج الصناعى مرجعه إلى فكرة الانسان وقدرته وقد عدونا ذلك الطور منذ سنين ، وأصبحنا نصرف عمل الطبيعة ، ونستخدم ثروة الأرض ونساهم بحذق فى ترفيه الانسان

بين الهرم والنيل شاهدى القرون وعيني الاسلاف ، احتشدت مصر الحديثة حكومة وأمة ، تقدم إلى أمسها الحساب الذى يبرىء الذمة ، وإلى يومها العمل الذى يحدد الطريق ، والى غدها الأمل الذى يحدد الغاية !

الزارع والصانع والتاجر والعالم والأديب والموظف قد أثبتوا بهذا العرض الموفق فى اخلاص غير غال ولا مفتعل ، أن مصر التى تسير فى مؤخرة الدول بسياسة الكلام ، تجرى فى مقدمة الشعوب بسياسة العمل !

ودلالة ذلك أن بين الأمة وقادتها حجاباً من الجهل والعزلة لا ينفذ منه الشعاع ، ولا تنعكس عليه الروح ولا ترتسم فيه مقاييس التقدم ! على أن أكثرنا لا يزيد علمه بهذا البلد المظلوم على علم هؤلاء القادة ، فقد كنا نرى فى المعروضات الأهلية والحكومية نفائس الصناعة ودقائق الفن ، من ضروب اللباس والأثاث والآنية والزينة ، فيداخلنا الشك فى أنها مصريه ! ولكنا نري بجانبها الآلة تدور ، والصانع يعمل ، والمنتج يخرج كالمعروض فى دقته وأناقته ، فيستولى على المرء شعور قوي غريب ، فيه الخجل من سوء الظن ، وفيه اللذة من دهشة المفاجأة ، وفيه الاقتناع بصحة النهضة ، وفيه الاطمئنان على سلامة الوطن . هذا الانتاج الفاخر هو الذى يقدمه اليك التاجر الأوربى فى بيوت البيع الكبيرة بلسانه المعسول وغلافه المقبول وكلمته الواحدة وسمته المزورة ، فتشتريه بالثمن الغالى على أنه وارد من وراء البحر ، قد تجشم أكلاف النقل ، وتكلف رسوم الجمرك ، وتكبد أضرار الخساره ؛ وهو مصرى اشتراه الاوربى بالغبن وباعه بالخديعة ، وحرم الصانع المصرى المسكين أجر العمل بسرقته القيمة ومجد الصنعة بسرقته النسبة . وعلة ذلك كله أن المنتج المصري قد جعل الكذب جزءاً من رأس المال ، وأن المستهلك المصري قد جعل المساومة شطراً من الثمن ، فكان لا بد من هذا الوسيط الأجنبى بينهما ليستر بخداعه كذب المنتج ويبطل بمهارته مساومة المستهلك !

المجلة الجديدة

٥/٤

ابريل ١٩٣٦

الثمن ٣ قروش

اقرأ فى هذا العدد

مطبعة المجلة الجديدة

فصل عشر صفحة الرأس للاستاذ المراغي
١٩٤٧/٨ ابريل - الساعة الحادية عشرة

ابريل سنة ١٩٣٦

١ — الاشتراك فى المجلة الجديدة الشهرية في مصر والسودان لمدة عام هو ٤٠ قرشا و ٢٠ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج ٥٥ قرشا فى العام

٢ — الاشتراك فى المجلة الجديدة الاسبوعية فى مصر والسودان هو ٢٥ قرشا فى العام و ١٣ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج ٥٠ قرشا فى العام و ٢٥ قرشا لستة اشهر

٣ ـ الاشتراك فى المجلة الجديدة (الشهرية والاسبوعية) فى مصر والسودان هو ٦٠ قرشا فى العام و ٣٠ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج مائة قرش فى العام و ٥٠ قرشا لستة أشهر

تصدر المجلة الجديدة ١٢ عددا سنويا

وتهدي الي قرائها كتابين كبيرين

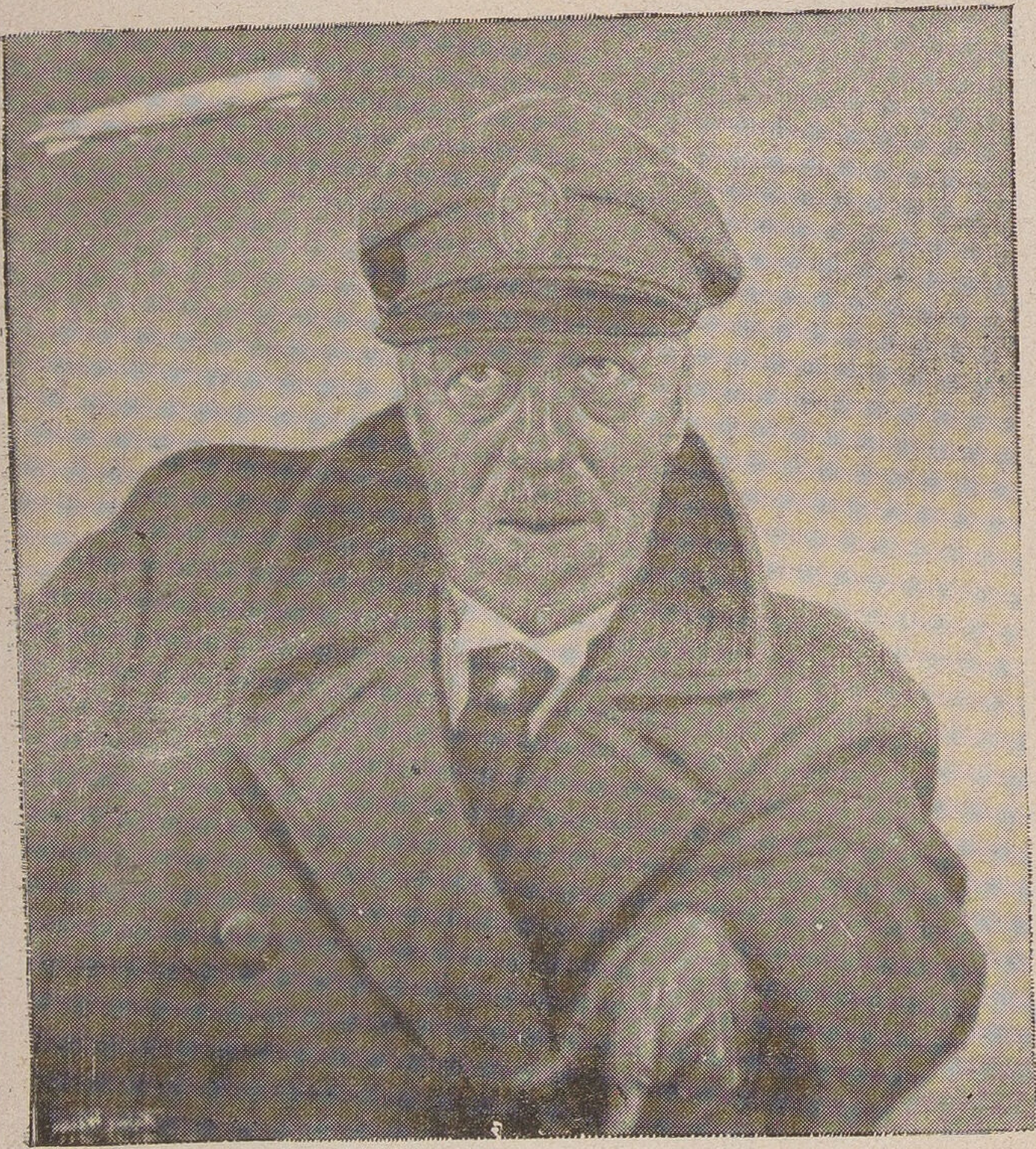
١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين بمصر)

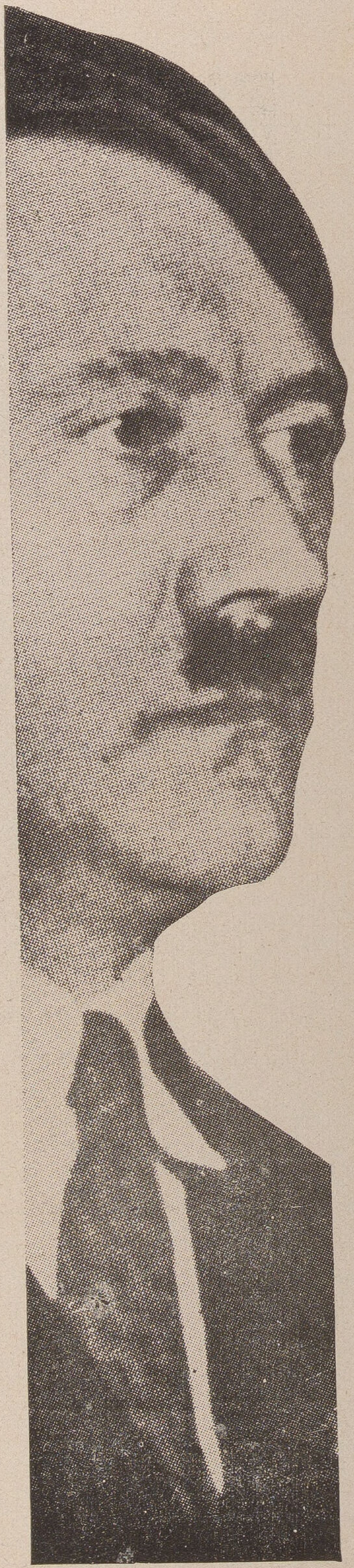


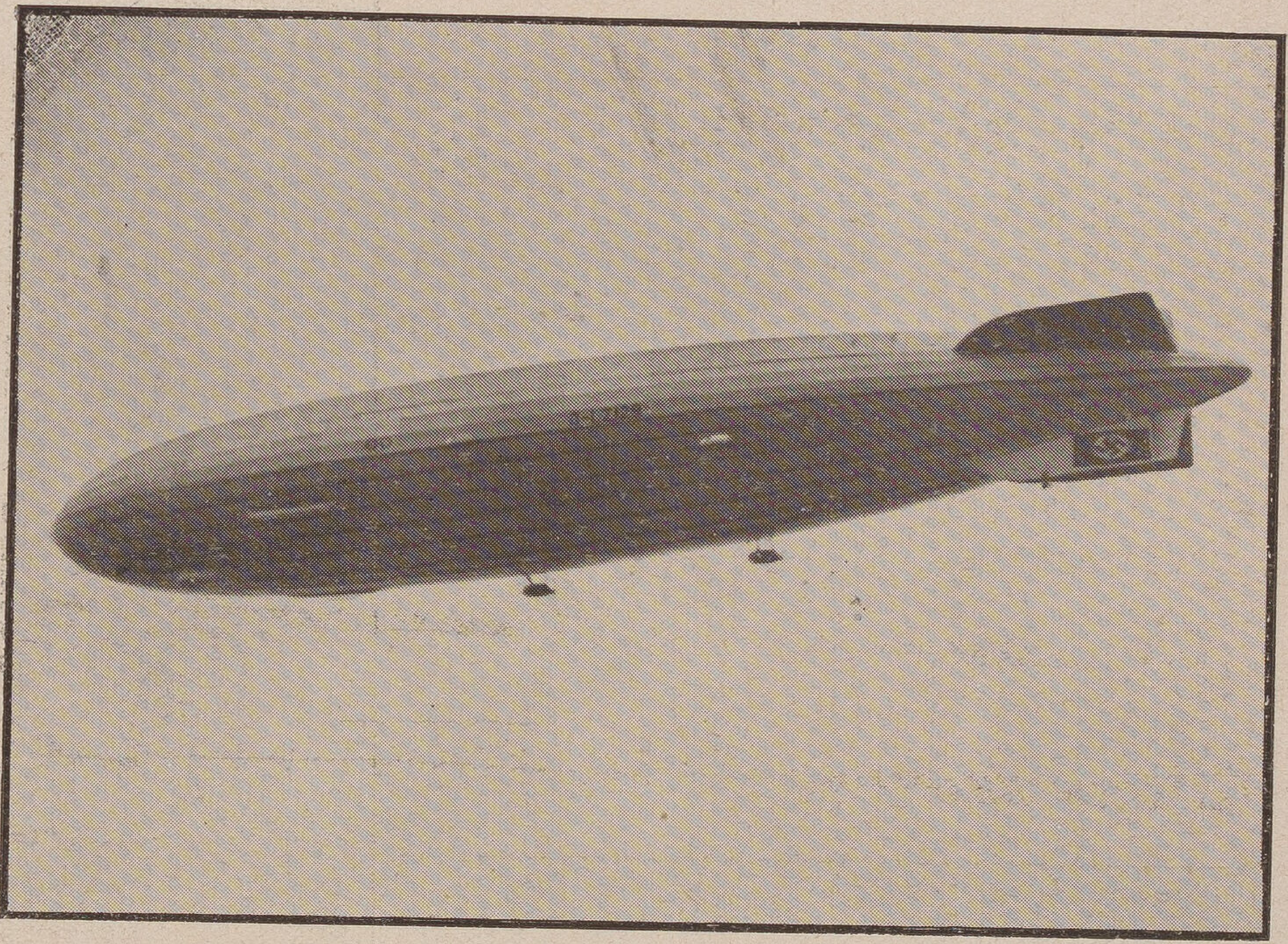
صاحب الدولة على ماهر باشا رئيس الوزارة

باليمين : الزعيم هتلر الذي جحد معاهدتى فرساى ولوكارنو احتجاجا على المحالفة الروسية الفرنسية

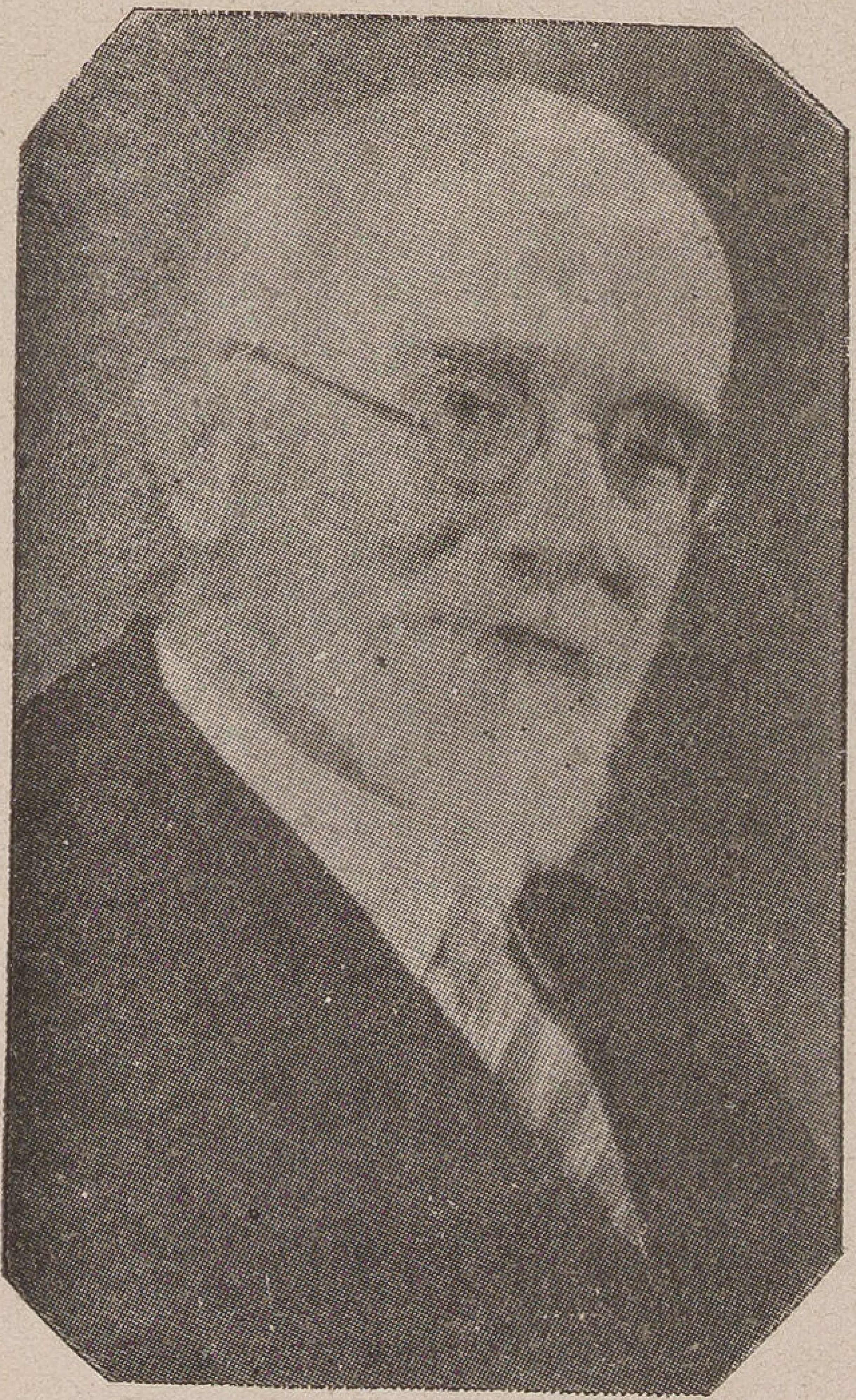
فى أسفل : الدكتور اكنر الذى يقود البلون الجديد هندنبورج







بأعلي : البلون الالمانى الجديد هندنبورج



باليمين : المسيو فنيزيلوس السياسى اليونانى
الذى توفى فى الشهر الماضى

صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السادس

المجلة الجديدة

العدد الرابع
من
السنة الخامسة

ابريل سنة ١٩٣٦

سير الحوادث

لاتزال الوزارة الماهرية تكتسب ثقة الجمهور واطمئنان الأمة بما تقوم به من الاصلاحات المتوالية . ويأسو على ماهر باشا الجروح التى تشكو منها الصحافة منذ خمس سنوات . وقد رد اليها كثيراً من حقوقها وأعلن عن مباريات تبلغ قيمتها ٢٤٠٠ جنيه للكتاب والصحفيين . وزاد قيمة الاعلانات الحكومية وامتيازات التلفون والسكك الحديدية

وفى الوقت نفسه تسير الانتخابات فى جو مشبع بالنزاهة والاستقامة . فلا طبخ ولا إغراء ولا إجبار . وتسير المفاوضات سيرتها الطبيعية التى نرجو أن تنتهى قريبا إلى المعاهدة

ولا يستطيع أشد الناس عداوة أو كراهة لعلى ماهر باشا أن يجد فيه مكانا للنقد منذ أن تولى رياسة الوزارة . فان الرجل يتوخى ، زيادة على المصلحة العامة ، تأليف القلوب النافرة وبعث الطمأنينة فى نفوس الأمة التى كادت تفقد الثقة فى صلاح الحكومة أيام الوزارتين الصدقية والفتاحية

وبعد نحو شهر يلتئم البرلمان الجديد . ونحن نرجو أن يتم على يديه التصديق على مشروع المعاهدة وأن تبدأ البلاد فى عهد جديد لدرس أحوالها الداخلية ومكافحة الفقر والجهل والمرض وهى الادواء التى ليس على وجه الكرة الارضية أمة تشكو منها مثل شكوانا ومع ذلك لا نكاد نباليها . وهذا لأننا مشغولون بالكفاح السياسى لتحقيق الاستقلال

المفاوضات

نكتب هذه الكلمات والشائع على الألسنة أن المفاوضات وصلت إلى مأزق . لأن الفريق العسكرى البريطانى يرى ضرورة احتلال بعض المواقع المصرية فى الجهات الغربية فى حين يعارض الفريق

المصرى فى احتلالها . وحجة الانجليز هى الحالة الحاضرة ووجود نحو ١٥٠ر٠٠٠ جندي ايطالى مؤهبين بالسلاح فى طرابلس وصحراء ليبيا . والحقيقة أن شبح موسولينى يجعل كفة الانجليز راجحة فى المفاوضات . ولم تكن الحال كذلك قبل سبعة أو ثمانية أشهر . ومهما ادعينا من الدعاوى فان الذى لايشك فيه الانجليز أننا نخشى نزعة التوسع التى يعتقد الايطاليون أنها من واجباتهم الجديدة فى إحياء الامبراطورية الرومانية وأننا فى حاجة إلى المعاونة البريطانية جملة سنوات قادمة للدفاع قبل أن يهيأ الجيش المصرى بالاسلحة الحديثة التى تكفل له رد غارة ايطالية جنونية

والشائع على الألسنة أيضا أن سائر المسائل التى تتناولها المفاوضات لاتجد خلافا خطيراً بين الفريقين المتفاوضين . فان السودان والمحاكم المختلطة وعضوية مصر فى عصبة الأمم لاتجد من الانجليز أية معارضة للآراء المصرية عنها

الاوقاف الاهلية

دعا صاحب السمو الامير محمد على الى تأليف لجنة من غير الموظفين لبحث الشكاوي التى لاتنقطع من المستحقين فى الاوقاف . وقد استجابت الوزارة لهذه الدعوة والفت اللجنة

وتروى الجرائد حوادث تبكى وتضحك معا عن اهمال مصالح هؤلاء المستحقين الذين يعانى أكثرهم الفقر والضيق مع أنهم يملكون من العقارات ما كان يكفى لان يجعلهم يعيشون فى رفاهية أن لم يكن فى ترف . ولكن يجب الا نعتقد أن هذا الفساد حديث فى الاوقاف الاهلية لأن العيب ليس طارئا بل هو أصيل . وقد ذاع قبل سنوات رأي يقول بالغاء الاوقاف الاهلية وردها لاصحابها حرة يتصرفون بها كما يشاءون . وهذا هو العلاج الوحيد لأن الوقف لايصح الا أن يكون خيريا على مدرسة او مسجد او مستشفى او أى مؤسس آخر . أما حبس العقار على شخص او أشخاص فقد أثبتت الاختبارات ضرره . ونعتقد أن البرلمان القادم يمكنه أن ينقذ البلاد من المآسى التى تتكرر كل يوم من الوقف الاهلى بالغائه . ويكفى كل انسان لكى يعرف مبلغ الضرر على الثروة من الوقف ، أن يمر فى شوارع القاهرة وأزقتها فان كل خرابة تقريبا من الوقف الاهلى

ايطاليا فى الحبشة

آخر الاخبار عن الحبشة أن ايطاليا أحرقت هرر . وليس للفظاعة الفاشية حد تقف عنده . وتدعى ايطاليا أنها تحمل الى الحبشة رسالة الحضارة . وهذه الرسالة معلقة بقنابل الطائرات التى

تحرق المدن وتدمر المنازل والجيش الايطالى بعد أن تقهقر فى الميدانين الشمالى والجنوبى فى أواخر الشهر الماضى عاد فتقدم . وهذا هو المنتظر . واذا كان هناك مكان للنقد فهو فى بطء حركاته مع قوة استعداداته

ولا يمكننا أن نصف حريق هرر الا بأنه نذالة وخسة وسفالة من دعاة أحياء الامبراطورية الرومانية

وينظر مجلس العصبة فى وضع شروط جديدة للصلح بين الدولتين المتحاربتين . والظروف السياسية الحاضرة لا تلائم المصلحة الحبشية كما كانت الحال مثلا قبل شهر . وقد بعد التفكير فى تنفيذ الجزاء الخاص بالبترول . لأن فرنسا لن ترضى بتنفيذ هذا الجزاء مادامت لا تري بريطانيا مستعدة لتنفيذ الجزاءات فى ألمانيا لاحتلالها منطقة الرين

احتلال منطقة الرين

كان أهم حوادث الشهر الماضى احتلال ألمانيا لمنطقة الرين القائمة بينها وبين فرنسا . وكان احتلالها هذا احتجاجا على المحالفة الروسية الفرنسية التى تقول بمساعدة كل من فرنسا وروسيا للاخرى فى حالة اعتداء أية دولة على احداهما . وبدهى أن هذه المحالفة موجهة ضد ألمانيا فقط

وألمانيا قد خالفت معاهدتى فرساى وميثاق لوكارنو بهذا الاحتلال ولكن المحالفة الروسية تنقض هاتين المعاهدتين وتبرر لألمانيا هذا الاحتلال . وألمانيا مع ذلك لم تحتل أرضا أجنبية بل احتلت أرضا ألمانية . ولا يمكن أن يقال ان ألمانيا تنوى مهاجمة فرنسا بهذا الاحتلال . فان الحصون الفرنسية تجعل التفكير فى هذا العمل بعيدا جدا . ولكن كل ماتريده ألمانيا أن تبين للعالم الغشومة الفاضحة فى معاهدة فرساي والاحتجاج على المساعى الفرنسية التى لا تنقطع لتطويق ألمانيا بطوق من المدافع

والعجيب فى فرنسا أنها توالى بالكلام عصبة الامم . وفى الوقت نفسه لا تفتأ تعقد المعاهدات والمحالفات التى لا تختلف فى روحها عما كان يجرى قبل الحرب الكبرى . وهى تكتظ بالمستعمرات التى لا تحتاج اليها فى حين لا تجد ألمانيا المواد الخامة لمصانعها الكبيرة

البلون هندنبورج

طار فى هذا الشهر البلون الالمانى الجديد هندنبورج . وهو ليس منفوخا بغاز الهيدروجين بل بالهليوم

ولا يعرف كيف حصل الالمان على هذا الغاز . فقد كان المعروف انه لا يستنبط الا من مناجم خاصة وقليلة فى الولايات المتحدة الامريكية . وكانت الحكومة تمنع اخراجه ولو كان بمقادير صغيرة للتجارب العلمية . وقد بدأ هذا البلون رحلته بين أوربا وأمريكا يوم ٣٠ مارس الماضى وهو يقطع المسافة بين القارتين فى ٦٠ ساعة ويسع خمسين راكبا غير الملاحين والخدم . ويبلغ تفريغه ٠٠٠ر١٦٠ متراً مكعباً . وهو بالطبع ابطأ من الطائرة ولكنه اروح وأبعث على الاطمئنان . وبه عدة محركات . وغاز الهليوم الذى نفخ به لا يشتعل

وقد أصبح الطيران فى المانيا وسيلة مألوفة للسفر والنقل . ونجاح البلونات فيها يعد فتحاً عظيما من فتوحات العلم

الانتخابات الاسبانية

لما ترك الملك الفونسو العرش الاسبانى قبل ست سنوات وأنشئت الحكومة الجمهورية الفت الوزارة من الاحزاب اليسارية . فسارت فى البلاد سيرة البطش بالكنيسة ومحاباة العمال . فلما كانت الانتخابات انتصرت أحزاب اليمين بقوة « رد الفعل » فبطشت بالمتطرفين . وساء هذا الرأى العام وأظهر أثره فى انتخاب أحزاب اليسار فى الشهر الماضى

واسبانيا الآن تديرها حكومة اشتراكية شيوعية . وأحزاب اليسار متحدة فيما يشبه « الجبهة المتحدة » التى تضم الاشتراكيين والشيوعيين والراديكاليين فى فرنسا والاصل فى « الجبهة المتحدة » سواء فى فرنسا ام فى اسبانيا هو الخوف من الفاشيين . ولكن لا يخشى على اسبانيا من الشيوعية لان الشيوعيين ليسوا أكثرية وإنما هم جزء منها . وقد حدثت فى الشهر الماضى اساءات مختلفة الى رجال الدين واحراق للكنائس ولكن الفورة خمدت . وأغلب الظن أن السكينة ستستتب

مبادئ جديدة لعصر جديد

للاستاذ نقولا يوسف

ليست هي بالمبادىء الجديدة لقراء هذه المجلة الجديدة انما هي جديدة بالنسبة للعصر القديم الذى لم يكشف له التطور عن أهميتها ونحن نرى فى تكرارها دعاية للخير والاصلاح حتى تصبح عقائد نمارسها

والمبدأ الأول الذى يجب أن نوليه عنايتنا فى الدرس والبحث والذى يؤدى بنا الى معرفة أنفسنا وعالمنا هو مبدأ التطور الذى يقول بنشوء الكائنات وارتقائها

واذا كان الكون وجميع مافيه من حيوان ونبات وجماد يخضع لناموس التطور واذا كان الغرض من الوجود هو التدرج من حسن الي أحسن حتى نصل نحن ومن يأتى بعدنا الى غاية عظمى لا يتصورها اليوم خيالنا فاننا إذن نعيش كل يوم فى جديد ونحن أنفسنا نتطور ونتجدد فى كل حين

ومهما حنت نفوس الكثيرين الى الماضى وتعلق بعضنا بأهداب القديم فاننا ننساق جميعا رغما عنا الى الامام ونمتزج بالحاضر . ومن تلكأ منا عن مجاراة الحاضر جرفه تيار التطور الذي لا يقف

فنحن نعيش اليوم فى عصر جديد .. جديد بعلومه وفنونه وباكتشافاته ومخترعاته ، وبأنظمته وتقاليده .. عصر يتسم بحضارة خاصة ذات عادات وخلق ونظريات ومبادىء لابد لنا من درسها وتمحيصها ثم اعتناقها لنسير وفق روح العصر المتطور ولا نقف حجر عثرة فى سبيل الناموس العام الذى لا يعرف الركود ولا يبالى الجمود

ونحن فى امتزاجنا بالحاضر لا نستطيع هدم الماضى الذى يعيش فينا وحولنا كما لا نستطيع أن نسبق عصرنا كثيرا ونعيش فى المستقبل الذى نتخيل أحيانا بعضا من صوره . وكل مافى مقدورنا هو أن نسير مع القافلة لئلا نضل الطريق متطلعين دائما الي الامام لا الي الوراء

وفى الماضى صور جميلة وصور قبيحة وفى عصرنا الحاضر صور أجمل وكذلك صور أقبح ولكن ذلك لا يدفعنا الى الاهتمام الشديد بالماضى الميت لأن الحاضر رغم نقائصه أعظم وأجمل من الأمس . ونحن كما يرى ولز أسعد حالا من أسلافنا . ولأن مسائل عصرنا ومشاكله تمس حياتنا وتؤثر فينا وتستدعى بذل الجهود فى سبيل درسها وتذليل صعابها . عالمين أن نقائص العصر وعيوبه انما ترجع الي عجز الكثيرين عن الانتفاع بثمار التطور وتخلفهم عن دراسة الجديد وخوفهم من كل جديد

وقد يكون التغنى بالماضى جميلا من بعض النواحى الا أن التغنى بمجد المستقبل أجمل وأ كثر متعة . وكثيرا ما يكون التعلق بالماضى وهما يصطدم بالواقع الجديد ويسبب للبشرية شتى المتاعب . وفى رأى هافلوك اليس « اذا أردنا أن نكون على وفاق مع العالم وجب أن نكون على خلاف مع أنفسنا القديمة وذلك لأن الرجل الذى يتعلق بآرائه الماضية ولا يغيرها انما يتعلق بشىء ليس له به علاقة »

فالذين ينادون اليوم مثلا بأمجاد الامبراطورية الرومانية ويحلمون بعودة سلطانها لايجارون الحاضر الجديد المتطور ولا يتطلعون الى مستقبل جديد يقول بتوحيد الشعوب وتعاونها على أساس الحرية والمساواة حتى تستطيع تحقيق مبادىء العالمية الجديدة فهؤلاء يخلقون بأوهامهم الرجعية حزازات ومشاكل وحروبا هى فى مقدمة نقائص العهد الجديد

والذين يقولون مثلا بالروابط الدينية التى تجمع بين الشعوب هم بين المتخلفين الذين لايشعرون بما دخل الاديان والعقائد من تطور رفعها الى معان صوفية لاتربط اليوم شعبا بآخر بل تربط النفس البشرية بخالقها وحده

والذين يترنمون بالمحافظة على التقاليد ومجاراة السلف فى عاداتهم وكتاباتهم ولباسهم وعقائدهم هم أبعد الناس عن دراسة الحياة الحاضرة المتطورة وما وراءها من مستقبل جديد له تقاليده وأساليبه ومبادئه

والذين يتغنون بابهة الغزوات وأمجاد الحروب والفتوحات ويعجبون بالقوة المسلحة هم الذين لم تخلص نفوسهم من شوائب الهمجية القديمة ولا يدينون بالولاء للعالم ومحبة السلام العام ولا بد أن يسمو المستقبل القريب أو البعيد بهذه الغرائز الوحشية الموروثة التى تتلذذ بمرآى الدماء وتخريب البلاد . ويومذاك نخجل من ذكر الحروب ونحتقر أسماء الفاتحين والغزاة

وهكذا فان التطور الذى سما بانسان الغابات الى انسان اليوم والذى انتقل بالعصر الحجرى الى عصر اللاسلكى قد ارتقى أيضا بالتفكير البشرى وأتى بمبادىء بعضها جديد وبعضها قديم فى دور التحقيق وهذه المبادىء الجديدة يجب أن نكون منها برنامجنا ويجب أن يوليها كل كاتب وكل مفكر عنايته ويجعل منها الحاكم المصلح غايته

وبهذا يمكن الحكم على عقلية كل كاتب أو مصلح من مبلغ اهتمامه برقى المجتمع ومسايرته لروح العصر المتطور فاذا عاد أحدنا الى القديم فلكى يصور لنا جمالا نفتقده وحسنا يمكن الرجوع اليه وبذلك تكون دراستنا للقدماء للمقارنة بين عصورهم وعصرنا للعبرة ، واقتباس النافع

وليس للعيش فى تلك الاجواء القديمة واجترار عقائد الاقدمين وميولهم وتقديس فعالهم وتقليد أقوالهم وأشعارهم

وكل اصلاح وكل نهضة وكل ثورة انما هى وليدة المبدأ .. والمبادىء العظيمة وليدة التفكير المنطقى الحر . وكلما ارتقت النفس ورغبت فى خير الانسانية وخدمتها جاءت المبادىء علوية ملهمة ونحن ازاء المبادىء نخدم وطنين لهما علينا حقوق وواجبات . ولكل منا وطنان ، وطن أصغر محصور بين حدود جغرافية معينة ، ووطن أعظم يشمل الكون كله هو تراث الانسانية كلها الذى يجعل من البشر جميعا أخوة مرتبطي المصالح

ومصر هى وطننا الاصغر الذى نشأنا تحت سمائه وكل مصرى أو مصرية مكلف بوضع لبنة فى صرح مجده ونهضته ولو بتضحية مصلحته الشخصية بل بتضحية حياته فى سبيل المجموع. وبعدم الاتكال على غيره من العاملين والتفرج بنشاط الآخرين . وفى سبيل اسعاد هذا الوطن متسع للجميع اذ نواحى الاصلاح متعددة غير محصورة وأول مبدأ يجب أن نعمل جميعا على تحقيقه بشتى الوسائل السامية هو تحريره السياسى والاقتصادى والفكرى . فقد آن الوقت الذى تستقل فيه مصر وبقية الشعوب الناهضة عن حكم القوىّ ليسير كل شعب على قدميه وحده .وهذا الاستقلال الذى يعيد للشعوب كرامتها وحريتها فى العمل سيكون مقدمة للاتحاد العالمى الذى يتحدث به مفكرو العصر الحاضر اذ لا يمكن أن تتآخى الامم وتتعاون فى وحدة عامة والقوى مازال مستبدا بالضعيف

وسيحقق استقلال مصر السياسى مبادىء عديدة مثل الغاء الحزبية التى تمزق شمل الوطن ، والمحسوبية التى يضج منها الجميع ، ومثل الغاء الامتيازات الاجنبية والمحاكم المختلطة التى تتنافى مع الكرامة ، والتفرغ بعد ذلك الى النضال السياسى الطويل الذى شغل البلاد وكتابها ومفكريها الي تحقيق مسائل حيوية هامة تبدأ بالقضاء على الامية والجهل المخيمين على بلادنا فنستطيع أن ننشر التعليم اجباريا ومجانيا ونؤسس أكثر من الف مدرسة ابتدائية وثانوية وصناعية وزراعية وغيرها . ونضع المناهج الثابتة والنظم المدرسية المستقرة ونصل بنسبة المتعلمين بالتدريج من العشرين فى المائة الحالية الى مائة فى المائة كغيرنا من الامم المتحضرة

ولتحقيق استقلالنا الاقتصادى علينا بانشاء عشرات الشركات المصرية الكبرى على نسق شركات بنك مصر واكتتاب المصريين فى تكوين رؤوس أموالها واقبالهم على أسهمها . وعلينا بتحسين

الانتاج الزراعي وزيادة غلة الارض وادخال الاساليب الزراعية الحديثة فى كل نواحى القطر واستخدام الآلات الميكانيكية والقضاء على الآفات الزراعية ، وايجاد أسواق جديدة لبيع المحصولات المصرية مع تحسين أنواعها

ثم تحل مشكلة الديون المصرية العامة التى تورطت فيها البلاد فأثقلت كاهلها . وكذا مشكلة الديون العقارية التى تعمل على نزع ملكية الاراضى وانتقالها إلى أيدى الاجانب ومصارفهم المالية اذ يجب أن يكون كل ملاك الارض المصرية من المصريين مع توزيع الثروة بين الافراد بالعدل كما يجب أن تترك المصارف التى استغلت حاجة المزارعين جزءا من تلك الديون العقارية وأن تمد آجالها الى عشرات السنين

ولننشىء أسطولا تجاريا مصريا ينقل حاصلاتنا ومتاجرنا الى مختلف الاقطار . ولنعمل على تحسين المواصلات فى بلادنا فنعبد الطرق ونحسن مجرى النيل ليكون صالحا للملاحة طول العام وننظم الملاحة الجوية . ولنكثر من المعارض الدورية والمعارض الدائمة فى جميع عواصم المديريات ولنشيد مئات المصانع فى أنحاء القطر لسد حاجات البلاد من المنسوجات والملابس والورق والزجاج والاسمدة والاغذية وغيرها . . ولننشط فى استغلال المحاجر المصرية ومناجمها المعدنية المهملة وننشر الروح التعاوني بين الصناع المصريين لان زمن الانفرادية قد انقضى ولان أسواق اليوم لا تعرف غير الانتاج التعاوني القائم على جهود الجماعات

وعلينا نحو العامل المصرى واجبات أهمها انشاء مصلحة حكومية خاصة بالعمل والعمال تلحق بوزارة التجارة والصناعة لتشرف على تنظيم نقابات العمال لمختلف المهن والصناعات وصيانتها ومراقبتها . ولتحل مشكلة العمال العاطلين وتشغيل الاحداث والنساء . وتنظر فى تحسين حالتهم المادية والادبية وتوفير الشروط الصحية فى أماكن العمل . وتضمن للعامل أجره وعيشه . وتحدد له ساعات العمل وأيام الراحة أسبوعية وسنوية فلا يكون العوبة فى يد صاحب العمل ويجوز تثبيته فى عمله . وتقف فى وجه استيراد العمال الاجانب من الخارج . وبالجملة تعد القوانين واللوائح لنظام الحركة العمالية بمصر وصلتها بمكتب العمل الدولى

أما الفلاح المصرى فله فى أعناقنا حقوق هضمتها أجيال الظلام . فهو كما نعلم جميعا أمي جاهل يعيش فى عزلة عن العالم وعن أحواله الاقتصادية . وهو فقير معدم يسكن الزرائب مع بهائمه وهو مبتلى بصنوف الامراض المعروفة وباستبداد الملاك وبحيل السماسرة والمرابين

ولنذكر أن أكثر من تسعة ملايين من سكان هذا القطر لا يملكون شيئا أو يملكون دون الخمسة الافدنة وأن متوسط الدخل للواحد من سكان مصر اثنا عشر جنيها فى السنة . وأن ما يتناوله الفلاح الاجير ثلاثة قروش فى اليوم . فنحن فى فقر مدقع نحن العائشين فى جنات مزروعة يسقيها النيل !

فاذا أنصفنا أخانا الفلاح فانما ننصف البلاد المصرية كلها ، وعلينا واجب تعليمه كأن ننشر ونصلح التعليم الالزامي والتعليم الاقليمى الذى يعنى يتلقين أبنائه تلك المواد التى تتفق مع أقليمهم وما يشتهر به من غلات . وعلينا أن نؤسس ألوف القرى على نسق قرية بهتيم النموذجية . . وأن ننشر الدعاية الصحية للقضاء على ويلات الريف . ونوفر للفلاح الماء الصالح للشرب والانارة وننشىء فى القرى عيادات طبية مجانية ومتاحف زراعية وصحية صغيرة ونعمم بها الاذاعة اللاسلكية . . ونعالج مشكلة هجرة أبناء الريف الى المدن هربا من الجوع . ونعمم الجمعيات التعاونية وصناديق التعاون فى كل القرى . ونصلح الاراضى البور التى تشغل عدة ملايين من الافدنة فى نواحى القطر ونوزعها على الفلاحين المعدمين . وننهض بمشروعات الري ونحول رى الحياض فى الصعيد الى رى صيفى

وانه لمما يثلج الصدر أن عددا من كتاب مصر ومفكريها قد بدأوا يولون الفلاح المصري شطرا من جهودهم كما بدأوا يدينون بتلك المبادىء المصرية المختلفة فاذا ما اختمرت الفكرة وعمت كل الرؤوس فان الامل فى تحقيقها يكون قريبا

يبقى لدينا كثير من الواجبات الوطنية يتحتم علينا القيام بها بتضافر الجهود كل في الناحية التى تخصه ، مادمنا نضع المصلحه العامة نصب أعيننا . فثمة الجيش المصرى فى حاجة الى الخلق والتجديد ما دام مبدأ السلام لم يعم بعد هذا العالم الذى يستبد به نفر من الساسة والرأسماليين .

وثمة حاجتنا الى مصنع مصرى كبير يخرج لنا مئات الطائرات . وأمامنا مشكلة ازدياد السكان بالقطر وايقاف تيار الهجرة الاجنبية الى مصر ، وفتح أبواب السودان المصري فى وجه المهاجرين والصناع والزراع المصريين . وثمة توثيق عرى الصلات الاقتصادية والادبيه مع جاراتنا الشرقيات كالحبشة وسوريا وفلسطين والعراق وايران والحجاز واليمن . . . وثمة مسألة تجميل المدن وتنسيقها على نمط عصري صحى وتزيينها بالحدائق والتماثيل والنافورات والاشجار البديعة المنظر ، وتشييد المتاحف والمكاتب العامة والمعارض الدائمة فى عواصم المديريات والمدن الكبرى . وعلينا اصطناع الحضارة الاوربية والانتفاع بالاختراعات والمكتشفات الحديثة لاسيما ما تعيننا على ترقية صناعتنا وزراعتنا وشئوننا الصحية والمدرسية

وأمامنا مسألة المرأة المصرية وتعليمها ومساواتها باخيها الرجل فى الحقوق وانشاء الاندية الرياضية والادبية لها . وثمة تجديد الادب والنهوض باللغة ونشر المطبوعات النافعة وتجديد الموسيقى الشرقية وسائر الفنون الجميلة

أما وطننا الاكبر الذي تستوطنه أمتنا الانسانية ففى خيره خيرنا لان كل وطن صغير بمثابة عضو فى جسم العالم ومايصيب الجسم يؤثر فى سائر الاعضاء . وقد مضى الزمن الذى كانت تعيش فيه الامم فى عزلة وغربة لاتبالى بما تصيب جيرانها . وليس هناك مايمنع اتحاد الشعوب تدريجيا تحت لواء واحد . والعالمية هى المبدأ الانسانى الخطير الذى يتحقق به السلام ورفعة البشرية . . .

وهي مسألة المستقبل التي سيحققها التقدم العلمى تدريجيا بعد أن يهدأ هذا الاضطراب الذى أثارته الحرب العظمى ومعداتها ويزيد طينه بلة نفر من العسكريين والساسة والرأسماليين وذوى المصالح

وأى مبدأ أسمى وأجمل من وحدة الامم وتعاونها وارتباطها كما تربط أعضاء الاسرة الواحدة تشرف عليها حكومة عالمية واحدة مثل عصبة الامم ! يوم يصبح هذا الكوكب الصغير وطنا واحدا لانسانية واحدة تسعى نحو الاعالى التى ينشدها التطور !

وأى علم أبدع من تصور هذا الكوكب يتفاهم شعوبه بلغة عالمية مشتركة وقد زالت من العيون غشاوة التعصب الجنسى واللغوى والدينى ، وعمل الجميع علي توحيد العملة والاسعار والمقاييس والتقويم والازياء والاعياد ويوم الراحة والتعريفات الجمركية والذوق الموسيقى والادبى

وحبنا للانسانية ورغبتنا فى خيرها وارتقائها يدفعنا الي اعتبار بقية الدول شقيقات لنا مايقع لاحداها يؤثر فينا ، ولهذا كان من أسمى المبادىء كراهة الحرب تشب بين أولئك الشقيقات . . .

وموضوع الحرب والسلم يجب أن يشغل رؤوس أهل هذا العصر . وعلينا أن نعد السلام دينا جديدا له اتباعه والداعون اليه

ولهذا وجب علينا درس أسباب الحروب ونتائجها . والوسائل العملية التى تؤدى الي زوالها وضمان فض المنازعات الدولية بالتحكيم والمؤتمرات ، والطرق الموصلة الى نزع السلاح وهدم الحصون وفى سبيل السلم علينا أن نستبعد من كتب التاريخ التى يدرسها أبناؤنا كل اشادة بمجد الفتح والغزو ووصف الطعان والنزال ، وكل تقديس لأبطال الحروب وقواد المعارك وأن نتجنب تلقينهم تلك القصائد التى تطنب فى مدح السيوف ومن يصول بها فى حومة الوغى لتطويح الجماجم وشق الرؤوس مما تكتظ به أدبيات الشعوب ولغاتها

فان شئنا أن ننشىء للجيل الجديد رجالا ينزعون الى السلم ويمقتون المجازر الحديثة وكل من يثيرها وكل من يغنم ويحقق مصلحته الخاصة من ورائها ، علينا أن نكف عن تلك الأساليب القديمة التى ترضى غرائز الصغار ، وان شئنا أمثلة للبطولة فان التاريخ نفسه ملىء بأسماء أخناتون وأديسون وباستور والمعرى وولسون وغاندى وعشرات غيرهم من خدام الانسانية وأبطالها

بل علينا أن نغير ذلك الاسلوب العتيق فى دراسة التاريخ ، ذلك الاسلوب الذى يسرد أسماء الملوك والقواد وحروبهم وهزيمتهم وانتصارهم بان يكون التاريخ تقريرا عن حالة الشعوب الاجتماعية والاقتصادية وغيرها .. بل لقد آن الوقت الذى يكون فيه التاريخ شاملا لحالة الانسانية وتطورها كما فعل ولز فى كتابه تاريخ العالم

وفى سبيل تلك المبادىء السلمية علينا أن نفكر فى تعديل معاهدة فرساى وما تلاها من معاهدات مؤسسة على المصلحة الخاصة لا العامة ، وعلى املاء القوى الظافر الذى لا يفكر فى المساواة مما دفع هتلر الى القول بلسان شعبه : « لا اعتقد أنه يمكن أن يكون سلم فى العالم مادامت الشعوب لا تعامل على أساس المساواة وأنا مؤمن بالسلم ولكنى لا أدرى كيف يمكن اقامة النظام فى العالم اذا كانت السياسة تضطر الشعب المظلوم الي التفكير دائما فى الانتقام »

وخريطة العالم السياسية الحاضرة فى حاجة الى تبديل وتنقيح فى سبيل السلام أيضا فثمة أمم عديدة رسم لها القوى حدودها الجغرافية دون النظر الي مصالح تلك الامم كما حدث للنمسا والمجر والمانيا وغيرها . وثمة أمم من حقها الاستقلال بنفسها عن انتداب أو حكم غيرها كمصر وسودانها ، وسوريا ولبنانها ، وكالهند وجاوه وغيرها . وثمة أمم أقفل فى وجهها باب الاستعمار فهاجمت غيرها من الدول المستقلة . ومافتىء ضمير العالم ثائرا ساخطا على اعتداء اليابان على جارتها الصين وهجوم ايطاليا الغريب على الحبشة ، وهذا الضمير الذى تطور فى العصر الحاضر لن يرضى عن اعتداءات جديدة من دول تعتز بقوتها الحربية على دول أقل منها قوة عسكرية

وهنا يجدر بالساسة وعصبة الامم حل مشكلة الاستعمار وتوزيع المستعمرات بطريقة أخرى تتفق مع روح العدل والسلم وتوزيع الخامات .. ونظرة واحدة الى خريطة العالم ترينا تلك الفوضى فى توزيع المستعمرات على قليل من الدول وحرمان الاكثرية من مستعمرات مثلها

فاذا ما استراح العالم القلق من ذلك الموضوع الأبدى موضوع التسلح والحرب والسلم أمكنه المسير حثيثا نحو تحقيق غايات أخري كثيرة . فنحن ما زلنا نلهو على شاطىء الوجود وأمامنا

ذلك المحيط اللانهائى يعج بالاسرار والعجائب ، وللعلم أن يكشف عن خفايا الكون فى جو هادىء مطمئن فيه تتعاون الشعوب معاً فى البحث وتتبادل الثقافة وتشترك فى الانتفاع بالمكتشفات والاختراعات . ونحن لم نخلق على هذه الارض لنتحارب ونتسلح ونضرب البلاد الآمنة بالمفرقعات ونتبادل الكراهة والسباب والمقاطعة وفرض العقوبات بل خلقنا لنرتقي ونسمو بأنفسنا وبمن حولنا من أخوتنا البشر

ولم تبلغ البشرية بعد سن الرشد كما يقول ولز . وأمامنا كثير لنؤديه . . « ولا يمكن الانسان أن يؤدى أعمال الآلهة - كما يقول ولسون - ولكنى أخدم شأنا لا أبالى بعده ما سوف يحدث لشخصى »

والايمان بالتطور يبث فينا التفاؤل بمصير بشرية ويرينا أننا نسير الى الامام رغم ما يعترضنا من صعاب وعلينا أن نخدم التطور بالايمان بما يأتيه من مبادىء واكتشافات

وهنا نستريح من شر الحروب العسكرية ونتفرغ للقضاء على الحرب الاقتصادية التى تشب اليوم فى العالم وتفسد فى نظامه الاجتماعى وتنشر الفقر والبطالة والازمات المالية . وبين التدابير اللازمة لمعالجة المشكلات الاقتصادية والمالية اقامة عيار نقدي دولى على أساس ثابت فتقضى بذلك على الاضطراب فى العملة وتقلبات سعر النقد . وفى سبيل تغير السياسة الاقتصادية الحاضرة يجب ازالة الحواجز والصعوبات الجمركية التى تقف فى وجه التجارة والعمل على توزيع المواد الخامة توزيعا عادلا وتدبير الكميات الهائلة من الحاصلات الزراعية والمواد الاولية المخزونة فى العالم ولا تزال تتراكم وتزداد الى درجة التخلص من كثيرها بالحرق والاتلاف بينا هناك الملايين من الجائعين ثم نقدم على حل مشكلة العمال العاطلين فى العالم الذين يقدرهم اليوم مكتب العمل الدولى باكثر من ثلاثين مليونا وأى مثل اغرب من وجود تسعة ملايين من العاطلين فى الولايات المتحدة التى تملك نصف فحم العالم وخمس الحديد ونصف الذهب الموجود فى العالم كله ! وحل تلك المشاكل فى مقدور كبار الاقتصاديين فى الامم الحاضرة ولكن روح التفاهم والانصاف والحزازات القومية وغيرها تحول بينهم وبين الاصلاح المنشود

ثم تأتي مسألة المهاجرة الى البقاع الخالية والاراضى البائرة الفسيحة المحتاجة الى تعمير كما نرى فى استراليا وكندا وافريقيا وشمال آسيا وغيرها فان الانصاف يقضى بالتعجيل فى حل ذلك المشكل الذى تعرقله أصابع السياسة

وبين تلك المبادیء الجديدة ماهو انساني نبيـل مثل كراهة الرق والعمل على الغائه فى كل الارض ، ومثل قصة المنبوذين بالهند وكراهة البغاء وابطال التسول والتشرد ومحاربة الاجـرام والفقر ومقت الاستبداد والديكتاتورية وارستقراطية المال ، ونشر مبادیء الديموقراطية فى العالم والغاء الالقاب والرتب ماعدا الالقاب العلمية . والاقتناع بعد التجارب العلمية التى قام بها العلماء بان أجناس البشر على اختلاف ألوانها من أسود وأصفر وأحمر وأبيض متساوية فى العقلية متماثلة فى الحواس وأن الرأى القائل بتفوق الجنس الابيض لايقوم على أساس علمى

وكذا اعتناق التسامح ومقت التعصب لغير الحق والعدل . ودراسة أديان البشر المختلفة دراسة توصلنا الى أن كل الاديان متشابهة فى الجوهر متصلة في المصدر . ونزيد الصلة بين الدين والعلم ونعمل على الاستغناء عن الشعوذة والطقوس الشاذة والعقائد الخرافيـة . ونبطل نظام الرهبـنة والانقطاع عن الناس لـكى ينزل الجميع الى ميدان الخدمة العامة

وتتطور رأفتنا بالطير والحيوان إلي الـكف عن تسخيرها وابدالها بالآلات ثم الـكف عن ذبحها وأكلها باكتشاف أغذية تغنينا عن تلك القسوة الدموية البشعة

ونتـكاتف فى درس مسألة زيادة سـكان العالم المطردة ومايتبعها من دراسة اليوجنية وما يتعلق بها من تحسين النسل وتحديده وتعقيم غير الصالحين للتوليد فى سبيل اصلاح النوع البشرى وبذا ننصرف عن العدد إلى الجودة ومن الكم الي الـكيف . وقد قطع بنا التطور فى هذه النظريات شوطا حسنا حين صدر فى المانيا قانون يقضى بالتعقيم الاجبـارى لخير المجتمع بمنع كل مريض بمرض يمـكن توريثه كضعف العقل وأنواع الجنون والصرع والعمى والصم وادمان المسـكرات والاجرام . وحين حـكم مجلس الولايات المتحدة الاعلى بان التعقيم موافق لما فى القانون الاساسى على شرط أن يكون مبنيا على أساس معقول وبريئا من التطرف وكذا حين أجاز مؤتمر الاساقفة بلندن ضبط النسل فى سبيل الخير العام . وهنا يجب درس مسألة الزواج المتروكة باهمال يتصرف بها كل من هب ودب لاشباع رغباته دون النظر فى تحسين السلالات القادمة فتصدر الحـكومات قوانين تجيز بها الزواج وتمنعه كما ترى المصلحة العامة

ولنبتدع علوما جديدة مثل علم الخرافات يبحث فى أسبابها وتاريخها وطرق الوقاية منها ومثل علم الجمال الذى يجعل من الجمال غايتنا ويزيد فى الحياة بهجة ، ومثل علم المستقبل الذى يبحث فى مستقبل البشر على ضوء التطور والتقدم العلمي

صفحة من كنفوشيوس

لايهمني ان يجهل الناس قدري . انما يهمني ان اجهل قدر الناس

من تعلم من غير تفكير وقع فى حيرة . ومن فكر من غير تعلم وقع فى خطر

ذو المروءة هو من يقدر على حب الناس بالحق وعلى كراهة الناس بالحق

خطأ الأنسان على شاكلته . وكذلك نعرف مروءته من ملاحظة خطأه

لايستوحش من يتحلى لفضائل لانه يجد له فى كل مكان جيرانا

ربما كان الاقتصاد هو المثل الاعلى للفضائل

يمكننا ان نجعل العامة تسير على السنة ولكننا لايمكننا ان نفهمهم حكمتها

اذا خرجت من بيتك فعليك ان تعامل الناس كأنهم كبار الضيوف عندك

انى افصل كغيري بين المتحاكمين . وانما السياسة الحكيمة ان تهذب اخلاق الرعية حتى لايحتاج افرادها الى التحاكم

المروءة حب الناس . والمعرفة معرفة الناس

لو تداولت ايدى الصالحين شئون الدولة قرنا واحدا لتهذب الظالمون ولاستغنى عن عقوبة الاعدام

الرجل الفاضل يؤانس ولا يداهن . والرجل الناقص يداهن ولايؤانس

من حاسب نفسه كثيرا وحاسب غيره قليلا بعد عن سخط الناس

الرجل الفاضل يطالب نفسه . والرجل الناقص يطالب غيره

الناس متقاربون فى طبائعهم متباعدون فى عاداتهم

المنافق سارق الفضائل

من كان مزخرفا قوله متطلقا وجهه قلت مروءته

كل ذي مروءة شجاع . وليس كل شجاع ذا مروءة

اذا استقام الرئيس اطاعه المرءوسون من غير ان يأمرهم . واذا لم يستقم لم يطيعوه ولو امرهم

من بافلوف الى واطسون

السيكلوجية التجريبية الموضوعية

مهما قيل فى النتائج التى تستنتج من تجارب بافلوف فان مما لاشك فيه أنها ستعد حجر الزاوية فى السيكلوجية التجريبية الموضوعية فى المستقبل . وميدان السيكلوجية يتقاسمه فريقان هذه الايام أحدهما فريق « العقل الباطن » مثل فرويد وادلر ويونج . وهؤلاء يعتمدون على «الاختبار» الشخصى الذاتى . وهذا الاختبار لا يمكن الاطمئنان الى صدق النتيجة التى تستنتج منه لانه قبل كل شيء « اختبار » فقط وليس تجربة . وهو ذاتى أى أن القائم بالفحص والامتحان فيه هو « ذات » الشخص . وقصارى ما نستخرج منه هو الترجيح وليس التأكيد

أما الفريق الثاني فهو فريق التجربة الموضوعية . وهؤلاء مثل بافلوف وواطسون لايفحصون عن أنفسهم بذاتهم . بل يفحصون عن غيرهم (فحصا موضوعيا) وبذلك يمكنهم ان يجعلوا التجربة التى يطمأن الى نتائجها مكان الاختبار

وقد احتاج هذا الفريق أن يطهر الارض من جميع الملابسات التى ربما تعوقه عن المسلك العلمى الخالص . فالغى الفاظ العقل الباطن والواعى والنفس والوجدان . وشرع يجرب التجارب فى الحيوان أو الطفل بروح الاكتشاف الذى يفرض الجهل التام قبل الاهتداء الى حقيقة فيه . وعند هذا الفريق أن كل ماعندنا من تفكير انما هو تنبيه وانعكاس أى استجابة فقط . وقد تكون هذه الاستجابة مباشرة او مداورة

والفضل لبافلوف فى هذه التجارب التى انتهت الى هذه النتيجة . فانه كان يجرب تجاربه فى الكلاب . يأتي بالكلب ثم يخرق غدة اللعاب تحت لسانه ويضع أنبوبة مرقومة من الزجاج . ثم يضع أمام هذا الكلب طعاما . فيجرى لعابه فى الانبوبة ويقاس مقداره وبعد ذلك يضع جرسا يرن مع الطعام رنينا معينا . وهنا يعتاد الكلب سماع الرنين مع رؤية الطعام . ثم يوضع الجرس بلا طعام . ولكن الكلب الذى كان لعابه يجرى على رؤية الطعام وحده ، ثم على رؤيته مع رنين الجرس ، لايزال يجرى الآن عندمايسمع رنين الجرس فقط

ومعنى ذلك أن الطعام تنبيه مباشر . ولكن الجرس تنبيه مداور . أو تنبيه معدول عدل به عن أصله . فكلما رننا الجرس جرى اللعاب ولو لم يكن طعام . ويرى بافلوف والفريق الذى أتبعه أن كل تفكيرنا هو انعكاس أى استجابة لتنبيه مداور أو معدول عن تنبيه معدول آخر عن آخر الى أن نصل الى التنبيه المباشر الاصلى

ثم عمد بافلوف الى تغيير فى الرنين وجعل معناه او نتيجته المحتومة الثابتة أمام الكلب انه ليس هناك طعام . فلم يعد يجرى اللعاب . أو هو بكلمة أخرى قد أبطل العادة بتنبيه مضاد . ولكنه وجد أنه اذا أعطى الطعام مرة واحدة — واحدة فقط — عقب هذا الرنين زال من الكلب ضبطه لنفسه وصار لعابه يجرى بعد كل رنين

والمغزى من هذه التجربة أننا نستطيع ان نكف عن عادة ما بتنبيه جديد مانع . وأن ننجح فى الاقلاع عنها . ولكن اذا اتفق لنا أن عدنا الى هذه العادة . فان الضبط أى ضبط النفس الذي نجحنا فى تحقيقه ينهدم كله . مثال ذلك رجل قد اعتاد التدخين ثم يقلع عنه . فهو هادىء راض لا يطلبه . ولكنه اذا عاد اليه مرة واحدة ولو بعد عام من الانقطاع عادت اليه العادة بقوتها كما كانت قبل الاقلاع عنها

ومن التجارب التى قام بها بافلوف دائرة مضيئة تعنى أمام الكلب الطعام . ودائرة اهليلجية مضيئة تعنى الاطعام . ثم جعل المستديرة تعود اهليلجية فى اختلاط . فلم يكن من الكلب الا أن جن وحدث له ما نسميه بيننا نور استينيا أو التهافت العصبى

وقد استطاع بافلوف ان يقوم بتجارب أخرى كثيرة لها دلالتها فى سلوكنا الشخصى . وهذه التجارب قد انتفع بها واطسون زعيم السلوكية فى الولايات المتحدة . وهو يرى أن كل سلوكنا انما هو انعكاس مباشر او مداور . ولهذا السبب يبالغ كثيرا فى قيمة الوسط ويستصغر شأن الوراثة . بل القارىء له يشعر أنه لا يؤمن بها بتاتا . وكل ما يجده من فروق فى سلوك الاشخاص انما يرجع الى بناء أجسامهم وما عندهم من أجهزة غددية يمكن معالجتها اذا كانت ناقصة فليس ما يدعو الى الاستسلام فيها الى الوراثة . وهو يرى أن التفكير هو حركة اللسان والزئة والحنجرة الخ أو هو كلام صامت . وأن الالفاظ انعكاسات مداورة أو معدولة . فكما ان الكلب عند بافلوف كان يعرف أن الرنين يعنى الطعام كذلك نحن نعرف أن هذه اللفظة « الطعام » تعنى ما نأكله سواء أكانت مسموعة أم مقروأة

تحسين نسل الانسان

خلاصة كتاب انجليزى تأليف
السر فرانسيس داروين وتلخيص
الاستاذ نظمى شحاته

أحدث النهضات العلميـة هو النهضة البيولوجية وغايتها التحكم فى الخلايا الجنسية وتأصيل الانسان بتحسين انساله وسلالاته

وقد لفتت ألمانيا أنظار العالم إلى هذه النهضة فى السنوات الأخيرة بما سنت من قوانين تسهل لها المضى فى سبيل تحقيق هذه الغاية

وسبق ألمانيا فى الدعوة إلى وسائل اليوجنية وممارستها بالفعل كل من أسوج وسويسرا وبعض الولايات الامريكية إلا أن عملها جميعا كان فى سكون قبل نحو ربع قرن تقريبا

واليوجنية فضلا عن أنها من أحدث علوم العصر . فهى فوق ذلك تتصل بأشخاصنا اتصالا وثيقا وبانسالنا اتصالا تاما . ولذلك فان دراستها تستهوى كل من ألم ولو بقدر يسير من عناصرها كعلوم الحياة ومسألة تحديد النسل

منذ أن عرفت الحياة على وجه الأرض والطبيعة تنفذ فيها قانون بقاء الاصلح لغاية لا نعرف سببا لحرص الانسان عليها . وهى تقدم أنواع الحياة ورقيها . وهذا القانون يقضى على الافراد الضعيفة من أي نوع حيوانى بالموت المبكر . فلا تتعاقب ذراريه . أما القوي القادر على التنازع فان أجله يطول ويتناسل . فتنتقل صفاته الحسنة من جيل إلى جيل . ويعرف ذلك بالانتخاب الطبيعى

ويعنى الانسان منذ أقدم العصور بنسل حيوانه . فيحاول جهد استطاعته اختيار الافراد الممتازة من أنواع الحيوان المختلفة . ليجعل نسلها كثير العدد . ويعرف ذلك بالانتخاب المقصود أو الصناعى . وقد آلت هذه العناية إلى الحصول على أجناس حيوانية متعددة لكل جنس منها مزاياه الفائقة . وبذلك قد توصل الانسان إلي خلق كلب الصيد الماهر . وكلب الحراسة القوى . والبقرة الحلوب . والشاة الولود . والعصفور العذب التغريد وغير ذلك مما لا يمكن حصره ولا يمكن وجوده إلا بتدخل الانسان المقصود . وهنا نتساءل

إذا كان هذا هو مدي عناية الانسان بنسل حيوانه ، ألا يجدر أن تكون عنايته بنسله أبعد من هذا المدى بكثير ؟ فيكون رد بعض الناس : إن الانسان ليس بحيوان . فلا يصلح أن يكون موضعا لاجراء وسائل تحسين النسل عليه كما نجريها على الحيوان

ولكن الدارسين للتطور والمؤمنين بعلوم الحياة لا يجدون مطلقا ما يبرر فصل الانسان عن المملكة الحيوانية العظمى التي يحتل فيها القمة . ويدركون بذلك سموه لأنه خطا خطوات واسعة على سلم الرقى . فى حين أن معارضيهم يظنون أن فى ذلك ما يحط من شأن الانسان وليس لديهم لتبرير قولهم دليل يعتمد على العلم

وإذا كان الفرد من هؤلاء المعارضين يعلم أنه قد تطور قبل أن يولد عن شيء هو أشبه بأحقر أنواع الحيوان ، فان ذلك يسهل عليه ادراك أن الجنس البشرى قد تطور بطريق مشابه لهذا ولكنه أخذ فى تطوره ملايين السنوات . فارتفع برقيه فوق سائر المخلوقات . ولن يطلب المزيد فى هذه النقطة فعليه دراسة المباديء الاولية فى علوم الحياة

العوامل المؤثرة فى النسل

لايوجد خليتان جنسيتان متشابهتان تمام الشبه . حتى الخلايا التى تنتج التوائم . وهذا هو السبب فى عدم وجود مخلوقين الشبه بينهما تام

وعلى ذلك فأول العوامل المؤثرة فى النسل هو طبيعية الخلية أو الوراثة . أما المؤثر الثانى فهو البيئة . والصفات التى يكتسبها الفرد من البيئة المحيطة به تسمى الصفات المكتسبة . وقد أدت الدراسات المتعددة لموضوع الصفات المكتسبة إلى بيان أنها لا تنتقل بالوراثة فابن الحداد ليس ضروريا أن تكون عضلاته قوية وابن أخيه أستاذ الجامعة قد لا يكون مفكرا أما ادمان الخمر ولو من المشاهد انتقاله الى النسل عدة أجيال متعاقبة ، فانه لا يعتبر وراثيا أى لا يعتبر أن له تأثيرا خاصاً فى الخلايا الجنسية . وانما يفسر حدوث ذلك بأن أول مدمن فى العائلة كان به ضعف خاص جعل به ميلا نحو السقوط فى تجربة الادمان . وغيرها من سائر الخطايا . وهذا الضعف هو الذى ينتقل بالوراثة . ويقوى الوقوع فى التجربة وجود البيئة الفاسدة

فالبيئة لا تؤثر فى الجنس ولا يتعدى عملها الافراد المتأثرين بها . فهى وان كانت عاملا من أهم عوامل التربية الحديثة فهى ليست من اليوجينية التى نقصد بها تحسين نسل الاجيال البشرية المتعاقبة . وتأثير البيئة من هذه الناحية غير مضمون . ويتكلف كثيرا لوجوب توافر البيئة الصالحة لكل فرد ولكل جيل . ولمعاونة البيئة على عملها الشاق . يلزم السعى لتقليل عدد العائلات

الفقيرة البائسة . لان ذلك يهيىء الفرصة لتنمية المواهب الموروثة لكثير من الفقراء . ويعمل على رفع المستوى الاجتماعى فى سرعة بحكم اختلاط الناس . ذلك الاختلاط الذى يقرب الجميع من مستوى متوسط . وهذا المتوسط بطبيعة الحال يعلو اذا زادت عائلات الممتازين وقلت عائلات المنحطين . وينخفض اذا حدث العكس . وهو الواقع فى الجيل الحاضر فى نظر اليوجينيين

الصفات الموروثة

هنالك صفات جسمية وعقلية فى الابناء لاتأثير لبيئة الوالدين فيها . يؤيد هذا بقاءالتشابه الغير العادى فى التوأمين رغم تغيير بيئتيهما ، ووجود اختلافات كبيرة بين الاخوين رغم اشتراكهما فى بيئة واحدة . والتعليل الوحيد لهاتين الظاهرتين هو تشابه الخلايا التى تنشأ عنها التوائم تشابها يقرب من التمام ، ووجود اختلافات فى الخلايا التى تنشأ عنها الاخوة . والبحث الميكرسكوبى يؤيد وجود هذا التشابه وذاك الاختلاف

وواضح ان هذه الصفات لاتنتقل كما هى من الوالدين إلى النسل فالابن يكتسب من أبيه اكثر مما تكتسب البنت ، وهذا الأمر على تعاقب الاجيال يعلل الفروق ويقوي بعض الصفات كما يضعف البعض الآخر ، ومعنى هذا أنه لايمكننا الحكم على حالة مخلوق لم يولد بعد من مجردمعرفة صفات والديه وأقاربه المعروفين لنا ، ولكن هذه المعرفة تعاوننا الى حد كبير جدا ، على تقدير ما يحتمل أن تكون عليه الذرية فأبناء الطوال عادة طوال . واذا نقص طول أحدهم أو ظهر بينهم قصير كان ذلك بنسبة ضئيلة وفى جيل واحد أو أجيال محدودة ولهذا تفسيره فى علم الوراثة. وكذلك اذا كان الأب أو الأم أو الأقارب بعضهم مجنون فاحتمال اصابة النسل بالجنون كبيرة

ولما كان أثر الوراثة فى سعادة الانسان وتقدمه خطيرا وجب أولا أن نعمل على تهيئة بيئة صالحة لنمو ماترثه من استعدادات وميول راقية وأن نسعى إلى توريث الاجيال القادمة صفات ممتازة ، ونمنع توريثهم الصفات المنحطة . وهذه هى مهمة اليوجنية وقد بدأت فى عصرنا الحالى تؤدي وظيفتها بصورة تبعث على التفاؤل

وسائل اليوجنية

من هذه الوسائل العناية بالجيل الحاضر وتحسين بيئته من مأكل ومسكن وتعليم وذلك لكى تهيأ لمن يحمل مزايا وراثية، الفرصة للمحافظةعليها وتنميتها . وهى تشترك مع التربية فى هذه الغاية

كما أن التربية ترى فى البيئة الصالحة ، تحسين حال الفرد مهما كانت صفاته الموروثة . وهذا لا تعترض عليه اليوجنية .

ولكن وسائلها الهامة غايتها أخطر من ذلك بكثير . اذ هى محاولة خلق أجيال جديدة بها عناصر ممتازة ،حتى اذا أتيح لها نفس الوسط ونفس الغرض التى تتاح لابناء الجيل الحاضر ، أمكنها أن تعيش فيها أسعد حالا وأكثر تقدما . فالمصلح الاجتماعى الذى يري أن توفير السعادة للجيل الحاضر يجب أن يكون غاية الجميع وأن يقصر عليها كل المجهودات ، لا يؤخذ برأيه عند علماء تحسين النسل وتأصيل الانسان أى اليوجنيين

ولوصول اليوجنية الى غايتها لا تدعو الى أن نتبع مع الانسان نفس الوسائل التى يتبعها الفلاح مع حيوانه من حيث ذبح الضعيف ، أو تزويج الممتاز اكراهاً . اذ ليس من وسائلها الوحشية أو الاكراه لأن رفع المستوى الادبى من أهم الصفات الممتازة فى نظرها

إنها تسعى إلى زيادة عدد الممتازين وتقليل عدد المنحطين برفع معدل المواليد فى عائلات الاول وتخفيضه فى الآخرين مع السعى لعمل عكس ذلك فى معدل الوفيات بالنسبة للمتازين وذلك دون تعارض مع المبادىء الادبية . وهنا يجب ألا يفوتنا ادراك إن كل إصلاح يحتاج إلى مخاطرة ولكن أعظم الخطر فى الجمود وعدم القيام باصلاح ما

وتحقيق وسائل اليوجنية يتطلب تضحية من الكثيرين من آبناء الجيل الحاضر لا فى سبيل زملائهم فى الانسانية الذين يعاصرونهم . وإنما إكراماً لمبدأ الانسانية

قلنا إن اليوجنية تسعى لى زيادة المتفوقين وتقليل المنحطين ولكن أي مدى للتفوق يجب التطلع اليه ؟

إن النظر الى المثل العليا من الصفات يضر اكثر مما ينفع . لانه يثبط الهمم . ولا يمكن السير فى سبيل تحقيقه . ولكن التخلص من المجرمين معتادي الاجرام . والمرضى منذ الولادة . والمجانين والعمى بالوراثة والصم والبكم وغيرهم وذلك بمنع تناسلهم كامر واجب وقد بدأنا فى سبيل تحقيقه

وفكرة إيجاد افراد قلائل من السوبرمان لتسيطر على العالم فضلا عن انها بعيدة المنال جداً فان الوصول اليها لا يشرف الانسانية وسيؤدى حتما الى ثورة العامة على أفراد السوپرمان وابادتهم بعد أن نكون قد حصلنا عليهم بمجهودات شغلتنا أجيالا

أما فكرة عدم الاستغناء عن الذين يقومون بالاعمال القذرة دون تذمر . فلا تقبل مطلقا لانها

تتضمن القسوة نحو هؤلاء الزملاء وانحطاطهم الادبى . وهذا هو نفس الاعتراض الذي لاقاه نظام الرقيق

واليوجينية فى الوقت الحاضر لاتحاول وضع مقياس خاص للقدرة الجسمية والعقلية والخلقية للافراد الواجب يكاثرهم أو منع تناسلهم ولكنها تقول ان الذين يقومون باعمال وضيعة وانتاج ضعيف بمرتب ضئيل مقدرتهم من جميع النواحى اقل من المستوي الواجب . فبتقليل نسلهم يعقبهم جيل تقل فيه الشكوى من البطالة وضآلة المرتبات

أما الذين يقومون بأداء الاعمال ذات المسؤليات الخطيرة بكفاءة فمن الواجب أن يكثر نسلهم لأنه سيكون أقدر على أن يقوم باعمال ممتازة . فيرفع كثيراً من الاعمال الوضيعة الى مكانة محترمة وبهذه المحاولة تتمكن الانسانية على ممر الاجيال من تقليل الفروق الاجتماعية ورفع المستوي الاجتماعى بوجه عام . وتوفير السعادة والاحساس بانها تعيش بحالة أحسن من حالة السلف

واليوجنيه عند ماتطلب من الفرد حرمانه من أن يكون أبا أو أما انما تطلب تضحية غير ضئيلة ولكن لذة التمتع بالابوة أو الأمومة يلزم أن نقدر أنها أقل من الألم ألذى يصيبنا من جراء بؤس الذرية . وأقل طبعاً من تألم هؤلاء البؤساء الذين أوجدهم الوالدون شبه متعمدين لبؤسهم فى أحيان كثيرة . وعلى الدين أن يعاون اليوجنيه بأن يجعل فكرة التضحية فى سبيل أبناء المستقبل من تعاليمه اليومية المألوفة حتى تنطبع فى النفوس كما انطبعت فى نفوس الكثيرين فكرة التضحية فى سبيل الجار

ويظن بعض الناس أن نوابغ المفكرين كثيرا ما يكونون معتلى الصحة . فيلزم منع تناسلهم وهذا قول خاطىء لايؤيده البحث الدقيق . فالقول بمرضهم بنسبة كبيرة قول مبالغ فيه لأنهم دائما محط الأنظار

والمرض عند الكثير منهم بسبب الاجهاد الطاريء لا لأمر وراثى

أما الحالات التى يجب فيها منع التناسل أو تحديده فهى اعتياد الاجرام والجنون والصرع والعمى والصم والأمراض الزهرية والسل والنقص الجسمى الخطير وادمان الخمر المزمن . وواجب أخذ رأى الطبيب فى كل حالة . ولذا تطالب اليوجنيه الاطباء أن يوجهوا عناية خاصة لهذا الموضوع حتى يتمكنوا من ابداء رأى سديد فى مسائل خطيرة كهذه وعند الشك يسمح للزوجين بان يكون لهما طفل واحد أو طفلان

تحديد النسل

أمر لا يتم بقوة القانون ولكن بالاتفاق التام بين الزوجين ، وفى وسائله الآن بعض

المتاعب ولكن الطب يؤمل أن يصل إلى وسائل مريحة عديمة الضرر مطلقا فى المستقبل القريب وفائدته كمستقبل الانسانية وللعائلات الفقيرة التى تزاوله جليلة لايمكن انكارها ، ولا يمكن مقارنة الضرر أو التعب الذى يترتب على مزاولته بهذه المزايا الجليلة التى تناولها البحث فى كل بلد . ومن أظرف هذه المزايا الشعور بقيمة الطفل الذى لم يأت اعتباطا

والسبيل لتحديد النسل هو منع الحمل أما فكرة تحديد التعارف الجنسى لهذه الغاية ففضلا عن انها غير ممكنة فانه لا يستسيغها ويقوى على تنفيذها الا فرد له روح أدبية مثالية . ومثل هذا الفرد تحتاج الانسانية الى نسله أشد الحاجة

وقد يظن بعض الناس أن الدعوة إلى تحديد نسل الشعوب قليلة القيمة فى عصرنا الحالى متأثرين بأن دولتين قويتين كالمانيا وايطاليا تدعوان الى التكاثر ولكن هذه الدعوة الجديدة ليست فى صالح الانسانية ولا فى صالح هاتين الدولتين ولا فى صالح العائلات الكثيرة النسل مع الفقر وقد أدت هذه الدعوة إلى جشع الشعب الايطالى وإلى القذف بمن دعونا إلى خلقهم إلى موت محقق وليس فى ذلك أى مظهر للسعادة أو الرفاهية

أما الاعتراض بأن معرفة وسائل منع الحمل تفسد الاخلاق وتسهل الزنى فمردود عليه بأن من يزنى لأنه يأمن الحمل يزنى بصورة أخرى غير كاملة إن كان لا يعرف شيئا من وسائل منعه . وفى نظر الأخلاق والاديان الزنى الجزئى كالزنى الكامل

التعقيم

هو أضمن وسائل منع الحمل . وهى لا تقضى على لذة التعارف الجنسى وإنما تمنع الاخصاب . والعملية ناجحة من الناحية الطبية الآن ، ولو أنها أشد خطرا فى حالة إجرائها للنساء . ولكن الأمل كبير فى وصول الطب إلى جعل التعقيم عملية سهلة

وهى أشد خطورة من وسائل منع الحمل الاخرى ، لانه لا يمكن الغاء أثرها إذا رأينا أن نعدل عن فكرة تحديد النسل ، فى إحدي الحالات

وقد قيل فيها أيضا أنها تساعد على الزنى ولكن هذا القول غير معقول مطلقا إذ لا يمكن أن تطلب امرأة القيام بهذه العملية ليسهل عليها الزنى

وتعقيم النساء مع ما فيه من خطر يجب إجراؤه فى حالات خاصة وللحصول على مزايا معينة فاذا كانت الزوجة هى المصابة بالخبل لا الزوج وجب تعقيمها وعدم تعقيم الزوج الذى قد يتزوج

غيرها مستقبلا . والام المجنونة على فرض أنها لا تورث جنونها لذريتها ستكون على كل حال غير قادرة على تربية ذرية نافعة فشقاء ذريتها محتوم

والتعقيم يحسن حالة الفتيات المصابات بالخبل وهـذا ما يدعو كثيرا من الآباء فى كاليفورنيا « حيث تقدمت مسألة التعقيم تقـدما محسوسا » إلى طلب تعقيم بناتهم المجنونات . وكثيرات من هاتيك البنات تزوجن بعد ذلك ويتمتعن بالمعاشرة الجنسية السليمة دون اضطراب أي فرد من العائلة أو الدولة ، أو الخوف من وجود ذرية مصابة بالجنون . وتزويجهن طبعاً فى صالح الأخلاق لأن الفرد المجنون لو أتيحت له أى فرصـة «وكثيرا ما تتاح » فانه يقدم على التعارف الجنسى بحيوانية لا تعرف الخوف ، ولا تقدر خطورة عملها ولا تفهم معنى لـكلمة «طفل غير شرعى»

واليوجنية تطلب أن يبيـح القانون تعقيم كل الذين يكونون مصدر خطر على النسـل . كل المنحطين الذين يعيشون عيشة غير المتمدينين فى عالم متمـدين ، وذلك لغرض تحسين النسل ورفع مستواه الاجتماعى أولا ، ولتقليل عدد البائسين ثانيا

وأثر جميع وسائل تحديد النسـل فى تحسين السـلالة بطىء جداً وكلها وسائل سلبية ولـكنها واجبة على كل حال

أما الوسائل الايجابية كتزويـج النابغين بالنابغات ومطالبتهم بنسل كثير العدد بقوة خاصـة غير الشرع ، أو حقن الاذكياء بخلاصات غدد العظماء فهذا لم يتعد كونه فكرة بعـد . ولا يبعد أن تبدأ بلاد كأسوج والمانيا وروسيا وغيرها بتنفيذه فى المستقبل القريب

وتمثل ولاية كاليفورنيا الزعامة فى «مسألة التعقيم» فقد قامت مستشفياتها بتعقيم ٥٠٠٠ شخص فى ١٨ سنة آخرها سنة ١٩٢٦ ولابد أن هذا العدد قد تضخم كثيراً فى السنوات العشر الأخيرة وهو عدد لا بأس به إذا راعينا عدد سكان هذه الولاية

فنسبة ٥٠٠٠ إلى سكان كاليفورنيا كنسبة ٥٣٠٠٠ إلى سكان انجلترا وحدها . أما النسبة التى عقم بها مجانين المستشفيات فى كاليفورنيا فى هذه المدة فهى تعادل ١ من كل ١٢ مريض . وقد وجد انه لاضرر منها على الصحة وفى بعض الحالات أفادت فى إزالة خوف عنيف مصدره تصور وجود ذرية مخبولة

وأول من زاول عملية التعقيم هو الدكتور شارين Sharain فى الهندسنة ١٨٩٩ . وفى سنة ١٩٠٧ أباح قانون ٢٧ ولاية أمريكية التعقيم فى حالات يقررها الاطباء المسؤولون . وقانون التعقيم فى كولومبيا البريطانية صدر فى ابريل سنة ١٩٣٣

أما المانيا فقد أصدرت فى حكم هتلر قانونا للتعقيم الاجبارى ، وقد قدرت عـدد الحالات الواجب تطبيق القانون عليها بما يأتى :

٢٠٠٠٠٠	ضعف العقول
٨٠٠٠٠٠	شيزومانيا
٢٠٠٠٠٠	جنون
٦٠٠٠٠	صرع
٦٠٠	رعشة فيتس
٤٠٠٠	عمى وراثى
١٨٠٠٠	من الصم البكم
٢٠٠٠٠	نقص جسمى خطير
٢٠٠٠٠	ادمان خمور مزمن
١٫٣١٢٫٦٠٠	

ضعف العقل

يقدر عدد ضعاف العقول فى انجلترا بنسبة ٥ فى كل ١٠٠٠ من السكان. وهؤلاء يحتمل جدا أن تكون ذريتهم ، أقل عقلا وأتعس حالا منهم ، وزيارة واحدة لاحدى مستشفيات المجاذيب تجعلنا ندرك ما عليه المخبول من بؤس نود أن نرفعه والا نراه فى أي إنسان

أما المصدر الأول الذى نرث عنه الجنون ومصدر هذا البؤس فغير معروف على وجه التحديد لأي إنسان ، وإنما نعرف الحالات التى يحتمل فيها توريث ضعف العقل

وضعاف العقول لا يمكنهم من تلقاء أنفسهم مزاولة وسائل ضبط النسل ، ولا يمكن أمة أن تحفظ جميع من فيها من ضعاف العقول فى المستشفيات الخاصة بهم . ولذلك يجب تعقيمهم لضمان عدم تناسلهم . ثم حفظهم فى المستشفى لتقليل تعاستهم

اعتياد الاجرام

العوامل التى تجعل الفرد مجرما هى المنزل السيء الذى يتربى فيه وهو طفل ، وتجارب الحياة الخارجية عندما يكبر ، وثالثا بعض صفات خاصة يرثها من أبويه منذ ولادته . والعاملان الأولان ليسا من اليوجنية ولو أن كثيراً من الناس يعتقد أنهما وحدهما سبب الاجرام . ومعنى هذا أننا ذا هيأنا بيئة صالحة للطفل منذ ولادته لا يجرم مطلقا . وهذا مالا يحققه الواقع . والطريقة المتبعة فى فصل الاطفال المجرمين عن عائلاتهم لها ضرر بليغ إذ هو يقوي رغبة الوالدين فى التناسل ويصرفهم عن مسألة تحديد النسل ، وهذا أمر غير مرغوب فيه بالنسبة لمثل هذه العائلات ولكننا

تضطر اليها . وفى كثير من الحالات يكون الاجرام نتيجة لضعف العقل ، وعندئذ يعالج الطفل أولا من هذه الناحية ، ويطالب الوالدين بتحديد النسل

ولبيان عظم أثر الوراثة فى الأجرام نقول إن الاطفال الذين يجرمون فى سن مبكرة فيرسلون إلى الاصلاحيات ويبقون فيها زمنا طويلا ، إذا قورنت حالتهم بالذين يجرمون فى سن متأخرة ويبقون فى الاصلاحيات مدة أقصر نسبيا ، نجد أنهم فى حياتهم بعد ذلك أميل إلى الاجرام وأسرع إلى السقوط فى التجارب من الذين أجرموا وهم فى سن متأخرة

والتعليل الوحيد لهذا أن الذي يجرم مبكراً فيه عناصر وراثية قوية سهلت له السقوط سريعا . أما الاخرون فعناصر الاجرام فيهم أخف

وعند تحليل نسل المجرمين يلزم تقدير أى الحالات التى يكون فيها الجرم خطرا على السلالة. واتخاذ عظم الجرم أو شدة العقوبة التى حكم بها عليه مقياسا لذلك غير صالح لأن أخطر المجرمين ربما هم فى نفس الوقت اذكاهم وأصحهم . أما مرتكبي الجرائم التافهة فهم منحطى الذكاء غالبا

والسجن لمدة طويلة كما هو محقق لا ينفع المجرم ، كما أنه لا يمنع أن يكون له ذرية كثيرة العدد أما العلاج الذى يرى صحيحا فيستلزم ثلاث مراحل —

ففى المرحلة الأولى عند ارتكاب الطفل لأول جريمة يفصل عن منزله ويرسل إلى الاصلاحية ليتعلم عملا ويبقى بها ما دام هناك ما يساعد على وجوده ، مع مراعاة أن تكون حالتها باعثة على السرور

وفى المرحلة الثانية يلزم التخويف من عقوبة القانون . فاذا غادر الطفل الاصلاحية، ثم ارتكب جرما وهو كبير ، لزم أن تكون العقوبة شديدة جداً ، ولكنها غير كبيرة المدى وهذا يمنع بعض المجرمين من العودة للاجرام

اما المرحلة الثالثة فهى تحديد نسل العائلات التى يظ فهر بها الاجرام بالوسائل اليوجنية . وفى ذلك أيضا تقليل ظهور الصفات المنحطة التى تصاحب المجرمين عادة كالغباوة وسرعة الغضب والكسل والصرع وادمان الخمر . واحصائيات الاجرام لا يمكن أن نعتمد عليها فى معرفة ما اذا كان الانسان اخذ فى التقدم من هذه الناحية أم فى الانحطاط

على من يقع الغرم

يمكن تقسيم الناس الى ثلاث فئات فى نظر علم اليوجنية وهى (١) فئة الغير لائقين The unfit ومنهم المجانين ومعتادى الاجرام . (٢) فئة الناقصين Inferiors والفرد من هذه الفئة مهما بذل من جهد فانتاجه لا يكفيه ليعيش عيشة متمدين ، الى حد مقبول ومنهم الكسالى والسكيرون وضعيف الجسم . (٣) فئة الجديرين بالحياة The well to do واسمهم يدل على صفاتهم

فالفئة الأولي تتكلف مصاريف هائلة لأنها تحتاج إلى ملاجيء ومستشفيات وسجون ومحاكم ومدارس خاصة

والفئة الثانية خطرها فى كبر عدد افرادها ، وعلى ذلك فهاتان الفئتان عبء ثقيل على نفسيهما وعلى الفئة الممتازة أيضا ، ووجود الغير الجديرين بالحياة ، والذين يعيشون عيشة ناقصة هم السبب فى فرض الضرائب الباهظة ، وغلاء ثمن كل ما يشترى . فالتخلص منهم يعاون على تخفيف الضرائب ،وصرف أموال الدولة فى نواحى النشاط الاجتماعى المتعددة . مثل تقدم التعليم وانشاء الطرق واستتباب الامن العام،والتوسع فى البحث العلمى وتقليل تكاليف المعيشة مع رقيها وتقدمها. زد على ذلك ان الفرد عندما يبتعد فى أثناء عمله أو خارجه ،عن الافراد المنحطين، يزيد انتاجه كما يرتفع منسوب الرقى الاجتماعى

وكلامنا هذا يتداخل كثيرا مع النظم الاقتصادية المعمول بها ، ولكننا لا نتعرض لبحثها بالتفصيل . ويكفينا للتدليل على صدق نظرنا عندما نؤكد الحصول على مزايا جليلة بتقليل عدد المنحطين أو القضاء عليهم أن نقول

ان مقدار حاجياتنا المعيشية المتنوعة من مأكل وملبس وتعليم وما تشمله أيضا . . زياراتنا للأطباء واعتمادنا على المحامين وغير ذلك فيمكن أن نطلق عليها جميعا اسم « البضائع »هذه البضائع يخصنا منها نصيب وافر إذا كان انتاج الامة لها وافرا ، ولكن وجود المنحطين ينقص مقدار هذه البضائع ، ويزيد فى نفس الوقت عدد الأنصبة الواجب توزيع البضائع عليها ، بالعدل ما أمكن فيقل ما يخص كل فرد وتنحط المعيشة فى مجموعها

وفى انجلترا وويلز تتكلف الحكومة مصاريف ... ٧٠ شرطى . كما أن مستشفياتها الخاصة بايواء المرضى المؤمن عليهم يضيع فيها سنويا أزمنة يقدر مجموعها بـ ... ٢٧٠ سنة كل هذا بسبب وجود فئات غير صالحة

وأحسن حل للتخلص من هذه الاعباء . هو التخلص من هذه الفئات . لا التى تعيش الآن وانما الذين سيحلون فى الاجيال المقبلة ليقل بؤسهم وألمهم والآلام التى تنشأ للانسانية من وجودهم

هل نحن نتقدم أم ننحط

مظاهر رقى مدنيتنا فى العصر الحالى من تحسن فى المسكن والمأكل وتقدم التعليم وتوافر الرفاهية والراحة ، يرجع الفضل فى وجودها الى الافراد القلائل من النابغين والمخترعين . ولكى نقدر أن هذا الرقى سيضطرد ، يلزم أن يزيد عدد أمثال هؤلاء البشر مستقبلا ولكى نصدر حكما على حالة مستقبل البشرية لا يلزمنا أن نستخلص من المظاهر ، وانما يجب أن نتحقق مما هو حادث بالفعل

ففى القرن الماضى كانت نسبة عدد عائلات الممتازين والمتوسطين أكبر مما هى عليه فى القرن

الحالى و وكان أطفال الفقراء يموتون بكثرة . أما الآن فقد انخفض معدل وفياتهم . وفى نفس الوقت قل معدل مواليد الفئات الأولى . ومعنى هذا أن الزوجين الممتازين لا ينجبان عددا من الاطفال يملأ الفراغ الذى يتركانه بوفاتهما فيمتلىء هذا الفراغ بمن هو دونهما ، وبذلك ينحط المستوى الخاص بالطبقة الممتازة على مر الأيام ، وبذلك أيضا سوف تتغلب الصفات الاجتماعية الموجودة فى الطبقات الفقيرة على سائر الصفات . والسبب فى عدم ظهور هذا الأثر جليا فى الوقت الحالى هو أنه لايزال فى بدء عهده وهو يسير ببطء ولكن باستمرار

وإذا تأملنا مليا لحالة البشر فاننا نلمس نقصا واضحا فى عدد العظماء ، فقد أنجبت اليونان فى بدء نهضتها من النوابغ ما لم تنجبه أمة فى الألفى السنة الأخيرة

والمدنية المصرية وكذا الرومانية القديمتين عند ما كانتا فى عصريهما الذهبيين كانت عوامل الانحطاط تعمل فعلها البطىء المستتر ، فأعقبت هذه العصور عصور مظلمة والعامل الاساسى الذى أدي الى ذلك هو نفس العامل الاساسى الموجود بيننا الآن الا وهو نقص معدل مواليد الممتازين

ولكى تحافظ الامة على مدنيتها يجب أن تتدخل بقوانينها فى مسألة النسل وتكاثره لتجعل معدل المواليد عاليا حيث هو الآن منخفض أي بين الممتازين . ومنخفضا حيث هو مرتفع أى بين المنحطين

اليوجنيه فى المستقبل

أعمال الاحسان التى تؤديها الافراد أو الجماعات أو الحكومات اذا كانت تمنح للمعوزين بقدر يتناسب مع عدد افراد عائلاتهم لاتشجع هذه العائلات على تحديد النسل . وفى نفس الوقت يستدعى فرض الضرائب مما يجعل تكاليف المدنية كثيرة ولا يشجع الممتازين على التناسل . ومن هنا نرى ان الاحسان يناقض نفسه ويحارب مبادئه التى تسعى الى تقليل بؤس العالم

ولا يمكن الاعتراض على هذه العاطفة النبيلة وهى البر والاحسان . ولكن اليوجنيه تطلب أن نعمل على إيجاد ما يعادل ضررها الغير المقصود

كل حق يملكه الفرد معناه وجود التزامات على فرد أو أفراد آخرين فحق انجاب الأطفال « الفقراء » معناه تحمل الدول التزامات معينة ضرورية

ولكن الحكومات الآن لاتمنح الحقوق بغير حسات ففى امكانها أن تضع الآن من القيود مايحميها من تحمل المتاعب . والقوانين الضرورية التى تراها اليوجنيه . حرمان المجرم والمجنون ومن فى حكمهما من التناسل . حرمان من يعود الى التناسل من مستحقى الاعانة من اعانته وتعقيمه إذا

لزم . ومثل هذه المقترحات لا تصادف قبولا فى الوقت الحاضر لأن تعاليم اليوجنيه لم تتأصل بعد ولكنها امور تستدعى العناية فى المستقبل القريب . حتى نأمن أن عوامل الفساد

الاكثار من نسل الأسر الممتازة

ان الاحصائيات التى تعمل لتقسيم أفراد أمة الى عدة طبقات اجتماعية و بيان عدد أفراد كل طبقة لا تدلنا على أن أفراد الطبقة الممتازة آخذ فى النقص . ولكن ما يحدث بالفعل أن الزوجين من هذه الطبقة لا ينجبان من الاطفال ما يكفى لملء محليهما عند الوفاة ولكن بعض الاطفال يموتون صغاراً والبعض الآخر لا يتزوج كما أن بعضهم اذا تزوج لا ينجب ذرية . ولذلك يلزم أن يكون لكل زوجين ٣ أو ٤ أطفال فى المتوسط والحادث طبعاً غير ذلك

ولذلك فان المحل الشاغر بالوفاة يمتلىء بفرد من أفراد الطبقة التى دونها وهذا هو السبب فى عدم ظهور نقص فى العدد الذى تدلنا عليه الاحصائيات . وهذا بطبيعة الحال يسبب انحطاط مستوى الطبقة الممتازة على مر الايام . واليوجنيه ترى أن تفوق هذه الطبقة يعزى الى صفات حسنة ترغبها الانسانية . ولذلك تدعو الى تكاثر أفرادها لكى يكون احتمال وجود الممتازين كبيراً فى الأجيال القادمة

والدوافع على تحديد النسل منها . حب الملذات والانغماس فيها والافراد الذين يخضعون لهذا الدافع غير مرغوب فيهم والخير فى انقراضهم

ولكن من أصعب الدوافع فى معالجتها حب تبوء المناصب العالية وضمان المستقبل الحسن للطفل الواحد . ومن النساء المتعلمات كثيرات لا يتزوجن . وفى امريكا متوسط عدد الاطفال لكل زوجين من خريجى الجامعات ١ ونصف فقط . وواضح أن واجب الزوجة أعظم من واجب الزوج ذ عليها يتوقف البت فى مسألة تحديد النسل وعدمه

ولا ترى اليوجنية توفيقا فى التغلب على هذه الصعوبات . وترى أن المشجع الوحيد لافراد الطبقة الممتازة على اكثار نسلهم . يأتى بوازع من ضمائرهم . تلك الضمائر التى دفعتهم أيام الحرب العظمى إلى التضحية بابنائهم وذواتهم فى سبيل أمتهم يلزمها أن تتدبر فى المستقبل فتضحى بشىء من سعادتهم الشخصية لصالح الامة والانسانية

وهذا هو نداء اليوجينية توجهه اليهم . وترجو أن يمتزج بروحهم الادبى وحماستهم الدينية

التضخم فى النقد
والتضخم فى اللفظ

شاعت لفظة التضخم فيما يسميه الاوربيون « النفخ » فى النقد أى تقليل قيمته مع المحافظة على مكانته الرسمية . فالجنيه لايزال جنيها فى نظر الدولة وفى الاسم ولكنه ـ بعد النفخ أي التضخم ـ قد لايشترى نصف أو ثلث ما كان يشتريه قبل النفخ . وهذا النفخ تضطر اليه الامة اذا أصدرت مقداراً كبيرا من النقود الورقية وعجزت عن ايجاد مايساويها من العروض سواء اكانت ذهبا أم غيره . وقد يزداد التضخم احيانا حتى يهوى الجنيه إلى مايساوي بضعة قروش بل حتى يهوى إلي الصفر حين تزول الثقة فيه

والالفاظ كالنقود تسك للتداول . ويصيبها التضخم كما يصيب النقود فتنحدر فى قيمتها المعنوية حتى تصل احيانا الى الصفر . والمشابهة كبيرة بين النقد واللفظ . فان قيمة الاول تتوقف على مقدار مايشتريه من العروض . وقيمة الثانى تتوقف على مقدار مايستوعبه من المعانى . وكما اننا فى حال التضخم نحتاج إلى عشرات بل مئات الجنيهات لكى نشترى سلعة صغيرة كذلك نحتاج فى حال التضخم أو النفخ فى الألفاظ إلى عشرات أو مئات الألفاظ لكى نعبر عن معنى أو معان كان يكفى للتعبير عنها بضعة ألفاظ من العيار الثقيل الذى لم ينفخ

وأعظم الوسائل لتضخم الألفاظ هو البلاغة نعنى هذه البلاغة التى فشت فى الأساليب العربية منذ أكثر من الف عام وأصبحت تحترم لأنها من التقاليد العربية . فانها ضخمت الالفاظ ونقصت مدلولها . بل احيانا هوت بها إلى مايقرب من الصفر كما نرى فى أمثال الحريرى والهمذانى وفى كثير من الادب الاندلسى وفى بعض « البلغاء » فى أيامنا : ومن التعس والشقاء أن يكلف أبناؤنا فى المدارس تعلم هذه الاساليب فى نفخ الالفاظ بدلا من أن يعلموا الاقتصاد وحسن الاختيار والاعتماد على الاسلوب التلغرافى الذي يتفق وزماننا

الجنس والثقافة

كتاب جديد للدكتور أنوين

ذاع فى السنوات الاخيرة استعمال كلمة « التسامي » وهى لفظة استعارها السيكولوجيون من علم الكيمياء وقصدوا بها وصف العمليات التى يتحول بها نشاط الغرائز الجنسية المكبوتة الي أعمال اجتماعية أو خارجة عن النطاق الجنسى فى أى صورة من الصور . وقد كانت هذه الدعوة إلي التسامي من العوامل الهامة التى خففت من خشونة نظرية التحليل النفسى وهى النظرية التى أدخلها فرويد على السيكولوجية الحديثة : ولكن أغلب القائمين بها كانوا يحاولون دائما التوفيق بين التعاليم السيكولوجية للطب وبين المباديء الدينية والخلقية للانسان المتمدين . وبقيت فئة قليلة من المشتغلين بعلم النفس حاولوا التقريب بين فكرة التسامي كما يفهمها السيكولوجيون وبين علم الانثروبولوجية من الناحية الاجتماعية . وكان فى مقدمة هؤلاء الدكتور أنوين

والحافز الذى حفزه الى بحث هذا الموضوع بحثاً وافيا فكرة أوحتها اليه السيكولوجية التحليلية : فاذا كانت النظم الاجتماعية الحالية تمنع اشباع الرغبات والمشاعر الجنسية فان النضال العاطفى الناتج عن ذلك يظهر فى صورة أخرى. وليست حالة المجتمع التى نطلق عليها اسم « الحضارة » الا نتيجة لتلك التضحيات الاضطرارية فى سبيل اشباع رغبات عزيزة لا سبيل الى إشباعها

والبحث الذى يقوم على أساس هذه الفكرة هو بغير شك بحث عسير معقد كثير الشعب ولعل من أولى الصعوبات التى تقف فى سبيله تحديد العوامل المكونة للتقدم الثقافى والفرص الجنسية تحديدا دقيقا . ولذلك فقد رأى الدكتور أنوين توضيحا لهذا البحث أن يلتمس الادلة عليه من أحد مصدرين : المصدر التاريخي والمصدر الانثروبولوجى

أما الادلة التى ترجع الى مصدر تاريخى فقد تبين أنها أعسر من أن تحل بالبحث لكثرتها الهائلة من ناحية ولان الطبقات الثقافية التى توجد فى كل المجتمعات المتمدينة تجعل من المستحيل التعميم عند الحديث على الدرجة الثقافية فى أى مجتمع متمدين

أما الادلة التى ترجع الى مصدر انثروبولوجى فقد بحثها الدكتور أنوين بحثا وافيا وجعلها الاساس الذى بنى عليه فكرة كتابه . وهو فى باديء الامر يشرح المقصود من قولنا « درجة الثقافة فى مجتمع غير متمدين » فيقول :

« ان الافراد فى كل مجتمع غير متمـدين يؤمنون بقوي خاصة فى هذا الـكون ويحاولون أن يحـددوا مدى علاقتهم بهـذه القوى تماما . ومن الطبيعى أن يختلف نظر كل جماعة الى هـذه القوى وأن تتباين الطرق التى تتخـذها لتحديد علاقتها بها . فالطريقة التى تدرك بها تلك القوى والخطوات التى تتخذ لتحـديد تلك العلاقة هي التى تكـون المستوي الثقافى لمجتمع بعينه .

وقد قسم الدكتور أنوين المجتمع غير المتمدبن الى ثلاثة أقسام :

١) المجتمع « الالهى » وهذا يبنى اتباعه المعابد والهياكل

٢) المجتمع « الانسانى » وهذا يولى اتباعه موتاهم عناية خاصة بعد الموت ولـكن دون أن يشيدوا لهم الهيا كل

٣) المجتمع « الحيوانى » . لا يعنى اتباعه بهذا أو بذاك

وقد عنى المؤلف عناية خاصة بوصف وتمييز كل حالة من هذه الحالات الثقافية غير أنه رأى أن هذا الدليل وحده لا يكفى لايضاح نظريته . وانه لابد لاستكمال البحث من تحديد المقصـود من كلمة « الفرص الجنسية » تحديدا دقيقا . ولـكنه رأى أن يقصر بحثه فى هذه النقطة على الفرص الجنسية التى تتاح للاناث قبل الزواج مجيبا على اعتراض الذين يرون النقص من جعل البحث مقصورا على ذلك بان الفرص الجنسية التى تتاح للذكور فى مجتمع ما انما هي صـورة أو نتيجة لما يتاح للاناث . ثم انتهى به البحث إلى تقسيم هذه الفرص الجنسية الى ثلاثة أقسام

١ ـ ان يكون للمرأة « وللرجل تبعا » حرية جنسية مطلقة أى لا تمنع من أى لون من ألوان النشاط والمداعبة الجنسية

٢ ـ ان تـكون حرية الاتصال الجنسي قبل الزواج محدودة بالنسبة للمرأة ، ذلك بقصره على رجل واحد « وهذا التحديد على المرأة يقتضى تحديدا مقابلا له على الرجل أيضا »

٣ ـ ان يفرض على المرأة الاحتفاظ بعفافها حتى الزواج . مع جعل العذرة علامة على العفاف وشرطا للزواج

وقد خرج الدكتور انوين من هذا البحث بنتيجة تستلفت النظر . تلك هى وجود علاقة ثابتة ووثيقة بين الدرجة الثقافية لمجتمع ما ومدى قدرة الاناث فيه على ضبط علاقاتهن الجنسية قبل الزواج . وهذه النتيجة التى وصل اليها المؤلف هي خلاصة البحوث التى قام بها على ثمانين مجتمعا مختلفا . وكانت تلك العلاقة من الدقة بحيث وجد ان كل نوع من أنواع الفرص الجنسـية كان مطابقا لاحدى درجات المستوى الثقافى . فالمجتمعات التى تبيح الحرية المطلقة قبل الزواج

كانت فى الدرجة الحيوانية. والمجتمعات التى تفرض العفة الموقتة أو غير المنتظمة كانت فى الدرجة الانسانيه. والمجتمعات التى تحتم العفة المطلقة كانت فى الدرجة الالهية والعكس بالعكس. وقد دهش المؤلف نفسه لوضوح هذه العلاقة واستقرارها دائما حتى لقد ذكر فى مقدمة كتابه انه لو أدرك قبل وضعه كيف سيتغير رأيه فى الفلسفة الاجتماعية لتردد كثيرا قبل البدء فيه

وفى اجتماع حديث عقدته الجمعية البريطانية للابحاث السيكولوجية عرضت آراء الدكتور انوين للمناقشة فقال الاستاذ فلوجل أنه يدهك تمام الادراك أهميتها الفائقة في كل ناحية من نواحى الطموح والجهد الانساني ولكن نتائجها من جهة أخرى تبعث على الامل والدهشة والارتباك والضيق. فهى تبعث على الامل لانها كشفت لنا عن امكان التعاون بين علمى الانتربولوجيا والسيكولوجية الاكلينيكية. وتبعث على الدهشة لان نتائجها كانت من الدقة والوضوح بما لم نعهد له مثيلا فى أى ميدان من ميادين العلم الاخرى. وتبعث على الارتباك لأنها اشتملت على نتائج بعيدة المدى فى دلالتها وفى آثارها. وتبعث على الضيق لأنها كشفت للنوع البشرى عن طريقين لاحيلة له فى سلوك أحدهما. ثم اردف ذلك بالقول « ان آراء الدكتور انوين يجب أن تقابل بالترحيب من فريق المتعصبين للدين وفريق المتحمسين للتقدم على السواء. لانهم سيجدون فيها مبرراً «علميا» لممارسة الامتناع والعفة كما سيجدون فيها أيضا وصفا علاجياً للتقدم الثقافى فى المستقبل »

وكتاب الدكتور انوين ثمرة عشر سنوات من الجهد الشاق المتواصل. وهو يحتوى على ثروة طائلة من الحقائق وموضوع بدقة ووضوح ندر أن توجد فى كتب من هذا القبيل. ومما يستلفت النظر فيه بصفة خاصة تلك الدقة والبراعة فى اختيار اللفظ أو العبارة المناسبة للمعنى المقصود وهذا يدل على أن المؤلف يدرك تماما كيف يمكن أن يؤثر عدم التدقيق والاحتياط فى استعمال اللفظ المناسب على افساد المعنى أو غموضه

ولاريب فى أن هذا الكتاب سيثير ضجة كبيرة حوله. وقد يذهب البعض فى ميدان المقارنة الى بحث بعض المظاهر الاخرى فى الجنس وبعض النواحى الاخرى فى الثقافة. كما قد يذهب البعض الآخر الى تحليل النتائج ذاتها ليرى ماذا كانت تفسر بتفسيرات أخرى أم لا. ولكن كل ذلك على السواء يؤيد أن الدكتور انوين قد وضع نفسه بهذا الكتاب فى طليعة الباحثين لعلم على غاية من الطرافة والاهمية هو علم الاجتماع الاحصائى كما أن كتابه هذا سيكون له أثر كبير علي التفكير الاجتماعى والاخلاقى للجيل القادم

ص

غريزة الهلاك النفس

الا يدهش القارىء لهذا العنوان ، لقد دهشت عندما اطلعت على هـذا الاسم ، فى آخر مؤلف لفرويد ؟

كنت فى الليل فى غرفة المكتب ، متعبا يغالبنى النعاس ، فما صدمتنى الـكلمة حتى ولى النعاس فالتهمت الأربع أو الخمس الصفحات التى سطرها فرويد حول هذه الغريزة التهاما

فاسفت أن لم يزدها بيانا ، واضطررت لأعمال الفكرة فى قيمة هذا الكشف ومداه ، فاذا به يحل ما لم أكن أجد له سببا مقنعا من تصرفاتي وتصرفات الناس ، واذا به يفتح لكل مفكر فى أيه ناحية من نواحى العلم والعمل . فتحا مبينا له ماوراءه

وفرويد ـ سيد السيكولوجيه — قد يسكت السنين تاركا لغيره أن يقول ويؤلف وينقد ماشاء فيصعد الى القمة اسماء ، ويخال للناس أن فرويد قد سكت عن ضعف أو هزيمه واستكان مكرها لكر السنين خمس عشرة دورة كاملة طويلة ، ولكنه تكلم أخيرا ، فاذا به كان يعمل فى سكون واذا به يقلب الاوضاع والنظريات قلبا ، ثم لايرحم نظرياته هو لانه قاس على نفسه ، ثم اذا به مرة ثانية والى الابد ، إن صدق ظنى ، سيد الموقف بغير منازع

وانما تأتى عظمة فرويد ، فى أنه يعترف جهرة بما يعرفه كل النـاس فى أنفسهم ، ولكنهم يأبون الاعتراف به حتى لأنفسهم فيثورون عليـه مستنكرين محتجين حتى اذا القيت فى وجهـه الاهانة هز كتفيه ، كما يقول عنه يونج ، كسيد عظيم ، ثم هزأ قائلا لم أكن أعرف قبل الآن أن آرائى صحيحة الي هذا الحد

وقد يحتج العلماء ويداورون ويلفون ، فاذا بنهاية المطاف الى فرويد

وهنا قال فرويد اليهودى ما قاله السيد المسيح « هو ذا الحجر الذى رفضه البناءون قد صار رأس الزاويه ! »

نعمة الحياة

ولماذا لاتكون نعمة . أليست هي هبة الله لنـا

فهل أعظم منها هبة ، قد يفقد الأنسان كل نعمة أخرى ، فاذا به لا يزال يتعلق بالحياة بكلياته وقد ينزل عليه الدهر بكلكله ، فاذا به وقد تخطى التسعين وفقد السمع والبصر والنشاط والحيوية لايزال يتعلق باهداب الحياة ، متمنيا فى قرارة نفسه تسعين أخرى ، فان تفضل يوما فاعترف بشيخوخته فمن باب « التسليم جدلا »

فالرغبة عامة فى أن تدوم الحياة أبدا ، وآلة أبديتها الوحيدة هي الغريزة الجنسية ، التى تنقلها وتحافظ عليها من جيل الي جيل

وهي لهذا السبب أهم الغرائز سيطرة على تكوين كل فرد عضويا ونفسيا وقد جعلها فرويد احدى الغريزتين الرئيستين

فى الاعادة

ومن أظهر النظريات فى علم النفس « نظرية النزعة الى الاعادة » ومعناها أن كل حالة نفسية تميل الى العودة للحياة مرة ومراراً ، فمثلا اذا خفت من منظر مخيف فان ذلك الخوف مصحوبا أو غير مصحوب بالمنظر يعاودك من آن لآخر وبنفس القوة لو وجد لذلك سبيلا

وفى هذه الفكرة مع تغيير بسيط فى الاسم تتلخص نظرية مكدوجال فى « أحلام الاعادة » وفى رأيه أن أغلب الاحلام يستعيد حالة نفسية معينة مصحوبة بنفس المناظر أو مايقاربها أظهر مثل لها هو أحلام « المواقع الحربية »

ويقول فرويد ان الاحلام والأمراض العصبية ترجع بنا الى ممارسات الطفولة بطريق الردة ومعناها مقارب لمعنى الاعادة

فاذا كان الانسان فى صحة طيبة ثم مرض أو أصيب ، فأن حالة الصحة تحاول أن تعود فيكون ذلك أكبر مساعد للطبيب والمريض على سرعة الشفاء

وهذه النزعة عامل مهم فى شفاء باقى الكائنات الحية دون طب أو طبيب — وهي نفسها مصدر العادة ، وسبب تقيد الاسماك والحيوان والطيور بالهجرة فى ميعاد دورى معين الى جهة ثابتة معينة

وننتهى من هذه العجالة الى ان فى كل كائن ميلا لان يستعيد كل حالة مر بها سواء ظهر

الميل أو خفى لأنه فى الحالة الاخيرة يظل مكبوتا مضغوطا محاولا الظهور قدر طاقته ، منتهزاً أول فرصة

من التراب والى التراب نعود

وقد كنا قبل أن نوهب الروح مواد طبيعية أولية فى حالة تحلل تنزع كل المركبات اليها فلا غرو أننا اذ نوهب الحياة تنشأ فينا وفى نفس الوقت الغريزتان الرئيسيتان ، الغريزة الجنسية التى تنزع الى تقوية الحيوية وتركيزها واستمرارها وغريزة اهلاك النفس التى تنزع الى ابادة الحيوية والعودة الى حالة التحلل

الا ترى الفناء سنة كل مادة فى الوجود وكل جسم من نبات الى حيوان الى انسان

يقول فرويد ان الحياة فى مظهرها الحالى ماهى الا مزيج من هاتين الغريزتين وانهما لاتبرحان تتنازعان السيطرة على الكائن جسمه وعقله حتى تتغلب الثانية

وكثيرا ماتستذل الواحدة الاخرى وتستعبدها وتستخدمها فى صالحها فتكون بعض النزعات منبعثة عن الاثنين ولكن بنسبة مختلفة

ومن أظهر هذه النزعات « السادبزم » و « الماسوكيزم » والأولى معناها أن الحبيب يجد لذة فى أن يعذب من يحبه ويقسو عليه ، والثانية أن المحبوب يستلذ ذلك التعذيب

وهذا كما يرى القارىء خليط لاشك فيه من الغريزتين ، ولكن بحيث تخضع غريزة اهلاك النفس لخدمة الغريزة الجنسية فى هاتين الحالتين

ولكن قد يتجرد المرء من أى صيغة جنسية فيستلذ الشخص العذاب من حيث هو ، ويكون هذا فى حالة ماسوكيزم خالصة

فاذا تجردت السادبزم من العنصر الجنسى فكيف توفق بينها وبين غريزة اهلاك النفس مع أنها محاولة اهلاك الغير

والجواب على هذا أن الانسان اذ يحس برغبة فى اهلاك نفسه يعكسها الى الخارج فتكون رغبة فى اهلاك شىء خارجى . وبهذا يعلل المبدأ السائد المملكة الحيوانية كن آكلا أو مأكولا

وهذه الظاهرة أولية فى كثير من الأمراض العصبية

وتتمثل هذه الظاهرة بوضوح فى الطفولة ، فان الطفل اذ تطغى فيه الحيوية على تلك الغريزة يعكسها الي الخارج فتراه يحاول اهلاك كلما وصلت اليه يده ، فاذا ما كبر قليلا فقد يقنع من الاهلاك بالتعذيب ، فيمسك قطته أو كلبه الصغير ويقسو عليه أشد القسوة ، ويلعب مع زميل فما أحلي أن ينفرد به فيخدشه ويعتدي عليه لا لسبب ولا لفائدة يرجوها وانما للفن ذاته !

وهذا مثل مصغر للرغبة العامة فى الايذاء وبالتالي للرغبة فى ظلم الغير بالاعتداء عليه ولذلك قال الشاعر العربي

والظلم من شيم النوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

نتيجة منطقية لمعرفة هذه النزعة التى تغمر كل مجتمع ، ولـكن فى أشكال مختلفة

ولـكن المتمدين الذى يمنع نفسه من الاعتداء علي الغير ، ترد فيه الغريزة الى الداخل ، أى يتحول نشاطهـا الى ايذائه نفسه ، فيحاول كبتها وتحويل نشاطهـا الى اختراع الآلات والادوات الجديدة

فما أن يبرز الي الوجود اختراع حتى تتنازع الغريزتان استغلاله ، الواحدة لاشباع نزعاتهـ بتوفير المتعة الجنسية وفروعها ومشتقاتها ، والثانية للاهلاك فى أحد شكليه . موجهـا الى الداخل أو إلى الخـارج

وهكذا أصبحت وتصبح المخترعات حتما سلاحا ذا حدين

وسيظل الحال هكذا حتى ترقي السيكولوجية الى المقدرة على توجيه تلك الغريزة لخير الجماعات وأفرادها . وعندئذ فقط يصح القول أن المدنية سادت ، وبلغت الانسانية أوجها

تطبيقات

قد يحسن هنا وقد فهمنا الفـكرة أن أذكر للسيد القارىء بعض التطبيقات العملية التى تظهر فيها غريزة اهلاك النفس

كنا فى الصغر نسير على شريط السكة الحديد مسافات طويلة كما يمشى أى انسان على لوح مستطيل من الخشب فى غرفة دون أن نتمايل يمنة أو يسرة فاذا ما ارتفع هذا القضيب أو اللوح عما حواليه وثبت تثبيتا متينا مؤكدا فان هذا اليقين لا يمنع هذا الذى كان يسير عليه فى وضعه الاول متمالـكا كل قواه أن يسير عليه فى وضعه الثاني ولـكن متأرجحا مترددا خائفا من تلك النزعة التى يحسها

فى نفسه تدفعه إلي أن يسقط نفسه وبالتالي أن يؤذيها أو يهلكها

وقد فهمنا أن الخوف لو أنه من نفس الشيء فلا مبرر له ، فهو حتما من ذلك الدافع الخفى فى النفس

وكنا نتعلم ركوب الدراجة فما دمنا لم نتعود امتلاك أعصابنا فى المواقف المختلفة ، فان هذه الغريزة تسيطر علينا بمجرد سنوح الفرصة بحيث يكون الطريق واسعا ، ولكن الراكب يشعر بالغريزة تريد أن تعمى فيتردد اولا وقد يتحرك آليا الى الشخص أو المهوى الذى يدفعه حب الحياة إلى توقيه لو أنه كان الوحيد الذى يسيطر على حركاته فيضر نفسه لغير ما مبرر إلا لأن الفرصة سنحت لتلك الغريزة القاتلة فتحكمت فيه فقادته إلى الضرر

وكنت أعجب ، كيف تكون الدقة فى اصابة الهدف ، دقة لا أستطيعها لو قصدتها وأنا أملك وعي

وقد مررت بدور تعلم قيادة السيارة فما اجتزته بسلامة إلا بمجهود عنيف

قد نرى انسانا يسير وعقله الظاهر المتمسك بالحياة فى تراخ وذهول فما ان يحس بسيارة أو ترام بالقرب منه حتى تقفز تلك الغريزة المهلكة الى العمل فينتهز غفلة العقل الظاهر والفرصة المؤاتية فتتحكم فى حركاته فتدفعه إلى مواطن الخطر فهو مصاب أو هالك

وقد يكون الفأر سائرا فى سقف المكان آمنا مطمئنا فلا يرى قطة فى الارض حتى تسقط تلك الغريزة الكامنة فيه بالضبط أمام القطة حيا ولكن بلا حراك

فاذا ما حللنا بعض الحوادث اليومية وخصوصا حوادث المرور فمن المؤكد أن نرى السبب راجعا الى التردد الناشيء عن تنازع الغريزتين فى المجنى عليه بحيث تدفعه الدهشة الي الهروب من الخطر وتدفعه الثانية الى أحضانه

ولا عجب أن تكون أكثر حوادث الغرق والسقوط من المرتفعات والجبال مقصودة أى نتيجة لتغلب نزعة تلك الغريزة

وقد تصل تلك الغريزة الى العقل الواعى فتكون ارادية ، أو خاضعة للارادة ، وتكون مقاومتها ارادية واضحة

فاذا ما قوى للشخص فى الحياة غرض ، فانه قد يقوى على تلك الغريزة فيقهرها مدة حتى ينال غرضه ثم يخلو لها المرسح من منازع فتنفرد بالعمل فالموت تالفناء عندئذ حتم

ألا ترى النازع وهو يصارع تلك الغريزة ساعات بل أياما بل شهورا وهو يرغب فى الموت ولكنه يشترط له شرطا أن يستودع عزيزا عليه، فاذا ما وصل العزيز وودعه فانه مسلم الروح وأقول مسلمه بمحض ارادته الظاهرة أو الخفية وان عز قولي على كثيرين

وهناك من يغضب أو يحزن فيستلذ الموت فى شكل درامي معين فما ان يتم اعداد الموقف حتى يموت الشخص بحق وينزل الستار

ولا يختلف هذا فى كثير عن الانتحار، الظاهرة التى لا شك فيها لسيطرة تلك الغريزة القاتلة

عقاب النفس

لاحظ فرويد عند تحليله نفسية مرضاه أن كبتهم لبعض النزعات غير ارادى أى أن المعركة قد تنشب فى العقل الباطن بين الغرائز الكافة فيه أى بين الغريزتين الرئيسيتين المذكورتين

ويقول فرويد لهذا ان أكثر الامراض العصبية مقصودة الى حد ما . اشباعا لتلك الغريزة

وقد رأي أن سبب تلك الامراض يكاد يتلخص فى مجرد النزعة الى عقاب النفس وهي علة استمرار الكثير منها واستعصائها على العلاج فقد يكفى أحيانا أن تمتدح سلوك مريض تحاول علاجه أو تشجعه بكلمة فتزداد الحال ضغثا على أبالة

ولهذا فكثير من الامراض العصبية ينتهى فجأة كما جاء لمجرد طروء اصابة جسمية أو مرض عضوى أليم، تجد فيه هذه النزعة اشباعا لها فيزول المرض العصبى الذى خلقته وأصرت على استمراره طويلا

وقد ذكر فرويد حالة سيدة فى العقد الخامس من عمرها أمكنه بالتحليل أن يتغلب على ذلك الكبت الغير الارادى الذى أدام مرضها خمس عشرة سنة . فما ان زال المركب حتى اندفعت الحيوية تحاول استرداد ما فاتها من نشاط ومتعة، فكانت المغالاة فى النشاط أكثر مما يحتمله عمرها باعثا لتلك الغريزة على العودة الى العمل ولكن الرجوع لحالة المرض العصبي كانت مستحيلة لان الكبت الذى أنتجها زال لذلك كانت السيدة تصاب فى كل مظهر نشاط تقوم به باصابة ما، فتعثر وهى تمشى وتقع أو تجرح يدها، أو تجدع نفدها، ولكنها رأت أن تلك الاصابات تكاد تكون مفتعلة فكفت عنها، فاستعاضت نزعة العقاب عن تلك الاصابات الخارجية بالسعال تفتعله والآلام المفصلية والظواهر الروماتزمية والحمية والصداع والمغص والامساك، فرجعت الى فرويد شاكية

فنصحها بالرجوع عن الغلو فى النشاط الي ما يناسب عمرها فكفت قانعة من الغنيمة بالاياب فزالت كل تلك الظواهر

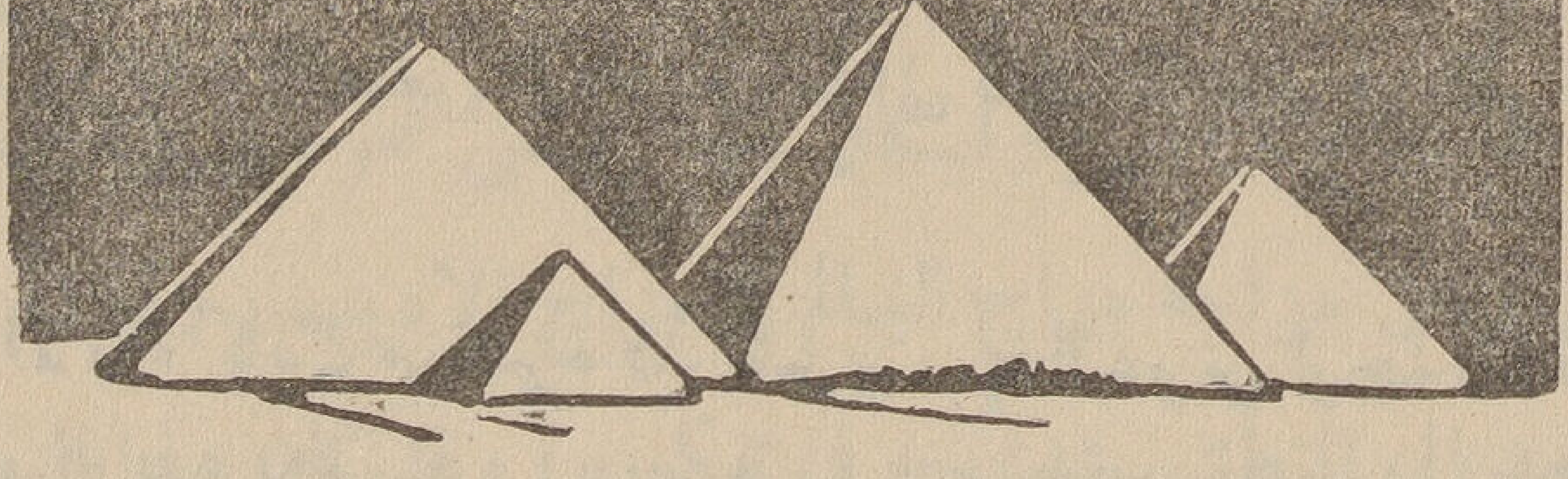
وتلك النزعة هى أهم مكون لما نسميه «الانا العليا» وهو ما يقارب فى المألوف «الضمير» الذى يتلخص وظيفته فى مقاومة النزعات المخالفة للمثل العليا الادبية والاجتماعية والدينية ، والتأنيب على ارتكابها

والضمير الموصوف بأنه حي لا يبرح يعذب صاحبه بحق وكثيرا بغير حق على الخواطر المجردة وعلى الاحلام حتى على لا شيء ، وعندئذ فهو باعث على التصوف والهرب من العالم الى الوحدة فى الادبرة وخلوات العبادة والتسبيح

وأري أن كشف هذه الغريزة يفتح الباب للمقارنة بينها وبين روحى السيادة والخضوع اللتين يرى ادلر ومن شايعه أن التصرفات تتذبذب نحوهما وبين سلوك الصنفين اللذين يرى يونج أن الناس تتراوح بين قطبيهما ولسميهما أستاذنا سلامة موسى بالمعروق والمكظم

وأملى أن أكون قد أفلحت فى توجيه أنظار القراء الباحثين فى العلوم النفسيه والاجتماع والجنائية الى تمحيص ذلك الكشف الخطير

رمسيس جبراوى



الثقافة بين اليمين واليسار

اليمين واليسار كلمتان يعرفهما قارىء الأخبار السياسية فى الصحف . فان لفظة اليمين تعنى المحافظين الذين يكرهون التغيير . أو هم إذا طلبوه فانما يطلبون به العودة إلى قديم ما . فدعاة الملوكية فى فرنسا مثلا يعدون من حزب اليمين وان طلبوا الاستبدال بالجمهورية القائمة ملوكية جديدة . وذلك لأنهم يحافظون على التقاليد ـ ولو كانت ملغاة ـ ويكرهون البدع

ما لفظة اليسار فتعنى المتطرفين الذين يطلبون التغيير . فهم دعاة الاشتراكية والاصلاح الاجتماعى الجرىء والسلم العام وعصبة الأمم . والمحافظون يتهمون بالرجعية أو الجمود كما يتهم ش يون والمصلحون بالهوس . ومن هاتين التهمتين نفهم الناحية التى يتجه اليها كل فريق

وهذا التقسيم فى السياسة بين اليمين واليسار نجد مثله أيضا فى الثقافة . فهناك ثقافة اليمين التى تؤيد المؤسسات الاجتماعية القائمة والعقائد السائدة . كما ان هناك ثقافة اليسار التى تنزع الى التغيير . ورجل السياسة لايمكنه أن ينتحى ناحية اليمين أو اليسار إلا إذا كان مثقفا بثقافة تهيئه لأن يتجه إحدي الناحيتين . ولذلك لانجد فى مصر أحزابا سياسية لليسار لأن ثقافتنا السائدة هى ثقافة اليمين هذه الثقافة التى تنظر إلى الوراء والماضى وتؤيد الحاضر . أما ثقافة اليسار التى تنظر الى الامام والمستقبل وتطلب التغيير فلا تعرف للأسف

بل هى تعرف إلى حد ما . فان هذه المجلة لايمكن أن تتهم بانها يمينية إذ هى تمثل اليسار فى الثقافة . ويكفى القارىء أن يذكر أن الموضوعات التى عالجتها سواء بمقالات أو برسائل أو بكتب تشمل نيتشه وضبط التناسل والبشرية ونظرية التطور واليوجنية والتعقيم والتفسير الاقتصادى للتاريخ والحضارة الصناعية والوطنية الاقتصادية والسيكلوجية الحديثة وفرويد والتجديد فى الادب الانجليزى والنهضة الأوربية والقصص الروسية وما الى ذلك مما يعد فى نظر المحافظين أنه من ثقافة اليسار السيئة

ولو أن مثل هذه الآراء كانت منتشرة قد اشربت بها النفوس لوجدنا أحزابا لليسار فى مصر بل نحن نعتقد أن المناوأة التى لاتنقطع لجماعات العمال وكراهة النقابات والمجانة التى تذكر بها شئون الفلاحين تعود إلى هذه القلة فى ثقافة اليسار . بل نحن نعزو طغيان الرجعية الاجتماعية والسياسية فى مصر من وقت لآخر إلى هذا أيضا

س . م .

جميل صدقى الزهاوى

بقلم سلامه موسى

فقد العراق بل فقد العالم العربى كله بوفاة الزهاوى رجلا عظيما من رجالاته الذين يعدون على الاصابع لندرتهم . وسوف يعد الزهاوى — مع اعتبار الناحية الفكرية التى انتحاها — فى صف الافغانى ومحمد عبده وشبلى شميل وفرح أنطون من حيث أنه دعا إلى اختطاط الخطط الجديدة فى التفكير وانتزاع الشرق من صوفيته الآسنة الى المادية الجريئة

وقد كان الزهاوي يعد نفسه شاعراً وأغلب الظن أن الذى جعله ينزع الى الشعر أن هذ الفن كان الادب المعروف الذى يجد الاعجاب من البيئة التركية العربية فى العراق قبل خمسين سنة حين كان الزهاوى فى الثلاثين أو حواليها . فعمد اليه لا عن حب بل عن رغبة فى التبريز فى أشق الميادين . ثم لزمته القافية سائر حياته . ولكن الزهاوى لم يكن قط شاعراً . فان الشعر يقتضى الحماسة . وهذا هو الذى فهمه أبو تمام منه حين جمع مختارات الشعراء فى كتابه المعروف بهذا الاسم . والرجل المفكر قلما يتحمس لانه لن يكتشف كل يوم اكتشافا جديداً يجعله يخرج صائحا كما خرج ارخميدس من حمامه وهو يعدو ويقول « لقد وجدتها » لأن شأن المفكر الهدوء والشك والجهد الدائم واستصغار ما ربحه أزاء مالا يزال باقياً أمامه . وهو إذا نظم الشعر فى هذه الحال خرجت قصائده باردة فيها هدوء وشك واعتدال. وهذه صفات بعيدة عن الحماسة التى يطلبها الشعر وهى التى نجدها على الدوام فى العاطفة دون العقل

ولو أن الزهاوى نشأ فى بيئة أوربية لكان عالما يقضى عمره فى تجارب كيماويه أو بيولوجية فقد كان شغوفا بالعلم وكان مزاجه مزاج العالم لا مزاج الاديب . ولما لم يستطع أن يجد هذا الجو العلمى فى وطنه عمد الى المنطق يهتدى به فى تفكيره . وقد كان هذا المنطق نفسه أداة للتفكير عند شبلي شميل . ولا نحتاج الى أن نقول أن التفكير المنطقى ليس هو التفكير العلمي اذا اقتصرنا عليه . فقد سبق أن قال هذا الكلام روجر بيكون قبل ٧٠٠ سنة تقريباً . وانما العلم يقوم على العقل واليد أى أنه قبل كل شىء وفوق كل شىء يحتاج الى التجربة

ولهذا السبب أى لان شبلي شميل والزهاوى لم يجدا أمامهما الميدان الذى يهىء لهما فرصة التفكير باليد الى جانب المنطق أو الالهام اتجه كلاهما الى المنطق وفى هذه الحال يعود المفكر فى مثل هذه البيئة الشرقية التى نعيش فيها مدمراً فقط. فهو « حر الفكر » فى المعنى الفرنسى لهذه العبارة . وهو يعلن غيظه أحيانا وتهكمه احيانا بل ربما يحنق حتى يهذى أى أنه سلبي أكثر مما هو ايجابي لا يذكر لنا طرق الاصلاح التى يمكن أن نتوخاها بل يعدد لنا مساوئنا ويضع اصبعه على قروحنا ويتعمد أن ينكأها حتى نحس من الالم اننا مرضى . ولذلك يمكن أن نقول أن شبلي شميل وجميل صدقى الزهاوى قد عاش كل منهما حياته لكى يشتمنا ويلعننا ويسفه عقولنا . ولو أنه اتيح لاحدهما الفرصة لتناول السوط لكى يضربنا أو لتناول المدفع لكى يسدده نحو مؤسساتنا المحبوبة . لانه كلما تأمل أحوالنا زاد حنقه . ثم هو يعجز عن العلاج فلا يكون أمامه غير السب واللعن والتدمير

لما جاء الزهاوى مصر سنة ١٩٢٤ زارنى ثم سلمنى كتابا عهد الى أن أطبعه وأنشره له بعد وفاته لانه لا يحب أن يرى الاثر الذي يحدث له من هذا الكتاب فى حياته . وهذا الكتاب هو « نزغات ابليس » ومن هذا الاسم يدرك القارىء المعنى الذى قصد اليه . فان حنقه على هذه الدنيا الشرقية العربية جعله يحس كانه يجب أن يكون من اشياع ابليس . وهو هنا مثل هذا العامي الذى يقع فى شجار فيغضب ويحنق حتى يهذى فى كلام ويسفه فى الفاظ وعبارات مرجعها الحنق . وكان يمكن الزهاوى أن يبكى بدلا من أن يحنق ولكن مزاجه لم يكن مزاج البكاء بل مزاج الغضب ولو أنه وجد الجو مهيأ للاصلاح والبيئة علمية أو كالعلمية لنزع الي الاصلاح والبناء . ولكنه وجد الجو لا يتيح له غير التدمير والهدم. فهدم ودمر

وحاشاى أن أقول ان الزهاوى أو شبلي شميل قد عاشا طول عمرهما لهذه الغاية . ولو فعل أحدهما ذلك لانتهت حياته — قبل الميعاد — بالسجن أو المارستان . وذلك لان من طبيعة الحي أن يلائم بينه وبين الوسط مهما كان هذا الوسط سيئا . بل هو بقوة العادة والالفة الطويلة يسيغ اسوأ الاوساط كهذا السجين الذى عوقب بفراش من المسامير ينام عليه . فلما أفرج عنه صنع لنفسه مثل هذا الفراش لانه الفه واعتاده . وقد الف كل منهما الشرق وسكن اليه

***

وكان الزهاوى فى قوة الذهن عبقريا . وقد حام حول نظرية اينشتين قبل اينشتين . ولكنه كان لجهله بالعلوم المادية يلجأ الى المنطق ويعتمد عليه وحده . وأذكر أنه جادلنى ذات مرة وهو يعصر

عن الختان وأن الامم السامية التى استنته قد أوشكت أن تتخلص من القلفة . فجادلته فى ضوء التجارب التى قام بها فيسمان ونشر نتائجها فى كتابه « الجرثومة المنوية » فعرفت أنه لم يعرف هذا الكتاب الذى يدل على أن الجراثيم المنوية تعيش فى أجسامنا كما يعيش الساكن فى المنزل تستعملنا فقط للمأوى والغذاء . وان تعليل التطور أكثر تعقداً مما نتخيل . وأسفت على هذا الذهن العبقرى الذى يمنعه الوسط الثقافى المتأخر من أن يقف أولا فاولا على المكتشفات العلمية وينتفع بها . ولم يكن الوسط الثقافى وحده ناقصاً بل كان كذلك وسطه المدنى . وأذكر أنى زرته فى القاهرة ادعوه والسيدة الكريمة زوجته الى الغداء . فنزلت وحدها الى ناحية بعيدة حيث وقفت فى مكان مهجور من الطريق . ثم سرنا اليها بالاتومبيل الذى أقلها وهى فى النقاب وكان كل هذا العناء والتكلف لكى لا تنزل سافرة من المنزل الذى تقيم فيه وتركب الاتومبيل مع رجل غريب ! وما هو ان انطلق الاتومبيل حتى سفرت وتحدثت . وهي سيدة تركية كان يبدو عليها التعلق العظيم بزوجها . وهو نفسه لم يكن عربياً . فان انفه يدل على اصله التركى او الكردى . وكان قبل الحرب الكبرى يضيف الى اسمه لفظة « زاده » التى استغنى عنها عقب الاستقلال . وكان اعجابه لا يحد بنهضة تركيا

وكان المتأمل له فى تخاذل اعضائه يعجب من نصاعة تفكيره . وكان المظنون ان هذا التخاذل هو ما يسميه الدكتور شرف « الخذل » وهو آخر الاطوار لمرض معروف . ولكن هذا المرض لم يتقدم مع انه لزمه نحو ثلاثين سنة ولم يشع فى سائر اعضائه ولم يبلغ دماغه . فقد كان يؤلف القصائد البارعة فى أسبوع وفاته . وأغلب الظن أن هذا التخاذل لم تكن له علاقة بالمرض المعروف الذى أشرت اليه

ونذكر شيئاً الآن عن ديوان الزهاوى الذى عهد إلى بطبعه بعد وفاته . وأقرب ما يمثل هذا الديوان لذهن القارىء هو رباعيات عمر الخيام ولكن اذا كانا يجتمعان فى الشك فانهما يفترقان فى الدعوة الى الاستمتاع . وذلك أن الخيام لما ساوره من شكوك تتردد عليه كان كلما فكر يعود فيستقر على الاستمتاع بالخمر . ولكن الزهاوى يردد الشكوك فقط ، ولعل للسن التى نظم فيها هذه الابيات أثراً فى أحجامه عن الدعوة الي الاستمتاع . وهو من هذه الناحية أقرب الى المعرى منه الى الخيام وقد قدم لديوانه بهذه الكلمة تحت عنوان « النزغات أوالشك واليقين »

« اختلف فى صاحب هذا الشعر فمن قائل أنه لجماعة من الفلاسفة كالرئيس أبى على سينا وابن رشد وابن كمونة البغدادى . وقائل انه لفيلسوف كان فى زمن الغرور من حياته ماديا . فقال ما قال

من شعر كله شك . ثم ظهر له الحق فعاد روحيا وقال ماقال من شعر كله يقين ! »

ونحن هنا ننقل بعض أبياته . فقد قال فى مقطوعة بعنوان « كيف العبور »

قد أقاموا على الجحيم صراطا عرضه شعرة فكيف العبور
لبس أحمق من ابن آدم حي فهو فى كل حالة مضرور
ان يعش يبق منكرا وان ما ت تلقاه منكر ونكير
هذه الدنيا دار كل جزاء فهى للناس جنة وسعير

ثم يقول تحت عنوان « على الصراط »

كل الذى هو فى القيامة هين إلا المرور على الصراط القيم
جسر أدق بعرضه من شعرة واحد من سيف جراز مخذم
والطول آلاف هناك ثلاثة من هذه الاعوام فاحسب واعلم
من تحته نار تئز شواظها يشوى وجوه ذوى الهوى والمأثم
امشى عليه فوق كبش املح قرنان اليته تقوم وترتمي
بيدي امسك فضل قرنيه ومن خوفى يكاد يجف فى جسدى دمي
فاذا عبرت فاننى فى جنة واذا سقطت ففى حضيض جهنم

ويقول تحت عنوان « تولد الانسان »

قد كانت الارض والسماء وكانت الشمس والضياء
والانجم الزاهرات ليلا يضم اشتاتها الفضاء
وليس فى الارض من حياة يظهر فى بذرها نماء
حتى اذا ما الارض استعد ت وساعد الماء والهواء
بدت عليها الحياة ثوا فكان منها لها رواء
ثم توالى الحيوان فيها واختلف الشكل والبناء
محتدما بينها نزاع لاجل أن يحصل البقاء
وامتاز من بينها فريق سلاحه العقل والذكاء
كذلك الحرب ان منها نتيجة الغالب ارتقاء
فجاء منه الانسان يعلو به على غيره الدهاء

وواضح من هذه الابيات أنه يريد أن ينظم نظرية التطور شعراً . وكان يمكنه أن يتعمق في الخيال ويصف ويتبسط . ولـكن الزهاوي كان يؤلف الشعر بمزاج العالم المادي

وهذان البيتان التاليان يمكن أن ينسجا في أشعار الخيام وهما :

لاتقف في وجه لذاتك مكتوف اليدين ... انت لا تأتي الى دنياك هذي مرتين

ونحن بالطبع ننقل هنا ما يمكن نقله فقط . ونختم هذه المختارات بهذه المقطوعة التالية . وقد وضع لها عنوان « ندامة ورجوع الى الايمان » :

أنا فيما أبديته من مقـال ... مخطيء ليس لي أقل استناد
شهد الله والملائـكة الابرار ... اني ركبت غير السداد
انني قد أسأت ظني وربي ... واقف للمسيء بالمرصاد
انني قد ندمت غفرانك اللهم ... من سوء مذهبي واعتقادي
عن سبيل الرشاد حدت فار ... جعني الهي الي سبيل الرشاد
انني قد زرعت اثما فويلي ... ثم ويلي ان حان وقت الحصاد
ويح نفسي فقدسلـكت طريقاً ... ليس فيه الى الحقيقة هادي
ويح نفسي من روع يوم التقاضي ... ويح نفسي من هول يوم التنادي
سوف أبكي ملء العيون علي ما ... قلت حتى يبل دمعي نجادي
سوف أبكي على حياتي وأبكي ... من زمان قضيت في بغـداد

فلتذكر ذلك بغداد

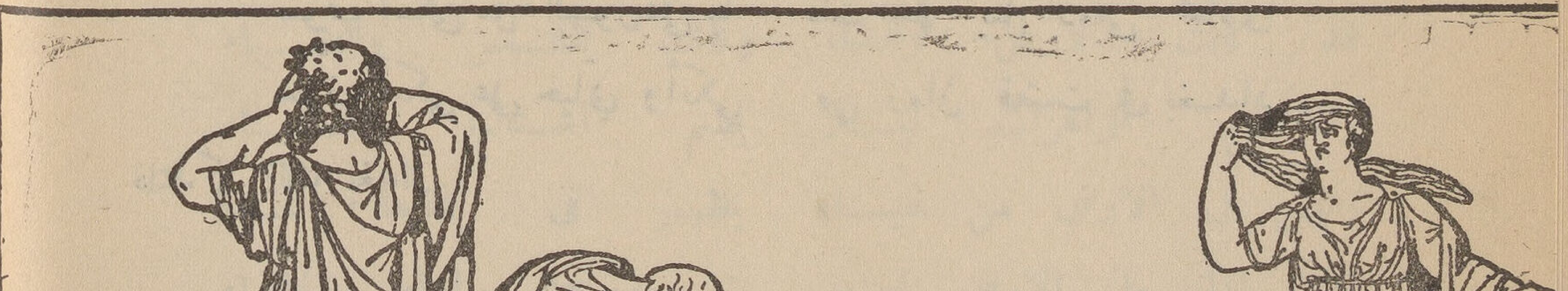


مركب اوديب

يحدث احيانا كثيرة أن نجد شابا أعزب قد تقدمت به السن تعرض له فرص كثيرة للزواج ولكنه يرفض. فاذا ماتت أمه سارع الى الزواج. وكذلك الحال فى بعض الفتيات يرفضن الزواج مادام أبوهن حيا

والتفسير المألوف لهذه الظاهرة أن الشاب هانىء بعشرة أمه سعيد فى بيته وأنه يكره خلافا ينشأ بينها وبين زوجته الجديدة أو هو بكلمة أخرى يؤثر سعادتها على سعادته. أما التفسير فى حال الفتاة فهو انها متعلقة بابيها أو لعلها متعلقة بالبيت كله أبا وأما واخوة وأن تعلقها هذا يجعلها لاتفكر فى الزواج

ولكن فرويد يرفض هذا التفسير البرىء. ويقول ان كلا منا انما يحب أمه ويغار عليها من أبيه كما أن كل فتاة تحب أباها وتغار عليه من أمها . وهو يسمى هذا الحب « مركب اوديب » وعنده أن هذا الحب أساس لتغرضات ونزعات مختلفة تنحو بنا فى مناحى الحياة التى نجهلها . وقد انتزع هذا الاسم من قصة اوديب الملك وهي درامة اغريقية ترجمها المرحوم فرح انطون



رسم اغريقى قديم لقصة أوديب الملك وقد قتلت جوكاستا (الام التى تزوجت ابنها) نفسها . وهى منسطحة على الفراش . واقتلع اوديب (ابنها وزوجها) عينيه . وهو واقف الى اليسار . والابناء ينوحون

وخلاصة القصة أن ملكا من ملوك الاغريق كان متزوجا امرأة جميلة تدعي جوكاستا . وقد تكهن لهما كاهن بان ابنهما سيقتل أباه . فلما ولد ابنهما اوديب بعثا به الى قمة الجبل لكى يهلك ولكن راعيا اشفق عليه وحمله وعنى به . وعرفه ملك آخر فرباه فى قصره . ولما نظر كاهن هذا الملك فى طالعه انبأه بانه سوف يقتل أباه

وحدث بعد قليل ان التقى اوديب بابيه وهو لايعرفه فنشب بينهما شجار فقتل الابن الاب وتحققت النبوة . وكان الاسفنكس او الهولة يقتل أبناء المملكة كما سألهم سؤالا وعجزوا عن الاجابة الصحيحة . وقد فشا القتل بين السكان لهذا السبب فاعلنوا انهم يقدمون كرسى المملكة ويد الملكة له فى الزواج اذا انقذ المدينه من هذه الهولة المخيفة . وكان هذا السؤال هو : ماهو الكائن الذى له اربع اقدام وثلاث أقدام وقدمان . ولكن أقدامه تختلف وهو حين يستعمل أقدامه كلها يكون على اضعفه ؟ واجاب اوديب ان هذا الكائن هو الانسان . وبذلك أصبح ملكا وتزوج جوكاستا وهو لايدرى انها امه . ووقف بعد ذلك على هذا السر فقتلت الملكة نفسها وسمل هو عينيه

ومن هذه القصة وصف فرويد حب الشاب لأمه او الفتاة لابيها بانها « مركب اوديب » وهو يفسر بعض الاختلاطات الذهنية بانها ثمرة هذا المركب . وعند فرويد أن الغريزة الجنسية تنشأ منذ الطفولة بل منذ الرضاع . فالطفل وهو يرضع ثدى أمه يجد فى امتصاص الحلمة لذة كأنها جنسية . وهو لهذا يحدث ايقاعا لاتقصد منه غير اللذة . فاذا لم تحسن تربية الطفل من هذه الناحية نشأ وهو مختلط الذهن مشوب الغريزة . وربما أفضى ذلك عنده الى هلاكه أو فساد حياته . ولننظر فى المثال التالى :

زوجان يعيشان مع ابنهما الوحيد . والام تتعلق بابنها وتدلله إذ هو وحيدها وسلوتها وأملها وهو أيضا يزداد تعلقا بها لهذا السبب نفسه . وليس الاب ذكيا او جذابا ولذلك تتراجع شخصيته وتتضاءل فى المنزل . ويعود البيت وكأنه مؤلف فقط من الام والابن . وكل شيء يسير على احسن مايكون الى ان يبلغ الابن الثلاثين ويتجاوزها وهو لايفكر فى الزواج لان تعلقه بامه يشغله عن الزواج . ثم تموت امه وهو فى الخامسة والثلاثين فينفصل من ابيه ويعيش وحده . وعندئذ يفكر فى الزواج . ولكن أى زواج ؟

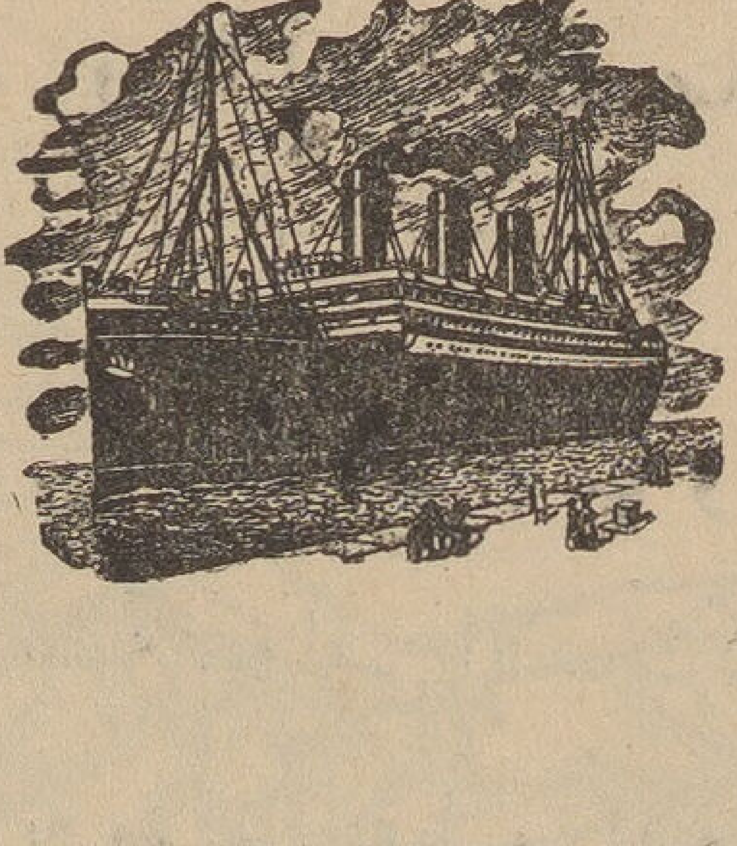
يريد زواجا يعيد اليه الجو الذى فقده بوفاة أمه . فهو يتزوج أرملة اكبر منه سنا ومعها ابنها

كأنه يريد أما ولا يريد زوجة . أو كأنه يريد أن يكون فى منزله الجديد بالمركز الذى كان فيه أيام طفولته . ولكنه بعد الزواج يجد أن هذه الزوجة « الام » لاتحبه بل تنصرف عنه الى العناية بابنها . فهو يتركها وينتحر كالولد المدلل لايجد من أبويه الترضى فيؤذي نفسه

ومثال ثان : شاب نشأ وحيدا بين أبويه . والوحدة كانت وسيلة الى التدليل له والتعلق العظيم به من الام . فاصبح هو الآخر يحبها أيضا حبا عظيما . وتضاءل الاب حتى أصبح البيت وكأنه الملك الخاص للام والابن . ثم مات الاب وعاش الابن الى أن بلغ الخامسة والاربعين وهو لايتزوج . ثم ماتت الام . وعندئذ تزوج فتاة كانت من حيث السن أصغر منه ولكنها كانت أرشد واكبر من حيث الاختبار الدنيوى . فاطمأن اليها كما كان يطمئن الى أمه . ولكن . . . العلاقة الزوجية بينهما كانت علاقة الابن بالام أى الحب والولاء أما التعارف الجنسى فكان مستحيلا

فهنا نجد أن مركب اوديب كان متسلطا على هذا الرجل حتى انه يعيش مدى حياته فى أحضان مه . فاذا ماتت طلب أما أخري . وقد فسدت العلاقة الزوجية لهذا السبب

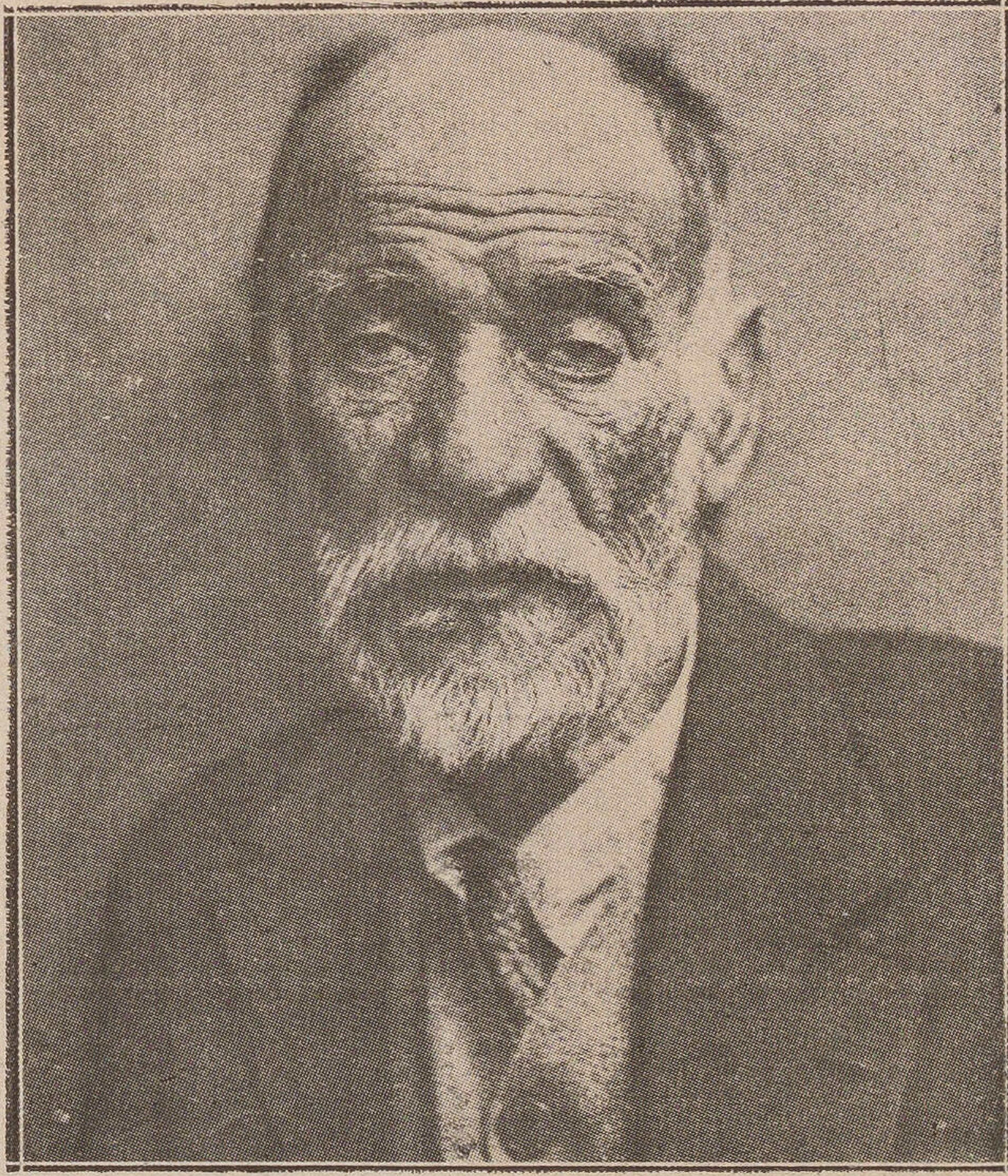
والكلمة الاخيرة التى نقولها فى هذه النظرية أننا نجد فيها بعض الصحة ولكننا لانسلم بها جميعا

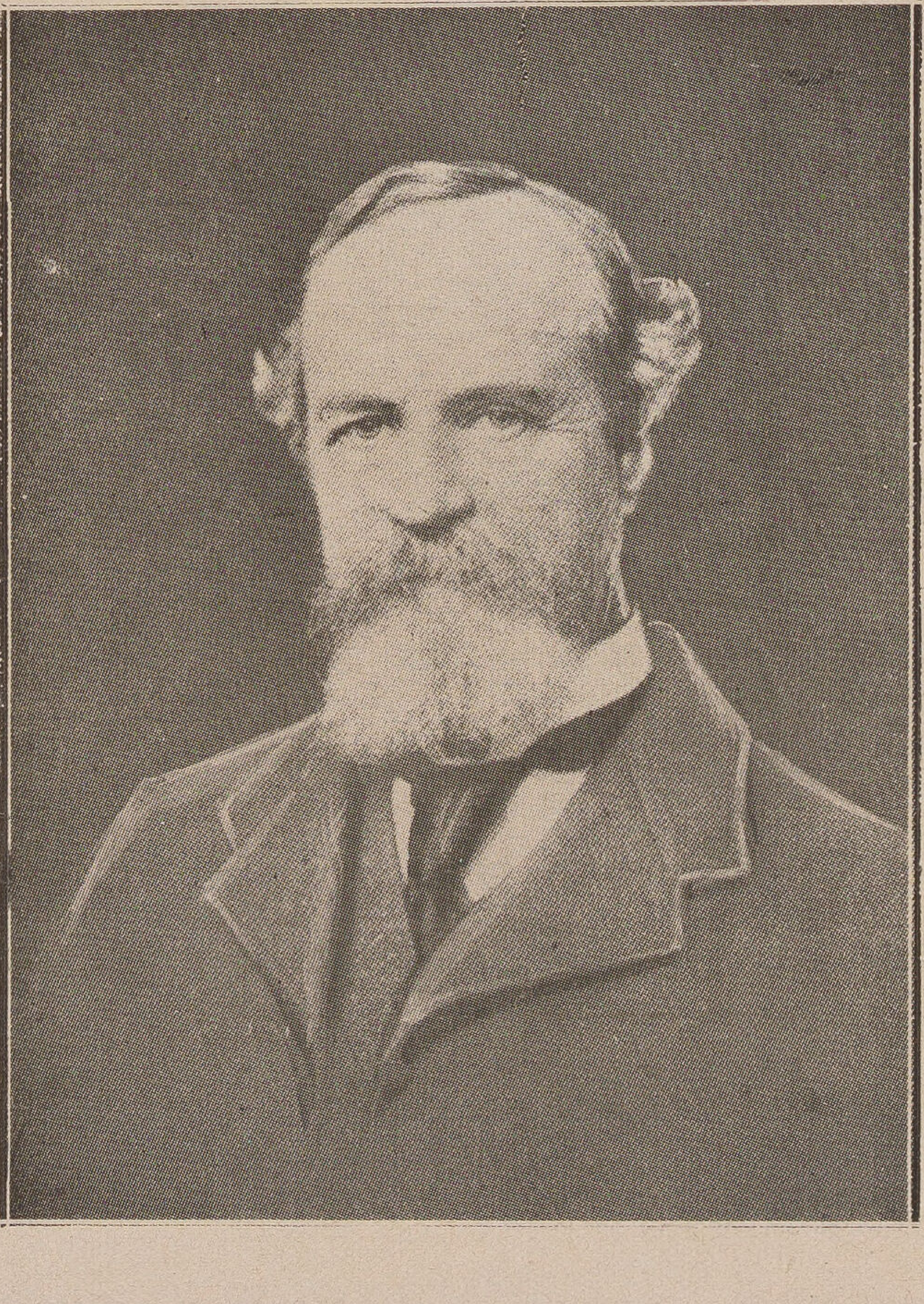




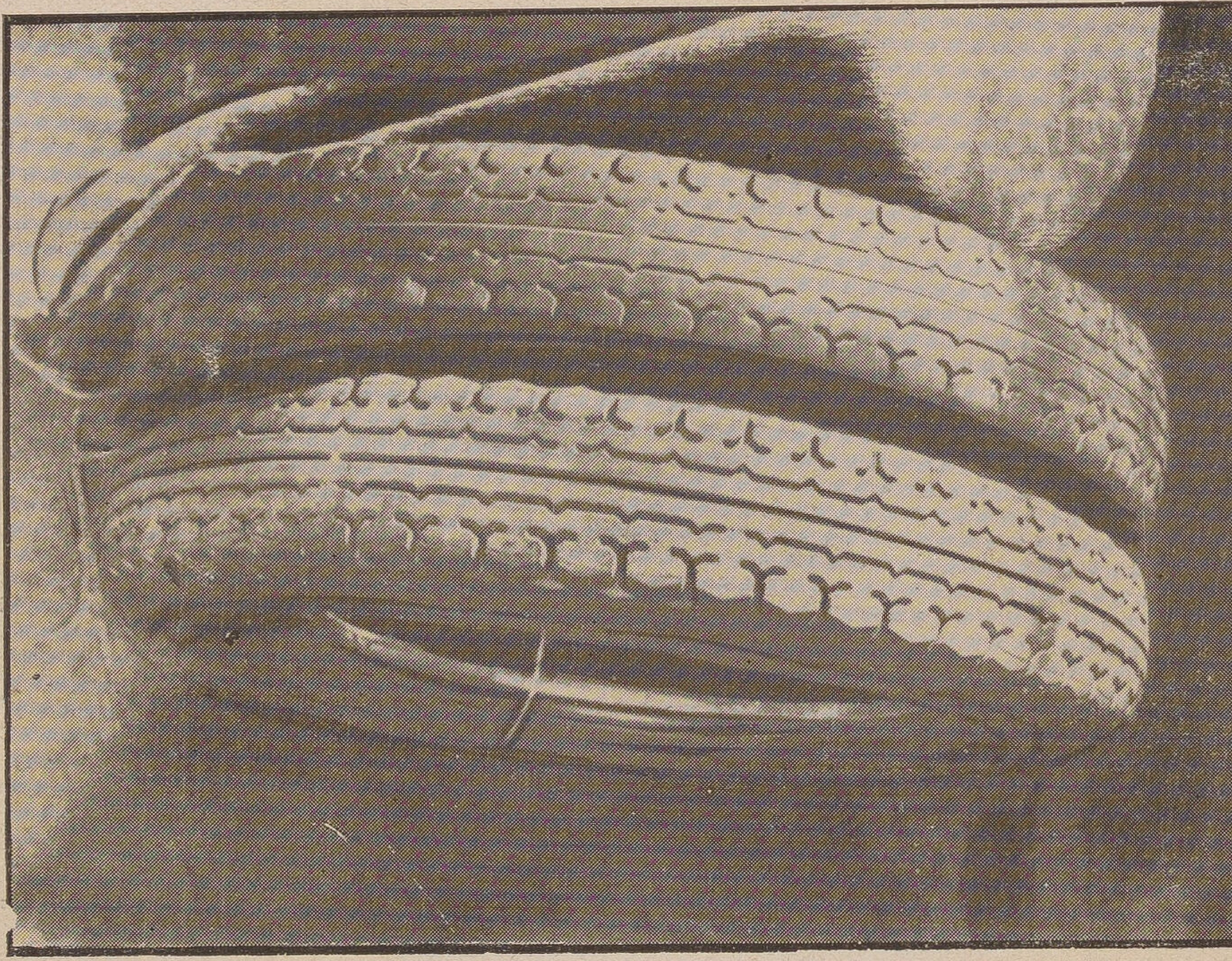
صاحب السمو الامير محمد على الذى دعا الى تأليف لجنة تحقيق للفحص عن الشكاوى المتعلقة بالأوقاف . وشرط أن تكون هذه اللجنة من غير الموظفين . وقد استجابت الوزارة لدعوته وارتاحت الامة الى تأليف هذه اللجنة بعد أن ضج كثيرون بالشكاوى من ادارة ممتلكاتهم الموقوفة

بالیمین : جمیل صدقی الزهاوی
شاعر العراق الذی توفی فی أواخر
فبراير الماضی





باليسار : وليم جيمس
زعيم الفلسفـة الوسيلية
(براجماتزم) الذى أخرج
عنها الاستاذ يعقوب فام
كتابا فى الشهر الماضى
باللغة العربية



اطار من الكاوتشوك الصناعى الذى تصنعه الآن المانيا من المواد الكيماوية
وستستغنى به عن الكوتشوك النباتى



طائرات شركة مصر للطيران على اهبة السفر



تبين هذه الصورة الفريدة طائفة من الطيارين المصريين وبينهم الاستاذ الطيار كمال علوي مدير
شركة مصر للطيران وهم من اليمين الى اليسار : النبيل شهاب الدين حسين — خليل صابر الكاشف —
الاستاذ عبد الحميد عثمان مقبل — بهاء الدين — كمال علوى بك — يسى — حسين فتحى —
سمير عباس — أحمد عبد الدايم الميكانيكى — احمد اسماعيل — الآنسة لطفية النادي

الدكتور أدولف جروهمان

وأوراق البردى

وفد إلى مصر فى الشهر الماضى علم من أعلام الغرب ، ومؤرخ من كبار المؤرخين ، وعالم من كبار علماء الثقافة والفكر الحر ، ذلك هو الدكتور أدولف جروهمان أستاذ الثقافة الاسلامية بجامعة براغ فى تيشكوسلوفاكيا . وان العظيم لتترجم عنه آثاره ، ويفصح عن عظمته الشخصية نتاج تفكيره القوى المستقل الذى تتراءى فيه شخصيته واضحة ملموسة . وليس مجىء هذا العلامة الباقعة ، والمؤرخ النابغة لقضاء فراغ لايجد مايشغله ، ولكنه قدم الى مصر باحثاً ومنقباً ومؤلفاً ، حاملا بين بردتيه قوة وجلداً على استكشاف أمور يعجز حيالها الكثيرون ، ويكاد يكون الكشف واماطة اللثام عنها ضربا من الخيال . فقد وفد الاستاذ الدكتور جروهمان الى مصر ليجمع المستندات الخاصة بالورق البردي القديم وليترجمها الى الانكليزية ، وهذا عمل جبار ولكن له من عزيمته القوية ما يجعله يطمئن الى نتيجة هذا العمل ارضاء للعلم وارضاء لما اضطلع باعبائه من اماطة اللثام عما فى هذا الاوراق من أسرار ، يكاد يكون حلها معجزة

ولقد طبع الاستاذ الدكتور أدولف جروهمان الجزء الاول من هذا الكتاب واسماه « البردي فى المكتبة المصرية » كما قام بترجمته الي العربية والتعليق عليه أحد كبار أساتذة التاريخ ذلك هو العالم المؤرخ الجليل الاستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

وما دمنا قد أشرنا الي المترجم فلا بد لنا من أن نذكر كلمة عابرة عنه ، فهو على معرفة بعدة لغات غربية ساعدته على كثرة الاطلاع مما تجد آثاره واضحة تماما فى مؤلفاته الرائعة ، التى تلاقى التقدير من جمهرة المثقفين من الادباء فى مصر والخارج . وهو شاب دؤب فى الاطلاع ، لا يكاد يفرغ من تأليف كتاب أو تحقيق مسألة تاريخية حتى يتأهب لكتاب آخر

والدكتور حسن ابراهيم مثل أعلى للشباب العامل الذى يريد أن يرقي بجده وهمته الى معارج

الكمال ، ولن تلقاه الا منكباً علي بحث مسائل يعجز عنها الكثيرون ، ولذلك قد تنكره اذا رأيتا فيروعك من هذا الجسد الضئيل ، أن يضم بين جوانحه نفساً وثابة وعقلا كبيراً

فأنت تري أيها القارىء أن عقلين كبيرين قد التقيا فى هذا الكتاب ، وهمتين واسعتين قد اتفقتا على ابرازه الى الوجود ، وكاتبين جليلين كل منهما ضليع فى فنه قد قاما بنفح المكتبة العربية بهذا السفر الخالد . ثم ها أنت ذا تري العقل الاوربى الجبار ، والتفكير المصرى القوي قد تعاونا على عمل فذ فى بابه

***

والدكتور أدولف جروهمان ألمانى يبلغ من العمر خمسين عاماً وانها لاتقاس بما فيه من نشاط وتوفر على العلم وانكباب على البحث والتحرى عن صادق الامور . ولقد ألف هذا الاستاذ كتابا بالاشتراك مع شيخ المستشرقين المرحوم السير توماس أرنولد اسم The Islamic Book واليوم يشترك فى اخراج كتابه « أوراق البردى » مع الدكتور حسن ابراهيم وهذا الكتاب كتاب « الكتاب الاسلامي » من أحسن المراجع التى كتبت عن الفن الاسلامي ، وهوموضوع دقيق لايؤمن فيه الزلل ، ولكن اذا عرفت أن هذين المؤرخين الكبيرين قد اشتركا فى تأليفه اطمأنت نفسك الى أن الكتاب حجة فى بابه ، ويبلغ ثمنه قرابة أربعة جنيهات ونصف

والذى يقوم بالبحث والتقصى والكشف عن رموز البردى لابد له من أن يكون ملماً بالكثير من اللغات حتى تكون له عونا وساعداً فى اخراج عمله متقنا ولاحتياجه اليها فى التعليق علي أكمل وأصح وجه ، ولذلك فان الدكتور جروهمان يتقن من اللغات غير الالمانية العربية والانكليزية والفرنسية والتشكوسلوفاكية واللغة الحبشية ، كما انه قد درس اللغة المصرية القديمة ، ونال بها اجازة الدكتوراه فى رسالة قدمها بها

وهو يدرس فى جامعة براغ اللغات السامية التى يتقنها اتقانا تاما . ولقد يكون من الطريف أن تعلم بعض الشىء عن نظام تدريسه الجامعي . ذلك أنه يقيم فى مدينة ليتميتز Leitmeitz التى تبعد عن براغ ٦٢ ميلا ، ولذلك فهو يلقى محاضراته يومي الخميس والجمعة فقط من كل أسبوع ، أما بقية الايام فيقضيها فى البحث واستقصاء ما أخذ به نفسه من علم

وما دمنا قد ذكرنا هذا العلامة الكبير فلا بد لنا من أن نشير الى زوجته الفاضلة فهى خير

عون فى اخراج هذه الآثار الرائعة ، وانها لتوهبه من عطفها وتشجيعها مايخفف عنه عبء هذا العمل الضخم . كما انها تقوم بنسخ ما يكتبه على الآلة الكاتبة باللغة الانكليزية وهى الاخري تلم بكثير من اللغات ولهما ثلاثة أبناء كبراهما فتاة تبلغ ١٤ عاماً ، وفتى فى الثانية عشرة من عمره وآنسة صغيرة تبلغ ثمانى سنوات وقد تركاهم فى براغ حين مجيئهما الى مصر

أما الكتاب الذى جاءا من أجله الى القاهرة فسيقع فى ستة مجلدات ، تم طبع ترجمة المجلد الاول ويعد الدكتور حسن ابراهيم ترجمة الجزء الثانى منه فى هذه الأيام أما المجلد الثالث فسينتهي منه فى شهر مايو القادم واذ ذاك يكون فى يد طلاب العلم وتقوم بطبعه دار الكتب المصرية

وبعد فان كتابا يؤلفه الاستاذ جروهمان ويترجمه الاستاذ حسن ابراهيم حسن وتطبعه دار الكتب فى موضوع لاوراق البردى لهو أثر خالد . ونفحة من نفحات الفكر العالى ، ومثل للهمة القعساء في كل من المؤلف الغربى والمترجم المصرى



عجائب مألوفة

أليس عجيبا أن أحد بميتة ... ورأيي أني للخلود نظير
وأني أقضى العمر فى جد آمل ... وأعلم أني للفناء أسير
وان دهورا بعدنا ثم بعدها ... دهور توالى بعدهن دهور
وان على هذا الثرى عاش قبلنا ... شقى بما نسعى له وأسير
ولست ترى من لايرى أن نفسه ... لباب لهذا الكون وهو قشور
فلم يجده إعزازه النفس إن دنا ... رداه فلم ينجد عليه نصير
ويعلم كل الناس هذا ولم يكن ... ليردع عن بغى الحياة مغير
وأن ارتضى للطرس ما أنا قائل ... وإن راعنى أن الحياة غرور
وأغضب اما سبنى فم هالك ... وأعلم مايؤذى الغداة هرير
وأرهب صرف الدهر فى كل طارق ... وأعلم أن الدائرات تدور
وأعلم لايبقى سرور ولا أسى ... أحل حبور أم أناخ ثبور
أليس عجيبا أننى اليوم عاجب ... وعل حياة ماحكاه سمير
وأن لا أرى الشر الذى لايمسنى ... وأحسب انى عالم وخبير
وان كان علم فهو انى اخاله ... دهانى وإلا فالبعيد يسير
وانكر ماقد كنت فى السعد مادحا ... به الناس إلا أن يعود حبور
أليس عجيبا أن نناط بمعجب ... من الرأى والمزجى الفعال شعور
وان وجوه الكون فكرة ناظر ... سيفنى وكنه الكائنات ستير
وأبغى صلاح الكون والناس مثلما ... مضى فى بناء مالك وأجير
كأني خلقت الكائنات وانني ... على الناس قاض حاكم وأمير

عبد الرحمن شكرى

الاستاذ معروف الرصافي

حديث مع الشاعر للأستاذ أسعد حنا

كانت الساعة قد أشرفت على منتصف السابعة من مساء يوم الجمعة — ٢٠ مارس — حينما يممت فندق « الكونتنتال » لاحظى بمقابله شاعر العراق الكبير الأستاذ « معروف الرصافى » وفى البهو الوسيع ، الذى كان يموج بوفود المهنئين والمرحبين ، بالضيوف العراقيين ، ويضج بالجموع الكثيرة من السائحين الوافدين على مصر من مختلف أنحاء العالم ، رأيت نفسى قبالة رجل يضع « العقال » على رأسه ويلبس الملابس « العربية » وكان هذا هو « الرصافى ». تقدمت اليه أحييه ، باسم « المجلة الجديدة » فرحب بى ، بلطف وايناس ، وأفتر ثغره عن بشاشة ، لا أثر فيها التكلف لأنها طبيعية فى نفسه . وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث ، فيما يتصل بالأدب ، وفيما يتصل بالسياسة وفيما يتصل بالاجتماع والوحدة بين الاقطار الشرقية . . . فأحسست بعد دقائق ، كأنى أجلس إلي أديب من أدباء مصر ، أعرفه ويعرفنى منذ سنوات عديدة ، لا إلى « رجل » أقابله للمرة الاولى ، وتباعد المسافات الشاسعة بينى وبينه . ذلك لأن الاستاذ الرصافى ، شاعر يؤمن فى قلبه بأن رسالة الادب الصحيح ، والشعر الاصيل ، ليست لبلد دون بلد ، وأناس دون أناس ، بل هي للانسانية جميعاً ، ولهذا فهو حريص أشد الحرص علي أن يؤدى رسالته وفاقا لهذه النزعة السامية . وعلى أن تكون مبادىء هذه الفكرة شعاره الابدى فى حياته الخاصة مع الناس كلهم ، على تباين مراكزهم واختلاف وجهات نظرهم وأفكارهم وميولهم أيضا

والواقع ان الانسان عند ما يجلس الى « الرصافى » يرى التواضع الوقور ، يكاد يفيض على لسانه فى ثنايا حديثه ، حتى ليشعر أنه قد أصبح قريبا الى قلبه ونفسه دقيقة بعد أخرى . فأنت إذا تأملت فى عينيه الواسعتين ، ترى الصفاء كله ، والطيبة والوداعة ، تنساب اليك فى سكون ! وأنك لتعجب للرجل كيف برع فى ميدان « السياسة » — التى تتطلب ممن يزاولها النفاق ، والخداع ، والتلون — وهو على هذه الاخلاق الكريمة . ذلك لان الرصافى عضو فى « البرلمان » العراقى . وقد اقتعد أريكته فى مجلس النواب عن « اللواء الثاني » ببغداد ، للمرة الثالثة فى هذا

العهد الحديث ، كما كان نائبا فى أيام حكم الاتراك ، فى العهد الماضى

والرصافى شاعر ، وناثر ، ورجل اجتماعي . فهو لا يرصد مواهبه للشعر أو الادب فقط . بل هو دائب البحث فى مختلف مشاكل الحياة الاجتماعية والاقتصادية . وله علاوة علي كتبه الشعرية والادبية ، مؤلفات تعاونية وفلسفية ، منها ما هو مطبوع ، ومنها ما هو مهيأ للطبع ككتاب « سر اللغز المقدس » الذي تناول فيه الحديث عن أصل الكائنات وما وراء الكون

ولعل من الفائدة أن نذكر للقراء شيئا عن نشأة الرصافى وتكوينه ففيها أمثلة حية علي الجد والكفاح ، والمثابرة . فقد تلقى علومه الاولى « بمكتب القرية » . . . ثم انخرط فى سلك المدرسة الحربية وظل بها زهاء أربع سنوات ، وتركها الي المدارس الرشدية وفيها تلقى بعض الاصول الدينية ، وشيئا من العلوم والمعارف . على أن الاستاذ « الرصافى » يعتبر فى الحقيقة معلم نفسه . ذلك لان هذه الفترة التى قضاها فى دور العلم ، لم تغنه فتيلا ، ولم تفده شيئا يعتد به . . . ولعل قراءته الخاصة « للمتنبي » ودرسه لفلسفة « المعرى » هى التى جعلت منه شاعراً فحلا ، وباحثا عميق الفكرة ، عميق النظرة الى الحياة والاشخاص ..!

* * *

ولقد حرصت فى حديثى معه على أن لا نخرج عن محيط الشعر والشعراء ، وأبنت له هذا الرأى فى صراحة ، فسر الاستاذ لذلك ، وذكر لى أنه شاعر ، وليس أحب الى الشاعر من الحديث عن الشعر ، لان كل الصحافيين الذين تحدثوا اليه ، أو تحدث اليهم ، كانوا فى الاكثر يباعدون فى أسئلتهم بين الشاعر وما يحب ..!

ثم بدأ الحديث بيننا على الوجه الآتي : —

* * *

— ماذا ترى فى اتجاهات الشعر الحديث ؟

— لايخفى ان الشعر كان فى القرون الاخيرة « نسخة طبق الاصل » فى تعابيره وتراكيبه . إذ كان لا يصور لنا من الحياة الا صورا محدودة فى ألواح من المدح والهجاء والنسيب ونحو ذلك مما هو معلوم . أما فى اتجاهاته الحديثة فقد أخذ يصور لنا أشياء كثيرة من صور الحياة على اختلاف ألوانها ومنازعها مما لا حاجة الى بيانه لمن تتبع الشعر العصرى فى اتجاهاته الحديثة

إلا أن الشعر الحديث لم يزل فى اتجاهاته محدودا أيضا فهناك من مناحى الحيـاة ونواحيها ما لم يجرؤ الشعر بعد على تصـويره . وأ كبر مانع يمنعه عن ذلك هو التقاليد البالية والعـادات السقيمة التى تقيده وتقيد الحرية الفـكرية بقيود وثيقة . إذ نحن لم نزل فى مجتمع يتعاطي فى السر مايراه معيبا فى العلانية . ويفعل فى طى الخفاء أفعالا يرى الجهر فيها بالقول قبيحا . فالشعر الحديث فى اتجاهاته ناقص من هذه الناحية . ولا بد من أن سيأتى عليه يوم يحطم فيه هذه القيود اذا بلغ المجتمع العربي مبلغه من الثقافة العصرية فى العلم والادب

* * *

— هل الشعر في الوقت الحـاضر فى طريقه الي الازدهار والتقدم أم ترى فيه جوانب ضعف واضمحلال ؟

ـ كلنا معاشر العرب نعتقد باننا اليوم فى طور الانتباه وان لنا فى الوقت الحاضر نهضة سياسية علمية أدبية واذا كنا كذلك وكان اعتقادنا هذا صحيحا ـ ولا ريب فى صحته ـ فكيف يجوز أن لا يـكون الشعر فى الوقت الحاضر فى طريقة إلى الازدهار والتقدم ؟ وهل الشعر فى كل أمة إلا مظهر من مظاهرها فى الثقافة والطبائع والعادات والسياسة والاجتماع ؟ فاذا كنا فى تقـدم فالشعر فى تقدم واذا كنا فى تأخر وانحطاط فالشعر . فى تأخر وانحطاط . نعم ! ان هناك فريقا من أهل الادب يدعون إلى التجدد فى الشعر . وكلما حاولت أن أفهم معنى صحيحا للتجدد الذي يدعون اليه لم أستطع ولم أفهم ماذا يريدون من التجدد . ثم قر رأيي ـ على ما استنتجته من أقاويلهم ـ أن التجدد هو تقليد الغربيين فى شعرهم وأدبهم . مع أن الشعر هو الامر الوحيد الذى يستحيل فيه التقليد لان الشعر عند كل أمة ليس إلا ترجمان ثقافتها العامة فى التعقل والعواطف والعادات والدين حتى الخرافات . وهذه الامور كلها تختلف باختلاف الامم فيها اختلافا قد يبلغ التناقض . فـكيف يجوز لأمة ترى أمراً من الامور قبيحا مثلا أن تقلد أمة فى ذلك الامر وهي تراه حسنا . ؟ قد قلت فى جوابى على السؤال الاول أن الشعر كان فى منازعه تابعا لحياة الماضين فـكان بسبب ذلك « نسخة طبق الاصـل » وأما اليوم فقد أخذ يصور لنـا صوراً من الحياة الحاضرة . وان كان هذا التصوير منه لم يعم جميع نواحى الحياة للسبب الذى ذكرناه فى الجواب على السؤال الاول . وهذا هو المعنى الصحيح للتجدد الذى يدعونا اليه فريق من الادباء المتجددين . إذا صور لك الشعر صوراً من الحياة التى أنت فيها فاطربك بان أقامك وأقعدك ، وسرك أو ساءك وأضحكك

وأبكاك وأنهضك أو ثبطك فاعلم أنه شعر جديد وأنه ليس من الشعر الذى هو « نسخة طبق الاصل » . فالدعوة الي التجديد فى الشعر بالمعنى الذى يعنيه هؤلاء هى التى أخشى أن تجر الشعر العربى الى الضعف والاضمحلال

* * *

— ما مقام الشعر ومكانه من الفنون الجميلة ؟

— ان هذا لسؤال عجيب . ان الشعر ياسيدى هو ركن من أركان الفنون الجميلة المسماة بالاداب الرفيعة . واذا أردنا أن نضعه فى منزلته الخاصة من الآداب الرفيعة قلنا انه هو والموسيقى كلاهما فى منزلة واحدة لانهما متلازمان ولان أحدهما متمم للآخر . ذلك لان الشعر لم يكن موزونا الا لاجل أن يتغنى به أى لاجل أن يكون موسيقى ولولا ذلك لما كان للوزن معنى . فالشعر لايقال الا لينشد أي لتتغنى به . وعليه فالشعر والموسيقي متلازمان لاينفك أحدهما عن الآخر . فاذا رأينا شاعرا يقول الشعر ولا ينشده أى لايتغنى به قلنا أنه نصف شاعر واذا رأينا موسيقيا ينشد الشعر أى يتغنى به ويلحنه ولا يقوله قلنا أنه نصف شاعر . واذا الصقنا الشخصين قائل الشعر وملحنه أحدهما بالآخر كان كلاهما شاعرا واحدا بالمعنى الصحيح

وأظن أنى بما قلته لك هنا قد أجبتك على سؤالك ما مقام الشعر ومكانه من الفنون الجميلة !

* * *

— فى أي بلد من البلاد العربية تعتقد أن الشعر بالغ غايته من السمو والعظمة ؟

— ان سؤالك هذا أعجب من سؤالك المتقدم ..!

ان الشعر ياسيدى ليس من الماديات التى يتفق الناس على تقرير قيمها وانما هو كالحسن الذى لايوقف له عند حد والذى تختلف فيه أذواق الناس اختلافا كبيرا . فكما أننا قد نرى أحد الناس يستحسن صورة يستقبحها الآخر كذلك قد نرى أحدهم يستجيد شعرا يسترذله الآخر . فالشعر ليس من شأنه أن يختص ببلد دون بلد ولا بشخص دون شخص ولا بأمة دون أمة . وانما هو فى كل أمة مظهر من مظاهرها فى الثقافة العامة المشتملة على مافى تلك الامة من أخلاق وعادات وتاريخ ودين وأساطير وخرافات وقد يجوز أن يقوم فى بلد متأخر فى الثقافة شاعر يبذ الشعراء الناشئين فى بلد متقدم فى الثقافة . ذلك لان الشعر فى كيانه الاصلى فطرى المصدر غريزى المنبع وما العلم والثقافة الا من مهذباته ليس الا فمن أجل هذا أستطيع أن أقول لك جوابا على سؤالك المتقدم

ان غاية الشعر من السمو والعظمة ليس لها حد معلوم حتى يصح أن نقول بأن الشعر فى بلد كذا قد بلغ غايته من السمو والعظمة فكلما رأيت شعرا ساميا عظيما فلا تنكر أن يأتيك الزمان بأسمى منه وأعظم ، وليس من المعقول أن نجعل المواهب الربانية الادبية محصورة بين حدود معينة لاتتعداها ولا تتجاوزها ..!

* * *

— بعد وفاة شوقى (أمير الشعراء) هل تعتقدون ان امارة الشعر انتقلت بالتبعية الى بلد غير مصر فان كانت فالى أين ؟ ولمن ؟

— قبل ان أحرك لساني بالجواب أرسل اليك قهقهة متسلسلة ليس مصدرها الاستهزاء بك ولا السخرية منك . وانما مصدرها اجلالك عن ان تنحط الى هذه الدركه في تفكيرك . ان الامارة ياسيدى ليست من مواهب الله وانما هى من وضع البشر . وضعوها لكى تكون لها الطاعة على من يكون تحت أمرها فهى مادية بحتة لا علاقه لها بالمعنويات الروحانيه التى منها الشعر فليس فى الشعر أمير ولا مأمور إذ ليس فيه طاعه لأحد على أحد . واد واق الناس في الشعر لا تتجه الى جهه واحدة ولا تتفق فيه على مذاق واحد بل كل واحد من الناس حر مطلق فى اتجاه ذوقه فى الشعر وفى مذاقه منه . واذا كان هذا شأنه فكيف تصح فيه الامارة التى تستلزم الطاعة والخضوع لمن هو تحت أمرها . وخلاصة القول أن الكلام فى امارة الشعر وأميره سخف ما بعده من سخف على ما أعتقد

* * *

وإلى هنا كنت قد انتهيت من مهمتي فكررت الشكر للاستاذ الرصافى ، باسم « قراء المجلة الجديدة » الذين أتاح لهم بحديثه الطلى فرصة الاطلاع على هذه الآراء النيرة الطريفة

مستقبل الطيران فى مصر

بقلم الطيار أحمد اسماعيل

قبل خمس وعشرين سنة جاء الاتوموبيل الى مصر وكان الناس ينظرون إلى قائده نظرتهم إلى بطل من أبطال القرون الوسطى كما كانوا ينظرون إلى راكبه نظرتهم إلى المجازف بحياته المستهتر بها وكان عدد الاتوموبيلات فى مصر قليلا محدوداً ومقصورا على كبار الاغنياء ومنهم من كان يصيبه الدوار أو مرض البحر إذا ركبه ومنهم من كان يحوزه كما يحوز أحدنا أليفاً أو غزالا فى حديقة قصره . ذلك كان شأن الاتوموبيل فى مصر فى عهده القديم ولكنه مالبث أن صار مألوفا وعم استعماله بشكل أيقظ الحكومة التى المنافسة القوية التى ينافسها هذا الاتوموبيل للسكك الحديدية فقد أخذه الفلاح بديلا عن دابته فى تنقلاته وعن ثوره فى حقله كما أخذه التاجر وسيلة لنقل المحصولات والبضائع بين البلاد وبعضها . وهذا لا يرجع إلى سنة التقدم وحدها بل يعود فى الواقع إلى عقلية المصرى واستعداده الكبير للتقدم السريع . والأمثلة على ذلك كثيرة منها هذا التليفون والتلغراف والراديو تنتشر جميعا وتعم جميعا ويعم استعمالها حتى فى القري النائية فى وقت يعد قصيرا لو قورن بالزمن الذى يتطلبه انتشار آلة من الالات أو المخترعات فى أى بلد أوربى . وما قيل عن هذه جميعا يمكن قوله وتطبيقه على الطيران ومستقبله فى بلادنا . إذ أننا إلى عهد قريب يعود إلى بضع سنوات كنا لا نسمع أو نعرف شيئا عن الطيران إلا ما تنشره الجرائد من أخباره وإلا ما كنا نراه محلقا فى هواء بلادنا من قطع الطائرات الحربية. وزاد اهتمامنا بالطيران حينما دخل ميدانه بضعة من شباب بلادنا الناهض الذى راح لتلقى فنونه فى البلاد الأجنبية وعاد إلى بلاده حاملا علمها واسم مصر محلقاً فوق الممالك المختلفة . هذه هى الحلقة الاولى من حلقات الطيران فى مصر وتأتى بعدها تلك الحلقة الثانية التى لعبت دورا هاما فى تاريخ الطيران فى بلادنا وقفزت به قفزة جريئة كانت العامل الأكبر على وجوده وانتشاره واستساغة العقلية المصرية له كوسيلة جديدة للتنقل والسفر فى أنحاء بلادنا وبينها وبين البلاد الاخرى . وهذه الحلقة هى ناحيتى نادى الطيران المصرى وبنك مصر وقد قاما بعملهما وجهودهما وسبيل الطيران بالشكل الذى سيسجل لهما فى تاريخ مصر الناهضة بحروف من نور . وها نحن نرى ولم تمر على وجود الطيران المصرى المدنى بضع سنوات التاجر والزارع والمحامى والطبيب والمهندس يركبون الطائرة للسفر

فى سبيل العمل وللنزهة أيضا وقد عم الطيران فى مصر حتى لم يصبح فى ركوب الطائرة بطولة كنا نراها من قبل. وزيارة قصيرة لمطار ألماظة لتدل دلالة صريحة على مبلغ سرعة تقدم الطيران فى بلادنا وانتشاره اذ بينما نرى طائرات الخطوط الهوائية التى تديرها شركة مصر للطيران مليئة بالركاب من مختلف الاجناس والطبقات فأنت ترى الطائرات الصغيرة الاخرى صاعدة هابطة اما للنزهات أو مع المعلم فى التمرين أو الطلبة وحدهم فى ممارستهم اليومية . وغير هذا فقد لاحظ رجال الاعمال وأربابها أنهم بسفرهم بالطائرات يوفرون على الاقل نصف وقت السفر الذي كان يضيع عليهم من قبل بغير فائدة كما لاحظوا أنهم لوفرة الراحة فى السفر بالطائرة يبرحونها ليمارسون أعمالهم مباشرة بعد الراحه بعكس ما كانوا يعملون فى حالة سفرهم بوسيلة آخرى ترهق أجسامهم وتجعلهم فى حالة عصبية لن يستطيعون معها العمل قبل قضاء وقت كاف للراحة واستجماع القوى الضائعة فى السفر وذلك فضلا عن المسافرة بالطائرة ولم تعد تتضايق من التراب والغبار الذي كثيرا ما أفسد عليها جمال رحلتها . عرف الكل ذلك فأقبل المصريون والمصريات على الطيران اقبالا مشكورا مبشرا بمستقبل زاهر للطيران فى بلادنا غير أن هناك عقبة واحدة تقف فى طريق تقدم هذا الفن واشباع رغبة المصريين فيه . هذه عقبة المطارات فرغم الفسحة التى تراها فى أراضى كل ناحية من نواحى بلاد القطر المصرى فان عدد المطارات به محدود ولا يكاد يفى بالغرض المرجو من وجود الطيران المدنى فى البلاد المصرية . وانه فى الحق لكثير ان تظل بلادا مثل المحلة الكبري والمنصورة وطنطا محرومة من مطار يربطها بحلقة بلاد القطر الهوائية الاخرى فيستفيد أهلها وأرباب الاعمال فيها من النهضة المباركة التى تنهضها شركة مصر للطيران من حيث تعميم الخطوط الهوائية المصرية فى داخلية البلاد وربطها أيضا بالخارج

لقد رأى شعب مصر الطيران فتقبله بسرعة شأنه فى ذلك شأن كل أمة ناهضة يقظة فبشر موقف الشعب بمستقبل للطيران كبير ولذلك يجب أن تقوم السلطات بانشاء المطارات تامة الاستعداد فى جميع انحاء القطر لتوسيع نطاق الطيران فى البلاد على أنه مع وجود هذه المطارات لا بد ان تستكمل التسهيلات الارضية الاخرى من أرصاد جوية ولاسلكى وخلافه . وفيما يلى ملخص تاريخ لحركة شركة مصر للطيران بصفتها الهيئة الوحيدة التى قامت باعباء الطيران فى الشرق

شركة مصر للطيران

شركة مصر للطيران وهى إحدي مؤسسات بنك مصر بدأت أعمالها فى شهر مايو سنة ١٩٣٢ وكانت فاتحة أعمالها انشاء مدرسة الطيران بألماظة فى ٧ مايو سنة ١٩٣٢ كما أنشأت ورشة لتصليح

الطائرات وصيانتها سيان فى ذلك طائرات الشركة أو الطائرات المملوكة للغير من سكان القطر المصرى أو الطائرات الزائرة . كما أعدت طائرات للايجار لمن يرغبون فى القيام برحلات خاصة إلى أى مكان فى القطر المصري

وبالنسبة للتعليم فقد سارت الشركة على برنامج نشر فكرته فى المدن المختلفة حتى اذا ماتوافر العدد الكافى من الطلبة فى احداها افتتحت لهم مدرسة للتعليم . وبناء على هذا البرنامج افتتحت مدرسة الطيران للاسكندرية بمطار الدخيلة فى أول يولية سنة ١٩٣٣ وقد استمرت هذه المدرسة إلى ٩ ديسمبر سنة ١٩٣٥ حين انتهت من تدريب اكثر طلبتها وقد حصل أحدهم على اجازة الطيران حرف (ب) التجارية وقام منهم عدد وفير برحلات خارج القطر المصري وداخلة كما قام أحدهم برحلة جوية إلى تركيا من الاسكندرية وقد قطع المسافة فى عودته بين المملكتين فى يوم واحد

وفى صيف سنة ١٩٣٤ توافر عدد كاف من الطلبة فى بور سعيد فأنشأت الشركة لهم مدرسة للتعليم استمرت صيفى سنة ١٩٣٤ و ١٩٣٥ خرجت عددا وافرا من طلبتها أيضا

أما مدرسة الطيران بالماظة وهى المدرسة الرئيسة ففيها عدد لا يستهان به من الطلبة ومما هو جدير بالذكر انضمام بعض السيدات والآنسات المصريات والأجنبيات إلى مدارس الطيران تخرج بعضهن وما زال البعض الآخر فى التمرين كما قام بعض الطلبة من مدرسة ألماظة برحلات جوية طيبة تدل على مبلغ مرانتهم واعدادهم . من هذه رحلة قام بها أحدهم إلى الهند وأخرى قام بها آخر إلى الحجاز والسودان غير الرحلات التى قام بها الطلبة يجتمعون فى أسراب من طائرات المدرسة إلى سوريا وفلسطين والى أنحاء مختلفة بالقطر المصرى

وتدرب المدرسة طلبتها أيضا على الطيران بدون رؤية وهو النوع الذى يستطيع معه الطيار قيادة الطائرات فى حالات الضباب التى تستحيل معها الرؤية

وتعطى الدروس سواء فى الهواء أو على الارض بمختلف اللغات مما يسهل التعليم على أبناء الجنسيات العديدة من سكان بلادنا

تفاصيل وأرقام عن المدارس

١ — تعطى دروس الطيران فى المدارس على طائرات من أحدث طراز منها المكشوفة ومنها المقفلة « صالون »

٢ — يتعلم طلبة المدرسة الطيران بأنواعه سواء فى النهار أو فى الليل كما يتمرنون على الحركات والالعاب الهوائية المختلفة

٣ — يقوم بالتدريب معلمون مصريون

٤ — تخرج من المدرسة ٨٧ طيارا منهم ٤٥ مصريا وآنسة مصرية وآنسة أجنبية وسيدة أجنبية بأجازات طيران خصوصية حرف « ا »

٥ — تخرج أربعة بأجازات تجارية حرف « ب » من طلبتها

٦ — استعد ستة من طلبة المدرسة للامتحان لأجازة حرف « ا » فى هذا الشهر

من هذا نري مبلغ الجهود التى تبذلها شركة مصر للطيران فى هذه الناحية من أعمالها كما تظهر فائدة مدارس الطيران للبلاد

الخطوط الهوائية المنتظمة

بعد زمن يسير من تأسيس الشركة ومسيرها بمدارسها وقسمى ايجار الطائرات الخاصة والورشة قد قررت تسيير خطوط هوائية منظمة وبدأت بذلك فعلا فى أول أغسطس سنة ١٩٣٣ حيث استخدمت طائرات من طراز الدراجون ذات المحركين وطيارتين من ذات الثلاث محركات وتسع من ستة الى ثمانية مقاعد وسيرت خطوطا هوائية عديدة بين مختلف بلدان القطر المصري وبين مصر وفلسطين . وقد سيرت خطا منظما يعمل طول السنة بين القاهرة والاسكندرية وآخر بين مصر وفلسطين وخطوطا أخرى تعمل فقط فى فصول السنة المناسبة ومواسم البلاد كخطوط القاهرة وبورسعيد والقاهرة ورأس البر والقاهرة ومرسى مطروح والقاهرة الى قبرص عن طريق فلسطين وهذه تشتغل فى فصل الصيف فقط وخطا يعمل فى فصل الشتاء لمناسبة موسم السياحة بين القاهرة وأسيوط والاقصر وأسوان

وفى آخر عام سنة ١٩٣٥ زادت الشركة وجددت فى أسطولها حتى أصبحت قطعه المستعملة فى الخطوط المختلفة تؤلف من طائرتين كل منهما ذات أربعة محركات وتتسع لاثنى عشر وأربعة عشر راكبا وخمس طائرات كل منها ذات محركين وبها من ٦ الى ثمانية مقاعد للركاب علاوة على طائرتين منهما ذات محركين وتسع من ستة الى ثمانية ركاب أيضا تستعمل فى قسم الايجارات الخاصة وبصفة طائرات احتياطية لهذه التى تشتغل فى الخطوط الهوائية المنتظمة

وغير هذه وتلك هناك طائرتان كل منهما ذات محرك واحد بها ثلاثة مقاعد تشتغل أيضا فى قسم ايجار الطائرات الخاصة

وبفضل هذا التغير الاخير فى نوع طائرات الخطوط الهوائية وتعدد محركاتها تكون الشركة قد سارت على سياسة زيادة السرعة فى خطوطها مع وفرة السلامة والأمان اذ أن طائراتها ذات الأربعة المحركات أو ذات المحركين تستطيع كل منها الطيران عند اللزوم بنصف عدد محركاتها بمعنى أن تطير ذات الأربعة بمحركين اثنين فقط عند اللزوم كما تطير ذات المحركين اذا اقتضى الامر بمحرك

واحد وأما عن السرعة فان متوسط سرعة الطائرات على الخطوط يتراوح بين مائة وثلاثين ومائة وخمسة وأربعين ميلا فى الساعة و بذا تكون الشركة قد تمشت فى تسيير خطوطها مع سياسة شركات الطيران الهامة فى العالم

كما وصلت الشركة الى الآن الى تشغيل ثلاثة طيارين مصريين بطائرات الخطوط الهوائية بعد مادربتهم التدريب الكافى على أن الشركة تسير بقدم ثابتة مع الاحتياط التام فى سبيل تدريب الطيارين المصريين وهى جادة فى جعل هؤلاء من البراعة والمقدرة بحيث يكونوا أكفاء لما سيعهد اليهم من عمل مع ضمان الأمن والسلام رغم أن هذا العمل يتطلب وقتا طويلا اذ أن الطيار الذى يقود طائرات الركاب يجب أن يمرن ويدرب تمرينا وتدريبا طويلين مع العناية الخاصة ولا يترك لمسئولية العمل إلا بعد التحقق من مقدرته زمنا طويلا و بعد طيران مئات بل آلاف الساعات بصفه مرضية تامة

احصائيات أميال الخطوط الهوائية المنظمة

من أول أغسطس سنة ٣٣ (بعد افتتاح أول خط) الى آخر ديسبر سنة ١٩٣٣	قطعت الطائرات بالخطوط الهوائية	٦٧٩٤٠ ميلا
من أول يناير سنة ٣٤ الى آخر ديسمبر سنة ١٩٣٤	« «	٣٠٣٣٠٠٩ «
« « « « ٣٥ « « « « ١٩٣٥	« «	٤١٩٩٣٥ «
المنتظر أن تقطعه فى سنة ١٩٣٦ مايقرب من		١٫٠٠٠٫٠٠٠ «

احصائيات الخطوط الهوائيه المنتظمة

وكان عدد الركاب فى سنة	١٩٣٣	٩١٧	راكبا
	١٩٣٤	٧٥٢٥	راكبا
	١٩٣٥	٧٠١٦	راكبا

أما فى شهر يناير سنة ١٩٣٦ فقد وصلت الاميال التى قطعتها طائرات الخطوط الهوائية المنتظمة طبقا للبرنامج الجديد زيد به عدد الخطوط ٦٥٠٤٥ ميلا وبلغ عدد الركاب فى هذا الشهر وحده ٨٤٩ راكب

احصائيات أوزان البريد والطرود

مجموع وزن البريد المنقول بطائرات الشركة سنة	١٩٣٤	٢٤٠	كيلو جراما
« «	١٩٣٥	٢٠٢٦	«
« الطرود «	«	٢٣٩٩٢	«

بيان خطوط الشركة التي يستعملها الجمهور الآن وعدد رحلات كل خط

١ ـ خط القاهرة ـ الاسكندرية ٣ مرات يوميا ذهابا وايابا

٢ ـ الاسكندرية ـ بورسعيد مرة كل يوم ذهابا وايابا

٣ ـ بورسعيد ـ القاهرة مرتين كل يوم ذهابا وايابا

٤ ـ الاسكندرية وبورسعيد والقاهرة الى المنيا وأسيوط مرة كل يوم ذهابا وايابا

٥ ـ القاهرة واسكندرية وبورسعيد الى فلسطين (القدس تل أبيب يافا وحيفا) ومن الاخيرة الى بيروت بمواصلة السيارات مرة كل يوم ذهابا وايابا

٦ ـ القاهرة والاقصر واسوان يعمل شتاء وقد أوقف هذا العام لقلة السياح

٧ ـ يضاف الى هنا الخطوط الصيفية التى تفتتح من آن لآخر كما ذكرنا ذلك سابقا .

قسم ايجار الطائرات الخاصة

هذا القسم مستعد بطائراته المختلفة الانواع لنقل الركاب والبضائع فى ايجارات خاصة فى أى وقت ولأى مكان وقد قامت طائراته برحلات عديدة تنقل ركابا من جنسيات مختلفة وشخصيات بارزة الى مختلف البلدان داخل القطر وخارجه كما قامت إحدى طائرات هذا القسم فى بعض رحلات بنقل مازنته ٤١٨٧ كيلو جرام أوراقا مالية « بنكنوت » من القطر المصري الى بغداد وايران برسم الحكومة الايرانية . كما قامت بنقل الركاب إلى السودان وأواسط افريقيا والعراق وايران وسوريا وفلسطين وأوربا وبلاد المغرب . كما يجدر بنا أن نذكر طائرات هذا القسم التى سافرت مراراً لبلاد الحجاز حيث قامت برحلات موفقة لهذه الأقطار وقد قطعت المسافة بين القاهرة وجده فى بضعة ساعات فى يوم واحد وبين جده والمدينة فى ساعتين أو ساعتين ونصف وقد كانت هذه الرحلات الاولى من نوعها إذ لم تقم بها من قبل طائرات مدينة أخري . وفيما يلى احصائيات المسافات وعدد ركاب هذا القسم

السنة	عدد الاميال	عدد الركاب
١٩٣٢	٩٨٣٩	٥٦
١٩٣٣	٤٦٩٣٣	٢٥٦
١٩٣٤	٥٣٩٤٦	٤٩٧
١٩٣٥	٤٩٨١٦	٤٨٩
يناير سنة ٣٦	١١٥٥١	٢٤

بيان وقت الطيران على الخطوط المختلفه

القاهرة ـ الاسكندرية	٥٥ دقيقة
القاهرة ـ بورسعيد	٥٠ دقيقة
القاهرة ـ المنيا	ساعة واحدة
المنيا ـ أسيوط	٤٠ دقيقة
أسيوط ـ الاقصر	١٫١٥ ساعة وربع
الاقصر ـ اسوان	٥٥ دقيقة
اسكندرية ـ بورسعيد	١٫١٥ ساعة وربع
بورسعيد اللد (مطار القدس وتل أبيب ويافا)	١٫٢٥ ساعة وخمسة وعشرين دقيقة
اللد ـ حيفا	٣٥ دقيقة
اللد ـ قبرص	٢ ساعتين

الكسندر كوبرين

تحدى القدر

قصة روسية ترجمها الدكتور صبرى جرجس

انك تقول دائما « المصادفة . . . المصادفة ... » ولكننى أقول انه فى كل حادثة مهما صغرت وهانت نستطيع أن نكشف دائما عما هو اعمق من مجرد الصدفة

دعنى ألاحظ لك أننى فى الستين من عمرى . وفى هذه السن لا يكون للرجل بعد أن تهدأ فيه عواطف الشباب الصاخبة إلا أن يختار أحد هذه الطرق الثلاثة : جمع المال أو التعلق بالمطامح أو الانصراف إلى الفلسفة . أما أنا فلست أومن إلا بطريقتين من هذه الطرق فقط . لأن الطموح سوف يستقر إن عاجلا أو آجلا الى أحد الطريقين الآخرين

ولست أدعى أننى فيلسوف فان هذا لقب أسمى من أن أصل اليه . . . وهو أيضا لا يتفق مع خلقى . . . ولكن حياتي مع ذلك كانت متسعة الآفاق متشعبة الاطراف . فقد نعمت بجاه الثروة وذقت مرارة الفقر وتقلبت على فراش المرض والسقم وغامرت بحياتى فى الحروب وفقدت كثيرا من الاصدقاء وألقيت فى غياهب السجون وعرفت الحب والايمان والالحاد . بل اننى — ولتصدق هذا القول أو لا تصدقه — أستطيع أن أزعم أننى عرفت الناس . ولا تحسبن أن هذه عبارة جوفاء حمقاء . . . انها ليست كذلك . . . لان الرجل الذى يريد أن يعرف الغير ويفهمهم يجب أن ينسى شخصيته أولا ويجب أن يستبعد من تقديره الاثر الذى يتركه فيهم . والرجال الذين يستطيعون أن يروا الغير على هذا النحو قليلون . . . نعم قليلون وأؤكد لك ذلك

ها أنا الآن أمامك . . . وأنا الرجل المثقل بالخطيئة . . . الذى تسير أيامه فى سرعة وثبات نحو نهايتها أحب أن أتأمل معك . فى أمر هذه الحياة قليلا

اننى رجل عجوز . . . ووحيد . . . ولن يتسنى لك أن تدرك كيف تمر الليالى بطيئة متثاقلة على من كان مثلى . ان قلبى ليعى آلاف الذكريات العامرة بالحياة . . . عن نفسى وعن غيرى .

ولكن أن يمضغ المرء ذكرياته ويجترها كما تجتر البقرة علفها فهذا أمر . . . وأن يزنها ويرعاها في حكمة وتقدير فهذا أمر آخر . . . هو ما أسميه الفلسفة أيضا

كنا نتحدث عن المصادفة والقدر . وأنا أوافقك كل الموافقة على أن احداث الحياة ليست الا أمورا لا ادراك لها ولا تبصر فيها ولا غاية تسعى اليها . . . وانها فوق ذلك كله متقلبة فى أهوائها غنية بحماقاتها . ولكننى لا أستطيع أن أشك قط فى انها تسير وفقاً لقانون صلب لا يرحم ولا يلين . وقد يمر الشيء ولكنه يعود ثانية الى الظهور . . . يخلق من جديد . . . من شيء تافه أو من لا شيء اطلاقا . . . ثم يمضى فى الحياة مكتوبا آنا بنار الالم والعذاب ومتهللا آنا بنسم الفرح والسرور حتى يصل الى القمة . . . الى الغاية التى لا غاية وراءها . . . ثم يهوى بعد ذلك ويتلاشى . . حتى تقدر له العودة ثانية . . كأنما يدور بنفسه مع الزمن . . وهكذا . . وهكذا . . الى غير فراغ أو نهاية

ولقد تعترض على ذلك وتقول : لو أن لهذا القانون وجودا فى الحقيقة وواقع الامر لأدركه الناس من قديم الزمن ولكشفوا سره واستطاعوا أن يعرفوا حدوده . ولكننى أقول لك كلا . اننا معشر البشر كالنساجين نجلس الى منسج هائل لا نستطيع أن ندرك مدي طوله أو عرضه أو اتساعه . ونحن نرى أمام أعيننا مختلف الالوان من أزرق وأرجواني وأخضر وكلها تتحرك بغير انقطاع ولكن لانها قريبة منا جدا فنحن عاجزون عن تبين صورتها . أما الذين فى وسعهم الارتفاع بذواتهم فوق مستوى هذه الحياة . . فوق المستوى الذى نعيش فيه . . . أما الادباء والانبياء والحالمون والقديسون والشعراء فهؤلاء تتاح لهم — أحيانا — الفرصة لكى يلمحوا فى نظرات خاطفة سريعة ما تضطرب فيه هذه الحياة وقد تهديهم فطرتهم الحادة الملهمة الي أن يرسموا للدنيا نظاما جديدا تتبعه وتسير عليه

انك تظن اننى أسرف فى التعبير عن آرائى . . . ولكن مهلا فقد أستطيع أن أوضح نفسى قليلا دون أن أرهق صبرك أو أصيبك بالسآمة والملل . . . ومع ذلك فماذا يستطيع المرء أن يفعل أثناء سفره بالقطار الا أن يتحدث ؟ .

كما أننى أوافقك أيضا على أن للطبيعة قوانين حكيمة تتصرف فى حركة الكواكب والنجوم كما تتصرف فى عملية الهضم عند الحشرات والهوام . وأنا أومن بهذه القوانين وأحمل لها الاحترام والتبجيل . ولكن هناك « شيئا » أو « شخصا » ماهو أقوى من القدر وأعظم من الدنيا . وأنا

أحب أن أطلق عليه — اذا كان « شيئا » — اسم قانون السخف المنطقى أو قانون المنطق السخيف أيهما تشاء . فأنا أعترف بالعجز والقصور عن التعبير كما ينبغى لهذا المقام من الدقة والاتقان . كما أحب أن أقارنه — اذا كان « شخصا » — بالشيطان أو بابليس . . . كلا فما الشيطان بجانبه الا دمية صغيرة لا خطر لها ولا ضرر منها

انى لارجو أن تتخيل لنفسك هذه القوة الهائلة التى تتحكم فى الدنيا . . . التى تغرم الى حد الوله بالحيلة والخداع . . . التى لا تعرف الخير أو الشر ولكنها تعرف الصلابة القاسية دون رحمة أو لين . . . هذه القوة الفطنة الذكية . . . العادلة أيضا مع العجب . لعلك لا تستطيع أن تدرك ماذا أعنى . فدعنى اذن أفسر لك هذا الكلام بالامثلة

خذ نابليون . حياة حافلة تكاد تبلغ حد الاعجاز فى عظمة شخصيتها وبروز قوتها . ثم انظر كيف انتهى به الامر . . . فى جزيرة جرداء قاحلة وبعد مرض قاتل . . . قضى وهو يشكو متذمرا من أطبائه ومن طعامه ومن وحدة كهولته . . . انى لا أرى فى هذه النهاية الاليمة الا ضحكة الاستهزاء أو بسمة السخرية انطبعت على وجه ذلك « الشخص » الغامض الخفى . انى لارجوك أن تتأمل في هذه الحياة قليلا . . . ودع عنك — ولو الى حين — ما سمعته من آراء الكتاب والمؤرخين والعلماء . . . ثم قل لى كيف تراها . . . لا أخالك الا ناظرا معى ذلك الخليط العجيب من السخف والمنطق الذى لا أستطيع أن أجد له تعليلا أنا نفسى

ثم خذ أيضا الجنرال سكوبيلوف : ذلك الرجل الممتاز العظيم ذو الشجاعة التى لم تعرف لها حدا قط . . . ذو العقيدة الراسخة بقدرته على التحكم فى مصيره دائما . . . كم سخر ذلك الرجل من الموت وكم افتتن بالخطر وكم اندفع اليه مستخفا به . . . . كانما به شوق ملح الى اقتحام الاهوال . . ثم انظر كيف قضى . . . مات على فراش حقير . . . فى غرفة صغيرة مأجورة . . . وفى صحبة البغايا والعاهرات ! . . . انى أكرر القول : هذا أمر سخيف وقاس ولكنه فى الوقت ذاته منطقى . وكانما يخال لى أن مثل هذه الميتة الحزينة المؤسفة فى تباينها مع عظمة الحياة انما هي ضرورة لازمة لكى تتم بها وتنتهى اليها

وقد أدرك القدماء هذا « الشخص » الخفى ورهبوه . . . ولكنهم أخطأوا فهم سخريته اذ حسبوها حسد الاقدار

انى اؤكد لك . . . كلا . أعني أننى لا أوكد لك . بل اننى أنا نفسى واثق من ان الحياة علي

هذه الارض بعد فترة من الزمن — هبها ثلاثين الفا من الاعوام — ستكون جميلة .. رائعة الجمال ستكون فيها يومئذ القصور والحدائق والنافورات .. وستخلو يومئذ من الاعباء التى يحملها بنى البشر اليوم .. ستخلو من الرق ومن الامتلاك الفردى ومن الظلم والجور والاكاذيب . وسيبطل فيها المرض ويفرغ منها الموت .. وسيضيع الحسد وتتلاشى الرذيلة ويصبح كل الناس اخوانا .. يومئذ عندما يمر هو — ذلك « الشخص » — فى الكون سينظر الينا عابسا فى خبث ثم مبتسما .. وبعد ذلك سينفخ فى هذه الدنيا .. فاذا كلها تستحيل الى هباء ... واذا بهذا الكوكب الجميل ينتهى الى العدم والفراغ . اننى لأتوسل اليك أن تفكر معى فى هذا المصير المفزع المروع الذى ستؤدى اليه الفضائل الكونية اذا استطاع الناس ان يصلوا الى درجة الشبع والتخمة الكاملة منها

ولكن لماذا اتخذ الامثلة على هذا الرأى من شواهد عظيمة كالكون أو نابليون ؟ اننى نفسى استطعت — فى الفينة بعد الاخرى — أن ألمح وميضاً من أثر هذا القانون الغامض العجيب فى توافه الحياة العادية . واذا شئت فسأخبرك بحادثة صغيرة رأيت فيها البسمة الساخرة ترتسم على وجه هذا الآله

كنت مستقلا القطار من تومسك الى بطرسبرج فى احدى عربات الدرجة الاولي .. وكان معى فى الديوان مهندس شاب قصير القامة بدين الجسم طيب القلب تتمثل فى وجهه الملامح الروسية التى لا يمكن أن يخطئها من يراها مرة واحدة . وكان شابا جذاب الحديث يأنس اليه المرء فى الفة عجيبة . وقد أعطانى فراشه وساعدني فى وضع حقيبتى على الرف وكان تصرفه معى كريما الي درجة أخجلتنى فعلا . ولما وصل القطار الى احدي المحطات ابتاع شيئا من الخمر والطعام وحاول بكل بساطة واخلاص ان يحمل الموجودين معه على مشاركته فى الطعام

أدركت أنا على التو أن قلبه يكاد يفيض بما يحمل من السعادة ... وانه يود أن يرى قلوب جميع الناس حوله تفيض بالسعادة مثله

وقد كان هذا هو الواقع فعلا . . فبعد عشر دقائق اتجه نحوى وبدأ فمه يتدفق بالحديث والكلمات تتسابق علي شفتيه ولسانه . والعجيب انه ما بدأ قصته حتى التوى الموجودون معنا فى مقاعدهم وأخذوا يطلون من نوافذ القطار ويرقبون فى اهتمام غير مألوف ما يمر أمام أعينهم من المناظر والمشاهدات . وقد علمت فيما بعد أن كلا منهم قد سمع هذه القصة قبل ذلك عشر مرات على الاقل . وها قد جاء دورى الآن لسماعها

كان ذلك المهندس قادما من الشرق الاقصى بعد أن قضى هناك خمس سنوات من حياته لم ير في اثنائها احدا من اسرته التي كانت تقيم في بطرسبرج . وقد كان يظن في بادىء الامر انه يستطيع الفراغ من المهمة التي ذهب اليها في مدى عام على الاكثر ولكنه تأخر لدواع رسمية في عمله اولا ثم بدا له بعد ذلك أن يبدأ في بعض المشروعات التي تدر الربح الوفير . ولما اتسع نطاق أعماله وتضاعف كسبه منها أصبح من المتعذر عليه أن يهملها . ولكنه الآن استطاع أن يسوى كل شيء وها هو يرجع الى وطنه بعد الجهاد الشاق الطويل ... فمن ذا يلومه على ثرثرته ؟ لقد عاش خمس سنوات بعيدا عن بيته واهله ... وها هو يرجع اليهم الآن شابا ناجحا موفور الصحة عامر القلب بالحب . فكيف نريد منه أن يفرض الصمت على لسانه وأن يغلب هذه الرغبة الملحة في الحديث ؟

ثم سرعان ما انتقل الحديث الى أسرته فقال ان اسم زوجته هو سانوشكا وان اسم ابنته هو يوروشكا . وقد تركها طفلة صغيرة في الثالثة من عمرها وعلق على ذلك قائلا « تصور هذا ياصديقي انها الآن فتاة كبيرة .. نعم فتاة تكاد تقف على اهبة الزواج »

ومضى يتحدث عن زوجته وعن الفقر الذي ذاقا مرارته في أول عهدهما بالحياة الزوجية حينما كان لايزال طالبا في السنة النهائية وكان لايملك الا « بدلة » واحدة . وكيف كانت يومئذ لازوجته فحسب بل صديقته وممرضته وأمه وأخته ... كلها معا

وفجأة ضرب صدره بقبضة يده وعلا وجهه احمرار الزهو والاعجاب ولمعت عيناه وهو يقول « لو كنت تعرفها ياسيدي ! . ولكنك تقطن في بطرسبرج . اليس كذلك ؟ اذن فلا بد من أن أقدمك لها . ولا بد من أن تحضر لزيارتنا . نعم لابد من حضورك . ولسنا نقبل منك اعتذارا .. شارع كيروشيانا رقم ١٥٦ . سأقدمك لها وستراها وتحكم عليها بنفسك . انها خير من ملكة هذه العزيزة ... ! انها كانت دائما الغادة الحسناء في حفلاتنا الراقصة . ولكنك ستحضر لزيارتنا على التحقيق . والا فان تخلفك يسيئني كثيرا »

ثم ناول كلا منا بطاقة كتب عليها عنوانه في منشوريا وفي بطرسبرج وقال ان هذا المسكن الفاخر الجديد لم تستأجره زوجته الا منذ عام واحد فقط بعد الحاح شديد من جانبه . وذلك حينما اتسعت أعماله وزادت ثروته

ومضى يتحدث دون انقطاع . وكان حديثه كالسيل الدافق . وفي كل المحطات الهامة التي وقف

فيها القطار كان يرسل اشارة برقية خالصة الرد باسمه فى المحطة التالية او فى القطار رقم ... بالدرجة الاولى . والواقع انه كان مشهداً يستحق أن يراه المرء حين كان الساعى يجيء بين الحين والآخر وهو يصيح « برقية للسيد (فلان) الراكب فى الدرجة الاولى » . كان يخال لى أننى أرى حول رأسه فى تلك اللحظات هالة من النور كتلك التى يقال انها لاتكون الا للقديسين ... وكان يأخذ البرقية من الرجل ثم يعطيه « البقشيش » فى زهو واعجاب .. بل لعلى لا اغلو اذا قلت أنه كان يود لو يعطي كل الناس شيئاً ما ... ان يمنحهم الرضى والسعادة اذا استطاع . بل انه أعطانا بالفعل ... أعطي كل واحد منا تذكارا صغيرا من الازرار وقطع المصوغ والخواتم والصور. وكان بعضها فى الواقع ثمينا ... ولكننا لم نستطع رفضها وان كنا شعرنا بكثير من المضايقة والارتباك لاضطرارنا الى قبولها ... ولكنه كان يرجونا ويلح علينا فى حماسة واخلاص لم يجعل لنا بد من القبول

وكان يحمل فى حقائبه ومتاعه مخزنا كاملا من هذه الهدايا . . كلها لزوجته وابنته . . . وبعضها ثمين . وكانت مكونة من ملابس صيفية فاخرة وقطع من الفراء وتماثيل من العاج والذهب وعدد كبير من المراوح الملونة والصناديق المطلية واطارات الصور الجميلة . ولكننى مهما ذكرت لك فان أستطيع أن أصل الى تصوير تلك الرقة والحماسة اللتين كان يتحدث بهما وهو يقلب أمامنا هذه الهدايا . ان هذا أمر لا يدركه المرء تماما الا اذا رآه وسمعه بنفسه . وقد يكون حبه أعمى لاتبصر فيه . . أو قد يكون صاخبا أو أنانيا ... ولكننى أؤكد لك فى يقين يصل الى حد الايمان أننى استطعت أن أرى فى هذا الرجل حبا حراً حقيقيا .. حبا على درجة حادة قاسية من الضغط والتوتر

واننى لأذكر الآن أيضا كيف أن رجلا بترت ساقه أثناء محاولته الحاق عربة جديدة بالقطار فى إحدى المحطات ... وكيف أثارت هذه الحادثة من الهرج بين الركاب والمسافرين الذين سارعوا إلي مشاهدة المصاب - ولا تنس أن المسافرين هم أفرغ الناس عقولا وأقساهم قلوبا - . وكيف لم يطق صاحبنا المهندس البقاء فى هذا الجمع المحيط بالرجل فسارع إلى ناظر المحطة وتحدث معه برهة قصيرة وناوله أذنا بمبلغ من المال ... مبلغ غير قليل فيما أظن وفيما يخال لى من مظهر الاحترام العميق الذى بدا على الموظف وهو يرفع قبعته شكرا له وعرفانا لجميله ... اننى لاذكر ذلك الآن واذكر انه حدث بسرعة عجيبة حتى لقد وقع ومر دون ان يلحظه احد غيرى . ولكن هذه الامور كما تعلم لايمكن

أن تمر دون أن تراها عيناى . ثم أمر آخر لايفوتنى أن أذكره لك ... ذلك انه انتهز فرصة عطلة القطار وأرسل الى زوجته برقية جديدة أخرى

انى لأتمثله الآن وهو يسير على افريز المحطة خارجا من مكتب التلغراف وقبعته البيضاء مائلة الى مؤخر رأسه وسترته الطويلة المصنوعة من الحرير الاسود تسبغ عليه مظهر الجد والوقار . . . وقد تدلت من أحدى كتفيه نظارة مكبرة من نظارات الميدان وتعلقت بالكتف الاخرى محفظة من محافظ الورق . كانت تبدو على سيماه اذا ذاك علامات القوة والصحة والحيوية الزاخرة وكانت ملامحه صريحة واضحة حتى لقد خلته صبيا ساذجا موسرا من صبيان الريف

فى كل محطة كبيرة كانت تصله برقية .. كان يهرع بنفسه الى المكتب وهو يسأل عنها . . . يالطفل المسكين ! لم يستطع أن يحتفظ بسعادته لنفسه ... فكان يقرأ لنا البرقيات بصوت عال كأنما لايشغلنا من أمور الدنيا شيء سوى سماع الانباء عن أسرته الحين بعد الحين . « نرجو أن تكون بخير . نرسل لك قبلاتنا وننتظر وصولك بفارغ الصبر . سانوشكا . يوروشكا » « نتتبع سير القطار من محطة الى محطة والساعة أمامنا ، أرواحنا وقلوبنا معك »

كانت كل البرقيات متشابهة على هذا النمط .. بل لقد جاء فى احداها « أضبط ساعتك على وقت بطرسبرج . وعند الساعة الحادية عشرة تماما انظر الي النجم الاول من نجوم الدب الاكبر . سأفعل أنا ذلك أيضا »

وكان معنا بالقطار راكب أظنه صاحبا لاحد مناجم الذهب فى سيبريا أو مديرا له .. كان رجلا ذا وجه جاف طويل وحاجبين كثيفين سوداوين ولحية نامية بدأ الشيب يتمشى فيها . وكان فيما بدا لى رجلا مجربا واسع المعرفة باحداث الدنيا وأمور الحياة .. فلم يطق هذه الخفة من المهندس وتوجه اليه بالحديث قائلا « اتدرى أيها الشاب انه لافائدة من اساءة استعمال الرسائل البرقية على هذا النحو ؟ »

فاجابه متسائلا « ماذا تعنى بهذا ياسيدى ؟ ماذا تعنى بقولك لافائدة ؟ »

فقال الرجل « أعني انه من المستحيل علي امرأة أن تبقى بمثل تلك الحالة العصبية القلقة التى تضعها فيها طوال هذا الوقت ... ينبغى أن تكون اكثر رعاية واشفاقا على أعصاب الغير »

ولكن المهندس ضحك ملء شدقيه وضرب ركبتيه بيديه وهو يقول

« آه ياسيدى ... اننى أعرفكم يارجال العهد القديم ... أعرفكم تماما ... انكم دائما تفضلون العودة الى منازلكم فى هدوء وسكون ودون أن يكون عند ذويكم خبر سابق بموعد عودتكم »

فرفع الرجل حاجبيه وهو ينظر اليه مبتسما ويقول « حسنا وماذا فى هذا ؟ .. لا أظن فيه ضررا ما »

وانتهى حديثهما عند هذا الحد

والتحقت بنا جماعات من المسافرين فى محطة نرهتى ... وكذلك فى موسكو .. وكانت ثورة صاحبنا المهندس لاتزال فى أشدها حتى لقد فكرت فيما عسى أن يكون من أمره . كان سباقا الى التعارف بالغير ... متدفقا فى حديثه كالسيل . ناصحا للمتزوجين الا يفرطوا فى قدسية البيت . . معنفا العازبين على الفوضى التى تزخر بها حياتهم .. متلطفا مع السيدات فى وصف حب واحددائم متحدثا مع الامهات عن ابنائهن .. ثم يجتمع كل هذا الحديث المتشعب الاطراف المتعدد النواحي فى آخر الامر عند اسم واحد وامل واحد هو زوجته سانوشكا وابنته يوروشكا .. اننى الآن لاذكر وأنا اكتب لك هذا قصة رواها عن ابنته : وقد خطر لها ذات مرة ان تداعب قطتها فامسكتها من ذنبها .. ولكن القطة لم ترق لها هذه المداعبة فماءت . والتفتت اليها امها وهي تقول « كفى عن هذا يايوروشكا ... انك تؤذين القطة » فأجابت الطفلة « كلا يا اماه .. انها تحب ذلك »

كان هذا حديثا رقيقا لينا مؤثرا .. ولكنه كان فى الوقت ذاته — الى حد ما — مملا

وادركنا الصباح التالي ونحن نكاد نصل الى بطرسبرج .. كان يوما ثقيلا عابسا ممطرا ... ولم يكن فيه ضباب بالمعني الصحيح ولكن الجو مع ذلك كان مشبعا بسحب قذرة فبدت لنا أشجار الصنوبر الممتدة على جانبى الطريق بين التلال المتناثرة كانما هي زوائد نابتة من الارض . واستيقظت انا فى ساعة مبكرة وذهبت الى الحوض للاغتسال . وعند عودتى قابلت المهندس واقفا الى احدى النوافذ وهو يمسك فى يده ساعة ويتردد ببصره بين الساعة والنافذة على التعاقب

اقرأته تحية الصباح وسألته عما يفعل فاجاب تحيتى وقال « انني اختبر سرعة القطار .. انه يسير بسرعة لاتقل عن ستين فرسخا فى الساعة »

« وهل تختبر سرعته بساعتك ؟ »

« نعم : : . فهذ أمر سهل للغاية . . ان المسافة بين كل عمود من أعمدة التلغراف والذى يليه واحد على عشرين من الفرسخ والقطار يقطع هذه المسافة فى أربع ثوان فهو اذن يقطع خمسا وأربعين فرسخا فى الساعة . واذا قطعها فى ثلاث ثوان فهو يقطع ستين فرسخا فى الساعة . واذا قطعها فى ثانيتين فهو يقطع تسعين فرسخا فى الساعة وهكذا . ولكنك تستطيع أن تقدر سرعته دون الاستعانة بالساعة إذا أمكنك أن تعد لنفسك الثواني عدا مضبوطا . . . وهذه خاصة يتميز بها ضباط الجيش النمساوى »

ومضى يتحدث على هذا النحو فترة من الزمن وقد بدا القلق فى حركات يديه وشاع الاضطراب فى نظرات عينيه . وأدركت أنا أن ذلك الحديث المفتعل عن تقدير سرعة القطار ليس إلا وسيلة يحاول بها أن يخفي قلقه ويخدع تبرمه

ثم أصبح من العسير ن نراقبه بعد أن تجاوز القطار محطة لوبان . . . كان يبدو شاحبا نحيلا وهل أقول أيضا مسنا ؟ . . ثم الاروع من هذا وذاك انه سكت عن الحديث وادعي التلهي بقراءة جريدة . . ولكنها كانت طريقه مكشوفة لاخفاء قلقه . . . والا فهل كان مستطيعا أن يفضح هذا الاضطراب بأكثر من أن يمسك بالجريدة مقلوبة . . . ثم ما يكاد يمر ببصره فيها بضع دقائق حتى يقوم مندفعا الى النافذة . . ثم يعود الى الجلوس ثانية كأنما يستحث القطار على الاسراع في السير . ثم ينطلق الى النافذة مرة أخرى ويحاول أن يختبر سرعة القطار . . ثم يهز رأسه ذات اليمين وذات الشمال : انى لاعلم تماما — ومن منا لا يعلم ؟ — ان أسابيع الانتظار وأيام الترقب لا تعد شيئا مذكورا بجانب الساعات الاخيرة . . بل بجانب الدقائق الاخيرة منها

وأخيرا لاح سيمافور الاشارة وبدأ القطار يجتاز تلك الشبكة الكبيرة من القضبان الحديدية المتقاطعة التى توجد خارج المحطات الكبيرة ودخل يتهادى الى الافريز الغاص بالمنتظرين الصاخب بأصوات الحمالين . فلبس المهندس سترته وحمل حقيبته فى يده وسار فى ممر العربة متجها نحو الباب ومتأهباً للنزول . وكنت أنا اذ ذاك واقفا الي احدى النوافذ لانادى حمالا يأخذمتاعي؟ ولكنني استطعت أن أراه فى وضوح تام وهو يتأهب للنزول من الباب الى الافريز . وأطل هو الى ناحيتى ثم حنى لي رأسه وتبسم فهالنى هذا الشحوب البادى على وجهه

ولمحت عن قرب سيدة طويلة القامة ترتدى قبعة كبيرة من القطيفة وتضع على وجهها نقابا أزرق وهي تسير حذاء العربة التى كنا فيها وتصطحب معها فتاة صغيرة ترتدي معطفاً أسود . لم يكن

هناك أى ريب فى أنهما تبحثان عن شخص ما ولـكنهما مرتا به دون أن يلتفتا اليه . وفجأة سمعت المهندس وهو يصيح فى صوت مختنق متهدج عجيب « شانوشـكا »

يخال لى أن الاثنتين التفتتا اليه على التو . . وفجأة سمعت نواحا حادا مفزعا . . صوتا لن أنساه ماحييت . . صرخة جمعت الاضطراب والفزع والالم والنواح والهول . . بما لم يكن لى عهد به من قبل

وفى لحظة أخرى رأيت رأس المهندس دون قبعته بين القطار والافريز . ولـكننى لم أستطع أن أرى وجهه فان الامر كله مر فى برهة قصيرة هى البرق الخاطف . . ثم انتهي كل شيء

ودعيت للادلاء بمعلوماتي كشاهد . وكان على واجب آخر هو عزاء هذه الزوجة المفجـوعة والترويح عنها . . ولـكن كيف السبيل الي ذاك فى مثل هذا المقام ؟ . . لقد رأيته أنا أيضـا . . شلاء مبعثرة من اللحم الدامى . . كان قد قضى حين أخرجوه من تحت القطار . فالظاهر ان ساقه هي التى اشتبـكت فى أول الامر ولما حاول أن يحفظ توازنه لينقذ نفسه سقط ومرت عليه العجلات فهشمته

ولـكننى لم أ. كر لك النقطة الهامة التى قصدتها من رواية هذه القصة بعد .ففى تلك اللحظات المروعة التى لا تنسى ولا تغيب عن الذا كرة كان يملؤنى شـعور واع غريب لم يفتنى قط . « ان هذه ميتة حمقاء . . سخيفة قاسية جائرة » . بهذا ومثله كنت أحدث نفسى . ولـكن لم شـعرت منذ سمعت صيحته للمرة الاولى بأن هذا أمر محتوم ؟ . ولم بدا لى — الي حد ما طبيعيا ومنطقيا ؟ . لم حدث كل هذا ؟ . أتستطيع أن تجد له تعليلا ؟ . ألم أر عندئذ تلك البسمة الباردة المستهترة ترتسم على وجه « شيطاني ؟ »

لقد زرت أرملته بعد ذاك مرارا وكانت تسألنى عنه كثيرا . وقد قالت لى ذات مرة أنهما تحديا القدر بحبهما اللحوح وبثقتهما الراسخة فى اللقاء وبيقينهما الثابت من المسـتقبل . . . وقد يكون هذا صحيحا . . . من يدرى ؟ ففي الشرق

ومع ذلك فلست أظن أن فى هذا الحادث شيئا من تحدى القدر . . كما لست أرى فيه الا منطقا خفيا قاسيا . وقد تجد روحاهما اذ تلتقيان سعادة أعظم مما كانا يتوقعان فى هذه الدنيا : فمن يدرى ماذا كانت تخبئه لهما الايام ؟ الملل . ؟ . أو التبرم والـكراهة ؟

دكتور صبرى جرجس

ابواب المجلة الجديدة

أخبار اقتصادية

أخبار اجتماعية

المرأة و المنزل

الكتب الجديدة

حديث الادب و الادباء

أخبار اقتصادية

الاقتصاديات الالمانية

يجدر بنا أن نبسط للقارىء الاقتصاديات الالمانية كما عالجها الزعيم هتلر وأنصاره . فان مما لاشك فيه أن الخطط الجريئة التى اتبعها فى السياسة الاوربية كانت جميعها موفقة وهي تنال الاعجاب حتى من خصومه . فهل كان كذلك فى الخطط الاقتصادية ؟

ان نظرة خاطفة للاقتصاديات الالمانية الهتلرية تدل على النجاح . والخطط التى اتبعت كانت جميعها من البدع التى لاتعرف فى كتب الاقتصاديات . ولذلك يشق على الذى يدرسها أن يصفها إذ هي ليست انفرادية ولا اشتراكية . وحقيقة وصفها أن يقال انها مزيج من الاثنين لانها تركت السعي الحر كما كان فلم تلغ الممتلكات الفردية ولكنها بسطت يدها عليها بالرقابة والاشراف . ولذلك أصبح صاحب المصنع وكأنه موظف حكومي

ولما تولى هتلر الحكم وجد أن العطل عام والمصانع مقفلة أو تكاد تكون كذلك . وليس فى البلاد غير مقدار صغير من الذهب . فكان أول ما اهتم له أن يوجد العمل للعاطلين . واتبع لذلك ثلاث طرق :

١ ـ ايجاد المنشآت العامة التى تنفق عليها الحكومة مثل المباني والطرق والسكك الحديدية واستزراع القاحل من الارض الخ

٢ ـ صنع الآلات الحربية والمدافع والطائرات والذخائر . وقد ذكر أحد الوزراء البريطانيين أن المانيا أنفقت لهذه الغاية منذ قيام النظام الحاضر ١٥٠٠ مليون جنيه . وليس شك فى أن معظم هذا المبلغ الضخم قد ذهب الي جيوب العمال

٣ ـ انها أجبرت جميع المصانع على أن تستخدم عدداً معينا من العمال لا يمكنها أن تستخدم أقل منه وبهذه الطرق الثلاث تمكنت من استخدام اكبر عدد من العاطلين . وقد يتساءل القارىء كيف يمكن المصنع أن يستخدم عدداً من العمال لايرى انه محتاج اليهم فينتج من البضائع اكثر مما يطلب منه ولايجد من يشتريها . وهذا الاعتراض وجيه لو أننا فرضنا أن هذا الاجبار يقع

على مصنع أحد اذ كان يؤدى عندئذ الى افلاسه . ولكن الاجبار كان عاما على جميع المصانع فكانت النتيجة أن الاستهلاك زاد لأن العمال الذين عملوا وأنفقوا أجورهم على ماتنتجه هذه المصانع فدارت حركة الرواج دورة سليمة ونجحت هذه الخطة نجاحا عجيبا حتى ان هذا القانون استغنت عنه الحكومة سنة ١٩٣٤ والغته

وثم صعوبة أخرى تحتاج للايضاح فان الحكومة كانت تنفق على المنشآت العامة وعلى الآلات والذخائر الحربية ملايين الجنيهات وهى مع ذلك لاتعمد الى التضخم فتخرج النقود من المطبعة مثلا . فكيف تمكنت من الحصول على هذه الاموال ؟

تمكنت من ذلك بالاعتماد على الاقتراض من المؤسسات المالية العامة لآجال قصيرة . مثال ذلك أنها فى أول سنة ١٩٣٥ اقترضت من « صناديق التوفير » بمصلحة البريد ٥٠٠ مليون مارك فانفقتها باسرع مايمكنها على المنشآت العامة وعلى صنع الاسلحة والذخائر . أي أنها سلمتها كلها أو معظمها للعمال أجوراً على عملهم . فلم تمض أشهر حتى امتلأت هذه الصناديق باكثر من هذا المبلغ . وفعلت مثل ذلك ببنك الدولة

والنظرية هى أنه اذا مازادت الاجور عموديا وأفقيا أو عدداً وقيمة زاد الاستهلاك للبضائع المعروضة . فتزيد المصانع عملها وانتاجها . فتدور النقود فى البلاد أخذاً وعطاء وينشط الرخاء ويمكن الحكومة فى هذه الحال أيضا أن تزيد ضرائبها وتغذي خزانتها وتزيد قدرتها على ايجاد المنشآت العامة

وقد تكهن كثيرون من الذين لايميزون بين الرأى والعقيدة فى الاقتصاديات أن المانيا مقدمة على افلاس محتوم . ولكن الواقع أن الذهب بدلا من أن يخرج من المانيا كان يدخل اليها من فرنسا وهولندا

وقد احتاجت المانيا لكى تجعل نقودها تدور فى الاسواق الداخلية ولكى تحفظ المارك على قاعدة الذهب الى أن تمنع الواردات الاجنبية الا بمقدار مساواتها للصادرات . وقد رأينا من ذلك مثالا حين طلبت منا أن نشترى منها بمقدار مانبيعها . وغرضها من ذلك أن يبقى ماعندها من الذهب محفوظا لايتسرب الى الاسواق الاجنبية وقد نجحت أيضا فى ذلك

ولكن بقى بعد كل هذا شىء واحد لم تستطع المانيا أن تحله لانه فوق مقدورها وهو الحصول على المواد الخامة لمصانعها مثل القطن والكوتشوك والبترول والنيكل والقصدير . وقد أوجدت

بدلا صناعيا لبعض هذه المواد . ولكنها لاتزال فى حاجة الى المواد الخامة . وهذا هو السبب لصيحاتها المتكررة العادلة فى ضرورة وضع نظام للمواد الخامة حتى لاتكتظ بها أمة فى حين لاتجد أمة أخرى القليل منها

ميزاننا التجارى

يؤخذ من تقرير الجمارك عن صادراتنا ووارداتنا لسنة ١٩٣٤ أن فى هذا العالم أربعة أقطار ترسل الينا صادراتها وتبيعها لنا وتكسب منا ولكنها لاتشترى منا بمقدار مليم واحد من حاصلاتنا الزراعية أو منتجاتنا الاخري . وهذه الاقطار هى :

شيلى وصادراتها لنا ٨٢١ الف ج

روسيا « « ٦١٦ « «

النمسا « « ٢٨٧ « «

اسوج « « ٣٢٩ « «

ومثل هذه الحال لاترضاها أمة أخري فهذه المانيا مثلا ترفض قبول البصل أو القطن المصريين مالم نشتر منها بمقدار ماتشترى منا . ولكل من الدول نظام كهذا يجعل ميزانها التجاري مع أى أمة متعادلا أى أن الواردات تعادل الصادرات . وهي مضطرة الى ذلك وإلا انخفضت نقودها أى تضخمت . ونحن بالطبع مسئولون عن انعدام الصادرات المصرية الى روسيا لان الرفض يأتى من جانبنا . والمشكلة بيننا وبين روسيا ليست مشكلة اقتصادية فاننا نخاف دعايتها الى حد الرعب ونرفض التعامل معها رفضا يعود علينا بالضرر وعليها هى بالنفع .

أما الاقطار الثلاثة الاخرى أى شيلى والنمسا واسوج فكان يمكننا أن نعلنها جميعها بضرورة التعادل ونضطرها الى شراء محصولاتنا . وكان يمكن هذه الاقطار باقل مجهود من ناحيتها أن تشترى منا من البضائع مايعادل أو يقارب ماتبيعنا إياه من بضائعها . ولكن يبدو لنا أن حكومتنا لم تخط لهذه الغاية أية خطوة . وفى العالم من نظام الحصص والمقايضة وتحديد الواردات مايبرر لنا العمل السريع الحاسم نحو هذه الغاية

بل هناك اقطار أخرى لاتأخذ من بضائعنا بمقدار الربع أو الخمس مما نأخذه مثل بلجيكا التى باعتنا فى سنة ١٩٣٤ مابلغت قيمته ١٬٦٧١٬٠٠٠ جنيه فى حين لم تشتر منا الا بمقدار ٣١٥٬٠٠٠

جنيه فكان رجحان صادراتها لنا على وارداتها منا بمقدار ١٫٣٥٨٫٠٠٠ جنيه وهو مبلغ كبير بالمقابلة الى مجموع تجارتنا الخارجية

فاذا كانت هذه الاقطار عاجزة عن شراء محصولاتنا ومنتجاتنا فاقل مانقوم به معها أن نلتفت الى الاقطار الاخرى التي تبيعنا أقل مما نشترى منها مثل المانيا و نتفق معها على زيادة صادراتها الينا . فان المانيا ترفض شراء البصل أو القطن إلا بمقادير معينة حتى يتعادل الميزان التجاري بيننا وبينها . وهي من حيث القدرة على الاستهلاك تستطيع أن تستورد منا ضعفي ماتستورده الآن أو ثلاثة أضعافه . وكل مانشترطه أن تشترى نحن أيضا منها

دعم الصناعات المصرية

من مقال لصاحب السعادة احمد عبد الوهاب باشا

والواقع أن مصر لم تلجأ فى دعم نهضتها الصناعية الي شيء من الاجراءات الاستثنائية التى لجأ اليها كثير من البلدان ولاسيما فى العهد الاخير لحماية انتاجها الاهلى . فهى لم تقم حول أسواقها الداخلية لوقاية الصناعة أسوارا مانعة أو شاهقة من الرسوم الجمركية ولم تقيد الواردات اليها باغلال الحصص ولم تعرض قيداً ما على سوق العملة ولم تغدق الاعانات مباشرة أو غير مباشرة على شيء من صناعاتها الناشئة بل اكتفت بان أقامت حولها من التعريفة الجمركية سورا معتدلا بل منخفضا اذا قيس بما هو شائع اليوم فى اكثر البلدان ، ولئن كانت مصر قد اضطرت من اجل صناعة معينة الي اتخاذ تدبير استثنائي فانما كان ذلك لابطال مفعول عنصر جائر فى المنافسة لكي تقوم على أساس اقتصادى عادل وليس فى وسع منصف أن يطلب من صناعة عريقة بل من صناعة وليدة أن تصمد غير مسلحة بالحماية الوافية فى وجه المنافسة غير المشروعة

واذا كانت الحكومة المصرية قد رأت أن تسلك سبيل الاعتدال فى حماية الصناعة الناشئة وأن تتنكب طريق الافراط الذى انتهجه كثير من البلاد الاخرى حتى لقد تعرضت من جراء ذلك لانتقاد بعض ذوى الشأن فى مصر فهى انما فعلت ذلك مدفوعة بالرغبة فى المحافظة من جهة على مصالح المستهلكين وهم السواد الاعظم من الشعب ومن جهة أخرى على مصالح أرباب الصناعات انفسهم اذ لايخفى أن فى افراط الحماية تشجيعا لقيام مشروعات غير اقتصادية ليس من المصلحة العامة فى نهاية الامر تشجيعها على الظهور

تلك اذن هى الاسباب الداعية والظروف الملابسة للنهضة الصناعية فى مصر . ولاشك فى أن مجرد استعراضها كفيل بان يبرر التفاؤل لها بمستقبلها مليء بالاحتمالات الموفقة . والحق انه اذا كان بعض الصناعات عندنا قد استطاعت بالرغم من صعوبات البداية ومع الاكتفاء بحماية جد معتدلة أن تنمو وتزدهر فاولى لها وقد جاوزت مرحلة الطفولة أن تواصل التقدم بخطوات ثابتة فى طريق مأمون

أخبار اجتماعية

التعليم بالمتاحف

ألقى الدكتور جون نيتل محاضرة فى قاعة يورث عن طريقة جديدة يبتكرها بمعاونة احدى الجمعيات السيكلوجية فى سويسرا لتعليم الفلاحين المصريين . وجون نيتل هذا سويسرى يحترف الادب ويؤلف القصص ، وكانت آخر قصصه قصة « الدكتور ابراهيم » وهي تصف حياة طبيب مصرى يحاول أن يقوم باصلاحات صحية واجتماعية لوطنه ولكنه يصطدم بعوائق كثيرة وفى هذه القصة من لاذع النقد للموظف المصري والموظف الانجليزى مايجب أن نقبله بالتسليم لانه فى كثير من المواضع صحيح ولان عطف المؤلف على مصر واضح وهو السبب لهذا النقد

والمؤلف يقيم منذ سنوات فى عين شمس ويعيش فى بيت كأنه صورة سويسرية بارزة قد خطت فى أرض مصرية . وقد اهتم منذ مدة بعيدة بتعليم الفلاحين أى بهذه المشكلة العويصة التى حاولنا أن نحلها بالمدارس الاولية والمدارس الالزامية فخرجنا بنتائج من الاثنتين لاتسر مصريا مخلصا لبلاده لاننا أوجدنا بهما نظاما للتعليم هو نظام ميت كأنه الهيكل العظمى بلا روح

والتعليم من الموضوعات التى تشغل الاذهان الكثيرة هذه الايام اذ هو القسم العملي من الفلسفة اذا قصدنا بهذه الكلمة الاخيرة اصلاح الناس ورفع مستواهم الخلقى والثقافى . وقد مات من أيام عالم سيكلوجى يدعى بافلوف ربما يذكره الجيل القادم كما نذكر الآن داروين . والخلاصة التى يستنتجها الدارس لهذا العالم أن التربية الاولى أيام الطفولة يمكنها أن تحيل البشر اذا كانت سيئة الى بهائم ووحوش كما يمكنها أن تحيلهم اذا كانت حسنة الى ملائكة أبرار

وفى كل مدينة متمدنة أو تنشد التمدن نجد الاهتمام كبيرا جدا بالتربية . والزعيم العظيم مثل اتاتورك كمال يلتفت الى التعليم ويعنى به بمقدار التفاته الي اى شىء خطير آخر فى الامة لانه يعرف أن مستقبل الحضارة يتوقف على مزاج الجيل القادم وهل هو ناشىء على الجد أو على العبث وعلى النظر السليم للشئون الاجتماعيه أو على النظر المريض

وفكرة الدكتور نيتل تنحصر فى نشر التعليم عن طريق المتاحف بحيث يتعلم الفلاحون وكأنهم يتفرجون وهو يقصد الى ان تقوم وزارة المعارف بانشاء متاحف جوالة كل متحف يحتوى على

مجاميع ويطوف فى أنحاء الريف أما فى ذهبية اذا كانت فروع النيل أو النيل ذاته يمكن من ذلك واما فى اتومبيلات كبيرة تتوغل فى أنحاء الريف وتحمل هذه المجاميع مع معلم يبسطها أمام سكانه ويشرحها . وليس المعلم رجلا جافا كهذا الذى عرفناه فى طفولتنا . لان هذا المعلم الجديد يجب أن يعرف قيمة القراجوز فى التعليم وهى قيمة يضحك منها المعلمون العاديون ، ولكن المفكر الاجتماعى يرى فى القراجوز بذرة للتعليم بل فرصه ذهبية للتنوير العام وللتشوق الاكيد للثقافة العالمية

هذا المعلم الجديد يجب أن يعرف كيف يهىء فرقة تمثيلية من الفلاحين لكى يمثلوا روميو وجوليت أو هامليت أوشيلوخ وكيف يتناول الجهاز السينمائى لكى يعرض عليهم « فلم الحياة » أو يعرض عليهم الجغرافيا فى مناظر سينمائية جميلة . وكيف يحل أمامهم الفنوغراف ويوضح آلاته ويركبها لكي يدركوا شيئا من عبث الحضاره القائمة . بل عليه أن يعرف كيف يجعلهم يقيمون مزولة فى القرية يعرفون بها الوقت مضبوطا دقيقا لاتبلغ دقته الساعات الآلية كما عليه أن يريهم جبال القمر من تلسكوب صغير

والآن يتساءل القارىء : ماذا تحمل هذه المتاحف؟

فالجواب أنها تحمل هـذا الذى ذكرنا وتحمل مجاميع عديدة من الاحجار والمعادن والصور والنباتات والطيور المحنطة والهياكل العظمية والصور ونماذج للصحة وأخرى للامراض . وكل مجموعة من هذه المجموعات تعرض على الفلاحين وتشرح . فالفلاح يقعد أو يقف وهو يتفرج ويتعلم . وفى غضون هذا الشرح يعلم الالفاظ والحروف . بل يعلم الفلسفة فيشرح له كيف ان حرف A و B الانجليزيين من حروفنا المصرية الهيروغليفيه القديمة الحرف الاول يمثل رأس الثور والثاني يمثل البيت . ورسم الحرف الثانى لايزال رسم بيت . ويشرح هذا التطور الطويل الذى نقل حروفنا قبل ٦٠٠٠ سنة من منفيس الى لندن

وتعرض على المتفرجين المتعلمين نماذج الهياكل العظمية للفرخ والكلب والارنب والانسان والسمكة فيتعلمون أشياء كثيرة . ومجموعة أخري من الاحجار توضح لهم الشهب الساقطة من الكواكب وتبر الحديد أو الذهب ومجموعة ثالثة من البذور يعرفون منها الفرق بين الباق والحصيد بمجرد النظر الى البذرة الصماء والبذرة المنفلقة مع مناظر سينمائية أو صور فتوغرافية عن النمو والاثمار وتأثير الاسمدة المختلفة ومجموعة رابعة تمثل الطيور وبعض الحيوانات المحنطة ، بل ينقل اليهم فيل من الجبس يمثل الفيل الذى كان يعيش فى الفيوم قبل خمسة ملايين من السنين وهو فى

قدر الحمار - ويشرح لهم كيف انقرض

هذه هى فكرة الدكتور نيتل . وهى فكرة جليلة ، وظنى أن كل متحف يحتاج الى الف جنيه ومائتان من هذه المتاحف هى خير لنا الف مرة بل مليون مرة من المدارس الاولية والالزامية التى يتعلم فيها صبياننا كيف يكرهون التعلم

كمال اتاتورك والروح المدني

كان فى تركيا فى عهدها السابق مدن كبيرة ، ولكنها كانت كذلك بالحجم أو بالتعداد فقط لانها كانت فى حقيقتها قرى كبيرة أو مجموعة من المنازل المتراصة . أما المدينة بمعناها الحديث فلم تكن قائمة فى تركيا أيام السلاطين

وذلك أن المدينة تعنى هيئة مستقلة لها مجلس بلدى يقوم فيها مقام البرلمان فى القطر . ويؤدى لها من الاعمال ما تعود على سكانها بالراحة بل بالرفاهية . ثم ان المدينة فى عصرنا الحاضر يجب أن تعرف الحركة الصناعية وماتشمله من نشاط اجتماعى بين طبقات العمال وغيرهم والا فهى مجموعة من المستهلكين الذين يعيشون بين جدرانها كانهم فى مصيف أو مشتى . وقد كان هذا شأن المدن التركية فى العهد السابق . قرى كبيرة يعيش سكانها ولا يشتركون فى نظام حكمها وليس لهم رأى فى ادارتها أو اصلاحها او رقيها

ولكن الزعيم كمال اتاتورك أدرك هذا الداء وعمل منذ أن تولى الحكم على اصلاحه . فأعاد للمدينة التركية حياتها بانشاء المجالس البلدية وتخويلها الحقوق الكبيرة . وأصبح كل ساكن ناخباً سواء أكان امرأة أو رجلا وأصبح لكل مدينة برلمانها الصغير الذى يهتم بشئونها الاقتصادية والاجتماعية ، وقد أصدرت الحكومة التركية احصاء حديثاً عن الاعمال التى أتمتها هذه المجالس نذكر بعضها

فقد شيدت هذه المجالس فى السنوات العشر الماضية ٤٠٤١ بناية حكومية ونحو ذلك كما شيدت ٣٢٨٧ بناية عامة كالمكاتب والمدارس ونحوهما ، وانشأت فى هذه المدة أيضاً ٣٦٢ حديقة للتنزه و ٢٦١ ميدانا للعب والرياضة . و ٤٧٧ سوقا عامة . و ١٥٢ مجزرة و ١٣٠ نصبا تذكاريا و ٢١ مستشفى و ٢٨ مستوصفاً و ٤٤ عيادة

وهذا الى تزويد ١١٦ مدينة بالضوء والقوة الكهربائيتين . و ٢١٢ مدينة بالماء المقطر . كما

أنشىء أيضاً فى هذه المدة ١٤٧١ جسر فوق القنوات وبين أنوف الجبال . ويبدو من هذا الاحصاء أن ما أنفقته هذه المجالس سنة ١٩٣٤ بلغ ٦٠٠ر١٧ ليرة تركية وزعت كما يأتى :

٣٧٣ر٤٣٩ر٣ للبناء

٢٢٥ر١١٤ر٣ نفقات مختلفة

٧٤٥ر٧٧٩ر٣ الاضاءة والنظافة

٠٠٠ر٢٢٢ر١ الاعمال العامة

٧١٧ر٩٣٦ر١ الاعمال الصحية

هذه خلاصة قصيرة لما قام به نظام « الحكم الذاتى » فى المدن التركية فى حركة التمدين العام الذى يفشيه الزعيم كمال اتاتورك بين الاتراك وهى حركة جديدة لم يعرفها الاتراك من قبل . فقد كان الوالى يحكم المدينة التركية حكما اتوقراطياً كما كانت تركيا جميعها تحكم بالسلطان حكما اتوقراطيا . ولكن كمال اتاتورك رأى أن يعزز النزعة الديمقراطية الجديدة فى أنحاء تركيا بايجاد هذه البرلمانات الصغيرة حتى يتعلم الجمهور طرق الحكم ونقده ويشرب الروح البرلمانى

٧٠ مليون منبوذ يتركون دينهم

أقر المنبوذون فى الهند الخروج عن دينهم الهندوكى ، ولكنهم لم يقروا بعد أى دين سيتخذون بدلا منه ، وقد يعجب القارىء لهذا الحادث الذى يترك فيه اكثر من سبعين مليونا من الناس دينا عاشوا عليه قرونا طويلة فيودعونه دفعة واحدة غير آسفين ، ولكنه اذا علم أن بقاءهم فى حظيرة دينهم معناه استعبادهم ومعاملتهم كما تعامل السائمة لم يبق لديه عجب

وقد عقد هؤلاء أخيراً مؤتمراً فى بونا خطب فيه خطباؤهم ، وفى ايراد بعض فقرات مما قالوه يتضح للقارىء أسباب هذه الخطوة الجريئة

قال الزعيم راو صاحب : ان الطريق الوحيد الذى يحررنا ويدفع بنا فى طريق الحرية هو التخلص من الدين الهندوكى ، ولايعنى ذلك أن نعود الى دين خرجنا عنه ونبذناه بل بايجاد دين جديد يرفع من شأننا ويجعلنا فى مصاف الامم الحية ، فاذا لم نجد الدين الجديد فيجب أن نحيي مذهب « أدى در نعداس » الذى هو أقدم الاديان والمذاهب التى دخلت الهند قبل الهندوكية ان قضيتنا قضية شعب يبلغ اكثر من سبعين مليونا يريد الحياة والمساواة وأن يتبوأ مقعده

بين العناصر فيقف معها جنبا الى جنب . ان المنبوذين اليوم يرفعون صوتهم عاليا فى هـذا المؤتمر ويشهدون الملا أجمع بأنهم سوف يدافعون عن حقوقهم وعن مطالبهم وعن أمانيهم المشروعة الي آخر نسمة تبقى فيهم ويعلنون بان النضال بينهم وبين الهندوكيين الذين يريدون استعبادهم سيكون شديدا جدا وسيكون الصراع عنيفا ، ولسوف يرون كيف يحيى المنبوذون من جـديد وكيف يتبوأون مقعدهم على اديم هذه الارض من جديد

وقال بعد ذلك ديكتاتور المنبوذين الاكبر الدكتور امبدكر :

لقد عزمنا على ترك الهندوكية ونحن نصرح هنا مرة أخرى علنا باننا سنترك الهندوكية ونتخلص من قيدها الثقيل كيف كانت الحال

وقد حضر وفد من المسلمين بعد انتهاء المؤتمر برئاسة مولانا أشرف علي ليعرض على المؤتمرين الاسلام فاعلن المنبوذون انهم سيعقدون مؤتمراً ثانيا فى القريب فى الله اباد لاعـلان الدين الذى سيختارونه

عشر وصايا للفتيات التركيات

وضعت ادارة التعليم فى ازمير عشر وصايا لتعمل بها الفتيـات من طالبات المدارس اللواتى دون السادسة عشرة من العمر وهى :ـ

أولا ـ اياك أن تستعملى الاحمر للشفاة وتخضيب الوجه أو أى نوع من مساحيق التجمل

ثانيا ـ اياك أن تلمعى اظافر يديك أو تتفننى فى تقليمها او تضيعى وقتك فى العناية بها

ثالثا ـ اياك أن تجعلي ملابسك لافتة للنظر واجتنبي العنق المفتوح

رابعا ـ اياك أن تستعملى أحذية ذات كعب عال

خامسا ـ اياك أن تتزينى باى نوع كان من الحلى

سادسا ـ اياك أن تذهبى الى دور السينما وحدك

سابعا ـ اياك أن تسمحى لاى رجل كان بان يسير معك فى الطريق ماعدا والدك أو شقيقك

ثامنا ـ اياك أن تغفلى ابلاغ السلطات المحلية عن كل رجل يعترضك فى الطريق او يتحدث اليك

تاسعا ـ اياك أن تمارسى اية لعبة من الالعاب خارج مدرستك

عاشرا ـ اياك أن تضعي على رأسك أية قبعة غير قبعة المدرسة

المرأة والمنزل

الفتـاة العصبية

يروى الكثيرون فى العصر الحاضر قصصا عن السيدات والفتيـات العصبيات . والمشاهد أن عددهن فى ازدياد مستمر . ويعزو البعض هذه الحال إلى وسائل السرعة التى يعشن وسطها الآن ولأن الاشياء والاعمال تلاحق بعضها البعض كوميض البرق وفقا لناموس المدنية الحديث ، غير أنه وان كان فى هذا القول بعض الصحة ، إلا أن السبب الأهم هو عدم تعليم الفتيات الوسائل التى يتبعنها فى تدريب قواهن العصبية وتملك ناصيتها

فاللاتى يطلقن عليهن « العصبيات » هن غالبا لسن بعصبيات ، بل هن اللاتى لم تتم لديهن قوة عصبية كافيـة لأن تتمشى مع درجة النمو فى نشـاط عواطفهن وأعمالهن الجثمانيـة ، ولذلك فانهن يكن على الدوام باحثات عن الشجار منقبات عما يثير النفس ويهيج العواطف متى وقع أي حادث مهما كان تافها

أن الاعتياد فى الصغر على الرياضة البدنية هو أشد ما يلزم لانماء الجسم نمواً صحيحا يؤدى الى القدرة على التحكم فى حركاته وأفعاله ، كضبط النفس عند اللزوم . ولكن كيف السبيل إلى ذلك بغير التمتع بجسم سليم وقوة عصبية مدخرة . وهذه القوة هى فى الواقع عماد قوة الارادة التى تستعمل وقت الحاجة اليها . وهى التى يتوقف عليها قيام الجنسين بجلائل الاعمال

كثيراً ما نسمع عبارات اصطلاحية مثل « إن فلانة عصبية تتحمق قوام . خلقها ضيق . طبعها وحش . آه بس لو كانت تتعلم تقدر على غضبها » . وغير ذلك من التعابير التى نسمعها فى المنازل والمدارس والجمعيات وغيرها

فمثل هذه الملاحظات لا تشجع الفتاة على التخلص من حالتها بل تحملها على النفور إذا نبهت إلى الاقلاع عن بعض الثورات الحقيقية التى لا أشك فى أن كل فتاة تستطيع أن تتخلص منها ، وهى ترحب بمن يرشدها الى الطريقة التى تؤدي الى هذه الغاية النبيلة

ان عمل الجهاز العصبي فى البنت النامية يشمل بصفة خاصة العناية بالاحشاء المفرزة الجديدة كالثديين اللذين يجب أن يكونا مزودين بخلايا قادرة على القيام بعملهما عند ما تصل الفتاة إلى دور الامومة . ومن عمل الجهاز العصبي أيضا تزويد الجهاز التناسلى بالاعصاب المفرزة الدقيقة . وكذلك

تنمية الغرائز وارشادها إلى الطريق الصحيح ، وامداد ملايين الخلايا التى فى الجلد بالنشاط وملاحظة تنشيط المعدة لافراز عصيرها فى بعض أدوار حياتها التى تشتهى الفتاة فيها كل غريب من الطعام . ومن الواجب عدم تعريض هذا الجهاز لمجهود قد يؤثر فى اتزان أفكار الفتاة

وعلى الفتاة أن تعد نفسها للامومة من سن ١٤ إلى ٢٠ سنه . فلا ترهق نفسها بأي عمل جثمانى فى هذه السن بل يجب عليها أن تعد نفسها إلى أعظم عمل فى الدنيا ، وهو تعميرها بخير الرجال والنساء . ولذا وجب أن تكون مزودة بأرقى مجموع عصبي حتى تقوم بعملها السامى ويرث أبناؤها عنها هذا الجهاز المتين

وأحسن وسيلة الى ذلك هى عدم الافراط فى أي شيء وخصوصا فى أثناء الدور الشهرى وقبله وبعده مباشرة

لا تعملى عملا أو تمارسى رياضة بدنية الا إذا شعرت بلذة فى أدائها ، فهذا هو الدليل الوحيد للحاجة لها . لأنك اذا مارست شيئا وأنت لا رغبة لك فيه ولا لذة لك منه فانك تنفقين من رأس مالك العصبي وليس من ربح ومعنى هذا الافلاس فالخراب

فكل مجهود تشعرين بعده بالتعب حتى الحمام ، جدير بك أن تجتنبيه لأن التعب الشديد يسبب انهدام ودمار الجهاز العصبي

وأفضل السبل للوقاية من الهياج العصبي :

١ — المحافظة على جسمك من السموم الذاتية كالتى تنشأ من الامساك ونحوه

٢ — النوم فى سرير على انفراد لأن النوم تحت غطاء واحد يجعل الجلد يتنفس ما يخرجه جلد الآخر

٣ — استعمال غطاء خفيف

٤ — يترك أحد الشبابيك مفتوحا فى جزئه العلوى وقت النوم

٥ — يجب أن يكون الشعار (الثياب الملاصقة للجسم) من قماش غير ماص للعرق لكى يساعد على تبخر العرق ويمنع تبلل الثياب كالتيل والحرير لمن يطيق جيبها دفع ثمنه

٦ — عدم السهر الطويل والاستعانة عليه بالمنبهات كالقهوة — عدم التغلب على الميل للنوم لانه الغذاء الطبيعى للجسم من الراحة وأى عمل فى هذه الفترة يكون ضاراً ، تجتهد طالبات المدارس العليا والكليات فى السهر للدرس ، ويحاولن التغلب على النوم بكافة الوسائل ، وبذلك ينهكن امخاخهن ويؤذين قواهن العصبية فيصرن عصبيات ولا يحسن عملهن مع أنهن لو لبين نداء الطبيعة ونمن باقى الليل واستيقظن مبكرات وقمن بالعمل الذى أردن القيام به ليلا لأتممنه فى نصف الوقت وعلى أحسن

حال لان أحسن وقت للعمل العقلى هو وقت الصباح

٧ — تجنبى الصياح ، فالصراخ متعب للجهاز العصبى كما أنه لا يمكن لشىء أن يدخل السرور على النفس مثل الصوت الهادىء المنخفض فضلا عن أنه يدل على طيب المنبت

٨ — اجتنبى الأدوية المعلن عنها بأنها مفيدة للاعصاب مالم يكن تناولها بأمر طبيب

٩ — عدم ارتداء الثياب البراقة التى تحض على الزهو أو الأحذية الضيقة التى تضيق الخلق

١٠ — استعرضى أعمالك وأفكارك مدة نصف ساعة كل يوم فى غرفتك الخاصة وتعرفى أغلاطك واعترفى بها لنفسك الباطنة وهى بهذه الحالة لا تتكرر مطلقا

١١ — اذا عورضت فى طلب لك أو رغبة من والديك أو زوجك فلا تثورى وفكرى على انفراد فى الأسباب الداعية لذلك ، وبعد أن تعرضيها كونى حكما على نفسك وان لم تفهميها فاسألى المعارض بلطف . وهكذا تتعودين الطاعة وفيها راحة المجموع العصبى الذى تتوقف عليه كل سعادة زوجية فالزواج لا يجعل المرأة سعيدة بل المرأة هى التى تجعل الزواج سعيداً لأن بيدها دفة البيت لا بيد زوجها

والفتاة التى تخالف أهلها وخصوصا والديها هى الفتاة المعرضة للطلاق دون غيرها

١٢ — تعودى الصراحة فيصبح مجموعك العصبى دائماً خالياً مما يثقل عليه ، فيسعى الى مخرج لنقل ما يحمل فلا يجد إلا مخرجا واحداً وهو حدة الطبع أو أي مخرج آخر غير طبيعى فتصبحين عصبية رغم ارادتك وقانا الله واياك شر هذه الحالة التى هى أس دمار البيوت

الدكتور محمد زكى شافعى

حقوق الانتخابات للمرأة

تعتبر حقوق المرأة السياسية مشكلة فى كثير من الدول ، حتى التى ضربت منها بسهم فى الحضارة وقد كان من مظاهر تقديس حكومة الجمهورية التركية لحقوق المرأة فى بلادها ان ظلت محافظة على هذه الحقوق حتى تمنحها اياها كاملة غير منقوصة ، وكان ان مهدت لاعطائها هذه الحقوق بأن وضعت لها أساس نهضتها النسائية فى جميع أنحاء البلاد التركية وظلت تتعهد هذه النهضة والرعاية حتى وصلت المرأة فى تركيا إلى درجة من التقدم والنهوض تسمح لها بأن تباشر هذه الحقائق بكفاءة وجدارة

حدث هذا فى تركيا فكان لها فضل السبق لم فى اعطاء المرأة فى البلاد التركية حقوقها السياسية كاملة ، بينما لا يزال هذا الامر فى فرنسا وفى غيرها مشكلة كبري ، فقد طالعنا فى البريد الاخير أن هناك حركة فى فرنسا الآن ترمى الى اعطاء المرأة الفرنسية حق الانتخاب فى المجالس البلدية فقط ومع هذا فهناك عقبات تعترض هذا المطلب

كتب الشهر الجديدة

المدرسة والهيئة الاجتماعية فى وادي النيل للدكتور أمير بقطر

مذكرات قليني فهمى باشا

نابليون للسنيور موسوليني ترجمة يوسف تادرس

في القهوة والادب لعبد العاطى المسيرى

أي انسان هذا للاستاذ ريتشاردس

الشمعة المطفأة لعبد الحميد شكرى

اعرف نفسك لحنا ابي راشد

الجمعة اليتيمة للدكتور سعيد عبده

أحلام النخيل لعبد العزيز عتيق

كتاب الحوار لكونفوشيوس

القياس فى اللغة العربية للاستاذ محمد الخضر حسين

يعرف قراء هذه المجلة الدكتور أمير بقطر بما يكتبه فيها من وقت لآخر عما يتعلق بالتعليم أو بغير التعليم من الآراء العصرية . وهذا الكتاب الجديد الذى أخرجه هو بالانجليزية ويحتوى ٢٦٩ صفحة من قطع هذه المجلة . وهو أربعة أقسام . القسم الاول هو فرش الصورة وهو تاريخ موجز لمصر لايزيد على ١٨ صفحة . والقسم الثانى يعالج الأحوال أو البيئة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وهو يبلغ نحو مائة صفحة . وقد خص المرأة المصرية بفصل واف واوضح مقامها فى الدين والاجتماع فى مصر . والقسم الثالث يبحث التعليم . وهو بالطبع أهم أقسام الكتاب ويبلغ ١٥٠ صفحة . وهاك فصوله نظرة عامة . التطورات الحديثة فى التعليم . تعليم الفلاحين . انتقادات الامتحانات . تدريب المعلمين . المدرسة والهيئة الاجتماعية . مقترحات . الخلاصة

ومن هذه العناوين يدرك القارىء مقدار الاحاطة التى يعالج بها المؤلف هذا الموضوع . وهو اخصائى فيه . وقد زار كثيرا من معاهد التعليم فى أوربا وأمريكا ويمكنه بمقابلة الاحوال السائدة فى مصر بالرقى العظيم الذى تحقق فى الاقطار الغربية أن يبين للقارىء عيوب النظم القائمة عندنا

ولغة الكتاب عائق لانتشاره بين الذين يحتاجون اليه . ولذلك نعتقد أنه يحسن بالمؤلف أن ينشره بالعربية

ومذكرات قليني فهمي باشا تبلغ ٣٤٥ صفحة كبيرة . وهي تحتوى على خلاصة الحوادث فى عهود الخديو اسماعيل والسلطان حسين والملك فؤاد . وقد خدم المؤلف الحكومة المصرية مدة طويلة وخاصة حين كان « مراقبا للاموال غير المقررة » واستطاع أن يقف على الاحوال الاقتصادية للبلاد ويعرفها أيام رخائها وضيقها . ومن هنا خبرته بالشئون الاقتصادية والآراء المفيدة التي يقدمها للامة والحكومة من وقت لآخر . وهي من أحسن ما يقرأ فى هذا الكتاب . وللمؤلف رأى خاص عن الديون العقارية الزراعية وهي احالتها جميعها على الحكومة بفائدة ٣ او ٤ فى المائة . ونكاد نعجز عن التفكير فى أى حل اخر بعد أن نقصت الغلات والأثمان الى الحد الذى بلغته هذه السنوات الخمس الاخيرة . وهذا المجلد الذى بين أيدينا هو الجزء الثانى . وهو مع الجزء الاول يؤلف كتابا ضخما مفيدا بالذكريات السياسية والابحاث الاقتصادية التي يحتاج اليها كل قارىء مهموم بالتاريخ والاقتصاديات المصرية

ونابليون أو المائة يوم هو قصة تمثيلية الفها السنيور موسوليني والسنيور فورزانو . ولا يستطيع الانسان ان يميز بين عمل المؤلفين . وترجمة الاستاذ يوسف تادرس حسنة سهلة . وقد سبق لموسوليني أن الف كتبا أخرى عن يوليوس قيصر وماكيافيلي . فاذا أضيف الى هذين الاثنين نابليون فاننا نستطيع أن نعرف الرجل موسوليني . فانه ديكتاتور يحب الاستبداد ويمدحه فى نابليون وقيصر وهو أيضا من رجال المدرسة القديمة فى السياسة مدرسة القرون الوسطى التي لا تعرف غير الدهاء والمكر والغدر وهو لذلك يعجب بمكيافيلي ويهزأ بعصبة الامم . والمقصود من المائة يوم هو الايام التي قضاها ابليون فى جزيرة الباحين نفى نفسه ثم عاد لكى يلقى هلاكه الاخير على أيدي الالمان والانجليز

ومحاولة موسوليني أن يلصق اسمه إلى اسم نابليون بمثل هذه القصة لا يثير فى اذهاننا إلا تمثال رجل من قش إلى جنب رجل من دم ولحم . فان نابليون مفكر ومشرع وهو الذى أفشى مبادىء الثورة الفرنسية فى أنحاء أوربا بل فى أنحاء العالم

ولكن موسوليني خلو من كل ذلك . وليس له ما يفخر به غير الاصلاحات الزراعية ومع ذلك ليس له فيها كل الفضل لأن برامج هذا الاصلاح كانت مدونة ومجهزة قبل أن يثب وثبته على الديمقراطية ويزحف على رومة . والقصة مع كل ذلك تقرأ وفيها براعة وحبكة (وصفحاتها ١٤٤ من القطع المتوسط)

وفى القهوة والأدب هو مجموعة مقالات كتبها المؤلف فى الصحف وهى تتناول أدب العقاد والمازنى وطه حسين وغيرهم كما أن بها بعض القصص ويبدو من أسلوب المؤلف وتفكيره انه مبتديء وانه لا يعرف لغة أجنبية حديثة . وفى مثل هذه الظروف ننصح له بأن يقرأ شيئا من أدب العرب القديم كما عليه أن يقرأ المؤلفات الاوربية المترجمة . ونهضتنا فى حاجة كبيرة ملحة الى ترجمة أمهات الأدب الأوربى لكى يستطيع ناشىء مثل هذا المؤلف أن يعرف المقاييس الملائمة ويكتب على الأسس الصحيحة

و « أي انسان هذا » هو كتاب صغير لا يزيد على ٧٤ صفحة وهو يبحث بعض النواحى لحياة المسيح . وقد نشرته جمعية « نشر المعارف المسيحية » فى بولاق . ولهذه الجمعية كتب كثيرة فى اللغة الانجليزية وهى تمتاز بالدرس والتعمق والبحث ولكن يبدو لنا ان القائمين بالترجمة الي العربية يختارون أبسط المؤلفات اعتقادا بأن الجمهور العربى لا يتحمل الدرس العميق . والواقع هو خلاف ذلك . فلو عمد القائمون بترجمة هذه الكتب الي نقل المجلدات الخطيرة التى أصدرتها هذه الجمعية فى اللغة الانجليزية وخاصة ما اتصل منها بالعلم والدين لوجدت اقبالا عظيما على مطبوعاتها وهذا الكتاب الصغير تبشيري النزعة سنى العقيدة . والقارىء المصرى مسلما كان أم مسيحيا لايميل كثيرا إلى مثل هذه الكتب

ولم نفهم رسالة الأستاذ حنا أبي راشد عن الأمراض النفسية (اعرف نفسك) فانه يبحث الروح والمادة والكواكب وأنوار الانسانية ووجدانية الوجود . وهذا كله كلام اذا حاولنا أن نصل إلى معناه لم نجد وراءه شيئا . ولن نشعر بالهيبة أو الرهبة حين يقال لنا أن هذا الكلام صوفية وان كثافة عقولنا تحول دون فهمه لأننا نستطيع أن نرد عندئذ بأن هذه الصوفية مجموعة سخافات هى الثمرة المرة لترهات الذهن البشرى

ومجموعة القصص التى أصدرها الدكتور سعيد عبده باسم الجمعة اليتيمة تستحق كل اطراء فان قدرة المؤلف على الوصف والنقد فوق المعتاد . وفى نفسه عطف يعدى القاريء وفيه فكاهة رقيقة تستبقى الاهتمام بالقصة : وليس فى المؤلف تقليد أو دعوى أو تفلسف . فانه يكتب ليقص قصة وقد قص نحو عشرين قصة فى ٢٣٦ صفحة متوسطة كلها حسنة تقرأ وتستعاد

والشمعة المطفأة قصة صغيرة « ٧٧ صفحة كبيرة » ليست كالقصص . لأننا نجد فى ختامها ان « فى السماء قرقعة معركة حامية ناشبة بين الملائكة الابرار والنسر عزرائيل . وهو يحدد نظرته القاسية الى الهام . . . ويبسط جناحيه المخيفين والساعة أوشكت أن تأمر »

ولكن لا يتخيلن القاريء أن القصة على هذا النحو . فان هذه هى السطور الأخيرة وهى خيال دينى لا غبار عليه ولكن القصة تساغ وتقرأ فى لذة

وأحلام النخيل مجموعة من الأشعار فى ١٧٥ صفحة متوسطة فى شتى الموضوعات كالطيف الزائر وليلة الزورق والعبث وديار الأحباب الخ . وهو يقول هنا

أنعشتنا روائح من ديار كم حننا لها وللسا كنيها
ياديار الأحباب أهلا وسهلا من غريب عنها وان كان فيها

وكتاب الحوار يعد من الكتب الفريدة من حيث أنه ترجم إلى العربية من الصينية مباشرة على يد شاب مسلم صينى هو الاديب محمد مكين . وقد أخرجته المكتبة السلفية بالقاهرة فى مجلد صغير صفحاته ٢٠٠

والحوار هو نصوص كونفوشيوس الفيلسوف الصينى الذي عاش حوالى سنة ٥٠٠ قبل الميلاد وهو معدود بين الصينيين بمثابة الأنبياء عند غيرهم من الامم . ولكن الرجل لم يعد نفسه نبيا وهو فيما يتعلق بما وراء الطبيعة لا يكاد ينطق بكلمة . والصينيون لا يعرفون جنة أو جهنما ولذلك ينحصر « أجتهاده » فى الاخلاق ويلتفت كثيرا إلى الكياسة . وفى أقواله ما يشعر القارىء بأنه قبل كل شىء رجل مهذب حلو اللسان مهندم اللباس يغض الطرف ويحنى الرأس كثيرا . ويحسن المؤلف لو أخرج لنا لنا كتيبا آخر عن بوذا كما يراه ويؤمن به الصينيون

أما كتاب القياس فان مؤلفه معروف بتعمقه فى درس اللغة العربية وهو مدرس اللغة فى كلية أصول الدين بالأزهر . والكتاب ١١٨ صفحة كبيرة . وقد أخرجته المكتبة السلفية بالقاهرة والمؤلف يبحث شروط القياس فى اللغة العربية كما تنص على ذلك كتب الفقه اللغوى . وهو يميل إلى التوسع فيه حتى تلين اللغة للاستعمال وتعدد مشتقاتها فيسهل فيها الاستنباط والوضع . وعقدة اللغة العربية فى وقتنا الحاضر هى الاشتقاق . فان الأوربيين يحلون هذه العقدة بالالتجاء إلى النحت من الألفاظ اللاتينية والاغريقية . ولغاتهم صلة بهاتين اللغتين . أما نحن فمضطرون إلى أن نشتق من لغتنا مباشرة . ولا يمكننا أن نتمادى فى هذا العمل . وحين نأخذ اللفظة الجديدة المنحوتة من اللاتينية مثل الأتوموبيل أو الراديو تغيب عنا الاصول لأجزاء الكلمة فلا ننتفع بها انتفاع الاوربيين

حديث الأدب والأدباء

العلم فى الأدب

من مقال لسلامه موسي فى البلاغ

شاع العلم فى الحضارة . فنحن نراه فى وسائل النقل وفى بناء المنازل وفى آلات الحرب بل فى الطعام واللباس . وهو بالطبع قد شاع فى الثقافة فالرجل المثقف هو الرجل العالم الذى مارس بنفسه علماً من العلوم الحديثة أو وقف على مكتشفاته ودرس الطريقة العلمية واقتنع بصحتها

وقد كان الوهم السائد إلى عصر قريب أن الادب يجب أن يكون بعيدا عن العلم . والواقع أن الفنون الأدبية جميعها تحتاج إلى مزاج آخر غير المزاج الذى يحتاج اليه العالم . ولكن الادباء العصريين انتفعوا بالمكتشفات العلمية وخاصة منها السيكلوجية أي علم النفس . وهذا هو المنتظر فان هذا العلم يحاول أن يتغلغل فى أنحاء النفس الانسانية ويقف على البواعث الخفية التى تبعث الانسان على السعى والجد . وقد أخرج المؤلفون قصصاً يشرحون فيها خواطر العقل الباطن فى صفحات متوالية . وهذه الطريقة حسنة إذا التزمنا فيها الاعتدال ولكنها تعود غاية فى السآمة إذا أسهب فيها المؤلف كما نرى مثلا فى جويس الكاتب الأرلندى فى قصة « أوليس »

وقد أصبحت القصة الحديثة لغلبة التحليل السيكلوجى عليها سلسلة حوادث تتصل بأتفه الأسباب أو بأجلها . ولم تعد كما كانت فى القرن الماضى وصفاً للاخلاق العظيمة فى أحد الابطال . وهى بذلك تصور الحياة على حقيقتها خالية من البطولة الخياليه . لان المؤلف وهو يصف البطل وجهاده الشريف لتحقيق غاية نبيلة لا ينسى أنه فى بعض الساعات يجوع وبطنه يقرقر أو هو حين يفكر فى الفلسفة يتلمظ ببقايا الطعام أو أن ذهنه يطير من التفكير فى الفلسفة الى التفكير فى خيال جنسى طارىء يشغله مدة ما

ولكن السيكلوجيه ليست هى العلم الوحيد الذى طغى على القصه . فان الدوس هوكسلى القصصى الانجليزى يجد مجالا للانتفاع به فى شئون مختلفة فهو هنا يصف الموت مثلا فى قصة المتناقضات بقوله

« وفى أثناء ذلك كانت مكروبات التعفن بجيوشها التى لا تراها العين فى الهواء قد شرعت فى

هجومها الذى لا يلقى أى دفاع . فهى تحط على هذا الجسم لكى تعيش فى هذه الخلايا الميتة . ثم تنمو وتتكاثر بما لا حد له . وهى اي هذه الميكر وبات فى نموها وتكاثرها تفتت البناء الكيماوى لهذا الجسم وتحل ما تعقد واشتبك من مواده حتى إذا انتهت من عملها لن يبقى من هذا الجسم سوى بضعة أرطال من الكربون وقليل من الماء وبعض الجير وقليل من الفصفور والكبريت وحفنة صغيرة من الحديد والسيلكون وحفنة أخرى من الاملاح المختلطة . وهى جميعها — أجل جميعها — هى كل ما بقى من المستر ايفرارد ويبلى وطموحه إلى الحكم وحبه لحبيبته الينور . وهى كل ما بقى من أفكاره عن السياسة وذكرياته عن الطفولة ومن براعته فى المسابقه وركض الخيل ومن هذا الصوت القوي الناعم وهذه الابتسامه المضيئه المفاجئه ومن اعجابه بمانلينيا ومن كراهته للوسكى ومن احتدام غيظه ومن هذه العادة التى كانت له فى العبث بشعرات لحيته ومن ايمانه بالله ومن عجزه عن الصفير ومن اصراره الذى لم يتزعزع على تعلم اللغة الروسية »

والقارىء لهذا الوصف للموت يجد خيالا علمياً مؤثراً فان المؤلف يريد أن يقول أن الشخصية الانسانية فى هذا الجسم فقط لا تعدوه . فاذا قتلته المكروبات ماتت الشخصية . أوهو ينظر نظرة مادية للموت لا يمكن أن يسلم بها من يؤمن ببقاء الروح

أو انظر مثلا لوصفه لتكون الجنين فى الرحم ونموه :

« هو شيء كان خلية واحدة . ثم مجموعة من الخلايا . ثم كيساً من النسيج الخلوى . ثم شيئا كالدودة . وبعد ذلك يوشك أن يكون سمكة لها خياشيمها . هذا الشيء قد تحرك فى الرحم . وسوف يصير رجلا . رجلا ناضجا يتألم ويسر . يحب ويكره . ويفكر ويتذكر ويتخيل وهذا الشيء كان عجينة من الهلام الغروى فى جسمها سوف يخترع الآلهة والشعائر وهذا الذى كان شيئا شبيها بالسمكة سيبتكر ويخترع . فاذا تم له ذلك يعود هو نفسه ميدانا للخير والشر . وهذا الذى كان يعيش فى جسمها كالدودة الطفيلية العمياء سوف ينظر إلى النجوم وينصت إلى ألحان الموسيقا ويقرأ الاشعار هو شيء سينمو إلى أن يكون شخصا . وعجينة صغيرة ستصير جسما إنسانياً وعقلا إنسانيا »

فماذا يقول القراء فى هذا الخيال العلمى ؟

فى حياتنا الأدبية

من حديث بالراديفون للدكتور طه حسين

أما حديث الليلة فستكون لهجته مخالفة للهجة التى ألفتموها فى الأحاديث الماضية . فقد عودتكم أن تكون أحاديثى راضية يظهر فيها التفاؤل والاستبشار أكثر من أي شيء آخر . أما الليلة فلن تخلو لهجة الحديث من بعض القسوة ومن بعض المرارة أيضا . ولست أرى بذلك بأسا ، فان

الحديث عن حياتنا الأدبية لا ينبغي أن يكون رضا كله ولا سخطا كله ، وإنما ينبغي أن يكون مزاجا منهما . ففي الرضا تشجيع للمنتجين وفي السخط تقويم للانتاج المعوج . فلست أرى بأسا إذن بان أقسو الليلة وأكون شديداً حين أتحدث عن حياتنا الأدبية ، لأنى أرى فيها من الظواهر ما يفرض على وعلى غيري من الذين يعنون بها أن يعالجوها فى شيء من الشدة والحزم . وربما كان التقصير فى معالجة هذه الظواهر اثما أدبيا لا نحفل به الآن ، ولكنه قد يتكشف عن أشد النتائج خطراً ان نحن مضينا فيه

أخص ما يلاحظه المتتبع لحياتنا الادبية فى هذه الاعوام الأخيرة أنها فاترة راكدة لا يظهر فيها نشاط ولا انتاج . فقد يمضى العام كله بل قد تمضى الأعوام دون أن يظهر فى أفقنا الأدبى رأى جديد أو فكرة طريفة او دعوة إلى مذهب لم نعرفه من قبل . انما هى إعادة مستمرة لما كان يقال وترديد متصل لما كنا نتخذه موضوعا للكتابة والحديث . وهذا الركود مؤلم حقا إذا قرناه إلى ذلك النشاط الغريب الخصب الذى ظهر فى حياتنا الأدبيه بعد الحرب الكبري وبعد الثورة الوطنية خاصة . فقد كان هذا النشاط قيما حقا ، خصبا حقا ، لفتنا الى أنفسنا ولفت الناس الينا فاذا نحن نري من أنفسنا مالم نكن نري من قبل . نشهد ابتكارا فى الرأي واجتهادا فى التفكير وانتاجا فى الأدب وخصومات تثار حول هذا كله فتضيف ابتكارا إلى ابتكار واجتهادا إلى اجتهاد وإنتاجا الى إنتاج . لا نكاد ننظر فى صحيفة إلا رأينا مظهراً لهذه الحياة الخصبة ، ولا يكاد يمضى الأسبوع إلا رأينا رأيا جديداً نفكر فيه ونقاومه بالمناظرة والجدال . وكان الرأي العام نفسه يشاركنا فى هذا النشاط ، فكانت الجماهير ترضى وتسخط ، وتؤيد وتقاوم . وكنا نشهد فى تلك الاوقات أجمل ماتمتاز به الحياة الادبية المنتجة وهو تعرض المفكرين والمنتجين للاذى فى سبيل ما يفكرون وينتجون . ثم رأينا الشرقيين يلاحظون من ذلك مانلاحظ ، ويشاركوننا فى هذا النشاط ويتحدثون به ، ويثنون علينا من أجله ، ويتخذوننا لهم أئمة وقادة

ثم رأينا المستشرقين من أهل الغرب يلاحظون هذه النهضة فيسجلونها ناقدين لها ، مثنين عليها ، يكتبون فى ذلك المقالات فى المجلات الكبرى ، ويذيعون فى ذلك الكتب بالانجليزية والألمانية والفرنسية . وكنت أري ذلك كله فأرضى عنه وأشفق منه وأدفع اليه . كنت أشفق من أن يأخذنا التيه والعجب فنفتتن بانفسنا ونشغل بها عن المضى فى طريقنا هذه القيمة الخصبة . وكثيراً ما دعوت إلى أن لا نطيل الحديث عن أنفسنا ولا نكثر العناية بما يقال عنا مخافة هذه الفتنة . ولكن الاغراء كان أسرع الي النفوس من هذه الدعوة ، فرضينا عن أنفسنا بعض الشيء وخدعنا بما كان يكتب عنا فأخذنا ننقله و نترجمه و نتناوله بالتفسير والتعليق . وأخذ كل واحد منا

يتحدث بما قيل عنه هنا أو هناك . أعجبتنا صورنا التى بدت لنا فى هذه المرآة فشغلنا بها عملنا عما كان ينبغى أن نعمل . وأخذ كل واحد منا يستزيد من هذا الثناء ومن إذاعته ، ويلتمس لنفسه الاتباع والانصار والشيعة ، وكنت أعلل نفسى بان وقت هذه الفتنة لن يطول وباننا لن نتجاوز عاما أو عامين نستريح فيهما من الجهد العنيف الذى بذلناه ، ونستمتع فيهما بالنصر المؤزر الذى ظفرنا به ، ثم نستأنف النشاط والانتاج . ولكننا مع الأسف لم نصنع من هذا شيئا وإنما مضينا فى الراحة وما زلنا الي الآن نستريح

ولابد من أن ألاحظ أن للاحداث السياسية العنيفة التىحدثت فى مصر أثرها البالغ فى صرف الكتاب عن الانتاج الحر القيم لاسباب لا أحب أن أطيل فى تفصيلها الان ، ولكنى كنت أتمنى أن يكون أثر هذه الأحداث إيجابيا لا سلبيا . وأن تدفعنا إلى المقاومة لا إلى الاستسلام . وأنا أعلم أن كتبا ظهرت وأن فصولا نشرت فيها تعرض للادب والتاريخ وغير الأدب والتاريخ من مظاهر النشاط العقلى ، ولكن الكم كمايقول المنطقيون ليس هو الذي يعنينا وانما الذي يعنينا هو الكيف وهذا الكيف ليس مشجعا ولا خليقا بالتشجيع ، فما زلت أبحث عن الرأى الجديد أو الفكرة الطريفة التى ظهرت فى حياتنا الأدبية فى أثناء الاعوام الأخيرة فلا أظفر بها ، ولقد لقيت منذ أعوام بعض المستشرقين فى أوروبا وكان يعنى بآدابنا الحديثة ، فسألته عن رأيه فما يرى من حياتنا الادبية فأنبأنى بانه ينتظر شيئا جديداً ، ثم سألته منذ وقت قريب نفس السؤال فاجابنى بانه مازال ينتظر شيئا جديدا . وقد كان يمكن أن نفهم أن الذين يسمون شيوخا بين الأدباء وان لم يبلغوا الشيخوخة بعد ، قد أدركهم شىء من الفتور . لأنهم اطمئنوا إلى ما وصلوا اليه من مجد أدبى فانصرفوا عن الانتاج أو مضوا فى انتاج يسير لا خطر له . ولكن الجيل الناشىء أين هو ؟ وماذا صنع ؟ وما مقدار جهده الفنى لاظهار شخصيته ولمقاومته لهؤلاء الشيوخ

مسائل نلقيها ولا نظفر لها بجواب . وليس من شك فى أن بين الادباء جماعة من الشباب قد أظهروا نشاطا وجداً ، ولكنه نشاط أخص ما يوصف به العجلة والسرعة وقلة الانضاج . وأغرب من هذا أن هؤلاء الشباب لا يتعجلون الانتاج وحده ، ولكنهم يتعجلون الشهرة وبعد الصيت ، فهم يضيقون بالحياة والاحياء لأنهم لم يبلغوا بعد منزلة من يسمونهم الشيوخ من المجد الأدبى الزائل أو الباقى ، فلم يكتب عنهم المستشرقون كما كتبوا عن أسلافهم ، ولم يعجب بهم المصريون والشرقيون كما أعجبوا باسلافهم . وقد يغلو بعضهم فى تعجل الشهرة فيعرض للمستشرقين يسألهم عن رأيهم فيه وفى آثاره ويطلب اليهم أن يكتبوا عنه وعن آثاره ويضطرهم الى شىء من الحرج ثقيل

والخلاصة التى أحب أن أنتهى اليها من هذا الحديث القصير أن فى حياتنا الأدبية الآن ظواهر مقلقة أخشى أن تكون سيئة العاقبة جداً وأرجو وألح فى الرجاء أن يفكر فيها أدباؤنا وأن يفكروا بنوع خاص فى ظاهرتين خطيرتين . أحداهما حرص المنتجين فى الأدب على ارضاء قرائهم واعجاب الجماهير بهم إلى حد يدفعهم الى اشتراء ثناء القراء بتملق القراء ، والثانية تسرع المنتجين الشبان فى الانتاج وتعجلهم الشهرة والحاحهم فى طلبها وتحريضهم بذلك فنهم الأدبى لأن يكون نجا بعيداً عن الاتقان أشد البعد وأقبحه

فلعل هذا النذير الذى أقدمه الى الأدباء ناصحا لهم مخلصا فى النصح ، أن يكون له أثره فى لفتهم الى أن الادب ليس لهواً ولا لعبا . وانما هو الجد كل الجد والى أنه لايكفى أن تنطلق الألسنة وأن تجري الاقلام وأن يصفق الناس ليكون هناك انتاج أدبي خليق بالعناية قادر على البقاء

المجلة الجديدة

مايو ١٩٣٦

هذا العـدد ١٣٨ صفحة

الثمن ٣ قروش

اقرأ في هذا العدد

كتاب سيكلوجية الطفل

مطبعة المجلة الجديدة

فهرست

١ — الاشتراك فى المجلة الجديدة الشهرية في مصر والسودان لمدة عام هو ٤٠ قرشا و ٢٠ قرشا لستة أشهر وفى الخارج ٥٥ قرشا فى العام

٢ الاشتراك فى المجلة الجديدة الاسبوعية فى مصر والسودان هو ٢٥ قرشا فى العام و ١٣ قرشا لستة أشهر. وفى الخارج ٥٠ قرشا فى العام و ٢٥ قرشا لستة اشهر

٣ ـ الاشتراك فى المجلة الجديدة (الشهرية والاسبوعية) فى مصر والسودان هو ٦٠ قرشا فى العام و ٣٠ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج مائة قرش فى العام و ٥٠ قرشا لستة أشهر

تصدر المجلة الجديدة ١٢ عددا سنويا

وتهدي الي قرائها كتابين كبيرين

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين بمصر)

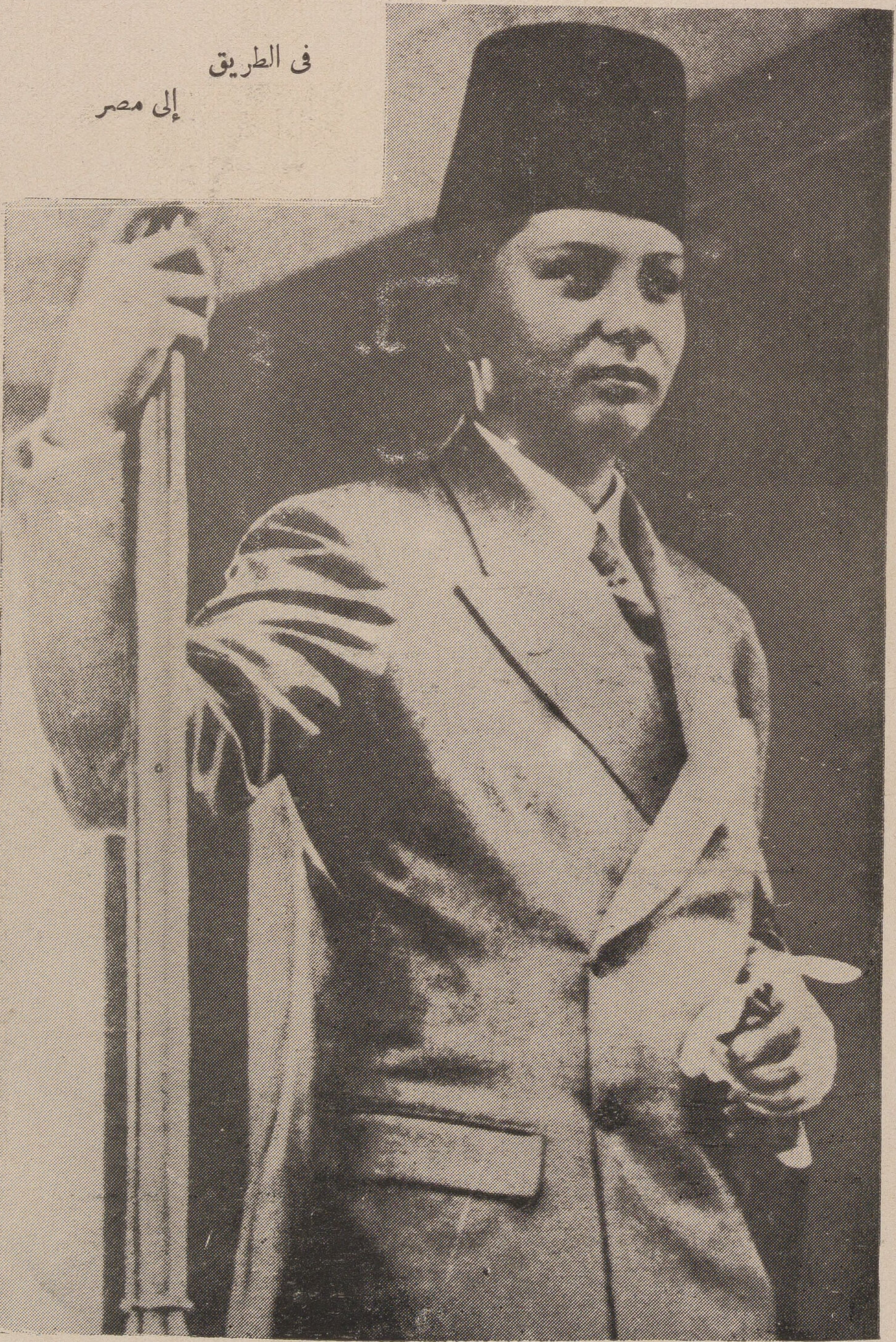


الملك فؤاد الاول

عم الحزن البلاد فى الشهر الماضى لوفاة الملك فؤاد الاول . وقد تولى العرش نحو ١٧ سنة

فى الطريق

إلى مصر



صاحب الجلالة الملك فاروق الذي ارتقى إلى العرش بعد وفاة أبيه
وهو في السادسة عشر من عمره



صاحب الجلالة الملك فاروق فى العاشرة من عمره

صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السادس

المجلة الجديدة

العدد الخامس
من
السنة الخامسة

مايو سنة ١٩٣٦

سير الحوادث

ننعى الى القراء مع الاسف العظيم الملك فؤاد الاول اذ توفى فى ٢٨ من أبريل الماضى عن ٦٨ عاما . وللملك فؤاد تاريخ طويل سوف يكتب بالدقة التى يطلبها التحقيق التاريخي . ولكن مما لاشك فيه أن حكمه سيذكر بأنه العهد الذى نالت فيه مصر استقلالها وعرفت فيه الحكم الدستورى الى حد ما . وليس هذا بالشيء الصغير :

والى هذا يمكن أيضا أن يذكر التوسع فى التعليم واستزراع مقدار كبير من الارض القاحلة وظهور حركة صناعية يرجى أن يعتمد عليها فى رخاء البلاد وانتقال الجامعة من هيئة شعبية ضعيفة الى هيئة حكومية قوية كما عمت البلاد نهضة ثقافية واقتصادية

وقد تولى العرش ومصر سلطنة فى اكتوبر من سنة ١٩١٧ عقب وفاة السلطان حسين وكانت مصر تحت الحماية البريطانية التى أعلنت سنة ١٩١٤ حين نشبت الحرب الكبرى . والغيت الحماية فى فبراير سنة ١٩٢٢ وأصبح السلطان فؤاد ملكا

وقد ساءت صحته منذ أكثر من ١٥ شهرا واشتد عليه المرض فى بعض الاوقات حتى كثر حديث الوصاية ولكنه كان بفضل حيويته يتغلب على العلة ويفرج الازمة بان يتولى بنفسه القيام بواجباته

الملك فاروق

وقد نودى بالملك فاروق ملكا على مصر . وهو لايزال فى السادسة عشر من عمره . والى ساعة كتابة هذه الكلمات لم تعرف اسماء مجلس الوصاية الذى سيتولى النصيحة للملك الى أن يبلغ سن الرشد . ويقوم مجلس الوزراء بهذه المهمة الان . ولكن ذلك بالطبع لن يطول وخاصة لأن

البرلمان سيتم انتخابه بعد أيام . ونرجو الا تحدث هذه المسألة أزمة . كما نرجو أن نستقبل عهداً تسير فيه الحياة البرلمانية فى هدوء وأن يعترف للوفد فيه بانه الحزب السائد الذى تثق به البلاد . فان كل الكوارث الماضية جاءت لأن بعض الافراد كانوا يجدون فى بعض الهيئات ما يدفعهم الى اضطهاد الامة كلها لأنها تثق بالوفد . ونحن نرجو لمصلحة الجميع أن يسلم الوفد زمام السلطة مادامت الامة توليه ثقتها

وسيكون من الخطر العظيم جدا ان تجرب تجربة أخري فى وضع رجل مثل اسماعيل صدقي باشا على رأس وزارة تضرب الناس بالرصاص وتستخرج نتائج حسابية للانتخابات ، واعتقادنا أن على ماهر باشا اعقل وافطن من أن يترك الامور تنحدر الى مثل هذه الحال . وما دامت الامة تطلب الوفد فلابد من النزول على رأيها

ونحن نرجو للملك الجديد حياة سعيدة طويلة وتوفيقا فى خدمة البلاد

دعوة العروبة

عقدت حفلة لتكريم وزير المعارف على علوبة باشا فوقف الشيخ محمد الزين وألقى بين يديه قصيدة طويلة فى شتم الفراعنة قال فيها :

جنبهم الزيغ فرعونية نجمت ... وقهقرى فى عصور النور تغشانا
مهما نبشنا كنوزا من ذخائرها ... خطيئتين نرى : ذلا وأوثانا
لايوجد الشعب الا من عقيدته ... وليس يوجد مهما كان فنانا

* * *

كانت عصا الحق بالبهتان ساحرة ... تلك التى كان القاها ابن عمرانا
فبالعروبة فاحسم داء بلبلة ... فيهم تبدت بحتم المحو ايذانا

وهذا مع العلم بأن وزير المعارف هو المشرف على قسم الآثار فى الجامعة المصرية . وهو المشرف علي مصلحة الآثار . والفراعنة هم أباؤه . ومجدهم هو الذى يتحدث به الامريكى والانجليزى والالمانى قبل المصرى

ولكن ما هى هذه الدعوة العربية التى يدعون اليها ؟

لقد فسرتها مجلة الفجر بقولها فى أحد أعدادها الاخيرة

« فى الحفلة التى أقامها الطلبة السوريون والفلسطينيون في القاهرة فى نادى الشبان المسلمين

خطب الدكتور عبد الرحمن شهبندر الزعيم السورى المعروف فكان مما قاله « أن الدعوة الى العروبة لاتختلف من الدعوة الاسلامية فى شيء

« وهذا المعنى قد سبق لنا نحن كلام طويل فيه مرات كثيرة على صفحات الفتح ، وقرورناه ببراهينه من كل النواحى ، ويعلم جميع قرائنا أنا نعتبر العروبة من جيوش الاخلاص العميق للدعوة الاسلامية بل هى القلعة الاخيرة كما كانت القلعة الاولى . ولكن اعلان مثل الدكتور شهبندر لهذا المعنى جدير بالتسجيل »

وفى الوقت الذى كان يكتب فيه هذا الكلام كان الاستاذ عبد الله حسين يكتب فى الاهرام ويطلب قطع يد السارق . ثم يكتب وزير المعارف الى مدير الجامعة يطلب منه ألا يجيز فى المستقبل مباريات السباحة بين الطلبة والطالبات لان هذا العمل الذى يجرى تحت أشراف المعلمين يخالف تقاليدنا « الشرقية » ثم تقترح الوزارة ارسال بعثة من الفتيات المصريات للاختلاط بالهيئة الاجتماعية الانجليزية فيرفض الاقتراح لان هذا أيضا يخالف التقاليد . كأنه يعتقد أن الهيئة الاجتماعية فى مصر أرقى من الهيئة الاجتماعية فى انجلترا

اننا والحق يقال نعتقد انه يجب على رئيس الوزارة أن ينبه زميله وزير المعارف الى ضرورة الاعتدال فى مذهب العروبة والتقاليد وأن يذكره باننا نطلب الغاء الامتيازات الاجنبية

اكتساح الحبشة

اذا كان الجمهور قد دهش لاكتساح الجيش الايطالى للحبشة فاننا نعتقد أن قراء هذه المجلة لم يدهشوا . فاننا منذ نشوب هذه الحرب ونحن نبين للقراء أن توهم الانتصار للحبشة بعيد جدا عن حقائق الأشياء وأن شجاعة الاحباش لاتغنى أمام المدافع والطائرات والغازات

وقد ذبح الاحباش المساكين فى كل معركة اصطدموا فيها الايطاليين . وقبل أيام رأينا فى القاهرة كتابا توزعه ايطاليا للدعاية وفيه بضع صور تمثل الأسرى وقد نزعوا الاحباش خصاهم أو قلعوا عيونهم . وربما تكون هذه الدعاوى صحيحة . ولكن هناك أيضا أشياء أخرى صحيحة كان يجب أن تذكر . منها مثلا أفاعيل الغازات الايطالية فى الاحباش . فأزاء كل أسير ايطالي تنزع خصيتاه يقتل على الاقل الف حبشى بالغازات التى تتركه فى جحيم العذاب بضعة أيام قبل الموت . فاذا كان الاحباش متوحشين فان الايطاليين ليسوا آدميين

وايطاليا مع كل هذا على وشك الافلاس . فانها أنفقت نحو ١٦٠ مليون جنيه على هذه الحرب .

ولن يغنيها استيلاؤها على أديس أبابا عن الضيق المنتظر من هذا الافلاس

والامل ضعيف فى استطاعة عصبة الامم اخراج ايطاليا الآن من الحبشة . ولكننا لا نعتقد مع ذلك أننا نبالغ فى الامل بأنها يمكنها أن تجعلها تجلو عن قسم كبير من الحبشة يبقى مستقلا ويتولاه الامبراطور هيلاسلاسى

روسيا والقطن

من أخبار روسيا فى الشهر الماضى انها توسعت فى زراعة القطن حتى ان محصولها منه هذا العام سيبلغ نحو عشرين مليون قنطار أى ثلاثة أضعاف المحصول المصرى

ولم تكن روسيا تزرع القطن . وكانت تستورده من الولايات المتحدة ومصر والهند . فلما قاطعتها هذه الدول بحجة أنها شيوعية عمدت الى أرضها فاستقدمت لها الخبراء الذين علموا أبناءها زراعة القطن . وفى الوقت الذى منعنا نحن ارسال قطننا اليها كان خبير زراعى من خبراء حكومتنا يعلم الفلاحين الروس هذه الزراعة . ولما عرفت الهند والولايات المتحدة العواقب الوخيمة التى جرتها عليهما هذه المقاطعة الغتها كل منهما وصارت تتجر مع روسيا وترسل اليها قطنها . أما نحن فقد رفضنا

والنتيجة اننا أقفلنا سوقا عظيمة كانت مفتوحة لقطننا وصارت روسيا تستطيع أن تصدر القطن بدلا من أن تستورده . فالى متى نقاطع روسيا ؟

موجة اليسار فى أوربا

بعد أيام تنتهى فرنسا من الانتخابات . ويبدو من الطوالع السياسية الحاضرة أن اليساريين أى الراديكاليين والشيوعيين والاشتراكيين سيفوزون وستؤلف الوزارة منهم . وربما يكون فى فوزهم دافع جديد لعصبة الامم لكى تزيد الجزاءات على ايطاليا وتنفذ جزاء البترول . فان اليساريين ينتصرون للعصبة ويؤمنون بأن السلم يجب أن تكون له خطة ايجابية عملية . وقد كان تردد فرنسا فى تنفيذ الجزاءات مثبطا لعزيمة العصبة ومشجعا لايطاليا على توغلها فى الحبشة

وموجة اليسار لا تكتسح فرنسا وحدها . فان اسبانيا قد سبقتها وأمعنت فى الغلو الذى ربما يخشى خطره . لان اسبانيا لا يمكنها أن تتحمل الفوضى التي يمكن أن توقعها فيها الشيوعية . وسرعان ما تنفصل منها قطلونيا واقليم الباسك فتقع فى حرب أهلية

ولكن أمم الشمال دنمركا ونروج وأسوج قد أخذن من اليسار بالاشتراكية المعتدلة وفيهن جميعهن حكومات اشتراكية تقوم كل منها بالبديع من الاصلاحات الاجتماعية

الصحافة المصرية واليسار

عند ما أفكر فى الصحافة فى مصر تخطر ببالى شخصيتان غائبتان للأسف عن صحافتنا . الشخصية الأولى هى فرح انطون الذي اختطف قبل الاوان ، والشخصية الثانية هى الأستاذ احمد لطفى السيد باشا الذى نرجو أن يمد فى عمره طويلا

وهاتان الشخصيتان كانتا تمثلان فى ميدان الصحافة ثقافة اليسار ، هـذه الثقافة التى تفتقدها الآن فلا نجدها . أو ربما نجدها فى ضعف يوشك أن يكون حشرجة الموت . ولهذه الحال مغزاها للصحافة المصرية الحاضرة

فقد علمنا فرح انطون مبادىء الثورة الفرنسية ولقن شباب جيله « حقوق الانسان » ونقل لنا كتابا لرينان عن « انسانية » المسيح . وحدثنا طويلا وكثيرا عن جان جاك روسو وبرناردين سان بيير . وحيثما يكون جان جاك تكون الحرية الفكرية والنظرة البكر . وليس لهذا الرجل فكرة إلا وفيها من الخصوبة مايجعلها تتوالد وتتفشى فى خدمة التفكير الحر . ولكن هذه النهضة التى أحدثها فرح انطون لم تمت عند موته بل ماتت قبل ذلك حينما ماتت مجلة « الجامعة » وكانت شعلة مضيئه لثقافة اليسار

أما لطفى السيد فيكفى أن نذكر أنه ذات يوم طلع علينا فى مقال افتتاحى فى الجريدة بقوله « وما لها اللغة العربية لما نكتبها بزى ماهيه » ولايحسبن أحد أن هـذه دعوة الى اللغة العامية لايثارها على اللغة الفصحى . ولكنها دعوة الى احترام العامة والرغبة فى تيسير اللغة حتى يتعلموا أو هى دعوة الى احياء اللغة العربية بحيث تصبح لغة التخاطب فتحيا بقوة الحديث وبمعالجة المسائل والأشياء التى تلابسنا . واللغة لاتحيا إلا اذا كانت لغة الاحياء الذين يتكلمونها . وصحافة اليمين هذه الايام تحدثنا عن الجامعة العربية ثم تفسر لنا هذه الجامعة بانها هى الجامعة الاسلامية . ولكن لطفى السيد كان قبل ثلاثين سنة يحدثنا عن الجامعة المصرية . وقد كانت غزوة الايطاليين لطرابلس سنة ١٩١١ تشبه الآن غزوتهم للحبشة . وقد نهانا وقتئذ عن التبرع وطلب الينا أن نجمع الاموال لمعالجة العرى والجوع والجهل فى مصر بدلا من انفاقها على الهلال الاحمر فى طرابلس . ولكننا لانسمع أحدا يقول مثل هذا الكلام عن الحبشة الآن . وكان يدعو إلى الدستور وإلى حرية المرأة معا . وهذه الدعوة الاخيرة قد أصبحت إلى حد ما مكروهة . ولكن « الجريدة » ماتت

وهـذا يدلنا على أن صحافة اليسار أو ثقافة اليسار قد تقهقرت فى مصر . والتفكير الحر أو

الاستقلال الذهنى كله فى حال تعسة . وهو ينظر اليه باعتباره عربدة ذهنية يجب أن تعالج فى السجن

* * *

ولكل منا بالطبع رأيه فى الصحافة والنزعات الفكرية . وهو رأى يقرب احيانا من الهوى . وخاصة إذا كان هذا المرتأى صحفيا قد عالج هذه النزعات بقلمه واشرب بها وتحمس لها ونافح عنها . فان من الشاق عندئذ أن يطلب منه رأي نزيه فيما أحب من النزعات الفكرية

ومع هذا التحفظ أقول أنى أعتقد أن عصرنا هذا يقتضى الدفاع عن نزعات اليسار وانى أقيس الصحافة الحرة بمقدار ميلها الى اليسار . وان الجمهور الحسن هو الجمهور الذى يحمى رجاله الذين يدعون الى مبادىء اليسار فى الثقافة والسياسة . وقد اكون مخطئا . ولكن لو كان قاسم أمين حيا بيننا لكان موقفه الى راية اليسار

وقد نشأت جريدة السياسة يسارية تدعو دعوة الحرية الفكرية . ولكن من يستطيع أن يقول انها كذلك الآن ؟ وقد نشرت أنا كتابى « نظرية التطور وأصل الانسان » فصلا فصلا فى احدى الجرائد سنة ١٩٢٥ ولكنى أتردد كثيرا فى نشر مثل هذه الآراء فيها الان . لأن آراء اليمين قد تغلبت عليها . وان كانت احيانا تفسح لليسار بين صدرها فى قليل مما يتعلق بالأدب والثقافة . ولعلها تفعل ذلك على مضض ازاء اليمين المتغلب المكتسح

وقد انتهت بنا صحف اليمين الى أن تطلب قطع يد السارق وحبس المدين فى الشهر الماضى . كما أن وزير المعارف أصبح يرى أن الطالبات فى الجامعة يجب ألا يتبارين فى السباحة مع الطلبة ولو كان هذا بحضور المعلمين وتحت أعينهم

* * *

والذى لوى الأمة الى ناحية اليمين هو اسماعيل صدقى باشا سنة ١٩٣٠ فانه ضرب الاحرار وقمع الحريات . ولكن جمهور الامة فى تلك السنة لم يكن معه اذ كان يعد جميع حركات هذا الرجل رجعية . ولكن بعد خمس سنوات اصبحنا نجد أن قسما من الصحف وجزءا كبيرا من الجمهور قد التوى الى ناحية اليمين . وهذا الالتواء قد وصل فى بعض الاحيان الى حد الرجعية . وتسير مصر لهذا السبب فى طرق تناقض الطرق التى تسير فيها تركيا وايران بل تناقض العراق . وقد بلغنا حالا يقول فيها وزير المعارف أن اختلاط الفتيات المصريات بالهيئة الاجتماعية الانجليزية يعود بالضرر على الأمة المصرية . وهذا كلام عجيب من وزير مهمته التعليم فى سنة ١٩٣٦

س . م .

الحالات النفسية وعلاقتها بالغدد الصماء

وأثر ذلك فى التربية

بقلم رمسيس شحاته

لعله من المستحسن أن نعرف مانقصده بقولنا « الغدد الصماء » حتى نكون على هدى من أول الامر خصوصا وأن تعريف هذه الغدد أمر سهل ميسور . فالغدة الصماء هي عبارة عن غدة تتوسطها أوعية دموية تصب فيها الغدة افرازها دون وساطة قناة ظاهرة . وعلى ذلك تكون الغدة الصماء عبارة عن مجموعة او مجموعات من الخلايا تتوسطها اوعية دموية وهذه الخلايا ككل خلايا الغدد تفرز افرازا خاصا . وهو ينصب فى هذه الحالة فى الاوعية الدموية مباشرة ومنه يتوزع مع الدم على كل خلايا الجسم الاخرى وبهذا تتميز الغدد الصماء عن نوع آخر من الغدد التى توجد فى الجسم بكثرة واضحة والتى تتكون من مجموعات من الخلايا مرتبة على هيئة محيط دائرة فى أغلب الاحيان وتتوسطها قناة صغيرة . وبتجمع عدد معين من هذه القنوات تتكون قناة أكبر وهكذا حتى لايصبح للغدة الا قناة واحدة رئيسية . وخلايا هذه الغدد تفرز أيضا افرازا على نمط افراز الغدد الصماء ولكنه بدلا من أن يذهب فى الدم مباشرة ، يسيل فى القنوات المذكورة آنفا حتى ينتهي بالخروج من القناة الرئيسية للغدة الى الفجوات الخارجية فى الجسم . ومثل هذه الغدد التى تفرز اللعاب مثلا او التى تفرز العرق او الغدد المكونة لجدار المعدة والتى تفرز العصير المعدى او الغدد الداخلة فى تركيب جدر الامعاء والتى تفرز العصير المعوى . وتعرف كل هذه الغدد بالغدد ذوات الافراز الخارجى تمييزا لها عن الغدد الصماء التى تسمى ايضا بالغدد ذوات الافراز الداخلى نظرا لانصباب افرازها فى الدم مباشرة

وهناك فرق آخر أكثر أهمية من الفرق السابق بين الغدد الصماء والغدد ذوات الافراز الخارجى وهو فرق ناشىء عن اختلاف خواص افرازات كل من النوعين . ففى حين أن افراز الغدد ذوات الافراز الخارجى ضعيف الاثر والمفعول على العموم ، ومن هنا نشأت حاجة الجسم الى كميات

هائلة منه ، نجد أن افراز الغدد الصماء قوى الاثر الى حد بعيد . بحيث ان الكميات التى تلزم منه للجسم من القلة والضآلة بحيث لا يمكن مقارنتها مع مايلزم للجسم من الافرازات الخارجية من الكميات الهائلة . فليس هناك سبيل لان تقارن مثلا مقدار مايلزم للجسم من اللعاب بمقدار مايلزمه من الانسولين مثلا وهو الافراز الداخلى للبنكرياس ومن هنا نلاحظ أن الجسم يستطيع أن يتحمل بسهولة التغييرات فى مقدار افراز الغدد ذوات الافراز الخارجي من حيث النقص او الزيادة فى حين انه ليس من الممكن ان يتحمل نفس هذه التغييرات او حتى عشرها فى مقدار افراز الغدد الصماء

ويتضح لنا ذلك أكثر فأكثر كلما تأملنا ابسط العمليات الفسيولوجية التى تقوم بها فى كل حين والتي لاتسبب للجسم خسارة تذكر . فنحن فى كل مرة نبصق فيها نحرم من كمية معينة من اللعاب ولو جمعنا مقدار مانبصقه فى اليوم الواحد مثلا لتعدى وزنه فى بعض الاحيان عدة جرامات . وكذلك فى كل مرة نتبرز فيها نطرد الى خارج الجسم مقدارا من الافراز المعوى لايستهان به . ولو كان الامر كذلك مع افرازات الغدد الصماء ربما كانت حياة الواحد منا لاتتعدى الاسابيع المعدودة إن لم تقتصر على أيام قلائل يقضيها المرء فى الم مستمر وهمود متواصل

ويدفعنا ماتقدم الى الكلام قليلا عن أهمية هذه الغدد فى الجسم والاشارة الي الدور الذى تلعبه فيه . ونحن نعتذر للقارىء من الآن عن عدم الاطالة فى هذا الموضوع وذلك لاسباب . أولها أن المقام لايتسع للاسهاب لاننا لو اردنا توفية الموضوع بحثا لاحتجنا الى وقت طويل وذلك لتشعبه الى أقصى درجة ولصعوبته وتعقده فى كثير من المواضع . ويكفى للتدليل على اهمية الغدد الصماء فى جسم الانسان أن نذكر أن الحياه مستحيلة بدونها وأن استئصالها كاملا لابد أن يعقبه الموت . فأننا أصبحنا لانستطيع أن نجد فى ضوء الابحاث الاخيرة عملا أو وظيفة من وظائف الجسم لها اهمية تذكر والا وللغدد الصماء فيها أثر بارز . ويكفى الا يزيد أو يقل افراز بعض هذه الغدد بمقادير أقل كثيرا من المليجرام أى أقل من وزن عدة حبات معدودات من الرمل لنشاهد فى جسم الانسان اكبر التغييرات وأغربها مما يجعله فى حالة ما عملاقا يتعدى طوله المترين وفى الحالة الاخرى قزما لايزيد طوله على عشرات السنتيمترات . وتوقف البنكرياس عن افراز الانسولين او نقص كمية هذا الافراز فى الدم تكفل لان تولد فى الجسم مرض البول السكرى مع ماله من الضرر والعواقب الوخيمة . مع أن كمية الانسولين التي يفرزها البنكرياس يوميا فى الحالات

العادية ليست أمرا ذا بال إذا قورنت بكمية اللعاب التى تفرزها الغدد اللعابية مثلا

إن توقف الخصيتين عن افراز الهرمون الخاص بهما يكفي لان يولد فى الجسم حالة الشيخوخة والهرم مع كل مايصحبها من نقص فى قوى الانسان ونشاطه سواء الجسمى او العقلى منها . ومع ما يصحبها من التجاعيد والتغيرات الخارجية الاخري

وبالجملة نستطيع أن نقول أن الغدد الصماء هي التى تسيطر على حيوية الجسم ونشاطه فوق مناعته ومقاومته للامراض التى يمكن أن تحل به . وتزداد هذه النظرية وضوحا يوما عن يوم وذلك كلما زادت معلوماتنا عن هذه الغدد وكلما تقدمنا فى فهمها ومعرفتها

ومن الغريب أن الابحاث الاخيرة قد أظهرت لنا أنه يوجد فى جسم الانسان غدة صماء تمتاز من بين بقية الغدد الصماء الاخرى بأنها تكاد تسيطر تمام السيطرة على غيرها من الغدد الصماء الموجودة فى جسم الانسان وهى على هذا الاعتبار تكاد تكون المشرف والمنظم الرئيسى لنشاط الجسم ومناعته وحيويته . وهذه الغدة على اتصال وثيق بالجهاز العصبى العام ومن الغريب أنها موجودة فى داخل الجمجمة ويحاط بها من كل الجهات تقريبا مما يجعلها بعيدة أتم البعد عن كل التغييرات الخارجية ومما يجعلها امنع واحصن عضو فى جسم الانسان . وأغرب من كل ماتقدم بكثير أن فريقا من الفلاسفة القدماء كان من بينهم ديكارت اذا لم تكن قد خانتنى ذاكرتى كان يعتقد أن هذه الغدة هى مركز الروح . إن هذه فكاهة لطيفة ولكنه يحلو لنا أن نستنتج مما تقدم النتيجة الآتية : من المحتمل جدا أنه إذا كان هناك شيء كالروح فى جسم الانسان على نحو ما نفهم ذلك فان مركزها لابد أن يكون فى هذه الغدة

مما تقدم نرى الاهمية العظمى التى للغدد الصماء على العموم فى جسم الانسان ونرى مقدار تأثيرها واشتراكها الفعلى فى مختلف الوظائف الكبرى لجسم الانسان . ونحن نريد الآن أن ننتقل الى موضوع آخر وهو الحالات النفسية وعلاقتها بالعقل والارادة لنعالجه بنفس العجالة التى عالجنا بها النقطة السابقة ولكننا نريد قبل ذلك أن نلفت نظر القارىء الى النقطة الآتية : اذا كانت للغدد الصماء هذه الاهمية العظمى فى جسم الانسان مما يجعلنا أن نضع مركز الروح فى احداها أليس من الممكن أن يكون فيها نفس الأثر فى حالاتنا النفسية ؟ اننا كثيرا ما نتفاوت تفاوتا ملحوظا من حيث نشاطنا وقوتنا على المقاومة للمرض كما أننا كثيرا ما نتفاوت فى حالاتنا النفسية وطابعنا الاخلاقى من حيث الصبر وطول الاناة مثلا أو التعجل والاسراع ومن حيث التطير والتشاؤم والقلق

او التفاؤل والاطمئنان والهدوء فاذا كنا نعزو التفاوت الاول الى تفاوت فى الغدد الصماء أليس من الممكن ان نعزو التفاوت الثانى الى ذلك ايضا ، واذا كنا نجد مبالغة فى أن نعزو كل التفاوت الثانى اليها فقط فاننا لاشك نستطيع أن نعزو الجزء الاكبر منه اليها

* * *

ما هي علاقة الحالات النفسية بالعقل والارادة ؟

ان الاتفاق على رأى فى هذا الموضوع ليس سهلا . فلو أدعينا مثلا أن الحالات النفسية عند التحليل الاخير مستقلة كل الاستقلال عن العقل والارادة لما عدمنا أن نجد من يرد معترضا بأنه يستطيع أن يحكم نفسه الى أقصى حد . ويوجد من يؤكد لنا تأكيدا لاغبار عليه انه استطاع بالفعل أن يظل أعواما كاملة دون أن يغضب مثلا مرة واحدة او دون أن يثور ثورة واحدة ولو للحظة قصيرة . ولوجدنا فوق ذلك من يدعى ويؤكد انه ما غضب إلا ووزن غضبه بمقدار وميزان ولو أدعينا من الناحية الاخرى أن الحالات النفسية تخضع للعقل والارادة اتم الخضوع لوجدنا من يؤكد لنا وفى نفسه حسرة مرة أنه حاول جهده سنين موالية عديدة أن لايتعجل أو يتسرع فى أمر ما من أموره ولكنه لم يفلح وفشل فشل محقا . ولوجدنا فوق ذلك من يؤكد لنا أشد التأكيد انه قد قام بالمستحيل لكى يمنع نفسه بتاتا عن الغضب مثلا ولكنه لم يفلح فى مسعاه رغم ما صرف من جهد وما أضاع من وقت . وسوف لاينسى كل من صاحبينا أن يزيدا على قولهما أن ما كان لهما ان ينجحا فالمسألة خارجة تمام الخروج ومستقلة اتم استقلال عن العقل او الارادة اذ أنها « شىء فى الدم »

وقد نحار أشد الحيرة فى تصديق أى الفريقين نظرا لما نتوسمه فى كل منهما من الاخلاص والصدق ولكننا لو تأملنا قليلا لوجدنا أننا نستطيع الخروج من المأزق بسهولة وذلك بأن نأخذ موضعا وسطا بين الطرفين . ليست الحالات النفسية مستقلة عن العقل والاراده تمام الاستقلال كما أنها ليست خاضعة لهما تمام الخضوع اذ أن فى المسألة أمرا اخر . هذه هي النتيجة التى نستطيع الوصول اليها . ولنسوق فيما يلى بعض الادلة عليها

١ — كم من مرة أهاننا أشخاص ممن نعرفهم أو ممن لانعرفهم وكانت الاهانة بالغه تستدعى الغضب والانفجار ومع كل ذلك لم نغضب ولم ننفجر . وانه من المشاهد أن الانسان يستطيع أن يحكم نفسه حتى الى حد أن يتراجع فى غضب أو انفجار قد بدأه فعلا

٢ — ولكن كم من مرة نصح لنا الاطباء او الاصدقاء أن نتجنب الهم والحزن ما أمكن وكم من مرة ظهر أمام أعيننا واضحا جليا خطر ذلك على صحتنا ولكن كلما صح عزمنا على الانسلاخ تماما من هذه الحالة المحزنة والافلات منها نهائيا وجدنا بعد قليل أننا ماننترك هما إلا لنقع فى هم جديد وأننا ماننسى حزنا او لوعة إلا نبعث حزنا داخليا اخر وكل ذلك رغم ارادتنا القوية وعزيمتنا الصادقة التى نعرف أثرها فى شتى أمور حياتنا الاخري . ان المسألة تكاد تكون عملا منعكسا لادخل لارادتنا أو عقولنا فيه انما يظهر كأنه طبيعة لنا ومتمكنة منا أشد التمكن

٣ — تأمل رجلا رزينا هادئا متئدا مرحا وهو فى حالة الصحة وتأمله اذا مرض أو ألم به توعك تجده قلقا هائجا مضطربا كئيبا ومع أن مرضه أو توعكه لايمنعانه من أن يحتم على نفسه أتباع نصائح الطبيب الي حد المبالغة ؟ فانه يجد صعوبة هائلة إن لم تكن استحالة تامة فى التغلب على قلقه واضطرابه وكآبته وذلك مهما كانت إرادته

٤ — انه من المألوف أن تحدث انقلابات فى الحالات النفسية للشخص الواحد وهى غالبا ما تكون من الاهمية بحيث تجد أنها تقسم حياته الى شطرين شديدى التباين والاختلاف فهذا طفل على أشد ما يكون من الكسل والخمول والغباوة تراه قد تحول الي رجل من أنشط الرجال وأشدهم ذكاءا أو العكس بالعكس . وقد يكون ظرف التحول أبسط من هذا بكثير فقد تكفى سفرة طويلة أو مخاطرة بسيطة لان تحول الانسان فى مدة وجيزة الى انسان آخر تغيرت كل طباعه تقريبا وبحيث يستحيل عليه الرجوع الى سابق عهده مهما كانت ارادته ومهما كانت عزيمته

ان الامثلة على ذلك متعدده متفاوتة من حيث قوه الاقناع والوضوح ولكنها حسب ما نعتقد تؤدى بنا إلى نتيجة واحدة وهى أن الحالات النفسية مهما خضعت للعقل والارادة الواعية فهى مستقلة عنهما الى حد ما فهى تخضع فوق ذلك حسب ما يظهر لنا الى عامل داخلى آخر

وإذا ماسلمنا بذلك سهل اقناعنا بان نسلم باستقلالها عن الاخلاق ثم العادات التى يمكن أن نكون قد تعودناها فى طفولتنا او حداثتنا . كما يسهل أن تسلم بانها تستقل عن المؤثرات الآتية من الخارج فكثيرا ما يبعث فى نفوسنا الحزن والاسى لحن شجى يرقص له الاخرون ويهتزون طربا

* * *

لعل فيما تقدم الكفاية لان ينير لنا السبيل الى فهم الانسان ولو فهما ايجازيا مقتضبا فى ضوء العلوم الطبية . ان الانسان فى نظر الطب فى الوقت الحالى ليس الا مجموعة من الاعضاء التى تكوّن باجتماع البعض منها ما نسميه بالاجهزة . ولكل جهاز من هذه الاجهزة عمل خاص يقوم به . وتتوقف حياة الجسم وكل مظاهر نشاطه على حسن أداء هذه الاجهزة لعملها وانتظام سيرها . ولنضرب لذلك مثلا فنحن نعرف ان الجهاز الهضمى مكون من الفم وملحقاته والمعدة والامعاء ملحق بها الغدد الهضمية مثل الكبد والبنكرياس وغير ذلك من الاعضاء . ونعرف أن عمل هذا الجهاز هو تحويل ما تتناوله من الغذاء الى مواد صالحة للامتصاص والدخول فى تركيب الجسم . ونعرف أيضا أن الجهاز العصبى مكون من المخ والمخيخ والنخاع الشوكى وغير ذلك من الاعضاء ونعرف أن بين أعماله تنظيم حركاتنا وجعلنا قادرين على ادراك مايحيط بنا من التغيرات والحوادث أو الاحساس بما يمكن أن يؤثر علينا من المؤثرات وعلى هذا النحو نستطيع أن نتعرض بقية الاجهزة الاخرى مثل الجهاز الدموى والجهاز التنفسى وغيرهما

والغرض الذى تعمل لاجله كل هذه الاجهزة هو حفظ الحياة فى الجسم وجعل الانسان قادراً على البقاء والمقاومة . ولا يخفى علينا أن بقاء الانسان لايطلب أن يتغذى التغذية الكافية فحسب أو أن يقى نفسه شر البرد والحر وغيرهما من المؤثرات الخارجية المهلكة ولكنه يتطلب فوق كل ذلك سلامة الجسم نفسه وحسن سير الاجهزة الموجودة فيه كمجموعة وككل لا يتجزأ وليس كأجهزة متفرقة مستقلة بعضها عن بعض ، وذلك لان حسن عمل هذه الاجهزة يتوقف على حسن عمل الاجهزة الاخرى أيضا . فلو نقصنا مثلا كمية الدم التى تصل الى المعدة أو الامعاء مثلا لرأينا أنهما لا تؤديان واجبهما الهضمي حسب المعتاد . وعلى ذلك نرى أن الحياة فى جسم ما ليست مظهراً لجهاز معين تعمل من أجله الاجهزة الاخري انما هى النتيجة الاخيرة التى تشترك كل أجهزة الجسم فى حفظها وبقائها . ولما كانت حياتنا تتكون من حياتيها الحياة العضوية والحياة النفسية وكان كل شىء فى جسم الانسان يعتمد على بقية مافيه من الاعضاء ، ظهر لنا جليا أن الحياة النفسية لايمكن أن نفصلها فصلا نهائيا عن الحياة العضوية . لاشك أن الكثيرين سيجدون غضاضة لاتقدر فى قبول هذه النظرية أو التسليم بها ولكن ذلك لايمنعنا من القول أنها فى الواقع النظرية التى تؤيدها العلوم الطبية حاليا . ونستطيع أن نجد لها براهين كثيرة دامغة لو تأملنا أنفسنا قليلا . أظن انه يكفى برهانا على ارتباط النفس بحالة الجسم من المرض أو الصحة مانشاهده فى أنفسنا من

الضعف والوهن والخوار اذا حل بنا مرض ما . وكيف نعلل ذلك النشاط الغريب وتلك القوة الخارقة التى نشعر بها فى بعض أدوار المرض من اصابتهم بالهستريا مثلا ان لم نسلم أن النفس مرتبطة بالجسم أو ثق ارتباط وأن حالتها من حالته اســ ضعفا وان قوة . وكيف نعلل تلك الحساسية الغريبة والمقدرة الفائقة فى بقية الحواس عند من فقد احدى حواسه الخمس ان لم نلجأ الى النظرية العضوية للجسم ما دامت كل خواصنا النفسية مركزها الجهاز العصبي عامة والمخ خاصة اذ أن مرضه أو خلله يحدثان أكبر ارتباك وأشد اختلاف فيها

ما دامت حالة هذا الجهاز من الصحة أو المرض والاتزان أو الاختلال مربوطة كما بينا بحالة الاجهزة الاخرى وحالة الجسم على العموم فلماذا لا نسلم ان النفس مرتبطة بالجسم وخاضعة لما لما يمكن أن يؤثر فيه من المؤثرات ؟

ان الطب ينظر الى الانسان بمثل هذه النظرة . والنظرية التى يوردها هي ولا شك النظرية العضوية منذ أمد بعيد ونحن نعتقد أن الادلة التى يسوقها لتأييدها لها قوتها ولها معناها وانها كفيلة باقناعها وخصوصا وأن لها أوفر نصيب من الصحة والحقيقة

* * *

لقد ذكرنا فى الكلام عن الحالات النفسية أن هذه الحالات مهما كانت خاضعة للعقل والارادة فانها لا شك مستقلة عنهما الى حد ما وانها تخضع فوق ذلك الى عامل آخر ربما كان هو السبب الوحيد فى استقلالها الظاهر . وهذا العامل هو فى نظرنا الغدد الصماء . ان العلاقة بين الحالات النفسية والغدد الصماء علاقة متينة يصعب علينا اهمالها أو انكارها . واذا كان للغدد الصماء ما بينا من الاهمية فى حياتنا العضويه فمن الطبيعى جداً أن تكون لها نفس الاهميه فى حياتنا النفسيه بعد ما ذكرنا فى النقطة السابقه . والبراهين علي ذلك متعددة ولكننا سنكتفى بذكر بعضها مأخوذا من الملاحظات الطبيه العديدة

— ١ — ا . م شاب فى الخامسة والعشرين من سنى حياته وهو فى عنفوان شبابه يملك صحة جيدة وحالته العامه لا بأس بها الا انه يلاحظ فى نفسه ميل فطرى الى الكئابه والهم . وهو شديد الخوف عظيم الحساسة كثير التردد الى حد كبير . انه لا يستطيع بسهولة أن يقرر قبول دعوة أعز أصدقائه لنزهة خلويه أو لتناول الغداء مثلا الا اذا اختلى بنفسه مدة من الزمن . واذا قبل الدعوة فانه يضطر الى الحذر كثيرا والى الانتباه الى أقصى حد خوفا من أن يظهر بمظهر الحزن

والكئابة فى أثناء هذه النزهة مسببا لصديقة بذلك ألما أو تكدرا لا داعي له وقل أن ينجح فى ذلك . انه مضطر الي العودة الى المنزل مبكراً فى المساء خشية البرد ولو ان الجو معتدل لانه شديد الحساسية بالبرد بشكل غير عادي . ولقد سببت له هذه الحالة خسارة كثيرة فى أعماله نظراً لكثرة تردده وخوفه وفقدان أغلب أصدقائه ونفور الناس منه على العموم نظرا لكئابته وحزنه وتشككه وحزنه المستمر . وعلى كل هذا ليس فى جسمه من الامراض الظاهرة مايدعو لذلك وهو كما قدمنا بحالة عضوية جيده . ولكن فحصا دقيقا لغدده الصماء أظهر نقصا فى افراز الغدة الدرقية وبعلاج هذا النقص وذلك بتعاطى كمية معينة من هذه الغدة عادت الي الشاب حالته الاولي من الاقدام والشجاعة وزال عنه كل أثر للحزن والكئابه فوق انه أصبح لايخشى البرد . ولما رأى الشاب ذلك وأدرك قيمة العلاج وقوته بالغ فيه لسوء الحظ وزاد الكمية التى يتعاطاها من الغدة الى ما يقرب من الثلاثة الاضعاف وعندئذ لوحظ عليه عوارض أخرى تخالف العوارض السابقه أشد المخالفه . وتتلخص هذه العوارض الجديده فى مظاهر جنونية غريبه منها اضرابه عن الاكل ثم هيجانه وقسوته فى معاملة من معه وانتهى به الامر أن خلع ثيابه وجعل يعدو فى الطريق غير لاو على قصد معين رغم مقاومة أهله والمارة له . وعند سؤاله عرف السبب فى هذه العوارض الجديده اذ بتقليل الكمية المأخوذه من الغدة أمكن أن يعود الى حالته الطبيعية

إننا لو تأملنا الحالتين اللتين يقدمهما لنا هذا الشاب لوجدنا بينهما تناقضا ظاهرا . فبدل التردد والخوف فى الحالة الاولى نجد تصميما واصرارا على مخالفة القواعد العامة وعلى عدم مبالاة أو اكتراث للآخرين . وليس فى قصة المريض من التفسير الا الغدة الدرقية مما يجعلنا نستنتج بسهولة أنها السبب فى كلتا حالتيه . ومن هنا نرى بسهولة وبايضاح نادر أثر هذه الغدة فى الحالة النفسية فوق أثرها فى الجسم على العموم مما أهملنا ذكره فيما تقدم

— ٢ — م ـ ب ، ف ـ ب . اختان سن الصغرى منهما ثمانية عشر عاما والثانية اثنتان وعشرون عاما . وهما فى حالة جيدة من حيث الصحة العامة ولكنهما تشكوان من تعب دائم وخمود دائم ونقص فى القوى يمنعها من أداء أسهل الاعمال وأبسطها مع احتياجهما أشد الاحتياج إلي ذلك وهذا الخمود ليس خموداً جسميا فقط انما يتعدى ذلك إلى خمود عقلى واضح . أن الاولى منهما لاتستطيع أن تقوم بعملية جمع من أبسط العمليات . وذلك لا لجهلها بالقواعد الاساسية للحساب ولكن لانها لا تملك الارادة الكافية لذلك . أما الثانية فقد كانت مضطرة للبقاء فى الفراش الى

ساعة متأخرة رغم استيقاظها مبكرة . وذلك لشدة الكسل ولفرط التعب مع انها لم تقم فى اليوم السابق بأى مجهود يذكر يمكن أن ينسب له مثل هذا التعب . ولم تفلح فى علاج أيهما المنبهات أو المقويات إلى أن أظهر الفحص الدقيق أن هناك نقصا فى افراز الغدة فوق الكلوية . وبعلاج هذا النقص عاد الى الفتاتين نشاطهما وزال عنهما التعب فوق أنهما أصبحتا شديدتى الانتباه سريعتى الخاطر حاضرتي البديهة . كما أصبح فى استطاعتهما القيام بأشق الاعمال دون الشعور بأى تعب أو خمود

وهذا أيضا مثل واضح جلى فى تأثير الغدد الصماء فى الحالات النفسية لأن الكسل وان كان عارضا جسميا فانه يمت بأشد صله الي الحالات النفسية للانسان . وكلنا نعرف قصة « تنابلة » السلطان وكيف أنهم فضلوا أن يدفنوا أحياء على أن يتكلفوا مشقة اكل الخبز جافا او بله بأنفسهم . ولو أن محسنا تنبه الى حاجة هؤلاء التنابلة الى خلاصة الغدة فوق الكلوية لما كان هناك داع لدفنهم أحياء ولاستطاعوا بعد تعاطى الكمية الكافية من هذه الخلاصة القيام بأشق الاعمال . كم بيننا من « تنابلة » يخافون العمل ويخشون التعب والمجهود وهم مع ذلك فى صحة جيدة حسب الظاهر . أننا كثيرا ما نتهمهم بالبلادة والكسل والخمول ولو علمنا الحقيقة لاعطيناهم قليلا من خلاصة هذه الغدة لانها جديرة بأن تطور حياتهم وتغير مجراها

ان الامثلة على ما تقدم كثيرة متعددة وكان فى استطاعتنا أن نعطي لكل غدة عددا من الامثلة ولكننا نكتفي بما تقدم لان الغرض ليس دراسة هذه الغدد من الناحية النفسية انما اثبات تأثيرها ولقد ادت الابحاث فى هذا الباب الى تقسيم الحالات النفسية المختلفه الى أقسام معينة بحيث يمكن أن يعزى كل قسم منها الى غدة صماء معينة . فأصبح الكسل والخمود من علامات النقص فى افراز الغده فوق الكلوية كما أصبحت المبالغة فى العمل وتحمل المجهود الى حد الاعياء والاضرار بالجسم من علامات الزيادة فى نفس هذا الافراز . وأصبح الضعف الجنسى والخوف والجمود الفعلى نتيجة لنقص افراز الغدة النخامية والغدة التناسلية كما أصبح الهياج الجنسى والهستريا من علامات الزيادة فى هذين الافرازين وهكذا . ومن الممكن عمل جدول لكل غدة مبينا مقدار تأثيرها فى كل حالة من الحالات النفسية

ولقد دعا هذا كثيرا من العلماء الى القول بأن الغدد الصماء تشترك والجهاز العصبى فى تحديد حالتنا النفسية اشتراكا فعليا ظاهرا . وقد دفعت الابحاث الاخيرة بعض العلماء الى القول بأننا فى

الواقع لسنا الا كما تهيئنا غددنا الصماء أن تكون . مما يجعل لها السيطرة الاولى مع حالتنا النفسية

***

ولو تأملنا قليلا ما تقدم لرأينا أن له أبعد الاثر فى ما يتعلق بالتربية . ان بين الاطفال نسبة مريعة ممن نسميهم غير قابلين للاصلاح وهم اما شديدو الكسل والبلاهة والخمول واما شديدو الطلق كثيرو الحركة عديمو الثبات والاتزان وكثيرا ما نعمد الى مختلف طرق التقويم من ارهاب أو محاولة أو غير ذلك ولكن على غير جدوي الي أن ينصلح الحال من نفسه يوما من الايام او الى أن ييأس من ذلك نهائيا فنحكم على الطفل أقسى الاحكام أو نتهمه أشد الاتهامات وقد يكون لذلك اوخم النتائج وأسوأ العواقب على مستقبله وحياته . ونحن نرى الآن أن هذا العمل كثيرا ما يكون مبنيا على خطأ فى فهم الطفل واهماله فى دراسته . ان الطفل الغير القابل للاصلاح لا يوجد ولابد لنا من الوصول بأي طريق كان الي اصلاحه ودراسة غدده الصماء الدراسة الكافية كفيلة بأن تهدينا الى الطريق القويم

لو أن ما تقدم من الكلام يذكرنا كلما عرض لنا طفل من هؤلاء الاطفال الغير القابلين للاصلاح بان نفكر فيما عسى أن تكون حالة غدده الصماء او يحفزنا على دراسة من هذه الناحيه لكان حقا قد وصلنا الى النتيجة التى نرمي اليها ولادى لنا ولابنائنا الخدمة التى يقصدها

ترقية الفلاح اجتماعيا

يسهل على المتأمل لتاريخنا فى مدى الخمسين أو الستين من السنين الماضية أن يرى أن الاصلاح الذى تناول الريف المصرى فى هذه المدة قد اقتصر على اصلاح التربة لزيادة غلاتها دون اصلاح القرية . أي أننا أصلحنا الارض لكى تزيد أرباحنا منها دون أن نصلح الناس الذين يعيشون على هذه الارض . وبكلمة أخرى نقول أن نهضتنا الزراعية كانت اقتصادية ولم تكن قط اجتماعية

ولكننا ونحن نقول هذا القول يجب الا ننسى أن الاصلاح الاقتصادى يؤدى أيضا الى الاصلاح الاجتماعى . وأن من المحال أن نرقى بالقرية رقيا اجتماعيا ما لم نكافح الفقر . واذا كان ريفنا قد ارتقى بعض الشيء من ناحية الاجتماع فعرف أحيانا قيمة المدرسة أو المنزل النظيف أو الاثاث الحسن فلأن الرقى الاقتصادى قد هيأ الاسباب لهذا النظر الجديد . أما حيث يكون الفقر بالغا فان التفكير فى الرقى الاجتماعى يكاد يكون من الخيالات البعيدة

فاول شرط للترقية الاجتماعية هو الترقية الاقتصادية . وكلما يزيد ربح الفلاح الاجير أو المالك الصغير أو يفتح لهما أبوابا جديدة للتكسب يعمل لترقيتهما الاجتماعية أيضا

وبعد الترقية الاقتصادية ليس أمامنا غير الارشاد والمعاونة من ناحية الحكومة أو الهيئات الاخرى لكى ننتقل بسكان الريف الى مستوى اجتماعى راق

* * *

أن الريف يعاني أزمة عاتية هذه السنوات . وأغلب الظن أنه لن يعود قريبا الى سابق عهده قبل سنة ١٩٢٩ . وهو مثقل بالديون العقارية كما هو مثقل بالضرائب . وقد كانت الزراعة فى مدى الخمسين أو الستين من السنين الماضية أساس النشاط الاقتصادى فى بلادنا . وهى لا تزال كذلك الآن وان كان هذا الاساس قد أصبح واهيا . وصيحتنا العامة هى : هلموا الى الصناعة . ونحن نتطلع الى أن نكون أمة صناعية ولابد أننا سننجح فى ذلك وتعود الزراعة فى المكان الثانى . بل ربما تجذب المصانع عمال الريف فتتأخر الزراعة أكثر مما ننتظر لغلاء اليد العاملة

وفى مثل هذه الظروف يجب أن نخفف الضرائب والديون العقارية . ويبدو من احصاء المكوس الجمركية هذا العام أن ايرادات الحكومة منها لن تقل عن ١٦ مليون جنيه أى أنها تزيد بكثير على ضعفى الضرائب التى تجبى من الارض . واذن يمكن مع الاطمئنان التفكير فى خفض هذه الضرائب لزيادة دخل الفلاحين كما يمكن أيضا التفكير فى تسوية جديدة للديون العقارية

ان للرقى الاجتماعى ثمنا يجب أن نساعد الفلاحين على ادائه بخفض التكاليف المالية التى يكلفونها من ضرائب أو ديون أو رسوم لمجالس المديريات أو للخفر حتى يمكن الفلاح أن ينفق على ترقية منزله بمقدار مايرفع عنه من عبء هذه التكاليف

* * *

وبعد ذلك علينا أن نغرى المالك الكبير أو المتوسط بالاقامة فى الريف . فان المالك الذى يهجر قريته أو عزبته لكى يقيم فى القاهرة مثلا وينفق فى العام ٤٠٠ أو ٥٠٠ جنيه لو أنه أقام فى قريته أو عزبته وأنفق هذا المبلغ لافشى فى الريف حركة من الرقى الاجتماعى الذى لا يحلم به الآن . وذلك لانه سيضطر الى بناء منزل حسن مؤثث برياش فاخرة وربما يقتنى اتومبيلا . وهو فى عيشه يمثل طرازاً من الحضارة والنظافة والرقى يبعث على الاقتداء بين من هم دونه . واذا كثرت اقامة الاغنياء فى الريف انتقل اليه مقدار من الوان الحضارة المجسمة فى المدارس والملاهى والسيماتوغراف والاندية كما تنتشر حدائق الزينة وبساتين الاستغلال وتصلح الطرق الزراعية ونحو ذلك

والطريق لاغراء المالكين بالاقامة فى الريف أن نجعله نظيفا مامونا مزودا بالطرق الحسنة حاويا للمدارس الابتدائية والثانوية . والواقع أن سكنى الاغنياء فى القرى تعمل لترقيتها كما أن ترقية القرى تعمل لسكنى الاغنياء . فكل منهما باعثة على الاخرى متأثرة بها

وعلى ذلك نستطيع أن نقول أنه اذا وجدت القرية مساعدة مامن الحكومة على ترقية البناء واصلاح الطرق وانشاء المدارس الابتدائية والثانوية والصناعية اقبل الاغنياء على سكنى القرى وأصبحت سكناهم هذه دافعا جديدا لترقية القرية

* * *

ويمكن الحكومة أن تشترك فى ترقية القرية بان تبنى دارا رسمية تكون مركز العمدة . هذه الدار يجتمع فيها المجلس القروى وتهيأ بقاعة كبيرة يمكن القرويين أن يجتمعوا فيها أما

لسماع محاضرة واما لرؤية قصة أو مناظر سينمائية أو درامة أو نحو ذلك . وهذه الدار تصبح بتوالى السنين نواة للحياة الاجتماعية القروية وللتنبيه العام للوجدان المدنى . ورويدا رويدا تنمو فيكون منها جناح صغير يحتوى على طائفة من الكتب والجرائد مثلا . أو يكون لها جناح آخر يتولاه الصراف ويقوم فيه باعمال الجباية وتوزيع البزور والاسمدة والسلف ونحوها

وهذه الدار تختلف من حيث الحجم باختلاف القرية أو القرى التى ستتبعها فى العمدية . ولكن يجب ان تشترك جميعها فى الاسس والقدرة على النمو . وهذا النمو لانستطيع تعيينه من الآن . فقد تنتشر بيننا فى المستقبل فرق الجوالين التى انتشرت فى اوربا . ويحتاج الجوال الى دار تؤويه فى القرى فيجد فى « دار العمدة » بغيته . وقد تصبح هذه الدار مكان الانتخاب اما لمجلس النواب واما لمجلس القرية واما للعمدية . ولذلك يجب ان تبنى هذه الدار مع ملاحظة هذه الاحتمالات فى المستقبل

***

ولكن إذا كانت دار العمدية هى النواة للترقية الاجتماعية فهي ليست كل شيء . فان دور الفلاحين يجب أن ترتقى . وهنا تستحيل المسألة الاجتماعية إلي مسألة اقتصادية . فان تحسين منزل الفلاح يحتاج إلى المال قبل كل شيء . والفلاح — سواء أكان أجيرا أم مالكا صغيرا — يعجز عن التكاليف التى يحتاج اليها منزله لكي يصبح منزلا متمدنا تحتوي غرفه على نوافذ وتفرش أرضه بالبلاط ويسقف بالخشب ويزود بالماء والنور والمراحيض . وحتى اذا فرضنا أن الفلاح قادر على رفع منزله إلى هذه الدرجة فان تخطيط القرية الحاضر يجعل مثل هذا المنزل لا قيمة له فيها . والمنزل الحسن يكاد يكون مستحيلا إذا أحيط بمنازل سيئة فى قرية غبراء متعرجة الأزقة حافلة بالتراب وكيمان السماد البلدى

فاذا كان على الحكومة أن تبنى دار العمدية من خزانتها خاصة فان عليها أن تساعد فى بناء دور القرية . وعندنا فى بنك التسليف الزراعى الوسيلة التى يمكننا أن نتوسل بها لاصلاح القرية . فان هذا البنك يقرض أمواله لاصلاح الارض وزيادة الغلات فلماذا لا يقرضها أيضا لاصلاح القرية ؟

يمكن البنك أن يحدد « سلفة منزلية » تتراوح بين عشرين جنيها ومائتى جنيه لاصلاح المنازل القروية . وهذه السلفة تقسط بحساب ٣ أو ٤ فى المائة على مدى عشرين سنة حتى لا يكون منها

ارهاق . وهي تنفق على اصلاح المنزل داخله وخارجه

* * *

ولكن لا فائدة من ايجاد منزل حسن فى وسط قرية سيئة . ولذلك لا يمكن البنك أن يمنح السلفة ويأمن عليها حتى مع رهن المنزل ما دامت القرية التي هو بها سيئة . ثم ان العناية التى نتوخاها من ايجاد قرية حسنة البناء تصح أن تكون جسما لحياة اجتماعية راقية لا تتحقق . واذن يجب أن يقصر امتياز منح « السلفة المنزلية » على القرى التى لها مجالس قروية والتى يمكن البنك أن يصرح بأنها فى « حال » تستحق فيه منازلها هذه السلفة . كما يمكن البنك أن يشترط شروطا معينة لمساحة المنزل ومواد البناء الخ

وهذه « الحال » هي بلوغ القرية درجة من الرقى المدنى . كانشاء الطرق الحسنة وايجاد نظام للاضاءة ونحو ذلك بحيث لا يعود اصلاح المنزل فيها مخاطرة . وبكلمة أخرى يجب أن يتساوق الاصلاح فى المنزل مع الاصلاح فى القرية وألا يسبق أحدهما الآخر

* * *

لقد أشرت فى أول هذا المقال إلى أن أساس الترقية الاجتماعية هو الترقية الاقتصادية . وهذه النقطة تحتاج إلى تأكيد . واختبارنا جميعا يدلنا على أن القرى الغنية فى الوجه البحري حيث يمكن أحيانا غرس الكروم أو استثمار الاشجار الاخرى هى القرى المرتقية . وحيث تعرف الصناعات الزراعية وتعود بأرباح حسنة على أصحابها ترتقى القرية ارتقاء اجتماعيا . وحيث تعرف « شركات التعاون » وتمارس بعض الصناعات كالغزل والنسج ترتقى القرية أيضا فتكون بها مدارس بل أحيانا يشترك السكان فى الجرائد . وهذا واضح فى كثير من قرى الدقهلية والمنوفية والغربية

ويجب لهذا السبب بعد خفض الضرائب والديون العقارية أن نتوسع فى تعميم شركات التعاون وتنويعها حتى يستطيع الزارع أن يصل الي المستهلك ويأخذ لنفسه فرق الوساطة التى يقوم بها التاجر . فاذا زاد ربحه بالتعاون وزادت صناعات القرية الزراعيه بما تبتكره الجمعيات من مختلف النشاط التعاونى ، أمكنه أن يرقى نفسه هذه الترقية الاجتماعيه التى تحتاج الى ثمن بل الى ثمن باهظ بالمقابلة الي دخله الحاضر

* * *

والى هنا كان كلامنا مقصورا على الاسس المادية للترقية الاجتماعية. ولم نتناول ماهية هذه الترقية

وليس شك فى أن المدارس تؤلف القسم الاكبر من هذه الترقية فيجب أن تعمم وأن تكون فوق فرض « الكفاية » الذى فرضناه فى المدارس الريفية . لان فرض الكفاية هذا ليس جديرا بالثناء . وقصاراه أن يؤدى حاجة الفقير الذى يجب أن يقنع بالضرورى دون الكمالى . ولكن التعليم فى لبابه كمالى وليس هناك حد للمعارف الانسانية . والاجتماع الراقى هو الاجتماع الذي تتنوع فيه الثقافة والشئون الفنية والذهنية . وعلى قدر هذا التنوع يكون الارتقاء

ولذلك يجب أن نتجه الى ترقية التعليم الريفى برفع مستوى المدارس فيه الى ما يقرب من المستوى السائد فى المدارس الابتدائية . وذلك مثلا باستخدام حملة البكالوريا بقسميها فى التعليم فيها

* * *

ويجب أن نعد السينما والمسرح من وسائل الترقية الاجتماعية فى الريف . وذلك بأن نساعد الفرق التى تقوم بالخدمة فى القرى باعانات مالية . وبدهى انه مادامت الحكومة تؤدى هذه الاعانة فان لها الحق فى اختيار مايعرض على اللوحة السينمائية أو يمثل على المسرح حتى تثق بالفائدة العائدة على الريفيين منه

فيمكن فرقة تمثيلية جوالة أن تضرب خيامها فى ميدان احدى القرى وتقوم بتمثيل بعض الدرامات بضع ليال متوالية ثم تنتقل الى قرية أخرى . ويمكنها أن تأخذ رسما للدخول مثلا نصف قرش لانها تنال اعانة حكومية الى جنب هذا المبلغ

وكذلك الحال فى فرقة سينمائية . بل يمكن أيضا ايجاد فرقه بهلوانية مزودة بطائفه من الوحوش التى لايراها الفلاحون الا حين يزورون القاهرة . وقلما يفعلون ذلك حتى عندما يزورون القاهرة . ورؤية الاسد والببر والنمر والدب والزرد والنعامة تبعث التفكير فى أذهان الفلاحين وتجعلهم يتطلعون الى الحديث النير والقراءة المفيدة

وفائدة الرديو هنا لاتنكر ولكنها بالطبع محدودة بقدرة الفلاحين الاقتصادية ولعدم وجود القوة الكهربائية . ولكن « دار العمدية » يجب أن تحتوى بهوا به مقاعد للاجتماع وفي مثل هذا البهو يمكن الاستماع للاذاعات

* * *

وهنا يجب أن نذكر الدكتور نيتل صاحب المشروع الذى يراد منه تعليم الفلاحين بطريقة المجاميع . وقد ألقى محاضرة حديثة عن هذا الموضوع فى الجامعة الامريكية

فهو يقول أننا نستطيع أن نجمع طوائف من المجاميع التى يمكن أن تودع فى اتومبيل يسير على

السكك الزراعية أو سفينة حيث يتاح ذلك على فروع النيل . وهذه المجاميع تتناول موضوعات تعليمية بحيث يجتمع حولها الفلاحون للتفرج فيتعلمون من حيث لا يشعرون بالتكليف . والمعلم هنا مسامر محدث أكثر منه معلما . فهو مثلا يخرج مجموعة عن الهياكل العظمية للحمار والكلب والذئب والخروف والانسان والحمامة والفأر . فيشرح لهم العلاقات أو الفروق بين هذه الهيا كل ثم يخرج مجموعة أخرى عن الاقمشة النباتية والحيوانية والصناعية ويشرحها مع النظر الى التاريخ القديم والحديث . وفى ليلة قمراء يمكنه بتلسكوب صغير أن يجعل الفلاحين يرون الجبال والسهول فى القمر . وفى يوم ما يمكنه أن يريهم أيضاً الاحياء الصغيرة فى المياه التى يشربونها خلال المكرسكوب . ويمكنه أن يعرض عليهم نماذج مختلفة للاعضاء البشرية حين يصيبها المرض مع الشرح الوافى عن العدوي . بل يجب أن يكون معه جهاز سينمائى لعرض الافلام المختلفة المفيدة . ومثل هذه المجاميع يمكن أن تتفاوت قيمتها من مائتى جنيه الى الفى جنيه . ويعتقد الدكتور نيتل انه يمكن الاستغناء بهذه المجاميع عن المدارس . وهو إذا كان مبالغاً فى هذا الاعتقاد فان مما لاشك فيه أن فى نشر الفكرة تنويراً عاما وتسلية جميلة للفلاحين

***

انى اتخيل قريتنا فى المستقبل مدينة صغيرة ليس فيها بيت بالطوب الاخضر قد رصفت شوارعها الحجر أو بالأسفلت أو على الاقل بالمكدام . وقد نظمت شوارعها من الحقول المحيطة الى ميدانها الذي يتوسطها وهناك « دار العمدية » وهو المقر الرسمي للعمدة وموظفى القرية ومضيفة الموظفين الزائرين . وبه مكتبة صغيرة للمطالعة والاعارة . وبها بهو للاجتماع

والمجلس القروى مع مايحصل عليه من الرسوم من السكان ينال اعانة حكومية لتزويد القرية بالمياه ونقل الكساحة عنها . والمنازل تنال سلفا حسنة لتحسينها وتجميلها . والمدارس فى القرية فى رقى لا ينقطع ومستواها يزيد سنة بعد أخرى . وفى هذه القرية حركة تعاونية تزيد ارباح الفلاحين الذين يتقوون بها على اصلاح أحوالهم . وتزور هذه القرية فرق سينمائية وتمثيلية وتعليمية جملة مرات فى العام

وفى مثل هذه القرية تنمو صناعات زراعية مختلفة كما يكون بها أو بالقرب منها مدارس ابتدائية أو ثانوية تجعل الاغنياء يقيمون فيها ولا يهجرونها الى العواصم الكبرى . وهؤلاء الاغنياء ينشرون الحضارة التى يجلبون أدواتها وأذواقها من المستوى الراقى الذى نشأوا عليه

هذه هي القرية كما أتخيلها . وبعض هذا الخيال يمكن تحقيقه باقرب وقت وأيسر جهد . وبعضه يحتاج الى زمن . ولكن يجب الشروع فيه

عدة النجاح لرجل القرن العشرين

لسلامه موسى

قبل نحو عشر سنوات قيلت عن شباب المانيا كلمة لفتت أنظار الكتاب . وهي أن هؤلاء الشباب يقرأون سيرة فورد المخترع الامريكي بدلا من أن يقرأوا سيرة الشاعر الالماني جيته . ولهذه الكلمة قيمة رمزية للقرن العشرين . فان الخيال الذى يؤنس نفوس الشباب فى هذا القرن ليس خيال الشعر والقصص الغرامية وانما هو خيال العلم والاختراع وليست عدة الشباب ثقافة أدبية فقط بل ثقافة علمية ترقق حواشيها تلك « الانسانيات » التى هى ميراث الامم المتحضرة من الادب

والقرن العشرون هو قرن الثقافة العلمية والحضارة الصناعية . ولذلك يجب أن يهتم ابناؤه بفورد أكثر مما يهتمون بجيته . ويجب أن يبرع الشاب فى تصليح الراديو أو الاتومبيل أو الطائرة بدلا من أن يبرع فى انشاد قصائد جيته أو التوجع لآلام فيرتر

« • »

أى نجاح هذا الذى نطلبه لرجل القرن العشرين ؟

١ ـ نجاحا يخدم به نفسه

٢ ـ ونجاحا يخدم به أمته

٣ ـ ونجاحا يخدم به العالم الذى هو وطنه الاكبر

وقد يخدم الانسان نفسه ولا يخدم أمته . وقد يحدث العكس . وهو فى الحالين يشقى ولا يسعد ثم هو لا ينال السعادة الحقيقية الا اذا شعر بان خدمته لنفسه تتفق وخدمته لوطنه وللعالم

« * »

كيف يمكن الشاب أن يخدم نفسه فى هذا القرن أحسن الخدمة وأوفاها ؟

يمكنه ذلك اذا حصل على شروط مختلفة أهمها هو بلا شك الصحة التامة . فان كثيرا من الاخفاق فى المدرسة وفى مابعد المدرسة يعود الي الصحة السيئة التى لاتقوي على الجهد . بل لقد كان من أعظم الاسباب للبطالة فى أوربا ، قبل أن تتفشى البطالة الفنية التى تعزى الى التقدم الآلى ،

سوء الصحة بين العمال . وذلك لان العمل يحتاج للتفوق فيه ـ كما وكيفا ـ الى صحة حسنة تمكن لصاحبها من الجهد

ونحن على وجه العموم أمة مريضة ليس فى العالم أمة تقاربنا فى كثرة العمي والرمد او اصابات البلهارسيا . فاول شرط لنجاح الشاب المصرى فى القرن العشرين أن تهيأ له البيئة الصحيحة التى تمكنه أن ينشأ فيها سليم الاعضاء . وهنا مجهود عظيم يجب على الامة والحكومة ان تقوما به وهو اصلاح المنازل فى المدن والقرى

ولكن صحتنا جميعا هى ثمرة الوراثة والوسط . فلكى ننشأ أصحاء يجب ان نختار اباء اصحاء أو بكلمة أخرى يجب على الحكومة أن تقصر حق الابوة أو الامومة على الاصحاء . وهنا تخطر المانيا أيضا بالبال فيما تتخذته من اجراءات التعقيم . فان اعظم كارثة يصاب بها طفل إنما هى ان يولد وهو مثقل بعبء النقائص او العاهات الذهنية او الجسمية التى ورثها من والديه

ثم هذه الصحة الموروثة يجب ان تجد التربية الحسنة فى البيت والمدرسة . ويجب ان يكون لثقافة الجسم من القيمة مثلما لثقافة الذهن . وهذه الصيحة العالية الى حركات الكشافة والجوالة يجب الا تمر على الصبى ـ قبل الشاب ـ دون ان تغرس فيه الحب للرياضة والرغبة فى الخلاء . ويجب ان نتحرى من الانظمة الرياضية والصحية فى المدارس ما يتيح لنا اليوم الذى نرى فيه شبابنا يستبدل بالقيلولة نشاطا ومرحا فى لعبة التنس مثلا . كما يستبدل بالغداء الثقيل الذى يخدر الاعضاء ويدلق البطن غداء خفيفا يجعل الجسم ممشوقا والذهن صاحيا

ولكن مرانة الجسم على الرياضة ليست الكلمة الاخيرة فى الصحة . فان كل شاب يجتاز محنة كبيرة أيام المراهقة حين ينتقل من سن الصبا الى سن الشباب . فعلينا أن نحوطه بثقافة جنسية تقيه من اخطار هذا الانتقال دون ان نعمد الي المبالغة المرعبة او الاهمال المخطر . وهنا أيضا يجب ان يحاط الشاب برقابة فلا نشعل شهواته بالمناظر السينمائية او القصص المثيرة

فاذا انتهينا من عدة الشباب الاولى للنجاح وهي الصحة امكننا ان ننظر فى غيرها

« ٠ »

ويحتاج الشباب بعد ذلك اى بعد الصحة الى ان يعيش فى عصره وان يليق لان يعيش فيه . والقرن العشرون هو قرن الثقافة العلمية . فاذا لم يكن الشاب على شىء من العلم فهو ليس ابن

القرن العشرين . وفى اوربا وامريكا حركة فى التعليم تدعى Polytechnisation يراد بها ان يتعلم كل تلميذ حرفة فنية تتصل بالصناعات الحديثة وتقوم على ثقافة علمية . والحق ان الثقافة العلمية ستصبح شرطا اساسيا للتعليم . وتباع فى الولايات المتحدة الامريكية مجلات اسبوعية وشهرية لتعليم المعارف العلمية وهى تبسطها وتعرضها للقراء فى اسلوب مغر بعيد عن المصطلحات الغريبة . وهذا الى مجلات اخرى قد انتشرت عن السينما والراديو والطائرات . والشبان يقرأون هذه المجلات ويجربون التجارب التى تتصل بها . وليس كبيرا على طالب دون العشرين ان يؤلف بنفسه جهاز الراديو بمنزله . وكثير من هواة الاتومبيل يصلحونه عند حدوث أى خلل به كما لو كانوا صناعا مهرة . ومعظم ابناء الجيل الجديد يثبون الى الطائرة بنفس السهولة والمجانة التى كنا نثب بها الى ظهر الحمار أيام طفولتنا

فاذا أضفت الى ذلك أن بيوتنا حافلة بالمخترعات العلمية كالادوات الكهربائية والاقمشة المطبوخة من الخشب – الريون – ونحوها علمت أن البيئة التى نعيش فيها هى الآن الى حد ما علمية . وستزداد سمتها العلمية فى المستقبل القريب . فقد بنى فى العام الماضى منزل فى الصين-أجل فى الصين- قد ضبط جوه . أى انه خلو من النوافذ لا تدخله أشعة الشمس استغناء عنها بالاشعة الصناعية . ولا يجوز اليه الهواء الا بعد أن يغسل ويبرد ويرطب على درجات معينة . وأغلب الظن أننا سنرى مثل هذا المنزل فى القاهرة قبل مرور عشر سنوات

ولهذه العوامل جميعها نرى أن الشاب فى القرن العشرين يجب أن يعد نفسه بالعدة العلمية لا لكى يفهم الوسط الذي يعيش فيه فقط ، بل لكى يكون عضوا مشتركا فيه يعمل لترقيته ولا يعارض لجهله هذه الترقية . فقد ذكرنا هنا بعض التقدم العلمي الذى يتصل بالصناعات . ولكن هناك تقدما علميا آخر يتصل بالسكان والمواليد والوفيات والجرائم والامراض فاذا لم يكن الشاب على الفة بالمقاييس العلمية والنظر العلمى فأغلب الظن أنه يعارض الاصلاحات التى تقترحها الحكومة أو الهيئات المختصة الاخرى

* * *

الصحة الجسمية والثقافة العلمية . هذان هما الشرطان الاساسيان لعدة النجاح لرجل القرن العشرين . وقد سبق أن أشرنا الى أن سوء الصحة كان الى وقت قريب – فى أوربا نفسها – من أكبر الاسباب للبطالة . وهو كذلك الآن فى مصر الى حد ما . بل كثير من الاخفاق فى المدرسة

يعود الى سوء الصحة . كما الامراض الفاشية بين الفلاحين تنقص الانتاج الزراعى

وما يقال الآن عن سوء الصحة سيقال أيضا عن قلة الثقافة العلمية . فان البطالة القادمة فى مصر ستعزى فى كثير من الحالات الى قلة المهارة الفنية أى ضعف الثقافة العلمية · لان الوسط العلمى يحتاج لمهارات مختلفة أى أن كل فرد يجب أن يحذق عملا ما . وهنا نعود الى فكرة الصناعات الدقيقة الفنية فى المدارس Polytechnisation . ومهما قيل عن الحركات الفاشية فان مما يجب التسليم به أنها تبعث نهضة فى الشباب وتستهوى نفوسهم بمبادىء معينة . وقد ننكره نحن هذه المبادىء . ولكن فكرة تنظيم الشباب وتوجيهه نحو خيال معين بممارسة رياضة معينة هى فكرة حسنة .

ولو تساءلنا ماهى « الفاشية » التى يجب على شباب القرن العشرين أن ينتظموا فيها لكي يقووا على العيش لقلنا أنها (بعد تثقيف الجسم) هى الاخصاء فى الكيمياء الصناعية . فان هذا الفرع من العلوم سيغمر قرننا هذا بالمخترعات والممكنات الاقتصادية كما غمرت المخترعات الآلية القرن الماضى . وليس بعيدا أن تمحى زراعة القطن قريبا بتغلب المنسوجات المطبوخة من الخشب عليه كما محيت زراعة النيل فى الهند بالاصباغ التى اخترعتها ألمانيا . كذلك ليس بعيدا أن تلغى زراعة القصب والبنجر لان السكر سيصنع قريبا جدا من الخشب . والتبصر يقضى علينا جميعا الآن بان نعد شبابنا بعدة الكيمياء الصناعية التى تقيهم من الفقر القادم حين تتقهقر الزراعة فى الميدان الاقتصادى . وممكنات الكيمياء الصناعية كبيرة جدا بل لاحد لها . وحسبنا أن نعرف أننا حين نستخرج الاسمدة الكيماوية من الهواء انما نزرع الجو بطريق غير مباشر . لاننا نجعل الهواء يزيد محصولاتنا باستنزال النيتروجين منه

بل ربما نكون واهمين فى اعتقادنا أننا بلغنا أقصى ما يمكن بلوغه من الطبيعيات . فقد نفاجأ يوما ما بطريقة جديدة للحصول على القوة من الهواء المضغوط أو من أشعة الشمس أو من غيرها. والشاب الذى لا يثقف ثقافه علمية عامه مع الاخصاء فى فرع منها سيجد نفسه غريبا عن الوسط فلا يحقق نجاحا لنفسه ولا لأمته

* * *

ولكن اذا كان الشاب الذى أتاحت له التربية الجسمية صحة حسنه وأتاحت له التربية العلمية مهارة فنيه قد حقق نجاحا يخدم به نفسه ، فان هذا النجاح ليس كفيلا بأن يخدم هذا الشاب أمته أو يخدم العالم . اذ يجب فوق ذلك أن يكون رجلا مهذبا انسانيا له دين ومروءة . بل هو يجب ان يكون له من دينه ومروءته ما يجعله على أهبة تامة فى كل وقت لان يضحي بنجاحه الشخصى

فى سبيل الوطن والانسانية

والعالم كله فى هذا القرن الذى نعيش فيه عرضة لاخطار لا حد لها . وذلك لان الناس فوجئوا بمخترعات آلية وكيماوية سرعان ما استخدمت فى الحرب . وليس مايدرينا أن هذه المخترعات ستزداد قوة وحدة فى السنين القادمة . وقد رافق ذلك نزعة مادية ودعوة الى القوة تجعلان الخطر كبيرا من الحرب . واذا استثنينا عصبة الامم وبعض الاصلاحات الاجتماعية فى الامم الشمالية فى أوربا والولايات المتحدة جاز لنا أن نقول انه لم تخترع مخترعات اجتماعية لدرء هذا الخطر - خطر الحرب والثورة - عن الناس

وهنا تحضرنا كلمة بليغة كان قد ألقاها الرئيس ولسون مخترع عصبة الامم عن الشروط التى يجب أن تتوافر فى الشاب لكى يكون رجلا مهذبا . وقد كان الرئيس ولسون مغرما بالشروط . وقد نجح بعضها فى خدمة الخير العام وخاب البعض . ولكن شروطه هنا للفرد وليست للحكومات . فهو يقول ان الرجل المهذب يجب أن يعرف أربعة أشياء يثقف نفسه بها . وهى :

١ - احدى اللغات وتفضل لغته الاصلية على أى لغة أخرى

٢ — تاريخ العالم من حيث أنه مجهود عام بين الامم للوصول الي حضارة راقية

٣ - أحد العلوم بحيث يمكنه أن يمارس حرفته بالروح العلمي والدقة والنزاهة التى تقول بهما الطريقة العلمية

٤ — تاريخ الافكار . مثل فكرة الحكومة الدستورية أو فكرة الديمقراطية أو فكرة الفن الخ

* * *

وليس هنا مجال بحث هذه الشروط والافاضة فى شرحها . ولكننا نحتاج الى ان نمسها مسا خفيفا . ونستطيع ان نترك الشرط الثالث وهو ضرورة الحذق لاحد العلوم . فقد أوضحنا قيمة ذلك . أما الشروط الثلاثة الاخرى فأولها ضرورة العلم باحدى اللغات مع ايثار لغة الوطن علي أى لغة أخرى . فان التفكير المنظم لايمكن بدون أن تحذق اللغة التى نفكر بها . ونحن نفكر بالالفاظ فاذا كانت هذه الالفاظ مرجرجة غامضة اصبح تفكيرنا كذلك مرجرجا غامضا . ومن هنا ضرورة العناية باللغه حتى تخدم التفكير السليم

والشرطان الثانى والثالث ينصان علي ضرورة درس تاريخ العالم وتاريخ الافكار . والمقصود

من هذا الدرس أن يعود الشاب انسانا يخدم وطنه كما يخدم الرقى فى العالم كله لانه يشعر من درس هذين الموضوعين أنه عضو فى أسرة كبيرة هى النوع البشرى كله . فهو يعمل لمكافحه الفاقه والبؤس في بلاده كما يعمل لمكافحة الحرب فى العالم . وهو لانه قد درس تاريخ الحرية والرق والمباديء الدستورية يغار على الرقى الاجتماعي ويرضى بان يضحي بنفسه فى سبيل حماية هذه الحقوق التى اكتسبها الناس فى مدى المئات بل الالوف من السنين

وقد نلاحظ هنا أن الدكتور ولسون لم يذكر الدين كشرط من شروط الرجل المهذب ولكن ليس هذا لانه ينتقص قيمة الدين . فان حياة هذا الرجل وأغراضه فى الخدمة العامة ومكافحته للحرب تدل علي أن مزاجه هو المزاج الدينى . وأغلب الظن أنه يعد الدين نتيجة أو ثمرة لهذه الشروط الاربعة

وخلاصه القول أننا نرى أن عدة النجاح لرجل القرن العشرين تنحصر في :

١ — ان يكون سليم الجسم معافى من الامراض قد تعود عادات حسنة فى الطعام والرياضة

٢ — ان يكون على ثقافة علمية عامة ومهارة فنية علمية فى احدى الصناعات

٣ — ان يكون رجلا مهذبا على النحو الذى يشرحه الدكتور ولسون حتى تكون الي جنب مهارته العلمية اخلاق تجعله يستخدم هذه المهارة للخير العام للوطن والعالم

٤ — ونعتقد أن هذه التربية تجعله على الرغم منه رجلا متدينا بحيث انه يجعل الدين الاساس الذي ترتكز عليه أخلاقه

استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام

كانت نهضة المرأة المصرية محتومة . لأن انحطاطها السابق كان بعض انحطاط الامة الذى ورثته عن القـرون المظلمة . فلما نهضت الامة رجالهـا وشبابها نهضت المرأة . وهى اذا كانت قد تخلفت بعض الشىء فهذا التخلف لا يتجاوز ما هو حادث حتى عند أكثر الامم تقدما حيث المرأة لا تبلغ مستوى الرجال ولو منحت جميع الحقوق التى يتمتع بها الرجال

وليس هذا مقام التعيـين لاسباب النهوض . فقد يعزو أحدنا إلى قاسم امين السبب الاكبر . كما يعزوه آخر الى ضغط الحضارة الحديثة لنـا . بل ربما يكون فى الازياء الباريسية التى لا ينقطع سيلها عنا ولا ينقطع اغراؤها لفتياتنا وسيداتنا سبب آخر لهذا النهوض . لان المرأة أو الفتاة التى تتخذ الازياء الباريسية يجب أن تتخلق ببعض الاخلاق الغربية التى توائم هذه الازياء . الا ترى أن السيدة التى لا تزال تتخذ الحبرة أو الملاءة مع النقاب تتخذ مشية خاصة فيها أحيانا ترنح أو تبختر مع تمهل فى حين تتخذ الفتاة المتفرنجة فى زيها مشية سريعة مع قامة معتدلة ؟ بل أن لغة المرأة وهى فى الملاءة أو الحبرة تختلف من لغتها وهى فى القبعة

ثم هناك مجهود الحكومة والأمة فى تعليم المرأة . وهو مجهود بدأ ضعيفا ونما ببطء ولـكن سرعته زادت فى السنين الاخيرة

ولـكن للعوامل الاقتصادية على قلتها أثراً كبيراً فى نهضة المراة . فان المرأة حين احترفت التعليم بعثت اغراء جديداً على التحاق البنـات بالمدارس للتعلم . ولـكن يجب بعد كل ذلك أن نقول أن نهضة المرأة كانت بطبيعة الأشـياء تابعة لنهضة الامة . ولذلك كانت هذه النهضـة على اقصاها سنة ١٩١٩ ثم زادت اندفاعا بعد ذلك

وقد وصف السر فالنتين تشيرول فى كتابه « المسألة المصرية » اشتراك النساء المصريات فى الاضطرابات التى حدثت سنة ١٩١٩ بقوله :

« لقد كن يتحمسن فى حنق وطنى جنونى . وفى الايام العاصفة من شهرى مارس وابريل كن يخرجن جماعات كبيرة الى الشوارع . وكن يرين فى المقدمة فى كل مظاهرة ثائرة . وكن يسرن فى موا كب بعضهن على الاقدام وبعضهن فى العربات يصحن فى طلب الاستقلال وينـادين بسقوط الانجليز باللغات العربية والفرنسية والانجليزية وهن يلوحن بالاعلام الوطنية . وكن يحتشدن فى

منازل الزعماء المتطرفين ويلقين خطبا حماسية . وكن يسرن جماعات كبيرة خلف الجنازات التي تحمل رفات المتظاهرين الذين قتلوا في الشوارع وكان نواحهن العالي بمثابة النداء البليغ للانتقام . وقد اشتركن في اقامة المتاريس . ومع انهن كن يتفرقن عند بداية القتال فقد لوحظ أن بعضهن كن يعدن لكي يلتذذن رؤية نتيجة العنف الذى قام به الرجال . ولما أضرب الموظفون كانت فرق النساء يخرجن للمراقبة عند أبواب الوزارات لكي يمنعن أولئك الذين كانوا يريدون العودة . وفي الهياج الذي قام به الفلاحون اشتركت النساء مع الرجال في قطع الخطوط الحديدية واتلاف التلغراف وفي النهب والحرق . وكانت النساء أيضا ظاهرات في المظاهرات الصاخبة ضد لجنة ملنر . . . »

***

وليس شك في أن سنة ١٩١٩ كانت بمثابة الصدمة العنيفة التي توقظ النائم . ولكنها لم تكن كل شيء في النهضة . والصحيح أنها كانت نتيجة لنهضة سابقة وسببا لنهضة لاحقة

ونحن الآن في نهضة نسائية لاشك فيها وهي تندفع في نشاط الى نواح مختلفة . ومن مصلحة الامة أن تستثمر هذه النهضة للخير العام

والخير العام يقتضى أن تكون المراة إنسانا مهذبا قبل كل شيء . ثم اماً تستطيع القيام على تربية أولادها . ثم زوجة تؤانس زوجها وتستطيع أن تكون رفيقته الروحية . فاذا لم تستطع أن تكون زوجة واماً فيجب أن يكون في قدرتها تحصيل عيشها في جد وشرف

***

فيجب أن نضع نصب أعيننا قبل كل شيء أن تكون المرأة انساناً مهذبا لها الحق في أن تغذو ذهنها بالعلوم وتزوده بمختلف ألوان الثقافة . ويجب أن يكون هذا الحق على قدم المساواة مع الرجال لاننا حين نعلمها في المدرسة لا نعرف الحظ الذى سوف تلاقيه . وليس من حقنا أن نعين لها هذا الحظ . لانها قبل شيء وفوق كل شيء إنسان له حق تقرير المصير في هذه الدنيا . والثقافة هي التراث الذهني للبشر فمن حقها أن تصيب منه بمقدار ماتسمح لها به كفايتها . ومن الضرر العظيم على الامة أن تقصر الثقافة على الذكور دون الاناث لان هذا التحديد يفصلها امتين متباينتين . وهذا التباين تبدو لنا اماراته في وقتنا الحاضر حين نجد الزوج متعلماً راقياً له مكتبة حافلة بالكتب في لغات ثلاث أو أربع في حين تجهل زوجته الافاق الذهنية التي يتطلع اليها ويهتم لها . فكأن كلا منهما من أمة مختلفة . وهما عندئذ لا يجتمعان إلا للماديات ليس بينهما صلة روحية أو حديث يزدان بالانسة التي تنشأ من الاشتراك في مستوي التفكير

ولهذا السبب يجب أن نفتح أبواب مدارسنا وكلياتنا على قدم المساواة بين الجنسين . ويجب أن نذكر أن مصلحة الذكور تقتضى فى المدارس هذه المنافسة من الاناث

* * *

ولكن هذه الرغبة فى المساواة يجب ألا تعمينا عن مهمة تكاد المرأة تختص بها دون الرجل نعنى مهمة تربية الأولاد . فقد أثبتت السيكلوجية الحديثة أن السنوات الأربع أو الخمس الأولى هى السنوات التى تستقر فيها أخلاق الانسان بالاستجابات الذهنية والعصبية التى يستجيب بها للوسط الأول، وسط الطفولة . وهو فى هذه السنوات يتصل اتصالا حميما بالام يرضع ثديها ويتعلق بذيلها ويتعلم مبادىء الكلام منها . وتنغرس فيه بذور العواطف أي أسس الأخلاق . والطفل الذى يرى أمه تخاف الغريب وتهرول عند ماتسمع طرق الباب ينشأ وهو أيضا يخاف الغريب ويهيب الدنيا ويتراجع أمام الأعمال المجهولة . وذلك لانه تعلم فى طفولته أن يستجيب بالخوف من الطارق المجهول وهذه الاستجابة تثبت فيه مدي حياته

وقل مثل ذلك فى سائر الاستجابات . فاذا كانت الام جاهلة نشأت الامة كلها على استجابات سيئة أى أخلاق سيئة . ومن الخير العام لهذا السبب أن نربى نساءنا حتى يكن أمهات مربيات لان التبعة الملقاة عليهن كبيرة وهى لاتلقى على الرجال

فلتحصل الفتاة على ثقافة الرجال اذا شاءت . ولكن يجب علينا أن نزيد فى تعليمها مواد أخرى تتصل بالامومة أي تربية الطفل على الشجاعة والصدق وعادات النظافة والصحة والذكاء . وأقول « الذكاء » لانى أفهم أن كثيراً منه ليس فطريا وإنما هو مكتسب بعادات النظر والفحص والتطلع والامتحان . وأقول « الصحة » لأن معظم العمى الذى يصاب به أبناء الامة ترجع التبعة فيه الى الأم التى أهملت علاج طفلها حين رمدت عينه

* * *

ولكن هذه الدنيا لاتكفل لكل أنثى زواجا وأمومة . وهى إذا كفلتهما بعض العمر فقد لاتكفلهما طول العمر . والترمل كالعزوبة يصيبان النساء . فيجب أن نربى المرأة لكى تستطيع أن تواجه الدنيا فى شرف وجد ومهارة إذا لم توفق إلى الزواج أو اذا نكبت بوفاة زوجها . اذ عليها عندئذ أن تعول نفسها وأولادها . ولهذا يجب أن تعلم إحدى الصناعات . واليق الصناعات للمرأة هو التمريض لان فى طبيعتها المواساة التى هى أقرب الصفات الى الامومة . وفى مصر لايزال التمريض فى أيدي الرجال . وهذا خطأ بل خطل . ويجب أن ينزع من الرجال ويسلم للنساء ثم تأتى بعد ذلك صناعة التعليم . وتعليم الاطفال فى الرياض وتعليم الصبيان فى المدارس الابتدائية

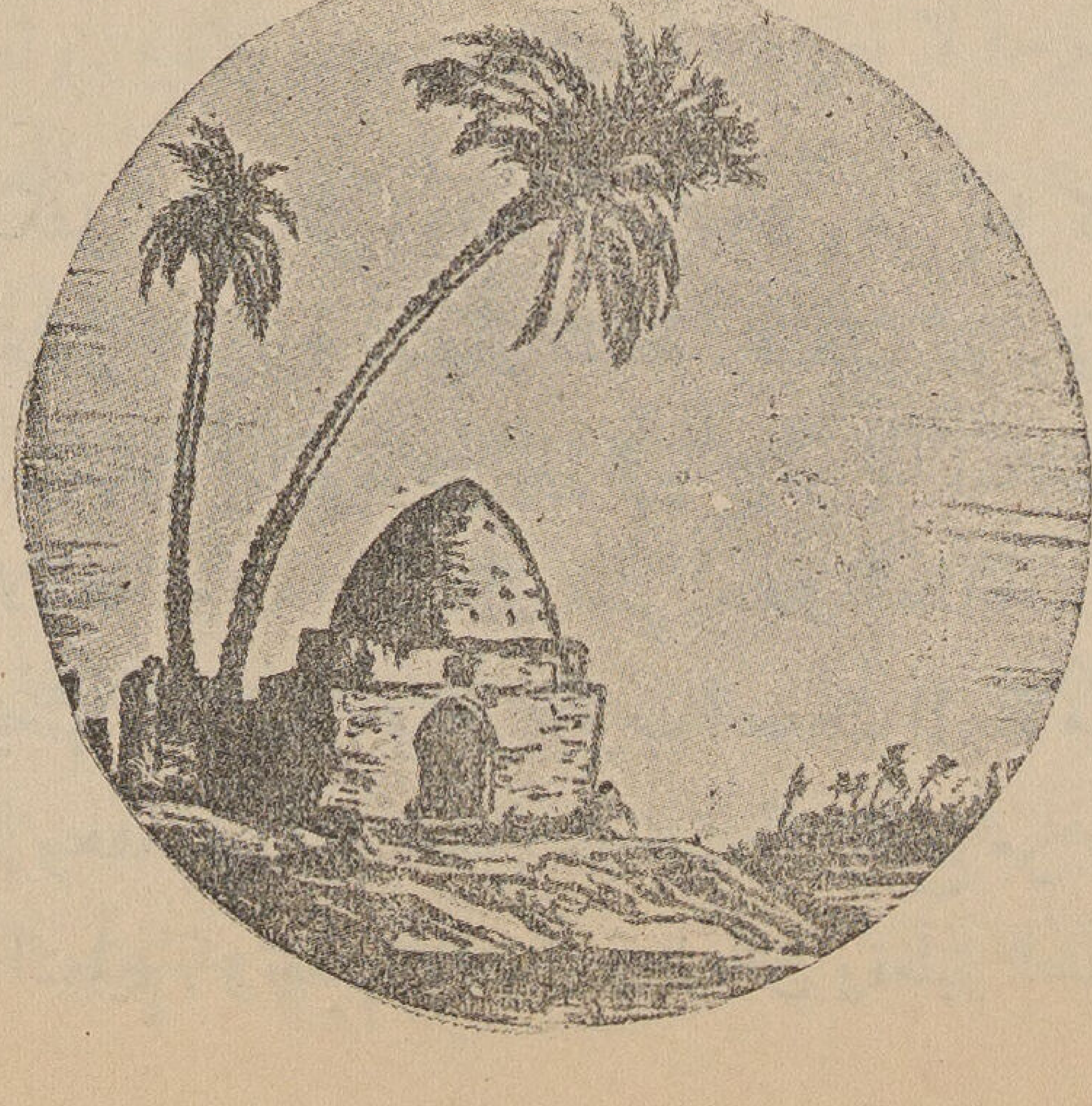
كلاهما فى أيدى النساء فى أقطار أوربا وامريكا . وهذا مايجب أن نتطلع اليه فى المستقبل أيضا . لأن المعلمة بين الصبيان أو الاطفال تمارس فى التعليم أمومتها الفطرية كما تمارسها فى التمريض سواء . وكذلك يمكن المرأة أن تكون طبيبة ومولدة

ثم هناك صناعات أخرى منزلية يمكن نساءنا أن يحذقنها ويؤدينها فى أوقات الفراغ وهذا بالطبع مع مراعاة اختلاف البيئة

* * *

إن مانقلناه عن السر فالنتين تشيرول يثبت شجاعة المرأة المصرية وصدق وطنيتها . ولكنها الآن متخلفة فى ثقافتها عن الرجل . فيجب أن يرتفع مستواها الثقافى حتى تستطيع اذا تزوجت أن تشترك مع زوجها فى الحديث المنير وبحث المسائل العامة . وهى بهذا الحديث وهذا البحث تزداد بصيرة فى معنى الوطنية كما أن البيت يعود شركة روحية جوه مفعم بالأنسة والعواطف الراقية وليس مكانا للشراب والطعام

ثم يجب أن نذكر أنها قد تكون أما . وعندئذ تزداد تبعتها . لانها تعود المربية الحقيقية لأبناء الامة جميعهم وهى التى تغرس فيهم أصول الاخلاق التى ستلزمهم مدى حياتهم . فلا بد من أن نعلمها هذه الواجبات . ثم يجب أن نحسب لسوء الحظ فنزودها بصناعة أى حرفة تستطيع أن تعول بها نفسها اذا كانت عزباء أو نفسها وأولادها اذا صارت أرملة



البطالة ووسائل علاجها

والتعليم الاقليمى واثره فى علاج البطالة

البطالة الشائعة فى الاقطار الاوربية والامريكية ليست من الطوارىء المفاجئة وانما هي تطور لازم للرقي الصناعى هناك . ولباب هذا الرقى منذ أن بديء العصر الصناعى فى انجلترا هو الاستغناء عن العامل باستخدام الحديد والنار أو — فى زماننا — باستخدام الطاقة الكهربائية . والمصنع يعد نفسه سائرا فى طريق الرقى اذا هو اهتدى الى وسيلة للاقلال من عماله باختراع جديد فى الآلات

ولايخلو مصنع كبير فى اوربا أو امريكا من معمل للتجارب العلمية التى يقصد منها الى الوصول الى الاقلال من تكاليف الانتاج . والاستغناء عن العامل هو بعض هذا البرنامج

واذا اعتبرنا الازمة الصناعية فى العالم وجدنا أنها تسير الى التفاقم من هذه الناحية . والبطالة الفاشية فى أوربا يمكن أن تعد — لهذا السبب — بطالة فنية أى أن الرقى العلمى ينقص الايدى العاملة فيها وسيزيدها نقصا فى المستقبل . ولكن يجب مع ذلك ألا نغفل حقيقة أخرى وهي أن الرقى العلمي يستحدث صناعات جديدة . وهذه الصناعات تزيد الايدى العاملة كما يتضح أمامنا من صناعات الاتومبيل والسينماتوغراف والراديوفون والطائرات الخ

* * *

هذا فى أوربا وأمريكا حيث الصناعات الآلية متقدمة . فهل نجد شبها لهذه الحال فى مصر ؟ نجد شبها ضعيفا جدا لايستحق أن نأبه به كثيرا . ولكن ربما نحتاج فى المستقبل القريب الى أن ننظر بجد وعناية الي المشاكل التى سوف تنشأ من مطاردة الآلات للعمال . وعندنا الآن من هذه الحال بوادر وعلامات :

١ — مثال ذلك أن الاتومبيل قد طرد الجواد وانخفضت بذلك قيمة الشعير والتبن وتربية الخيول

٢ — استعملت « الدوائر » الزراعية الكبرى وبعض كبار المزارعين الآلات البخارية والموطرية بدلا من الثيران فى الحرث والري ، فتأخرت زراعة الفول

وبالطبع نشأت من ذلك بطالة جزئية بين الفلاحين . وهي بطالة لا نكاد نشعر الآن بها . ولكن اذا أخذ الاعتماد على الآلات البخارية والموطرية يزداد فاننا لابد شاعرون بها يوما ما . مالم تتنوع الصناعات الزراعية أو تجذب مصانع المدن عمال الريف

* * *

وازدياد الحركة الصناعية الآلية فى السنين القادمة لن يحدث فى بلادنا بطالة قريبة . لأن الصناعات التى ستنشأ وتمارس بالآلات لن تقتل صناعات يدوية سابقة . فان الواردات الاوربية فى مدى الخمسين أو الستين من السنين الماضية قد قتلت صناعاتنا اليدوية . فاذا أنشأنا مصانع آلية فسوف يكون أثرها فى خفض هذه الواردات أو منعها . ولذلك لن نخشى عطلا قريبا بين عمال هذه المصانع الجديدة . بل أغلب الظن أننا سنجد اغراء هذه المصانع قويا على الفلاحين وسنحتاج الى التفكير فى ابتكار الطرق لاستبقاء الفلاح فى أرضه . ولابد من مرور سنين كثيرة قبل أن نحس بان البطالة الفنية أزمة تحتاج الى الحل كما هى الحال الآن فى أوربا

* * *

ولكن فى بلادنا بطالة بين المتعلمين لا يمكن انكارها . وهى حادة يخشى على الاخلاق والاجتماع من عواقب التذمر الذي تحدثه في نفوس العاطلين . فان الاعلان عن وظيفة صغيرة لايزيد مرتبها على بضعة جنيهات يجذب مئات الطلبات من حملة الشهادات العليا أو المتوسطة ويجب أن نعرف الاسباب لهذه البطالة حتى نهتدى بتعيين الداء الى وصف الدواء

فقد قيل مثلا في أسباب البطالة أن مدارسنا كانت ولاتزال تعلم الشبان لكي تخرج منهم موظفين . وهذا صحيح . ولكن يجب ألا نبالغ فى هذه الدعوى . فان نظام المدارس عندنا وبرامج التعليم لايختلفان عما هما فى أوربا وخاصة فى الامم اللاتينية ومع ذلك لاتتفشى فيها البطالة بين المتعلمين تفشيها عندنا

وكثيراً ما يقال ويكرر القول بان شباننا يكرهون العمل الحر ولم يتعلموا الاعتماد على النفس وما الى ذلك . وهذا من الكلام الذي يقال للكلام فقط . فان الاقدام على العمل الحر مع الجهل التام به لايعد اقداما ممدوحا بل تهوراً معيبا . وجميع الاعمال الحرة تحتاج الى رأس مال قل أو كثر وليس هذا متوافراً لشباننا

ونحن نختلف من أوربا فى شيء واضح . وهو أن الاعمال الحرة المهمة يقوم بها أبناء الجاليات

الاجنبية فى بلادنا . وهذه الجاليات تؤثر أبناءها على أبنائنا حين تحتاج الى موظفين . وليس ذلك لان الشاب المصرى لايجيد العمل عندها بل لان البيت التجاري أو الصناعى يفضل الموظف الانجليزى اذا كان هو انجليزيا ويفضل الموظف اليونانى اذا كان هو يونانيا وهلم جراً

ويضاف الى ذلك أن الحرف الفنية مثل المحاماة والطب والهندسة ليست خالصة لابناء البلاد فان لأطبائنا مزاحمين من الاطباء الاجانب . وكذلك للمحامين المصريين مزاحمون من المحامين الاجانب . والشركات الاجنبية لاحصر لها

* * *

ونحن حين نقول أن الاعمال الحرة فى أيدى الاجانب وأن كثيرا من الحرف الفنية كذلك فى أيديهم لانعنى القاء اللوم عليهم فى البطالة المتفشية بين شبابنا . فان هذه الحال تعزى الى ظروف ماضية ليس من السهل تعيين التبعة فيها . ومما لاشك فيه أن مستوى الحضارة الذى بلغناه يعزى بعضه بل كثير منه الى هذه الجاليات التى كانت حلقة الاتصال بيننا وبين الحضارة الاوربية

ولكن يكفى أن نقرأ تقرير بنك مصر الذى نشر فى الصحف قبل أيام . وفيه يقول مديره أن عدد موظفى هذا البنك قد بلغوا هذا العام نحو ٦٥٠ موظف . ومعنى هذه الارقام أن فى هذا المؤسس المصري ٦٥٠ شاب متعلم يحصل على عيشه . أو بكلمة أخرى نقول أنه لو لم يكن لنا هذا المؤسس لزادت البطالة بمقدار ٦٥٠ شاب عاطل

ويمكننا أن نقيس على ذلك . وأن نقول أنه لو كانت الاعمال الحرة جميعها فى أيدى المصريين أى لو كانت جميع البنوك والشركات الكبرى الاخرى تديرها وتملكها أيد مصرية لوجد شبابنا المجال الرحب لاستخدامهم . ولكن الحال ليست كذلك

* * *

وليس من المعقول - حتى مع الغاء الامتيازات الاجنبية - أن تعمد حكومتنا الى البيوت التجارية أو الصناعية الاجنبية وتطلب منها اخراج موظفيها الاجانب لكى تستخدم بدلا منهم شبابنا . ولكن كل مايمكن أن تقوم به حكومتنا لضمان العمل لابناء الامة أن تمنع هجرة الاجانب الى مصر ماداموا يؤدون أعمالا يمكن أبناء البلاد أن يؤدوها . وحسبنا مثالا على ذلك أن الحكومة البريطانية منعت سفر أحد المغنين الايطاليين الى لندن للغناء فى أحد مسارحها بحجة أن بين الانجليز من يمكنه أن يغنى . .

وكذلك يمكن الحكومة أن تشترط فى منح الامتيازات للشركات الجديدة تعيين الموظفين المصريين بمقدار مئوى معين . ويمكن كذلك الاتفاق مع الشركات الكبرى على تعيين الشبان . ولكن من المبالغة فى التفاؤل أن نعتقد أن هذه الشركات تقبل اقتراحات الحكومة بلا مقابل . واذن يجب أن تترك هذه المسألة الى أن تلغى الامتيازات الاجنبية ، أو يقتصر السعى فيها على الاتفاقات الودية بين الشركات الاجنبية والحكومة

والشكوي فى أوربا من بطالة المتعلمين هى بالطبع دون الشكوى من بطالة عمال المصانع . ولكنها مع ذلك يحس بها فى فرنسا وألمانيا وانجلترا . وفى فرنسا كما فى غيرها دعوة قوية لتعليم الشبان صناعات فنية Polytechnisation أي يجب أن يعلم كل شاب فى البلاد عملا صناعيا يمكنه عند الحاجة من أن يعود عاملا راقياً فى أحد المصانع

وهذه الدعوة يجب أن نعد الأذهان لقبولها فى مصر . والعمل بها سيحتاج بالطبع الى وقت طويل . ولكن يبدو لى أن التعليم سيتجه نحو هذه الوجهة فى جميع الامم المتمدنة اى وجهة أعداد كل شاب لان يحسن عملا فنيا فى احد المصانع

***

أن مما لاشك فيه أن الوسط الذهنى والاجتماعي الذى سيعيش فيه الشعب المصرى فى السنين القادمة سيشبه ما نراه فى اوربا أو امريكا فى الوقت الحاضر اي :

ثقافة علمية وحضارة صناعية

فيجب أن نعد شباننا لهذا الوسط بان نعلمهم صناعات فنية وأن نزودهم بالثقافة العلمية التى تجعلهم على المة كبيرة اوصغيرة بالمخترعات الكهربائيه أو الموطرية أو الكيمياء الصناعية أو المعارف البيولوجية التى ينتظر ترقيها وتفشيها . فيجب على مدارسنا أن تعلم كل تلميذ كيف يصلح الراديو مثلا فى منزله . كما يجب أن تنوع العلوم فى الدراسة الثانوية مع التعمق والتخصص بحيث يستغنى بواحد منها عن سائرها حتى يكون الحاصل على الشهادة الثانوية مؤسسا باحد العلوم الحديثة متعمقا فيه بدلا من أن يتوزع نشاطه على جملة علوم يعرفها معرفة سطحية

***

وكذلك تجب مراعاة الاقليم فى توقى البطالة فى المستقبل بحيث تعلم الصناعات التي تليق لكل اقليم . ولكن يجب ألا نبالغ فى ذلك فان للبيئة الاجتماعية قيمتها فى الصناعة مثل البيئة

الجغرافية أو الاقليمية . بل ربما كانت البيئة الاجتماعية أكبر قيمة . فليست سويسرا مثلا معدة لصناعات الساعات اكثر من مصر . واقاليم ايطاليا لا توافق صناعة الاتومبيلات اذا اعتبرنا أن الحديد والفحم ضروريان لهذه الصناعة . ومع ذلك نجحت هذه الصناعة فى ايطاليا . وقد كان يقال لنا قبل عشرين أو ثلاثين عاما أن مصر لا يمكن ان تكون صناعية لانها خالية من مناجم الفحم . وقد اتضح خطأ هذا القول . وربما كانت دنمركا اقل الاقاليم الاوربية ملاءمة للزراعة ومع ذلك هي أكثر الامم امعانا فى التقدم الزراعى

ولكن مع كل ذلك يجب ألا ننسى أن صناعات اللبن تحتاج الى اللبن الطازج ولذلك يحسن أن تنشأ الى جانب المراعى كما فى دمياط مثلا . وأن صناعة الازرار الصدفية تلائم الاقليم المحيط بالبحر الاحمر حيث المرجان والصدف . وان أحسن ما نخدم به سكان الواحات أن نعلم أبناءهم تجفيف البلح أو خزنه أو زراعة الزيتون وعصره . وأن جميع القرى المصرية يجب أن تمارس هذه الصناعات الزراعية كما أن بعض المدن البحرية يمارس تمليح السمك

***

ولكننا عندما نتكلم عن التعليم انما نتكلم عن المستقبل . وانه يجب أن نعد المدرسة ثم نعلم الجيل الجديد ، فننشر الثقافة العلمية ونلقن الصناعة الفنية

ولكن الآن ، ماذا نفعل الآن لمعالجة البطالة ؟

أما بطالة العمال فى المصانع فيجب الا تشغلنا كثيراً . لان أرجح الظن أن المصانع المنشأة بل التى ستنشأ ستستوعب العمال جملة سنوات قادمة ، وكل ما يمكن أن يقال هنا أن تنشأ « بورصات العمل » لتسجيل أسماء العاطلين وارشادهم الى امكنة العمل التى تحتاج اليهم . وهذه البورصات يصح أن تكون النواة للاصلاح الاجتماعى فى المستقبل

وكذلك ازدحام العمال الزراعيين كما فى مديرية المنوفية وغيرها سيخف عنه بالطبع باستزراع الارض الغامرة فى شمال الدلتا والدقهلية والارض القاحلة فى مديريتى البحيرة والشرقية . والحركة الصناعية ستخفف أيضاً هذا الازدحام بجذب بعض الفلاحين الى المدن

أما بطالة المتعلمين فيمكن ان تعالج على النحو التالي :

١ ـ تشجيع الشبان على التجارة بايجاد التسليف التجارى والتوسع فيه

٢ ـ التوسع فى التسليف الصناعى دون الحاجة الى رهن العقارات بل يكتفى بالآلات التى بالمصنع

٣ ـ اعفاء المصانع الصغيرة من تكاليف الترخيص . ما دامت القوة التى يستعملها المصنع لا تزيد على خمسة احصنة

٤ ـ استخدام حملة البكلوريا بقسميها معلمين فى مدارس التعليم الاولى والترقى به الى أن يقارب المدارس الابتدائية

٥ ـ منح خريجى المدارس الزراعية أرضاً من تلك التى تستصلحها الحكومه مع سلفة زراعية ابتدائية

٦ ـ الاتفاق مع الشركات الاجنبية والمصرية على استخدام شبان مصريين لقاء اعانة عن كل شاب على نحو ما يجرى فى المدارس الاهلية مع حق الحكومة فى مراقبة الحسابات عند هذه الشركات

٧ ـ تحديد هجرة الاجانب بحيث لا يزاحمون أبناء البلاد فى عيشهم

***

هذا هو ما يمكن أن يقال فى معالجة البطالة الحاضرة . أما الوقاية من البطالة القادمة فيجب أن نسترشد فيها بما تقوم به الامم الصناعية مثل انجلترا أو الولايات المتحدة . فمما لا شك فيه أننا صائرون الي الصناعة وأن البيئة الصناعية ستشمل بلادنا قريبا . وهذا حسن حتى مع الاعتراف بأن البطالة من لوازم البيئة الصناعية

ولسنا هنا فى مقام المفاضلة بين الوسط الزراعي وبين الوسط الصناعى . فان الاول هو وسط الفقر الذى لا يعرف البطالة . والثاني هو وسط الغنى الذى تلازمه البطالة . والرأى العام فى مصر مصمم على الصناعة . وهو يصمم عليها لعوامل سيكلوجية تمس كرامه الامة ولا محل لشرحها هنا . والبطالة اللازمة للوسط الصناعى هى « البطالة الفنية » ونحن ـ كما قلنا ـ بعيدون عنها الآن وسنبقى مدة طويلة بعيدين عنها

الجمال والذكاء والاخلاق

مجموعة لاتنفصل

ان مانقصد اليه فى هذا المقال هو أن نبين أن هذه الصفات الثلاث لاتنفصل بل تجتمع . فالرجل أو المرأة التى تبدى ذكاء هى أيضا التى تبدى جمالا وأخلاقا . والرجل الذكى الذى يتفوق بذكائه كذلك يتفوق بمتانة أخلاقه على سائر الناس وهو أيضا الرجل الجميل . وبكلمة أخرى ليس هناك جمال الا ويرافقه ذكاء وأخلاق

واسمع الآن اعتراضات بان هذا خطأ لان المرأة الجميلة قلما تكون متينة الاخلاق إلا فى النادر واننا نعرف كثيرين من الرجال الاذكياء الذين ليس على وجوههم شىء من مسحة الجمال وأنا أسلم بشىء من هذين الاعتراضين ولكن يجب أن نفسرهما لكى نعرف تعليلهما

فالمرأة الجميلة تنشأ منذ صباها وهى تعيش فى فتنة كأنها محنة يغرها الثناء . وهى تنخدع أحيانا به . وهى تدلل منذ الطفولة . والتدليل نكبة يصاب بها بعض الاولاد ويبقى أثرها فى حياتهم الى الموت سواء اكانوا رجالا أم نساء . وازاء هذه التجارب كثيرا ماتقع الفتاة الجميلة فى الغواية . بل الجمال فى الفتيان يؤذيهم أحيانا لهذا السبب نفسه . لان الاعجاب يعود اغراء ثم اغواء . ولكن حتى مع هذه الفتنة التى لاتنقطع منذ الميلاد الى مابعد الشباب نجدنا لانتمالك من أن نسلم بان عدداً كبيراً من الجمال فى الرجال والنساء يرافقه ذكاء نادر وأخلاق متينة . بل هؤلاء هم الكثرة التى لم تستطع فتنة الثناء أو قوة الاغراء أن تفسدهم

والاعتراض الثاني أن هناك عددا كبيرا من الرجال والنساء هم من الدمامة بمكان . ومع ذلك يبدون ذكاء وأخلاقا . وهذا حق أيضا ، ولكن ألسنا نرى هنا أن الفتاة الدميمة تصونها دمامتها من الفتنة ازاء الفتاة الجميلة ؟ هذه ترى اعجابا واغراء وتلك لاتجد شيئا من ذلك . فالواحدة عرضة للخطر والاخرى آمنة منه . ثم هناك أيضا عامل آخر فان الدمامة نقص ينبه الذهن احيانا الى ضرورة التكمل والتمهر . أو هي تحدث فى النفس مايسمى « مركب النقص » تبعث الذكاء الخامد وتحض علي ترسم الاستقامة . فالدميم يقدم الى الدنيا ويشعر كأن ليس له صديق . فهو يتمهر ويتبرع

ولكن الجميل يجد الدنيا كلها تصادقه وتحابيه وهو لهذا يحمل ويحمد

ولكن حتى مع جميع هذه الاعتبارات نجد بالتأمل أن الذكاء يرافق الجمال والاخلاق الحسنة

* * *

ولنضرب على ذلك أمثلة شائعة يعرفها الجميع

١ ــ ففى بلادنا ضرب من البلاهة نعرفه بسحنة الوجه المغولية . وهى سحنة قبيحة يتكتم فيها الوجه وتبرز الوجنتان كأن صاحبها صينى منحط . وهنا نرى بكل وضوح دمامة ترافقها بلاهة ووجها مشوها يسقط من فيه اللعاب

٢ ــ يمكن جميع المعلمين أن يسلموا بان السحنة الحسنة فى التلاميذ هي البرهان على الذكاء . وهذا مع بعض شذوذات نشأت من تدليل الطفل الجميل ومن قهر الطفل الدميم

٣ ــ أرقى الافراد فى الامة هم أيضا أجمل الافراد . ويمكن أن يعرف ذلك بسهولة عند ماننظر فى متوسط الجمال فى أعضاء البرلمان ونقابله بالمتوسط العام للجمال فى الامة

٤ ــ ويمكننا أن نزيد على ذلك بان الامم المتمدنة فى العالم هي الامم الجميلة وان أحط السلالات البشرية هي أيضا أقلهن جمالا وذكاء . وقليل من التفكير يدلنا على أن هذه الصفات الثلاث ــ الجمال والذكاء والاخلاق ــ هى فى حقيقتها صفة واحدة تورث مجموعة ولا يمكن فصلها الواحدة من الاخرى . فلنفكر إذن قليلا

* * *

ليس شك فى أن الجمال منشود يطلبه الرجل فى الفتاة التى يرغب فى زواجها وليس شك أيضا فى أن الرجل الناجح المتفوق هو الذى يحصل على الفتاة الجميلة . فالنسل الناتج من هذا الزواج يجب أن يجمع بين ذكاء الاب وجمال الام . وقد كان هذا سنة الاجتماع قبل أن يعرف الانسان الحضارة . فان ذلك الفتى الذكى القوى الذى كان يحتال على الصيد ويوقع بالقنيصة قبل عشرة آلاف أو عشرين الف سنة كان لذكائه هذا وقدرته على الصيد يجذب اليه أجمل الفتيات فى الغابة . وأغلب الظن أنه لم يكن يقنع بفتاة واحدة جميلة . وقد جرى هذا قبل الحضارة ثم مدة الحضارة . فاقترن الذكاء بالجمال وأصبح الرجل الجميل ذكيا أيضا

ولكن النجاح أو التفوق يحتاج الى أخلاق متينة . ونقول متينه لكى لا يتوهم أحد اننا

نعنى أنها سامية . فان السمو كلمة تحتمل معانى مختلفة . أما المتانة فتقتضى الاستقامة والمثابرة والجلد وهذه كلها صفة الرجل الذكى الناجح بل الذكاء الحسن يقتضى الاخلاق الحسنة . ولا عبرة بالشذوذات . فان الرجل الذكي يعرف أن الجلد شرط لازم للنجاح وأعصابه السليمة تتحمل هذا الجلد فلا يرهقها . ولكن الرجل البليد لا يتحمل الجلد الذي ينهك أعصابه ولا هو يدرى قيمته

والمشاهد فى جميع الاسر انها حين تتصاهر تطلب الكفاءة فى المقام الاول . وهذه الكفاءة تجر وراءها الذكاء والجمال وتجمع الصفات الثلاث فى النسل

وسنرى بعد أسبابا أخرى تجعل الاخلاق تابعة للجمال

***

وهنا اسمع اعتراضا آخر وهو أن الانسان كثيراً ما يتزوج فتاة دونه فى المقام ـ وهى حسب فرضنا تختلف منه ذكاء وجمالا ـ ومع ذلك يخرج النسل جميلا ذكيا

ولكن لا . فأن النسل هنا لايخرج جميلا ذكيا . ويكفى أن نذكرهنا حادثا عاما أصاب المصريين والاغريق والرومان والعرب . وهو أنهم حين عرفوا الجوارى والتسرى وخلطوا دماءهم بدماء الاغراب المنحطين انحطوا هم أيضا ولم يعودوا مصريين وعربا ورومانا واغريقا بل عادوا بهذا التسرى خليطا هجينا سىء الاخلاق ـ اجل وسىء الجمال ـ وهذه هى الهجنة التى أصابت هذه الامم والتى كانت سببا لانحطاطها الى جنب العوامل الاقتصادية التى لا تنكر ، هذه الهجنة نفسها تحدث من وقت لآخر بين الافراد حين يتزوج العظيم فتاة من أسرة منحطة . او تتزوج المرأة العظيمة رجلا منحطا دميم الوجه . هذه هى الهجنة هى التى يحاربها الآن البيض فى الولايات المتحدة حين يسنون القوانين لمنع الزواج بين البيض والزنوج ومثل هذا القانون يعمل به أيضا فى اتحاد أفريقيا الجنوبية . وقد بالغت ألمانيا فى الاحتراس من هذه الهجنة بقوانين جديدة نعرفها جميعا . وقد كان العرب يخشون الهجنة ولكنهم لم يدركوا أن للأم السيئة قيمة فى التهجين لا تقل عن قيمة الاب السىء . ولذلك لم يبالوا التسرى الذى كان سببا لانحطاطهم

ولكن يجب أن لا نتطوح . فان موضوعنا هو أن الجمال يجتمع الى الذكاء والاخلاق .

وأننا متى وجدنا صفة واحدة من هذه الصفات الثلاث وجدنا الصفتين الاخريين . وقد عللنا هذا الاجتماع بان الرجل الذكى متين الاخلاق كان يتفوق ويختار أجمل النساء ليكن زوجاته . فينشأ النسل وهو يجمع الصفات الثلاث

ولكن هناك تعليلات أخرى . مثال ذلك أن الجسم الصحيح يحتاج الى غدد صماء صحيحة تؤدى واجبها على أحسن وجه كما يحتاج الى أعضاء سليمة أخري . وهذه الغدد الصماء التى تفرز سوائلها فى الدم هي التى تكسبنا القامة الطويلة أو القصيرة والوجه المعروق أو المكلثم وهى التى تمسح على الوجه مسحة الجمال أوالدمامة . وهذه الغدد نفسها هي التى تؤثر فى ذكائنا وأخلاقنا فتكسبنا البلادة والخمول أواليقظة والتنبه

وهى التي تقرر لنا الشجاعة أو الجبن . وهي التى تؤثر فى تفاؤلنا أو تشاؤمنا وتقرر لنا النجاح أو الخيبة

وحين نقول هذا الكلام لا نتجاهل الوسط وتأثيره فى تربية الاخلاق كما أننا لم نتجاهل العوامل الاقتصادية فى انحطاط الامم ولكن خلف الوسط والاقتصاديات اجساما فيها نشاط وذكاء أو فيها بلادة وخمولا . وكل هذا يستحق الاعتبار

ولنضرب بعض الامثلة . فهناك مرض يصيب الاطفال ويسمى النفاشية « كريتنزم » وهو ينشأ من أن الغدة الدرقية التى فى العنق لا تؤدى مهمتها على الوجه الكامل فيتكتل الطفل وتنساح ملامح وجهه ويقف عن النمو وتعلوه الغباوة . فهو دميم الوجه بليد الذهن . فاذا غذى بخلاصة هذه الغدة (الصماء) عاد اليه نموه واعتدلت ملامحه وارتد اليه ذكاؤه . وهنا إذن برهان على اشتراك الذكاء بالجمال

ومثال آخر : انظر إلى طفل اكسح تجد أنه دميم متخلف فى نمو الذهن والجسم فاذا أعطي الغذاء الحسن (زيت سمك الكود) عاد نموة واسترد وجهه رواءه وذهنه ذكاءه . واختباراتنا جميعا تدل على أن الوجه المشوه هو البرهان على الذهن المشوه وهذا واضح على أقصاه فى البلاهة المغولية التى سبق ان اشرنا اليها وهى تتضح بدرجات متفاوتة حين يعتل الجسم لنقص فى الغدد الصماء او فى غيرها من الاعضاء التى نقص غذاؤها . واختباراتنا ايضا تدل علي ان جمال الوجه هو البرهان على ذكاء الذهن . وهذا تراه على اقصاه فى الرجل العبقرى الذى لاتستطيع ان تشك فى جماله

بشرط اننا نفهم معنى الجمال ولا تنخدع بمقاييس مخطأه

* * *

نظن اننا الآن نسلم باجتماع الجمال مع الذكاء بل باجتماعهما ايضا مع صحة الجسم . ولكن كيف يجتمعان مع الاخلاق الحسنة

يمكننا أن نستنتج ذلك أولا من الحقيقة البارزة وهى أن الرجل الذكى لا يرضيه أن يلجأ إلى ارتكاب الجرائم لكى ينجح فان ذكاءه يمنعه من تحقيق النجاح بالسرقة أو الاغتصاب أو النصب وهو يملك أعصابه اذ هو سليم الصحة لا يندفع وليست له بدوات شهوانية أجرامية . وله من ذكائه أساليب وحيل مشروعة للعيش لا تضطره الى أن يسفل ويجرم

وهنا لا أنسى أن للاجرام أصلا اقتصاديا لا ينكر . ولكن نظرة عامه الى وجوه المجرمين تدلنا على أن تشوه النفس يرافقه تشوه الوجه . ولا عبرة بالشذوذ . وهذا التشوه الذى نجده فى السجن نجد مثله أيضا فى المارستان ؟

ونحن حين نذكر « متانة الاخلاق » ماذا نعنى بهذا الكلام ؟ السنا نعنى أعصابا سليمه تتحمل الضنك والضيق وهى ثابتة لا تتزعزع ؟ وماذا فى هذا المعنى سوى أن الرجل المتين الاخلاق انما هو الرجل السليم الجسم ؟ ومتى كانت هناك سلامة فى الجسم فهناك سلامة فى الذهن . فهنا ثالوث لا ينفصل : الجمال والاخلاق والذكاء

* * *

وما هي عبرة هذه الاستنتاجات ؟

عبرتها انه يجب على كل شاب أن أن يختار لزواجه أجمل فتاة لانه وهو ينشد الجمال يضمن لنفسه حصول النسل على الاخلاق والذكاء . وأحسن ما يكفل له ذلك ألا يخرج عن طبقته فلا يختار زوجته من طبقة أدون من طبقته لانه ان فعل ذلك فقد وقع في الهجنة . كما أنه يجب ألا يتزوج أحدا من غير سلالته البيولوجية التى تنتمى اليها أمته . لانه ان فعل ذلك فقد وقع أيضا في الهجنة التى وقعت فيها الامم الغابرة حين أخذت بالتسرى وصار نسلها خليطا من نحو ثلاث أو أربع سلاسات مختلفة . ولسنا هنا ننعى النقص أو العيب على بعض السلالات . فان لكل سلالة

صفاتها الحسنة التي تكونت على مدي القرون وأصبحت فيها هذه كالعبقرية لانها نشأت بما يشبه التوالد الداخلى فصارت الصفة تحتد حتى تبلغ حد المبالغة . وهذه عبقرية . فاذا اختلطت سلالة باخرى انساحت الصفات وذهبت عنها المبالغه فتعود البلاهة مكان العبقرية

فنحن المصريين لنا صفات ورثناها فى عشرات الالوف من السنين الماضيـة وهي تتأكد فينا بالزواج بين افرادنا وهذا التأكد هو مبالغة وهو عبقرية فاذا تزوجنـا أجنبية من غـير سلالتنا انساحت هذه الصفات وذهب عنها تأكدها ومبالغتها وعبقريتها . وليس هذا الـكلام طعنا فى السلالة الاجنبية فان الجواد السباق سلالة عبقرية فى العدو والحصان الجر سلالة عبقرية أيضا فى جر الاثقال ولـكن النتاج الحاصل بتلاقحهما هو نتاج سيء لا يليق للجر ولا للعدو لانه هجينا وليس اصيلا

ولذلك احسن امرأة يتزوجها المصرى لمصلحة نسله هى المرأة المصرية ولـكن يجب الاختبار الحسن ويجب العناية بالاصل ونعنى الاصل البيولوجى وكذلك الاصل الاجتماعي لان الثانى هو ثمرة الاول . فان الاسرة لا تبلغ مركزاً اجتماعيا حسنا الا لان فيهـا صفات بيولوجية حسنة هى صفات الجمال والذكاء والاخلاق مجموعة . وانت عنـد ما تطلب الجمـال ثق انك تطلب ايضا الذكاء والاخلاق

اخناتون والايمان باله واحد

مهما تعددت الآلهة يأبي الذهن المثقف الذى درب على التمحيض والمنطق إلا أن يؤمن باله واحد . ولذلك نجد للتوحيد مقاما حتى عند الامم الوثنية القديمة أو الحديثة مثل اليونان أو الرومان أو الهند . وذلك انه مهما آمن العامة بعشرات من الآلهة فان المثقف من الخاصة ينتهى من هذا الشعور إلى التوحيد . وهذا هو ما يجب أن نفرضه فى مصر . بل عندنا أكثر من الفرض فالنصوص القديمة تثبت أنه حتى فى عصر الدول القديمة أى فى عصر الاهرام كان رع يوصف بأنه « لا حد له »

ومتى وضع مثل هذا الوصف لأحد الآلهة فانه يجعل سلطانه غير محدود ويجعل قيام الآلهة الاخرى بجنبه غير لازم . وهنا ان لم نجد توحيدا فاننا نجد بزرة التوحيد . وفى « رع » ما كان يرشحه فى أذهان أسلافنا للسيادة والسلطان على سائر الآلهة ثم الاستئثار دونها بهما فانه يمثل الشمس أو الشمس تمثله . وهذه الشمس تري كل يوم وهى تقطع السماء من الشرق إلى الغرب ثم تعود فى صباح اليوم التالى فيكون منها نور ودفء يحيى النبات والحيوان . فكأن رع يملك الكون ويبعث الحياة

ولكن طبقات الكهنة التى كانت تعيش وتثرى بتعدد الآلهة ووفرة الاصنام حالت دون التوحيد لانها وجدت أن عيشها يتوقف على أن تقدم للعامة ما تطلبه من الآلهة والاصنام التى تحاط بشعائر مختلفة وتستخدم للشفاعة فى القرية الصغيرة أو المدينة الكبيرة . ونحن نعرف فى عصرنا الحاضر أن للولى أو القديس المحلى فى القرية مقاما كبيراً . وقد كان تعدد الآلهة يقوم عند أسلافنا مقام تعدد الاولياء أو القديسين فى عصرنا فكان يحول دون التوحيد

ثم كان هناك سبب آخر يجعل التوحيد بعيدا عن أذهان العامة . وهو ان آلهة مصر كانت مصرية أى لم تكن عالمية . وكانت مهمة الاله أن « يحرس الحدود » كأن ما خرج عن مصر قد خرج أيضا عن سلطانه . ولكنا حوالى سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد نجد عاملين مهمين يجعلان مصر أو الخاصة فيها ترضى بالتوحيد

الاول : ان الهكسوس كانوا شعبا ساميا قد أقاموا فى مصر بضعة قرون . وكانوا مثل جميع الساميين البدو يتعلقون بالتوحيد أو على الاقل يكرهون الاصنام

والثانى : ان مصر أصبحت امبراطورية تحكم العالم كله المعروف فى ذلك العصر . وأصبحت آلهتها أيضا امبراطورية فلم يعد المصرى يقصر سلطان آلهته على مصر بل يبسطه على العالم كله وأجدر الآلهة بهذا السلطان هو رع الذى يضىء الكون كله ويبعث الحياة فى النبات والحيوان . ولذلك نجد حوالى سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد ، ان الرب المتسلط على مصر هو آمون (الذى يري قرنه علي رأس الاسكندر) قد اندغم فى رع وأصبح آمون رع . وقد كان هذان الالهان فى صراع . الاول آمون يمثل الديانة التى يعيش منها كهنة طيبة . والثاني رع يمثل الديانة التى يعيش منها كهنة أون أى عين شمس . واندغامهما محاولة أولى للتوحيد أو هى تسوية بين الوثنية والتوحيد تدل على أن الخاصة فى مصر كانت كارهة للتعدد

* * *

ولكن التوحيد فى مصر يقرن باسم اخناتون الذى تولى عرش مصر سنة ١٣٧٥ ومات سنة ١٣٥٨ ق . م .

واخناتون هو مثال العبقري الذى تتركز فى نفسه روح العصر ثم تزدهر وكأنها تنفجر . فانه دعا الى التوحيد خالصا من جميع الملابسات الوثنية حتى انه غير اسم رع الى اسم أتون . وهو أحد أسماء رع القديمة التى لم تكن مألوفة فى عصره . ثم هدم الاصنام وألغي الآلهة المتعددة حتى ان لفظة « أرباب » أو « آلهة » لم تجر على لسانه ولم تذكر فى تراتيله لانه أراد أن يخلص الدين الجديد من كل ما يوهم التعدد . وغير اسمه من أمينحوتب المشتق من « آمون » الى اخناتون المشتق من « أتون »

وحاول تعميم هذا الدن الجديد فى طيبة عاصمة القطر فلم يفلح لان العامة كانت بالطبع تسير وراء الكهنة وتتعلق بآلهتها المختلفة التى نشأت عليها وعقدت ولاءها بها . ولم يكن اخناتون ينزع الى البطش فيقتل الكهنة ويستبد بالدين الجديد . فانه كان مثال الحنان والرأفة . وهذا فضلا عن أن الفراعنة قبله وبعده لم يعرفوا البطش بالامة أو بالافراد

ولذلك عمد أخناتون الى انشاء عاصمة جديدة فى منتصف الطريق بين طيبة والبحر أطلق عليها اسم « أخيتاتون » حيث يستطيع عبادة الهه فى مكان بعيد عن الاصنام التى كانت تحتشد بها طيبة . وحيث لا يجد من الكهنة مقاومة ودسائس تشغل باله وتعوق دعايته للتوحيد . وهو هنا

مثل قسطنطين الذى ترك رومه وأسس عاصمة أخرى على البسفور حين استقر عزمه على تعميم المسيحية بدلا من الوثنية الرومانية

* * *

وهذا الدين الجديد الذي دعا اليه اخناتون هو خلاصة الاخلاق المصريه التى كان قد مضي عليها نحو ٢٠٠٠ سنه منذ اتحاد المملكة وهى تسير فى تطور ورقي . ويمكن أن نلخص مبادىء هذا الدين فيما يلى :

١ — أن قرص الشمس ليس هو المعبود بالذات وانما هو رمز للتوحيد والقوة الالهية

٢ — ان التوحيد لايحتمل الشك . فان لفظة أرباب أو آلهة لم تذكر قط فى صلواته وهو يصف ربه بقوله : « أيها الرب اتون الهي الذى لاشريك له . ايها المنفرد بالقوة والمجد »

٣ — ان الحب والرأفه هما الاخلاق السائدة فى الدين الجديد حتى انه لم يذكر « جهنم » مع انها كانت معروفة فى مصر فى ذلك الوقت . وحتى انه رفض ان يقاتل الحيثيين الذين كانوا يغيرون على ممتلكات مصر فى سوريا . وذلك حبا للسلام وكراهة للقسوة والدماء

٤ — انه يؤكد الحياة بدلا من الموت . والحب بدلا من الخوف . فهو يذكر مثلا زوجته نفرتيتى (وتمثالها الجميل هو الان فى برلين) بقوله « نفرتيتى مصدر سعادتي كلما سمعت صوتها الحلو طربت وابتهجت نفسى . هى سيدة الظرف والرقة . قلبها يفيض حبا وحنانا . ووجهها مشرق جميل » وليس هذا الوصف لمعشوقته بل لزوجته

وقد كان للموت شأن كبير فى الديانه المصرية السابقة وكما يدل على ذلك كتاب الموتي والتحنيط والاهرام والقبور . ولكن اخناتون التفت للحياة وجعلها نعمة أتون للبشر التى يستحق عليها الحمد ولم يلتفت الى الموت

* * *

والآن ماهي النتائج التى اثمرها هذا الدين الجديد :

كانت النتيجة الاولى أسوأ النتائج . فان الحيثيين كانوا أمة جديدة فتية تغير على الممتلكات المصرية فيستغيث حكامها المصريون باخناتون فيرفض الحرب لانه أراد أن يعمل بمبادئه التى يدعو اليها أى مبادىء السلم والحب

أما النتيجة الثانية لتطبيق هذه المبادىء فكانت حسنة فان اخناتون أو الذين شربوا مبادىء النهضة الدينية الجديدة أخذوا يعملون بها فى الفنون . فانطوت ثورتهم على التعدد فى الالهة على ثوره أخرى على تقاليد الرسم والنحت . فان هذه التقاليد كانت قد ضيقت القواعد حتى أخرجت الفن عن غايته وجعلته عرفا دينيا يحفظ بلا نظر الي مطابقة الرسم أو النحت للاصل . وفى عصر أخناتون عاد الرسم والنحت الى محاكاة الطبيعة

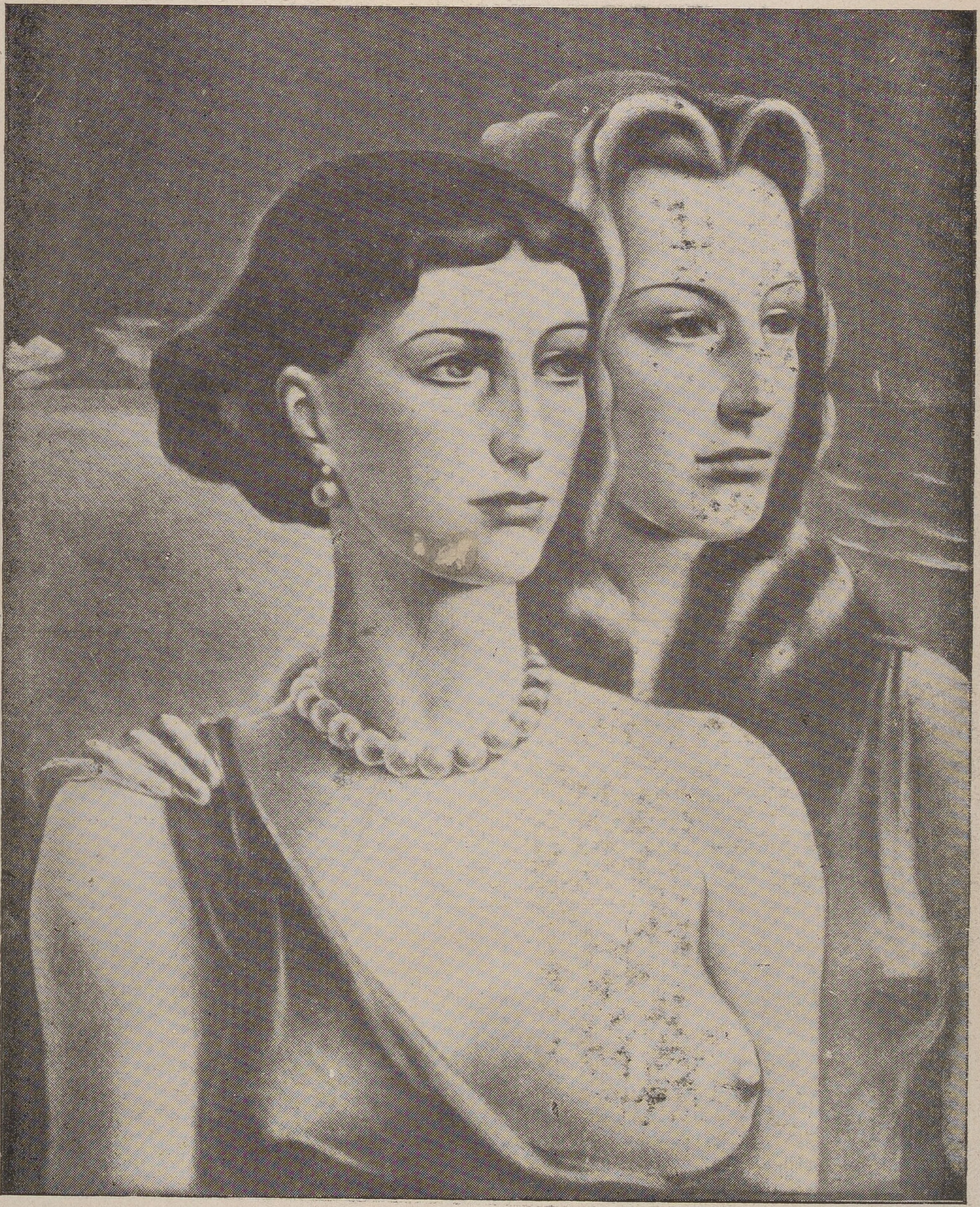
وقد مات الدين الجديد بموت أخناتون وعادت الامة الي عبادة امون وعاد الكهنة الى سلطانهم بل أصبح اخناتون لا يذكر الا بوصف انه « مجرم اخيتاتون » ولكن الدين الذى ارتقي بالمصرى الى أن يكون بشريا قبل أن يكون مصريا لم يمت . فان أخناتون كان يصف ربه بقوله :

« أنت أوجدت سوريا والنوبة ومصر . وجعلت نيلا فى السماء من أجل الغرباء » وهو يعنى هنا المطر . وهو يثبت هنا أن الاله لا يؤثر مصر على غيرها من الامم . وليست مهمته حراسة الحدود المصرية وهذا رقى عظيم فى التفكير الدينى . وهو اذا كانت مصر قد حرمت منه اسيطرة كهنة أمون ، فان شعوب اسيا لم تحرم منه

ويمكن المؤرخ أن يتساءل : ماذا كان يكون مصير مصر لو أن أخناتون لم يمت وهو فى الثلاثين من عمره ؟ وهل كان يمكن كهنة طيبة ان يعودوا الى سلطانهم السابق لو انه عاش الى الستين أو السبعين ؟ ثم ماذا كان يحدث أيضا لو أن وارثه على العرش لم يكن الصبى توتنخ أمون زوج ابنته الذى اغراه الكهنة وأغووه على الارتداد ؟



فاطمة — للرسام محمود سعيد



فتاتان

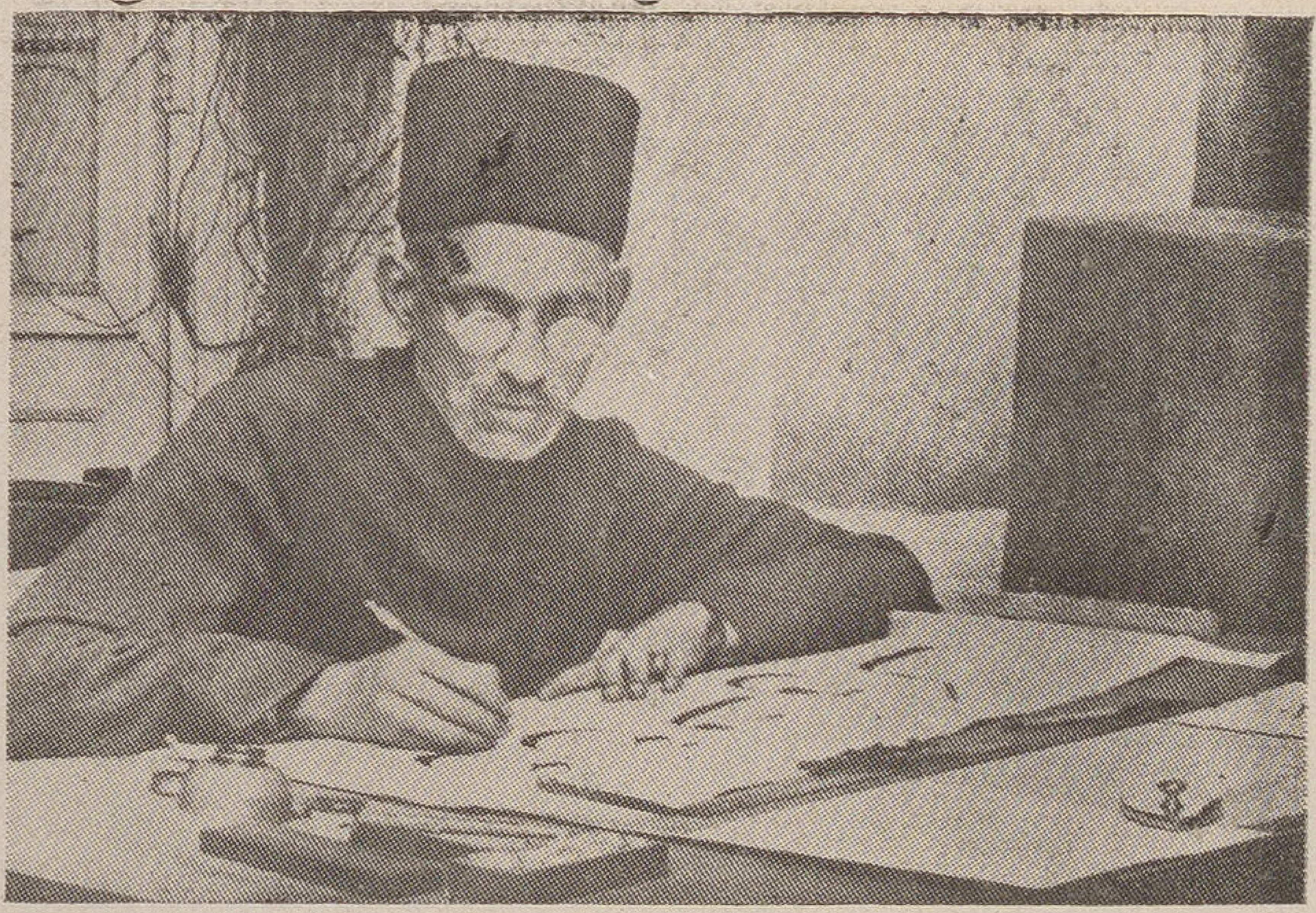
للرسام باير



باليمين — النظام عثمان على خان أمير حيدر أباد



باليسار — الأميرة درة شهوار ابنة السلطان
عبد المجيد الثانى سلطان تركيا السابق
وزوجة ولى العهد فى حيدر أباد ومعها
ابنها منه



خطاط فى حيدر أباد يكتب الخط العربى



سيدة مسلمة فى حيدر آباد وهى كاسية بالبردة
من الرأس الى القدم

نظام حيدر اباد

للاستاذ فتح الله انطاكى

نظام حيدر اباد هو أعظم أمراء الهند قاطبة من هندوكيين ومسلمين وهو من سلالة نواب آصف جاه بهادر وقد كان فى زمن المغول جنرالا وقائداً عاما لمدينة أورانجازب وفى عام ١٧١٣عين آصف جاه نائبا للملك فى حيدر اباد وكان يلقب بلقب نظام الملك. وفى عام ١٧٢٤ خرج على امبراطور المغول ونادى باستقلال بلاده وما زالت السلطنة فى حكم تلك الاسرة إلى يومنا هذا

ويحكم النظام بلاده بمعاونة رجال حكومته وبعضهم من أهل الامارة تلقوا علومهم فى كليات انكلترا الشهيرة والبعض من رجال الهند البريطانية. ورئيس الوزراء هندوكي اسمه المهراجا سر كشن رشاد وبقية الوزراء وعددهم سبعة. ستة منهم من المسلمين والسابع هندوكى. وأعظم الوزراء متانة ونفوذا لدى الانكليز والنظام هو السر أكبر حيدرى وزير المالية وهو رجل الساعة اليوم فى تلك الامارة

ويتناول النظام من خزانة الحكومة مرتبا سنويا قدره أربع مئة الف جنيه انكليزي ويبلغ ريعه السنوى من ممتلكاته الخصوصية مليونا ونصف مليون جنيه وتقدر ثروته النقدية بمئة مليون جنيه وهو شديد التواضع ولا يستعمل من الاتومبيلات إلا الفورد ويدخر أمواله الطائلة فى خزائنه الحديدية وفى البنوك الاجنبية

ويبلغ ريع حكومته سنويا سبعة ملايين ونصف مليون جنيه انكليزى وفى خزانة وزارة المالية سبعة ملايين جنيه احتياطى ويدير المالية رجل مالى كبير كفء يخدم بلاده باخلاص

والنظام مسلم حنفى شديد التمسك بدينه وتلك المزية جعلته محبوبا عند جميع المسلمين فى الامبراطورية الهندية

وهو شديد البر بوالدته يزورها يوميا فى قصرها الخاص من الساعة الرابعة الى الساعة الخامسة مساء ويقبل يدها ويطلب بركتها ورضاها

والنظام يحترم رجال الدين احتراما عظيما ويقابلهم دائما ويطلب دعواتهم ويودعهم الي باب قصره

الخارجي وينفحهم الهدايا والهبات الوافرة ولهؤلاء نفوذ كبير فى تلك البلاد

ويحكم النظام اليوم سلطنة واسعة يزيد عدد سكانها حسب الاحصاء الاخير على أربعة عشر مليونا من النفوس خمسة عشر فى المئة منهم من المسلمين والبقية من الهندوكيين

وللانكليز أو بالاحرى لنائب الملك ممثل فى حيدر أباد اسمه المستر ما كينزى ولا تستطيع الحكومة أن تنفذ اى مشروع كان بدون موافقته بل لا يستطيع النظام السفر من مكان لمكان بدون علم ممثل نائب الملك واسمه المقيم البريطاني وهو رجل حازم وسياسى ماهر

وقد جعلت حكومة دلهى مدينة اسكندر أباد وهي من ممتلكات النظام معسكراً بريطانيا فيه قوة حربية عظيمة وقائد انكليزى عام وتبعد عن العاصمة عشر دقائق بالاتومبيل

وأعظم معهد علمى هو الجامعة العثمانية وفيها أكثر من عشرة آلاف طالب وتنفق عليها وزارة المعارف المبالغ الكثيرة وقد عين لها مدير انكليزى ونائب مدير هندي مسلم وفيها كليات الطب والحقوق وغيرها ... وفيها قسم خاص لتعليم الفتيات

وفى حيدر آباد جماعة من أغنياء الهند . واعظمهم راجا هندوكى اسمه راجا دارانجير يبلغ ريعه السنوى ست مئة الف جنيه . ويليه نواب معين الدولة من المسلمين ويبلغ ريعه السنوى ربع مليون جنيه انكليزى

والنقود فى بلاد النظام عليها صورة النظام وهى عبارة عن روبية نظامية وأوراق بنكنوت نظامية وجنيهات ذهب نظامية . وطوابع البريد فى داخل سلطنته نظامية ويعود ربحها لحكومته وكذلك سكك الحديد والتلغرافات

الحياة الجنسية

للاستاذ بشري الضبع

— ١ —

الموضوع الذى ندرسه الآن ، عسير جدا ان نحيط به من نواحيه المتعددة فى مقال قصير . ولو حاولت أن اتوخى الدقة والاحاطة لاحتجت الى كتابة مجلد كبير حتى اوفيه حقه

وسأحاول أن أثير الاذهان واحركها للدرس والتحقيق اكثر من أن اعطى صورة واضحة شاملة للموضوع

وفى هذا البحث لن اتخذ موقفا خاصا ، أعنى أننى سأكون موضوعيا جهد الطاقة ، سأقتصر على تقرير الحقائق واثبات مايراه السيكوجيون فيها ، حتى لا اتهم بانى اتجه اتجاها خاصا او أدعو الى فكرة معينة . ذلك لاننا نعيش فى بيئة جامدة استنفدت السياسة والمواضيع الانشائية نشاط الكتاب كلهم الا نفرا قليلا ، فلم يعد لهم من الوقت ما يخصون لدرس هذه المسائل الهامة . والى هذا تيار رجعى ممقوت يقف بين هؤلاء الكتاب وبين بحث الامور التى تحتاج الى فكر حر طليق

— ٢ —

قد يتبادر الى ذهن بعض الناس اننى أبالغ واتعنت اذ أتناول مثل هذا الموضوع . وهؤلاء قد غاب عن أذهانهم من غير شك ما للجنس من شأن فى تكييف حياة الشعوب . اذ ان صحة الجسم والاعصاب تتأثر الى حد كبير بالنظام الذى يسير عليه الانسان فى حياته الجنسية . وعلى سلامة الجسم والاعصاب تقوم الحضارات . وفى هذا يقول الدكتور الكسيس كاريل فى كتابه « الانسان هذا المجهول » انمقاومة المرض والعمل والقلق والاضطراب ، والقدرة على تحمل الجهد ، والتوازن العصبى ، كل هذه الأشياء تميز الانسان الراقى . وهذه هى الصفات التى كان يتفرد بها مؤسسو الحضارة فى الولايات المتحدة وكذلك فى أوربا . وانه ليعزى تفوق الشعوب البيضاء الى كمال جهازهم العصبى ؛ هذا الجهاز - وان كان رقيقا سهل التهيج - الا انه من الممكن تنظيمه » فاذا عرفنا

ان الجهاز العصبي ستتوقف سلامته الى حد كبير على تنظيم الحياة الجنسية أمكننا حينئذ أن ندرك خطورة هذا الموضوع

— ٣ —

ليس هناك شك فى أن القاضى لندسى السيكلوجى الاجتماعى المعروف كان بعيد النظر الى حد كبير حين قال : اننا اذا غيرنا التشريع الجنسى أى القوانين التى تمس العلاقات الجنسية بين الناس فاننا نغير الاتجاه الاجتماعى كله . وان للصلات الجنسية من الاهمية فى تقرير مصير المجتمع وطبعه بطابع خاص ما للصلات الاقتصادية ، بل ان هذه الصلات نفسها قد تتأثر رغم مالها من قوة بالصلات الجنسية .

وهناك كاتب آخر اسمه أنوين ، وهو ان لم يكن معروفا مثل لندسى الا أن اراءه لها قيمتها الخاصة ، قال بالتفسير الجنسى للتاريخ . فقد لاحظ هذا الكاتب فى أبحاثه فى الامم المتمدينة والهمجية أن الخط البيانى للثقافة كان يرتفع حين يقتصد الناس فى علاقاتهم الجنسية ويؤثرون نظام الزوجة الواحدة . وأن الانحلال كان يصيب الامم التى تمعن فى ممارسة علاقاتها الجنسية وتستبيح لنفسها الاستهتار . وهذا القول مضلل فى ظاهرة اذا نحن تركناه من غير مناقشة . فقد نجح صاحبه فى توجيه النظر الى التفسير الجنسى للتاريخ وما للعلاقات الجنسية من أثر فى تقرير الطابع الاجتماعى للشعوب ولكنه خلط فى بحثه بين الجنس والشهوة الحيوانية . فالجنس شىء والشهوة الحيوانية شىء آخر . والشهوة الحيوانية او النهم على وجه أعم صفة عامة وليست خاصة بالجنس . فالمرابى عنده ما يسمى بشهوة المال . وفى السكير نجد شهوة الخمر . وفى هذه الحال يشبع الانسان حاجاته البيولوجية الاولى

ولكن الانسان ليس كائنا بيولوجيا فحسب وانما هو كل منسجم نشوئى فيه عوامل شتى تتوفر كلها على خدمة ما يسمى بالجوهر الكامل فى الانسان أو ما يسميه يونج بالنفس البيولوجية التى يسميها برجسون بالدافع الحى . وواضح أنه ليس من العدل ان نقيس الانسان الحاضر المثقف الذى بدأت تثبت فيه الميول الاجتماعية بالانسان القديم

وواضح أيضا أن انحلال الامبراطورية الرومانية لم يكن سببه ممارسة الناس للجنس فى حرية وطلاقة وانما كان سببه النهم والحيوانية

— ٤ —

يتميز الدافع الجنسي فى الانسان والحيوان القريب من مرتبته باستقلاله بنفسه وانفصاله عن

غايته الاولى ووظيفته الاصلية ، التناسل

والذى دفع الناس الى ادراك هـذه الحقيقة فى شكل ظاهر ملموس بواعث مختلفة بعيـدة يمكننا أن نلخصها فيما يأتى .

١ .. النهضة العلمية التى قدست المادة

٢ ـ الانقلاب الصناعى الذى أخرج المرأة من عزلتها ودفعها الى الحياة العملية

٣ ـ الحرب الكبرى

٤ ـ أبحاث علماء السيكلوجية أو التحليل السيكولوجى كفرويد وهافلوك اليس وتأثر كثير من الكتاب والمفكرين بهذه الابحـاث كلورنس وجويس وريمى ده جورمون والقاضى لندسى والكاتب الاجتماعى شمالهوش

٥ ـ دراسات علماء الانتروبولوجيا « علم الانسان » للشعوب الهمجية كالعلامة مالينوفسكى وكراولى وبريفولت وويستر مارك . فقد تأثر جمهور كبير من الكتاب بابحاث هؤلاء العلماء إلى حد أن دعوا إلي اصطناع الحياة الجنسية التى يحياها المتوحشون ، فهم كما قال بعض كتابهم المشهورين يمتازون عنـا فى فنون الحب لانهم يحيون هـذه الحياة البدائية حيث الفطرة عارية لا تكلف فيها ولا رياء

فى الكائنات الحية الدنيا نجد الدافع الجنسى مرتبطا ارتباطا وثيقا بالتناسل أى حفظ النوع ولهذا نجد هـذه الكائنات تتحرك فيها الرغبات الجنسية فى فصول معينة من فصول السنة هى فى الغالب الربيع أو الصيف . وفى هذا الفصل الذى يسمى فصل الحب نجد الرغبة الجنسية قد بلغت القمة فى العنف والاشتداد . اما الانسان فالرغبة الجنسية فيه دائمة مستمرة أيام السنة كلها ، إلا بقية فطرية نجـدها فى المرأة قبيل الطمث . فحوالى هـذا الوقت نجد الرغبة الجنسية عندها قد بلغت القمة

وليس عجيبا أن يصبح الدافع الجنسى فى الانسان غاية فى ذاته منفصلا عن وظيفته الاولى ، وغايته من التناسل . فالانسان استقل عن جده الحيوان فى كثير من الاشياء رغم احتفاظه بهذه الميول الاولية التى تنم عن تراثه القديم . فالانسان ليس اكلا وجنسا فحسب أى ليس حياً فسيولوجيا فقط . وإنما هو مزاج من الفسيولوجيا والنفس . وهو إلى مطالبه الاولية من حفظ النوع والذات له حاجات انسانية ومطالب روحية . فالطفل الذى يلتذ ويسر حينما تقدم له أمه الطعام والفراش الدافىء اللين نراه قد استحال إلى رجل يلذ ويطرب حينما يرى مقالته نشرت فى جريدة . ومعنى هذا أن الشخصية امتدت واتسعت وتطورت . وإلى هذا الخطأ فى فهم الشخصية الانسانية تعزى دعوة

بعض الكتاب الخاطئة إلى الاستهتار . فهم يعتمدون على هذه الطبيعة البيولوجية فى الانسان ، هذه الطبيعة التى تميزه باستمرار الرغبة الجنسية فيه أيام السنة كلها ، ويقولون أن هذه الطبيعة تضعف الرغبة الجنسية فيه وتجعله فى حاجة إلى تغيير المنبه ، أي فى حاجة بيولوجية إلى الانتقال من امرأة إلى أخرى . ومن هنا الزعم بان طبيعة الانسان إباحية أي أن الاباحية أصيلة فى الانسان وأن الانسان إباحى بالطبع . ويضيفون إلى هذا أن استمرار الانسان فى وسط واحد يضعف فى نفسه الرغبة . كما ان دقات الساعة المزعجة قد تثير أعصاب الانسان أول الامر ، ولكنه لايلبث حتى ينسى وجودها . والاستاذ « فلوجل » يؤكد هذا القول فى نفس اللهجة فيقول : كثير منا يعجب إعجابا مستمراً بنفس المنظر الريفى ويلتذ نفس المشروبات والسجاير والوان الطعام . ولكن من المحتمل من ناحية أخري أن يرد على هذا باننا نسأم حين يتكرر على مسامعنا لحن موسيقى أو قصيدة شعرية ولو كانا من الفن الخالد ونطلب سماع شيء جديد . ثم يضيف إلى هذا بواعث سيكلوجية أخرى تلخص فيما يأتى .

أولا مركب النقص . فهذا المركب يجعل صاحبه يتجه إلى واحد من هذين الاتجاهين . فهو إما أن يدفعه إلى البحث عن رفيقة تتوافر فيها الصفات العليا التى يتمنى أن تتوافر فى نفسه وإما أن يدفعه إلى خوض مغامرات مستمرة بها تستحيل قلوب الفتيات إلى ميادين فوز ونصر له . والتاريخ يحدثنا كثيراً عن أمثال هؤلاء الابطال فى ميدان الحب

ثانيا مركب أوديب . فهذا المركب يحيل صاحبه إلى مخلوق جنسى عاجز لاتنتبه فيه الرغبة الجنسية حين يحاول الاتصال بزوجته . ذلك لانها تشبه أمه إلى درجة تثير فيه العواطف المكبوتة التى كان يشعر بها نحو أمه . فيضطر لهذا إلى ممارسة العلاقة الجنسية بعيداً عن زوجته عند امرأة أجنبية . أو قد يدفع امرأته إلى أحضان الدعارة حتى يوهم نفسه أنها غريبة عنه

وهذا النظر الجنسى هدام عقيم . فالانسان كما قلنا مزاج من عناصر وميول مختلفة فيها البدائى الوضيع وفيها الانسان الرفيع . والشخصية المتزنة هى التى تمزج بين هذه الميول المختلفة فتنسجم فيها هذه العناصر المتباينة وتتوحد فى صعيد واحد نحو غاية واحدة هى الوجود الاسمى للانسان كشخصية متممة ، ككائن يعيش فى مجتمع تنبعث فى نفسه ميول اجتماعية . ومن هنا يمكن أن يعود الجنس قوة وكسبا لاضعفا وفقدانا . فالرجل الذى يمارس وظيفته الجنسية إنما يفعل ذلك ليستكمل عناصر الرجولة والانتاج الخصب فى نفسه . والمرأة التى تمارس الجنس انما تستكمل عناصر الانوثة والشخصية فى نفسها

والواقع إن الجنس على حقيقته يكاد يكون أمرا غير معروف . بالرغم من أنه من صميم الحياة

وبالرغم من أنه عنصر تكويني بنائي فعال الا نه لايعرف فى غالب الأمر إلا من ناحيتين متقابلتين كلتاهما شر . فهو إما شر لابد منه وعمل رجس من أعمال الشيطان . واما شهوة حيوانية يؤديها الانسان كغرض مشروع . ويتساءل د. ه . لورانس عن الجنس ما هو !

وبعد أن يهاجم النظريات العلمية التى تقول عن الجنس أنه غريزة ، وشهوة كالشهوة إلى الطعام والشراب يقول : نحن لاندرى على وجه التحقيق ماهو الجنس ولكنه لابد أن يكون شيئا كالنار لانه دائما يثير فى أعصابنا مايشبه الدفء الوميض . وحينما ينتهى الوميض إلى إشراق خالص نحس بالجمال . هذا اللهب كائن كامن فى أنفسنا مادام فينا فنحن أحياء . أما إذا انطفأ نوره فحينئذ نستحيل إلى جثث مسيخة

وفى الأساطير القديمة نجد هذا الدافع الجنسى قويا ملحوظا على وجهه الكامل . فهناك أسطورة هندية تقص علينا أن الرب تاوشتري حينما أراد أن يخلق المرأة رأى نفسه قد استنفد كل المواد الصلبة فى خلق الرجل وأخيراً انتهى إلى هذا الحل . فقد أخذ استدارة القمر وتثنى النبات المتسلق والتصاق الحبلة واهتزاز العشب ولين العود وتفتح الزهر وخفة الأوراق وهندسة خرطوم الفيل ونظرات الغزال وتهافت النحل ومرح أشعة الشمس الطروب وتهاطل السحاب ، وتقلب الريح وحجلان الأرنب وخيلاء الطاووس ونعومة صوت الببغاء وصلابة الحديد وحلاوة الشهد وقساوة النمر وحرارة اللهب وبرودة الثلج وثرثرة الجاي وهدير الكوكيلا ورياء الكركى وإخلاص التشاكرواكا جمع كل هذه الأشياء ومزجها ثم صنع منها المرأة وقدمها للرجل . ولكن لم يمض أسبوع حتى عاد اليه وقال . ربى ، هذا المخلوق الذي قدمته لى جعل حياتى بؤسا . إنها تتكلم من غير انقطاع وتضايقنى إلى حد لايطاق ، لاتتركنى لحظة وشأنى . إنها فى حاجة دائمة إلى عنايتى وملاحظتى لها تستغرق كل وقتى وتصيح لأدنى شيء . إنها بليدة أبداً . ولهذا جئت لأردها اليك لأننى لا أطيق العيش معها . فاجابه تاوشترى : حسنا سأستردها منك . ولم يمض أسبوع آخر حتى عاد الرجل قائلا ربى ، لقد وجدت حياتى فارغة موحشة منذ أن رجعت لك هذا المخلوق . إنى أذكر يوم كانت ترقص وتغنى لى وتنظر إلى من طرف عينها . وتلعب معى وتناغينى وتلتصق بى . كان ضحكها موسيقا ومنظرها فتنة وملمسها ناعما . ألا تردها لى ؟ فاجابه تاوشترى لابأس . ثم أعطاها له ثانية ولم يكد يمضى ثلاثة أيام حتى عاد الرجل وقال : ربى ، لست أدري ماالامر ولكنى انتهيت إلى أنها شقاء لى اكثر من أن تكون سعادة . ولهذا أرجوك أن تستردها ثانية

حينئذ أجابه تاوشتري : اليك عنى لا أريد أن أرى شيئا كهذا بعد الآن . أصلح الامر قدر ماتستطيع . ولكن الرجل قال : لكنى لاأستطيع العيش معها فاجابه تاوشترى : وأيضا لايمكنك

أن تعيش بدونها . ثم أدار له ظهره ومضى فى عمله

ـ ٥ ـ

فى سن الثانية عشرة أو الرابعة عشرة نجد هـذا الصبى الصغير الذى كان يذهب إلى المدرسة بقلب خلى طروب ووجه مشرق ، والذى كان يسرع إلى الطعام فى نهم ولذة ، ويذهب إلى أمه يطمئن إلى صدرها ويجاذبها أطراف الحديث فى حنين غامض وشوق مبهم . هذا الغلام الامرد هذا الصبى الخلى ، نراه قد استحال هيكله فـكبر واشتد وصوته الناعم قد اخشوشن وسحنته قد ارتسمت عليها أمرار غريبة هى مزاج من الاسى والحنين الغامض . إن فى صدره فراغا غريبا ، انه ليحن إلى شىء مجهول . ما الامر ! لايدرى . يذهب إلى أمه فى تردد ووجل ويخاطب أباه بعينين منـكسرتين ويمج اللعب مع الأولاد ويحب العزلة . يسأل نفسه ما الحياة ! ما الغاية منها ! كيف نشأت وما مصيرها ! ! إنه مشرف على عالم جديد ، إنه ذكر ، إنه ذكر وهى أنثى . وانها أنثى وهو ذكر ! كل منهما ينظر الى الآخر فى حنين وخوف . صوت الطبيعة يجذبهما كل نحو الآخر

والآن هانحن أمام مخلوق قد اشتعل فيه هذا اللهب المقدس فما هى المخارج التى يمـكن أن يجد فيها متنفسا لهذا الدافع الحى

أمامنا الآن فى الحياة الواقعة وفى التاريخ مخارج كثيرة فلنستعرضها واحدة واحدة لنرى أيها أجدر بان يصل به الى تـكوين شخصيته . نلخص هذه المخارج فيما يأتى

١ الحب الحر

٢ العادة السرية

٣ الشذوذ الجنسى بانواعه المختلفة

٤ الزواج الرفقى

٥ التبتل أو الاعتصام التام

٦ الزواج

فاما الحب الحر أى الاتصال الجنسى بلا زواج فقد ثبت بالاختبارات المتـكررة فى جميع الأمم أنه ينتهى على الدوام بالخيبة . وان من يمارسه ينحط الى اشباع شهوات بهيمية تختلف ألوانها فى فوضى الغريزة الجنسية . وكذلك الحال فى العادة السرية التى تبدأ عملا طبيعيا لاغبار عليه ثم تنتهى إلى الضرر والخزى والانحطاط النفسى اذا لم يقلع عنها صاحبها عقب المراهقة . والشذوذ الجنسى انحراف بل انحرافات سيئة تدخل فى أمراض النفس ولاتعد من الصحة . أما الزواج الرفقى الذى

يقول به القاضى لندسى الامريكى فهو أشبه الأشياء بالمخاللة الشرعية ـ اذا صح هذا التعبير ـ وهو الآن من النظريات والفروض . ويرى داعيته هذا القاضى ان الظروف الاقتصادية القائمة لاتسمح للشبان والفتيات بالزواج قبل سن الثلاثين . وهم اذا تزوجوا قبل هذه السن وقعوا فى ارتباكات مالية لعجزهم عن اقاتة أولادهم . ثم هم للنزق الذى يلازم الشباب يخطئون الاختيار فى الزواج فسرعان مايطلبون الطلاق . ويحمل الأولاد جرائر نزقهم . ولذلك يقترح زواجا قبل العشرين من العمر يشترط فيه على الزوجين ألا يتناسلا الى سن الثلاثين . وطول هذه المدة يمكن الطلاق بمجرد الطلب من أحد المتزوجين . أما بعد هذه السن فيجوز التناسل ولايجوز الطلاق

أما التبتل أو الاعتصام التام فهو رهبانية مدنية وهو ضرر لاتخالطه أية منفعة للفرد أو للجماعة فلم يبق اذن غير الزواج الذى يجد فيه كل من الفتاة والفتى وسيلة لتنشئته الشخصية . هذا اذا قام على أساس التفاهم الذهنى والحب المتبادل لانه يعود عندئذ صداقة ذهنية جنسية . ولكنه للاسف ليس كذلك الآن فى كثير من الحالات . فان الجهل بضبط التناسل والعجز عن إقاتة الأولاد والاغراء المالى لأحد الزوجين وتأجيل الزواج إلى ما بعد الثلاثين وأحيانا الاربعين من العمر كل هذه عوامل تجعل الزواج لايؤدى الغاية المقصودة منه وهى تنشئة الشخصية والسعادة بالحب المتبادل

فى الادب الانجليزي

القناع الملون

قصة ملخصة عن سومرست موجام
وتلخيص الاستاذ أحمد صادق اسماعيل

فاذا كنا فى مستهل رواية « القناع الملون » التى نحن بصددها ، فنحن فى مدينة تشنج ين من أعمال الصين ، الخاضعة للنفوذ الانجليزى ، وفى أحد الاحياء الاوربية منهـا ، وفى أحد الفيلات ، المنتشرة بها ، نسمع صرخة مكتومة ، وصوتا أجش يتساءل فى لهفة عن الخبر . وتبين من صوتيهما أنهما سيدة ورجل . ثم نسمع السيدة تردد فى خوف ووجل :

— لقد حاول أحدهم فتح الباب !

وهو يهدىء من خاطرها ، زاعما أن ذلك الجرىء ، لم يكن سوى أحد الخدم . وهي تجيبه فى قلق ظاهر ، انه لم يعتد أحد أن يطرق باب منزلها فى مثل هـذه الساعة ، والوقت أبان الاصيل ، وهى تخشى أن يكون هذا الطارق المفاجىء هو والتر

وهي تشير إلى حذائه ، فيتلمسه فى حذر ، وتلقى بنفسها داخل معطف يكسوها الى قدميها العاريتين وهى ترجل شعرها المشعث

ويتنهى من حذائه ، ويجلس واجما ، كأن على رأسه الطير ويقول فى لهجة من يريد أن يطمئن نفسه :

— انه لمن المستحيل أن يـكون الطارق والتر . فهو لا يفارق معمله قبل الساعة الخامسة

— اذن من يكون ذلك الطارق ؟

هذا ما كانت تتساءل عنه :

وقد صار حديثهما الآن همسا . والدقائق تمر كأنها الساعات . والموقف يزداد حروجة ، حتى استطاعت أن تلقى برأسها من النافذة ، المسدلة الستائر . فلم تر رقيبا ولا عابرا

وأنت لابد أن تدرك أن تلك السيدة كانت زوجة الدكتور والتر Waltr العالم البكتريولوجى الباحث وراء جراثيم الامراض . وان ذلك الرجل الذى كان معها لم يكن سوى تونسند Tonsend المساعد لحاكم المدينة العام . وأنت لابد قد لاحظت من الحديث الماضى ، أن ثمة علاقه تقوم بينهما علاقة لايسوغها شرع ، ولا يسمح بهـا قانون وأنت لابد أن تطالب بمعرفة هذه الصلة المحرمة : وكيف نشأت ؟

واذا كان كذلك ، فلابد أنك راجع الى ما قبيل هذا الحادث بنيف وسـنة . حينما كان والتر يقضى أجازته السنوية فى لندن : حيث تعرف فى احدي الحفلات الليلية بعائلة برنارد جير سـتن الذي كان عضوا فى مجلس النواب . والذى كان له ابنتان . أحدهما تدعى كتى وهى الكبرى والاخرى دوريس

وحـدث حينئذ أن تقدم لخطبة الصغرى أحد مهندسى الشركات . حينما تقدم والتر بالخطبة أيضا الى الاخت الـكبرى . التى لم تر بأسا من هذا الزواج ، مخافة أن تسبقها أختها ، وأنت تعلم غيرة النساء ، ولا بد أنك قد لاحظت أن زواجا كهذا قائم على مصلحة شخصية بالنسبة للزوجة ولو أنه من العدل أن نذكر أن والتر كان فى اختياره الزوجة ، يتبع عاطفة قلبه . وماكانت زوجته فى الحقيقة لتأبه له كثيرا أو تبادله حبا بحب . واخلاصا باخلاص

وانتهت أجازته . وعاد والتر وزوجه إلى مقر عمله بالصين . بعـد أن قضى بضعة أيام بايطاليا وهنـا فى مدينة تشنج ين تفرغ إلي عمله المنهك . فى معمله طيلة النهار . وحقبة من الليل . وما كانت الزوجة الفتية التى اعتادت سهرات لندن . ولياليها المرحة لتستطيع أن تمضى وقتها كله . مغلقه بين جدران منزل قاتم ، يقوم على خدمتها نفر من الصينيين ، لايرتاح المرء الى رؤيتهم ، فأخذت ترتاد المجتمعات الافرنجيـة ، والاندية المختلفة . حيث يؤمهـا طبقات الموظفين الاوربيين . وهنـا رأت تونسند أو بالأحرى تعرف هو بها ، وتآلفت أهواؤهما وامتزجت نفساهما فهي فتاة لندن الحديثة العهد بها ، لاتتجاوز الخامسة والعشرين ربيعا ، الطامحة وراء الملاهى والمسرات ، وهو الرجل الرياضى الذى يجيد لعب البولو . وامتطى صهوة الحياة وهو بحكم وظيفته كمساعد للحاكم العام قبلة الانظار

وهى تقارن بينه وبين زوجها فلا ترى ثمة شبها . وهى تعلم ان تونسـند له زوجة وله

أولاد ، ولـكنها لاتقيم لذلك وزنا . واعتادا أن يتقابلا سراً فى احـدى مقاهي الشاى الصينية . ذات السراديب الخفية والمصابيح الخافتة . حيث يقضيان ما شاء الله لهما أن يقضيا من الساعات فى مأمن من عيون الرقباء . وفى خلسة من الزمن . حتى كان ذلك اليوم ... الذى قدم فيه تونسند الى منزل والتر بناء على موعد من كتى وأزل نفسه فيه منزلة الزوج

* * *

وخرج تونسـند فى ذلك اليوم ، وهو يحلم بنجاته ، وكان الليل قد القى سدوله وانيرت الفيلا بالمصابيح الصينية الخافتة وجلست كتى على احد المقاعد تعالج القراءة ، وتتساءل فى نفسها عما اذا كان ذلك الطارق كان والتر أو غيره . . ؟ عند ما اقبل هذا مبكراً عن ميعاده وهى تعرفه حق المعرفة فهو كقومه صبور لاتظهر بواطن نفسه على سريرة وجهه ، وهى تتلمس منه كلمة واحدة تستشف منها ماوراء نفسه

ثم تسمعه يناديها فتلبى النداء كالمتهم فى ساحة القضاء وهو يعلم بجريرته يتوقع سماع الحكم عليه ، وإذا به يقول فى صوت خافت :

ـ هل لك ان تجلسى قليلا . . . لدى ما اقوله لك

ولم يكن متجها بناظره اليها ، وكان فى صوته شىء من الجفاف والقسوة واشعل سيكاراً ونظر اليها من طرف عينيه وهو يقول :

ـ هل سمعت عن مدينة ماى تان فو التى لغطت الجرائد بذكرها كثيراً فى الايام الاخيرة

ـ نعم ... أوليست هى المدينة المنكوبة الآن بمرض الكوليرا . . . حيث تموت الناس كل يوم بالآلاف كالناموس

ـ نعم هى بالذات . وقد اقترحت اليوم على الادارة الحكومية أنا أكون طبيب البعثة الموجودة بها لمكافحة هذا المرض بدلا من الطبيب المتوفى... وهى ترى فى ذلك فرصة سانحة لخلاصها منه ، وتلوح عليها علامات السرور وتتلون الحياة أمام ناظرها فتبدو فى قناع براق جميل

فتقول فى لهجة الخائف المشفق على نفسه

ـ أوليس فى وجودك فى موطن الداء ضرر عليك

ـ ربما !

ثم يبتسم . وهى ترى فى ابتسامته ابتسامة شيطان عنيد ! ثم يقول : ـ

ـ ولكنا سنذهب سويا ! ! !

وهي تنتفض من مكانها ، انتفاضة المريض ، وتقول :

ـ أو أنا ذاهبة معك ؟ !

ـ نعم

ـ ولكن ليس هناك مكان لامرأة

ـ بل هناك كثيرات منهن . الاخوة الراهبات فى معبدهن

ـ ولكنك تعلم أني لا أطيق حرارة مدينة تشنج ين التى نحن بها ، فكيف أستطيع مقاومة الداء الوبيل هناك

وهو لايحير جوابا. وهى تسترق اليه البصر فترى فى وجهه ما أخافها وتقول :

ـ وما الذى يحملنى علي الذهاب معك ؟ وباي حق تريدنى أن أورد نفسى موارد التهلكة ؟ إنى لأطالبك أن تعاملنى كما يعامل الزوج زوجته . . .

وهو ينتفض فى مكانه . ويقول فى لهجة ملؤها السخرية

ـ كزوجة . . . نعم كان لابد من ذلك . لو كنت أعلم قصة توتسند

إذن ماذا كان يريده هذا الثائر لنفسه وشرفه وكرامته ، وماذا كان يبغى من اصطحابها معه فى تلك السفرة الهالكة ، وهى تصيح فى وجهه :

ـ لتعلم كل شيء ! لايهمنى اليوم أمراً مادمت قد عرفت الحقيقة . إننى أحبه وأكرهك أيها الانسان الممسوخ ، المحب لذاته ، الذى يعيش لجراثيمه ولعمله فحسب . لم تخلق لتكون زوجا بل أحرى بك أن تسجن نفسك بين أسوار المعامل ، بين الاوانى المختلفة الانواع ، تأنس بجراثيم الامراض المختلفة . وأنت تنظر اليها فى فرح الطفل الساذج من خلال مجهرك . أيها الرجل لماذا تتزوج ؟ ولماذا تشقى بك نفسا ؟ انى أحبه من كل قلبى . . . وليس من ذنب على المرأة إذا هى لم تحب زوجها ، مادام غير منصرف اليها ! ! سأتزوج منه . نعم وفى أقرب وقت . . .

ـ تتزوجين منه ! لامانع لدى . إذا أعلن زوجته بذلك وقبلت أن تنفصل عنه ، على أن يكون زواجك منه ، بعد مضى أسبوعين على الاكثر من تاريخ صدور المراسيم الخاصة بذلك ويفترقان

وفى اليوم التالى تسرع لمقابلة تونسند وتجابهه بأن والتر قد اكتشف مابينهما ، وعما

اشترطه بشأن طلاقه من زوجته ، وزواجها منها فى ظرف أسبوعين من صدور المراسيم الخاصة بذلك . وهو يصعق لدى سماعه بذلك . وباكتشاف والتر لأمرها ، كأنه ما كان يعتقد بامكان حصول ذلك . وهي تطالبه بوفاء حبه لها ، وهو يطرق قليلا . ثم يقول :-

— إنك لتعلمين حبي لك : ولكننا لانعيش لنفسينا فقط ، فى هذا العالم . بل هناك اعتبارات شتى ! انه لاسعد شيء لدى أن أكون زوجا لك . ولكن ماذنب زوجتى فى ذلك كله ؟ ثم هناك أولادى منها . كيف يكون حالهم ؟

— ولكنك كنت تدعى قبل أنه لاقيمة لزوجتك فى نظرك

— وهل قلت يوما أننى أحبها ؟ ولكننا كنا دائما أصدقاء . ولا أخفى عليك أنى اعتمد عليها فى كل شيء ! أنا لا أبغى أن أجرح عاطفتك . ولا أن أحطم كبريائك . ولكنني مضطر أن أقول الحق . ليس ثمة مايمنعنى يوما ما — وهو قريب — أن أكون حاكما عاما للمدينة . وفى طلاقى من زوجتى وانفصالى عنها ، لاتزوج منك ، ما يطلق السنة العامة طويلا ، ويلطخ سمعتى أمام الناس ويجعل للجرائد مادة خصبة تكتب فيها طويلا !

— ولكنك كنت تقول أننى كنت لك كل شيء ! ! وأن وجودى معك هو كل شيء فى الحياة !

— ولكن يجب على المرأة الا تأخذ كلمات الرجل بمعناها الحرفى . وخاصة عندما يكون محبا لها

وهى تذكر له ناحبة باكية ، أن زوجها عازم على السفر الي مدينة ماى تان فو حيث تنتشر السكوليرا . وهو يجيب فى هدوء

— ليس ثمة خطر كبير اذا راعى المرء قواعد الصحة

— اذن هذا رأيك ؟

— نعم .. ولنكن دائما أصدقاء !

وتغادره : وقد عبس العالم فى وجهها عبوسه الاكبر . وارتدى من اقنعته أسودها . وفتح القدر ليلتئذ فمه إلى اخره ليسخر سخرية هائلة فى قهقهة مرعبة

***

نحن الآن بعد ذلك فى مدينة ماى تانــ فو حيث تنتشر الـكوليرا وتفتك بالوطنيين فتـكا ذريعا . وحيث يكافحها والتر مكافحة الابطال ليلا ونهارا . وكانا يعيشان تحت سقف واحـد مجتمعين معاً أمام النـاس ، ومنفصلين تماما فى الداخل . وزارت كتى الأخوة الراهبات . حيث سمعت ثنائهم الجم على المجهود الذى يبذله زوجها . وكم ودت كتى أن تساعدهم قليـلا فى بعض عنايتهم باطفال الوطنيين اليتامى . فكانت الام الـكبرى تنبهها دائما بقولها

— ان زوجك لفى أشد الحاجة اليك ، بعد عناء عمله اليومى منا

وحدث أن عاد والتر ذات مساء إلى منزله مبكرا عن عادته فالفاها جالسه وقـد اعتمدت رأسها بين يديها . وما سمعته قادما حتى فاجأته بسؤالها

— ماذا يحدث لو أن هذا الداء اجترفنا مع من ماتوا

— لم أفـكر فى ذلك قط

- ولـكنك تقصد من احضارى معك هنا قتلى ولا شك ! . إن ذكرى الماضى تؤلمنى حقا. ولـكنك لا تصفح . انى لاحتقر نفسى كما أحتقر تونسند انى لا أطالبك بمشاطرتي حبا ضائعا ، ولـكن لنكن أصدقاء ، ونحن هنا فى وسط آلاف الموتي ! يخيم علينا شبح الموت كل يوم بل كل ساعة . لقد سمعت عنك ثناءاً عظيما . من الاخوة الراهبات واني لفخورة بك

— ولـكنك لم تـكوني كذلك قبل

فتسأله فى لهفة

— أو تحتقرنى ؟

فيقول بعد تردد

— لا وانما احتقر نفسى

— ولماذا

— لأنى أحببتك يوما ما !

* * *

وذات يوم شـعرت كتى وهي فى المعبد بالآم خفيفة نخافت فى أول الامر أن تـكون قد أصابتها الـكوليرا .ثم تبين بعد . أنها كانت بشائر الحمل ولم يكن والتر موجودا حينئذ فى مستشفاه

فعادت الى منزلها . ولم يذكر الاخوة الراهبات لوالتر عند عودته بذلك بل أخبروه أن زوجه عادت لمنزلها لمرض ألم بها

فيعود مبكرا . ويستأذن فى الدخول . ويسألها عن الخبر

فتسأله : ـ

— أو لم يخبرك الاخوة بذلك !

ـ لا

ـ فتقول بعد تردد .

ـ سيكون لنا طفل

فيطرق قليلا .. ويقول لنا . . . سيكون لنا طفل .. « ولكن من والد هذا الطفل ؟ . . »

وأطرقت . ولو أنها أجابت

ـ نعم . .هذا ولدك !

ربما عادت الحياة الزوجية الى مجراها . ولكنها لاتريد أن تنكر عليه وهى تقول فى غير تردد !

ـ لا أدرى

ـ احقا لاتدرين ! ! ياله من جواب مقنع

وكان ذلك شر أنواع اقنعة الحياة تجابه بها زوجان!

تمر الايام سراعا ووالتر يمضى فى عمله . ولكن ذات يوم . وكانت الساعة الحادية عشر قبيل منتصف الليل ، وإذا ضابط المدينة ومعه بعض الجند يطرق الباب ، فتقابلهم كتى وتسألهم عن الخبر فيجيبون أن والتر قد أخذه الداء ! ويلحون عليها بسرعة الذهاب لرؤيته قبل أن تحين ساعته ويسرعون اليه فاذا به ملقى على مخدعه وبجانبه مساعده الصينى وعيناه مخضلتان بالدموع ـ ياللوفاء الشوق ! ـ يهيب للمرة الاخيرة صريع الداء الذى حاول مكافحته ، وهى تطلب أن تخلو بزوجها قليلا ! حتى إذا تم لها ذلك أخذت تستعطفه أن يصفح عنها . . . وهو لايجيب ، بينما كانت جفونه ترتعش حتى أسلم نفسه الاخير

وبوفاته عادت كتى إلى لندن بعد أن مرت فى طريقها بمدينة تشنج ين مدينة الذكريات والتقت بتونسند للمرة الاخيرة . أقول عادت الى لندن لتجد أن والدتها قد توفيت وأنه لم يبق لها سوى والدها المعتزم السفر الى امريكا ليشغل وظيفة قضائية

وبذلك لم يبق سواها !

وبعد ! أليس المؤلف صادقا حينما صدر كتابه بقوله : ما القناع الملون الا مايسميه الاحياء « الدنيا »

سيكولوجية الطفل

تأليف مشترك

قامت به جماعة أسبوع الطفل للرواد

مطبعة المجلة الجديدة

فهرست

المقدمة

للأستاذ سلامة موسى

تبدو هذه الايام أمارات جديدة على أن العناية بالاطفال تزداد . وان كثيرا من رجالنا ونسائنا المفكرين يستخدمون أذهانهم فى جد ونزاهة لبحث الطرق التى يمكن أن تؤدى الى سعادة الطفل وسروره وصحته وجماله . وقد تقهقر مذهب القسوة وجحدت العصا بين كثير من الآباء والمعلمين ، وليس للأسف جميعهم . وقد أصبحنا نقول بمعاملة الطفل بالحب والملاينة وان نسوسه بالرفق والتفاهم بدلا من البطش والعنف . وقد فشت بين المدارس « رياض الاطفال » حيث يمزج اللعب بالتعليم فيلهو الطفل ويسعد وهو يتعلم

ولكنا مازلنا مع ذلك متأخرين فى العناية بالاطفال سواء من ناحية صحتهم الجسمية أم من ناحية العناية بمعاملتهم وتوخى سعادتهم . فليس بيننا الى الآن مسرح أو دار سينمائية خاصة بالاطفال . ولم يتقدم أديب من أدبائنا المعروفين بتأليف درامة يفرح أطفالنا برؤيتها على المسرح كما لم تؤلف كتب حسنة مصورة بالصور الزاهية ومغلفة بالغلاف الجامد تحتوى من القصص والموضوعات الشائقة مايحبه الاطفال . وبلادنا أقل الاقطار عناية بصنع اللعب . واذا استثنينا لعب الحلوى التى تباع أيام المواسم الدينية لم نجد بيننا مايصح أن يسمي لعب الاطفال . مع أن أمة مثل اليابان تعنى بهذه الصناعة عناية فائقة حتى انها تعد العاشرة فى القيمة الاقتصادية للصناعات عندها ومقامها فى أكبر من ذلك

وانه لمما يشعرنا بالهوان والصغار ان جميع ماتراه من لعب الاطفال فى الدكاكين انما يستورد من المصانع الاجنبية . كأننا يجب أن نستورد الرفق والحب للاطفال . . . وليس بيننا صناع أذكياء يمكنهم أن يصنعوا اللعب من الخشب أو القصدير بدلا من الحلوى التى تجلب الذباب الى أطفالنا وتسهل أمعاءهم وترمد عيونهم

ولكن بين المعلمين أصحاب الفضل فى ادخال « رياض الاطفال » طائفة تدرس سيكلوجية الطفل . ولهذا الدرس جملة غايات أولاها وأهمها اسعاد الطفل ومعاملته بحيث يحب بيته ومدرسته

ومدينته ويمتلىء شجاعة واستبشارا . والغاية الثانية أن ينشأ رجلا ممتازا بهذه الصفات نفسها . وذلك ان من الحقائق القليلة التى يمكن الاطمئنان اليها فى السيكلوجية الحديثة ان الاستجابات الذهنية والعصبية الاولى التى تستقر فى الطفل فى مدى السنوات الاربع أو الخمس الاولى تبقى راسخة فيه مدى حياته ولو بلغ الشيخوخه . وهي لكى تنتزع منه تحتاج الى مجهود كبير جدا قلما يبذله أحد ولذلك فان الطفل الرعديد الخائف هو بعد ذلك الرجل المخذول الهياب . والطفل الذى يغار من اخوته ويكرههم هو بعد ذاك الرجل الذى يكره اخوانه فى المكتب ويغار منهم لاتفه الاسباب . والطفل الذى تضطهده أمه أو مربيته أو زوجة أبيه يخرج الي العالم وهو يشعر ان العالم كله يضطهده . والطفل المدلل سيبقى مدى حياته نزقا أحمق أخرق ولو بلغ السبعين من العمر . وهلم جرا

ولذلك فان العناية بالطفولة هى — زيادة على اسعاد الطفل — عناية أيضا بالرجولة لان أطفال اليوم هم رجال الغد . ويجب لهذا السبب أن تعمم بين الامهات المبادىء السيكلوجية الحديثة فى معاملة الاطفال لكي تنشأ نفوسهم سليمة من عاهات الاخلاق . كما يجب أن تعمم بينهن مبادىء الصحة لكى تنشأ أجسامهم سليمة من الامراض

وبكلمة أخرى يجب أن نعطى أطفالنا أحسن الاثر عن هذه الدنيا الجديدة التى يستقبلونها وان نترك لهم أحسن الذكريات عن طفولتهم . حتى يشبوا وهم يستبشرون ويتجرأون مع التعلق بالاسرة ، وحب المجتمع البشرى كله فى الوطن والعالم عن طريق الحب لاعضاء الاسرة فى البيت

* * *

وبعد فهذا الكتاب هو مجموعة مقالات تعالج الطفل من نواح سيكلوجية مختلفة . وقد قام بهذا المجهود الشريف جماعة اسبوع الطفل للرواد . ويقيننا ان الوالد او المعلم الذى يدرس هذه المقالات سيجد فيها شيئا كثيرا من المعارف التى يجهلها . وهى تتفاوت فى المقدار وتختلف فى النواحى التى تعالجها . ولكن جميع الكتاب قد حرصوا علي ان يجعلوا الطفل موضوع درسهم

النزعات المقنعة فى الطفل

للأستاذ محمد كامل النحاس

١ — يرث الطفل قوى كثيرة مختلفة ، هى أساس تكوينه وعماد أخلاقه وشخصيته ومن هذه القوى الغرائز المختلفة كالخوف والكفاح والغريزة الجنسية . كما يرث أيضا قوة الذكاء الذى به يستطيع أن يتصرف فى الحياة ويعدل فيما ورثه من القوي الاخرى

٢ — ولكل من هذه القوى وقت خاص تنضج فيه ، ومنذ ذلك الوقت تبدأ أن تدفع الطفل كيما يرضيها بشكل من الاشكال . وهو لا يسعه إلا أن يلبى نداءها ويسير تبعا لهواها ومشتهاها

٣ — لكن الطفل لا يعيش وحده ، وليست الدنيا بملك له يفعل فيها ماشاءت ميوله وأهواؤه فهو مرتبط بالمنزل الذى ينشأ فى ربوعه ، وبالمدرسة التى يتعلم فيها ، وبالمجتمع كله ، أفراده ، ونظامه وقوانينه

٤ — سرعان اذن ما يجد الطفل نفسه مقيدا ، وهو لايدرى لماذا يقيد . وسرعان مايدرك ان أقرب الناس اليه وأحبهم لديه هم الذين يقفون فى طريق نزعاته ، ويقيمون الحواجز أمام أهوائه ورغباته ، . وكلما امتد به العمر ، رسخت أمامه الموانع ، وكثرت فى طريقه الحواجز ولذلك يبكى الناشىء سنيه الحرة المرحة ، ويندب الرجل عهد الطفولة الطليقة

٥ — ولكن ليس يسيراً أن ترد نزعات الطفل الى الوراء ، ذلك لانها قوى طبيعية فيه ، ملأى بالحياة والنشاط والحركة . فما كان تشديد الضغط على هذه النزعات ، والعمل على كبتها ، واستعمال وسائل الذهاب والعقاب مما يلجأ اليه كثير من الآباء والامهات ، بمناعة للطفل من ارضائها ، والعمل على تحقيق دوافعها . بل كلما زدناه شدة وضغطا ، زاد مراوغة ومكرا ، وكلما أرهبناه بالتهديد والوعيد ، وهززنا له العصا ، ثم أشبعناه بها ، زاد هو قدحا لزناد فكره فى الالتجاء الى تحقيق رغباته سرا وعن بعد منا

٦ — وان اشتد الضغط أو تكرر ، فقد ينتهى الامر الى أن تختفى هذه النزعات من شعور الطفل نفسه ، ولو أنها لاتمحى من حياته العقلية . بل تظل تسير الطفل دون أن يدرك عنها شيئا ، وتوجهه

من وراء ستار ، فيقوم بأعمال لايعرف تماما لماذا يقوم بها ، ويسلك مسالك غريبة دون أن يدرك القوى التى توجهه اليها . ولو أنه فى بعض الاحيان يحاول تبرير هذه الافعال الغريبة بأسباب غير صحيحة أو غير معقولة

فالطفل الذي يلزمه أبواه السكون والهدوء ، ويحرمان عليه اللعب ، نجده فى بعض الاحيان يقسو على أخت صغيرة أو قطة مسكينة ، يشبعها ضربا وايلاما وليس من مبرر معقول لهذا إلا أن يقول لك الطفل ان أخته كادت تخطف لعبته أو ان القطة كادت تسرق مأكله ، وتخدش وجهه

وهكذا تبدأ قوى خفية تسير الفرد دون أن يشعر بها ، وقد لبست هذه القوى قناعا يحجب كنهها ، ويستر سرها فاذا ما مزقنا هذا القناع ، أمكننا أن نفضح أمرها ، ونبطل أثرها فلا تعد تسير الطفل فى طرق غريبة لايدرى هو نفسه لاى شيء يسلكها

٧ ـ ولقد حاول العلماء تفسير هذه القوى المقنعة وذهبوا مذاهب شتى وتفرقوا الى ثلاث مدارس هامة : مدرسة « فرويد » وهو يرجع أصل هذه القوى الي الغريزة الجنسية التى يعتقد بظهورها فى سن مبكرة من حياة الطفل . ومدرسة « أدلر » ويرجعها إلى النزعة للسيطرة والقوة والتفوق . ورأى « يونج » ويرجعها الى الوراثة وإلي رغبات كبتت فى حياة الفرد . فجزء من العقل الباطن وراثى فى نظر يونج . ويضيق المقام هنا عن أن نشرح بالتفصيل هذه الآراء المختلفة

ولكن مهما يكن من أمر هذه المدارس واختلاف آرائها ، فان مايهمنا هنا هو أن نعرف أن الطفل يعيش فى مجتمع خاص ذى نظام وتقاليد وقوانين ، قد تتعارض مع رغباته ، وميوله ونزعاته وقد ينشأ من هذا التعارض أن يبعد الطفل دون أن يدرك بعض هذه النزعات من شعوره . وان هذه النزعات لاتذهب كلية من عقل الطفل ، بل انها تستمر وتختفى فى منطقة من العقل تسمى اللاشعور أو العقل الباطن ، وانها تؤثر فى الفرد طفلا وناشئا وراشداً ورجلا دون أن يدرى عنها شيئا فيسلك بسببها سلوكا يظهر غريبا ، وقد يظهر شاذا ، وقد يكون اجراما

٨ ـ خذ مثلا طفلين : أحدهما كان حائزاً لرعاية أبويه وعطفهما ، فاذا بأخ جديد يأتى للحياة ، واذا بأبويه يغمرانه حبا وعطفا ، واذا بالاكبر يشعر كأنه قد صار نسيا منسيا ، واذا هو فى عناد وتمرد يملأ المنزل ضجيجا وعجيجا ، وقد كان من قبل طفلا هادئا رزينا

وها هي حالة مأخوذة من عيادة سيكلوجية فى ألمانيا :

كانت « ف » بنتا وديعة مطيعة ، حتى ولدت أمها أختا لها ، فانقلبت الى طفل مشاكس ميالة

للشجار ، دائما تريد أن تكون المميزة فى المنزل حتى عن والديها . فان وضعت أمها لابيها مقدارا من الطعام أكثر من نصيب « ف » غضبت وزمجرت . وأصبحت ملابسها مهما ارتفع ثمنها وعلا صنفها ، شيئا حقيراً فى نظرها . وكانت تنزل سخطها وغضبها على كل مايقع نظرها عليه فى المنزل فتقلب الاثاث وتهشم ما يمكنها تهشيمه . ولم تجد معها طرق العقاب الذى طالما أنزلته أمها بها

وفى المدرسة كانت « ف » لطيفة محبوبة تقوم بأعمالها المدرسية فى رغبة وحماسة ونشاط على خلاف ماهى عليه فى المنزل

نصحوا الام فى العيادة أن تقضى مع ابنتها « ف » يومين بعيدا عن المنزل ، تغمرها فيهما بالعطف والحنان ، وتحدثها كلما أتت المناسبة عن مقدار شغفها بها شغفا لايقل عما تضمره نحو أختها الصغيرة التى كانت تقضى معها وقتا أطول ، فما ذلك الا لانها صغيرة عاجزة تحتاج الى رعاية خاصة وعناية كبيرة . وهي تنتظر منها أن تساعدها فى ذلك فترعى أختها حين تشغلها مشاغل المنزل عن ذلك . وشفيت « ف » بعد أسابيع معدودة وأصبحت مرة أخرى ، البنت الوديعة اللطيفة التى كانت قبل أن يخلق الله لها أختها

وللتعبير عن سبب عناد البنت وتمردها ، تعبيراً نفسانيا نقول ، ان لديها كما عند كل فرد نزعة للسيطرة ، وان هذه النزعة كانت تحقق غالبا ، اذ كانت ترى نفسها محوطة بالرعاية ، مجابة الى كل مارغب فيه فلما أتت الاخت الصغيرة وظنت البنت أن أمها قد أقلت من حبها ، شعرت بضعف أمرها واضمحلال سلطانها . ولكنها كبتت هذا الشعور وأسكتته دون أن تحس ، فى غياهب عقلها الباطن وأضحى يؤثر فيها على غير بصيرة منها لانه محتجب متدثر

فلما كشف العلاج القناع عن تلك النزعة ، بطل أثرها الخفى ، وعادت البنت سيرتها الاولى

ان هذه الحالة وشبيهاتها ، تماثل تماما تلك العادة الغريبة الشائعة فى قبيلة « أورانكبو » فى جزر الملايو . يقولون ان الحياة حين تقسو على أحد أفرادها ، كأن تفقده أعزاءه ، أو تحرق محاصيله يخرج قابضا خنجره ، ويصرخ صرخة خاصة ، كانذار لاهل الحى . ثم يعتدى على كل من يصادفه ويجتمع الناس حوله بأسلحتهم ، يضربونه بها حتى يخر صريعا ، فاقد الحياة ! !

فالام فى حالة الطفلة « ف » تشابه المجتمع ، وتمرد الصغيرة وعنادها وضجيجها ، يقابل تمرد الشخص على هذا المجتمع الذى يعمل على الخلاص منه ولكن بعد أن ينتقم لنفسه مما لاقاه فيه

وللاسف نجد بعض الوالدين يفضلون أحد أبنائهم على الآخر ، ويظهرون هذا التفضيل واضحا للطفلين فى معاملتهم ، وحتى فى طريقة الكلام لهما . مما له أسوأ الاثر فى كلا الطفلين خصوصا فى الذى يشعرونه بأنه أقل مركزاً فى نظرهم . حيث يكبت فى المسكين نزعته للسيطرة ، فينشأ ذليلا هديد الحياء ، كارها لمنزله . أو قد يتمرد عليه ويهرب منه

وتبدو هذه الظاهرة جلية فى بعض البيوتات التى يضطر الطفل فيها لان يعيش مع أخوة غير أشقاء ، ومع أم أو أب غير أمه وأبيه

٩ ـ ولا شك أن عددا غير قليل من الاسر المصرية تقاسى من حالات شاذة فى أطفالهم كتلك التى ذكرناها . على أن هناك ماهو أدق وأخطر ، مثل ظهور الغريزة الجنسية بشكل ملتو فى أطفال صغار وفى بعض الراشدين ، نتيجة لكبت هذه الغريزة أو بعض مظاهرها كنزعة الطفل للالمام بكيفية وجوده فى الحياة ، ومعرفة وظائف بعض أعضاء الجسم واختلافها فى الجنسين. وما يدرى الوالدون حين يضغطون هذه النزعة في الطفل ويمنعونه من الكلام عنها أو حتى التفكير فيها انهم انما يدفعون بها في عقله الباطن ، حيث تؤثر فيه دون أن يشعر وتجعله طفلا وناشئا ورجلا يسلك مسالك غريبة ، ويسير فى طرق قد تكون بشعة خطرة

١٠ ـ ولقد ينتج عن الكبت على رغبات الطفل أو الفرد أمراض لا ينفع فيها الطب ، ولا يجدي مثل ضيق التنفس والارق والتأتأة وآلام الرأس وغير ذلك . وكأن الرغبات المضغوطة المستترة فى العقل الخفى ، تجعل الفرد يلجأ لهذه الامراض يبرر بها عجزه عن تحقيق تلك الرغبات وقعوده عن أن يسير فى حياته سيراً طبيعيا عاديا

أصيب جندى انجليزي أرسل لمصر بأرق وآلام مستمرة فى الرأس ، ولم يجد الطب معه شيئا فاضطر لان يستشير طبيبا نفسانيا . وعند أول مقابلة للطبيب ذكر له الاخير أنه طبعا يتوق لان يغادر مصر ، ويرجع الى بلاده ويعيش مع أهله وذويه ، فأجاب الجندى بالنفى قائلا انه سعيد مع فرقته حيث هو . وفى اليوم التالى نوم الجندى تنويما مغناطيسيا ، وأعطى ورقة وقلما ، وطلب منه أن يكتب أعز أمانيه فكانت « مغادرة مصر » ! ! « ليت هذه كانت أمنيتهم جميعا »

وهكذا تبين أن الشخص قد تنازعه دافعان : رغبة فى ترك مصر ، ودافع الوطنية الذى يتطلب منه أن يخدم بلاده مقيما فى مصر . فضغط الاخير على رغبته فى الرجوع الى وطنه وانزلها العقل الباطن حيث أثرت فى الرجل مستترة ، ودون أن يشعر وسببت له مرضه

وقد يتسبب عن الضغط على نزعات الطفل أو الفرد واحتجابها بعض اضطرابات عقلية قد تنتهي بالجنون

١١ ـ ماذا نفعل اذن بأطفالنا ؟ وكيف نعامل نزعاتهم ورغباتهم حتى لا تضطر لان تؤثر فيهم من وراء ستار ؟ أول مايتبادر الى الذهن الا نضغط عليها . بل نجعل الطفل يحققها مسترشداً بنا حتى لا تدفعه فى اتجاهات تضر به ، أو تسيء الى من يعيش معهم . فلا نعاقب المشاكس ، بل نوجه دافع العراك فيه الى العاب يرضيه فيها ، ويتعود من القيام بها عادات صالحة كاتباع نظام اللعبة ، والتضحية للغير والصبر والاناة

ولا نحرمه من أن يشبع رغبته فى الاستطلاع ، والسؤال عن مختلف الاشياء . بل يجب أن نجيبه عن كل ما يسأل فيه ، بكلام بسيط يناسب ادراكه . ولا نكذب عليه ، ولا نفتح ذهنه لافكار لم يحن بعد وقت الالمام بها مثل ما يتعلق ببعض الامور الجنسية ، وما يتعلق بالادلة الدينية العالية على مستوى تفكيره . فان سأل الطفل عن معنى الزواج ، فهو ان يعيش رجل مع امرأة ويربيا أولادهما . ولا ضرورة لان نذكر له المعنى التام بتفاصيله وحذافيره ، أو ان نطلب منه السكوت لانه لا يزال صغيرا فلا يحق له أن يسأل عن مثل هذه الامور

ويجب ألا نثبط همة الطفل فنقول انه بليد غبى وانه عاجز عن أن يؤدى عمله ، كما يفعل بعض الآباء والمدرسين . فان مثل هذا القول المؤلم يكبت فيه نزعته المسيطرة والتفوق وتؤثر فيه هذه من وراء ستار ، فتجعله بليدا غبيا عاجزا حتى ولو كان ذكاؤه مفرطا . أحرى بنا أن نشجع الطفل ونجعله يتغلب على مواطن الضعف فيه

ويجب أن نساوى بين الاطفال فى المعاملة ، فلانشعرهم بأن منهم من هو أحب الينا من غيره ، والا تولدت بينهم غيرة خفية قد يتسبب عنها تنافرهم وتباغضهم وتشاحنهم

ويجب أن تكون الحياة الزوجية هادئة قريرة أمام الطفل . فيتفق الزوجان على توجيهه وتنشئته . وان حدث ما يترتب عليه اختلاف فى الرأى ، أو تبادل كلمات قاسية ، فليكن ذلك بعيداً عن الطفل والا انقسم على نفسه كما ينقسمان أمامه

ويجب ألا ندلل الطفل ، فالتدليل يكبت غريزة الاستقلال فيه (لانه يحصل على كل مايرغب) وهذه تؤثر فيه تأثيرا شاذا فينشأ عنيدا ، مكارا ، أنانيا . ويجب ألا نأخذه بالشدة والقسوة فنكبت بذلك نزعته المسيطرة ، فتؤثر فيه وهى متخفية ، وتجعله جبانا ، ذليلا ، مستكينا

ويجب ألا نتركه للخدم ، وان نحرص على حسن اختيار من يختلط بهم ، حتى لا يعبث كل هؤلاء بتعاليمنا له ، ويجعلوا عقله فى صراع واضطراب ونزاع ، حين يختلف كلامهم له عن كلامنا

ويجب أن نعمل على تكوين الخلق الحميد فى الطفل منذ نشأته ، ونثبت العقيدة بين ضلوعه ، حتى تنبنى حياته فى طفولته وبعدها ، على أساس منظم ثابت ، فلا يكون كالريشة فى مهب الريح تتجاذبه الدوافع هنا وهناك ، وتتصارع فى عقله مختلف الرغبات ، فيضطر لان يزج ببعضها فى اللاشعور (العقل الباطن) حيث تتنكر وتتخذ لنفسها صورة خفية تسير الانسان فى مسالك غريبة

ويجب أن نكون قدوة للطفل فى المنزل وفى المدرسة . وأن تكون تربيتنا له مبنية على المحبة والعطف ، لا على الارهاب والخوف . بذلك يسهل توجيهه فيما نراه صالحا له دون أن يسىء للمجتمع الذى يعيش فيه

١٢ ـ أما علاج الحالات الغريبة التى تظهر في الاطفال أو الافراد فتنحصر باختصار فى اظهار القوة المستترة القابعة فى العقل الباطن ، المسببة لشذوذ الفرد ، وفى جعله يواجه مشاكل الحياة التى أمامه ، بدلا من الالتجاء الى سلوك غريب لايمت للمشكلة بصلة ، ولا يساعد على حلها ، وبدلا من الالتجاء الى مرض يبرر به قعوده وضعفه

فالطفل الذي فقد ثقته بنفسه ، لان غريزة السيطرة فيه انحدرت الى قرارة عقله الباطن لسبب من الاسباب يمكن أن نعطيه أعمالا بسيطة ملائمة ، ونشجعه على القيام بها ، ثم نضع أمامه أعمالا أصعب وأصعب حتى تتحلل عقدة السيطرة . وتظهر بشكلها الحقيقى كما كانت قبل الضغط عليها وبذلك يعود للطفل ثقته بنفسه

ولكل حالة علاج خاص لا يمكن أن يقترح الا بعد أن تدرس كل العوامل المختلفة التى سببتها فى الماضى ، والتى تحيط بالطفل أو الفرد فى الحاضر

١٢ ـ ان فى مقدورنا أن نخرج للحياة أفرادا يسيرون فى ثبات وطمأنينة ، ويدركون تماما الى أي اتجاه يتجهون . وبأي القوى والنزعات يتأثرون . فيرتفع بهم المجتمع ويعلو . والامر يحتاج الى رعاية كبيرة وعناية دقيقة من الوالدين والمربين . كم منهم يجنون على أطفالهم ويخرجونهم للمجتمع ضعافا مترددين ، أو معاندين انانيين ، يشقون وتشقي بهم الحياة . ويرددون فى اعماق نفوسهم

هذا جناه أبي علي فليت أمي لم تلد

الاستبداد بالطفل

للسيدة زاهيه متولى

ميدان الضحايا واسع فسيح وميدان الاستبداد أوسع وأفسح غير أنى لا أقصد من عنوانى هذا ضحية القائد المستبد بجنوده ولا الحاكم المستبد برعاياه ولكن ضحية اليوم ضحية ساذجة ضعيفة لينة مستعدة للتشكيل كيفما شاء مشكلها

الطفل هو الضحية التى نتحدث عنها اليوم ولو أحصينا الضحايا لوجدناها كثيرة متعددة ولكن انى لنا أن نشعر بها ونحن نجهلها أو نتجاهلها ارضاء لما يغمر نفوسنا من حب للنفس وانانية أو لاظهار القوة والسيطرة ؟

للطفل حقوق وواجبات على أبويه ولكن تلك الحقوق فى معظم الاحيان مهضومة لان كثيراً من الآباء والامهات لا يفهمون الطفولة ولم يحاولوا أن يفهموها فللطفل الحق كل الحق فى ان يربى تربية صالحة وينشأ نشأة صحيحة جسميا وعقلياً وخلقيا ونفسيا

ولا يجوز أن ننتظر من الطفل تأدية واجباته على الوجه الصحيح الا إذا وفيناه حقوقه من التربية والتعليم ، ونجد الوالدين بالرغم من هضمهم حقوق الطفولة وإهمالهم واجباتها ينتظرون من الطفل الطاعة والخضوع ثم يكون نصيبه منهم مقابل هذا اهماله وكبت ميوله واخماد غرائزه وتركه يتعود من شتى العادات ما يعوق نموه ورقيه

أما استبداد الوالدين فينشأ عادة اما عن جهل واما عن أنانية فنجد الام تستبد برأيها أحيانا لاظهار السيطرة ظناً منها أنها يمكنها أن تربى طفلها بهذا الاستبداد غير شاعرة بالضرر الذى سيعود عليه من جراء ذلك الاستبداد

فالطفل يذهب ضحية استبداد الام وجهلها بكيفية تغذيته فهى تستبد بالطريقة التى تراها ولا تقبل النصائح الموجهة اليها متأكدة أنها هى الام وهى أدرى بمنفعته من أى شخص آخر وتقوم الشفقة الكاذبة بدور هام فى التمادى فى هذا الاستبداد مع تلوينه بلون غير لون الاستبداد ويكون نتيجة ذلك كله أن ينشأ الطفل ضعيف الجسم ان لم يكن عليلا وربما أصابه تشويه جسمانى وتأخر نموه العقلى مما يكون له اسوأ الأثر فى حياته المستقبلة

وتوجد مشكلة عامة نجدها فى كثير من المنازل وهى أيام فطام الطفل فتريد الام اطعامه بيدها ولكنه لا يلبث أن يحاول ويظهر الرغبة فى اطعام نفسه ولكنا نرى الام تصر على اطعام الطفل خوفا من تلويث ملابسه بالطعام أو اذا سمحت له باطعام نفسه فانها تضيق عليه الخناق وتحتم عليه ألا يوسخ ملابسه وسرعان ما يصرف هذا التحتيم الطفل عن الرغبة فى اطعام نفسه وبذلك يتأخر

فى تكوين عادات المائدة . فالاحسن الا تستبد الام برأيها فى تقييد الطفل بالمحافظة التامة على ملابسه لانه بذلك يضع كل همه فى إتمام تلك العملية منصرفا عن كل ماعداها حتى عن الطعام نفسه ويحسن بها أن تعوده النظافة والمحافظة على ملابسه شيئا فشيئاً بعد أن تعوده الاعتماد على نفسه فى تناول طعامه بيده

ويجب أن تعلم أن لكل فعل فى بيئة الطفل رد فعل وطبعاً يتوقف مقدار تأثيره على قوة المحرك الذى يحركه ويثيره فاحيانا نجد الاستبداد ينتج خضوعاً . فالطفل الذى تصدر اليه أوامر أمه المستبدة فيخضع لها أو يظهر الخضوع خوفا من العقاب لايلبث ان يستسلم للخضوع فى كل اموره ويصبح جباناً ضعيف الثقة بنفسه متردداً فى جميع أعماله وأقواله لا يجد مجالا للتفكير المستقل وتضيع بذلك عليه فرص الطفولة الكثيرة التى يعتمد عليها خيال الطفل فى تكوين شخصيته والتى فيها تظهر ميوله وتهذب غرائزه

وأحيانا نجد التمرد نتيجة أو رد فعل لهذا الاستعباد فالطفل يعز عليه أن يحكم بهذه القسوة الاستبدادية وتثور ثائرته ويتمرد على الأوامر المعطاة له ويعمل عكس ما يؤمر به وكلما زاد العقاب تغلغلت فكرة التمرد فى نفس الطفل فتتوتر رابطة المحبة بين الطفل وأبويه ويصبح المنزل مكانا لا يصلح لاظهار رغباته وميوله وغرائزه فيحاول صرف معظم وقته خارجه مع أولاد الجيران أو الخدم وينتج عن هذا التمرد صفات نفسية منها العصيان وصلابة الرأى والعناد والانتقام لنفسه باغاظة أمه ومضايقتها وإذا اشتد العقاب اختلق الاكاذيب ليبرر موقفه

والوالد الذى حرمته أعماله خارج المنزل من إظهار السيطرة والاستبداد الدفينين فى نفسه قد يجد مجالا واسعاً فى المنزل حيث هو الحاكم بامره فيدخل المنزل وهو مملوء بروح السيطرة والرغبة فى إظهار عظمته فيأمر وينهى ويستعمل جميع الوسائل ليشبع ميوله ورغباته الخفية فينكمش الاطفال والأم معاً خضوعا واستسلاما لاوامر الأب العسكرية

والزوجة التى لا مجال لها فى إظهار استبدادها إلا والزوج بعيد عن المنزل تجد الفرص عديدة فى إظهار هذا الاستبداد باطفالها الصغار فتستبد فى أوامرها فاذا تحرك الطفل أو سمع صوته ارضاء لطبيعته عوقب وحرم من اللعب وإذا أراد الراحة أمر باللعب والحركة لانها ترغب فى أن تراه يلعب إلى غير ذلك من الأشياء التى لا أساس ولا أسباب لها فهو يقوم بكل حركاته تحت تأثير رغبات الوالدة لا على حسب الدوافع الطبيعية الكامنة فى نفسه

وللسيدة التى تحرم طفلها اللعب مع أطفال جارتها لخلاف بينهما هى فى تلك الحالة مستبدة بالطفل لا لذنب ارتكبه بل لحفيظة فى نفسها ولاترى أمامها أضعف من طفلها فتحرم عليه ألذ شىء يريده وهو اللعب مع أصدقائه وليتها تمنعه وتعوضه مافقد بمشاركته فى اللعب أو إيجاد الجو الصالح لشغل

وقته فلا يشعر بالنقص الذى أوجدته بهذا المنع ولكنها تتركه ونفسه وما يدرينا فربما تدفع الطفل الرغبة القوية للعب كما تعود فيتمرد على أوامر الام الصارمة ويذهب خفية ويلعب مع أصدقائه كالمعتاد وإذا ما اكتشف أمره فهو يحاول تخليص نفسه بالحيل والاكاذيب لتضليل أمه . ولو كانت عالمة بطبائع الاطفال لأدركت أنه ليس من السهل منع الطفل عن أشياء تعودها فهو لابد أن يخرج ليلعب إذا وجد الفرصة وإلا إذا شددت عليه المراقبة حاول الثأر لنفسه بمضايقة أمه بصراخه وعويله أو بمشاجرة اخوانه إذا كان بالمنزل اخوة وبتحريب كل ما تقع عليه يده من الأثاث والأوانى

والام التى تحرم طفلها من اللعب خشية تلويث ملابسه وبالرغم من محاولته أو الحاحه تتمادى فى استبدادها غير مدركة أنها تحرم الطفل من الحياة لأن الحركة للطفل فى السنين الأولى هى الحياة بعينها فيها ينمو جسمه وتقوى عضلاته وترقى مداركه وتهذب غرائزه وتظهر ميوله ورغائبه وتكيف وتشكل إلى ما فيه الخير لشخصيته وللمجتمع . ولو علمت الام ما سيفقده طفلها بهذا الاستبداد لضحت بقليل من وقتها فى غسل ملابسه أو عوضته بطرق أخرى للعب تحفظ ملابسه من القذارة أو خصصت له ملابس يلبسها وقت اللعب ذلك كيلا تقف فى سبيل أشباع ميوله ورغباته فهو يجد فى اللعب الفرصة لتحريك عضلاته وتقويتها وفيه يجد المجال واسعا فى أختيار بيئته واظهار غرائزه فيحل ويركب ماشاء من لعبه ويهدم ويبنى منزله . والبنت تطبخ وتطعم عرائسها وبالاجمال فالطفل يعبر عما يجول بخاطره فيجب الا تحرم الام طفلها من اللعب بل تعد له الاماكن الصالحة فبدلا من أن تتركه يلعب فى التراب والطين تأتى له بالرمل الأبيض النظيف أو غير ذلك

والأم التى تقلب نظام حياة الطفل لانها تريد أن تفعل هذا وذاك فترغمه على النوم فى ميعاد لم يتعوده لانها تريده أن ينام متأخراً فى المساء أوتحرمه من النوم بالنهار لانها تريد أن ينام مبكرا فى المساء وهكذا ينقلب نظام حياة الطفل لا فى النوم فقط بل فى الاكل والأشياء الأخرى ويصبح عصبيا كثير البكاء منحرف المزاج

ولقد صادفتنى حالات كثيرة فى العيادات السيكلوجية فنجد الام تنظر الى أعمال طفلها وميوله وسلوكه الشاذ نظرة حائرة مضطربة لاتدرى من أين له بهذه الصفات أو العادات ولاتفهم لعصيانه أوامرها أو إيذائه لأخيه الطفل الرضيع أو لتخريبه أثاث المنزل ـ لا تجد لكل ذلك أى سبب ولم تدر أن أعمال الطفل هذه ناشئة معظمها من دوافع خارجية آتيه من بيئته فتأثر بها بمقدار مالها من قوة أو ضعف

فلا يمكن أن نصلح طباع الطفل إلا إذا أصلحنا الحياة المنزلية أوالبيئة التى تولد تلك العوامل فتدفع الطفل إلى الطريق الذى لا نرضاه له

ضحية التثبيط

للآنسة بهيجة بيومي سليمان

كثيراً مايتورط الآباء ومن يوكل اليهم أمر تربية الأطفال فى بعض الاخطار التى تجنى على الطفل وتلحق به اضرارا وأدواء يصعب شفاؤها . ومن أهم هذه الأخطار اندفاع الواحد منهم فى تنقص الطفل واظهار عجزه عن عمل من الاعمال او سخفه فى تصرف من التصرفات والضن عليه بكلمة تشجيع تسره وتبعث فى نفسه الأمل . لأن هذا التثبيط يهدم فى الطفل روح الوثوب والاقدام فى مختلف الاعمال وتبنى على انقاض تلك الروح الخضوع والذلة والخجل والحياء وغيرها مما يدعو الى اخفاء مواهب الطفل واستتارها عنا الى ان تخمد وتندثر او الى ان تنحرف عن طريقها المستقيم وتشق لها فى نفسه طرقا تضطرب لها حياته فتجنى على مستقبله وتلحق الضرر باهل محيطه ومجتمعه

الطفل مفطور على حب الظهور والمنافسة والسيطرة وغيرها من الغرائز . وهذه الدوافع الفعالة تجعله على استعداد للاتيان ببعض الافعال التى من شأنها اظهار شخصيته أو مقدرته . فمثلا نجد الطفل ينتهز فرصة وجود زائر أو خلافه فيتقدم اليه بملبسه الجديد أو بلعبته أو كتابه الخ . هذا الى أنه يقوم باعمال أمام غيره ليتبين قدرته كالنط والقفز والاقدام على مزاولة بعض الاعمال التى يشعر انه يجيدها واذا ماعمل عملا أسرع نحو أمه أو مدرسته ليريها ماصنع آملا أن يسمع أمه تسجل تفوقه وتعترف باحسانه واجادته فان فاز من ذلك بما أراد شاع السرور فى نفسه وقويت عزيمته . والواقع أن أعمال الطفل سواء اكانت صغيرة أم عظيمة بالنسبة لنا هى ذات قيمة كبيرة فى نظره وتستحق منا التشجيع فاذا لم يجد الطفل منا ذلك بان لاحظ فينا شيئا من عدم الاكتراث باعماله أو من الاستهجان لتصرفاته فترت همته وانقبض صدره وانهدمت آماله فيعود من حيث أتى وهو خجل وربما ترك هذا فى نفسه أثراً سيئا يجعله لايأنس الينا بعد ذلك . ذلك لأن التثبيط قد يستدعى فقد ثقة الطفل فى نفسه أيضا . أعرف طفلا فى الخامسة من عمره مولعا بقضاء بعض الحاجيات العائلية لكنه كان لايجرؤ على لمس الاشياء القابلة للكسر وهذا لأن مربيته أطلقت عليه « ايده فيها الكسورة » ففقد الطفل بهذا التصريح العادى الخطير ثقته فى نفسه لدرجة حققت هذا التعبير — ولكن سرعان ماعادت اليه ثقته فى نفسه بواسطة وسائل التشجيع المختلفة التى جعلته يهتم بتوصيل مافى يده سليما فاصبح بعد المرانة قديراً على حمل هذه الاشياء وصيانتها لدرجة مدهشة

فالتثبيط كالاستهواء يزيد أثره ويستفحل خطره كلما تكرر . ففى هذه الحالة بتصريحك فى وجه الطفل بان « ايدء فيها المكسورة » قد القيت فى نفسه هذه الفكرة وأضعفت ثقته فى نفسه من هذه الوجهة فكلما ازددت فى اطلاق هذه العبارة عليه ازداد شعوره بهذا الضعف وقلت ثقته بنفسه حتى يفقدها تماما ويحل محلها ايمانه الراسخ بانه عاجز من هذه الناحية تمام العجز - كذلك المعلم أو المربى الذى يثبط فى الطفل عزيمته نحو عمل ما باستمراره يوحى اليه بانه مهما حاول اتقانه فلن يفلح أبدا وبذا ينقلب على عقبيه فيكره ذلك النوع من العمل ويستثقله ويكره المعلم وربما كره المدرسة باجمعها وتكون النتيجة ركون الطفل الى الخمول والكسل واستيلاء اليأس على نفسه فيستحيل عليه التقدم فى الحياة أو النجاح فيها

يشعر الطفل بالسيادة متى سمح له المربون بان يتحمل بعض المسئوليات التى يستشعر فى تحملها أن له كيانا مستقلا وذاتية خاصة ومتى مكنوه من القيام ببعض الاعمال البسيطة التى يثبت بها وجوده فهو يحب أن يكون موضع الاهتمام والثقة من الكبار . فلماذا نتغاضى عن هذه الرغبة الجميلة الملحة ونحن فى حاجة إلى أن نخلق من هذا الناشىء الصغير عضواً نافعا للجماعة يتحمل اعباء الحياة ويقابلها بصدر رحب ؟ علينا أن نهتم باطفالنا كل الاهتمام ونمرسهم على القيام بكل مايستطيعون القيام به مع مراعاة التشجيع المناسب فى وقته المناسب لما لذلك التشجيع من الاثر الجليل فى اثارة الهمم كما أنه يبعث على النهوض والنجاح وبذا يتقدم الطفل ويرقى

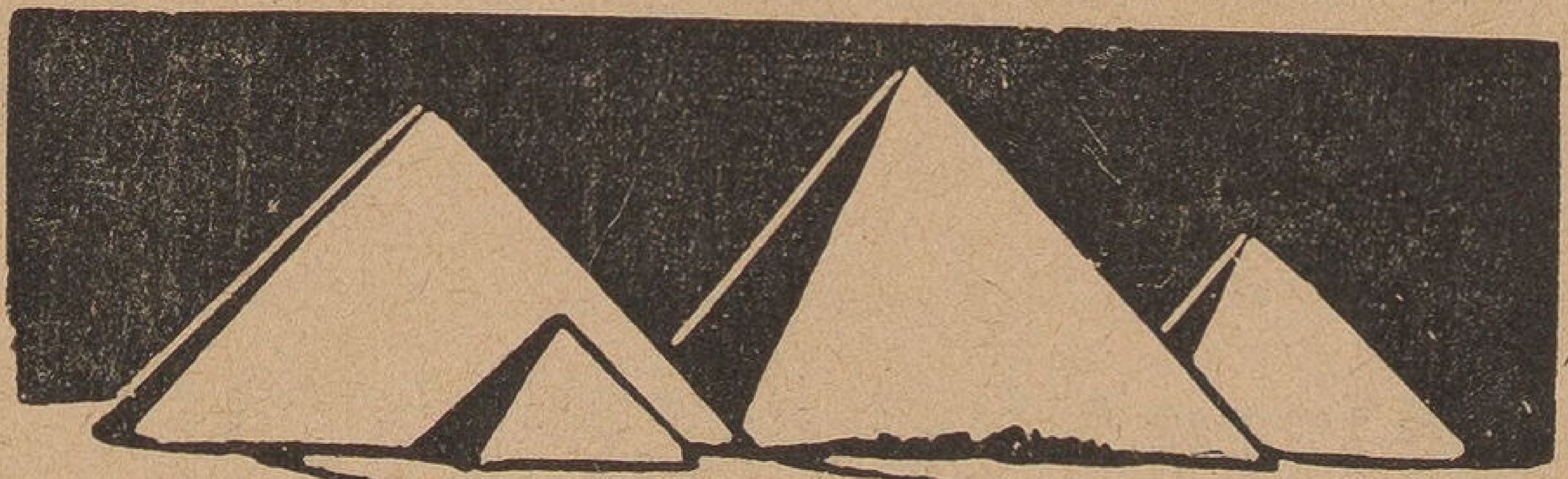
أما اذا اهملنا فى الطفل هذه الرغبة وثبطنا عزيمته باهمالنا أشعرناه باننا لانهتم لتقدمه فتسأم نفسه ويفقد نشاطه وتفتر همته لثقته بان من يحبهم ويثق بهم وبكلامهم ويعتمد على تشجيعهم يحتقرونه ويستخفون به وبآرائه ولو اكثرنا من استعمال بعض الجمل التى نعتبرها بسيطة وهى فى الواقع بعيدة الأثر فى نفس الطفل مثلا كقول الأم لابنها مثلا « انت خايب وأنا لا أعتمد عليك مطلقا فى قضاء أى شىء » لأضعفنا ثقته بنفسه وقبرنا مواهبه وكفاياته وحرمناه من اظهارها وتنميتها والانتفاع بها وعلى كل من الحالتين فقد جنينا وسببنا له فشلا تعود مضاره على الطفل والاسرة والمجتمع

هناك أطفال لرقة شعورهم يتحكم فيهم الخجل الى درجة الصمت والوقوف عن الكلام وما هذا إلا نتيجة التثبيط - فهم يعتقدون أن كل مايقومون به سيقابل بالاستهزاء . وانا لنجد من التجارب العملية أن الطفل وهو فى بدء عهده بالقراءة والكتابة اذا استدعى لكتابة شىء ما أو قراءته أمام غيره وزل فى ذلك واستهزأ به اخوانه من الاطفال فانه يخجل لدرجة لايحب معها أن يظهر مطلقا أمامهم فى موقف كهذا . وربما ذهب به احساسه الى حد أن يكره مجتمعه الصغير ويتجنب الاختلاط

بافراده فيجنح للعزلة والانفراد وفى هذا ضرر بليغ بتربيته الاجتماعية اذ ربما تتكون فيه النزعة للانزواء والعزلة وتبقى معه فى جميع أدوار حياته وتؤثر فى جميع تصرفاته

هذا ويوجد ضرب آخر من التثبيط يفسد على الاطفال حياتهم وينغص عليهم عيشتهم وذلك هو جرح شخصيتهم عند الكلام والسؤال وخلافهما . فشخصية الطفل يجب أن تحترم عند مايتكلم أو عند مايسأل او يجيب مهما كان كلامه تافها أو أسئلته بسيطة فى نظرنا أو كانت اجابته خطأ . فقهر الطفل وتثبيطه فى مثل هذه الاحوال يضعف من شخصيته وغالبا يدفعه الي العزلة والانفراد وربما دعا عدم التشجيع الى عصيان الطفل لدرجة يصعب معها استهواؤه الى عمل من الاعمال مهما كان أمره ـ ومن واجبنا ألا نهزأ بكلام الصغار وألا نشنع باخطائهم حتى لانمس شعورهم وأن نجيبهم على أسئلتهم ـ مهما كانت اجابة صحيحة تتناسب وحالة نموهم العقلى وفى هذا احترام لشخصيتهم الناشئة وتعويد للطفل احترام نفسه وغيره

من ذلك نرى أن التثبيط جريمة فظيعة تقتل فى الطفل شعوره وتقبر مواهبه التى منحها الله إياه وتوجه سلوكه توجيها ضاراً يتحكم فى مستقبله تحكما يعود ضرره عليه وعلى مجتمعه ـ هذا وانه يحول بينه وبين الاستمرار فى التعلم والاستفادة من الحياة والتجارب فيصبح هذا البرىء ضحية الاهمال أو الجهل بما يجب اتباعه فى توجيهه التوجيه الصحيح فى كثير من الحزم والتشجيع لتنتعش نفسه ويهون الصعب أمامه فيصبح مقداما عالى الهمة ثابت العزيمة قوي الارادة



ضحايا الاضطراب العائلي

للدكتور أحمد شاهين

قام نظام الاسر لايجاد نظام اجتماعي مشترك بين الافراد رغبة فى التعاون على الحياة والقدرة على مواجهة صعابها ، والاسرة فى حد ذاتها قائمة على التزاوج بين الجنسين وينتج عن ذلك الاطفال الذين هم ورثة الآباء والامهات والذين يكونون على التعاقب اسرا ، وبهذا يقوم النظام الاجتماعى الذى تدرج من القبيلة الى الدولة . ولا يخفى ما قد تام على هذا الاسلوب الاجتماعى من الطمأنينة والتعاون والقدرة على تربية الاولاد تربية صالحة تهيئهم لمواجهة الحياة ، والكفاح فيها ، والقيام بمجهود يساعد على مجهودها ثم ايجاد أفراد أصحاء عني بحالتهم الصحية لنشأتهم فى كنف أبوين يرعيانهم بالكثير من العطف والعناية

ولما كان الجو العائلي وهو المجال الذى يتكون فيه الاطفال وينشأون متأثرين بما فيه من عوامل نفسية وخلقية وصحية كان أثر الحياة العائلية فى الطفل عظيما وكان على التحقيق أكثر ما نشاهده من حالات شاذة سواء أكانت نفسية أو صحية نتيجة الحياة العائلية فى أيام الطفولة ، أكثر غرائزه وميوله وامراضه هى صدى ذلك الاثر الذي أحدثته الاسرة فيه ، ولست أريد أن أفسر ذلك بمقدمات طويلة حتى أصل الى هذه النتيجة فهذا موضوع قد قرر ودرس دراسة واسعة ، وتناوله كثير من علماء النفس والاجتماع والتربية بالبحث المستفيض والنظر الدقيق ، ووصلوا جميعا الى النتيجة التى أقروها الآن وهي أن الطفل الذى هو رجل الغد صورة صحيحة لحالة الاسرة . من هذا يتضح لنا أثر الاضطرابات العائليه فى الاطفال وما تؤدى الى ضعف فى نفوسهم واخلاقهم وصحتهم ولهذا يجدر بنا أن نعنى كثيرا بحالة الاسرة وندرس العلل التى تقوم عليها هذه الاضطرابات وهي وان بدت كثيرة متشعبة متغيرة بتغير الطبقات والحالة والبيئة واسلوب التربية ، الا انه يمكن أن نجدها على قدر الطاقة وترجع هذه الاضطرابات الى الاسباب الآتية

١ — تعدد الزوجات : لقد جاء الشرع المحمدى برسالة سامية كلها تيسير للبشر فاباح لذلك تعدد الزوجات منعا لاتخاذ الخليلات اللائى لا يملكن من الحقوق قبل الرجل شيئا ، ولتخفف على الزوج

الالم الذى يحسه اذا كانت زوجه عقيما أو أصابها مرض طويل شديد ، على أنه مع أباحته هذا الامر قد حده بنص شرعى اذ أمرنا أن نتخذ واحدة فقط اذا خفنا الا نعدل . والعدل بطبيعة الحال ينصرف الى أشياء كثيرة غير أننا أسرفنا فى مسألة الزواج وكثرة تعدد الزوجات دون موجب حقيقى لها

اللهم الا شهوة طائشة ، او رغبة زائفة اقامها خيال جامح سقيم ، ونتج عن هذا فوضى خطرة فى الحياة الاجتماعية ، قامت عليها ضحايا كثيرة ، فمن زوجة بائسة أهملها زوجها ، ورغب عنها ، واتجه بكلياته الى الاخري يرعاها بعطفه ، ويحنو عليها فى شفقة وحب عظيمين ، ويكلأ أولادها بعنايته بينما أولاد الاخرى يشار كون أمهم بؤسها ، ويقاسمونها شقاءها ، فتنبت بذور الحقد فى قلوبهم على أخوتهم ، فينقلب الوضع المألوف فبدلا من أن تمتلىء قلوبهم بالحب والاخاء تفيض بالبغض والكراهية ، هذا فضلا عن اهمال تربيتهم ، وتركهم عرضة لعواصف الايام وتقلبات القدر الامر الذى قد يخلق فيهم مجرمين عنيفين فى الاجرام ، أو ضعافا تهدم كيانهم الامراض ، او ذوى نفوس ضعيفة لم تصقلها التربية والتهذيب وذوي همة هزيلة لم تشحذها الرعاية والترغيب ، فاى ضحايا يمكن أن تؤثر فى نظام الاجتماع تأثير هذه الضحايا ؟؟ وأى خطر نخشاه قدر ما نخشى هذا الخطر ؟؟ فالواجب اذن أمام هذه الفوضى التى لايحد منها ضمير يقظ ، ولا نفس نبيلة تتألم لما يصيب الاخرين من الالم ، هو أن تعالج بتشريع يخفف اضرارها ، ينص فيه على تحريم تعدد الزوجات الا فى حالات خاصة كالعقم ، او المرض ، أو التشويه الطبيعى ، وما الى ذلك

٢ — عدم التوأوم بين الزوجين . هذه حالة تقوم عليها مشاكل كثيرة فى الحياة العائلية وهي قائمة على سوء الاختيار ، سواء من الزوج او من أهل الزوجة ، فكثيرا ما نرى زوجين لا توأوم بينهما البتة بل هما يختلفان فى أفكارهما وميولهما ورغباتهما واسلوب الحياة الذى اعتاداه ، وكفايتهما وبيئتهما مما يوجد هوة سحيقة وفراغا هائلا بينهما ، فلا يحسان الفة ولا حبا يربطهما ، ولا تتجاوب نفوسهما بعواطف الحب والائتلاف ، بل يشعران فى قرارهما بفراغ عظيم فى حاجة لمن يشغله ، ولاشك انه يقوم على هذه الحالة كثير من الخلاف والشقاق فى جو العائلة لاختلافهما فى كل شىء ، وعدم امتزاجهما امتزاجا يؤدى الى الالفة والاتفاق اللذين هما لازمين لايجاد هناء عائلى ، وقد كثر هذا النوع من الزواج فى هذا العصر المادى ، فطالما شاهدنا فتاة صغيرة يدفعها أهلها الى أحضان رجل شيخ طمعا فى ثروته او سلطانه . وكثيرا أيضا ما نرى شابا طائشا أعماه حب الثروة فيبحث عن فتاة ثرية ظنا منه ان الهناء والسعادة

قائمان على المال فلايعنى بتعرف أخلاقها وطباعها ،فينتج فى أغلب الاحيان خلاف يؤدى الي الطلاق ومن ثم الي تشريد الاطفال وتنشئتهم فى جو لايحسان فيه اثر العطف والرعاية

٣ ـ أنانيه الرجل ومغالاة المرأة . لقد تقدمت الفتاة فى السنوات الاخيرة تقدما محسوسا وجارت الرجل فى أكثر ميادين نشاطه ، وهى مازالت دائبة فى رقيها وتقدمها بخطوات ثابتة مضطردة ونتج عن ذلك تغير فى أفكارها وآمالها ، ونظرتها الى الزوج والحياة الزوجية ، فهى قد أصبحت لاترى في الزوج الا شريكا يجب أن تقف معه فى صف واحد ، وأن يكون لها من الحرية ماله ، ومن الحقوق قدر مايتمتع به ، فهى لاترى نفسها أقل من الرجل فى شيء بعد ما نافسته في أكثر ميادين الحياة ، غير أن هذا التقدم لم يصاحبه تسامح من الرجل ، فهو مازال متمسكا بحقوقه التى ورثها عن جدوده او هو لايقبل الا أن يكون صاحب السلطان فى بيته وأن تخضع المرأة لآرائه ، والمرأة العصرية ترفض هذا الاسلوب فيقوم على الخلاف ، ويشتد النزاع ، على أن طبيعة الانوثة تجعلها رغم ثقافتها وتقدمها كثيرة المغالاة في كل شأن من شؤونها وهذا يزيد الحالة سوءا والشقاق حده

٤ ـ العسر المالى . لقد أصبح المال فى هذا العصر قوام الحياة وأدى هذا الى أن أصبحت الاعمال والرجال تقدر بما تدره من مال ، فقد زادت تكاليف الحياة ، وكثر السكان فى بقاع الارض واشتد التنازع على الحياة وما يتطلبه من تكاليف ، وما يلزم للحصول على مايقوم بهذه التكاليف من جهد ، ويتضح من كل هذا ما يسببه العسر المالى للفرد من تنغيص وآلام تسيء الى حياته ، ويحيط الجو العائلى بهالة قاتمة لايرى خلالها وجه السعادة والهناء . وكثيرا مايزيد هذه الحالة مغالاة المرأة فى طلباتها . والحاحها فى تنفيذ هذه الطلبات . بل كثيرا ما يشتد الخلاف لاجل هذا ويصل الى درجة قد تؤدي الى الانفصال . وكم من طلبات كثيرة تافهة تتمسك بها وتأبي الا أن تنفذها والزوج المعسر لايملك أمام هذا التمسك الا الملاينة مرة . والشدة أخرى . وقد يؤدى هذا الى عواقب وخيمة لها أضرارها وضحاياها

هذه أهم الاسباب التى يقوم عليها أكثر الخلاف والشقاق فى جو العائلة وهي فى الحقيقة قد تؤدى غالبا الى نتيجة واحدة . هي الطلاق . ولست أريد أن أشرح فى اسهاب النتائج الخطيرة التى تنشأ عنه فهذا معروف ونرى كثيرا أمثلة مفزعة منه . غير أنى وقد تصديت للبحث عن الاضطرابات العائلية وهى تنصرف بطبيعة الحال الى كل ما يفسد الجو العائلى ، ويبعده عما نتصور للعائلة من

كمال ـ فانى أعرض لحالات أخرى ليست تسبب شقاقا بين أفراد العائلة فحسب ، بل تفسد العائلة باجمعها ، وتهدم كيانها الاولى . وترى بحالتها الشخصية بين الناس ولاشك أن فساد العائلة على هذا النمط قد يؤدى الى افساد جزء كبير من المجتمع . وسأعرض مثالين من الامثلة الكثيرة التى يقوم عليها هذا الفساد

١ ـ وجود عنصر فاسد الخلق بين أفراد العائلة :

لقد أوضحنا فى أول هذه الكلمة أثر الجو العائلى فيمن يعيشون فيه . وأن أفراد العائلة تتشكل تبعا لاسلوب الحياة الذي تجرى عليه العائلة وعلى هذا يكون وجود فرد فاسد وسط العائلة له تأثير كبير فى بقية الافراد . اذ نرى أن الامراض الخلقية تنتقل بالعدوي النفسية بسهولة وخاصة عند الافراد فى طور طفولتهم الاول . اذ تؤثر فيهم تأثيرا قد يحولهم الى أن يتجهوا اتجاها فاسدا ومن ثم ينحرف أسلوب حياتهم . ويتحول الى ناحية الشر . يعزز ذلك ما انطوي عليه الطفل من قدرة على التقليد لكل ما يراه . ويقع تحت حسه فينتج عن هذا ضحايا أبرياء لاذنب لهم الا وجودهم فى جو يعيش فيه ميكروب خطر

٢ ـ الاضطرابات العقلية . لقد أثبت علماء علم النفس الباتولوجى والامراض العقلية أن اصابة أحد أفراد العائلة بمرض عقلى « كالبسيكوز » مثلا ينتج عنه فى أغلب الاحيان انتقال مرضه بطريق العدوى النفسية والوراثية الى من يعيشون معه او من يخرجون من صلبه . وينشأ عن ذلك اضطراب الجو العائلى . وانحلال البيئة المنزلية أثر ذلك يكون قويا على الاطفال لانهم لايزالون فى طور التكوين . ثم هم فوق ذلك معرضون لاخذ أمراض والديهم بطريق الوراثة . لذلك منعت بعض الدول حفظا للنسل من أن يأتى وفيه علل الابوين ـ (الامر الذى يجعله عالة على المجتمع) منعت لذلك أمثال هؤلاء الافراد ضعاف العقول أو المرضى بامراض تؤثر فى النسل من الزواج . وعالجوهم بالتعقيم اوانتزعوا الطفل فى طوره الاول من وسط هذه البيئة المضطربة ليرعوه باساليب التربية التى تساعده على أن ينشأ نشأة صحيحة قوية

قد يطول بنا البحث ويتفرع الموضوع كثيرا لو شئنا أن نعدد كل حالات الاضطرابات العائلية ـ لذلك أكتفينا بان نعرض للحالات التى نراها تحت نظرنا بكثرة عظيمة وتمثل يوميا على مسرح الحياة

لقد شرحنا فى أول كلامنا أثر البيئة العائلية فى تربية الطفل ونشأته . وأود أن أشير هنا الى

بحث مستفيض وتجارب واسعة قام بها العلامة البلجيكى الاستاذ « روفيرا » وقد اثبتها فى كتابى عن الاستشارات الطبية والعيادات السيكولوجية . لقد قرر الاستاذ « ليذ » الذى قام بتجارب على ما يقرب من خمسة آلاف طفل من بيئات متباينة وأخلاق مختلفة . منهم السارق والفاسق والمتشرد والمجرم والمدمن وما الى ذلك . قرر أن ٦٢ فى المـاية من هؤلاء الاطفال اكتسبوا هذه الاخلاق من البيئات التى نشأوا فيها . وأن أثرها كان قويا فيهم . وعندى بناء على ذلك أن أول ضحيـة للاضطراب العائلى هو الطفل رجل الغد وعدة المستقبل . وهذا له أثره البين على الهيئة الاجتماعية باسرها . اذ كيف نتصور صلاح الاجتماع اذا كانت عناصره فاسدة ؟ وأى رقي اجتماعى يمـكن أن نرجوه من أفراد هذا شأنهم ؟

لقد حتم القانون السويسرى والبلجيـكى انتزاع الطفل من بين أهـله وعائلته اذا خيف على مستقبله ووضعه تحت رعاية الحـكومة فى ملجأ أو وسط عائلى صالح يقوم بتربيتـه شفقة وبرا واحسانا

وأود أن أشير أيضا قبل أن أنتهي من كلمتى الى ان كثرة الاضطرابات المنزلية كثيرا ماتوجد عند الشبان والشابات آلاما نفسية يصاحبها خوف من الزواج . اذ تتمثل لهم الحيـاة العائلية فى صورة مفزعة كلها آلام لاترى خلالها سعادة أو هناء . واذكر بهذه المناسبة أن صحيفة الماتان الفرنسية قامت باستفتاء عام منذ سنوات عن أسباب الاحجام عند الزواج . وقد عرضت مجموعة وافية من الآراء لـكثير من رجال الاجتماع والقانون وعلم النفس نلمح فيها اتفاق الجميع على أن العلة تكون غالبا الاضطرابات التى يشاهدها الشبان والشابات ويسمعون بهـا مما يبدد أحلامهم وآمالهم الجميلة التى أقاموها فى خيالهم على الزواج . وعلي هذا أصبحت الاسرة نفسها ضحية ، شأنها فى ذلك شأن الطفل سواء

ضحية الاستبداد

للاستاذ يعقوب فام

كانت فتاة فى الخامسة عشر جالسة مع ضيوفها تتحدث اليهم وكانت أمها جالسة الى جنبها تساهم فى الحديث كما يليق بربات البيوت بازاء ضيوفهن ، ثم أسرت الأم الى الابنة بكلام قامت على أثره وعادت بدثار ثقيل تتدثر به ، فقالت الام هذا حسن وكأن الفتاة شعرت أنها مطالبة بشرح هذا الذى يدور بينهما فضحكت وقالت « ماما بتقول انى بردانة ويجب أن أتدثر برداء ثقيل »

هذه الفتاة لم تشعر بالبرد ولم يسمح لها أن تشعر به ، وإنما شعرت أمها به وكان هذا الشعور كافيا لأن تتدثر الفتاة

وكتبت دوروثى كانفيلد قصة اسمها « رب الاسرة » أحد أبطالها طفل فى الحول الرابع ودمية هى دب صغير يلعب به الطفل ، وقد لاقى الدب والطفل جميعا على يدى الام من التحكم والعنف الشىء الكثير وكان عنفها فى ظاهره رحمة وحباً وعطفا وحماية للطفل من الأمراض والآفات . وكان فى باطنه تحكما وتعسفا كاد الطفل يذهب ضحيته لولا كارثة حلت بالأسرة فابقت الوالد بالمنزل واضطرت الأم الى التوظف لكسب المعاش . وكان من شأن هذه الكارثة أن حولت المنزل الى نعيم مقيم يرتع فيه الطفل وينمو نمواً طبيعياً معقولا

اذا كان الوالدون يحسون لأولادهم ويشعرون دونهم ، ويرسمون لهم السبل التى يسيرون عليها ولا يحيدون عنها ، فماذا بقى للاطفال من فنون العيش والحياة ؟ فماذا بقى لهم بعد أن حرموا حق الاتصال المباشر بالبيئة التى يقيمون فيها ، الا يصبحون دمى تتحرك متى أريد لها أن تتحرك وتنشط متى أريد لها أن تنشط ؟ وأين إذن الدوافع التلقائية التى يتصرف بمقتضاها الحى ، والتى ينشط لانها ثارت فى نفسه ولانه يريد أن يستجيب لها ؟

هذا التصرف من الوالدين يسلب الاطفال معنى الحياة فمعناها أن الطفل يتصرف لانه قد ثارت بنفسه الداخلية عوامل تتطلب منه أن يتصرف لا لأن الغير قد أراد له هذا التصرف ، ثم بعد أن ينشط الطفل بناء على هذه الدوافع النفسية ينتظر النتائج من تصرفاته ، وانتظار النتائج هو الحياة باوفر معانيها ولقد كان أجدر بالام أن تترك ابنتها إلى أن تشعر بالبرد ، وبمعنى آخر إلى أن تنشأ فى نفسها بعض الدوافع والنوازع التى تحفزها إلى التصرف والسلوك بقصد تغيير البيئة أو تكييف نفسها

حتى تلائم البيئة المحيطة بها . أما أن تقوم الأم مقام هذه الدوافع ففيه حرمان ابنتها من حق الاتصال المباشر بينها وبين البيئة

من حق الاطفال، بمعنى آخر أن يجوزوا الاختبارات بانفسهم دون أن يجوزها عنهم البالغون . من حقهم أن يندمجوا فى البيئة وينغمسوا فى الحياة ويتصلوا بها اتصالا وثيقا ويخرجوا منها بما يختزنون فى اجهزتهم العصبية من آثار تعينهم على الاستمتاع بالاختبارات اللاحقة والانسجام مع الحياة فى مجموعها . فالحياة حياتهم وهم الذين سيعيشونها ويقضون أيامها على هذه الارض ، وهم الذين سيواجهون اختباراتها ويمارسون تصاريفها ، وهم الذين سيتحملون نتائج تصرفاتهم . فلماذا يحال بينهم وبينها ؟ ولماذا يمنعون أن يندمجوا فيها وينسجموا معها ؟

الشخصيات لاتنمو فى فراغ بحال من الاحوال ، وإنما تنمو فى محيط وتنشأ فى جو ، وما دام الاتصال وثيقا بين الجو والطفل وما دام التعامل مستمراً والتفاعل مثلا حقا فلا بد أن تتفتح هذه الشخصيات مادام الجو أمامها فسيحا رحبا ، وما دامت لاتجد مايحد من نموها أو يعطله ، ووظيفة الوالدين أن يمنعوا البيئة أن تضيق بابنائهم لا أن يضيقوا هم الآفاق ويسدوا الطرق والمنافذ

كنت أراقب أما وطفلها فى خليج ستانلى بالرمل ، وكان الطفل يبلغ العامين تقريبا وكان يدفع أمامه عربة صغيرة تستعملها أمه فى نقله من مكان إلى مكان ، أمسك الطفل بالعربة وأخذ يدفعها كما تفعل أمه ولكنه لم يكن يدرى فنون القيادة فكانت العربة تصر على أن تسير حيث لايريدها هو أن تسير فكانت تندفع منه إلي الحائط وتقف أمامها لاتتزحزح فيجاهدها الصبي ليحولها عن مكانها ويقربها من جميع جهاتها علّه يفصلها عن الحائط فكان يسقط ويقوم ثم ينفد صبره فيزمجر ويصرخ « أو يستغيث » ثم يعود إلى محاولته من جديد . كل هذا وأمه واقفة ترقبه ، كل همها أن تخلى بينه وبين الحياة ليتذوقها عن قرب ، ويتعامل معها ليخبرها بنفسه . سقط الطفل سقطة قوية وهمهم ، وكاد يبكى ويصيح وأمه تنظر إلى كل جهة إلا ناحيته، كأن ماهو فيه من شأنه الخاص لايعنيها منه شيء

والواقع أنه لو تدخلت أمه بينه وبين الاختبار لكان عملها هذا يعد تعسفاً وتعنتاً ، لايذهب ضحيته إلا هذا الطفل البرىء إذ أن من حق هذا الطفل أن يتصل بالحياة وبالبيئة اتصالا وثيقا فيخبرها بنفسه وتعركه الحياة فيناهضها هو بما فيه من قوى وما له من مواهب دون سائر الناس وليس من شأن الناس أن تتدخل فيما بينه وبين بيئته لأن التعامل بينهما الى هذا الحد تعامل فى حدود العقل والطبيعة والقوي بينهما متساوية متكافئة لايخشى معها أن تظلمه البيئه ، فما دام الحال على ماذكرنا فمن الظلم والاستبداد أن لايخلى الناس بين البيئة والطفل

هذا النوع من الاستبداد أدق وابعد أثرا فى حياة الطفل لأنه استبداد مقنع يختفى وراء عواطف سامية تستطيع أن تجد مايبررها ونلتمس لها الاعذار . الاستبداد الصريح انواضح يلمسه كل الناس وتجد منهم كثيرين يثورون ضده ويحاولون أن يقاوموه بالحديث والكتابة . أما الاستبداد المقنع الاستبداد الذى يختفى وراء العواطف النبيلة فهو أفعل فى النفوس من غيره لأن الناس لاتنتبه له ولاتحاول أن تقاومه بحال من الاحوال

والاستبداد المقنع هو هذا الذي أوردنا ذكره هو هذا الذى يكاد يحول بين الاطفال وبين الاختبار النفسى والاتصال المباشر بين الطفل والبيئة ويحول بينهما خوفا على الطفل وحبا له واشفاقا عليه . فكم من أم تمنع طفلها الانتقال من مكان إلى آخر فى القاهرة خوفا عليه من السيارات والترام فتضعف من استعداد طفلها لمواجهة هذا الخطر ، وكم من أم تخاف البرد على طفلها فتدثره وتربطه فى الملابس الكثيرة لكى لايتسرب إلى جسمه الهواء بحال من الاحوال حتى تقضى بذلك على قوة المقاومة فى جسمه وتضعف مناعته فيصبح عرضة لكل طارىء ضعيفا أمام كل نازلة . تحكم الأم تدثير ابنها لكى يصبح ممتنعا على الهواء فى نجوة من البرد فتقضى على كل نزعة فى جسمه للمقاومة أو للحركة . وأذكر أنى رأيت صبياً فى الرابعة عشرة من عمره يلبس قطعا من اللباس الواحدة منها فوق الاخرى بينما الصبي يزيد فى الوزن على صبيين من سنه

هذا الاستبداد المقنع هو الذي يحول بين الطفل وبين كل مسئولية فى الحياة تنجم عن تصرفاته وعن اتصاله بالبيئة وهذا بالذات ماذهب ضحيته الكثيرون من أطفالنا وذلك لأننا نجهل قدر الاتصال المباشر بين الطفل والحياة ونجهل أثره فى الطفل وضرورته له الى أن يصبح الطفل بعيدا كل البعد عن أن يضطلع بمواجهة الحياة باى شكل من الاشكال

كان أحد عظماء العالم مايزال طفلا - ولايذكر الكاتب مصدر هذه الرواية - عند ما اضطر أبوه لسفرة بعيدة فدعا الوالد ابنه وقال له « يابنى انى مرتحل الى جهة بعيدة وأترك أمك بعنايتك » ثم سافر الوالد وأقبل المساء وحل موعد النوم لهذا الطفل فركع بجوار سريره يصلى قبل النوم ، وكانت هذه صلاته « اللهم حافظ على والدي أينما حل وأما والدتى فسأتكفل بها أنا »

لقد كان هذا الطفل مستعداً لمواجهة الحياة وهو طفل فواجهها وهو رجل

الحق أن من أخطر أنواع الاستبداد أن يحال بين الاطفال وبين ضروب الاختبار المتباينة

التشجيع والتثبيط وأثرهما فى تربية الاطفال

للأستاذ محمد مظهر سعيد

قام أحد علماء النفس بتجربة طريفة يقيس بها أثر الشعور بالفشل وعدم التوفيق فى نفوس الاطفال وعلمهم وانتاجهم . وتتلخص فى أنه اختار عددا من صغار الاطفال بنين وبنات . ومرنهم مدة مناسبة على نظم خرز ملون فى خيط بنظام خاص . وقاس معدل انتاجهم بعدد ما يلضمونه من الخرز لضما صحيحا بناء على الطريقة المرسومة . ثم أعطى لكل منهم جائزة أو لعبة تصبح من حقه إذا عثر عليها فى الحجرة التى خبئت فيها اللعب كلها . وأخذ الاطفال يبحثون بجد واهتمام عن جوائزهم ولعبهم فى كل أرجاء الحجرة . ففاز بعضهم وفشل البعض الآخر لان الاستاذ لم يضع جوائزهم فى الحجرة عمدا . وعاد الجميع الى عملية اللضم مرة أخرى - الفائزون فرحون ممتلئون نشاطا وحماسة والفاشلون حانقون مغتاظون . ثم قاس انتاجهم للمرة الثانية . فوجد أن الفريق الثانى على الاطلاق - فريق الفاشلين - قد انحط متوسط انتاجهم عن المرة الاولى بدرجة كبيرة فضلا على ما كان يظهر عليهم من شدة القلق والاضطراب والشعور بالضيق والغيظ فى أثناء العملية وكثرة تفكيرهم فى الموضوع السابق الذى فشلوا فيه . فى حين أن معظم أفراد الفريق الاول الذين حصلوا على لعبهم وجوائزهم زاد معدل انتاجهم وظهرت على وجوههم علامات السرور والاطمئنان . ومن هذه التجربة البسيطة يتبين لنا مبلغ أثر الفوز والتشجيع فى زيادة انتاج الاطفال من جهة . والأثر السيء الشديد للفشل والتثبيط ، وما يترتب عليه من شعور بالضيق والارتباك وكثرة الخطأ وقلة الانتاج من جهة أخرى . واذا كان هذا هو الحال فى ظرف بسيط كهذا كل ما فيه لعب تعطى تشجيعا للاطفال وليست من حقهم ولا من ملكهم الاصلي ، وعملية آلية لا تحتاج الى تفكير أو تصرف كلضم الخرز ، فما بالنا بظروف التربية المعقدة التى تتكرر كل يوم حتى تشغل كل حياة الطفل وتستنفد كل نشاطه ، وتتطلب منه اهتماما وتفكيرا . وليس من شك فى أن التشجيع المفعول وفى الامور التى يكون عند الطفل استعداد طبيعى لها وفى استطاعته القيام بها له أثر كبير فى تقدمه وتعليمه . قد يحاول أن يمارس الامور الصعبة ويحاول جهده أن يتغلب عليها . ويهديك

النجاح البسيط تفاؤلا فى العمل وثقة فى النفس وهما من أهم العوامل التى تؤدى الى النجاح وتساعد على تكوين الشخصية التى نطمع فى أن تكون لاولادنا . وفى الحق أن الطفل لفى أشد الحاجة الى من يشجعه ويأخذ بيده ويرشده الى الطريق السوى فى روح مرحة وشىء كثير من الاناة وسعة الصدر ، منذ نشأته الاولى الي أن يبلغ أشده ويستطيع أن يسير بنفسه فى الحياة ويختط لنفسه طريقة فيها . وهو فى كل شىء يتعلم من حركة يقوم بها بدنه كالمشى والكلام ، أو عملية ومهارة حركية يكتسبها كالكتابة والرسم أو امر عقلى يعالجه كالتفكير فى حل المسائل أو معلومات يحصلها كالعلوم المدرسية أوعادات يتقنها يحتاج الى من يشجعه المرة بعد المرة ويغض عن هفواته ويتجاوز عن فشله فى محاولاته الاولي ثم يطريه ويثنى على مجهوده اذا فاز ونجح بعض الشىء - ولذلك كان من أهم ما نادى به جان جاك روسو الفيلسوف الثورى المعروف من منافسة الانسان لنفسه . فيحاول الطفل أن يقوم فى كل يوم بما يفوق ما قام به فى اليوم السابق أو المرة الفائتة بعض الشىء ولو بقدر ضئيل . فان تذوق طعم النجاح مرة يدعو الي طلب استمرار النجاح . والعمل البسيط الذى يقوم به الطفل بمجهود بسيط فيشجعه على الاعمال الجسام التى تتطلب منه الجهود الجبارة . يبذلها طواعية وفى لذة وشوق ما دام يشعر فى نفسه بالاطمئنان الي النتيجة . بل ان طريقة علاج الامراض التى ابتكرها الدكتور الفرنسى « كوويه » والمعروفه باسمه « كووزم » لتقوم كلها على هذا الاساس فالمريض يقول لنفسه كل يوم عدة مرات بنظام خاص « انا اليوم من جميع النواحى أشعر باني احسن حالا » أو يقول « كنت مريضا وتحسنت قليلا واليوم تحسنت أكثر وغدا سأتحسن اكثر واكثر » وقد تكون فى نظر البعض طريقة غير منتجة ، ما دام الناس قد الفوا الطب والدواء فى معالجة الامراض . ولكن مما لا شك فيه أن استهواء الانسان لذاته وتشجيعه لنفسه بنفسه لابد أن يحدث شيئا من الشعور بالارتياح والاطمئنان ، ان لم يكن سببا فى شفاء المرض كلية فعلى الاقل يصبح عاملا مهما فى تخفيف ألمه وازدياد المقاومة وهذان هما ما يتطلبه الطبيب من جانب المريض . والمدرسون يعرفون مبلغ أثر التشجيع المتواصل فى تحسين عمل التلميذ الضعيف وتقدم المتأخر اذا كان عنده استعداد للتقدم

يقابل هذا بل يقوم معه على طرفى نقيض . ان تثبيط الهمة وكثرة النقد والعقاب على الخطأ تقتل فى التلميذ دافع الاقدام وتبعث اليأس الى نفسه . وتكون فيه شخصية خاملة بائسة مضطربة وتجعله يتوقع الفشل فى كل ما يقوم به وتجعله متشائما . وهي شخصية هدامة حائرة غير منتجة

نريد أن نبعدها عن أطفالنا كل البعد اذا أردنا لهم تقدما وفلاحا فى المستقبل . بل أنها لتقتل استعداد التلميذ وان كان قويا بطبيعته . أضف الى هذا أنها قد تجعل من الطفل القوى الشخصية بطبيعته شخصا ثائرا يشعر بالاضطهاد غير المشروع ويعمد الى أخذ الثأر من أى طريق . فيخرج على نظام المدرس والمدرسة والبيت وينصرف الى نواح أخرى ليست من التربية والتعليم فى شىء ومن الاطفال من تكفى كلمة تشجيع واحدة أو نظرة عطف أو عبارة ثناء وتقدير لتنقلهم من حال الى حال ـ وخصوصا الاطفال العصبيين أو الضعاف البنية . كما أن نظرة التوبيخ أو عبارة النقد أو ضيق الصدر أو التسرع فى الحكم واظهار الاستياء من جانب المدرس تكفى لان تقفل أمامهم الطريق وتنفرهم من الدرس وعمل المدرسة . وكثيرا ما نرى أطفالا نجباء يعرفون الشىء ولا يجرأون على اظهاره لمجرد أن المدرس لسبب ما أو ظرف خاص ثبط هممهم وفت في عضدهم وصور لهم الفشل مجسما والنجاح مستحيلا . ومن الغريب أن الاباء المصريين مغرمون الى حد كبير بتشجيع أبنائهم الى حد كبير أمام الغير من أقارب وزوار فيطلبون منهم أن يغنوا أناشيد المدرسة ويسمعون المحفوظات ويباهون بدرجاتهم الشهرية وشهاداتهم المدرسية ويظهرون محاسن ابنائهم ونقط القوة أمام الغير

فاذا ما انفض المجلس وانتهت الزيارة وعادت الامور الى نظامها الطبيعي اظهر الآباء تململا وتبرما من اسئلة اطفالهم وتململوا من مساعدتهم فى أعمالهم وارشادهم الى الصواب . وغالوا فى تعذيرهم وتوبيخهم وربما عاقبوهم على اقل هفوة يرتكبونها . وأقل ما يقوله الوالد الغاضب المحنق لولده انه لايصلح لشىء، وأنه بليد وغبى وأنه ليس مثل أبيه وأنه لايرجى منه فائدة . وغيره من العبارات التى تكون كالماء البارد يصب على حرارة التحمس فتقتل النشاط وتفت فى العضد

واذا كان من الطبيعى أن يحسن الاطفال أشياء ويخطئوا فى أشياء أخرى، وان الاصلاح لا يأتى دفعة واحدة مهما كان الامر شديدا والعقاب قاسيا، وأن التعلم عملية تدرج ونمو وارتقاء ـ فيها فترات تقدم سريع وفترات خمول وركود، فمن الطبيعى أيضا أن نحسن استخدام الظروف وننتفع بقوة اثر الاستعداد فى نفوس صغار الاطفال على الخصوص، فنشجعهم على اجتياز العقبات اذا صادفتهم وكان فى مقدورهم التغلب عليها، ونثنى على أعمالهم بالقدر اللازم الذي لا يدفعهم الي الغرور والاستهتار بالامور الهامة، ونعطيهم أحيانا من الجوائز والثواب المادى والادبى مايحفزهم

على الاستمرار فى بذل الجهود واضطراد التقدم والفلاح - والانجليز يقولون بحق « لا شيء ينجح أو يضطرد كالنجاح » كما انه كما يقول عامة المصريين « تقاوى التوم توم »

لهذا كله تنادى التربية الحديثة قبل كل شيء بأن يكون التعليم انفراديا حتى يستطيع كل متعلم أن يسير بسرعته الطبيعية ويقوم بما تمكنه قواه واستعداداته من القيام به بصرف النظر عن الآخرين . لان الاطفال يختلفون فى ذكائهم ومداراتهم واستعداداتهم وفى وجداناتهم وامزجتهم وكل منهم يحتاج الي نوع خاص من المعاملة يتناسب ووجدانه ومزاجه . فاذا راعينا هذا وأحسنا تشجيع كل طفل بالقدر الذى يناسبه وتجنبنا جهد الطاقة العنت فى عزائمهم وتثبيط هممهم . أدينا رسالة التعليم على وجهها الصحيح وأصلحنا امزجة أطفالنا وكونا فيهم شخصيات مرحة متفائلة تبسم فى وجه الصعاب وتتحمل المشاق فى صبر ورضى . واذا كنا ونحن كبار تكفينا عبارة التشجيع من الرؤساء وقليل من التقدير لانتاجنا للمضى فى سبيلنا غير آبهين بما يعترضنا فى حين أن النقد اللاذع وتثبيط الهمة يقتل فينا روح الهمة والعمل ويورثنا مقتا لرؤسائنا وينفرنا من عملنا فنصبح متبرمين بالدنيا ومن فيها ، فما أشد حاجة هؤلاء الاطفال الصغار الى التشجيع والاخذ بالحسنى

وغاية ما اقوله للآباء والمربين والمدرسين أن التشجيع المعقول يذلل الصعاب ويزيد الانتاج . كما ظهر أن التثبيط يميت النفس ويقتل الهمة . فاتقوا الله فى اولادكم فلذات اكبادكم

ضحية الاضطراب العائلى

للدكتور بنيامين بهمان

كما أن للبدن امراضا كذلك للنفس علل ولا تقل أهمية الواحدة عن الاخرى فسلامة صحة النفس تحقق للانسان غايته التى ينشدها من الحياة وهى « السعادة والمقدرة » ـ ولا أقصد بالمقدرة هنا الكفاءة على العمل والنجاح فيه ولكن مقدرة الشخص على مجابهة مشاكله الشخصية مهما كان نوعها وحلها حلا مرضيا وهذا غير متوافر للسواد الاعظم من الناس

واهتمام الناس ـ خصوصا فى بلادنا ـ ما زال الى هذا اليوم منصرفا الى العناية بالصحة الجسمية دون الصحة العقلية فنرى التقدم عظيما فى تعدد وسائل تشخيص أمراض الجسم ومعالجتها وطرق الوقاية منها ومحاربة جراثيمها وتطهير الاماكن الموبوءة بها أما العناية بالصحة العقلية فتكاد تكون معدومة لشدة جهل الناس بقيمتها

ولعلل النفس مظاهر عديدة منها ما نلاحظه فى نقص أخلاق الفرد والتى بسببها تتكون أمراض الهيئة الاجتماعية ومنها ما تسبب له آلاما شخصية شديدة فى أعماق نفسه وتكدر صفو عيشته وتجعله عيالا على المجتمع مفسدة له ـ وهذه العلل عديدة متنوعة معروفة للجميع منها ضعف الارادة والافتقار للشجاعة الادبية وعدم الشعور بالمسئولية أو الهرب منها وما يتخلف عنها كالجبن والكذب والتملق وعدم الصراحة والغش والنفاق وعدم التسامح والانانية وحب الانتقام والظلم . وجميع هذه الصفات الخلقية الذميمة سببها أمراض فى النفس تصيبها عادة فى الطفولة وجراثيمها تنمو وتعيش فى جو الحياة المنزلية الموبوءة وأكثر هذه المنازل وباء هى التى يعوزها الاستقرار العالمى وضرر هذه المنازل على الأنفس يعادل ضرر المستنقعات الموبوءة على صحة الجسم . ومن الضروري ايجاد وسائل فعالة لتطهيرها كما فعلنا فى الأخيرة

والوسائل التى نتبعها لعلاج هذه الامراض هى . إنماء ذكاء الفرد بتثقيفه وتعليمه ـ ونقد ما به من الخلق المعيب ولومه عليه . وهذه الوسائل دون غيرها ليست كافية ، ولا يتعذر على القارىء ملاحظة ذلك اذا هو فحص عن نفسيته مليا وتأمل فى تصرفاته اليومية وأخلاقه بصراحة وبدون تحيز ورأى كيف أنه مراراً يندفع الى عمل ما يجلب له الذم والنقد ويفشل عن أداء ما يرغب فيه ويريد فيمالق الرئيس ويجازيه رغم مخالفته له الرأى ويتعجرف على المرؤس ويظلمه بدون مبرر ويكذب

لسبب ولغير سبب ويساق الى تأدية واجبه . ويحتد لأتفه الاسباب ويميل الي الانتقام وهو يتصرف هكذا مع جيد معرفته ان هذا العمل وضيع لا يرضاه لنفسه فاذن لا المعرفة ولا الرغبة يعوزانه حتى ذكاءه الذى يعول عليه لا يجد منه بازاء هذه الحالة فائدة عملية ولكنه يستعمله عادة للبحث عن مبررات لفشله المعيب

فالطريقة الفعالة إذاً لعلاج هذه الأمراض علاجا ناجعا هى خلاف ما نتصور وإنما لها علاجات أخرى ليس شرحها من اختصاص موضوعى هذا الذى أبحث فيه طرق الوقاية منها تطهير الجو الموبوء الذي فيه تنشأ وتنمو وتتثبت فى أعماق النفس : جو الحياة العائلية وعلى الأخص الحياة الحياة المضطربة الغير المستقرة

ولأطفالنا علينا واجب مقدس وهو أن نقيهم ما نشكو وتتألم منه ولكن جهل الوالدين كثيرا ما يحدو بهم الى الاساءة الى أطفالهم عن غير قصد

الطفل حاد الملاحظة شديد التأثر بالبيئة التى تحيط به . يحس بضعفه وعجزه ولكنه يجتهد ليخلص نفسه من هذا الشعور محتاجا فى ذلك الى ما يشعره بالطمأنينة ضد الخطر فى جميع محاولاته وهو يتخذ لنفسه بين الكبار مثلا أعلى يقتاد به ويقلده فيختار والديه كمثله الاعلى فيراقب حركاتهما وتصرفاتهما باهتمام مقلداً إياهما ما أمكن . والواقع أن جزءا كبيراً من تشابهات الطفل لوالديه ومما ننسبه الى الوراثة هو اكتسابى نشأ فيه من تقليده إياهم فى طفوليته فشابههما فى كبره . فاذا كان الوالدان فى تصرفاتهما حول الطفل ومعه مثلا عاليـاً حقاً واتبعا معه طريقة حازمة عادلة معقولة لا تناقض فيها نشأ عالى النفس صحيح العقل سعيداً خالياً من العلل الخلقية ، والامراض النفسية وهذه حالة لا يمكن توافرها فى جو عائلى مضطرب وحياة زوجية خالية من الاستقرار كالتى تؤثر فى الطفل حتى قبل ولادته أحيانا

الزوجة فى حالة الحمل تكون احوج الى عطف زوجها أكثر منها فى أى، وقت آخر فاذا اعوزها ذلك تراها تتألم نفسيا من قسوة زوجها واهماله اياها ومما يخامرها من شكوك فى سلوكه فتقضى مدة حملها فى نكد وكدر وبحالة نفسية مرتبكة . وفى اعتقادى أن لهذا أثراً فى خلق الطفل لما يتسرب الى نفسيته من نفسية امه ابان حملها فيولد الطفل وعنده استعدادات لبعض العلل النفسية والنقائص الخلقية

غير أن الطفل فى حداثته تكون نفسيته مرنة قابلة للاصلاح اذا ما نما فى جو عائلى سليم صحيح . أما إذا كان الامر خلاف ذلك نما ضعيف الخلق عليل النفس

واما الزوجان اللذان يعوزهما الحب والثقة المتبادلة فلا يمكنهما اتباع خطة منظمة عادلة غير

متناقضة فى تربية طفلهما فنري الام عادة تكثر من العطف والحنان والاب من الشدة والقسوة فيحظر أحدهما ما يبيحه الآخر وقد يستعملانه سلاحا لمحاربة أحدهما الاخر وبينما نجد الواحد منهما يحرم على الطفل أمرا مرة يبيحه له مرة أخرى بغير سبب معقول . وهذا مما يربك عقل الطفل إذ لايعرف بالضبط ما يجب عليه عمله وكثيراً مايتوقف ذلك على مزاج والديه المتقلب . حالةهذا شأنها تبث فى نفس الطفل صفة التردد وعدم الثبات والافتقار لشدة العزيمة

سلطة الوالدين على الطفل التى قوامها احترامه لهما وعطفهما عليه ضرورية لتربيته وقيادته وهى بطبيعة الحال مفقودة للوالدين المتنازعين . وهما فى نزاعهما ومحاربتهما بعضهما البعض يستعملان طرقا دنيئة وضيعة كالغش والنفاق والكذب ولا يخفيان هذه الوسائل عنه بل كثيراً ما تجدهما يشركانه معهما فى ذلك فيغريه أحدهما للدفاع عنه ضد الآخر بذات الوسائل . فينشأ معتاداً استعمالها كطريقة للدفاع فى الحياة مثلما فعل والده فيغش ويكذب وينافق بحكم العادة وفى كبره يجد من حكم هذه العوائد المتأصلة فيه قوة حائلة أو قيودا مانعة اياه عن مجابهة مشاكله بالصراحة والشجاعة كما يريد

والطفل الذي يري أن والديه عديما العطف بعضهما على بعض وقليلا الثقة كل منهما فى الاخر وهما أحب الناس وأقربهم اليه يصعب عليه أن ينشأ حسن الظن بالناس ميالا الى خدمتهم أو التعاون معهم والثقة بهم بل يكون اميل الى الانانية والانتقام وقلة التسامح وكثرة التشكك فى الغير — والام التى فى كثير من هذه الاحوال تكون مغلوبة على امرها تركز عطفها وحنانها على الطفل مستعيضة به عما تفقده من حب زوجها فتبث فيه روح الضعف وعدم الجرأة ثم التمسك بالعواطف الكاذبة

رأينا الآن أن أخلاق الطفل يضحى بها فى الحياة العائلية المضطربة والتى نعرف مدى تأثيرها فى الاجتماع والان نرى ما ينجم عن ذلك للفرد نفسه

قلت فى صدر مقالى ان السعادة هى غاية ما ينشده الانسان فى حياته والسعادة لاتتحقق له إلا إذا كان له السلام فى داخل نفسه . ولكن الانسان الذي تري فيه الخلق السيء لذنب لم يقترفه وتأصل فيه فى طفولته فيجبره على اتيانه مراراً رغم كراهته له لا يمكن أن يكون سعيداً نظراً للنزاع المستديم فى داخل نفسه بين معرفته بالخلق الحسن ورغبته فى العمل به وبين القوة المانعة لذلك او الدافعة لعمل الضد . فيتألم من ذلك آلاما نفسية عميقة أشد كثيراً من الآلام الجسمية . ولو جردنا الناس من مظهرهم الخارجى لرأينا أن كثيرين منهم ممن نحسدهم على مالهم ونجاحهم ومرحهم الظاهري بعيدين عن السعادة الحقيقية لنفس السبب

فهل يقدر الوالدون مقدار ما يجلبونه على أطفالهم بتهاونهم فى حياتهم الزوجية وهل يدركون أن الاخلاق والسعادة — أثمن شيئين فى الحياة — هما ضحية عدم استقرار الحياة العائلية

ضحية التثبيط

للسيدة زاهية متولى

للخمس السنين الاولى من حياة الطفل أهمية عظمى فى تكوينه لشدة حساسيته وسرعة تأثره فالملاحظات التى يبديها الوالد اليه أمام الطفل لها اثر فعال فى تكوين سلوكه وكثيرا ماتنتج هذه الملاحظات أضراراً بليغة فالطفل الذى ينشأ فى أسرة جميع أفرادها يعتقدون أنه غبي لايمكنه أن يقوم باي عمل من الاعمال فهو لايقدم على عمل شىء إلا ويسمع من عبارات التثبيط مايرده عن غايته فتقول له أمه « لاتقدر » ويقول له أخوه الاكبر « ألم أقل لك انك عبيط لايمكنك عمل شىء ؟ » وهكذا تبدأ الفكرة من الكبار وتنتشر فى بنية الطفل عوامل التثبيط تؤثر فى غدواته وروحاته فينشأ وليس له فى بنيته مايشجعه على التقدم لأي عمل . بل كل شىء يحيط به يعمل على تثبيط همته فى جميع خطواته فلا يلبث أن يشعر بالخطر الذى يهدده فى سيطرته على ألعابه ومعاملاته ويرى أنهم يرمون إلى منعه من حقوقه بهذا التثبيط فيتمرد على بيئته ويصبح سلوكه دفاعياً ويعتقد أن الجميع يعملون ضده يتوقع ان الخطر من كل جانب أت - إذ لم يأت فينفجر فى الجميع انتقاما لنفسه ويتوجه بجميع أفكاره إلى طريق التخريب والاتلاف والمشاكسة ويصبح ذا روح عدائية لمن حوله ويعدم الثقة بنفسه

وتنشأ فى بيئة الطفل ظروف عديدة تدفع الطفل إلى الغيرة فمقارنة أعماله بآخر إذا كان هذا أخاه أو صديقه أو جاره فيضيق الوالدان على الطفل الخناق فى جميع أعماله فيسمع جملا مختلفة معروفة بين الجميع فيقول الوالد لطفله « أنظر إلى محمد هو أشطر منك » أو « ألاترى أخاك يفعل كيت وكيت ؟ » أو « انى لا أحبك لأنك لاتعمل مثل احمد » أو غير ذلك من الاقوال المتداولة فى المنازل المصرية فمقارنة الطفل باخيه على النحو الذى ذكرناه يثبط عزيمته وتدفع فى نفسه روح اليأس والغيرة من غريمه الذى بوجوده يشعر فقد عطف أمه وحنانها وكثيراً ما يشتط الطفل الغيور فى غيرته لدرجة تفقده توازنه الخلقى فيصبح فى حالة عصبية كبيرة عن سواه ولايعمل لمساعدة من فى المنزل ويظن أن الجميع ضده فيشعر بالوحدة وتمتلىء نفسه بالحقد والبغض . وعلى الام أن تراعى هذه الاعتبارات فلا تمدح أعمال طفل دون آخر ولا تجعل ميزان عطفها يميل ناحية أحد الطفلين ولا تكثر من لومه على أخطائه أمام أحد . فكل ذلك يجعل الطفل يشعر بعدم محبة من حوله له وعدم اكتراثهم به

ويجعله يعتقد أن أمه قد قصرت فى حقه من جهة العناية به فتثور ثائرته ويحاول جلب انتباه الناس اليه بشتى الطرق فيعمد إلى العصيان وأعمال التخريب والايذاء وما شاكلها

وكثيراً مانسمع الاطفال يتفوهون بالفاظ فيها الخوف وعدم الثقة بالنفس فاذا طلبت منهم عمل شيء كان الجواب « لا أقدر » وإذا سألت السبب قالوا « ان ماما أو بابا قال لا يمكننى » فبذلك ينشأ الطفل ضعيفا فى ادارته متردداً فى أموره خائفا من مصير أفعاله ليس عنده الاقدام والجرأة على الاعمال فى مستقبله فالأم العاقلة يجب أن تعطى طفلها الفرصة الكافية كى يقدم على مختلف الاعمال بجرأة وشجاعة وأن تشجعه على اعادة الكرة لو خاب عمله فى المرة الاولى ولا تجعل لليأس سبيلا الى قلبه ولو فى أتفه الأمور وبذلك نجعل من الطفل معلما لنفسه بنفسه

ويجب على الأم ألا تثقل كاهل طفلها بالالعاب التى فوق طاقته والأحسن أن تنتقل به تدريجيا من الالعاب السهلة إلى الصعبة فالأصعب بعد أن تكون أعطت عضلاته الفرصة الكافية لتقوى بالتمرين المستمر . ويجب أن يمتد تمرين الطفل أيضا إلى الاعمال الاخري كالباس نفسه وإطعامها خطوة خطوة حتى يتم له اتقان ذلك . وإنا نجد كثيرات من الامهات لايدركن كل هذا فيساعدن أطفالهن حتى بعد أن يكبروا فى قضاء جميع حاجياتهم مما يساعد الطفل على الكسل وتعود الاتكال على الام والخادمة فى خلع ولبس ملابسه بل فى وضعها فى مكانها اللازم فيشب على هذه العادة الى أن يصير رجلا وإذ ذاك يرى نفسه عاجزاً عن تنظيم نفسه واذا قدر له أن يكون بعيداً عن أهله فانه يجد صعوبات عظمى فى تعويد نفسه النظام من جديد ويمتد هذا الاهمال من ملبسه ومسكنه الى عمله ويفقد كثيرا من احترام الناس له وإذ ذاك يندم على ما كان فى تربيته الاولى من نقص ويلوم أمه على عدم تعويده من الصغر عادة الترتيب والاعتماد

فالطفل بطبيعته يحب الحركة ويدفعه حب الاستطلاع الى اختبار مايحيط بيئته من أثاث وأدوات وكل مايقع عليه نظره فهو يحب أن يجرب كل شيء بنفسه ويميل الى اظهار شخصيته وغالبا تكون رغبات الام بعكس مايرغب فيه الطفل فتعنفه من محاولة الاستطلاع إما خوفا عليه أو خوفا على الاثاث من التلف وفى كلتا الحالتين يتساوى الضرر على الطفل . وربما نتج عن هذا المنع صراخ الطفل وعويله بدرجة تزعج الام فتذعن لمطلوبه أو تنزل عليه العقاب وكان الاجدر بها أن تتركه يشبع غريزة حب استطلاعه بمراقبتها وارشادها ولا تثبط عزيمته بهذه الطريقة أو غيرها

والطفل الذي يرى أمه تنظف بعض آنيته فيريد مساعدتها حباً منه فى إظهار نفسه فيرفع الآنية فتسقط من يده فيكسرها فتغضب أمه وتشتمه وتضربه حانقة عليه لانه كسر الكوب وتحرص بعد ذلك على أن تمنعه من لمس أي شيء من الآنية أو التدخل فى أى شيء بمساعدة أحد فيكون ذلك نذيرا للطفل بان عدم الاقدام على المساعدة هو الطريقة التى بها يسلم من العقاب فينشأ الطفل ولارغبة تدفعه الى مساعدة عشيرته وقومه ويكون خاملا عديم الفائدة للمجتمع وسرعان ماتشعر الام بخطئها عند ماتطلب منه المساعدة فى المستقبل فتكون النتيجة الامتناع عن تلبية هدا النداء ولاتشعر الام حينذاك أنها هى السبب فى احجام الطفل عن مساعدتها بل ترميه بالكسل والخمول وتعاقبه على عدم اطاعة أوامرها

فعلى الام العاقلة التى تريد تربية طفلها تربية صحيحة أن تنظر الى عواقب هذه الامور نظرة بعيدة فتعلم الطفل تعليما ايجابيا بدلا من تعليمه تعليماسلبيا فاذا كانت مشغولة فى ترتيب أوانيها فعليها أن تجد لطفلها شيئا يعمله كى ينشغل عنها . أما اذا كانت تريد تعليمه مساعدتها وتشجيعه على مساعدة غيره فعليها أن ترشده الى خير طريقة يضمن بها نجاح مهمته الصغيرة ولاتثبط عزيمته فى أى عمل من الاعمال ولو كان بسيطا ويجب أن تتحمل هى بعض الضرر فى سبيل تدريبه وتشجيعه على الاقدام على مختلف الاعمال فبذلك ينشأ الطفل كما نحب أن نراه

ضحية التدليل

للاستاذ احمد زكى محمد

من المشاهد المعروف ان الطفل الصغير يختلف سلوكه باختلاف الاشخاص الذين يحتكون به فهو يفزع ويتهيج بين ذراعى شخص عصبى المزاج . بينما يهدأ بمجرد ان ينتقل الى يدي شخص ذى تجربة وثقة بنفسه

وليس هذا مقصورا على صغار الاطفال بل هو حقيقه ملموسة فى كبارهم . فاذا فهمنا الطريقة الملائمة للتعامل مع الاطفال زالت العقبات لذا كان لزاما أن نطلب المعرفة التى تنير السبيل أمامنا فقد تضيع جهودنا سدى لاننا لم نتفهم طبيعة الصعوبة التى نحن بصددها . فاحيانا نبالغ فى مساعدتنا للطفل حين تكون رغبته أن يستند الى نفسه . وتارة نكثر من نقده وتقريعه وقت أن يكون أجدي أن نتركه وشأنه . وآونة نستسلم اليه فى ضعف بينما يكون الحزم واجبا ـ وبمثل هذه المواقف نخلق الصعوبات للمستقبل

وغالبا ما يظن أن سعادة الطفل تتوقف نسبيا على مقدار الحرية الممنوحة له فى أن يفعل ما يشاء فى حين يظن أن النظام ووسائل التربية فى المنزل تحد من هذه الحرية ولذلك تقلل من سعادة الطفل ـ ولكن ليس هناك ما يحملنا على الاعتقاد بهذا الرأى سوى اعتقاد آخر باننا قد أسأنا فهم طبيعة الطفل لان طاعة الطفل لقانون عادل منظم تكسبه الحرية بمعناها الصحيح ولانه بتشجيع ميوله السامية وباضعاف الدنىء منها نجلب له السعادة الحقيقية ونبرر خضوع الطفل لمثل ذلك القانون بانه يساعده علي ترويض طبائعه كما نزيد فى كفاءته الخلقية فى أدوار نموه وتدرجه نحو استكمال رجولته فضلا عن أنه يضمن كمال حياته ومتاعه فى أثناء طفولته

ولو أخذ الآباء والامهات والمربون بهذا الرأى الاخير من الجمع بين حبهم الطفل ورغبتهم فى تشكيله على أحسن ما يستطاع لاهتدوا الى القانون الذى يوصلهم الى غرضهم وهو قانون يمليه مجرد تحكيم العقل السليم ويختلف فى وقائعه ـ لا فى جوهره ـ باختلاف الاطفال وطبائعهم الجسمية أو العقلية . واذ ذاك يكفون أنفسهم شر ما يصيب الطفل من جراء تدليله

أنظر الى الام الحنون يبكى طفلها فى مهده بالليل . فتأخذها الشفقة عليه من كل قلبها فتحمله بين يديها وتقدم له ثديها فى وقت لايحتاج فيه للرضاعة فيغلبه النعاس وينام تحت تأثير هذا العلاج الوقتى . وتتكرر هذه العملية ليلة بعد أخرى ويتكرر العلاج تبعا لها فلا يلبث أن يصير عادة تحرم الام راحتها فى أثناء الليل وتفسد على الطفل ساعات نومه التى يجب أن يستمتع بها حتى ينمو ويصح بدنه وتلك اولي أخطار التدليل . والطفل الذى ينشأ على هذا النحو ينشأ غالبا عليل الجسم فيزيد حرص أمه عليه والمبالغة فى وقايته من الحر والبرد فتقل مناعته وتضعف مقاومته ويصير عرضة للامراض

واذ ذاك تزيد الشفقه عليه . ويحرص الوالدان على عدم اغضابه مراعاة لصحته ولا يألوان جهدا فى تحقيق رغباته فتراه يريد أن يستأثر بكل مايقع عليه نظره ويبكى ويصرخ اذا حيل بينه وبين مايريد حتى يجاب الى طلبه . فتتربي فيه الانانية الممقوتة اذ يقاتل أخوته ويشاحنهم ليفوز بما لديهم وعندئذ تزول الالفة بينهم وبينه ويفقد روح التعاون التى يبنى عليها أساس الحياة الاجتماعية

ومتى بدأ حياته المدرسية فانها تكون غريبة مكروهة منه لانه لايجد فيها من التدليل ماتعوده فى البيت ولا يستطيع أن ينال كل ما تمتد اليه يده ولا يقدر ان يتحكم فى زملائه تحكمه فى أخوته أو الملتصقين به فى منزله فيقضى نهاره فى المدرسة على مضض حتى اذا ماعاد الى البيت رجع الى سيرته الاولى محاولا التخفيف عن نفسه فتجده يرمي بملابسه فى أى مكان من المنزل وتأبي الام عن سلامة نية وشفقة فتجمع ما تناثر من تلك الملابس وترتبها فى المكان المخصص لها واذ ذاك يعلم الطفل أنه غير مسئول ولا محاسب عن عمله وانه ليس من واجبه أن يقوم بتنظيم حاجياته . ونلاقي مثل هذه الصعوبة معه اذا ماحاولنا حمله على تنظيف نفسه قبل هجوعه . وحسما للنزاع ترى الام أن تنتظر عليه حتى ينام فتقوم بذلك العمل . ولا حاجة بنا الى ذكر اهماله فى واجباته المدرسيه فانه يعتبرها قيودا تمنعه من حريته فلا يؤديها الا تحت الرهبة والخوف من عقاب المدرسة ولكنه فى الواقع كارها لها كل الكره

يسير هذا الطفل فى حياته المدرسية شاعرا بان حريته مقيدة ويكون من أجل ذلك دائما فى مؤخرة اخوانه ولن ينتظر منه نبوغ فى دراسته أو اشتراك فى نواحى النشاط المدرسى . فيظل حياته نكرة مهملة يتلمس النجاح فان أصاب شيئا منه كان ذلك بشق الانفس

وليت الضرر يقف عند حد الطفولة وأيام الدراسة وزمن الشباب ولكن هذه الآثار تتضاعف اذا ما خرج الى الحياة العملية . مثل هذا الرجل يعتقد أن العالم جميعه لايقدره وأنه نابغة مهضوم الحق وأن مواهبه فوق مستوى معاصريه فهم لذلك لايفهمونه . واذا عوقب من أجل ذنب ارتكبه صاح بان الناس يقفون ضده وأن المجموع الانسانى ظالم له

وما ذلك كله الا من أثر التدليل الذى أناله فى صغره ما يشتهى من تافه الاشياء وعوده أن يجد دائما من يخدمه ويقضى حاجاته مهما كانت مطالبه . هذه العادة تأصلت فى قرارة نفسه وتركزت فى المركز اللاشعورى من عقله وأثرت في أعماله ونظرته الى الحياة باكملها فافسدت عليه معيشته

ولا ننسى أن نشير الى أن البنت يصيبها من أثر التدليل ما يصيب الولد فهي تمر بما يشابه أدواره فى زمن طفولتها وشبابها فاذا مابدأت حياتها الزوجية لاتستطيع أن تقدر أن للزوج عليها حقوقا وواجبات وان استلفت نظرها الى ذلك لم تقو طبيعتها المدللة على القيام باعباء مهمتها الجديدة . وأن انجبت أولادا فهى اسوأ من يتولى تربيتهم ومحاولتها مقضى عليها بالفشل فى ذلك

وقد عرف أساطين التربية امثال روسو خطر التدليل وان كان كلامهم عنه قد جاء عن وحى اكثر منه عن علم فقد عرفوا انه لابد للطفل من تعديل غرائزه وكبح جماح بعض ميوله فنادوا بان يترك الطفل للطبيعه توليه عقابها بقدر عمله ـ فالطفل الذى يلعب بالنار يجب ـ فى رأيهم أن يترك لتلسعه فيعلمه الالم الا يلمسها مرة اخرى ـ والطفل الذى يقسو على الحيوانات يترك لها تؤذيه دفاعا عن نفسها . وبالجملة نادي روسو بان يكون الجزاء طبيعيا واعتقد ان هذا خير وسيلة تهذب الطفل وتحد من نزعاته . ولا ريب ان فى هذه الوسيلة من المبالغة والمخاطرة مافيها وانه خير وابقى أن يسترشد الطفل بتجاربنا ويميز بين الغث والسمين تحت رعايتنا

واحب ان يعلم القارىء اننى اذ أندد بالتدليل واثره السىء فى حياة الطفل . اندد بالقسوة على اطفالنا والتشديد عليهم والتضييق من حرياتهم

فاذا عدنا الى طفلنا الاول الذى يبكي ليلا في مهده ولم نعمد الى ارضاعه كلما بكى باعتبار انه اقرب الوسائل الى سكونه عن البكاء ، بل حاولنا الاستفسار عن داعي قلقه وبكائه كأن يكون غير مرتاح فى فراشه لسبب ما ثم ازلنا تلك العلة . وامتنعنا عن ارضاعه ليلا « الا فى الضرورة

القصوى » فانا نتجنب العادة التى تبدأ فساده صحيا وخلقيا كما قدمنا

ومتى بدأ طفلنا هذا بصحة طيبة كان من السهل تنظيم أوقاته وتوجيه نزعاته نحو المثل العليا بطريق لعبه مع والديه أو أخوته أو اقرانه . وهنا تبدأ الحرية فى خير قانون عادل سنته المحبة المصحوبة بالحكمة . فيتعود مشاركة اخوته فى العابه وهو فى سرور وانشراح ويحسن ان يجتهد المشرفون عليه فى أن يجىء هذا الخلق طبيعيا بدون ضغط او ارهاب وأن يفهم الطفل عمليا أن الشىء الطبيعى الوحيد هو هذه المشاركة

وفى محاولة تكوين كل العادات الصالحة يجب الا يتم ذلك بالتنديد بالعادات الاخري غير المرغوب فيها فان ذلك ايحاء للطفل بان هناك وجها آخر للتخلق بغير المطلوب منه فتنزع طبيعته الى مخالفة الرأى نحو الغاية المرجوة حبا فى استطلاع النتيجة وهذا ما نريد تلافيه . فيجب اذن ان يكون ايحاؤنا ايجابيا أى أن نتجنب النواهي والا يكون ذلك بالقول وانما بالمرانة والعمل فالطفل لايستفيد من المحاضرة والنصح بل من الممارسة العملية . وعلى الوالدين أن يكونا قدوة صالحة فى ذلك

فاذا ما بدأ هذا الطفل حياته المدرسية وهو علي جانب من تلك العادات الصالحة كانت عدته فى التعامل مع اخوانه وراح يتعاون معهم وسرعان ما يتخذ اصدقاء من مشاكلته ويحسن فى هينيه حياة المدرسة اذ يراها حياة عائلية تماثل حياة البيت ولكنها على مقياس أكبر

واذا اخطأ مثل هذا الطفل بان عاد مثلا من المدرسة فرمى بملابسه فى غير المكان المخصص لها فينبغى الا نصيح فى وجهه ونشهر بخطئه ولكن فى الوقت نفسه ينبغى الا تحاول الام جمع ملابسه وترتيبها له بل تناديه وتذكره بان يضع ملابسه أو كتبه أو ما أهمل فى عمله على وجه العموم فى الموضع المعد له . فى ذلك أشعار له بالواجب الذى عليه . ومن الممكن أن ينتقل هذا الشعور الى الواجبات المدرسية اذا لم ترهقه كل الارهاق وتحرمه جل اوقات لعبه وهذا ما يجدر بالمدرسة أن تتلافاه

مثل هذا الطفل يشعر بانه مطلق الحرية فى حدود خاصة لايرى فيها مغالاة ولا اجحافا وبذلك يشعر بالسعادة تلازمه طوال حياته المدرسية وتكسبه النجاح المستمر الى أن يدخل الحياة العملية بنفس مطمئنة وصدر رحب يكفل له مواجهتها والتغلب على ما فيها من صعوبات بجنان ثابت وقلب لايتطرق اليه اليأس

علاقة الطفل بأفراد أسرته

للأستاذ رياض محمد عسكر

يظن الكثيرون من الآباء والامهات وغيرهم ممن يعهد اليهم تربية الاطفال أن مهمتهم سهلة لاتحتاج الى درس أو امعان نظر طويل ، وأنهم لو استطاعوا منعهم بطريقة ما من الضوضاء والمشاغبة واجبارهم على الطاعة والهدوء يكونون قد وصلوا الى غاية المنى والغرض الاسمى فى تربية الاطفال غير أننا نختلف فى الرأى معهم ، ونرى أن اتباع هذه السياسة مع الاطفال غير مجد فضلا عن أنه قد يضر بهم ، لان الكثيرين من هؤلاء ينظرون الى المسألة من جهة واحدة الا وهى غير وجهة نظر الطفل . فالطفل الذى يصرخ يعتبرونه شقيا خبيثا لانه يزعجهم ، والطفل الذى يرفض طعامه عنيد متعب لانه لايطيع ، والطفل الذى يضرب أخته الصغيرة شرير لانه يحدث لهم مشكلة. ولكن إذا نظرنا الى تلك المسائل من وجهة نظر الطفل نجد أنه اذا صرخ فلا بد انه متألم من شىء ينبغى ازالته ولا يستطيع اقناع من حوله بالحجة والبرهان كما يفعل الكبار فالصراخ وسيلة الاقناع الوحيدة لديه . واذا رفض طعامه فلا بد أن يكرهه لعدم توافر الشهية لديه بسبب مرض أو امساك أو لأنه شبعان أو لانه أخذ كفايته من هذا الصنف ويرغب فى صنف آخر . وإذا ضرب أخته الصغيرة فذلك قد يكون دفاعا عن النفس أو عن لعبته التى اختطفتها أو لانها أثارت فى نفسه الغيرة بحلولها محلا ممتازا من قلب أمه أو اخواته . لا نريد أن نقول ان الطفل على حق فى كل ما يعمل ونقرر انه كثيرا ما يخطىء ، ولكن أنى له معرفة الحق من الباطل والصواب من الخطأ وهو لا يزال صغيرا لم يحط علما بقوانين المجتمع ؟ ان الكلمات « حق » و « صواب » و « باطل » و « خطأ » صحيح مصطلحات وضعها الانسان لتنظيم معاملات الافراد بعضهم مع بعض فواجب على الآباء والامهات والمربين قبل أن يصموا الطفل بأنه شرير أو خبيث أو قليل الادب أن يعطوه الفرصة فى الوقت الكافى ليتعلم الادب والطاعة ودماثة الخلق لان هذه أنواع من السلوك يكتسب الفرد معظمها بالخبرة والمرانة ، كذلك يجب أن نحاول تفهم حاجاته ورغباته لانه لايستطيع أن يعبر عن نفسه تعبيرا وافيا مثلنا معاشر الكبار

وان علاقة الطفل مع أمه وأبيه واخوته ومربيه قد درسها دراسة مستفيضة علماء النفس والتربيه وأثبتوا أن اخطاء أفراد العائلة فى معاملة الطفل وهو صغير له نتائج وخيمة فى حياته وهو كبير اذ ينشئه هذا معتل الصحة والنفس فينتابه أولا « شذوذ » فى أخلاقه ثم تتغير نظرته للمجتمع فتصبح نظرة معتلة غريبة ، وقد ينبذه المجتمع أو يهزأ به لشذوذه فيوجد ذلك فى نفسه روح التحدى ويصبح مجرما متحمسا فى اجرامه حتى اذا ما اشتد به الخطب انتابه الجنون . هذه درجات منها الخفيف الذى لايلاحظ وهو الاكثر انتشارا إذ قلما يوجد انسان من غير شذوذ طفيف فالانسان الذى بلغ حد الكمال من حيث العقل والنفس قلما يوجد كمثل الانسان البالغ حد الكمال من حيث الصحة البدنية . والقوى العضلية . وهذا الشذوذ الطفيف لا يلاحظه إلا الاخصائيون فى علم النفس ومنها الشديد الذى يبدو واضحا لكل فرد . غير انه يجب ألا ننسى حقيقتين هامتين نبينهما لكل من يهمه أمر تربية الاطفال

أولاهما : أن الشذوذ الطفيف قد يتطور فيصبح شديدا اذا لم يتدارك بمعالجة العوامل التى أدت اليه

الثانية : ان الطفل الذى لايظهر عليه شذوذ ما فى الصغر قد يزداد عليه الامر فى الكبر اذا استمرت ظروفه التى نشأ فيها على ماهي عليه من استهزاء اخوانه واقرانه به مثلا أو قسوة أبويه ومعلميه فى معاملته ، هذه الامور لا تظهر نتائجها فى العادة الا بعد أن تستمر وقتا طويلا فى حياة الطفل

ومن الجلى الواضح أن للبيئة المنزلية أى العائلية أكبر أثر فى حياة الطفل لأنها البيئة الاولى التى ينشأ فيها وعلى الاخص اذا علمنا انه فى السنين الاولى يكون ضعيفا سهل التشكل والتأثر بما حوله ، ولذا كانت هذه البيئة أجدر بالعناية من غيرها من حيث حسن تنظيم العلاقات بين أفرادها ومن حيث جعلها مناسبة لنموه من الوجهة النفسية والبدنية والخلقية . فمن الوجهة البدنية تجب العناية بالغذاء والتهوية والحيطة من الامراض ورياضة الجسم على الحركة واستعمال أطرافه الى غير ذلك أما من الوجهتين النفسية والخلقية فأهم عامل فيها علاقة الطفل مع أبويه وأفراد عائلته بوجه عام فالطفل الذى يقسو أبواه عليه فى معاملته يشتد خوفه منهما وتزول حبه لهما وتصبح طاعته عمياء لايشعر فيها بالاحترام القلبى ولا يحدوها العطف . ولايقتصر الامر على ذلك لان سلطة الابوين على الطفل مستمرة معه طول يومه من كل شىء يعمله لان الرقيب ملازم له انى ذهب نظرا لان

البيئة المنزلية صغيرة ضيقة ، ولان الجزاء شديد يضطره الي التفكير قبل أن يأتى عملا ما ثم لايلبث أن يتحول هذا التفكير الى تردد وتشكك فى نتيجة العمل خوفا من العقاب وهكذا يصبح الطفل دائم الخوف هيابا متشككا قليل الثقه بنفسه نتيجة لمسلك أبويه معه وقد ينتقل الخوف من الوالدين ويتعداهما الى الخوف من كل شخص له سلطة أو سيطرة على الطفل كالمعلم والناظر والضباط فى المدرسه ورجل الشرطة فى الطريق أو الاطفال الا كبر منه سنا فيخافهم من غير ما سبب ومن غير أن يعاقبوه أو ينتبهوا اليه مطلقا وقد يشعر انهم حاقدون عليه غير راضين عنه وهكذا تزداد مخاوفه وهواجسه من كل ماحوله فتحيط به الاوهام والمخاوف التى لامبرر لها ومتى وصلت حاله الي تلك الدرجة خرج من عداد الاشخاص العاديين وأصبح شاذا بل مريضا يحتاج الي العلاج ولا يصلح للمعيشة فى ذلك المجتمع وعلي الاخص عند ما يكتشف المجتمع موضع الضعف منه فيستغله لصالحه وقد يتخذه بعض الافراد هزؤا فلا يلبث أن يقصى الى مستشفى الاجانب . هذا طبعا اذا تطورت الحالة من سيء الي أسوأ . ولكن ليس من الضرورى أن تتطور كل حالة الى ذلك القدر أى انه ليس من الضرورى أن كل طفل يقسو عليه أبواه ينتهى أمره في النهاية الى الجنون لان ظروف كل فرد خاصه به وقد تكون هناك عوامل مخففة أو قد تكون مقاومة فرد للخوف أكثر من مقاومة آخر كالشخص ذى الضمير الحى الذي يصيب شخصا فيقتله عن غير عمد ويهرب فلا يزال ضميره يؤنبه وفعلته تشغل باله حتى يجن بينما هناك كثير من القتلة والسفاكين يقتلون بدل المرة عدة مرات فلا ينتابهم الخوف الا بقدر خوفى وخوفك من أن نؤنب علي تقصير فى عمل

وعلى أية حال فان الآباء والمربين الذين يسرفون فى لوم الطفل وتأنيبه وعلى الاخص فى السنين الاولى من الطفولة يحطون من فكرته عن نفسه ويضعفون ثقته بكفايته فلا يهب لمواجهة الصعاب لعلمه انه مهما حاول الاجادة ومهما بلغ من الاحسان فلن يظفر بالشكر ولن يسلم من اللوم . كذلك لا يلجأ الى الاستئناس بمشورة مربيه والاستفادة برأيهم فى مشكلاته لانه لا يحس منهم عطفا عليه وتسوء نظرتهم لكل حسن يأتيه فينظر اليه كانه عبء مفروض عليه وواجب لا ينتظر شكرا عليه ولا ترتاح نفسه الي أدائه ويتوقع أن يؤاخذ بسببه على التقصير . فاذا استمر ذلك طويلا استبعد على نفسه أن يأتى عملا مستحسنا . ثم لا يلبث أن يتطرق الى نفسه اليأس ويعتقد أن به نقصا طبيعيا يقيده عن الاجادة ، وان ذلك النقص لا يمكن اصلاحه لانه مهما بذل ومهما اعمل من فكر فالنتيجة واحدة وهى وجود بعض أوجه اللوم والتأنيب . وكثيرا ما يزيد الوسط العائلى فى هذا

الشعور كأن يكون للطفل اخوة آخرون وهبتهم الطبيعة ميزات جعلتهم مقربين عند والديهم كالجمال والذكاء او طلاقة اللسان أو القوة البدنية أو مقدرتهم على كسب دراهم قليلة فى حرفة ما تعين العائلة الفقيرة على سد رمقها مما يجعل الوالدين يكيلون المدح لهؤلاء الاخوة على مرأى ومسمع من الطفل ذاته فينشأ فى نفسه العجب من اختصاصهم بالثناء دونه فيحاول التشبه بهم ليحظى بالرضى فيتصنع الظرف مثلهم أو يبالغ فى الطاعة فاذا لم يجد فائدة انقلب الى الضد وشهر سلاح التحدى فيصبح ثائرا مشاغبا فلا يزيده ذلك الا كرها وتحديا وقد يضرب اخوته أو يرمي بحاجياتهم ولعبهم من النافذة أو يكسرها فلا يزيده هذا الا عقابا وهكذا . وتكون النتيجة على عكس ذلك تماما إذ انه اذا تسرب الى نفس الطفل أن به قصورا أو نقصا عن أخواته قعد عن مجاراتهم وهبطت همته وخاب أمله فى كل عمل يأتيه فلا يزيده الا احتقارا لنفسه طبعا فيتكاسل ويزيد فى الكسل فيعتقد والداه أن لا خير فيه ولا أمل يرجي منه ولو علموا حقيقة الامر لوجدوا أنهم هم السبب وأنهم ظلموه وجنوا عليه شر جناية لان كثرة اللوم لا تصل بالطفل الى الصواب وانما الارشاد هو الذي يهديه الى الطريق القويم اذا كان فى استطاعة جسمه وعقله الصغيرين أن يصلا الي ذلك الطريق القويم وليس من العدل ولا من الصواب أن نكلف الطفل اتيان مالا يستطيع فله قوة محدودة ولذا فانا نهيب بالآباء والامهات وكذلك بالمعلمين فى المدرسة الا يسرفوا فى المدح لبعض الاطفال دون بعض . نعم ان مدح أخ على مرأى من اخوته أو تلميذ على مرأى من فصله يشجعه على المضى فى الاجادة والاحسان ويبعث فى نفوسهم المنافسة رغبة فى اللحاق به ، غير أننا نحذرهم من أن يكون الثناء وقفا على طفل واحد دون الآخرين دائما . أو علي العكس يخص به كل الاطفال ويحرم منه واحد دائما ، بل يجب توزيع الثناء أحيانا حتى علي من قصرت همتهم عن ادراك الغاية القصوى تشجيعا لهم ومنعا لتسرب الشعور بالنقص والقصور الى نفوسهم كما أن الطفل الذى يرى نفسه دائما موضع الحب والعطف والثناء يدب فى نفسه دبيب العجب والزهو وعلى الاخص اذا كان ذلك الحب والعطف ناشئين عن ميزة اختصته بها الطبيعة وليس له فضل فيها اذ لا يلبث أن يعتقد أنه حقيقة أفضل من غيره وتزيد ثقته بنفسه الى حد يقعده عن الجد والاجتهاد فيتأخر فى عمله ويصبح هذا التأخر عادة متأصله فيه وهو على ذلك ينتظر الثناء على القليل الذى اتي به فاذا لم يحصل عليه ثار وصخب وملأ الدنيا صياحا وعويلا . ثم يعزى نفسه بقوله « لو اردت الاجادة لفقت هؤلاء ولكنى لا اهتم بتلك السفاسف من المديح التى يهتم لها الآخرون » أو يعزي نفسه بما يسمعه

من ابويه عندما يقولون « ان فلانا ذكى بطبيعته وعيبه الوحيد أنه لا يعنى بعمله ولو عنى به لأجاده . »

ولقد اتى الى مرة بطفل لفحصه وتبين أسباب تأخره الشديد فى الدراسة رغم كبر سنه وجودة صحته وبيئته المنزلية مما حير معلميه وبعث فى نفوسهم اليأس من اصلاحه . فلاحظت عليه عدم اكتراثه بترتيب ملابسه وكتبه ووجدته قذر اليدين والملابس عديم الاهتمام بشىء ما حتى نظافة أنفه . وفى أثناء اختباره كان عديم الاهتمام بالاسئله التى توجه اليه ينظر حوله فى الحجرة كانه أبله « ولم يكن كذلك » مع أن غيره من الاطفال كانوا يظهرون شيئا من الارتباك أو الخوف فى أثناء الاختبار لغرابة الموقف عليهم . ولقد اتضح لى من الفحص أن ذلك الطفل رغم صحته الجيدة لا يميل لبذل الجهد ولقد قال أنه لا يحب كرة القدم أو الكشافة أو الاشبال فلما سئل عن السبب اجاب أن الاطفال يدفعونه ولذا فهو لا يحب تلك الالعاب فقلت له الا تدفعهم كما يدفعونك فقال ان رجله لا تطاوعه اذا حاول . وما يقال عنه فى الألعاب ينطبق عليه فى الدراسة لانه قعد عن منازلة الاطفال الآخرين لاعتقاده انه أقل منهم مع انه لا يقل عنهم صحة وانما يقل فقط فى النشاط وفى القوة الدافعة المحركة لذلك النشاط

هذا ويكون الشعور بالقصور او بالنقص شديدا اذا كان الطفل مصابا بعاهة جسمية وعلى الاخص اذا كانت عاهة ظاهرة تقعدم عن مجاراة الاطفال الآخرين فى العابهم ولهوهم كالعرج مثلا أو ضعف فى احدى الذراعين و تشويه فى الخلقة كالاحديداب فى الظهر او الطول الخارق للعادة او القصر الشديد كالاقزام مثلا . مثل تلك العاهات لايرحم المجتمع اصحابها وعلى الاخص الاطفال فانهم يتخذونهم هزؤا وموضعا للسخرية والضحك وقد يمشون خلفهم فى الطرقات يصيحون ويهللون. فبعد ان تكون العاهة جسمية فقط تمتد الى نفس الشخص طفلا كان او راشدا وتؤكد فى نفسه الشعور بالنقص فيصبح ذا علة نفسية وعلى الاخص اذا اشترك الكبار مع الصغار في تحقير الطفل ذى العاهة والحط من شأنه لان رأى الكبار له قيمة فى نظره وهو يقدره طبعا اكثر من تقديره لرأى الصغار أما اذا اتخذ الآباء والمربون طريق الحكمة واظهروا العطف نحوه فقد يستطيعون تخفيف شعوره بالنقص شيئا ما وذلك لا يكون الا بالكف أولا عن الاستهزاء به واظهار عيبه والتغاضى عن كل تقصير فى عمله يكون نتيجة لتلك العاهة التى لديه . ثانيا : بتسهيل الفرصة لديه لان يعوض النقص الذى

عنده بالنبوغ فى ناحية أخرى وذلك بان يعلموه حرفة أو مهنة أو فنا ينبغ فيه ولا يزالون يشجعونه حتى يمنعوا ذلك الشعور بالنقص من الامتداد الى نواحى نفسه المختلفة فاذا رأى انه يفوق غيره فى ناحية ماطابت نفسه وعلم أن الخالق قد وزع الهبات وأن ما حرمه منه قد عوضه عليه فى ناحية اخرى قد حرم منها غيره وهكذا . فمثلا الطفل المقعد قد ينبغ فى التصوير أو الموسيقى لانها لاتحتاج منه القيام والقعود حتى اذا أصبح فنانا كال له الناس الثناء فيهون هذا عليه من امر العاهه الجسمية لان الاطفال السليمى البنية لم يحصلوا على مثل هذا الفخار والمديح اللذين حصل عليهما

وهذه الطريقة يجب أن ينتبه اليها الآباء والامهات فى الصغر قبل أن يستفحل الامر ويتمكن الشعور بالنقص من نفس الطفل إذ يصعب استئصاله عندئذ وكلنا يعرف المثل السائر «الوقاية خير من العلاج »

ومن العوامل العالمية الهامة التى تؤثر فى نفسية الطفل ترتيبه فى الولادة بين اخوته ، اذ كثيراً ما نلاحظ أن أسرة صغيرة لها طفل واحد يستنفد كل عناية الابوين ويكون موضع الحب والعطف المتواصل لا ينازعه فيها منازع لانه الوحيد أولا ولانه ليس هناك من يشغل ابويه عنه ثانيا حتى اذا ولد للعائلة طفل آخر تحول العطف الى المولود الجديد أو علي الاقل تقاسمه معه وقد يكون موضع التدليل والاعجاب لانه اصغر ولانه فى حاجة ادعى للعناية الوالدية لضعفه ، فلا يلبث ذلك الوضع أن يشعل نار الغيرة فى نفس الطفل الاكبر وان كان هو نفسه لا يشعر بتلك الغيرة فتجده يختلس النظرات اليه ثم يقذفه بما فى يده كدمية أو لعبة او يضربه فى مهده أو يعضه أو ينتزع ثدى أمه منه ، وقد تراه يبكى من غير ما سبب سوى استدرار العطف ولفتا للانظار عندما يجد نفسه مهملا كالطفل الذى وجد أخته الصغيرة قدشغلت امه عنه فاخذ يبكى ويرتمى علي الارض ثم اكتشف حيلة أخرى يستدر بها عطف أمه وهي أن يحبو على الارض كاخته الصغيرة مع انه قادر علي المشى والحركة ظنا منه أن ذلك هو سبب العطف عليها . هـذه الغيرة فضلا عن اضرارها بنفسية الطفل واخلاقه قد تضر صحته ايضا اذ قد يمتنع عن الطعام أو تقل شهيته له وقد يمتنع عن اللعب فتراه واجما الى ركن الحجرة لا يجيب اذا نودى . هذه سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولكننا ننصح بأن تراعى الام شعور ذلك الطفل وتقطعه شيئا من عطفها وتسبغ عليه ولو قليلا من التدليل لتؤكد له أنها لا تزال تحبه وتنتزع من نفسه فكرة انه منبوذ

وقبل أن نفرغ من ذلك المقال يحسن بنا أن نلخص ما قلناه فيما يأتى اتماما للفائدة

١ — لا تقس على طفلك فى المعـاملة لان ذلك يورث الخـوف والرعب اذا اتخـذته ديدنا وعادة

٢ — لا تختص طفلا بالثناء على الدوام دون الآخرين ، أو تحرم طفلاً منه على الدوام كذلك بل اجعله قسمة بينهم ما امكن .

٣ — لا تكثر من تدليل طفل لميزه طبيعية فيه بل اجعل اعزازك له ومحبتك اياه على اساس ما يأتيه من أعمال وما يبـذله فيها من جهد . كذلك لا تحقر من شأن الطفل لعاهة طبيعية لا ذنب له فيها

٤ — حاذر من اثارة الغيرة فى نفس الاخوات باختصاص بعضهم بالحب دون البعض او اهمال الـكبار والاهتمام بالصغار بل اعط الـكبار شيئا من اهتمامك ولو قليلا على قدر المستطاع



ميل الطفل الى ابراز شخصيته

للدكتور عبد العزيز حامد القوصى

قد يلوح لاول وهلة ان فى عنوان هـذا المقال — شيئا من المغالاة غير قليل ، اذ ربما يقول بعض القراء : انه ليس من المعقول مطلقا ان أصف الطفل الصغير بشيء من الغرور أو الميل الي الظهور او النزعة لاثبات شخصيته وابرازها ، فكأنما الغرور عندهم من صفات الكبار ، وكأنما الشخصية لاتكون فى عرفهم الا لبعض الافراد النابهين البارزين . ولكن لو حللنا كثيرا من أعمال الاطفال فى أثناء نشاطهم المعروف المتواصل ، لوجدنا أن منابع كثيرة من نواحى هذا النشاط كافية فى تلك النزعة الطبيعية الغريزية . والغرض الذى ارمي اليه بهذا المقال هو التدليل على صحة هذا القول ، اذ ان فى اثباته حلا لكثير من مشاكل الاباء مع ابنائهم . وسأبين بغاية الاختصار كيف ان سوء تصرف الآباء ازاء هذه النزعة القوية الهامة ينشأ عنه كثير من المتاعب فى تربية الابناء . ثم اقدم بعد ذلك بعض النقط التى يجب مراعاتها لحفظ كيان هذه النزعة ولامكان نموها نموا تتوافر فيه القوة والصحة والمتانة

وللتدليل على وجود هذه النزعه نذكر الاباء ببعض المحاولات التى يقوم بها ابناؤهم . اذ كثيرا مايبدأ الولد بشد يد ابيه واطراف ملابسه ويلح فى هذا مظهرا كل ما نفسه من علامات القلق حتي يرفعه والده ليوقفه على كرسى او مائدة او غير ذلك . فاذا ماتم له ذلك انبسطت أسارير وجهه وابتسم ابتسامات السرور والارتياح . وذلك لانه قد ساوى بارتفاعه اباه فى الطول

وأذكر أننى كنت أشعر فى يوم طفولتى بسعادة عميقة حينما أصبحت قادرا على ادارة « اكرة » الباب دون الاستعانة بكرسي او دون الوقوف على اطرافُ الاصابع . وكم كنت اتمنى اليوم الذى اكبر فيه حتى اصير مثل ابي في كل شيء حتى فى شاربه ! ! وكنا نسمع اذ ذاك ان المرء اذا دهن شفتيهُ العليا بزيت البندق ساعده ذلك على انبات الشعر فيها ! ، ولذلك كنا لانألو جهدا فى شى البندق لاستخراج زيته واستعماله لهذا الغرض . اي استعماله للخروج من حالة الطفولة الى حالة الرجولة . وبعبارة اخرى الي الحالة التى يظهر فيها الشخص ويبرز

ولقد زرت منذ شهر تقريبا بعض اقربائى وكان بالغرفة التى دخلتها طفلان يلعبان بادوات مختلفة وكلاهما فى الثانية من عمره . وكنت منصرفا عنهما عند دخولى الغرفة ، ولكنى ما لبثت قليلا حتى رأيت أحدهما يندفع الى ليرينى لعبته وليضحك معى ، فلم استطع الا أن اقابله بالتهليل والترحيب والا أن الاعبه وأحادثه ! . علي ان الطفل الآخر ما لبث ان اندفع ايضا نحوى محاولا ان يشغل محل الاول ، وهنا لك حدث تنافس عجيب بينهما ظهرت فيه أبدع الاساليب التى يتخذها الاطفال لاثبات وجودهم وابراز شخصياتهم . ونرى عادة فى مثل هذه الظروف ان الطفل الذى تشجعه ظروفه على الظهور يكون أكثر الحاحا فى طلب اعجابك به وانتباهك اليه

ويحدث هذا التنافس بعينه بين صغار الاخوة المتقاربين فى السن ، اذ يرى الاكبر كارها للاصغر يغار منه ويحقد عليه ، لا لسبب الا لانه بارز فى الاسرة . فقد كانت الام تعطيه كل انتباهها بتدليلها ومداعبتها ، وكان كل من فى المنزل يظهر اعجابه بكل ما يفعله . فلما جاء الطفل الجديد حل محله ، وبعبارة أخرى أخذ المركز الممتاز الذى كان يشغله ، أما هو فقد ترك مع جدته او خادمته ، أى أصبح فجأة عضوا ثانويا بعد ان كان يشعر بانه العضو الممتاز فى هذه الاسرة

وأعرف طفلة فى الثالثة من عمرها وضعت امها حديثا فظهرت على الطفلة جميع انواع الغيرة ، ومضت تدافع عن مركزها ومكانتها بكل مالها من قوة ، فلما لم تجد لنفسها حولا ولا طولا فى محاربة هذا المنافس القوى اخذت تفر الى الجيران وترفض الرجوع الى منزل أهلها لانها لاتود ان تكون فى جهة ليست هى الشخصية البارزة او النجم الساطع فيها أو بعبارة أخرى محور الفخر والاعجاب

وقد تظهر رغبة الاولاد فى الظهور عند تقليدهم لاعمال آبائهم ، وكلنا نعلم ان الاطفال كثيرا ما يلعبون كما لو كانوا أبا وأما أو معلمين ومعلمات ! ولذلك يندر ان يفرضوا أنفسهم فى لعبهم اطفالا صغارا لانهم يريدون بهذا اللعب الخيالي أن يشبعوا رغبة قوية تجيش بصدورهم . ومما يسر الاطفال جدا ارتداؤهم لبعض ملابس والدهم او امساكهم بعصاه . وأعرف طفلة فى الثانية من عمرها كانت تقلد أباها فى كل شىء : فهى تمسك بالجريدة اليومية او بالكتاب وتقلبه صفحة صفحة ، او قد تذهب الى أبعد من ذلك ، فاذا مرض أبوها واضطر الى عملية الغرغرة قلدته فيها ، وقد جرح مدة جرحا بالغا فربطه باربطة جراحية فما لبثت الطفلة أن طالبت بمثلها لتربط خدشا

بسيطا فى ساقها . وطبعا ما كانت لتلاحظ هذا الخدش أو تدرك وجوده لولا ما قد رأت من الاربطة حول جرح أبيها

وتظهر هذه الرغبة أيضا فى أن الاولاد يودون أن يلبسوا او يأكلوا بأنفسهم ، كما يود البعض منهم أن يأكل بملاعق وسكاكين كبيرة الحجم شبيهة بما يستعمله الكبار

ومما يسر الطفل ويشعره بشخصيته مقدرته على القيام باى عمل يستدعى الجلد والقوة ولاشك أن أسعد ساعاته هى الساعة التى يستطيع القيام فيها بالمشى او الكلام او العض او الخطف او غير ذلك من الافعال : وكلنا يعلم مقدار الغبطة والسرور اللذين يظهرهما الطفل فى نهاية السنة من عمره عندما يتبختر من أول الحجرة الى آخرها وأكثر ما يلذ له ذلك أمام أمه وأخوته وابيه او زائريهم . اذ انه يظهر بذلك فى حضرتهم ما يقدر عليه . وقد ذكرت ان الاطفال فى نهاية السنة الاولى يقلدون جميع حركات الكبار ، وعلي الاخص اصواتهم ، وذلك لانهم يريدون ان يتحدثوا فيكونوا مثلهم . ومبدأ ظهور الاسنان عند الطفل هو مبدأ نزويده بقوة جديدة ، ولذلك لايلبث ان يستعملها . وكثيرون من الاطفال يعضون فى هذه السن اثداء امهاتهم وأصابعهن وفى ذلك سرور عظيم لهم ، وعلى الاخص لانه يمكنهم من عمل شيء يؤثر فى شخص عظيم بالنسبة اليهم

ونجد الاطفال عادة بعد هذه السنوات الاولى منقسمين على وجه التقريب الى نوعين . نوع يود من الناس ان يشهدوا نشاطه ويعجبوا به . ونوع آخر لايجد سوى التثبيط ممن حوله فيكتفى هو بالاعجاب بنفسه وبمقدرته . وينمو النوع الاول الى ما يسميه علماء النفس « ظاهرى » والنوع الثانى الي ما يسميه « باطنى » وليس هذا محل الاسهاب فيهما

واذا اخذنا نواحى الشذوذ المعروفة التى تضايق الآباء والامهات ، والتى يصعب عليهم معالجتها بالطرق المألوفة كالضرب والتعنيف والتوبيخ والحرمان من النقود ومن التنزه .. الخ لوجدنا أن اغلب هذه النواحى يرجع الى رغبة قوية فى الطفل ترمى الى ابراز شخصيته واثباتها . فهو حين يخرب ادوات المنزل او يكسرها ، وحين يعذب الحيوانات الصغيرة بشد أذنابها (كما يفعل بالكلاب) او قص شواربها (كما يفعل بالقطط) ، وحين ينفجر فى نوبات من البكاء او الصياح او الالحاح او العناد ، وحين لايذعن لاوامر الام ، او حين يتمرد على نظام المنزل المعتاد ، : هو حين يفعل ذلك كله انما يحقق هذه الرغبة القوية الجائشة فى نفسه . ومن الغريب أن نجد ان نفس هذه النزعة

للظهور سبب عميق فى الخجل والانزواء والسرقة والمكر السيء والكذب الادعائي

ولا يمكننى — لضيق المكان - ان احلل كل هذه الافعال فاثبت للقراء ان النزعة الطبيعية للظهور والتفوق والارتفاع هي أساسها جميعا ، وانها لاتنتج هذه النواحى المرذولة المعوجة التي رفضها المجتمع الا من كثرة ضغط الآباء على اطفالهم والتضييق عليهم الى درجة يسلبونهم بها ثقتهم بانفسهم ويشعرونهم بضعف فى نواحى سلوكهم . وهذا يدفعهم الىسلوك شاذ كالذى ذكرناه كيما يشبعوا به غرائزهم

وقد ينشأ هذا الشذوذ نفسه من كثرة التسليم للابناء واجابة طلباتهم وتدليلهم . وقد تناول زملائى المشتركون في اسبوع الطفل كل هذه النواحى بالشرح والتحليل مع الاسهاب

اقدم للاباء بمناسبة هذا المقال بعض النصائح العملية البسيطة التى لو قرئت مرة بعد اخري وطبقت وروعيت بدقةلمنعت وقوع كثير من متاعب هذه النزعة الغريزية . فعلي الآباء

اولا : ان يعاملوا الطفل كفرد له شعوره وله شخصيته ، فلا يجوز لهم ان يعدوه لعبة يتسلون بها ، ولا ان يعتبروه جزءا من ممتلكاتهم يتصرفون فيه كيفما شاءوا

ثانيا : الا يجعلوا الطفل موضوعا لحديثهم مع ضيوفهم واقربائهم على مسمع منه

ثالثا : الا يكثروا من الافتخار بابنائهم او التحقير من شأنهم و كفايتهم امام الناس

رابعا : الا يكثروا من نقدهم وتوبيخهم والتدخل فىشئونهم من العاب وأحاديث

خامسا : ألا يسخروا من مخاوفهم لانها فى كثير من الاحيان مخاوف طبيعية والاستهزاء بها لا يزيدها إلا تأصلا ، بينما الاعتراف بها ومحاولة فهم أصلها قد يعمل على استئصالها .

سادسا . ألا يسخروا من ذوي العاهات منهم ، ففى هذه السخرية تهجيم لثورتهم وتمردهم وكراهيتهم للمجتمع ، وكثير من الجبابرة والمجرمين أصحاب العاهات هم ضحية هذه السخرية وعليهم بان يشجعوا فيهم المواهب والنواحي الطيبة مع عدم الاشارة الى هذه العاهات .

سابعا : أن يشتركوا مع أطفالهم فى عواطفهم ووجداناتهم فليضحكوا معهم مثلا بدلا من أن يضحكوا منهم

ثامنا : أن يصاحبوا الطفل ، ويلاعبوه ويحادثوه ، بدلا من أن يستعملوا معه الشدة ، والسيطرة والسلطة غير المعقولة أو المفهومة لديه

تاسعا : أن يشجعوا الطفل مهما صغرت سنه على أن يؤدى بنفسه ما يمكنه أداؤه من حاجياته الخاصة ، إذ فى أدائه إياها إثبات لشخصيته . وأما أداؤها له ففيه انكار واستضعاف لمقدرة الطفل

عاشراً : ألا يتكلفوا الظهور بمظاهر الكمال أمام أبنائهم بحجة أنهم يريدون منهم أن يكونوا كاملين ، فلهذا التكلف احدى نتيجتين ، اولاهما : أن يشعر الولد بنقصه لعدم تمكنه من الوصول الي درجتهم فتثبط همته ، وتقل رغبته للعمل ، وأخراهما : أن الولد قد يكشف عيوب أبيه فجأة فييأس ويحتقر اباه ويسوء خلقه الى حد كبير . والأفضل دائما أن يكون الوالد مع اولاده طبيعيا ما امكن

واخيراً على الآباء ان يعملوا — مع الاعتدال — علي اشعار الطفل بحبهم ، وعطفهم ، والاعتراف بمقدرته ، وعلى الاعجاب المعقول بشخصيته ، فينمو بذلك رجلا يجمع بين العواطف النبيلة الرقيقة و بين الشخصية القوية المتينة

ضحية الاستبداد ونتيجة الحرية

للاستاذ على محمد فهمى

يرى كثير من الآباء فى المنزل أنه المكان الذي يجب أن يمكث فيه الاطفال بدون حركة أو كلام مع أن الطفل كائن دائم الحركة اذا طلبنا منه السكون فانما نطلب منه مالايتلاءم مع طبيعته بل مايعوق نموه الجسمى والعقلى . والواجب أن يكون الطفل فى منزله بحيث يسمح له بدوام الحركة وتترك له الحرية فى العمل أو الراحة لتنمية مواهبه وقواه التى تعد هبة للحياة الاجتماعية فكما أنه من المسلم به عند الجميع أن الملابس الضيقة تضر الجسم وتعوق حركة أعضائه فكذلك مكث الطفل ساعات متوالية بدون حركة مرهق لجسمه

يرى هؤلاء الآباء أن ماعلى أطفالهم إلا الطاعة والرضوخ والاستسلام لأوامرهم ونواهيهم - رضوا أو لم يرض - لذلك نجد هؤلاء الاطفال لايميلون الى المنزل ولايحبونه ويرحبون بفرصة التخلص من ذلك المكان الموحش فتراهم يرحبون بقضاء أوقات لعبهم خارج المنزل وما ذلك الا لعدم منحهم فيه ماتصبو اليه نفوسهم وما تحتاج اليه طبيعتهم من الحرية التى بدونها لاتتم تربيتهم ولا يكتمل تكوينهم

هؤلاء الآباء يقيدون أطفالهم وبذلك يميتون فرديتهم وقوة الابتكار فيهم ، ولكن التربية الحديثة بفضل اعتمادها على النفس وبحوثه العديدة تعمل على أن يسود المنزل جو من الحرية التى تشحذ من همة الطفل وتشجعه على العمل

الحرية إذن هى أهم ماتدعو اليه التربية الحديثة ولاينكر أحد قيمتها من حيث استعداد الفرد وميوله الحقة . ولكن المقيدين لطبيعة الطفل يرون فى ذلك منحا للطفل مجالا لا للعمل المنتج فى جو الحرية بل تشجيعا له على اللعب والفوضى . على أن التجارب قد أثبتت عكس هذا وأن نظام الحرية هذا مفيد فى تنمية الشخصية وخاصة الشخصية الادبية وقوامها الشعور بالمسئولية فالطفل الذى لايعمل إلا مايؤمر به فى كل آن لاتتاح له فرصة الاعتماد على النفس إذ للحرية شأن كبير فى تكوين الارادة « ولا مجال لفعل الارادة تحت حكم القهر والارهاب » كما يقول الاستاذ كلاباريد ويرى آخرون أن فى منح الاطفال ذلك المرتع الخصيب وهذه الحرية المطلقة التى ألفوها ليس فيه اعداد للحياة إذ الحياة ملأى بالمصاعب والمشاكل وكلها نظم وقواعد وقوانين ، ويجب أن يعود

الاطفال مواجهتها - على أننا نرد عليهم بان هذه الحرية ليس معناها ترك الحبل على الغارب للاطفال وعدم تدخل الآباء فى أعمالهم كلية - إنما الحرية التى ننادي بها هى التى تـكفل للاطفال استقلالهم وتشجيعهم على الاعتماد على النفس وتعطيهم قدراً من الطمأنينة ومن الفرصة للتعبير عما فى أنفسهم تعبيراً يلائم مايلقونه من أطوار نموهم

إن معنى الحياة فى الوقت الحاضر هو الديموقراطية ومعنى الديموقراطية حرية الفـكر وتطور العقل البشري للقيام باعباء الحياة ، أو هى « حـكم الشعب بواسطة الشعب لمصلحة الشعب » وعلى ذلك فـكل فرد فى مجتمع ديموقراطى يتحمل جزءا من المسئولية فيما يتعلق بسلوك الجماعة ويجب أن يعد الآباء أطفالهم للاضطلاع بهذه المسئولية - يقول جون ديوي « اذا دربنا أطفالنا على تلقى الأوامر وعمل الأشياء لمجرد أنهم أمروا بعملها وفشلنا فى اعطائهم الثقة ليعملوا ويفـكروا بانفسهم فاننا نضع حاجزاً منيعا فى طريق تدعيم المثل العليا » . وهـكذا نرى أن تدريب الآباء أبناءهم على تلقى الأوامر يسلبهم معنى الحياة

ومن حق الاطفال أن يندمجوا فى البيئة وأن تـكون معارفهم نتيجة ملاحظاتهم وتجاريبهم واكتشافاتهم الشخصية - يقول روسو « فى أى شيء تنتظره أن يفـكر اذا كنت تفـكر له فى كل شيء فغاية التربية هى تعليم الاطفال كيف يحصلون على الحياة بانفسهم كلما أمكن ذلك »

يجب اذن أن يـكتسب الطفل بنفسه معارفه أى عن طريق العمل لاعن طريق أوامر ونواهى والديه وبهذا وحده نستطيع أن ندخل الحياة فى المنزل بصورة جدية وبهذه الطريقة يصبح الطفل عاملا بنفسه لا واقعا تحت تأثير غيره يتلقى من آبائه الاوامر دون أن يبحثها ويجربها فالطفل لايتعلم شيئا ما لم يعمله . كذلك لا يمـكننا أن نربى عاطفة أو فضيلة او فـكرة حسنة فى نفوسنا مالم نأت أعمالا تستوجب هذه العاطفة أو هذه الفضيلة أو هذه الفـكرة

وعلى هذا يجب على الآباء أن يعودوا أطفالهم التعلم من الحياة نفسها فلا يروموا من التربية شيئا سوى الحياة . وهذه الحقيقة هى المثل الأعلى فى التربية الحديثة وهى تدمج الاطفال فى الحياة الاجتماعية ادماجا يجعلهم يتذوقون معناها ويقدرون على حل معضلاتها

أذكر أنى شاهدت يوما أحد الاطفال يزرع فى حديقة منزله بعض الازهار فما كان من والدته إلا أن قلعت له هـذه الازهار من الحديقة وحجتها أن ذلك يسبب اتساخ ملابسه ولم تدر أن ملاحظة الطفل بنفسه هذه الازهار فى اطوار نموها فضلا عما يكسبه من فضيلة المثابرة فى العناية بهذه النباتات مدة طويلة هى من خير الوسائل لتكوين بعض ميول الطفل واظهارها كما أنها تفيده من الجهتين الخلقية والاجتماعية فهى تبعثه على حب العمل ، ومن جهة اخرى فمشاهدة الاطفال

للظواهر الطبيعية من نبات وحيوان والعناية بنموها لابد أنهما يشعران الطفل بان حياة النبات والحيوان متوقفة على العوامل الطبيعية ويحفزانه الى الاعتقاد بانه لولا عنايته هو واهتمامه لهلك النبات وجف ومات الحيوان من الجوع والعطش . وشعور الطفل بهذا كله مما يبعثه على أن يهتم ويحرص كل الحرص على حياة النبات والحيوان ويجعله يقدر ويحب الطبيعة ويجلها . ثم ان قيام الطفل بهذا كله يفيده من الجهة البيولوجية فى نمو جسمه وتقوية عضلاته والطفل على الخصوص فى حاجة الى تحريك عضلاته واستخدامها لتكون أعظم قوة واكثر مرونة

يجب أن يأخذ الاب أطفاله الى الحقول والحدائق ليشاهدوا النبات والحيوان بانفسهم وأن يجيبهم على أسئلتهم لايضاح مايشاهدونه لا أن يحتقرها ولايجيبهم عليها وبهذه الطريقة يتعرف الأبناء الفروق الموجودة بين النبات فى جذوعها وأوراقها وأزهارها ويشاهدون أنواع النبات ويعرفون أسماءها وخصائصها

على أننا نرى أن كثيرا من الآباء ينظرون الى المستقبل ولا يفكرون فى حياة الطفل الراهنة وإنما ينظرون الى الرجل فى الطفل ويزودونه بما يحتاج اليه الرجل من أنواع المعرفه التى لايهتم لها الصغير ولا يريد أن يتعرفها فهم كما يقول روكسو « يضحون بالحاضر لأجل مستقبل غير مؤكد وقد لايعيش الطفل ليدركه » ويجب ألا نعلم الطفل إلا مايحتاج اليه ومايتفق مع غرائزه وطبيعته ويجب كذلك ألا نتعجل الطبيعة فى عملها فالطبيعة هى التى تعد الطفل ليكون رجلا . وما علينا إلا أن نساعدها فى الاعداد

يجب أن يذكر الآباء أن الطفولة ليست كما أسلفنا طريقة للرجولة فقط بل هى حياة مستقلة لها مميزاتها وصفتها الخاصة . لها كل مالأنواع الحياة من القيمة والقدر . لذلك ينبغى أن تتاح للاطفال الفرصة فى المنزل لكى ينموا نمواً جسميا وعقليا واجتماعيا وخلقيا ، ويستمتعوا بالحياة استمتاع الأحياء بها . فالمنزل مكان للنمو ذلك النمو الذي يجب أن يتناول الانسان من جميع نواحيه اذ يقول بعض العلماء أن مهمة المنزل هى اعداد الطفل ليحيا

اذن فالطفولة دور خاص له ميوله واستعداداته الخاصة ولامعدي من ان يراعى الآباء ذلك فى معاملتهم لأطفالهم . وفى هذا يقول روسو « عامل ابنك حسب سنه » ويقول « احترموا طبيعة الطفل » و « الطبيعة تريد الاطفال أن يكونوا أطفالا قبل أن يكونوا رجالا » وبذلك انصف الطفل لأول مرة فى التاريخ والفضل فى هذا الانصاف يرجع الى روسو

وهكذا يجب ان تكون طبيعة الطفل مركز اهتمام الآباء وموضع عنايتهم واحترامهم اذ لاسبيل الى السيطرة على الطبيعة — كما يقول بيكون — الا بالخضوع لها — كما ان غرائز الطفل وميوله واستعداداته هى الى حد كبير ، المادة التى يجب ان يعامل الآباء أبناءهم بمقتضاها

ضحية التدليل

للسيدة صفية بسيم

يكاد التدليل يكون شرا لا بد منه لكل طفل ، إذ لا يمكن للأم التى لم تخصص وقتا كبيرا من حياتها لدراسة التربية وأساليبها أن تنجو من شر تدليل ابنها مهما حاولت أن تظهر بمظهر الجد — فقد نجد اما تتباهى بأنها لم تسمح لابنها يوما أن يعارضها فى أمر ، وانها لا تسمح لعاطفتها بالتغلب عليها ، بل هى دائما يقظة ومستعدة لعقاب الطفل على كل ذنب اقترفه ، وانها لم تضعف يوما أمام دموع طفلها ، ولم تتهاون قط فى تربيته ، ومع ذلك فهذه الأم نفسها ترتكب كل يوم أنواعا من التدليل مستترة تحت غشاء من الجد يقرب من القسوة ، فمثلا تحرص هذه الأم على نظافة طفلها بتخصيص خادمة لا عمل لها فى المنزل إلا السهر على راحته من تغيير ملابسه إذا اتسخت ، فى أثناء اللعب ، الي ربط « فوطة » حول عنقه قبل الغداء واطعامه بنفسها زيادة فى الحرص وذلك كله فى نفس الوقت الذي يكون قد بلغ الطفل فيه من السن ما يمكنه من ربط « الفوطه » وتغيير ملابسه بنفسه واطعام نفسه بنفسه

هذا نوع من التدليل لم تنج الام منه بالرغم من حرصها ، لأنها تجهل تأثير الاعتماد على الغير فى حياة الطفل ، ولا تعلم أى عناء يقاسى هذا المسكين عندما يبتدىء فى مواجهة الحياة وحيدا ، وقد تعود أن لا يجد فيها أية صعوبة ، هذا النوع من التدليل هو آفة التربية المنزلية فى مصر ، فالأم لا تثق بقدرة ابنها للقيام بحاجياته بنفسه ، أو قد تعتقد أنه ليس من اللائق به . وخصوصا إذا كان من وسط راق . ان يقوم بما هو فى نظرها من مهمة الخدم ، وفى كلتا الحالتين : يضر الطفل ضرراً بليغا إذ لو تعود من السنين الأولى الاعتماد على نفسه لشعر انه قادر على القيام بطلباته ، ولنمت فيه الثقة بالنفس ، والثقة بالنفس عند الطفل هى خير ما يجب على الأم تنميته فيه لتساعده على مواجهة الحياة بثبات وعزيمة

لهذا نرى الاجانب قد اهتموا بتعويد الطفل الاعتماد على نفسه مهما كان غنيا ، فالأم لا ترضى ان تشعر ابنها أن وراءه من يسهر عليه ، فاذا كانت للطفل حجرة خاصة كما هى العادة ، فان كل ما فى الحجرة يوضع بحيث يصل اليه الطفل فالمشجب — الشماعة — مثلا يعلق قريبا من الطفل ، ويوضع الدولاب بحيث يمكن الطفل فتحه والوصول إلى أعلى رف فيه كما انه يعلم موضع ملابسه كلها منه ،

وبذلك لا يحتـاج لمساعدة انسـان ، ولا يعتمد على أم ترعاه دائما ، أو خادمة تلبي نداءه فى كل صغيرة وكبيرة ، وقد تعجب كثيرات من الامهات إذا علمن أن الطفل هناك هو الذى يقوم بنفسه بترتيب السرير بل حتى كنس الحجرة وتنظيف الحذاء دون أن يأنف من حمل المكنسة أو يرى عارا فى اليد الصغيرة الرقيقة بالدهان « الورنيش » وقد تسـأل الأم عن فائدة كل هذا الابتذال وتشفق على الطفل من تحمل هذه المشقات ، ولـكنها تسيء بذلك اليه من حيث لا تدرى ، وتحرمه من اللذة التى يشعر بها كل طفـل وهو يقوم بحاجاته كما انهـا تعرقل فى نفس الوقت اعداده للحياة كما يجب

والطفل المصرى — لسوء حظه — يدلل إلى حد بعيد ، ويكفى أن أقول فى ذلك انه قد ينادى الخادمة مرارا ثم يؤنبها بحدة على تأخيرها فى تلبية طلبه وبعد كل ذلك يأمرها باحضار كوب ماء فى حين انه نفسه لا يبعد عن الماء كثيرا وكان يمكنه اختصار هذه العملية الطويلة واحضار الماء بنفسه . ولـكنه مدلل ولا بد أن يخدم !!

ترى أتنتظر الأم ان تشفق الحياة على ابنها فى المستقبل فلا تواجهه بصعوبة ؟ ؟ أم كيف تنتظر ان يتمكن هذا المخلوق الذي أضعفته بسوء تربيتها من التغلب على الصعاب والطفل ان لم يواجه الحياة صغيرا فلن يقوي على مواجهتها كبيرا . والاولاد فى العادة أسوأ حظا من البنات من هذه الوجهة، فقد تقوم البنت ببعض الاعمال الخاصة بها ، أما الولد فلا يجـوز بأي حال من الأحوال أن يقوم بعمل ما ، بحجة ان الاعمال المنزلية من ترتيب سريره وتنظيف حجرته ورفو جواربه لا تليق بالرجال، ولـكن هذا زعم باطل ويجب أن يعلم الولد أن يقوم بنفسه بهذه الأعمال

على أن بعض الآباء يسرف فى تدليل الطفل الي أبعد من هذا الحد وخصوصا إذا كان الطفل هو الطفل الاول أو الوحيد وهنا لا يرى الطفل إلا جالسا على ركبـة أبيه أو أمه ، ولا يرفض له طلب خشية كدره ، ولا يسمح لخادم أو سيد بمخالفة أمره ، وهذا النوع من المعاملة هو مايسميه الناس بالدلع

قد يكون للمربى عذره فى تدليل الطفل ، وقد يـكون ضحية ظروف اضـطرته الى اغداق حبه عليه ، ولـكن هذا لا يبرر مطلقا التمادى فى التدليل واهمال تربية الطفل ، لأن مثل هذا الطفل المدلل ينشأ فى العادة مستبداً برأيه ، مغرورا بنفسه ، وغالبا يشقى بهذا الغرور ، فهو اذا ذهب الى المدرسة انتظر من معلماته ماتعوده فى المنزل ، وصمم أن يكون المدلل الوحيد وما أشقاه ان لم يجد من معلماته ما أراد وما أشقى معلماته به ان لم يفهمن طبيعته قبل فوات الفرصة ، لأنه اذا لم يلفت المعلمة اليه بوجه خاص بجماله ، أو خفة دمه ، أو نباهته ، سرعان مايحاول لفت نظرها باهماله أو قذارته أو مخالفته للاوامر . وفى معظم الاحوال يستثير المعلمة ، فاذا ثارت عليه شكا لأمه ، والأم تحتج — طبعا —

على تصرفات المعلمة ، وما أسعد الطفل حين يشعر انه قد انتقم باحتجاجها لنفسه
ينتقل هذا الطفل من مدرسة الى مدرسة بنفس الفكرة وتسوء حالته فتعظم شقة الخلاف بينه وبين مدرسيه ، ويشتد كرهه للدروس ، ولسوء الحظ يكون التظلم قد أصبح فيه عادة فيتظلم من كل شيء — من رئيس ومرءوس ، من زوجه أو من أقاربه بدون سبب ظاهر . هكذا يصبح ضحية الحب وسوء التصرف ، وينطبق على مربيه المثل القائل عدو عاقل خير من صديق جاهل

وقد ينحو الطفل من مساويء تدليل الاباء ، ثم يجد نفسه فجأة مدللا وهو فى المدرسة،ذلك لان معلمة أو أكثر قد استرعى انتباهها هذا الطفل ففضلته على سواه ، وعندئذ تكثر من أخذه معها فى فترات الراحة ، ومن الكلام معه فى الحصص ، ويكثر الطفل من التقرب اليها ، فلا يلعب مع أقرانه ، بل ينعزل عنهم ، وسرعان ما تتربى فى قلوب الاطفال الغيرة من هذا الذي فضل على الجميع ، وقد يتعود الطفل اجتناب أقرانه حتى بعد ترك هذه المدرسة ، ويفقد بذلك مزايا الصداقة والمحبة بين الطفل واخوانه ، فينشأ مكروها من كل زملائه فى المدرسة والعمل على حد سواء ، لاعتباره نفسه أهم من الجميع وأعلى مكانا

حدثتني صديقة عن حادثة من هذا القبيل وقعت فى المدرسة الابتدائية التى كانت تدرس بها فقالت . كانت حسنية طفلة ظريفة جدا ، وكانت احدى المعلمات تحبها حبا جما ، فكانت تناديها فى الحصة لتحكى لها بعض الحكايات وغالبا كانت تري الطفلة على ركبتيها ، أستمر هذا الحب سنتين ثم لم تعد المعلمة تعبأ بهذه الطفلة ، وشعرت زميلاتها انها قد أصبحت ثقيلة الظل من كثرة محاولتها اظهار خفة دمها حتى سئمها الجميع ، وكانت هذه الطفلة معتزة بخفة روحها إلى درجة أهملت معها الدراسة ، وحين تقدم زميلاتها لامتحان الشهادة الابتدائية كانت حسنية لاتزال فى السنة الثانية الابتدائية . وأغلب الظن ان أهلها لم يكن لهم أمل فى نجاحها لانهم حفظوها فى المنزل بعد ذلك .
هذا مثل من كثير ضحايا التدليل . فحبذا لو انتبه الاهل الى ذلك وضبطوا عواطفهم نحو أطفالهم وفى الواقع انه لابد من ضبط العاطفة وتهذيبها وتغليب حكم العقل عليها

الطفل بين اخوته

للسيدة صفية بسيم

لعل المحافظة على العلاقات الودية السليمة بين الاخوة وعدم ايجاد فرص للحسد أو الغيرة بينهم من أدق واجبات الآباء ومن أولاها بالعناية والرعاية . ولكن قلما يرى الآباء أن بيدهم تكييف العلاقات بين الاخوة منذ الصغر وان هذه العلاقات محتاجة الى دقة وخبرة من جانب الآباء تقيهم شر الوقوع فيما يعود على طفل أو اكثر من أبنائهم بالضرر الجسيم لافيما يتعلق بصلته باخوته فحسب ، بل فيما يترك فى حياته المستقبلة من الاثر الذى قد يلازمه طول الحياة

والحق أن الآباء الذين يستطيعون السير على سياسة واحدة عادلة مع كل الابناء على السواء قليلون أو الكثيرون يفضلون فى الغالب - طفلا على الجميع ، ويظهرون هذا التفضيل فى هداياهم وكلامهم دون أن يفكروا فى الاثر السىء الذي يتركه هذا التفضيل فى نفس الاخوة المهملين المعذبين ولا فى النتيجة السيئة لهذا الأثر فى نفس الطفل الذى يجد نفسه مفضلا ويشعر فى أعماق قلبه بامتيازه وسيطرته على الجميع

ذلك أن لاختلاف سياسة الآباء مع أبنائهم صلة وثيقة بمركز الطفل فى العائلة ولما كانت هذه السياسة تترك أكبر الاثر فى مستقبل الطفل فان علماء النفس يقولون ان فى امكانهم أن يحكموا على أى شخص من أعماله وأخلاقه اذا كان مثلا الاول فى العائلة أو الثانى أو الاخير

والآباء يشملون فى العادة الابن الاكبر برعاية كبيرة ويضعون ثقتهم فيه لأنه كبير اخوته فيجب - كما يعتقدون - أن يكون اكثر اخوته عقلا وحكمة ، ولذلك قد يجعلونه المرجع فى كل مايختص بهم . وقد يلقون عليه مسئولية الأسرة إذا كانوا خارج المنزل وبذلك تكثر مسئولياته فيشعر أنه قد أصبح شخصا محترما فى الهيئة الاجتماعية ويزداد عنده شعور الثقة بالنفس ويكون اكثر من اخوته استعداداً لتحمل ماقد تلقيه الحياة على عاتقه من مسئوليات . إلا أن بعض الاباء يغالى فيما يفرضه على الطفل الاكبر حتى أنه لينسى حقه كطفل ولايسمح له بالبقاء طفلا إلا لمدة قصيرة وبذلك ينتظر منه اكثر مما يجب فيجر عليه الشقاء من حيث لايعلم . وقد قامت الدكتورة « تشارلوت بيلر » حديثا بعدة ابحاث عن صلة الأخوة فى عدة عائلات من طبقات مختلفة فوزعت طالباتها على هذه العائلات وعاشت كل طالبة مع العائلة التى اختصت بها كأنها جزء منها كيما يتعود

عليها الاطفال ويظهرون أمامها بطبيعتهم دون أى تكلف . ثم أخذت كل منهن تدرس العلاقة بين الاخوة والام والأب والجو المنزلى بوجه عام لتحليل سبب هذه العلاقات . وقد كان من بين الحالات التى عرضت فى إحدى هذه العائلات طفلتان إحداهما فى العاشرة من عمرها والأخرى فى السادسة ، وكانت الأخت الكبرى شديدة فى معاملتها لاختها إلى حد بعيد إذ كانت لاتشفق عليها إذا وقعت فى أثناء اللعب ولاتهتم بشأنها إذا تألمت من أي شيء بل بالعكس كانت تنتظر فرصة وجودهما منفردتين لتؤنب أختها وتؤذيها ، ورغماً عن أن هذه الأخت الصغيرة كانت رقيقة ومطيعة ومحبة لأختها . ولما عاشت الطالبة التى أسند اليها دراسة هذه العائلة بين أفرادها سرعان ماا كتشفت سبب هذه القسوة من جانب الأخت الكبيرة إذ أن هذه العائلة لم تكن فى سعة من العيش لتسمح بوجود خادمة ، وكانت الأم تقوم بنفسها باعمال المنزل فلما ولدت « اما » وهى الطفلة الكبيرة زادت بطبيعة الحال أعمال الأم المنزلية فلم تجد فرصة للاعتناء بالطفلة كما يجب فلما كبرت الطفلة قليلا اشركتها أمها فى أعمالها المنزلية إلى حد الارهاق وحرمت عليها اللعب وهى لاتزال فى طور الطفولة أما أختها الصغيرة فقد سمح لها بان تظل طفلة تلعب وتمرح كلما شاءت فكانت « اما » تحسد أختها على هذه النعمة وتتمنى لو استطاعت أن تكون مثلها وكانت الأم تجهل مايجول بعقل طفلتها هذه لانها كانت تعتقد أن الواجب الطبيعى هو أن تقوم « اما » ـ وهى لم تعد طفلة ـ باعمال المنزل وأن تترك للصغيرة وقتها تلهو فيه وتتمتع به كيف تشاء . لذلك كانت « اما » تنتظر الاوقات التى تجتمع فيها مع أختها فى النوم أو النزهة لتسيطر بدورها على مخلوق أضعف منها كما تسيطر عليها أمها ولتثأر لنفسها من أختها المسكينة

إذن فالطفل الأكبر سواء كان مسيطراً على اخوته أم مرهقا بكثرة مايطلب منه يكون فى العادة كثير الثقة بنفسه قادراً على مواجهة الحياة ومتاعبها بصبر وثبات

أما الطفل الثانى فانه يشعر على العموم بضعفه ازاء الطفل الاكبر ولذلك يحاول اظهار نفسه بشتى الوسائل فاذا لم يتسن له ابراز شخصيته والتفوق على من سبقه بالحسنات فانه قد يلجأ الى التفوق عليه بالسيئات . واحيانا تضطره المنافسة الى اختلاق اكاذيب على الاخ الاكبر للحط من شأنه وقد يرى طريق المنافسة شاقا فيعرض عنه ويخضع لاخيه الاكبر . ويبدأ يستشيره فى كل أمر خاص ناظراً اليه كأنه بطل من أبطال الحياة . وبذلك تضعف شخصية هذا الطفل ويصبح عاجزاً عن التفكير فى مسألته الخاصة بدون مساعد كما حدث مع طفل كان بينه وبين أخته الكبرى خمس سنين وقد تعود منذ صغره كثرة مساعدة أخته له حتى أنه لما كبر وذهب الى المدرسة كان اذا سألته المعلمة يوما لماذا لم يقم بواجبه المنزلى ؟ يقول « احسان ماكانتش فاضية علشان تخلينى اكتبه ! »

وان سئل عما إذا كان يرغب مثلا فى شراء شيء يقول « اما أسأل احسان » ! ! وهكذا كان الطفل عاجزا عن تدبير أموره بنفسه ، وتلاشت شخصيته فى شخصية احسان ، فكانت هى كل شيء

والطفل الذي يقاسى حقا فى ابراز شخصيته هو الطفل الصغير ، وخصوصا إذا كان فى عائلة كبيرة ، فانه يرى نفسه أقل قيمة من الباقين بالنسبة لحجمه وحجمهم ، وعقله وعقلهم ، ومعلوماته ومعلوماتهم ، وتزداد الحال سوءا فى عائلات كثيرة بأن يرغم الطفل على أن ينادي كل اخوته « بابيه » فلان و « أبلا » فلانة ، وهذا المركز المؤلم هو الذى يدفع الطفل الصغير إلى الجهاد المتواصل ليثبت انه ليس أقل من اخوته فى شيء ، وكثيرا مايتفوق الطفل فعلا بسبب جهاده، ويكون الأصغر ذا شهرة عالية فى التفوق ، كما يبدو جليا فى حكايات الاطفال لدى مختلف الأمم . السنا نسمع فى حكاياتنا القومية المعروفة أن الشاطر حسن والشاطر على والشاطر محمد — (وهو أصغرهم) — قد خرجوا من منزل أبيهم ليكتسبوا رزقهم ، فوجدوا ثلاثة طرق متفرقة ، طريق (سكة) السلامة وطريق الندامة ، وطريق « اللى يروح ما يرجعش » فوقفوا أمامها مفكرين واختار الشاطران الكبيران الطريق الأقل ضررا ، بينما أصر الشاطر « الصغير » على اختيار « سكة اللى يروح مايرجعش » ، لأنه البطل الذى لا يهاب شيئا ، فهو يذهب بكل ثبات وعزيمة إلى حيث يقاتل الوحوش ، ويتصادم مع الغيلان والشياطين ، ثم يعود بعد ذلك مكللا فائزا منصورا ! !!؟

وغير هذه من الروايات والأقاصيص كثير ومع كل فهذه الروايات وتلك الأقاصيص لم توضع لاثبات حقيقة موجودة فحسب بل لتأخذ أيضا بيد الطفل وتثبت أن الصغر لا يمنع قط من التفوق وبذلك تقضى عنده على عقدة الشعور

على أنه لا ينبغى أن يفهم من هذا أن كل طفل صغير يتفوق حتما على اخوته ، اذ قد يحدث أحيانا — كما اشرنا إلى ذلك من قبل — أن يجد الطفل المنافسة شاقة فيعرض عنها ويقنع بعيشته كما هى ، ويزداد شعوره بالنقص فيصبح خجولا وقد يتجنب الناس ويميل إلى الانزواء عنهم

* * *

وهناك نوع آخر من الأطفال يعتبر مشكلا لصعوبة تربيته . ونعنى به الطفل الوحيد ، لانه ان كان الآباء قد أثبتوا بعض الضعف فى تربية أطفالهم ، فانهم قد أثبتوا كل الضعف فى تربية طفلهم الوحيد !! ؟ ذلك انهم ينشئونه عادة مدللا إلى أبعد حد ، معتادا أن يأمر فيطاع ويطلب فيجاب وقد تحلف الام بحياته بمناسبة وبغير مناسبة ، فيشعر هو بأهميته العظمى ، ويتمرد على الكبار ويطلب السيطرة والنفوذ أينما ذهب ، وقد تخشى الام على حياته « الغالية » من اشتراكه مع الاطفال فى لعبهم ، فتنهاه عن ذلك ، وتبعده عن عشرة من هم فى سنه ، فينشأ مغرورا بنفسه

عاجزاً عن سياسة رئيسه أو مرءوسه ، يظلم ويتجبر إذا رأس فيكرهه الناس ، أو لايمتثل للأوامر ويحتقر عمله إذا كان مرءوسا فيجلب على نفسه الطامة الكبرى.

ويماثل هذا النوع من الاطفال نوع آخر كثير الانتشار ، وخصوصا فى البيئة المصرية ، ذلك هو الولد الوحيد بين شرذمة من البنات . إذ لا يخفى على احد الاهتمام الكبير الذي يظهره الاهل بالمولود الذكر ، والحزن الشديد الذى ينتابهم إذا كان المولود أنثى ، وكأنهم يريدون أن تمتلىء الارض بالرجال دون النساء !!! ، فالولد الوحيد بين عدة بنات يعامل معاملة خاصة كلها تكريم واعزاز يليقان بمقامه السامى ، ولذلك يشعر البنات أزاءه بضعفهن ، وبضآلة قيمتهن . فيحقدن عليه ، وقد يمتد فيهن هذا الحقد الى الرجال عامة ، فيملن الى الثأر منهم اذا حانت لهن الفرصة . وهناك مثال لنتيجة سوء معاملة البنات بالنسبة لمعاملة الولد وهذا المثال لسيدة كانت تحب السيطرة على زوجها إلى درجة لا تسمح له فيها بالبت فى أموره الخاصة دون أن يستأذنها.

وقد بالغت فى هذه المعاملة حتى كانت تحزن حزنا شديدا إذا خالفها زوجها فى أمر ما ، ولذلك تفاقم الحال حتى ساءت حالتها العصبية فلم تر بدأ من استشارة عالم نفسانى سألها عن ماضى حياتها فأجابت بأنها كانت محبوبة فى صغرها حتى ولد لها أخ اغتصب حب أبويها منها . وسلبها معاملاتها الحسنة السابقة لها . ولما طلب منها العالم النفسانى أن تروى شيئا من أحلامها — كما هى العادة المتبعة فى التحليل النفسانى — ذكرت انها رأت نفسها فى آخر حلم تذكره . تكلم زوجها فلما اقتربت منه وجدته سيدة ! ! — والاحلام فى هذه الحالة وما يماثلها تحل للفاحص جزءا كبيرا من مشكلته لان الانسان يتخلص من سيطرة العقل الواعى ، فيظهر « العقل الباطن » مافى النفس من رغبات مكبوتة وأسرار مدفونة وظاهر ان هذه السيدة كانت فى الواقع ضحية لمعاملة أبويها . فراحت تتمرد على الرجال وتتمنى ازالة الفوارق بينها وبينهم فجاء حلما محققا لأمنيتها . ! !

والآن ماهى نتيجة مثل هذا التفضيل على الولد نفسه ؟ ؟ ينشأ هذا الولد فى العادة مغرورا ممتلىء العقل بشتى الخرافات عن أهمية الرجال فى الحياة وفضلهم على المجتمع . وتصبح المرأة فى نظره مخلوقة ضعيفة محتقرة لاشأن لها ولا قيمة

وهذا الصنف من الرجال منتشر بين المصريين للأسف انتشارا كبيرا . لذلك ما أحوجنا الى أم تقدر تماما ما تجره على بنات جنسها بهذا التفضيل الواهى الاساس فتعلم ابنها قيمة المرأة فى الحياة وشأنها الهام فى المجتمع . والا فمن تطلب المرأة المساواة وهى نفسها تؤثر الولد على البنت ؟؟ وكيف تطلب من الرجل انصافها وهى تعجز عن انصاف نفسها ؟ ؟

* * *

ذكرت شيئا عن سبب اختلاف معاملة الاباء لأطفالهم . وبقى أن أذكر تأثير الغيرة التى يشعر بها الطفل الصغير من الطفل المولود حديثا . يظن بعض الاباء أن مجرد الحكم على الصغير بتقبيل المولود يكفى لان يقضى على الشعور بالغيرة . ولكن هذا خطأ لاريب فيه . اذ قد يقبل الطفل المولود ارضاء لابويه . ودون أن يشعر فى نفسه بدافع لهذا التقبيل . وقد سئلت طفلة مرة هل تحب أخاها المولود فقالت « لا » وهنا سئلت « امال بتبوسه ليه ؟ ؟ »

فاجابت « أنا بس أبوسه لما تكون ماما واقفة ، ولما ماتكونش واخده بالها أعمل نفسى ببوسه وأعضه »

فهل معنى هذا أن الغيرة لابد منها وأن تكوين الحب بين طفلين مستحيل ؟ الجواب أن هذه المسألة تحتاج الى دقة وتتوقف على شيئين أولا طريقة معاملة الطفل الاكبر قبل حضور المولود الجديد . وثانيا معاملة المولود الجديد منذ أول ساعة فى حياته . ففى حالة الطفل الاكبر يجب أن يراعى ألا يخدم بدون سبب والا يكون مرآة للزائرين واذا مرض فلا ضرورة للخوف الزائد على صحته أو على الاقل لاضرورة لاشعاره بذلك الخوف . والواجب هو أن يشعر الطفل منذ بدء حياته باستقلاله الشخصى حتى لايكون دائما شاغلا لامه وأبيه والخدم جميعا . أو من الطبيعى أن الطفل الذى يتعود كثرة العناية سرعان مايشعر بالاهمال عند وجود شيء آخر . أما معاملة الطفل المولود كما ينبغى فهى فى الواقع أصعب من معاملة الطفل الكبير نظرا لضرورة وجوده دائما مع أمه لمدة أسبوع على أقل تقدير ولكثرة حمل الام له بعد ذلك اذ هذا مما يثير غيرة الاخ الاكبر وحقده

ولقد تغلبت الام الانجليزية على هذه الصعوبة الى حد كبير لانها تبقى هناك فى مستشفى خاص بالولادة حتى تستعيد قوتها ، وبذلك لايراها الطفل الاكبر وكل مانعلمه عنها أنها بالمستشفى لمرضها وفى أثناء وجودها هناك يرشدها المربيات الى كيفيه العناية بطفلها . وأهم مافى ارشاداتهن عدم حمل الطفل إلا فى اوقات الرضاعة . وبذلك تعود الام الى المنزل فتضع طفلها الجديد فى سريره الصغير وتقفل عليه الحجرة وتتركه وحيداً ولاتسمح لنفسها أو لاى انسان بالدخول عليه الا فى أوقات الرضاعة . وهكذا تستطيع ادارة المنزل . والعودة الى الطريقة التى كانت تتبعها مع ابنها الاكبر قبل الولادة بما فيها من عناية وبذلك ينتفع الطفلان معا . فالقديم لايشعر باهماله والجديد لايفقد صحته بكثرة الحمل ولاتجهد أعصابه بالضوضاء حوله ، بل يتعود وينشأ على الهدوء والسكينة منذ أول ساعة فى حياته ، بينما لايتسرب الى أخيه الاكبر أى داع للغيرة منه أو الحقد عليه

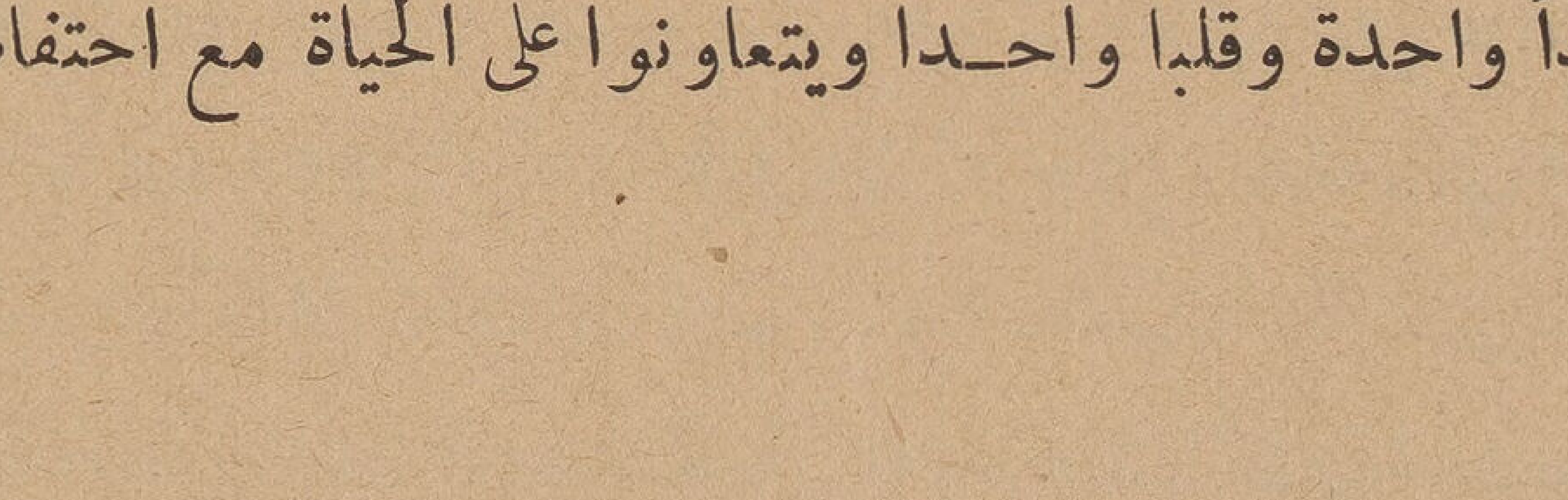
أما فى مصر فالحال على نقيض ذلك تماما اذ أن حياة الطفل الاكبر عند مايولد له أخ أو أخت صغيرة تصبح سيئة للغاية بسبب اهمال أمه له وتفرغها التام للمولود الجديد . ومما يزيد الامر سوء

أن عاداتنا تقضى بان يكثر تردد الزائرات من الاقارب والجيران وجيران الجيران على الام بعد الوضع للاطمئنان على صحتها كما يقولون ولرؤية المولود ومعرفة جنسه وشكله ولونه كما هو الواقع مما يعنيهم أولا يعنيهم وطبعا تقدم الام طفلها الى كل زائرة لتحمله بين ذراعيها وتناجيه والا اعتبرت مقصرة فى واجبها نحو الزائرة

وينتج من كل هذه الضجة حول الطفل أن يتعود الحمل والضوضاء فتضطر الام الى ملازمته باستمرار ويرى الطفل الاكبر أن هذا الصغير قد شغل كل وقتها فيشعر بالغيرة ويتمرد وقد يبدأ فى اتيان أشياء تافهة كأن يصرخ ويبكى كالصغير لسبب واه ، وكلما رأى هذه أن العوارض تستدر عطف أمه غالى فيها فيدعى المرض مثلا حتى يصبح ادعاء المرض عنده عادة وقد تتلف صحته فعلا نتيجة لاستعمال الادوية اذا لم تلحظ الام من المبدأ أن المرض نفسانى وليس جسمانيا كما يدعى الطفل

هذا هو تأثير عاداتنا المصرية على الطفل !! وهو تأثير سىء كما نرى ، وأرى أن اتقاءه يمكن اذا وضعت الام المولود فى سريره الخاص من البداية لأن ذلك يهون ولاشك كثيراً من الصعاب فمثلا لايراها الابن الاكبر دائما ملازمة للمولود الصغير ويمكن من جهة أخرى صنع سرير المولود الخاص بحيث يسمح بظهور الطفل للزائر بسهولة ويحمل الزائرات على التنازل عن حمله مادام يتيسر لهن رؤيته والحكم على طوله وعرضه وعينيه وحاجبيه وفمه وأنفه دون ازعاجه بكثرة اللمس

هذا هو موجز مركز الطفل بين اخوته والعوامل التى تؤثر عليه وقد تبين من هذا أن موقف الاخوة من بعض يحتاج الى خبرة وتعقل كيما يضمن الاباء وجود صلة محبة متينة بين الاخوة تؤهلهم لان يقفوا يداً واحدة وقلبا واحدا ويتعاونوا على الحياة مع احتفاظ كل منهم بشخصيته



المجلة الجديدة

رحيم

يونية ١٩٣٦

الثمن ٣ قروش

هذا العدد ١١٢ صفحة

اقرأ فى هذا العدد

مطبعة المجلة الجديدة

يونيه سنة ١٩٣٦

المجلة الجديدة مايو ١٩٣٦

١ ـ الاشتراك فى المجلة الجديدة الشهرية في مصر والسودان لمدة عام هو ٤٠ قرشا و ٢٠ قرشا لستة أشهر ، وفى الخارج ٥٥ قرشا فى العام

٢ ـ الاشتراك فى المجلة الجديدة الاسبوعية فى مصر والسودان هو ٢٥ قرشا فى العام و ١٣ قرشا لستة اشهر . وفى الخارج ٥٠ قرشا فى العام و ٢٥ قرشا لستة اشهر

٣ ـ الاشتراك فى المجلة الجديدة (الشهرية والاسبوعية) فى مصر والسودان هو ٦٠ قرشا فى العام و ٣٠ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج مائة قرش فى العام و ٥٠ قرشا لستة أشهر

تصدر المجلة الجديدة ١٢ عددا سنويا

وتهدي الي قرائها كتابين كبيرين

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين بمصر)



صاحب الدولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية والصحة



صاحب المعالى مكرم عبيد باشا وزير المالية





صاحب المعالي على زكى العرابى باشا وزير المعارف



صاحب المعالى أحمد حمدي
سيف النصر باشا وزير الزراعة



الى اليسار

صاحب المعالى عبد السلام

فهمى جمعة باشا وزير التجارة والصناعة



الى اليمين

صاحب المعالى محمود غالب

باشا وزير الحقانية



صاحب المعالى واصف غالى باشا وزير الخارجية



الشاعر حافظ ابراهيم

وقد عزمت الوزارة على جمع مخلفاته الادبية وحفظها اعترافا
بفضله فى الحركة الوطنية التى كثيرا ما ارصد لها ذهنه وشعره

صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السادس

المجلة الجديدة

العدد السادس
من
السنة الخامسة

يونيه سنة ١٩٣٦

سير الحوادث

ابتهج الشعب بعودة الوزارة الدستورية ابتهاجا عاما بعد ست سنوات قضاها تحت حكم المستبدين وفى هذه السنوات الست فسد كثير من الادارة والتعليم وبعثرت أموال الأمة فى بناء مفوضيات أو تأثيثها واختراع أبواب للانفاق تفوق حدود التصديق . ورجال الوفد الذين يديرون الآن شئون الدولة سيحتاجون إلى مجهود كبير لا لتنظيف الادارة وغير الادارة من الاقذار المختلفة من حكم المستبدين بل هم سيبذلون مجهوداً آخر لتربية الموظفين من جديد على خدمة الأمة وعلى انهم هم الخدم والأمة هى السيدة . وهؤلاء الموظفون قد تعلموا عكس ذلك طول مدة الوزارة فى عهد اسماعيل صدقى باشا . وسيحتاجون إلى أن يضعوا تقاليد جديدة بل إلى غرس مزاج جديد فى رجال الادارة

ونحن نغش أنفسنا إذا كنا نظن ان كل ذلك الفساد الذى سرى فى الحكومة كان مرجعه إلى اسماعيل صدقى باشا وحده . فان له شركاء كانوا يتفقون معه فى أن الأمة يجب أن تحكم بالسيف والنار وانها عاجزة عن حكم نفسها وانه خير أن ينفق مليون جنيه على انشاء المفوضيات من أن ينفق الف جنيه على التعليم . وان المأمور الذى يستبد ويضع العصا فى الدبر للتعذيب والاهانة لايستحق اللوم العظيم وان رجل الادارة له الحق فى ضرب الرصاص وفى شتم الزعماء . وهذا المزاج الذى يقوم عليه هذا التفكير هو نفسه الذى يدعو إلى انشاء مدرسة لأبناء الأغنياء أو الى انشاء المجمع اللغوى أو غير ذلك من منشآت الأبهة التى ينفق عليها من أموال الدولة

الفلاحون

وقد سارعت الوزارة إلى التخفيف من اعباء الفلاحين بالغاء ضريبة الخفر . وهى الضريبة التى

كانت مثارا للخلاف بين الفلاحين وسببا للانتقام منهم . كما ألغت أيضا السخرة وهى العار الذي بقى الى أيامنا من عصر الأتراك . وكان المستبدون يطربون لبقائه وربما يرجون التوسع فيه . وقد وعدت الوزارة باعادة النظر فى الديون العقارية التى لا يزال المزارعون عاجزين عن سدادها كما انها ستخفض سعر الفائدة للديون عامة . وهـذا كله يتفق وما ينتظره الجمهور من رجال الوفد الذين أثبت الاختبار انهم أخلص السياسيين نية فى خدمة الوطن وأثبتهم على المبادىء السامية التى يدعون اليها والوفد هو فى الحقيقة حزب الفلاحين . ولذلك نعتقد ان هؤلاء محقون فيما ينتظرونه من خير على يد الوزارة الحاضرة . ونظن انه بدلا من انشاء القري الانموذجية يمكن الوزارة أن تخفض الضرائب إلى النصف حتى تترقى حال الفلاحين الاقتصادية ثم يتبع ذلك ترقيتهم الاجتماعية . ويمكن سن قوانين يجبر بها كل مالك على أن يبنى منازل صحية للعمال الذين يعملون فى زراعته . وهو بالطبع عاجز الآن عن ذلك لتراكم الديون عليه بعد ست سنوات من الارهاق الذى لا تخالطه رحمة فاذا أعفى من نصف الضرائب جاز للحكومة أن تطالبه ببناء منازل حسنة لعماله

غرس الديمقراطية

والوفد هيئة ديمقراطية . ومن حقه بل واجبه أن يغرس مبادىء الديمقراطية فى نفوس الشعب حتى يمنع المستبدين فى المستقبل من الوثوب إلى الحكم . ولهذا يجب ان يتعلم الجمهور طرق الحكم النيابى فى البرلمانات الصغيرة أى المجلس القروي والمجلس البلدى ومجلس المديرية . ويجب أيضا أن يكون العمدة منتخبا وأن يؤسس — على حساب الحكومة — منزل رسمى للعمدة فى كل قرية يكون نواة للحياة المدنية . كما يجب نشر الدعاية الديمقراطية فى كتب القراءة الابتدائية فى المدارس واستغلال الراديو والسينما لهذه الدعاية . ونظن أيضا ان من العدل أن تخفض المخصصات للأسرة المالكة إلى حد يتلاءم وموارد الدولة . وكذلك الحال فى المفوضيات وفى مرتبات الموظفين الكبار الذين يكادون يستهلكون نصف الميزانية . وهذه المرتبات الضخمة تغرى الموظف الكبير بالاستبداد . وقد رأينا فى سنة ١٩٣٠ أن اسماعيل صدقى باشا مع انه خفض المرتبات عامة قد زاد مرتبات رجال الادارة وأعلن للجمهور أن هذه ارادة الملك الراحل · وقد كان هؤلاء الرجال طوع ارادته فى تنفيذ خطط الاستبداد

ومما يساعد على تأييد الروح الديمقراطى أيضا أن نسلم بحقوق العمال . وقد أعلنت الوزارة انها ستعترف قريبا بالنقابات . والنقابة هى النواة لتنظيم العمال ولكل اصلاح اجتماعى

والوفد فى دعايته الديمقراطية انما يدعو للحرية والنظام والنور . وهو بذلك يكافح الظلام المظلمين ويمنع السفلة من أن يعلوا بأرذالهم على رجال الفضل والفضيلة

و

المعاهدة

نرجو أن يكون مايقال عن عقبات تثار بين المفاوضين لعقد معاهدة بيننا وبين بريطانيا غير صحيح . لانه إذا كانت المعاهدة ضروريه قبل ست أو عشر سنوات فهى الآن أكثر ضرورة عائة ضعف . وذلك للتوحش الذى رأيناه من الغزوة الايطالية للحبشة . بل هذه المعاهدة كان يجب أن تكون الرد العاجل الواضح لهذه الغزوة حتى يدرك المجانين فى رومة أن الامبراطورية الرومانية لن تعود بعد الفى سنة من وفاتها . وأن الدنيا عند العقلاء تسير الى الامام ولا تسير إلى الوراء الا عند المجانين

وهذه المعاهدة لاتضمن لنا الامان من غزوة ايطالية لانشك فى وقوعها أقل شك إذا نحن انفردنا بالاستقلال ولم نعتمد على قوة الاسطول البريطانى بل هى ايضا تكفل لنا السكينة واخضاع المستبدين داخل بلادنا . وبذلك نستطيع أن نرصد جهودنا للاصلاح الصحى والاجتماعى والاقتصادى ، هذا الاصلاح الذى تتمتع به جميع الامم الحية دوننا

اكتساح الحبشة

نجح الايطاليون فى اكتساح الحبشة بشيئين :

الأول : أنهم رشوا الرءوس بالذهب مع أنهم فى أشد الحاجة اليه فى ايطاليا وربما يؤدى خلو بنوكهم منه الى الافلاس القريب

والثانى : أنهم أطلقوا الغازات القاتلة على الاحباش مع أنهم ارتبطوا سنة ١٩٢٥ بمعاهدة تنص على ألا تستعمل الغازات فى الحروب

وهم الآن يجوبون أنحاء البلاد ولايجدون أية مقاومة من الاحباش . ولكنهم الآن أكثر هموما مما كانوا مدة القتال . فان العطل يزداد فى ايطاليا ولو عاد الجيش الذى انتهى من القتال لازداد العطل . وموسولينى يكابر فى الاثر السىء الذى أحدثته الجزاءات ولكن الارقام تكذبه . واذا استمرت هذه الجزاءات سنة أخرى لانتهت باحداث ثورة يكون فيها القضاء على جميع الذين اشتركوا فى إحداث هذه الحرب . وقد ربح الاشتراكيون والراديكاليون والشيوعيون الانتخابات فى فرنسا . وسيؤلف المسيو بلوم الوزارة الجديدة . وهو رجل مثقف لايعرف هذر البلاغة والفصاحة الذى يعرفه موسولينى ولذلك فانه سيثابر على الجزاءات وستكون فرنسا وبريطانيا على رأى واحد فى العصبة . وهو مقاطعة ايطاليا حتى تخضع للعصبة

وسيجتمع مجلس العصبة يوم ١٦ من هذا الشهر . ومن الآن نرى أن ايطاليا قد شرعت تحس بفداحة الكارثة التى ننتظرها . وسفيرها فى لندن يحاول مصالحة الانجليز فلا يجد غير الرد الجافى

ومن أضاحيك الايطاليين أنهم يحاولون طمأنينتنا نحن المصريين وأنهم لا يضمرون لنا شراً ولكن الدولة التى تنقض تعهداتها لعصبة الأمم وتنقض تعهداتها بشأن الحرب بالغازات لا يمكن أن تنتظر منا الغفلة والتصديق بوعودها

فلسطين

from Mukadima of Al Majala لسلامى موسى

توالت الاضطرابات فى فلسطين طول الشهر الماضى تقريباً . وهى قائمة على نفور العرب من الاستعمار الصهيونى هذا الاستعمار الذي يناقض الكرامة الوطنية كما يناقض روح العصر . وقد قتل الى الآن نحو خمسين وجرح نحو ٣٠٠ والعرب مصرون على استخلاص وطنهم من هذه الغزوة اليهودية . ولا يمكن العرب أن يتقيدوا بما يدعيه اليهود من وعد بلفور

بل نحن المصريين يجب أن نخشى هذا الاستعمار الصهيونى إذ ليس بعيداً أن يفيض على مصر بل لقد اشيع قبل سنوات أن اليهود ينوون شراء مزارع فى شمال الدلتا . وهذا ما يجب الاحتراس منه

ونحن نعتقد أن الحنكة البريطانية فى الاستعمار ستنتهى بالمندوب السامى فى فلسطين الى الوصول الى حل يرضى العرب ويصون كرامة استقلالهم . ومن المحال أن يطمئن العرب ويسكنوا الى هذا المد اليهودى الذى لا ينحسر

اللورد اللنبي

توفى فى الشهر الماضى اللورد اللنبي الذى كان مندوبا ساميا فى مصر الى سنة ١٩٢٥ . واليه يعزى الفضل سنة ١٩٢٢ فى اعلان استقلال مصر . فانه طلب من حكومته قبول هذا الاستقلال فلما وجد منها تلكؤا هدد بالاستقالة فنزلت الحكومة على رأيه لأنها حسبت أن مثل هذه الاستقالة سيعقبها جدال طويل جرىء فى البرلمان البريطانى

ومع أن اللنبي كان مارشالا وقد عاش طول عمره وهو يمارس الحرب فانه قبل وفاته بنحو أسبوعين التى خطبة فى جامعة ادنبرج حمل فيها على الوطنية وقال انها السبب للحروب وأن الخطة المثلى لكل انسان هى العالمية أى الايمان بالعالم دون الوطن

وهذا كثير من قائد عظيم من قواد العالم !

هموم الكنيسة القبطية

ليس الآن بين شباب الاقباط المستنيرين من لايعرف أن خمسمائة والف قبطى تركوا ديانتهم فى العام الماضى . وهو ينظر الى هذه الارقام بعين القلق لانها تعنى الانقراض . ويزيد هذا القلق بظروف أخرى ربما تكون المسألة الحبشية أقلها قيمة . فان هذا القطر العظيم كان منذ أكثر من ١٨٠٠ سنة تابعاً للكنيسة القبطية التى تمثل هناك بمطران قبطى يرأس الكنيسة الحبشية ولكن استيلاء أيطاليا على هذا القطر وضع هذه الرياسة الآن موضع الشك . وقد لا يطول الزمن حتى تتمكن روما من نشر سيادتها الدينية فوق سيادتها السياسية . ولكن هذه المسألة هى – كما قلنا – أقل المسائل الكنسية الماثلة قيمة . لان الاقباط الذين يجدون كنيستهم فى حال من التأخر لا يقف عند حد بل يستمر ويزداد لا يسعهم أن يفكروا كثيراً فى الحبشة وهم يجدون ان تأخر الكنيسة فى مصر يجب أن يستغرق كل تفكيرهم

والواقع أن هذا التأخر كبير . وقد أدى الي نفور الشبان بل أحيانا الشيوخ من الكنيسة . وهذا النفور لم ينشأ فجأة بحادث خاص بل نشأ بقوة التراكم . وقبل نحو ثلاثين سنة كانت العقدة البارزة بين الكنيسة ورجال الطائفة هى عقدة الاوقاف وهى لاتزال احدى العقد القائمة ولكنها ليست الاولى . فان الشباب القبطى يجد نفسه أزاء كنيسة قد انقطع فيها التجديد منذ القرن الرابع للميلاد وهو عند مايحضر للصلاة يسمع أسماء المطارنة والصالحين من هذا القرن وما سبقه ولا يسمع أسما واحداً بعده . كأن الكنيسة كانت ميتة مدة ١٥٠٠ سنة . ثم هذه الكنيسة نفسها على ما تملك من قوة مالية كبيرة تعتمد على المرسلين الامريكيين والفرنسيين لترجمة الانجيل والتواراة الى اللغه العربيه ولا تريد أن تنفق مليما واحدا من خزانتها على ترجمة تلائم الذوق المصري . وهذا الى أن القسيسين لايزالون يعينون من غير المتعلمين بلا امتحان . وأحيانا يجردون من رتبهم الدينية بلا محاكمة . ففى شبرا مثلا قسيس معروف هو الاب سرجيوس جرد من رتبته ثم أعيد إلى الكنيسة ثم جرد ثانية بلا محاكمة . وقبل أيام طلب ثمانية من الرهبان والقسيسين فى أحد الديورة انشاء مكتبة ومدرسة فوافق البطريرك على هذا الطلب وبعث بخطاب لرئيس الدير يزكية . ثم لم تمض ثلاثة أيام حتى جرد هؤلاء الثمانية من رتبتهم وجردوا بلا محاكمة أيضا . ومن المعروف أن البطريرك الحاضر قد عين لمنصبه السامى بطريقة لم تتبع من قبله فى تعيين البطريركين

ويذكر الشبان بل الشيوخ الاقباط هذه الشئون بالمضض . وأحيانا يدفعهم اليأس إلى أن يفوهوا بألفاظ قد تعود بالضرر على الوطن كله . وهم يتساءلون اذا كان الازهر يبعث برجاله إلى أوربا لكى يتعلموا فلماذا لاتبعث الكنيسة القبطية برجالها أيضا إلى أوربا ؟ بل لماذا لاتنظم الكنيسة بحيث يصبح من السهل تجديدها ودفعها إلى الأمام .

ثلاثة رجال وثلاثة مبادئ

لسلامة موسى

كاجاوا ومكافحة الفقر

تحدثت الصحف الامريكية كثيرا منذ أشهر عن رجل يابانى يعد من زعماء الاصلاح الاجتماعى فى اليابان . وهذا اليابانى يسمى كاجاوا . وهو مسيحى من أولئك المسيحيين الجدد فى اليابان وهم الذين تركوا إحدى الديانتين المعروفتين فى اليابان : البوذية أو الشنتوئية واعتنقوا الديانة المسيحية على أيدى المبشرين

ولهذا الزعيم آراء فى الديانة المسيحية لعلها تخالف فى كثير آراء المسيحيين فى العالم الغربى ولسنا هنا بصدد مناقشتها ولكننا نذكر فى هذه العجالة ترجمة هذا الرجل ونظرته الاصلاحية لليابان . فانه ولد قبل سبع وأربعين عاما من اب نبيل وأم سرية . والسرارى فى اليابان والصين كثيرات وهن يزاحمن الزوجات . وقد مات أبواه وهو طفل فكابد الفقر بل الحرمان احيانا . فانه يذكر عن طفولته أنه حين مات أبواه حمل الى زوجة أبيه فاستقبلته بقولها : أنت ابن عدوتى

وفى هذا الوسط نشأ كاجاوا وتعلم فى إحدى المدارس الاجنبية ثم رحل الى الولايات المتحدة حيث تخرج من جامعة برنستون . وقد كابد بعد ذلك من الفقر آلاما لاتزال آثارها واضحة فى جسمه . فانه كان يساكن الشحاذين واللصوص . وقد انتقلت اليه منهم عدوى السل فى صدره كما انتقل اليه مرض التراخوما فى عينه . وكاد المرض الاول يفقده حياته كما كاد المرض الثانى يفقده عينه . وقد اعتدى عليه أحد اللصوص الذين عاشروه فثرم أسنانه الامامية . وعجيب حقا أن يعيش انسان فى هذا الوسط ويخرج منه مع ذلك ليس سليم الاخلاق فقط بل ساميا مصلحا يثابر على البر

وتنحصر الاصلاحات التى دعا اليها كاجاوا فى رفع شأن العمال ومكافحة الفقر الذى يعم الطبقة الدنيا فى اليابان على الرغم من الثراء الفاحش الذى يتمتع به أصحاب المصانع . وكأن ذلك الفقر الذى رزىء به فى صباه جعله يعطف على جميع الفقراء . وهو كما كافحه فى صباه من أجل نفسه أصبح يكافحه فى رجولته من أجل الامة كلها

أما سبيل المكافحة فتكاد تنحصر فى إنشاء الجمعيات التعاونية . فانه رأى أن الفقر يمكن أن تخف لذعته اذا الغى التاجر الذي يتوسط بين المنتج والمستهلك لانه بتوسطه يجعل أثمان الحاجيات غالية فلا يحصل الفقير عليها . ولذلك أنشأ كاجاوا آلافا من الجمعيات التعاونية التى تشترى بضائعها رأسا من المصانع وتبيعها للعمال . والفرق أو الربح الذى كان يحصل عليه التاجر الوسيط يصبح بهذه الطريقة ربحا خالصا للعامل نفسه . وإنشاء جمعيات التعاون لايلقى معارضة من أحد لأن المصانع والحكومة تؤيدها . ويكفى القارىء أن يعرف أن كاجاوا بدير الآن فى اليابان نحو مائة مدرسة تعلم الفلاحين والعمال التعاون بانواعه المختلفة . وهناك جمعيات تعاونية بعضها قائم للبيع ، وبعض آخر لأقراض العمال حاجاتهم من المال وقت الضيق أو لغير ذلك من الاغراض ، وبعضها لتربية الدجاج وبعضها للنحالة وبعضها للخدمة الطبية وبعضها للصناعات اليدوية الخ

وقد اشترى كاجاوا فدانا واحداً أنشأ عليه عزبة تعاونية . وهو يقوم فى هذه العزبة باعمال كثيرة جدا تشبه ماسبق أن ذكرناه باسم الزراعة الدقية . وقد أنشئت العزبة بالبيض إذ فرض على كل عضو أن يرسل كل يوم أربع بيضات . وهذا هو المورد الذى اعتمد عليه كاجاوا فى نحو عشرين من الاعمال التعاونية التى يقوم بها فى هذه العزبة

وهو بالطبع ديمقراطى النزعة . وقد كافح كثيرا لانالة العمال حقوق الانتخاب كما أنه دعا إلى هدم الأحياء القديمة فى توكيو وغيرها من المدن الكبيرة وإقامة المبانى الجديدة فى مكانها . وقد اقتنعت الحكومة بفائدة هذه الدعوة وعملت بها فارصدت عشرين مليونين لهذا الهدم والبناء وطلبت من كاجاوا ان يشرف على العمل بمرتب قدره ١٨٠٠ جنيه فى العام . وقد قبل كاجاوا العمل ولكنه رفض المرتب لانه رجل يقنع بالقليل ويعيش فى كوخ وهو ساذج فى طعامه وشرابه . وهو هنا يشبه غاندى

وهو اكبر داعية للسلم فى اليابان . ومع أن للحزب الحربى سلطانا كبيرا على شؤون الدولة وله قوة الارهاب فانه يتوقى كاجاوا لأن لهذا سلطانا آخر على الجمهور . ولذلك لايفتأ كاجاوا يستنكر الخطط الحربية والدعوة الى التوسع الامبراطورى ولايبالى العسكريين

هذه هى حياة مصلح يابانى يحاول أن يغنى الفقراء ويرد عنهم عوادى الفقر . فلتكن لنا منه عبرة

هافلوك اليس والحرية الذهنية

قليل أولئك الأدباء الذين يجمعون بين العلم والأدب فلا يتطوح خيالهم إلى مايتجاوز الممكن وهم فى الوقت نفسه لايقتصرون على الواقع فتعمى عقولهم عن الرؤيا

ومن هؤلاء الأدباء العلماء هافلوك اليس الذى عاش عمرا طويلا رأى فيه من الهزائم والانتصارات ماقل أن يتفق مثله لأديب آخر . فقد مضى عليه اكثر من أربعين سنة وهو يؤلف فى موضوعات مختلفة ولكن مع الاخصاء فى موضوع واحد هو الثقافة الجنسية . فانه رأى قبل أن يرى غيره أن الموضوعات الجنسية يجب أن تدرس كما يدرس أى موضوع آخر وأن الحب بين الرجال والنساء يجب أن ينزع من أيدي الأدباء والهواة الذين يؤلفون عنه القصص الغرامية ويسلم لأيدى العلماء لكى يبرزوا حقائقه ويتساموا بها الى المكانة الانسانية التى تسامت اليها سائر العواطف أو معظمها

وقد حدث حوالي سنة ١٨٩٨ أن أخرج أحد الناشرين كتابا لهذا المؤلف هافلوك اليس فى لندن عن هذا الموضوع . وكان هو أول كاتب تناول الحب والغلمة والشذوذ الجنسى ومايتعلق بها بالشرح وأحيانا بالرسم . ومع أنه أديب موهوب بعيد عن الفظاظة والفجاجة فان النائب العام فى انجلترا طلب مصادرة الكتاب . ولما وقف الناشر أمام القاضى قال هذا له :

« انى أعتقد أنك طبعت ونشرت هذا الكتاب وأنت حسن النية تحسب أن مافيه من العلوم ولكنى أقول لك أنه ليس فيه غير القحة والعهر والدنس . وسأعفو عنك هذه المرة ولكن اذا عدت إلى تمثيل هذه الجريمة مرة أخرى فاننى لن أعفو عنك وستجد الغرامة الثقيلة والحبس الطويل »

وقد حدث هذا سنة ١٨٩٨ فى لندن ولم يكن المؤلف فى ذلك الوقت فى تلك المدينة . ولو كان لما نجا فى أغلب الظن من العقوبة . ولكن حدث بعد ٢٢ سنة تقريبا أى حوالى سنة ١٩٢٠ وفى مدينة أخرى هى نيويورك أن عرضت مثل هذه القضية على قاض . فان كتابا جديدا فى الثقافة الجنسية نشرته الدكتورة ماري ستوبس فى هذا الموضوع وطلب النائب العام مصادرته أيضا وقرأ القاضى الكتاب ثم قال فى المحكمة :

« إنى قرأت هذا الموضوع ، وإذا جاز لى أن أقيس ماورد فيه بالمقياس الذي أستنبطه من مؤلفات هافلوك اليس فانى أصرح بانى لا أجد فيه مايخالف الاخلاق الحسنة »

وهكذا أصبح هافلوس اليس بعد عشرين سنة من الحكم عليه بالقحة والعهر مقياسا يقيس به قاض آخر الاخلاق الفاضلة كأنه هو الدستور الذى يجب أن يدرس ويعرف لكى لايخطىء من يتولى النقد والعقاب من القضاة فضلا عن الجمهور

وهذه الحادثة وحدها تدلنا على أن الذهن البشرى أقدس شىء فى وجودنا هذا الارضى وليس فوقه شىء . وأن الاستبداد قد ينتهى بان تعيش العقول فى حجاب لاتعرف فيه حرية الذهن وابتكار التفكير

والآن هذه الثقافة الجنسية التى شتم من أجلها هافلوك اليس قبل نحو أربعين سنة فى قاعة المحكمة أصبحت من الضروريات فى التعليم وأصبحنا نرى فيها الموسوعات الضخمة . ويذكر الذين رأوا فلم الحياة الذى عرضته الجامعة الامريكية كيف أن هذه الثقافة تنير وتفتح الذهن وتسمو بالانسان

إنى أعرف أن هذه الثقافة قد أسىء اليها ببعض أطباء تجار فى مصر . ولكن يجب ألا يحكم عليها بمثل هذه المؤلفات الفجة . وسيأتى اليوم الذى يجد فيه شبابنا مثل هذه المؤلفات المنيرة التى ألفها هافلوك اليس لنشر النور والعرفان . فان الشاب المراهق كالزوج والاعزب والكهل يحتاجون جميعهم إلى التنوير فى هذا الموضوع حتى يعرفوا كيف يعالجون هذه الغريزة الجنسية

موسولينى ومذهب الحرب

يمثل موسولينى مجموعة من المبادىء أهمها الدعوة إلى الحرب فى عصر يطلب فيه الناس السلم . بل فى عصر أصبحت فيه الحرب ليست خطراً على الناس بافنائهم بل هى أيضا خطر على الحضارة القائمة . وهو لكى يصل إلى إيجاد جيل جديد يحب الحرب ويكره السلم يضع المدارس الايطالية فى قبضته وخاصة تلك المدارس الابتدائية حيث تنقش المبادىء الجديدة فى أذهان الصغار وتنمو معهم فتثمر الثمرة المطلوبة وهى الحرب

ونحن هنا نصف بعض الكتب التى يعلم فيها الصبيان مبادىء القراءة . وقد عنى موسولينى بهذه الكتب عناية كبيرة لأن جميع أبناء الامة من الجيل الجديد يدخلون المدارس ويقضون فيها ثلاث سنوات أو أربعا على الأقل قبل أن يتركوها

وقد ألفت ثلاثة كتب للقراءة . وهى تحتوى ٦: صفحة تتعلق بالنوادر الشخصية التى يلتذها الصبيان عن موسولينى و٢٦ صفحة عن المبادىء الفاشية و٩٠ صفحة عن الحروب ووصفها وغايتها واصلها وآلاتها وحياة الجندى فى الخنادق وعلى الطائرات وخلف المدافع . وفى هذه الكتب الثلاثة خمس صور للزعيم أى موسولينى و٣١ صورة تصف الشكة الفاشية المختلفة مع الرموز الفاشية و ٣٦ صورة للبنادق . وفى الكتاب الثالث ١١ خارطة لايطاليا وليس بينها خارطة واحدة للعالم كأن الاقطار الاجنبية ليست على الارض وكأن الدنيا كلها هى ايطاليا

والكتاب الأول يحتوى كلمات خفيفة قليلة الحروف ومع كل كلمة صورة ، وعلى الصبي الذى لايزيد عمره هنا على ٦ سنوات أو ٧ أن يكتب الكلمة التى تؤدى معنى العسكرى وأن يؤلف جملة تعنى أننا « كلنا عساكر صغار للزعيم » وفى هذا الكتاب صورة قد وقف فيها موسولينى وهو

يحمل طفلا وتحت الصورة هذه الكلمات « بنيتو موسوليني يحب الاطفال الصغار والاطفال يحبون الزعيم . ليحى الزعيم . سلام على الزعيم » وفى الصفحة المقابلة صلاة يقول فيها الصبي « الصبيان الايطاليون يرفعون أعينهم الى السماء كل يوم بالدعاء للزعيم »

أما الكتاب الثانى ففيه طائفة من النوادر عن موسوليني . وهنا فصل خلاصته أن الواجب الاول والثانى والثالث للصبي هو الطاعة

أما الكتاب الثالث فيحتوى ٧٢ صفحة عن الدين . والفاشية الايطالية تعنى كثيراً بالدين لأنه يحض على الطاعة . ويحتوى أيضا على ١١٦ صفحة فى الحساب والجغرافيا و٩٧ صفحة عن الحرب . وهنا ذكر لأبطال ايطاليا مثل ماتسيني وجاريبالدى ولكن مبادئهما الجمهورية والديموقراطية لاتذكر لأنها تناقض المبادىء الفاشية . ومما يحتويه هذا الكتاب خلاصة تاريخية للحرب الكبرى بها ٢٥ صفحة تصف ماقامت به ايطاليا أما سائر الامم التى اشتركت فى هذه الحرب فلا تنال اكثر من صفحة . وفى هذه الخلاصة هذه الجملة « فى سنة ١٩١٨ أجبرت ايطاليا النمسا على طلب الصلح ثم انتهت الحرب الكبرى » وهذه الجملة « فى هذه المدرسة مدرسة الشجاعة والنظام أثبت شعبنا أنه جدير بأسلافه الرومانيين الذين كانوا حكاما على العالم »

وهذه النظرة القصيرة للكتب الابتدائية التى تدرس للصغار تدل القارىء على أن موسوليني يستخدم التعليم للدعاية الفاشية وأنه يغرس فى صغار ايطاليا مذهب الحرب ليؤمنوا به كما يؤمن المتدين بدينه

ادولف هتلر والحكومة الالمانية

بقلم الكاتب الانجليزى جيمس مورفى

فى ٥ مارس من سنة ١٩٣٣ جرت الانتخابات العامة فى المانيا . فكانت نتيجتها احداث ثورة على النظم الدستورية فى شئون البلاد الداخلية وفى علاقاتها الخارجية . وبذلك اندمجت فى عالم الفناء الجمهورية الالمانية التى خرجت الى حيز الوجود منذ سقوط امبراطورية « هوهنزولرن » سنة ١٩١٨ وحلت محلها ما يسمونها الامبراطورية الثالثة بيد أنها امبراطورية بلا امبراطور وستبقى كذلك ماظلت القوات الثورية التى جاءت بها الى الوجود قديرة على الاشراف عليها وتولي شئونها

ولم يكن من معانى تلك الثورة اعادة الماضى الزائل الى نصابه القديم . اذ ليس فى برنامجها اعادة اسرة « هوهنزولرن » الى العرش

والرجل الذى نظم وقاد الحركة التى تولد عنها هذا الانقلاب السياسى هو جندى نمسوى سابق برتبة « كوربورال » اسمه « ادولف هتلر » . ولم يكتسب حق الرعوية الالمانية الا فى سنة ١٩٣٢ فقط . وبعد عام واحد اختير ليكون مستشاراً لالمانيا

وعند افتتاح الفصل البرلمانى الجديد صودق على لائحة باغلبية ٤٤١ صوتا ضد ٩٤ تمنح ذلك النمسوى السابق السلطة المطلقة لمدة اربع سنوات مقبلة . وبمقتضى هذه اللائحة يستطيع أن يغير ويبدل فى الدستور الالماني كما تشاء ارادته . اذ انها تنص صراحة على تمكينه من وضع والغاء القوانين من غير حاجة الى موافقة البرلمان . بل فى استطاعته تنفيذ الميزانية وعقد القروض والمعاهدات بدون استشارة هذا البرلمان

وبذلك أصبح هذا المستشار الديكتاتور مخولا سلطة تشريعية اوسع نطاقا بكثير عما كان يحلم بسمارك ان يكون له . بل أن نفوذه ابعد مدى من اى مناظر له من الديكتاتوريين العصريين حتى الايطالي منهم . ومن الواجب علينا أن لاننسى أنه بلغ هذه المكانه بطريقة دستورية محضة وانها لنتيجة جهاد عنيف دام أربعة عشر عاما فى حملات دستورية مابين صعود وهبوط . شرقا وغربا فى طول البلاد معرعرضها بنظام دقيق تحفه العناية . فمن نشرات وكراسات مطبوعة توزع

بالالوف بل بالملايين . وخطب متدفقة متواصلة فى اجتماعات سياسية ضخمة حاشدة . ممـا لم يشهد الالمانيون مثله من قبل

وكانت النتيجة الختامية لذلك كله هو حمـل الناخب على موافقته الحرة الرسميـة على تلك الحركة الثورية

وبعد الانتخابات العامة باسابيع ثلاثة صودق على القرار العام باعتماد الثورة المذكورة باغلبية ثلاثة أرباع الاعضاء البرلمانيين وبهذا اصبح « ادولف هتلر » مستشاراً وديكتاتورا فى آن واحد وهذا هو الذى جعل جهوده وحيدة فى بابها لامثيل لنتيجتها

وفى خلال التسعة الاشهر الاولى التى اعقبت توطيد الديكتاتورية على قواعد ثابتة صدرت سلسلة من الاجراءات التشريعية واخرجت الى حيز التنفيذ . فغيرت الجوهر الصميم فى كلتا الناحيتين الاجتماعية والسياسية من الحياة الالمانية

ومن المتعذر أن نوضح للقراء خارج المانيا ماذا حدث هناك اذ ليس لهم حنـكة الاستعداد العقلى الذى ظل سائدا المانيا نيفا ونصف قرن من السنين . بل فى الحقيقة منذ أن أصبحت فلسفة « هيجل » ذائعة هناك عامة

وبديهى أن مايسمي « الحـكومة الـكلية » فى المانيا ليس له أى معنى لدى الشعوب الاخرى على حين أن له فيها معنى دقيقا جدا . وهذا النوع من الحـكومات قائم هناك اليوم . والاكثر أهمية من مظاهره البارزة هو مايلى :

الحزب الوطنى الاشتراكى الذى أسسه وتولى زعامته « هتلر » نفسه لم يعد اليوم حزبا سياسيا ولـكنه انقلب فصار الحـكومة نفسها بعد القضاء على الحـكومة البرلمانية . وبعد أن أبيدت جميع الاحزاب السياسية من عالم الوجود . وذلك اما باـلالها او باندماجها فى الحـكومة الاشتراكية الوطنية . بل ان جميع الهيئات والجمعيات العامة التى كانت أغراضها السياسية غير مباشرة البتة قد تحولت الى هيئـات عضوية فى تلك الحـكومة الاجماليـة . وبذلك اختفى الحزب الديموقراطى الاشتراكى الشيوعي . ونقابات العمال المسيحية الاشتراكية . وحلت محلها هيئات أو فرق حكومية استولت على أموالها واصطبغت بعضويتها . وتقلدت اعنة ادارتها

وهكذا انشئت الهيئات والفرق تحت اشراف الحـكومة لـكل مهنة أو أى عمل بحيث لايستطيع فرد خاص أيا كان ان يزاول أى مهنة بدون تبعيته للغرفة الحـكومية الخاصة بها . وهذه الحـالة

تتشابه كل الشبه مع نظم الحكومة التعاونيه فى ايطاليا

حتى الآلة القومية للتجارة والصناعة قد وضعت تحت اشراف رقابة الحكومة . كما أن المؤسسات الادبية العامة والمنشئات الصحية العامة قد أصبحت فروعا حكومية ايضا

وأزيد من هذا أن المسارح ودور السينما ومعاهد الطباعة والصحافة قد جردت من جميع المواد التى تجعلها تتجه الى نزعات الاسفاف والانحطاط وطهرت من ادرانها جميع البؤر الخفية فى مختلف المدن . ووضعت انظمة للسياسة الصحية القومية سرعان ما نفذت وعمل بها حتى ان الرجال والنساء الالمانيين لايباح تناسل ذريتهم اذا استكشف ان ثمة نقصا وراثيا او محتملا أن يصبح موروثا فى الاشخاص الذين سيكونون مصدرا للتناسل

هذا عدا أن كثيرا من التقاليد والاوهام قد نبذت بعد أن لبثت مأخوذا بها ازمنة طويلة وعقدت حكومة هتلر اتفاقا وديا مع الكنيسة الكاثوليكية . ووافقت فيه ثانيتهما على أن تتنكب النشاط فى الميدان السياسى . وتمسكا بهذا التعهد انحل الحزب الكاثوليكى المركزى واندمج فى الحكومة الوطنيه الاشتراكية . وبهذا تلاشى عامل من أكثر العوامل السياسية البارزة اهمية فى الحياة الالمانية العامة منذ عهد بسمارك

وعلى أثر ذلك انقسمت الكنيسه البروتستانية فى المانيا الى نحو خمس وعشرين هيئة . وان كانت الآن قد اتحدت تحت نظام كنائسى واحد

هذه المعجزة معجزة التجمع الكلى العام للهيئات الالمانية على اختلافها قد أحدثها رجل واحد ومن عجب أنه تنبأ به وسبق فرسم خططه « ادولف هتلر » فى كتابه الذى وضعه لما أن كان نزيلا فى سجن المجرمين بمدينة « لاندسبرج » من أعمال بافاريا فى أثناء فصول الربيع والصيف والخريف من سنة ١٩٢٤

***

فمن هو « ادولف هتلر » هذا ؟ وكيف استطاع مزاولة مثل هذا العمل . واقتدر على ادراك ذلك الغرض ؟

وقبل كل شىء كيف تسنى لاجنبى من مملكة مجاورة ان يبرز الى هذه المكانة فجأة . وتصبح فى يده مقاليد الاشراف الاعلى على الشعب الالمانى العظيم . وثانيا كيف أتيح له أن يؤيده هذا الشعب تأييدا يلاصق جانبه ورهن ارادته ؟

ان هتلر لم يتسنم قبل ذلك أى منصب له أهمية عامة . اذ لم يصل الا الى رتبة « كوربورال » حين كان فى الجيش . بينما أن موسوليني قد رقى الى رتبة « سرجنت »

ولم يلتحق « هتلر » باية مدرسة ابتدائية . واذا كان قد نال حظ الالتحاق بها فانه لم يثابر علي دخولها يوميا بانتظام اذ كان وهوغلام مصابا بضعف فى رئتيه . وقضى والداه نحبهما حين كان فى السادسة عشر من عمره . وكان لزاما عليه ان يختار العيش لنفسه وهو في تلك السن . وهو اليوم فى الرابعة والاربعين من سنى حياته علي حين أنه أحد عظماء الحاكمين على شعب من أعظم شعوب العالم العصرية وبديهى أن نفوذه على الشئون العالمية من المحتمل كثيرا جدا أنه تكون له خطورته وأهميته في وقته !!

فكيف يمكن وصف هذه المعجزة البارزة بين تلك الاعمال وصفا ينم عن اقتدار وذكاء ؟؟

ان كثيرا من مراسلى الصحف الاجنبية والكتاب الاجانب الذين ينحصر واجبهم فى احاطة الرأى العام علما بما جريات الحوادث السياسية قد اساءوا الي هتلر بان لقبوه أحمق وانه سوقى من الدهماء . وليس ثمة ريب فى أن هذا القول منهم هراء وخرافه . فان التدابير والوسائل التى اتخذها فى غضون الاثنتى عشرة سنة من الحملات السياسية هى بكل وضوح وجلاء اكثر اقتدارا من تلك التى سلكها السياسيون القدماء . ولا جدال فى أن الحركة التى قادها « هتلر » قد تطابقت مع مطالب ومرامي الشعب وهى التى غفل عنها نظراؤه وتجاهلها منافسوه

والحقيقة التى أراها جيالى ناصعة هي أن « هتلر » أحد تلك المظاهر الطبيعية من صور القيادة الفطرية التى نجدها متوحدة التكوين فى رجال أمثال مصطفى كمال « الذي كان أبوه مثل والد هتلر موظفا صغيرا فى الجمرك » و « لينين » و « ستالين » و « موسولينى » و « مازاريك »

وهتلر مثل كل هؤلاء — منحدر من منبت متواضع . لقد كان والده موظفا فى الجمرك فى بلدة « براناو » القائمة علي الحدود النمسوية . وهي على بعد ثمانين ميلا فى الشمال الشرقى من « ميونيخ » على الضفة الثانية من وادى « اين »

فى هذه البلدة ولد « هتلر » سنة ١٨٨٩ . وهى صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها الثلاثة الآلاف نسمة وليست لها أية شهرة كمحطة للسكة الحديدية . ولم يكن هتلر الكبير مكلفا بواجبات شاقة يتجشم عناء تأديتها . وان كان قد تعود أن يتحدث عن نفسه بتضخيم وفخامة من ناحية عمله بصفته حارس الحدود فى أمبراطورية هابسبورغ . ولكن وا أسفاه تلك أيام مضت سريعة ولم يشعر بانقضائها أحد . ولم تبق منها إلا الذكرى !

لقد اعتاد حارس الجمارك النمسوية أن يحيي السائحين بجملته الرقيقة « جراس جوت » ثم يدعهم يمضون بعد ذلك . بل لقد كان يشق بكلمة أحدهم عن محتويات أمتعته . وكانت هذه هي نفس معاملته لمستوردى السلع التجارية . ولذلك ليس معقولا ان « هتلر » الصغير قد ورث غريزة الرغبة فى السيطرة والسيادة عن أبيه !

بيد ان الوالد كان على بعض مميزات من الواضح انها تجلت فى ولده . لقد كان محدثا كبيرا ورأسه محشوا بملاحظات ضخمة . وفضلا عن ذلك فقد كانت لديه فكرة معينة عن الاهمية العليا للحكومة . وان أعز رغباته مكانة فى نفسه هي أن يصبح ولده موظفا حكوميا كبيرا

ولكن « هتلر » الصغير لم يوافق البتة على الفكرة الاخيرة بل لقد كان مفطورا على اتجاه فنى فى ذهنه . ولهذا كان يريد أن يكون مهندسا معماريا

لقد كانت ألمانيا فى الناحية الاخري من الحدود . وطفق « هتلر » يحب الالمانيين أكثر من حبه لابناء وطنه وهو لا يزال فى سن مبكرة من الحداثة . وقد بهرته أزياء البافاريين الرسمية فى زرقة السماء . وكان يلوح له ان المظهر العام للموظفين الالمانيين يدل على الاقتدار العظيم أكثر منه فى النمسويين اللينين البسطاء . ومما حدثنا به « هتلر » فى كتابه الذى وضعه بعنوان « نضالى » نعلم أنه كان فى حداثته على تأثر عظيم بكل ما يحيط به وأزيد من هذا انه كان يريد أن يكون فى مكانته أسمي على كل من حواليه . ولذلك تعود أن يمارس لعبه كأبن ألمانى . ولعل شطر من ذلك ترجع أسبابه إلى أنه هو نفسه لم يكن كله نمسوى الدم . فقد كانت والدته من « بوهيميا » وكان أهالى بوهيميا منظورا اليهم بأنهم ليسوا خلصاء الدم النمسوى فى تلك الايام الماضية المنصرمة أيام الامبراطور « فرانسيز جوزيف » . ولقد كانت المناقشات لانهاية لها فى تلك البلاد النمسوية الالمانية الواقعة على الحدود بين المملكتين . وكلها مناقشات تدور حول مميزات الامبراطوريتين « هو هنزولرن » و « هابسبرج »

ولقد صار « هتلر » الصغير ألمانيا فى كل شيء لانه ظن أن بذلك تسمو بمكانته على كل من حواليه وفى سن الثانية عشرة ألحق بالمدرسة الابتدائية فى لينز وهى مدينة كبيرة على نهر الدانوب بل ثالثة المدن فى النمسا من حيث الضخامة والعظمة بيد ان هتلر الصغير لم يكن على شغف كبير بالمدرسة فلم يثابر على منهج الدراسة باجتهاد وعكف على التصوير ومطالعة التاريخ بينما والده كان يعارضه فى ميله الى كلا العلمين . فلم يكترث أدولف بهذه المعارضة ومضى فى طريقه لا يلوى على شيء

وكان فى مدرسة « ليتز » مدرس للتاريخ هو الاستاذ « بيوتشيخ » وهو شديد التعصب لالمانيا والالمانيين الى الدرجة القصوى . فلقن هتلر الصغير تاريخ « الاسكندر الاكبر » و « سيبيو افريكانوس » و « شارلمان » و « فريدريك الكبير » ومن ثمة أصبح عابدا للبطولة . وكان جميع أبطاله قائمين على ميدان ألماني . وشهد بعد ذلك تمثيل رواية « وليم تل » على المسرح المحلى الذي كان ينفث سحره الوطنى بروح حارة

وأصبح هتلر بعد ذلك عابدا لانصاف الآلهة الالمانيين فى الدرامات الموسيقية التى وضعها « ريشارد وفاجنر »

وفجأة أصابت أسرته الصغيرة ضربة قاسية . فقد مات والد أدولف وبعد أزيد من عام بقليل رقدت والدته إلى جانب أبيه فى قبر واحد ولم يكن « هتلر » الصغير قد بلغ السادسة عشر من عمره . ولم تكن ثمة مندوحة عن بيع قطعه الارض الصغيرة التى كانت تمتلكها أسرة هتلر للوفاء ببعض الديون الصغيرة على الاسرة ولتسديد نفقات جنازة والدته

ومن بقايا ممتلكات الاسرة الضئيلة استطاع « أدولف » أن يستخلص لنفسه بضعة جنيهات قليلة وبهذا المبلغ الزهيد فى جيبه — وليس مايقيه التضور جوعا غيره — وصل الى فينا عاصمة النمسا فى ذلك الوقت كان حكم « هابسبورج » لايزال فى عنفوان مجده وكانت فينا فى كثير من نواحيها أكثر العواصم الاوربية مرحا وأشدها حرية ولم يكن النمسويون ينوءون تحت عبء الاحساس بمصير العالم — ذلك الشعور الذى ثقل بوطأته على الالمانيين . اذ كان الاولون على خلق جديد دمثى الطباع ينطبق عليهم وصف « الجنتلمان » وكل مايريدون هو أن يحيوا حياتهم الخاصه . ويدعون غيرهم يفعل مثل ذلك . وان كان لديهم مايشغلهم من شئونهم الدولية أو سيادتهم القوميه فهم يتحدثون عنه فى هدوء . ولايصيحون به من أعلي أسطح منازلهم ولكن اذاحدثت مصادفة من الظروف ليظهروا فيها شعورهم من هذه الناحية فانهم كانوا يظهرون عادة ضد البروسيين الذين كانوا يعتقدون انهم سيغمرون العالم فى لجج من المتاعب يوما ما

كل هذه العوامل زادت من حدة المعارضه فى روح المشايع لكل ماهو ألمانى ونجل جامع الضرائب فى « براناو » — ذلك هو « أدولف هتلر » فى صباه . والذى أحدث كل ما أسلفنا من معجزات الحوادث اليوم فى ألمانيا

من الانجليزية ترجمة عبد الحميد جلال



عصر السعادة		للرسام نارا

تخيل الرسام هنا عصرا سعيدا تعيش فيه الكائنات المتعادية وهى متحابة . وقد رسم اسدا وحملا وفتاة . وهم جميعهم فى سلام ووئام ليس بينهم من يخاف أو يخيف ! وحبذا الخيال لولا بعده عن الحقيقة !



يفعل ذلك وعمره سنة ونصف فقط

فى الولايات المتحدة توأمان أحدهما ترك لـكى يربي بالطرق المألوفة . والآخر سلم للدكتورة مرتل مجرو فشرعت فى تربيته منذ أن كان عمره عشرين يوما . ويرى هنا هذا التوأم الثانى مع الدكتورة مربيته وعمره ١٨ شهرا فقط . وهو يمكنه أن يعوم ويغوص فى الماء ويتسلق هذا المنحنى الاملس كما يتسلق الاشجار ويتزحلق على الثلج . أما أخوه فلا يستطيع شيئا من ذلك . وهـذا يدل على مقدار ماتفعله التربية المنظمة اذا شرع فيها منذ الطفولة



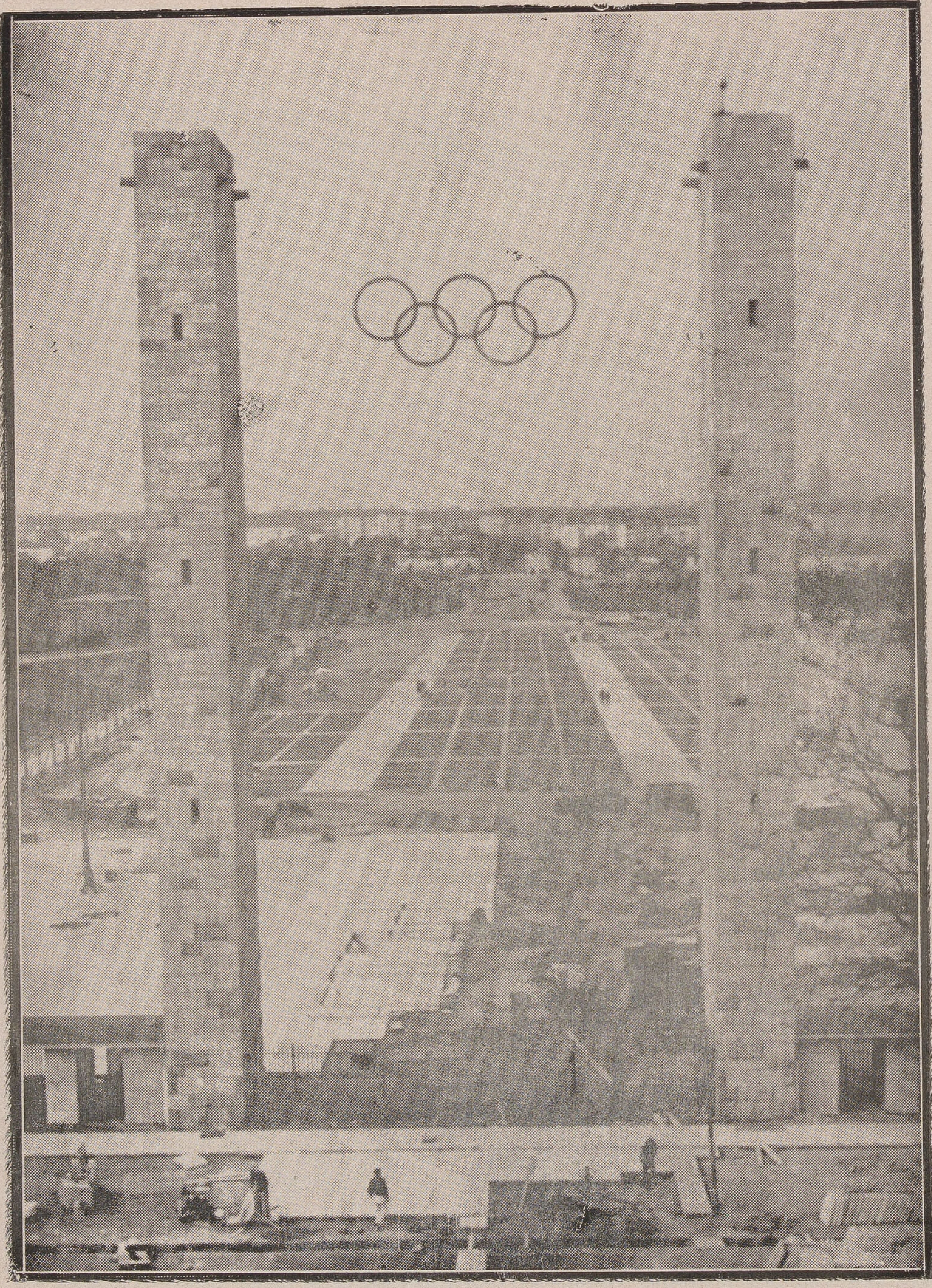
ولى عهد المانيا

مع أن المانيا بعيدة كل البعد عن استعادة حكم العرش وآل هوهنزلرن فان الالمان لايزالون يكنون فى نفوسهم الاحترام والاجلال لاعضاء الاسرة التى تولت الحكم فى بلادهم قرونا عدة .
وترى هنا صورة ولى العهد فيلهلم ابن الامبراطور السابق باليسار وهو يحادث الامير يوجين شفيدن ولى عهد اسوج



روبرت اوين   داعية التعاون

تنتشر حركة التعاون فى مصر انتشارا سريعا وهى تجد من الحكومة تأييدا قويا . ويشرف على هذه الحركة الدكتور ابراهيم رشاد . والمقصود من هذه الحركة أن يصل المستهلك الى المنتج فيقتصد الاثنان ربح التاجر الذى يأخذ من الاثنين . ومخترع هذه الحركة هو روبرت اوين الاقتصادى الانجليزى الذى ولد سنة ١٧٧١ وتوفى سنة ١٨٥٦ وهو الذى وضع لفظة سوشيالزم الانجليزية التى نترجمها ترجمة سيئة بلفظة الاشتراكية . وقد قام بعدة محاولات فى انجلترا والولايات لاسعاد العمال والتدرج بهم الى أن يصبحوا المالكين للمصانع والمشرفين عليها . وقد خاب في محاولاته . ولكنه نجح فى فكرة التعاون التى انتشرت بعد وفاته ولا تزال في انتشار وازدياد الى أيامنا . وقد كان الاقتصادى المعروف جيرمى بنتام يشترك معه فى كثير من المحاولات الاجتماعية التى قصد بها الى اسعاد العمال



البوابة العظيمة التى اقامها الالمان على مدخل الاستاذ للالعاب الاولمبية التى تبدأ منذ أول أغسطس الى ١٦ منه هذا العام



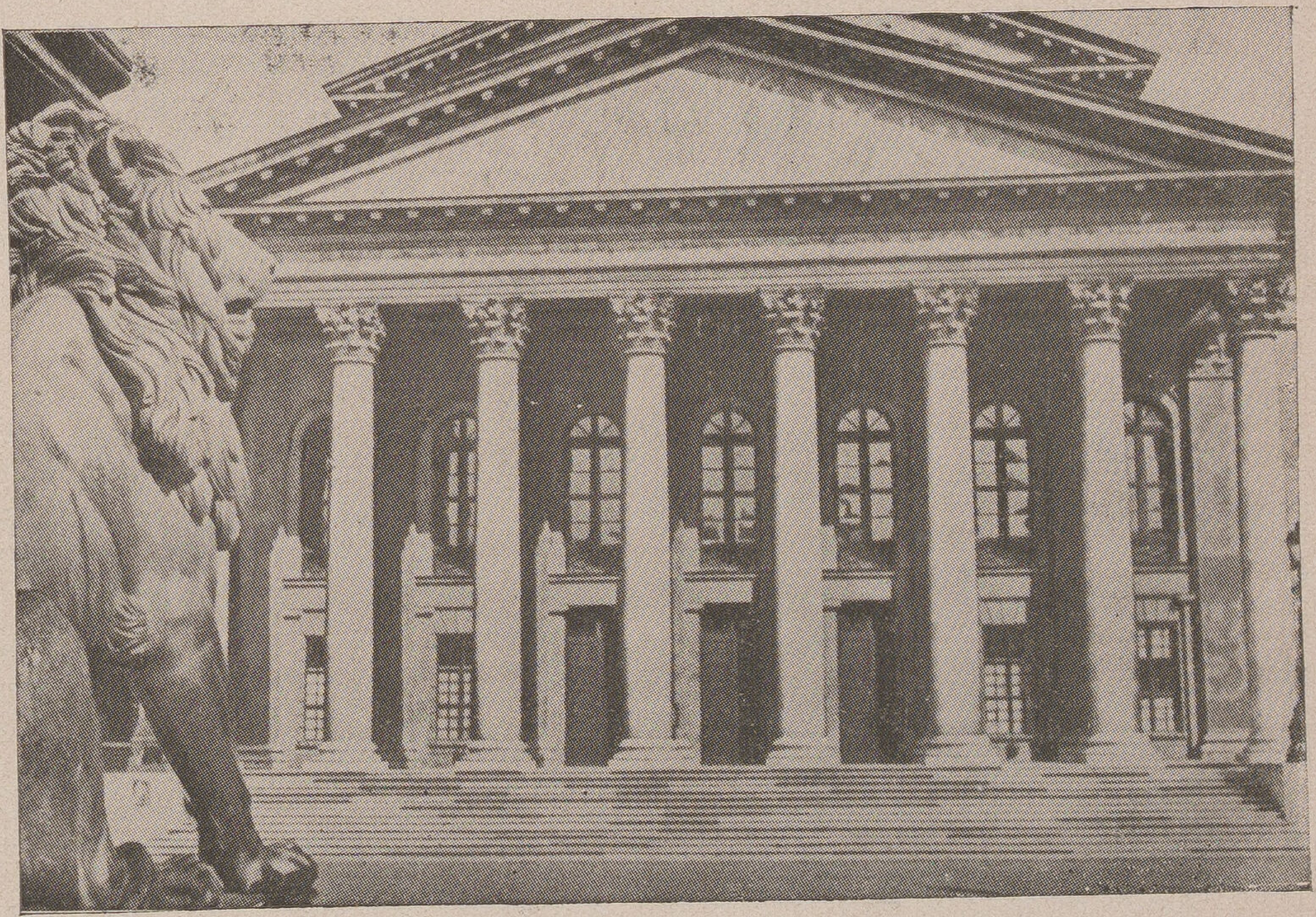
هانز بورويك

من أعظم المشهورين فى المانيا بالمرانة الرياضيه فى العـدو والوثب وسيشترك فى الالعاب الاولمبيه بعد شهرين



طرق الاتومبيلات في المانيا

قامت المانيا بجهود الجبابرة لكي تربط أنحاء بلادها بطرق واسعة للاتومبيلات . ويرى هنا طريق هو فى الحقيقة طريقان يختلف اتجاه الاتومبيلات فيه حتى لا يمكن الاصطدام . وبين الطريقين فاصل عريض غرست فيه أشجار الزهر



السرح الوطني فى مونيخ

مهما صغرت المدينة فى المانيا فانها لابد لها من مسرح وطنى ينفق عليه المجلس البلدى مقدارا كبيرا من المال لتأسيسه وأدارته . ويرى هنا مسرح من المسارح العظيمة في المانيا فى مدينة مونتج وهو من أعظم المباني فى اوربا . وعناية الالمان بالدرامة قديم لانهم ينظرون الى التمثيل كما ينظرون الى التعليم سواء

ويليام شكسبير

من ٢٣ ابريل ١٥٦٤
الى ٢٣ ابريل ١٦١٦

بقلم عبد الفتاح ابراهيم

شكسبير الرجل

الغريب أنه لم تمر غير قرون ثلاثة على وفاة شكسبير ومع ذلك فقليل ما وصل الى الناس عن حياته الخاصة .. ولهذا خرجت كل البحوث التى كتبت عن حياة شكسبير مليئة بصور وصفية لا إفاضة فيها ولا إطالة وان كان ما كتبه الانجليز بمفردهم عن الشاعر الفذ آلاف المجلدات تحدثت كلها عن مآسيه وملهاته .. وأثره فى العصر الذى تبع وفاته .. كما جاء الكثير منها عن « الدرامة » ورجالها الذين سبقوا شكسبير والذين عاصروه .. واولئك الذين عملوا للمسرح بعده . ولكن فرداً واحدا لم يقف طويلا بازاء شكسبير الرجل .. ذلك لان كل اولئك الذين كتبوا عن شكسبير اصطدموا بصعوبة واحدة هى عدم تفهم الحياة الهادئة التى عاش الرجل فيها طوال طفولته وشبابه .. هذه الفترة التى اعقبت عودته الى وطنه ليغمض عينيه الى الابد .. ونتجت هذه الصعوبة فى الواقع من تضارب الذين عاصروا شكسبير عندما توفروا على الكتابة عنه

ولهذا فان الصورة البسيطة الهادئة التى يضعها الباحث لحياة شكسبير لا تتفق مع تلك التى يخرج بها قارىء رواياته المسرحية ومنظوماته الشعرية .. ولهذا يجب علينا عند الحديث عن شكسبير أن ننظر اليه من ناحية مؤلفاته .. وأن نضع نصب أعيننا كلمة اسكن

« هذا رجل لا سبيل الى النظر اليه من الناحية التى نستطلع منها آثاره كشاعر فذ له أثره الاول ومكانته الخالدة لا فى الشعر الانجليزى وحسب بل فى الشعر العالمى »

* * *

ولد شكسبير فى مدينة ستراتفورد فى الثالث والعشرين من أبريل عام ١٥٦٤ ، وكان أبوه جون شكسبير سليل أسرة عاشت طويلا فى وسط انجلترة حياة ثراء وبسطة عيش ، وأمه مارى صغرى بنات روبرت اردن مزارع من ويلمكون على مرمي سهم من ستراتفورد .. وكان جون عند ما جاء وليام الى الحياة يتجر بما تنتجه الارض من ثمار .. ولكن الرجل برغم هذا الكفاح الطويل الذى اعده لكل عمل لم يكن فى سعة من الرزق .. بل كان فى ضيق من العيش . برغم الخمسين من الافدنة وما يعلوها من الابنية التى جاءته بها مارى عند ما حملت اسمه



شكسبير

ولم ينجح الرجل فى عمل من أعماله .. وتتابع فشله فى جهوده حتى جاء وقت كان يستعين على الحياة بنقود يقترضها من ابنه وينفق منها على نفسه وأولاده

ومن المحتمل أن يكون شكسبير قد مضى أمد طفولته كما يقضيه كل من على شاكلته من ابناء التجار .. يقضى سحابة نهاره فى الدرس .. يقوم لأجله مع الفجر .. ويعود منه عند انسدال الظلام .. فاذا جاءت العطلة المدرسية انصرف الى الحقول والغابات لا يجهده العدو فى الغابات .. ولا يمل دراسة الطبيعة فى مبعث وحيها الساحر

وهذه أقرب الصور المرسومة لطفولته صلة بالحقيقة .. فقد كان يطلب العلم فى مدرسة ستراتفورد وكان يشرف على تثقيفه بها مدرس له سمعة طيبة فى عمله هو السيد والتر روش ، ومع هذا لا ندرى لم كانت المدرسة بغيضة لشكسبير وزملائه

كانت الدراسة تبدأ فى شهور الصيف عند السادسة ، ولذا كان شكسبير وزملاؤه يسيرون اليها مبكرين تصحبهم الاشعة المرتعدة الاولى التى تخاف حلكة الليل ، وكانت الشقة قريبة يسير

شكسبير طوالها فى طريق تظلله أشجار كثيفة تخفى وراءها الحقول باشجارها المزهرة .. ومع هذا كتب شاعرنا عن حياته المدرسية يقول . « وفي سروالاته الضيقة كان يحبو تحت أشعة الشمس المرتعدة كالحيوانات الزاحفة — على الرغم منه — فى طريقه الى المدرسة »

ولكن شكسبير برغم هاته الكراهية كان طالبا مجداً .. وكان والتر روش — كما كان سواه — يفخر باعداده . . ، ولكن الحقيقة ان شكسبير لم يتعلم شيئا من المدرسة كان له فى حياته أى أثر . اللهم إلا اللاتينية التى درسها على السيد ولتر نفسه . . ، والتى صبغت كتاباته الأولى بمسحة خاصة . وكان مادرسه شكسبير بعد هذا يمكن أن يعتبر خليطا من علوم شتى . بعثت بالملل الى نفسه وروحه . . ، وكانت أكثر حقائقها خرافات . . ، بل كانت فى مجموعها نوعا من الأساطير التى تروى اليوم للتسلية . . ولعلك تعجب ولعلك تظننى أسرف فى هذا الحديث . . . يقول ارثر مي عن هذا . . . « وكانت العلوم التى خرج بها شكسبير من المدرسة لا يمكن أن تولد عبقرية وما بالك بصبى يدرس فى التاريخ الطبيعى الحرارة التي تتولد من سريان الدم فى الشرايين فيقال له . . . وبرغم ان سريان الدم فى الشرايين يولد حرارة كبيرة فان دم الفيل مصحوب ببرودة شديدة على نقيض النظرية التى حدثناك بها . . ، ومن أجل هذه البرودة كان الفرسان فى القرون الغابرة لا يجدون مايخفف عنهم حرارة الصيف غير دماء الفيلة فيغتسلون بها . . »

وتدرك من هذه الفقرة التى نقلها ارثر مي عن كتاب كان شكسبير يدرس منه التاريخ الطبيعي طوال أيامه فى المدرسة ماذا كان شاعرنا يعرف عن الحياة خارج القرية . . مع أنه نشأ يحب الطبيعة . . يحيا فى الغابات والأمراج حتى أنه سيق يوماً إلي القاضى ليسأل عن ظبى قيل أنه قد اصطاده من غابات السير توماس لوسى الحاكم

ودرس شكسبير عن السيد والتر روش أيضا طريقة الكتابة القديمة . . ولعلك لو شهدت امضاءه تسخر مما تعلمه فى كل هذه السنوات الست التى قضاها فى صحبة السيد . . ، وقرأ شكسبير شعر مانتيانس من شعراء فترة الانتقال كمقدمة لدراسة شعر فرجيل ، ودرس بعض الآداب والفلسفة الاغريقية . . ، وكانت الفرنسية كذلك بين العلوم التى درسها شكسبير ونجح فيها الى حد بعيد .. ويبدو لك هذا من الحوار الذى جاء بالفرنسية فى روايه هنرى الخامس

وكان شكسبير اذ ذاك قد حبا الى بداية عهد الشباب . . ، ولكنا لا نزال بعد فى غموض تتنكب الحديث عن هذا الامد تنكبنا عن استقصاء أمد طفولته ودراسته . . وبلغ الرابعة عشر

من سنى حياته . . ، وهذه السنة غيرت من أنموذج حياته . ، فقد بلغت الضائقة بأبيه أشدها . ، وأرغم على أن يستعين بفتاة على أقامة صرح داره فحال بينه وبين متابعة الدرس . وبدأ به حياة العمل والكسب . . ولا نزال بعد فى دياجير الظلام فلا نعرف على وجه التأكيد العمل الذى بدأ به الشاعر الفذ حياة الكسب والكفاح

وقد زعم ارثر مي فى حديثه عنه أنه عمل عند قصاب . وربما كان هذا حانوت أبيه .. وقال سواه ممن كتبوا عن شكسبير الشاب انه عمل فى فجر حياته عند رجل من رجال المحاماة . ينقل له مسودات قضاياه . . ويلقى له زواره . . واستشهد أصحاب هذا الزعم بتلك الاساليب القانونية التي جاء بها شكسبير فى روايته « تاجر البندقية » ، وهذا الزعم برغم قلة أصحابه يلقى من نفسك ترحابا لانه شتان بين تجارة اللحوم وحرفة الادب ، وشاعرنا برغم البداية التى بدأ بها نشأ فنانا ذا شاعرية موهوبة

وكان شكسبير قليل الحنكة بأمور الحياة فلم يكد يصل الى التاسعة عشر من سنى حياته حتى انتهي الي المرأة التى تشاركه أجره القليل .. وفى نوفمبر من عام ١٥٨٢ تزوج ابنة مزارع ليس بالضيق الرزق ولا بالواسع الثروة . . ، كان يملك حقلا قرب ستراتفورد . . ؟ وكانت شمس ابنته قد جنحت نحو الذروة وهي لاتزال عانساً . ولقيت فى شكسبير غنية عن حياة العزلة المريرة في بيت أبيها ولم ترض هذه الزيجة فرداً واحدا هو أباه البائس فقد حرمته معونة ابنه الي حين

على أن حياتهما الزوجية لم تكن سعيدة . كانا يسيران فى خطين متوازيين فلا يلتقيان ، وتجد صورة من هذه الحياة فى « الليلة الثانية عشرة » فى الفصل الثانى بالمنظر الرابع .. وكأن الشاعر كان يتحدث عن حياته هو

ومرت أربعة أعوام . . وبات الشاعر أبا لثلاثة من الاطفال . . وجاء عام ١٥٨٦ وأرغم على أن يترك ستراتفورد لاهلها : . بدعوى انه ساهم فى اقتحام ممتلكات السير توماس لوسى لاصطياد الظباء . . والغريب ان حقول السير توماس لوسى كانت تخلو منها . . . كان شكسبير رجلا جوالا يطرق الحقول كلما خلا من كفاحه مع الحياة . . وكان لايعرف هذه الحدود فى القوانين الوضعية ولعلهم من أجل هذا اقتادوه الى القاضى . . ولم يخنع شكسبير فأصدر القاضى حكمه بأن يرحل الرجل عن المدينة لعدد مسمى من السنين . . ، على أن الشاعر كان قد ضاق بكفاحه فى ستراتفورد وزاد عنت الحياة به بعد الشقة بينه وبين زوجه

ورحل الشاعر من توه الى لندن غير متعجل . . ولكنه بدأ حياة الكفاح ثانية منذ تركه لستراتفورد ، وقضى أعواما ستة بين ١٥٨٦ و ١٥٩٢ اما فى لندن . . واما في طريقه اليها ، قال قوم انه يعمل فى مدرسة للصبيان ، وقال آخرون انه تطوع لخدمة الجيش فى البلاد الواطئه . . وزعم أناس انه كان يتولى حراسة جياد الاشراف عند ماينزلون عنها لمشاهدة التمثيل . وكثر الحديث عن هذه الفينة من حياة الشاعر . ، ولكن أقرب الاقاصيص الى الحقيقه انه كان يعمل مع جماعة من الممثلين قدمه اليهم قوم من المجولين كانوا قد نزلوا استراتفورد وعرفوه بها : وكان يعمل كمناد فى ملهى مستر بورباج « االمسرح »

ثم عدت الايام والعالم فى دورانه السريع لايقف بأى فرد . بل يحركه معه ، وعلى مدى هذا الدوران .. تكون سرعة تطور الرجل .. فقد جاء شكسبير الى لندن وهو لايعرف العمل الذى تحتاجه المدينة العظيمة ليعد نفسه له .. بل جاء لندن لايحمل فى جعبته مادة ثقافية تعينه فى كفاحه المجهول منه . . فلما قيل له اليك بهذه الجياد . . لم يرفض بل امتثل . . ، ولما قيل له قف هنا لتنادى عند بدء التمثيل أطاع . . ، ولكن الوقوف بالباب صناعة لا ترضاها روح شكسبير . والرجل الذي يتطلع الى النور يرغم على تقبل أحد أمرين . . أما أن يغمض عينيه واما أن ينغمر وسطه . . ، واندفع شكسبير الى النور يكافح مع نفر الممثلين . . وقضى فى هذا العمل حينا ولكنه لم يتقدم للامام خطوة واحدة بدليل أنه كان ابدأ يفكر فى عمل آخر يجد فيه رزقا وبدليل أنه عند ما مثلت رواياته كلها لم يقف أمام النظارة . . بل شهد رواياته كما يشهدونها وصفق لهم مثلهم !

وانتهى المطاف بالحلقة التاسعة من القرن السادس عشر . . وضاق بشكسبير العيش ، وعرف أنه لن يربح شيئا فى هذه المجموعة . . وبدأ يخط سطوراً على الورق . . والكتابة صناعة ملحة تبدأ عن هبه وتنجح عن تجربة ، وأحس شكسبير من طبعه ميلا الى التأليف فكتب . . ، ولو كان شكسبير قد بدأ فى عصر غير هذا لكافح طويلا قبل أن ينجح ، ولكن هذا العصر من الدرامة هو الذى دفعه الى الامام بسرعة . . ، كانت المسارح تتطلب أبدا شخوصا جديدة تعرف كيف ترضى هذا الجمهور المتباين العقلية والمكانتين الادبية والاجتماعية . . ، جمهور من التجار ورجال الاعمال ، من القرى والعاصمة . . ، من طلبة الجامعة ورجال القانون . . ، من الدهماء والطبقة الدنيا بل من رجال البلاط وأهل القصر انفسهم . . ، وهذا الجمهور الكبير القلب والرأى يتطلب لقلة

عدد المسارح مجهودا سريعا وان لم يجد طهيه حتى كان المؤلفون يتعاونون جماعات فى الروايات لايعنيهم ماتحمل من اسم بقدر ما يعنيهم أمر النقود التى سيقتسمونها بينهم . . ، كل هذا لارضاء الرغبة الملحة لاصحاب دور التمثيل . . ، و ؤلاء بدورهم يدفعون نصيب المؤلفين كاملا غير منقوص لان صناعة المسرح اذ ذاك كانت تأتى أصحابها بربح وافر . .

وفتحت فى حياة شكسبير نافذة يأتى منها الهواء العليل ! !

وتقدم شكسبير خطواته الاولى سريعا ثم نجح . . ، ومن حسن جد العالم أنه عرف كيف يجتذب سكان لندن الى مشاهدة رواياته وأن يرغمهم على متابعة مشاهدتها فى أكثر من مكان ولاكثر من مرة . . ، ونجحت رواياته كلها « مآسيه وملهاته » لا فرق بين التى بدأ بها الكتابة عام ١٥٩١ وشمس القرن السادس عشر تنحدر الى الغروب ، ولا تلك التى ختم بها حياته كمؤلف عام ١٦١٢ والقرن السابع عشر يحبو بعيدا عن جهده ، وكان هذا النجاح سبب مجد شكسبير وأصل خلود اسمه حتى بات فخر الدرامة فى عصر الياصابات . . وبات اسمه يضىء كالقمر عند تمام نموه . . يقول تشارلس سيسون عن هذا فى كتابه « الدراما فى عصر الياصابات » :

« وفى هذا الامد استطاع شكسبير أن يتنفس الصعداء فقد انتهى عبث الايام به . . وصار فى نعمة الحياة . . وضرب الدهر ضرباته بين الفاقه وبينه . . ، كان يكافح حتى لايتضور جوعا وبدأ كفاحه يدفعه الامل ولكنه لايأمل فى الفوز تجاه الخير عميما . . وعرفت يده الذهب ولكنه لم يضمها الى عنقه بل راح ينفق عن سعه ، ورغم هذا الاسراف استطاع أن يشترى فى ستراتفورد كثيرا من الاراض الزراعية . . وأن يبتاع « القصر الجديد » أكبر منازل ستراتفورد مساحة وأعلاها بنيانا وأقربها الى المدرسة التى درس فيها علومه الاولى »

وجاء عام ١٦١١ وترك شكسبير العاصمة ورحل الى ستراتفورد . . لم يكن قد ضاق بالمدينة العظيمة . . كانت رواياته تمثل بنجاح معدوم النظير . . وبرغم هذا التمثيل الكثير طبعت ونالت رواجا . . وكان له فى المسرح الكبير نصيب من اسمه . . ، ولكنه عاد الى مسقط رأسه ليعيش فى هدوء . . وسط الحقول والمزارع التى احبها . . وقضى فى ستراتفورد بين عامى ١٦١١ و ١٦١٦ يشرف على ممتلكاته . . ويزور لندن من الحين للحين كما يفعل أشراف الريف ولكن لا ليلقى الحكام والولاة . . بل ليشهد التمثيل . . ، ولعل الشاعر كان يريد أن يرى الناس ثانية ابن جون شكسبير الذى ترك القرية معدما . . ثم عاد بعد كفاح غير قصير وفى اعطافه الثروة

وفى الثالث والعشرين من ابريل اغمض الشاعر عينيه عن العالم الذى بدأ حياته فيه بالفاقة .. وصحبه فى كفاحه دون أن يهدأ .. ثم انتهى منه بالمجد ..

ودفن فى كنيسة ستراتفورد فى قبر خط عليه « أيها الاصدقاء من أجل يسوع لا تحفروا هاته الاتربة الملقاة هنا .. سعيد هو الرجل الذى يحفظ هذه الاحجار ساعة لا تمس وشقى ذاك الذى يحاول أن يحرك أو ينقل هذه العظام التى تغطيها هذه الاحجار .. » وليس ثمة من شك فى أن هذه السطور ليست من كتابة شكسبير

ولا تزال هذه السطور فوق القبر .. ولكن اللوحة قد بدلت .. كما وضع على الحائط وراء القبر تمثال نصفى للشاعر ممسكا بقلمه .. صنعه حفار من سوفوورك اسمه جاريت جنسون ..

شكسبير الروائى

ويجدر بنا قبل الحديث عن شكسبير الروائى أن نتحدث عن المسرح ورجاله عندما جاء الشاعر الى العاصمة .. كان فى لندن مسرحان « المسرح » و « الستار » انشىء كل منهما عام ١٥٧٦ .. على أن كليهما كان خارج لندن إذ كان القانون لا يبيح انشاء دور اللهو داخل حدود المدينة .. واتصل شكسبير لأول مقدمه بأولهما .. وبقى مع هذه المجموعة حتى بارح حياة النور وعاد الي ستراتفورد ..

وكان الممثلون إذ ذاك يرغمون على الانتساب الى رجل من الاشراف ليحول دون عبث السلطات بهم ويقيهم شر حسبانهم من الشريدين الذين لا عمل لهم .. وكانوا ينالون الامر بمتابعة العمل اما من الملك وإما من أحد رجال البلاط .. وكانت الباصابات كما كان كبار نبلائها يمنحون الممثلين حمايتهم .. كانت هناك جماعات ست .. خمس منها يرعاها النبلاء لايستر واوكسفورد وسسكى وورشستر وتشارلي لورد وهوارد .. والجماعة الباقية ترعاها الملكة وتدعي « خدم الملكة »

وكان شكسبير بين المجموعة الاولى التى يرعاها اللورد لايستر .. وتعاقب النبلاء كل يمنحها حمايته حتى ولى العرش جيمس الأول . فبسط عليهم رحمته وأظلهم بجناحيه ورضى أن يدعوا أنفسهم « ممثلو الملك »

وكانت دور التمثيل تباين هذه الدور التى نراها حتى اليوم فى بلاد الريف . . ، كانت تترك طليقة للسماء . وتعرض الروايات للمشاهدين فى ضوء النهار . فيبدأ العرض عند الثالثة مساء ويستمر لساعتين أو ثلاث . . ، وكان المسرح نفسه يبنى فى الفناء ولذا يمكن لكل فرد أن يرى الممثلين ويتابع سير الاقصوصة ، . ، ويغطى المسرح من العواصف الجوية سقف تحمله بعض الاعمدة تصل بين السقف والارض . . ، وفى طرف المسرح عند اتصاله بجوار الملهى بابان يدخل منهما الممثلون الى مقدمة المسرح . . ، ويقسم المسرح ستار يمكن رفعه إذا أريد إيجاد متسع لمنظر كبير كغرفة عرش . . او لاظهار عدد كبير من الممثلين والنظارة في طريق أو حقل . .

وفي بعض الاحيان يقف الممثل بين المشاهدين . . ، الذين يمثلون إذ ذاك جزءا من الاقصوصه . (١) ، ويتحدث ممثلو عصر الياصابات إلى المشاهدين بخلاف ممثلى هذا العصر الحديث الذين يلقنون في بداية حياتهم المسرحية ضرورة نسيان جمهرة النظارة . . عند مايقفون أمام الستار ويعنى النقاد كثيرا بهذا الاندماج المسرحي للممثل

وبالنسبة لعدم وجود ستار يسدل فى نهاية كل قسم من الرواية كانت هذه الاقسام أو « المناظر » تبدأ بأغنية تصحبها موسيقى عازفه وتنتهى كذلك مالم تكن الرواية تمثل فى النصف الداخلى للمسرح حيث يمكن الاستار ان تسدل ، وكانت مسألة الجثث كذلك من المشاكل ، ولذا كان الممثلون يتركون وراءهم بعض العمال لنقلها . .

وكان وجود هذا المسرح الداخلى يعاون على ايجاد المناظر التى تتبع بعض المشاهد المعروضة في المسرح الخارجى على أن « المناظر » كانت تختصر الى درجة كبيرة .. فتستبدل غرفة العرش الكبيرة بالعرش وحده . وتوضع بعض أشجار صناعيه لتمثل غابة كثيفة . وضعت نماذج خشبية للجياد والقلاع ، ولكن مع هذا كله كانت الاقصوصة تسير من مكان الى مكان دون أن تستبدل هذه الاثاثات الموضوعة بل توضع أمام المسرح لوحة كبيرة خط عليها بأحرف طويلة اسم المكان ولذا لم يكن هذا ليتطلب طويل وقت ، بينا نحن فى أي من الروايات الحديثة يتطلب الرجال الاخصائيون لهذه المناظر وقتا طويلا ليتنقلوا بالمشاهدين من غرفه عامل صغير في القاهرة الى سراى فى الاسكندرية ، ولهذا تجد الروايات الحديثه قليلة المناظر قد لاتزيد على عدد أصابع اليد الواحدة

(١) عرض هذا فى المسرح المصرى .. وأول من اوجده الاستاذ عزيز عيد فى فرقة فاطمة رشدي الاولى

ولهذه السرعة فى الانتقال بالاقصوصة استطاع شكسبير أن يعرض فى كل من رواياته أكثر من عشرين منظرا ، بل كان فى انطونيو وكليوبترة قرابة الاربعين من هذه المناظر المختلفة المتباينة . ومناظر شكسبير ترجع إلى الاشخاص لا إلى الصور والاثاثات ، فاذا جلس هنرى الثامن على العرش فمعنى هذا أن الملك هنرى فى قصره ، وإذا ارتدى عدة جلاده فمعنى هذا أنه فى ميدان القتال . فالملك لا الجو الذى يحيط به هو العامل الاساسى لسير الاقصوصة

وهذه البساطة فى العرض تزيد من رغبة القارىء في مطالعة روايات شكسبير لانه يستطيع أن يجمع من قواه التصويرية مايعرضه أمامه المؤلف من صور سريعة دون الحاجة الى استذكار تفاصيل لاحاجة له بها

قلت لك ان الاقصوصة تبدأ فى الثالثة ويستمر عرضها الساعتين أو الثلاث ومن الغريب ان المشاهدين يقفون طوال العرض . ويجلس النبلاء إما فى صناديق جانبية واما على مقاعد عند المسرح وعند بداية العرض تدق الطبول . ثلاث مرات متواليات . وفى الدقة الثالثة يخرج للمشاهدين رجل فى ثياب سوداء طويلة يلقى على مسامعهم فاتحة الرواية ثم ينزع الستار الذى تقسم المسرح ويبدأ عرض الاقصوصة

وكان الممثلون يرتدون ثيابا غالية القيمة . ولكنها كانت غالبا لاتتفق مع الوقت والمكان اللذين تتطلبهما الاقصوصة . ويمثل أدوار النساء صبيان فارعو القامة أو نفر من الشباب وجوههم نضرة

وكانت تعرض بين فصول الرواية بعض الاناشيد والرقص . وفى ختام الاقصوصة لايسدل الستار بل يركع الممثلون فوق المسرح ويصلون للملك ويدعون له بطول البقاء

* * *

ومع أن عنصر المرأة كان معدوما طوال عصر شكسبير . إلا أن جل رواياته خلت من الابطال وكانت الشخصيات النسوية فيها قوية جارفة . ولم يبد فى كل هذه الاقاصيص غير رجل واحد هو هنرى الخامس . ولكن هذه البطولة صورت بافاضة فيها كثير من الدجل من أجل المسرح لا لاى شيء آخر . ، وكان من الممكن حسبان شخصية عطيل كذلك لولا هاته الليونة التى كانت السبب الاول فى جعله فريسة لكل ما أحاط به

وكانت الشخصيات التى تتبع بطولة هنرى الخامس وشخصيته الجارفة لكل ماظهر فوق المسرح معه من شخوص قليلة . يمكن أن نعد فيها أنتونى وقيصر وكريولانوس . عاش كل منهم قويا جباراً

عملاً العظمة أعطافه فاذا ماعرف الغرور سبيله إلى قلبه ورأسه سقط . كان هملت كسولا متراخيا وكان روميو طفلا أهوج لايعرف الاناة . ولم يكن تاجر البندقية وكنت « الملك لير » وادرلاندو أقل نبلا ولا أقوى شخصية . ، ولكن كان إلى جانب هؤلاء مجموعة من النساء هن كورديليا ، ديدمونه ، ايزابيل ، هيرميون ، الملكة كاتارين ، سيلفيا ، فيولا هيلينا ، روزيلاند ، فنيرجيليا وقفت كل منهن الي جانب الرجل المهزوم البائس كشعلة الامل الخالد تضيء له الطريق

وكانت المأساة تبدأ كنتيجة لخطأ الرجل وغبائه . تلقى هذا فى عطيل وفى روميو وجوليت وفى كريولينس ، وفى أقصوصة الشتاء . وفى سيمبلين

ولم يخرج شكسبير امرأة ضعيفة فى كل أقاصيصه إلا أوفيليا وهذا لانها خذلت هملت فى اللحظة التى بات عندها فى حاجة إلى معونتها

وقد صور شكسبير المرأة فى كل هذه الصور الفذة كبينة قوية ملموسة لمكانة المرأة وعملها فى المجتمع . صور المرأة فى صورة الراعى المخلص الامين والمستشار العاقل . والرفيق الطاهر يقف رمزا للقداسة حتى فى اللحظة التى لا يمكنه فيها انقاذ الرجل البائس المهدم بعنف وقسوة

ولم يقف تصوير شكسبير للمرأة عند هذا . بل قد تخطاه حتى إلى النساء اللاتى لم يظهرن للمشاهدين . فتحدث عنهن باجلال واكبار . ففى هنرى الثامن مثلا تلقى فى المنظر الثانى من الفصل الخامس على لسان كرانمر النبوة الرائعة عن الياصابات وهى بعد طفلة فى مهدها . وهى سجل تاريخى خالد لحكم هذه الملكة العظيمة

* * *

وتبدأ حياة شكسبير المسرحية عقب وصوله الى لندن قرابة عام ١٥٩١ . وفى هذه الفترة خرجت له عدة أقاصيص . ، ولم تطل هذه الفينة ففى صيف عام ١٥٩٣ انتشر وباء الطاعون وأغلقت دور اللهو كلها لعام طويل . استمر حتى صيف عام ١٥٩٤ ، وفى هذا العام أخرج شكسبير مجموعتين من الشعر هما « فينس ودونيس » ولوكريس واحداهما لايرل سوثهمبتون الصغير مع كلمة نثريه من قلمه

وفتحت المسارح أبوابها للناس . ، وعاد شكسبير الى « المسرح » يكتب لصديقه ريشارد بورباج . ، وأخرج اذ ذاك رواياته ريتشارد الثالث والثانى وحلم منتصف الليل وروميو وجوليت وتاجر البندقية . ، ثم انتقل المسرح إلى جوار « الستار » ومثلت إذ ذاك قصتا هنرى الرابع

والخامس . ، وعاد بورباج وجماعته فقرروا أن يتركوا مكانهم فابتاعوا أرضا فى سوث ودرك وأقاموا بنيان مسرح « الجلوب » الذى تم فى صيف عام ١٥٩٩ . ، ووضع بورباج دعامة عمله بأن قسم العمل العظيم الي أنصبة يتساهم فيها الجميع . ونال شكسبير سهمين جاءاه بربح وافرحتي مات

وبدأ « الجلوب » بثلاث من « ملهات » شكسبيرهى « ضجة كثيرة » و « الليلة الثانية عشرة » و « كما تريدها » ومرت خمسة أعوام أخرى أخرج فيها يوليوس قيصر وهملت ومكبث وعطيل والملك لير

وطبعت فى حياة شكسبير أربع عشرة من رواياته . وفى عام ١٦٢٣ أى بعد وفاته بسبعة أعوام طبعت مجموعة رواياته فى مجلد كبير وسم بعنوان « المجموعة الاولى » وسأحدثك عن تاريخ طبع كل من رواياته عند ما أحدثك عن انتاجه الادبي . وسأترك لك الحرف (م) ليدلك على أن هذه الرواية لم تطبع قبل طبعها فى « المجموعة »

* * *

على ان انتاج شكسبير يمكن تقسيمه الى فترات خمس كانت كل منها تمثل طورا من أطوار هذه الحياة المسرحية

(١) قبل عام ١٥٩٤

هنرى السادس ٣ فصول	م	
تيتياس أند دونيكاس	١٥٩٤	
شريفان من فيرونا	م	
ملهاة الاخطاء	م	

(٢) ١٥٩٥ — ١٥٩٦

الملك جون	م	
ترويض الشريرة	م	
ريشارد الثالث	١٥٩٧	
روميو وجولييت	١٥٩٧ / ١٥٩٩	بدون إذن الشاعر

ريشارد الثانى	١٥٩٧	
حلم منتصف ليلة من ليالى الصيف	١٦٠٠	
تاجر البندقية	١٦٠٠	
الخير للخير «كل ينتهي بالخير»	م	

( ) ١٥٩٧ — ١٦٠٠

هنرى الرابع الجزء الاول	١٥٩٨	
هنري الرابع الجزء الثانى	١٦٠٠	
هنرى الخامس	١٦٠٠ م	بدون اذن الشاعر
زوجات وندسور الطروبات	١٦٠٢ م	« « «
ضجة كثيرة بلا سبب	١٦٠٠	
الليلة الثانية عشرة	م	
كما تريدها	م	

(٤) ١٦٠١ — ١٦٠٨

يولبوس قيصر	م	
هملت	١٦ ٣ ١٧٠٤	بدون إذن الشاعر
مكبث	م	
عطيل	١٦٧٢	
ترويلامى وكريسيدا	١٦٠٩	
العين بالعين	م	
لير	١٦٠٨	
تيمون الاثينى	م	
أنتونيو وكليوبتره	م	
كريولينس	م	
بركليز	١٦٠٩	(ولم تطبع ضمن المجموعة)

(٥) بعد ١٦٠٨

سمبلين م

قصة الشتاء م

العاصفة م

هنرى الثامن م

ولـكن ارنست رايز قسمها الى فترات اربع فى مقدمته لـكتاب « ملهيات شكسبير » طبع ذلك ضمن مجموعة الاولى بين عامى ١٥٩١ — ١٥٩٣ ، والثانية بين عامى ١٥٩٤ — ١٦٠١ ، والثالثة بين عامى ١٦٠٢ — ١٦٠٩ ، والرابعة بين عامي ١٦١٠ — ١٦١١ ، وليس بين تقسيم رايز وجديث هاريسون كبير فرق .. ولـكن الذى يعنينا من هذا كله أن ارنست رايز قال بان شكسبير قد ترك وراءه ثلاث روايات أكملها بعد عودته الى ستراتفورد غيره من المؤلفين .. هذه الروايات هي كاردنيو ومثلت عام ١٦١١ وهنرى الثامن ومثلت عام ١٦١٢ وشريفا كنسمن وأخرجت أيضا عام ٩٦٩٩ ، ويوجهنا هذا الحديث مرغمين الي أن نسائل أنفسنا هل كان شكسبير حقا هو المؤلف الوحيد لـكل هذه الاقاصيص التى نشرت باسمه

وسنعود الى الحديث عن هذه المؤلفات فى فترة أخرى عند مانتحدث عن « دعوى الملـكية فى مؤلفات شكسبير » وموعدنا بها عدد قادم

مختارات من مؤلفات شكسبير

الواقع أنى وقفت طويلا بازاء هذا العنوان بعد أن خططته على الورق .. وليس هذا لان الاختيار فى ذاته صعب مجهد .. وانما لأن اختيار رواية من مؤلفات شكسبير انقلها لك هنا أمر لا يمـكن أن تتسع له هذه الصفحات ، ونقلها اليك منثورة ملخصة على قياس مافعله توماس كارتر وغيره من كتاب العصر الاخـير يخرج بك من قصيد الشاعر الى أفـكاره الفلسفية وفنه المسرحى وكلاهما تحدثت لك عنه وإذن فلا محل لهما فى هذا الحديث .. ولهذا سأنقل لك بضعة من أحاديث ابطاله الذين بعثرهم فى قصصه بمهارة

واذا قلت لك ابطاله لا أعنى المعنى الذى يفهم من الـكلمه بداهة . . بل أريد « الشخصيات » التي تظهر على المسرح ولا تنسي عندما يسدل الستار علي الاقصوصة .. بل تعيش فى ذاكرتك حية خالدة

ولـكن هذا لا يغنيك عن الوقوف طويلا بازاء الصور الوضعية التى خطها الشاعر فى رواياته كما يجب أن لا يحـول دون مطالعتك لهاته الروايات المليئة بارواح حيـة محببـة الى النفس .. ان الذى يقرأ روايات شـكسبير يقرأها ثانية ، وفى كل مرة يجد جديدا يحببه فى اعادة مطالعتها كل سطر من سطورها له معنـاه ووراء كل معنى آلاف الاخيلة . . ان النقد الاخير لمؤلفات شـكسبير لا يمكن أن يكتبه فرد لانه لن يلقى كتابه ليمسك بقلمه . . فقراءة شـكسبير احب من الـكتابة الى كل نفس حساسة شاعرية . .

وأنقل لك هنا قطعة من قصيدة فى مجموعته الاولي وسمت بعنوان « الحياة السعيدة » :

تحت شجيرة الغابة الخضراء انتظر

ذاك الذى يريد أن يرقد الى جانبي

لننقل سويا الى العالم هذه الانغام التي يرددها العصفور الصغير

فيقدم الى هنا وليتبعنى

فلا نر عدوا لنا

غير الشتاء والبرد القارس

* * *

وذاك الذى يطمع فى أشعة الشمس

ويود أن يعيش تحت أشعتها الذهبية

باحثا عن الطعام الذى يأكله ، مسرورا بما يستطيع أن يناله

ليقدم الى هنا وليتبعنى

فلن نر عدوا لنا

غير الشتاء والبرد القارص ..

وتجد فى مجموعتى شعر شـكسبير الـكثير من هذا النوع السهل المرسل من القصيـد ، على أنه ليس على قياس ما فى مجموعتيه قامت شهرته كشاعر فذ . . بل تستطيع أن ترقب هذه العبقرية فى رواياته . . تقف عند سطورها مأخوذا بهذا السحر الماثل فى الالفاظ مثوله فى المعاني . . ، والفاظ شـكسبير ـ هاته الالفاظ التى كانت عمدة الشاعر فى اظهار فلسفته ووضحت منها طريقة تفكيره فى حياكة قصصه وحبـكتها المسرحيـة ـ كانت أولى الدعامات التى قام عليهـا مجد الشـاعر . .

على أنه كان فى بعض مقطوعاته نقد واظنى حدثتك بتباين قوة اللغة وروابطها فى حديث الشخص الواحد بين منظرين متتابعين . . وقلت لك ان هذا يرجع اما الي أن شكسبير قد خط رواياته فى فترات متباعدة وكان يرجع الى بعض أجزائها من حين الي آخر فنشأ عن هذا ذلك التباين فى ضعف اللغة وقوتها . . واما ان هذا ناتج من أن غير شكسبير كان يكتب فى روايات شكسبير ، وقلت لك ان هذا كان رأى ارنست رايز فى الروايات الثلاث التى لم تكمل الا بعد عودة شكسبير الى ستراتفورد ، وان أوضح ماتلقاه من هذا تجده فى هنرى الثامن . ووقفت بك طويلا عند حديث الناقد مستر سبدنج ولكن ليس لهذا من سبيل هنا وسأنقل لك قطعتين من يوليوس قيصر وقطعة من هنرى الثامن . . ولكن هذا لايعنيك كما قلت لك عن الرجوع الى الاصل لترقب سحر الالفاظ التى خطها الشاعر فى قصيده

وتعتبر قصة يوليوس قيصر من أروع ما كتب شكسبير .. وتلقى فيها مهارة الشاعر فى حياكة شخصيات قصته وتصوير هاته الارواح التى ترتجح فى صدور أبطاله ، وهو يسير من بداية المؤامرة حتى مقتل قيصر .. ثم يقف بك متمهلا أمام الجثة المعفرة بالتراب مغمورة بالدماء تحت تمثال بومبى .. فيريك دهاء انتونى وقوة عارضته ، ويريك ثورة الشعب الجامحة . حتى يعود ثانية الى أن يقتل بروتاس نفسه وهو يقول :

« قيصر !! الآن تطمئن .. فانا لم أقتلك بارادة أقل من هذه »

وأسوق لك من يوليوس قيصر . قطعة من المنظر الثانى الفصل الاول وكاشياس يتحدث الى بروتاس ، يحرضه على أن يساهم معه فى المؤامرة الكبرى

ولقد وقف توماس كارتر طويلا فى كتابه « قصص من شكسبير » أمام هذه المهارة فى تصوير كراهية كاشياس لقيصر . هاته الكراهية التى بدأت باعجاب . ثم تطورت عندما أمسك قيصر بالذروة . وكاد يبلغ غاية مجده . واقرأ معى قوله :

لقد ولدت حراً كقيصر وكذلك أنت

كلانا يأكل كما يأكل وكلانا مثله يستطيع

أن يتحمل برد الشتاء القارس

أذكر فى يوم عاصف

أن نهر التيبر كان يزأر بين شاطئيه
وصاح بي قيصر. أتجرأ يا كاشياس الآن
ان تقفز معى فى هذا العباب الغاضب
وأن تسبح الى هناك ؟ فلم يتم حديثه
حتى قفزت الى اليم بعدتي وثيابي
وسألته أن يتبعنى ففعل
وزأر البحر فلاقيناه بعزيمة ويأس
وكافحناه بقلبين لا يعرفان الجزع
ولكن قبل أن نصل الى غايتنا
صرخ قيصر · ادركنى يا كاشياس أو يبتلعنى اليم
وكجدنا الاكبر ايناسى
عند ما احتمل فوق كتفيه فى حريق ترواده
الشيخ انكابزيس ..... حملت انا من أمواج التيبر
قيصر . هذا الرجل
الذي بات اليوم آلها . بينا كاشياس
مخلوق تعس يجب أن يحنى هامته
اذا مارني له قيصر بطرفه ..

على أن نجاح شكسبير فى يوليوس قيصر لم يقف عند حد التحريض . أو اظهار كراهية المتآمرين على قيصر بل أصحب معى شكسبير فى قصته .· وأترك المأساة تتم . وأغلق أذنيك أمام صراخ الشعب . وأغمض عينيك حتى لاترى الحملة على قيصر فيطعن بالخناجر ويمزق صدره ثم يلقى على الارض تحت التمثال الذى رفع هامة أهله بذراعه القوية . دع هذا كله وسر معى الى المنظر الثاني من الفصل الثالث لروايته « يوليوس قيصر » وسأقف بك عند حديث مارك انتوني على جثة قيصر . سنرى نوعا آخر من التحريض . ولكن هنا رجلا يحرض الشعب على قوم من سادته وحكامه وهو بغير الشعب اعزل . وسنرى هذا الاسلوب الجارف . وسنري مهارة الرجل الذى

بدأ بقوله . « أيها المواطنون . ايها الاصدقاء . لقد قدمت لاوارى قيصر فى التراب لا لامتدحه » فاذا انتهى من حديثه قال . « إذن فارقبوا ها هو قيصر نفسه وقد فتكت به أيدى الخائنين » هذه ليست قوة انتونى . ولكنها عبقرية شكسبير وسحر الفاظه . واقرأ معى :

« من كان فى مقلته عبرة فليسكبها
انكم جميعا تعرفون هذا القباء . انى لأذكر
يوم أن ارتداه قيصر للمرة الاولى
كان مساء من أمسية الصيف وفى خيمته
وفى هذا اليوم كان قد هزم اهل « نيرفا »
انظروا . هنا نفذ خنجر كاشياس
انظروا أى قطع فعله كاسكا بغل وحقد
وهنا طعنه صديقه المحبوب بروتاس
وعند ما نزع خنجره البغيض
انظروا ، كيف طفح دم قيصر
وكأنه يتدفق من الابواب ليستوثق
أهو بروتاس الذى طعن بغير رحمة أم من ؟
فان بروتاس كما تعلمون كان كالملائكة فى نظر قيصر
أشهدى ايتها الآلهة كيف كان قيصر يحبه
كانت هذه أقسى الطعنات كلها
لان قيصر النبيل عندما رأى الرجل
يغلبه الجحود انصدع قلبه الكبير
واخفى وجهه فى قبائه
وسقط تحت تمثال بومبى والدماء تنزف منه
أية سقطة هي يامعشر الرومان . .
فقد تبعته انا وأنتم فى سقطته
وفشت الفوضى بيننا
أتبكون ! ! إنى أشعر بأنكم تحسون
بالشفقة تحرك قلوبكم . . . . هذى قطرات طاهرة

أيها الرجال الاطهار . أتبكون لانكم ترون
جراح قيصر فى صدره ؟ . اذن فارقبوا
ها هو قيصر نفسه وقد فتكت به أيدي الخائنين »

* * *

دع يوليوس قيصر وسر معى الي اقصوصة من اقاصيص الفترة الخامسة من انتاجه القصصى (بعد عام ١٦٠٨) وأختار لك واحدة منها هي « هنرى الثامن » فقد درست حينا فى المدارس المصرية . . ، وعرضت فى مسرح الاشباح فى أكثر من دار بالقاهرة وحدها . . ونشرت ملخصة فى الاهرام . . ولعلها لهذا تكون أقرب الى نفسك من سواها . . وتمتاز « هنرى الثامن » بأنها مأساة ثلاث شخصيات تامة العظمة كان سقوط كل منهما بمفرده يصلح لان يكون « درامة » قائمة بذاتها . . ، نرى فيها مصرع بكنجهام لانه أغضب الملك وسقوط وولزى الوزير الاول . . وموت كاثارين الملكة التى هدمت بعنف من أجل مطامع الملك ورغبته الجامحة من أجل المرأة الحسناء . . ، والقطعة التى انقلها لك من المنظر الاول فى الفصل الثاني . . ، وسنرى هنا بكنجهام وهو يتحدث الى الشعب .. يودع الحياة وهو فى طريقه الى حيث يقطع رأسه بالفأس ..

« أنتم أيها الذين قدمتم من أماكن بعيدة لتبدوا لى أحزانكم
اسمعوا ما احدثكم به . . ثم عودوا الى منازلكم وتناسونى
لقد اتهمونى اليوم بالخيانة . . وحاكمونى من أجلها
وتحت مراسم هذا العار يجب أن اموت
غير أن السماء بمفردها هي التى تعلم . .
واذا كنت أحمل نصيبا من هذه التهمة التى القوها على عاتقى
فلتبتعد عنى روحى الي الجحيم
واذا لم أكن مخلصا لوطنى حتى فى اللحظة التى تقع الفأس فيها على رأسى
لست أحمل للقانون ضغينه من أجل موتى
لقد دافعت طويلا من أجل براءتى
كنت أود أن يكون أولئك الاعداء الذين أرادوا موتى أكثر رعاية للدين
ولكنى بالرغم من هذا أغفر لهم جريمتهم وان كنت أطلب اليهم أن لا يفخروا بأنهم يقيمون عظمتهم على اقتراف الآثام

ولا يدعموا شرورهم بانقاض عظماء الرجال ..
لست آمل أن يطول بقائى فى هذه الحياة
ولن أطلب ذلك من الملك وان كنت عليما برحمته وعطفه
اغفروا لى أيها الناس الذين تحبوننى ، خطاياى
اذا كنت قد أخطأت فى حقكم يوما ..
تجاسروا أن تبكوا بكنجهام
ان الذى يؤلمنى هو فراق اولئك الاصدقاء الذين احبهم
اصحبونى كملائكة السماء الى القبر
وعندما تسقط الفأس ليقطع رقبتى
اجعلوا من صلاتكم منحة نبيلة
ودعوا روحى يشير الى السماء باسم الرب »

« * »

وتلقى مثل هذا الحديث من دولنرى وكاثارين . وتنتهى العظمة بالآلام . . ويقف دوران الحياه بالحسرة والالم . . على أن خير ما فى هنرى الثامن كلها هذه الحكمة التى خطها شكسبير على لسان جريفث بالمنظر الثانى من الفصل الرابع

« * »

ولعلك وقفت أزاء هذا التعريب حينا . . فانا نقلت اليك الحديث فى شعر منثور . . ووقفت بك أمام كل سطر الى ترجمة صحيحة له . . على قياس ما ينقل فى الدراسات المدرسية وقصدت بهذا أن ترى سطور الشاعر فى وحدة لا مزوقة ولاممسوخة عند ما تضاف الى بعضها فى جملة هى من صناعة المعرب لا من قلم الشاعر . صحيح ستلتقى فيها الوحى الاول ولكن وراء ستر رقيق يخفى عنك بعض جمال روعة الصورة الاولى التى خطها بها الشاعر

اطالة الحياة

لرمسيس شحاته

هل يمكن أن نتغلب على الموت و نطيل الحياة ؟
محاولة ذلك في ضوء الابحاث الحديثة

مقدمة

ذكر الاستاذ جان بيران فى محاضرة ألقاها عن الامل الجديد ان غاية من أغرب غايات العلم الحديث هى اطالة الحياة بقدر المستطاع . وفى الواقع ان ما قاله الاستاذ عن هذا الموضوع هو عين الحقيقة . أنه من الطبيعى أن يواصل العلم ابحاثه للبلوغ إلى هذه الامنية البعيدة مادمنا نحس فى قرارة أنفسنا تلك الرغبة الملحة فى البقاء أطول ما يمكن والاحتفاظ بالحياة الى أقصى حد ولو أننا كثيراً ما نشقى ونتعس بها

وقد ذهب الاستاذ إلى أبعد من ذلك فذكر انه ربما كانت هذه الغاية وحدها هى التى أوجدت الطب وما ينحو نحوه من العلوم والفنون . ونحن نرى صدى ذلك فى كل ما خلفته لنا المدنيات السابقة لاشك اننا جميعا قد سمعنا عن ذلك الاكسير العجيب الذى ظلت الانسانية تجرى وراءه ردحا من الزمان والذى كان يظن أن له القدرة على رجع الحياة إلى الجسم حتى بعد مفارقتها إياه فوق الاحتفاظ بها فيه لو حل به المرض وتوالت عليه العلل

وإذا كان هذا هو أمر الطب فيما خلا من العصور فانه مما لايدعو إلى الدهشة أن نقول أن الطب فى الوقت الحالى مازال عند غايته الاولي وان محاولاته وان تهذبت مازالت ترمى إلى نفس الهدف

تقسيم

ونحن نقصد استعراض هذه المحاولات ولكننا نحب أن ننبه القارىء إلى أن ذلك أمر يكاد

يكون مستحيلا . ان استعراض كل المحاولات التى قام بها الطب للتغلب على الموت أمر يتطلب سنين عديدة فوق تطلبه ثقافة خاصة فهذا فى الواقع هو كل بضاعة الطبيب ولذلك نرى أنفسنا مضطرين إلى أن نلجأ إلى تقسيم هذه المحاولات إلى أقسام كبرى يكفى بعدها أن نتكلم قليلا عن كل قسم منها

ومن حسن الحظ أن هذا التقسيم سهل ميسور ولو أن عليه مسحة من الاصطناع والتعمد

تنقسم المحاولات التى قام بها الطب فى سبيل التغلب على الموت إلى قسمين رئيسين أولهما قسم يقصد به رجع الحياة إلى الجسم بعد مفارقته أياه وثانيهما محاولة الاحتفاظ بالحياة من الجسم أطول مدة ممكنة

الحياة :

لاتفزع أيها القارىء لاشك ان رد الحياة إلى جسم ميت يعد بالنسبة لك معجزة لايقوى عليها إلا الاولياء ولكن من ادراك أنه ليس بين الاطباء والعلماء أولياء من أتقى أولياء الله وأطهرهم ذيلا . انى متفق معك على أن هذه المسألة على قدر عظيم من الغرابة وأعطيك كل العذر لو قلت وأكدت انه لابد أن يكون فى الامر مبالغة شديدة ولكن كل ذلك لايمنعنى من أن أؤكد لك ان رجع الحياة إلى جسم ميت بعد الآن من بين الغايات التي يسعى اليها العلم حاليا بشتى الطرق وأستطيع أن أؤكد لك أنه يوجد الآن بين البشر أناس أمكن أن تعود اليهم الحياة بعد التأكد المطلق من فقدها بواسطة هذه الطرق . ان المسألة ليست تهويشا أو دجلا انما هى حقيقة علمية لها براهينها ولا شك انك قد سمعت ولو همسا عن حقن الادرنالين والكورامين التى تعيد إلى القلب حركاته بعد وقوفه التام ولا شك أنك قد سمعت عن احياء الغرقى بشتى الطرق

واسمح لى الآن أن أترك هذا الموضوع وذلك لاسباب ربما كان أهمها انه لم يعد عندى ماأقوله لك عنه أكثر مماتقدم وقد لا تجد عند أحد من الناس أكثر مما تقدم . ان هذا الموضوع علي غاية من التعقد والغموض كما أنه مازال قيد البحث . ومن الحكمة أن لانتوغل فيه إلى أبعد من ذلك فانه كفيل بأن يقودنا إلى اصطدام عنيف نحن أحوج الناس الى تجنبه وأشدهم نفورا منه

الاحتفاظ بالحياة :

هذا هو القصد الذى ترمي اليه البقية الباقية من محاولات العلماء فى التغلب على الموت والغرض

الذى يرمي اليه مجموع هذه المحاولات هو الاحتفاظ بالحياة فى الجسم ومنع المرض من انتزاعها منه اذا حل به ثم اعداد الجسم فى الحالة العادية للمقاومة ضد المرض ومنعه من التمكن منه. وواضح ان هذا القصد قصد مزدوج وان الغاية الاولى تشمل مجموع العلاجات والادوية التي وصل اليها الطب فى مقاومة الامراض وأن الغاية الثانية هى مجموع الشروط الصحية التي يجب أن يراعيها الانسان حتي يتجنب غائلة المرض وحتى يزيد فى قوة جسمه ومناعته ليتمكن من التغلب على المرض إذا حل به رغم احتياطاته . وهذا الغرض الاخير هو ما نقصد قصر الكلام عنه فيما يلى لاننا لو تورطنا فى الكلام عن الغرض الاول لاحتجنا الى الكلام عن كل العلوم الطبية تقريبا

ضرورة الموت :

وربما يعترض القارىء على كل ماتقدم بأن يقول ان كل هذه المحاولات تتضمن انكارا بقاعدة الموت الطبيعى وهى التى تنص على أن الانسان يصبح بعد سن معينة فى حاجة طبيعية الى الموت وهى التى تريد أن يكون الموت ظاهرة فسيولوجية طبيعية . مآل الانسان اليها مهما طالت حياته ومهما كثرت احتياطاته.

وفى الحق إن هذا اشكال فلسفى معقد نشأ عن بعض المعتقدات الدينية التى يؤيدها ما نراه كل يوم من موت الكثيرين ممن نتوسم فيهم الصحة . الامر الذى يظهر لنا الموت كحقيقة مستقلة وكأمر طبيعى عادى وكمصير محتم لكل بشرى ليس من سبيل الى تخطيه . ولكن نلاحظ الى كل ذلك ان كل ما تقدم لا يمنعنا من القول بان ضرورة الموت مشكلة لاتزال قيد البحث وأنه ليس هناك ما يمنعنا من أن نؤمل التغلب على الموت فى يوم من الايام . بل نستطيع أن نقول أن جهودا هائلة تصرف وستصرف فى سبيل ذلك وأن حالتنا الراهنة من العلم تسمح لنا بالاستمرار فى السعى وراء تحقيق هذه الغاية . وتشجعنا فى هذا الامثلة الكثيرة التى تقدمها لنا الطبيعة كل يوم فهناك كثير من الكائنات الحية لاتعرف الموت ولا توجد بينها تلك الحاجة الغريبة الى التلاشى والزوال

كيف نحتفظ بالحياة :

ولكي نعرف بالدقة كيف نستطيع الاحتفاظ بالحياة وما يجب علينا فى ذلك يحسن بنا أن نبدأ بدراسة الطرق التى يتطرق بها الموت والتلف إلى الجسم فاذا ما عرفنا حقيقة هذه الطرق

أمكننا أن نتسلح للتغلب عليها بالسلاح النافع وأن نقيم فى سبيلها الحصون المنيعة والسدود القويه لمتينة . ودراسة هذه الطرق أمر سهل لحسن الحظ . لانها تكاد تنحصر فى طريقة واحدة فالسلاح الوحيد الذى يستعمله الموت للقضاء على الحياة فى الجسم وهو النتيجة العامة التى ترمي اليها كل الامراض تنحصر فى كلمة واحدة هى الشيخوخة

ومن حسن الحظ أن الشيخوخة تظهر فى الجسم بمظهر يكاد يكون واحدا إن السبب الرئيس الذي تعقبه الشيخوخة هو التصلب ونحن نسمى العضو من أعضائنا شيخا إذا حل به التصلب . من ذلك نستنتج أن الموت أو المرض يلجلآن لابادة الحياة فينا الى سلاح هو الشيخوخة وانهما يحلان هذه الشيخوخة من أجسامنا بطريق عام هو التصلب ومن هنا نرى أن الشيخوخة والتصلب لفظان يعبران عن حقيقة واحدة

الشيخوخة

يتضح مما تقدم أنه ليس أمامنا من سبيل للتغلب على الموت إلا بالتغلب على الشيخوخة وتأجيل حلولها بالجسم الى أبعد مدي ممكن . فانه من المعروف أن الشيخوخة تهيء الجسم للمرض وتجعله مرتعا حصينا للميكروبات . ولقد رأينا انه للتغلب على الشيخوخة يجب أن نمنع الجسم من أن يصبح فريسة لعملية التصلب التى تسبقها . ولو تأملنا قليلا الاسباب المباشرة التى تسبب التصلب لوجدنا انه من السهل مقاومتها . إذ التصلب يرجع فى كل الحالات تقريبا إلى أمر من اثنين اما توقف الغدد الصماء عن الافراز كليا او جزئيا او حدوث التسمم بالجسم سواء أ كان هذا التسمم بطيئا أو سريعا ملحو و مهملا

الغدد الصماء

نقصد بالغدد الصماء الغدد التي تصب افرازها فى الدم مباشرة كالغدة النخامية اوالغدة الدرقية أو غيرها . وهذه الغدد مقوم من مقومات الحياة الاساسية فى جسم الانسان فضلا عن أنها أكبر منظم ومقياس لقوى الانسان الحيوية ونشاطه وإلي ذلك فانها تلعب دورا خطيرا فى مناعته وقدرته علي المقاومة

ويكفى للدلالة على خطورة هذه الغدد وأهميتها الكبرى فى جسم الانسان أن نقول أن استئصال بعضها لابد أن يعقبه الموت مباشرة . ويمكننا أن نربط الشيخوخة إلى حد بعيد بتوقف

الغدد التناسلية وهي غدد صماء عن افراز هرمونها الخاص وصبه فى الدم . ولذلك قد تبادر الى ذهن العلماء منذ زمن بعيد استعمالها فى مقاومة الشيخوخة واعادة الشباب وأول من لجأ لذلك استاذ فرنسى هو « براون سيكار » فحقن نفسه بخلاصة الغدد التناسلية للغدة ولاحظ انها زادت كمية نشاطه وحيويته وقد شجع ذلك غيره من العلماء على القيام بابحاث أخرى كثيرة فى هذا الموضوع ادت إلى مثل ما هو معروف عن عمليات الدكتور « فورنوف »

وواضح أن مثل هذه العمليات يحفها كثير من المخاطر فضلا عن أنها تتطلب مهارة خاصة واشرافا طبيا دقيقا لانها على قدر عظيم من الصعوبة فوق أنها محدودة الفائدة لانها قصيرة الاستمرار إذ ينحل الجزء المطعم شيئا فشيئا حتى يزول كلية نظرا لانه مأخوذ من حيوانات أخري غير الانسان وإن كانت الصلة الحيوية كبيرة بينهما

التسمم

بقى التسمم كعامل من العوامل المؤدية الى الشيخوخة وكسبب مباشر لتعجيلها ولقد عبر فريق من العلماء عن الشيخوخة بأنها تسمم بطيء يصيب خلايا الجسم شيئا فشيئا حتى يظهر بعظهر الشيخوخة من الجسم كله فى آخر الامر

ولهذا التسمم مصدران. مصدر خارجى ومصدر داخلي. أما المصدر الخارجى فواضح انه هو ما يمكن أن نتناوله من السموم . وواضح فى هذه الحالة أن العلاج الوحيد لذلك هو أن نمتنع عن تناولها بالمرة لو أردنا أن نطيل حياتنا . لاشك أنه لو سألك طفل كيف يستطيع أن يعيش طويلا ولاحظت أن فى يده زجاجة من الليزول او حمض الفينيك أو أى سم آخر لكان من الطبيعي جدا أن تنهاه أولا عن ان يشرب مافى يده — وكذلك الامر معنا أن الطب ينهانا إذا كنا نريد أن نحتفظ بحياتنا إلي أقصى مدة أن نتجنب تعاطى السموم ولا شك أن ما يقصده بكلمة السموم لا يقصد به الايزول وحمض الفينيك أو صبغة اليود انما يتعداها إلى الكحول الموجود فى الخمر والنيكوتين الموجود فى الدخان والسموم العضوية الموجودة فى اللحوم المحفوظة علي العموم ثم السموم الموجودة فى المواد الملوثة بنوع عام سواء أكانت من الخضراوات أو غيرها

وعلى ذلك يحسن بنا أن نتأكد أولا أننا لانتناول من هذه السموم شيئا وأن نجتهد كل الجهد فى أن نتحاشاها كلية فان فى ذلك توفيرا لمجهود هائل يصرفه الجسم فى سبيل التغلب عليها هو أحوج ما يكون اليه لاداء وظائفه الاخرى

المصدر الداخلى

ولعل القارىء مشتاق الآن لان يقف على هذا المصدر الداخلى الذى يورد له من السموم ما يعجل شيخوخته ويحرمه من كثير من نشاطه وصباه وذلك على أمل التخلص منه بأقرب فرصة وفى أقصر وقت . والامر هين بسيط إن هذا المصدر الرهيب هو الكميات الهائلة من الميكروبات التى تعيش عادة فى أمعائنا الغلاظ . وهذه الميكروبات موجودة فى أمعاء كل الناس على السواء وهي تنشأ وتتوالد فيها بعد مدة قصيرة من الولادة ثم تظل فيها حتى نهاية الحياة

التعفن والتخمر :

وتعيش هذه الميكروبات فى الامعاء الغلاظ للانسان وتستمد الغذاء الذى يعوضها ماتفقد من مجهود فى الحركة والنشاط والتوالد من فضلات الغذاء الموجودة فى هذه الامعاء . وهى تنقسم من حيث طريقة استخدامها لهذا الغذاء والانتفاع به الى قسمين مختلفين قسم يلجأ الى تخمر المواد السكرية وقسم يلجأ الى تعفن المواد الزلالية وسنرى أهمية هذا التقسيم فيما يلي

والآن لنتأمل قليلا عمليتى التخمر والتعفن هذه لنري بعض نتائجها وشروطها . يفرز الميكروب انزيماته الخاصة فتؤثر هذه الانزيمات على المواد الصالحة لغذائه أى على المواد السكرية اذا كان من ميكروبات التخمر أو على المواد الزلالية اذا كان من ميكروبات التعفن . وتؤثر هذه الانزيمات فى تلك المواد محترقة فيها سلسلة من التغيرات الكيمائية التى تنتهى بجعل المادة الاولية صالحة لغذاء الميكروب وهذه العملية تشبه عملية الهضم فى الانسان . والآن لنتأمل قليلا ما تنتجه كل من عملتى التخمر والتعفن على حدة

أما عملية التخمر فانها تنتهي بأن تحول المادة السكرية الى مادة حامضة وللتخمر أشكال متعددة ولكنها تشترك فيما بينها فى هذه الخاصة وهى انها تعطى الوسط الذى تحدث فيه مقداراً معينا من الحموضة يتوقف علي نوع الميكروب المسبب لها ونشاطه

أما عمليه التعفن فانها بعد أن تجرى فى المادة الزلالية عدة تحولات كيمائية معقدة تنتج منها ما يعرف بالاميفيات وهذه المجموعة من المواد العضوية تمتاز بقاعدنيها وبأنها تتضمن عددا وافراً من أفتك السموم القتالة مثل البتومائين مثلا . وعلى ذلك بعض عملية التعفن فوق السموم الآنفة الذكر فى الوسط الذى تحدث منه مقداراً معينا من القاعدية

مما تقدم يتضح أمر مهم وهو أنه يوجد بين عمليتي التخمر والتعفن تضاد ظاهر من حيث ان الاولى تستلزم وسطا حامضا والثانية تستلزم وسطا قاعديا . ومن ذلك نستنتج اننا نستطيع التحكم فى حياة الميكروبات داخل الامعاء الغلاظ فان حموضة الوسط أو قلويته تؤثر كثيرا فى نشاط الميكروبات . فميكروبات التخمر مثلا أكثر نشاطا فى الوسط الحامض منها فى الوسط القاعدى والعكس بالعكس بالنسبة لميكروبات التعفن

والنتيجة التى نريد أن نصل اليها مما تقدم هى أن التعفن يولد سموما فتاكة وهذه السموم يمتصها الجسم وتتوزع على خلاياه المختلفة حيث تسبب التصلب والشيخوخة ان لم يعادلها الكبد ويوقف تأثيرها وعلى ذلك نرى ان التعفن هو فى الواقع المسئول والمسبب الرئيس للشيخوخة مادمنا نسلم انها تحدث عن طريق التسمم البطىء المستمر

العلاج

واضح ن العلاج الصحيح لايقاف الشيخوخة أو تأجيلها هو التخلص من عملية التعفن هذه بأى حال من الاحوال وأول فكرة تخطر لنا عند التفكير فى وسيلة لذلك هى التى أوحت العلاج الجراحى

لقد ذكرنا فيما تقدم أن السبب فى هذا التسمم هو عملية التعفن وأن عملية التعفن هذه تسببها الميكروبات الموجودة فى الامعاء الغلاظ من أهمية واضحة فى جسم الانسان فلماذا لانستأصلها كلية و نتخلص بذلك من الميكروبات التى فيها وما تلحقه بالجسم من ضرر بليغ ؟

لقد تساءل نفس هذا السؤال الاستاذ متشنيكوف البكتريولوجي العظيم ولم يتردد لحظة فى الاجابة بالايجاب . فقد نصح بأن نستأصل كل الامعاء الغلاظ وادعى انه لابد ان يأتى يوم تستأصل فيه هذه الامعاء لكل الاطفال وأن تصبح فيه هذه العملية من العمليات الضرورية كعملية التطعيم ضد الجدرى أو السل مثلا . ولكن متشنيكوف وان كان بكتريولوجيا فذا لم يكن جراحا كما انه لم يكن فسيولوجيا ولذلك لم يقدر صعوبه العملية وكثرة نفقاتها الباهظة كما انه نسى ان هذه الامعاء ربما كانت ذات قيمة فسيولوجية عظيمة وان كنا حتى الآن لم نتحقق من ذلك . ولقد كفى هذان الاعتراضان علي احباط دعوى متشنيكوف لاستئصال الامعاء الغلاظ

وعلى ذلك وجب البحث عن طريق آخر للتخلص من عملية التعفن هذه وما تولده فى الجسم من سموم قاتلة

البحث عن الطريق :

منذ ذلك الحين أخذ العلماء فى التفكير عن طريقة جديدة يصلون بها الى غايتهم الاولى وهى التخلص من هذه السموم . وأول فكرة عرضت لذلك هى قتل الميكروبات الموجودة فى الامعاء الغلاظ واقترح البعض استعمال المطهرات ولكن ظهر ان استعمال هذه المطهرات معناه زيادة عملية التسمم فى الجسم لان هذه المطهرات نفسها ليست الا سموما هى الاخرى وأنها عرضة لان تمتص فى مختلف أجزاء الجسم . وفوق ذلك فاننا لو فرض واستطعنا أن ندخلها الي الامعاء الغلاظ مباشرة فان مجرد احتكاكها بجدر هذه الامعاء كاف لقتل الغدد الهضمية الموجودة فى هذه الجدر مما لايمكن تعويضها فيما بعد . وفوق ذلك فاننا لو فرضنا أن المطهر المستعمل قد قتل كل الميكروبات الموجودة فاننا لانلبث أن نرى ظهورها ثانية بعد مدة من الزمن نظرا لتلوث أطعمتنا بها

وبعد قليل اتضح أن هذا الطريق أيضا غير صالح كما أنه لا يؤدى الى النتيجة المطلوبة ولكن الطريق الصالح لم يلبث أن يظهر جليا وعندئذ وضح أن الطريقة المثلى للتخلص من هذه السموم تنحصر فى ايقاف عملية التعفن نفسها ومن حسن الحظ سنرى أن هذه العملية سهلة ميسورة بل على جانب عظيم من البساطة

ايقاف التعفن

ولايقاف التعفن طرق شتى لا شك أن القاريء قد فطن اليها عند الكلام عن شروط حدوث هذه العملية . وبتغيير هذه الشروط نستطيع أن نتحكم فى حدوث العملية نفسه كما سيتبين ذلك فيما يلى ويحسن أن نذكر القاريء أولا بتلك الملاحظة التى سبق أن أشرنا اليها وهي أنه يوجد بين التخمر والتعفن فضاء هائل وإننا نلجأ الى تخمير ما نريد حفظه من المواد وبذلك نحول دون تلفه وتعفنه

نستنتج إذن مما تقدم انه يكفى لايقاف التعفن أن نحل التخمر محله وأن نشجعه ما أمكن . ومن حسن الحظ نلاحظ أن عملية التخمر تعطى الوسط كمية من الحموضة تتوقف على الميكروب المولد له

والمواد المتخمره وهذه الحموضه لاتساعد على حدوث عملية التعفن بل بالعكس قادرة على ايقافها نهائياً وهذا هو السبب الحقيقى من قضاء العمليتين . يتضح اذن مرة ثانية ان تشجيع عملية التخمر كفيل بتخليص الجسم من عملية التعفن وما تنتجه من السموم . وهناك ملاحظة أخرى يجب أن نذكرها قبل الكلام عن كيفية تشجيع عملية التخمر هذه وتتلخص فى أن الحموضة التى يولدها التخمر فى الامعاء الغلاظ تجعل حركة هذه الامعاء أكثر نشاطا وقوة ومن ثم تجعلها تطرد الفضلات الغذائية بسرعة مخلصة الجسم بذلك مما يمكن أن يكون فى نفس هذه الفضلات من السموم

تشجيع التخمر

رأينا فيما تقدم أن تشجيع التخمر هى الوسيلة الفعالة لتخليص الجسم من عملية التعفن وما تنتج من سموم وتشجيع التخمر أمر سهل ويتلخص من عدة وسائل سنذكرها فيما يلى

أول هذه الوسائل هى اعطاء الجسم مواد أكثر قابلة للتخمر منها للتعفن وقد ذكرنا أن مثل هذه المواد السكرية النشوية . ولكن ليس معنى ذلك أن نقتصر فى طعامنا عليها فان فى ذلك أشد الضرر . اذ ما يلزم لنا فى الواقع هو ايصال كمية من هذه المواد الي الامعاء الغلاظ لتتخمر فيها بواسطة ميكروب التخمر الموجودة هناك ولتعطى بذلك الامعاء الغلاظ المقدار الكافى من الحموضه لايقاف عملية التعفن وشل حركتها . ولكننا لو لاحظنا أن أغلب هذه المواد تمتص قبل وصولها الى الامعاء الغلاظ رأينا الصعوبة فى ذلك . ان أكبر كمية من السكر الذي نتناوله تمتص قبل وصولها الي المعى . من هنا نرى أنه يجب علينا البحث عن مواد لا يمتص ما فيها من سكر الا فى الامعاء الغلاظ ولقد تطلب هذا البحث وقتا طويلا ولكنه هدانا الى عدد من هذه المواد جدير بأن يعطينا أبهر النتائج ومن غريب الصدف أن تكون هذه المواد فى متناول الجميع فمنها التين الجاف والبلح الجاف والعنب الجاف « الزبيب » والجزر والبرقوق الجاف

يتضح مما تقدم فائدة تناول هذه المواد ففضلا عما فيها من الغذاء فان كمية السكر التى تحتويها لا تمتص الا فى الامعاء الغلاظ حيث تتخمر منتجه ما نبحث عنه من الحموضة الكافية لايقاف عملية التعفن وطرد ميكروباتها مع فضلات الغذاء الغير الصالحه

وليست هذه هي الطريقة الوحيدة لتشجيع عملية التخمر فقد هدانا البحث الي طريق آخر فقد رؤى أنه مادمنا قد تخلصنا من ميكروبات التعفن فانه من الحكمة أن تحل محلها ميكروبات أخرى ميكروبات التخمر القوية والغير الضارة بجسم الانسان . ان هذا لا يضمن لنا فقط استمرار عملية

التخمر على أحسن وجه انما يضع سدا منيعاً فى وجه ميكروبات التعفن من العودة ثانية الى الامعاء الغلاظ

وبالبحث وجد أن مثل هذه الميكروبات متوافر فى الطبيعة ومتوافر على الأخص فى الالبان المتخمرة أي الرائبة. ومن غريب الصدف أن نلاحظ أن طول العمر اي بلوغ المائة مثلا أمر عادى وملحوظ بكثرة بين الشعوب التى تعتمد فى غذائها على هذا النوع من الالبان وربما أمكن أن نلاحظ أن الاشخاص المعمرين فى عائلة ما هم أكثر أفرادها ميلا الى هذه المواد

مما تقدم يتضح لنا الفائدة التى نجنيها من وراء تناول مثل هذه الالبان ولقد شاع ذلك فى البلاد الاوربية حتى أصبح حلبة يتسابق فيها المتسابقون ويتهافتون عليها وأصبحنا نسمع بين عامة الشعب الاطراء الكثير لهذا اللبن

لعل القارىء مقتنع معي بان فى استطاعته الآن أن يطيل حياته اذا شاء وأغلب ظنى أنه تواق لذلك نزاع اليه. خصوصا وأن الطرق الموصلة الى ذلك آية من البساطه والسهولة

ماذا يكون لو اننا تجنبنا اللحوم والاسماك على العموم وخصوصا المحفوظ منها رفضلنا عليها النباتات والحبوب

ماذا يكون لو أننا تعودنا أن نتناول كل صباح قليلا من البلح الجاف أو التين الجاف أو الزبيب الجاف بعد غسلها أو الجراسيا المطبوخة

وماذا يكون لو أننا اكثرنا فى غذائنا من الالبان الرائبة نتناولها فى الصباح أو فى المساء. انها ليست كريهة الى الحد الذى يتصوره البعض منا ومهما كانت كريهة فلاشك أن الموت والشيخوخة المبكران أكثر كراهيه

نلخص ما تقدم فى قواعد بسيطة أولية حبذا لو تذكرناها دائما. اذا أردت أن تعيش طويلا فعليك بما يأتى

أولا — تجنب السموم تجنبا تاما واعرف أن من بينها الدخان والخمر

ثانيا — اعتن ما استطعت بغددك الصماء وكلما الم بك مرض اعرض نفسك على طبيب فى الحال ولا تكن مفرطا فى اى أمر من امورك

ثالثا — أكثر من الخضراوات بقدر اقلالك من اللحوم وتجنب بنوع عام كل المحفوظات

رابعا — احمض فى طعامك الى ما ذكرنا آنفا من المواد الغذائية ولا تأنف أن تعتاد تناول

طعام معين فى وقت معين ففى ذلك نفع كبير

خامسا — احذر الامساك وقاومه بكل قواك

سادسا — لاتظن أن أكل البلح والتين ينجيك من كل شيء اذا تهاونت فى القواعد الصحية الاخرى . ان ذلك سلاح قوى كما رأيت ولكنه لايغنى فتيلا لو أهملت كل ما عداه من الاسلحة

العبرة

إن اطالة الحياة ممكنة ميسورة وهى ان لم تكن ممكنة إلى الابد فانها مستطاعة ولو الى وقت . كم تجنى الانسانية من خير لو عمر بنوها إن الشيخوخة هى فى الواقع أخطر الامراض الاجتماعية وأشدها فتكا بالانسانية . ولاشك أن الحياة لذيذة وهي جديرة بأن نحيا فى نشاط ومتعة وحبور إن الطريق لذلك سهل ميسور للجميع انما يجب قبل ذلك أن نتسلح بسلاح من التبصر والتعقل ليس القدر هو كل شيء إن الانسان أيضا حقيقه أوضح مما يمكن أن يكون فى القدر من حقيقة . وعلى ذلك من يدرى ربما إذا شاء الانسان شاء القدر بل اننى أعتقد فى قرارة نفسى أن ارادة القدر من ارادة الانسان

قليل من الحكمه يجعلنا نحيا أطول مانستطيع لو أننا كنا حقا نريد

لا لله ولا للشيطان

لصلاح الدين كامل

« من أمين (٢٥ سنة) الى فهمي وهو صديق له اكبر منه ببضع سنوات »

قصة في خطاب

تلومني على ما ارتكبت في حق توفيق مما نشأ عنه ذلك النفور الذي استحكم بيننا ! أنا أعرف ياصديقي أني الملوم وأني المخطىء ! والمضحك أن كل ماحدث من خلاف قد خلقته أنا - وخلقته عمدا - ليعصف بما بيننا من صداقة ! ! ولاتعجب لتصرفي هذا ففي المسألة لغز سأكشف لك عنه فما تعودت اخفاء شيء عنك وعهدي بك كتوم للسر

توفيق قريبي وهو أيضا صديقي منذ الصغر . كنا لانكاد نفترق قبل زواجه . وبعد زواجه لم يتغير الامر كثيرا ، فكل ماحدث يكاد ينحصر في أننا صرنا ثلاثة بدلا من اثنين . دائما كنا سويا ، أما في منزلهما أو في نزهة ما . وكنا نمضي الوقت على أتم مانكون سروراً وصفاء . ما كان يخطر ببالي أن صداقتنا يمكن أن تذوي يوما من الايام !

الا أن بذرة سيئة قد نبتت في نفسي وأخذت تنمو نمواً مضطرداً ! باختصار أحببت زوجته !.. أحببتها حباً قويا دفاقا وأعترف بانه حب حواسي دنس رغم أنه لم يدنس . بقيت طويلا أغالط نفسي ولكن عبثاً ، فقد تغلغلت تلك الرغبة المشتعلة في دمي وعجزت عن اطفائها

كنت أعجب بكل جزء من أجزاء جسمها إعجاب اشتهاء . كنت أنتهز كل فرصة لأطيل النظر الى تقاطيعها محاولا - والرغبة تكاد تفترسني - أن أستشف ببصيرتي ماوراء ملابسها الملاصقة المجسمة النامة . ما كان يتعرى جزء منها ، حين تنحني لتلتقط شيئا أو ترفع ساقا لتضعها على الاخرى ، الا ويكون بصري أسبق اليه من غطائه . ما كنت أنفرد بنفسي في غرفة من غرف المنزل وأجد أمامي شيئا من ملابسها الا أخذته بين يدي أشمه وألثمه وأقبله . ما كان جسمي يلمس جسمها حتى تجتاح الشهوة كل كياني . وما كنت لأفارق صديقي وزوجته في الليل وأذهب الى فراشي حتى أتخيلها الى جانبي ، فاذا مانمت فكثيرا ما أحتضنها في أحلامي

أما شعورها هي نحوي فلا أدري كنهه بالضبط ! لاشك أنها كانت تلحظ ما أنا فيه . لايمكن أن يكون خلاف ذلك ، فالمرأة بطبيعتها حساسة وذكية جدا في هذه المسائل . ولاشك أنها كانت

تحبنى أو تحب عشرتى على الاقل . ولكنها مطلقا لم تغرنى أو تشجعنى على مفاتحتها بالغرام ! ولست أدري أكان ذلك لأن حبها اخوى محض أم هى كانت تبادلنى شعورا مثل شعورى أو شبيه به ولكنها تكبت عواطفها لما بينى وبين زوجها من علاقة ؟ !

وسأحكى لك حادثة وقعت قبيل اختلافى مع توفيق تفهمك حرج المركز الذي كنت قد وصلت اليه ، ولعلها هى الحادثة التى جعلتنى أعجل بالقاء القنبلة التى هدمت صداقتنا :

كانت الساعة العاشرة والنصف مساء وكنا ثلاثتنا فى المنزل لم نخرج تلك الليلة . كنا جالسين فى غرفة النوم . توفيق وأنا مشغولان فى حديث لايهمها ، وهى ممددة على « الشيزلونج » تلهو بقراءة قصة . وبينا نحن كذلك اذا بزائر يدق الجرس فيتزل توفيق لاستقباله . والتفت ناحيتها فاذا بالنوم قد غلبها وسقط الكتاب من يدها ... بينما ظل نور المصباح الكهربائى الذى كانت قد وضعته بجانبها على « الكومودينو » ليعينها على القراءة مسلط على صدرها ــ وقد أسفرت فتحة ثوبها عن منبت نهديها ــ يزيده فتنة واغراء . وما أدركت أنه لاثالث لنا فى الغرفة وهى أمامى نائمة حتى فقدت تمالكى ، فتقدمت نحوها فى رجفة واضطراب أشبع بصرى الزائغ النهم من جسمها الشهى الخلاب . ولم ألبث أن اندفعت دون وعى أحتضنها وأقبلها بوحشية فى صدرها وفمها وعينها وشعرها وفى كل موضع منها حتى القدم ! حدث هذا دون أن تحتج أو تبدي حركة مع أنها لاشك قد استيقظت ! ! . . . ولولا بقية من العقل والارادة لعاد الزوج الصديق فوجد نفسه أمام أجرأ وأشنع جريمة يمكن أن ترتكب

والغريب أنه بعد تلك الليلة لم يتغير الموقف . كل ماجد أنها صارت تتحاشى التقاء نظراتنا وترتبك إذا ماانفردنا ولو لبضع ثوان . أما أنا فقد ازدادت حالتى سوءاً . صرت كالمحموم ، المحموم الذي يوقن أنه لن يخفف من حرارته المتقدة القاسية سوى أن يغمر حواسه الثائرة المريضة فى ذلك الجسم الذي يراه طول الوقت متماوجا أمام عينيه ويشمه زكيا ، المحموم الذي تحرقه نار الحمى ويرى أمامه الدواء الشافى ولايجرؤ على ارتشافه !

وانقلب الامر إلى جهاد وعراك بينى وبين نفسى ــ جهاد وعراك عنيف هدام ــ أفسد حياتى بل كاد يقضى علىّ . كان مابينى وبين توفيق من قرابة وصداقة يجعلنى أصغر فى عينى نفسى حتى لأكاد أتلاشى عند ما أفكر فى أن أنشىء بينى وبين زوجته علاقة ، الا أن كبح تلك الرغبة الجامحة التى تدفعنى نحوها كان يكلفنى كثيرا !

وأخيرا رأيت أن هذه حال لايمكن أن تستمر ... ولاخلاص ــ لاحل لهذا المشكل ــ مادامت علاقتى بتوفيق قائمة مابقيت صحبتنا موثقة ، طالما ألقاه وألقى زوجته كل يوم تقريبا فان تخلفت يومين متتاليين جدّا فى البحث عنى حتى يكمل مجلسنا !.. تخلقت هذا الخلاف الذى سمعت خبره ، خلقته خلقا لأنجو بنفسى من هذا الموقف الشاذ المضطرب ، لأقضى على تلك الصحبة العرجاء ، لأفرق هذا المجلس المذبذب الذى لايرضى الله ولا يرضى الشيطان !

كيف أرى العالم

بقلم البرت ايذشتين صاحب نظرية النسبية

كم يبدو غريبا وشاذاً موقفنا نحن البشر من أنفسنا . ان كلا منا ليس على الارض إلا لزيارة قصيرة يجهل سببها ولكنه يعتقد فى قرارة نفسه أنه يشعر بها ويحسها أبداً . ودون أن ندفع التفكير إلى أبعد من ذلك نجد أن لنا رأيا معينا فى الحياة اليومية . إننا موجودون على الارض لأجل الآخرين وليس لأنفسنا فقط . أولا لأجل أولئك الذين تكون ابتسامتهم وسرورهم أساس كل سعادة يمكن أن نحسها وأيضا من أجل تلك الجماهير الغفيرة التى نجهلها والتى تربطنا وإياها روابط العاطفة والشفقة والرحمة . واليك ما أفكر فيه يوميا مراراً عديدة . إن حياتى الخارجية وكذلك حياتى الداخلية تعتمدان على عمل معاصرى واسلافى . ولذلك فانه يجب على ان أسعى جهدى فى أن أقدم لهم أعمالا مفيدة بنفس النسبة التى تسلمت والتى لا أزال أتسلم بها إلى الآن من أعمالهم هم ولذلك فاننى أريد من صميم فؤادى بل اننى محتاج إلى أن أعيش عيشة هى أبسط ما أستطيع. وكثيرا مايحز الالم فى نفسى حزاً لاننى أطلب وأستهلك من اعمال الآخرين اكثر من اللازم

اننى أعتقد وأومن وأشعر بذلك فى أعماق نفسى أن الفروق بين الطبقات الاجتماعية ظالمة أشد الظلم وليس فيها أى أثر للعدل أو النزاهة وانها فى آخر الامر تعتمد على السلب والنهب والاغتصاب الدنىء . إننى أومن بكل نفسى أن حياة متوسطة معتدلة لاتعرف الغلو فى أى أمر من أمورها صالحة لكل منا لأجسادنا ولأرواحنا معا

إننى لا أومن بحرية الانسان بمعناها الفلسفى . ليس الانسان حراً كما نتوهم فنحن نعمل ليس تحت تأثير الضغط الخارجى فحسب بل تحت تأثير الحاجة الداخلية أيضا . إن كلمه شوبنهاور «لاشك أن الرجل يستطيع كل مايريد ولكنه لايستطيع أن يريد كل مايريد» قد تغلغلت فى أعماق نفسى منذ الصبا وكانت أبدا عزاء لى فى مصاعب الحياة وشدائد الوجود كما كانت منبعا فياضا للصبر والاحتمال . إن الشعور بما تقدم يخفف عنا وطأة الاحساس بالمسئولية الذى يجهدنا غالبا ويضنينا . كما أنه يجعلنا اكثر رحمة فى معاملة أنفسنا أو الآخرين إذ يدعونا إلى التساهل كثيرا فلا نأخذ أنفسنا أو الآخرين بالعنف والصرامة والشدة الزائدة كما أنه يهىء لنا فهما جديدا للحياة يمتاز بانه يترك محلا للانشراح والسرور أو الفرح والضحك

لقد ظهر لي دائما أن الانشغال والاهتمام والتفكير فى الغرض والمعنى من وجودنا أو وجود الآخرين أمر لامعنى له. ومع كل فلكل منا من الناحية الاخرى مثل أعلى يتعقبه فى أعماله ويستلهمه فى أحكامه ومحاولاته. من ذلك رأيت أن السعادة أو الرفاهية ليست الغرض الاسمى أو الغاية القصوى من الحياة. إننى أسمى هذه القاعدة الاخلاقية بالمثل الاعلى للشهوانيين من البشر الذين لايلوون على شيء ولايهتمون بشيء عدا اشباع لذاتهم الجسدية. إن الامثلة العليا التى اهتديت بهديها والتى أنارت لى سبيلى والتى ملأتنى أبدا شجاعة ساهرة وعزما اكيدا لم تكن غير الخير والجمال والحق. ولو لم أحس ذلك الاحساس العميق الفياض بالتوافق بينى وبين أولئك الذين أقاسمهم العقيدة والرأي وأشترك وإياهم فى الحياة أو لو لم تكن فى تلك الرغبة الملحة فى تحسس المجهول والبحث عنه سواء فى ميدان الفن أو الميدان العلمى لما ترددت لحظة فى القول بان حياتى فارغة خاوية. إن الاغراض العادية التى ترمى اليها مجهودات الكثيرين من البشر من غنى وثروة أو جاه وسلطة أو نجاح ورفاهية قد ظهرت لى دائما وذلك منذ سنين حداثتى جديرة بالاحتقار والازدراء

وعلى العكس من شعوري العميق وايمانى القوى بالعدل والواجبات الاجتماعية فانى لم أحس أبدا بحاجة التقرب إلى الناس أو إلى جمعياتهم أيا كانت. اننى أشعر فى نفسى كأنى حصان جامح يريد أن يجري وحيداً والحق أننى لم أحب لحظة من كل قلبي لا الحكومة ولا أرض الوطن ولا جماعة الاصدقاء والمحبين ولا حتى جماعه الاقارب المقربين بل بالعكس كنت أجد دائما نفورا شديدا من كل هذه وكم من مرة احسست إحساسا عميقا باننى غريب عنها. إننى كنت أجد فى نفسى نحو هذه العلاقات رغبة ملحة فى الوحدة والانعزال. وهذا الشعور وتلك الرغبة تزدادان يوما عن يوم وعاما عن عام. إننا لانلبث أن نصطدم دون أسف بالحد الذي يحد اتفاقنا وسلامنا مع الجار. إن شخصا كهذا يفقد ولاشك كثيرا من حسن العاطفة ولين المعاملة بالنسبة للآخرين كما قد يزيد بذلك على نفسه كثيرا من الهموم والمشاغل ولكنه يكسب نظير ذلك استقلالا تاما فيما يتعلق بآراء وعادات وأحكام الآخرين من أنظاره وامثاله. وهو لذلك ليس مضطرا لأن يهيء توازنه الشخصى على أسس متغيرة تفيد تلك الآراء والعادات والاحكام

إن مثلى الأعلى فى السياسة هو المثل الأعلى الديموقراطى. اننى أعتقد أنه يجب أن يخدم كل انسان فى شخصيته وأن لا يؤله أو يدلل أحدا كائنا من كان. انه من سخرية القدر أن يشهد لى معاصرى بكثير من التبجيل والاعجاب الذى لا أستحقه علما بان ذلك ليس ناتجا عن خطأ ارتكبته. وأغلب ظنى أنه ناشيء عن تلك الرغبة التى لا يمكن تحقيقها عند الكثيرين فى فهم القليل من الافكار التى

توصلت اليها بفضل قواى الضعيفة فى أثناء صراع دام طويلا

اننى أعرف أنه لكى تنتظم أمور جماعة ما فمن الضرورى أن يضطلع واحد فقط باعباء ادارتها على مايتطلبه ذلك من انتباه وتفكير وتنفيذ . وأن يتحمل ذلك الشخص مسئولياتها المختلفة ولكن لايجب أن يكون ذلك مبرراً لاكراه أولئك المحكومين وسوقهم جبرا وقسوة إذ يجب أن يكون لهم الحق فى أن يختاروا من يريدونه رئيسا عليهم . إننى مقتنع أشد الأقتناع بان النظام الاتوقراطى لايلبث أن ينصرع وينهار فى قليل من الزمن . وفى الواقع فان السلطة المطلقة والسلطان المغتصب تجذب دائما نحوها ضعيفى الخلق والمنحطين ولذلك فاننى مقتنع أيضا أشد الاقتناع أن المستبدين من ذوى العبقرية والنبوغ لا يعقبهم فى الاستبداد إلا الاوباش الانذال ومن أجل هذا كنت العدو اللدود للنظم السياسية التى تشبه تلك النظم الاستبدادية التى نراها الآن قائمة فى كل من روسيا وايطاليا . ان السبب فى تزعزع الثقة الذي يحوط النظام الديموقراطى اليوم فى اوربا لايجب أن يعزى الى الفكرة الاساسية فى هذا النظام السياسى ولكنه لنقص الثبات والاتزان فى رؤوس الحكومات وأيضا الى الطريقة المتبعة فى الانتخابات والتى لاتتحدد فيها شخصية الناخب . وأعتقد أن الولايات المتحدة فى أمريكا الشمالية قد اهتدت من هذه الوجهة الى الطريق القويم . فلهم رئيس مسئول منتخب لمدة طويلة من الزمن وله من السلطة مايمكنه من حمل المسئولية الملقاة على عاتقه فعلا . ومن الناحية الاخرى فاننى أقدر تقديرا عظما تلك العناية المعطاة للاشخاص حسب نظامنا الحكومى فى حالة مرضهم أو حاجتهم . وفى رأيي وحسب عقيدتى ان العنصر المهم فى كل الانسانية ليس الحكومة إنما الشخص المبدع ذو الشعور الحى أو بعبارة أخرى الشخصية . انها هى التى تخلق النبل والقدس بينما تظل الجماعات غبية الفكر وغليظة الاحساس

ونعود فى هذا الموضوع الى الكلام عن أسوأ البدع التى اكرهها وأمقتها . تلك التى تقوم بها الجماعات المساحة والتى يكونها النظام العسكرى . اننى أحتقر من أعماق نفسى كل من يقبل راضيا مسرورا أن يسير فى صفوف منتظمة خلف موسيقى عسكرية وأعتقد أنه لايمكن أن يكون قد أعطى مخا كاملا يفكر إلا عن طريق الخطأ أو نخاعا شوكيا يكفيه تمام الكفاية . وكم هو أحب علينا أن نخفى باسرع مايمكن هذا العار الذي لحق بالمدنية . كم آمره البطولة المصطنعة وسبل الاعمال الوحشية الغشيمة وروح الوطنية القاتلة . إننى اكره كل ذلك بكل ومن كل أعماق نفسى كم تظهر لى الحرب وضيعة مجردة عن كل احساس نبيل جديرة بكل احتقار ومقت . اننى أفضل أن أقطع إربا عن أن أشترك فى عمل بائس ورديء كهذا . وعلى الرغم من كل الظروف فاننى كلما فكرت فى خير الانسانية ازددت اقتناعا أن هذا الكابوس الجاثم على صدر الانسانية كان من

الممكن أن يختفى من زمن طويل مضى لو أن الرإى السليم والفكر الطبيعى للشعوب لم يفسده المغرضون وذوو الاطماع من السياسيين ورجال الاعمال بواسطة المدرسة أو الصحافة

إن أجمل مايمكن أن نتمتع به هو الناحية الخفية من الحياة . ان هذا هو الاحساس العميق الذي نحسه عند الاقتراب من أصول الفن ومهده أو من العلم الحقيقى . والرجل الذى اضحى لايستطيع أن يحس بالدهشة والاستغراب هو رجل ميت قد انطفأ نور عينيه . ان تأثير الخفى أيا كان ممزوجا بالخوف قد خلق الديانة أيضا كما دلهم الفن وأوجد العلم . ان احساسنا أن هناك شيئا لايمكننا أن نخترقه أو نكشف الستار عنه وعن أسراره ثم معرفتنا فوق ذلك بالمظاهر التى تضعنا أمام دلك الادراك العميق والذكاء الكلى ثم ذلك الجمال الباهر الاخاذ وجها الى وجه تلك المظاهر التى ليس من سبيل لنا الى فهمها وادراكها إلا فى أبسط صورها وأسهل أشكالها . أقول ان احساسنا ذلك الاحساس واحاطتنا علما بتلك الظواهر هما عندي أسس التدين الحق . وفى هذا المعنى وحده أعد نفسى بين أعمق المتدينين . إننى لا أستطيع أن أصور لنفسى إلاها يعاقب ويكافىء خلائقه أو يسير ارادته علينا كما نسير ارادتنا نحن على أنفسنا . إننى لا أريد ولا أستطيع حتى لو أردت أن أتصور انسانا يحيا بعد موته الجسدى . انها لنفوس ضعيفة تلك التى تغذى نفسها تحت تأثير الخوف أو الانانية المضحكة بأفكار شبيهة بهذه . إنه يكفينى لذة أن أتمتع بالشعور بغموض أزلية الحياة ، أن أعى وأن أحس ببهاء كل الموجودات وجمال بنائها ثم أن أكافح وأجالد وأصارع بنشاط وجد حتى احصل على قطرة مهما كان صغرها ومهما كانت ضئالتها من ذلك الادراك الكلى الذى تشمل مظاهره كل الطبيعة

ترجمة . ر . ش

سيجموند فرويد

الاحتفال بالذكرى الثمانين لميلاده

للدكتور صبرى جرجس

فى السادس من شهر مايو الماضى احتفل بالذكري الثمانين لميلاد العالم النمساوى الاشهر سيجموند فرويد . اذ ولد فى ٦ مايو سنة ١٨٥٦ فى بلدة فريبرج (من أعمال النمسا يومئذ وتشيكوسلافاكيا الآن) من ابوين يهوديين

وقد اتخذ مدينة فينا مقاما له وبدأ منذ أكثر من أربعين سنة ينشر ملاحظاته وآراءه التى جعلت اسمه معروفا فى أنحاء العالم أجمع والتى ستخلده فى تاريخ تقدم التفكير الانسانى

وقد وصف فرويد كيف بدأ اهتمامه بدراسة الامراض والاضطرابات العضوية التى تصيب الجهاز العصبى حين راعه فشل العقاقير وطرائق العلاج الاخرى في شفاء هده الامراض وحيرة المرضى فى الانتقال من طبيب إلى آخر دون جدوى . وقد زار شاركوت الطبيب ذا الشهرة الذائعة فى الامراض العصبية سنة ١٨٨٦ ثم نشر ملاحظاته عن الهستريا فى الرجال وعن امكان احداث الشلل الهستيرى بواسطة الايحاء عقب عودته إلى فينا فأثارت هذه الآراء عاصفة قوية من السخرية والاستهزاء وبعد ذلك زار برنهايم وليبولت فى نانسى ونشر عقب هذه الزيارة بالاشتراك مع بروير كتابه « دراسات عن الهستريا » تضمن شرح نظريته عن تأثير الذكريات الخبيئة بواسطة التنويم كطريقة من طرائق العلاج

ولكنه لم يقنع بهذه النتائج التى وصل اليها بل دأب على العمل حتى توصل الى اكتشاف طريقة توافق الآراء التى تعد أهم أركان نظرية التحليل النفسى . وبذلك أصبح ذلك الجزء غير الواعي من العقل — وهو الذى طالما تغنى به الشعراء ونشده الفلاسفة على مر العصور والاجيال — لا مفتاحا لتعليل كثير من الاعراض التى تظهر فى بعض الاضطرابات العصبية النفسية فحسب بل

وناحية من نواحي النشاط الانساني في الاحوال والظروف العادية أيضا . هذا فضلا عن ان محتوياته لم تبق موضعا للنظر والتأمل كما كانت بل موضعا للبحث والاستقراء

وقد أصبح التحليل النفسي أمراً معترفا به في كل النواحي التي تتصل بالتفكير والسلوك الانساني . بل لقد تغلغل في الطب أيضا حتى لم يسع معارضوه إلا قبول الكثير من تعاليمه كما هي دون محاولة الرجوع إلى أصلها ومنشئها . وقد وجهت إلى التحليل النفسي في وقت ما تهمة عجيبة هي أنه يسفه العقل والمنطق : ولكن هذا غير صحيح فانه بتقديره للقوى العاطفية غير الواعية انما يقوى وظيفة العقل إلى حد كبير . كما انه حورب في كثير من الممالك الاوربية ومنعت الكتب التي ألفت عنه من النشر والتداول فيها . وهذه المعارضة التي لقيتها نظرية التحليل النفسي تحتاج في ذاتها الى الشرح والتعليل . وهذا الشرح لا يعسر على فهمنا اذا لاحظنا أن التعاليم التي نادى بها فرويد قد غيرت بعض آرائنا تغييراً كبيرا . . بل قد تناولتها بالثورة والانقلاب في بعض الاحيان . وقد تناولت هذه التعاليم والنظريات شرح واظهار الدوافع غير الواعية في سلوكنا وهذا أمر يتعارض مع كبريائنا . ولهذا لا الى الحاجه في تأكيد التأثير الجنسي في كل أعمالنا يجب أن نعزو المعارضة التي اصطدمت بها آراؤه . ولا ريب في أن هذه المعارضة مضافا اليها العزلة التي أرغم الرجل عليها سنوات طويلة قد أثرت على موقفه في الميدان العلمي تأثيرا كبيرا . ولكنه لم يذعن أو يخضع للغير كما انه لم يحاول قط أن يربط نتائج بحوثه بالنظريات السيكولوجية العامة . ولهذا السبب لم تلق آراؤه تأييدا في غير الدوائر الطبية حيث تقابل الآن بترحيب يختلف عن الكراهة السابقة . والعجيب ان هذا التحول في تقدير آرائه لم يفتح عن بحثها ومناقشتها فان فرويد لم يوجه الى نقاده رداً مباشراً قط كما ان اتباعه ومؤيديه في كثير من الممالك لم يكلفوا أنفسهم مشقة الدفاع عن نظرياته . والواقع ان هذه الآراء والنظريات لم تقابل بنقد جدى نافع إلا في القليل النادر . لان النقد الجدى لمثل هذه النظرية يتطلب معرفة الملاحظات التي قامت على أساسها وهذه المعرفة بدورها تتطلب أن يقوم الناقد بعمل هذه الملاحظات . ولذلك فقد انحصر كل النقد الموجه اليها في انكارها وعدم الاعتراف بها فنمت وانتشرت وهي خالية من ذلك النقد الصحيح الذي يعد وجوده حافزا ورادعا لكل بحث علمي . ولكن على الرغم من ذلك أثبت فرويد على الدوام انه كفيل بمراجعة آرائه وتصحيحها أو العدول عنها في بعض الاحيان واذا لم يكن في كتاباته كثيرا من النظر والتأمل فانها تمتاز من ناحية أخرى بادراك كاتبها للصعوبة التي يعانيها الرجل

ذو التعليم والعقائد العادية فى فهم آراء ونظريات تتصل بميدان بعيد عن دائرة حياته وتجاريبه الواعية

وقد شبه البعض فرويد بدارون . والواقع ان كليهما يتفق فى المعارضة الشديدة التى لقيتهما آراؤهما ونظرياتهما لاول عهدها بالظهور وفى وعورة الطريق الذى اجتازه كل منهما للوصول بآرائه إلي حالة الثبات والاستقرار . وإذا كان داروين قد جرح كبرياء الانسان من ناحية أصله ومنشئه فان الضربة التى نالته من فرويد كانت أقوى وأعمق أثراً لانها تناولت آراءه ومعتقداته عن ذاته . وقد بدأنا الآن ننقه من الصدمة التى تعقب الرأى الجديد وبدأنا ندرك ان آراء فرويد دائما تحدد عصرا جديدا من عصور البحث والاكتشاف فى تاريخ العلم والتقدم الانسانى

كيف يجب أن نعيش

من الناس من يعيش فى الماضى : جل وقته ضائع فى التفكير وأعادة التفكير ، مرارا وتكرارا ، فى كل مامر به سارا كان اومنغصا هاما كان أم تافها . وهذا مرض يسببه عادة ضعف الأعصاب وضعف الأرادة ينميه

ومن الناس من يعيش فى المستقبل : غارقا فى بحر لانهائى من الاحلام والآمال . وهذا مرض أيضا يفسد حياة كثير من الشباب ، والشباب الذكى النابغ !... اذ أنه حين يتمكن هذا المرض ، يجعل الانسان عاجزا عن العمل ، ملولا ، يريد ان يصل وان يصل سريعا دون أن يسير على الدرب

ومن الناس من يعيش فى الحاضر ، والحاضر فقط : هو ابن ساعته لايشغله مامضى ولايهمه ماهو آت . وهذا فى الغالب يكون سعيدا ، سعيدا جدا ، إلا أنه حقير لاشخصية له بل هو أقرب لى الحيوان منه الى الانسان

أما الواجب ، فهوان نعيش فى الماضى والحاضر والمستقبل معا : رابحين من الماضى تجاربه ، والتجارب خير مدرسة تحثنا الى الرفعة بآمال واسعة ، وكل عمل عظيم كان قبل تحققه أملا .. على ان لاننسى بين طيف الماضى وخيال المستقبل جسم الحاضر ، لأن النجاح لايكون ألا بالعمل والعمل لايكون ألا فى الحاضر !

دزرائيلي : وزير بريطاني

كتاب تأليف الكاتب الفرنسي أندرية
موروا وتلخيص الاستاذ ديمتري ينى

للتاريخ

فى سنة الف ومئتين وتسعين أفرنجية طرد ادوارد الاول ملك انجلترا اليهود من بلاده . ونظرا لازدياد كراهية الشعب لهم اضطر أكثر من ستة آلاف نسمة أن يغادروا انجلترا . ورغب الملك فى أن يتركوها فى سلام دون أن يكدر صفوهم أو يزعجهم أحد . ولم يشذ عن هذه الرغبة سوى بحار أغرق ركاب سفينته

وفى سنة الف وثلثمائة وستة قرر الملك فيليب تحت ضغط حاجته للمال أن يرحب بهم وأن يفتح لهم أبواب بلاده حيث ظلوا أكثر من قرنين فى سلام . إلا أن اسبانيا بدأت بعد ذلك تقفل أبوابها فى وجوههم فأخذ أهل فينسيا وامستردام وفرنسا يرحبون بهم كما أخذت انجلترا ذاتها تعطف عليهم

وفى سنة ١٦٤٩ قدم لورد « فيرفكس » للبرلمان طلبا باعادة شعب اسرائيل إلي انجلترا وأيد طلبه « كرمويل » ووقعه « شارل الثانى » ومن ذلك الحين حتى نهاية القرن السابع عشر رحلت جماعات صغيرة من يهود البرتغال واسبانيا الى لندن

وفى سنة ١٧٤٨ شاهدت هذه الجماعات شابا ايطاليا يدعى بنيامين دزرائيلى كان قد بدأ حياته فى فينسيا ولكنه رأى أن يرحل الي انجلترا طمعاً فى أن يصيب نجاحا أوفر . ولشد ماصادف فى حياته الجديدة من صعوبات جمة انتهت بخسارته ودماره لولا زواجه الثانى من امرأة من أسرة كبيرة كان لمالها الوفير عون كبير فى حياته

وكان بنيامين هذا رجلا رقيقا لطيف المعشر يتكلم الانجليزية فى لهجة ايطالية ظريفة . قلما يختلط خارج عمله بيهودى آخر وكانت زوجته تعتقد انها لو كانت مسيحية لبلغت بفضل ما تحمل

من ثروة ضخمة وما لها من جمال فتان الصف الأول فى المركز الاجتماعى . ولعل هذا ماحدا بزوجها الى أن يمتنع عن ذهابه للمعبد رغم الهدايا الكثيرة التى كان يقدمها لاله اسرائيل

وكان لبنيامين دزرائيلي وساره زوجته ابن واحد يدعي اسحق شاحب اللون خجول . وكان جل غرضهما أن يساهم فى عمل أبيه ويكافح معه . ولكن سرعان ماخاب رجاؤهما وتقديرهما حين تبينا انه سوف لايصلح لهذا النوع من الحياة . فقد نشأ مولعا بالقراءة ولعا أيقظ فى أمه روحا تهكمية ساخرة . فلما ان بلغ الثالثة عشر من عمره كتب الشعر . وكان لهذا أسوأ الأثر فى نفس أبيه فقد كان لايزال يحتفظ فى بيته بصورة فنية تمثل شاعراً يموت جوعا فى غرفة حقيرة

وأخيرا عمد الاب إلي ارسال ابنه الى هولندا وفرنسا حيث قضى أربع سنوات تحت ارشاد مرب استطاع أن يخلق منه شخصا حر التفكير وان يجعل منه تلميذا لأحسن فلاسفة فرنسا « فولتير » و « روسو »

وبدأ يتسرب الرجاء إلى نفس أبيه ولكن لشد ما انهار أمله وخاب رجاؤه حين علم بقصيدته التى مطلعها « التجارة تفسد الجنس البشرى » ومن تلك اللحظة رأى الاب أن يترك ابنه وشأنه يعيش كما يريد ويبغى

وانتهج اسحق لنفسه خطة يسير عليها فكان يصرف أيامه فى غرفة المطالعة فى المتحف البريطانى حيث لم يكن يؤمها فى ذلك العصر أكثر من خمسة أو ستة من القراء

وذات يوم وجد نفسه مغمورا بقصاصات من الورق كان يدون عليها ملاحظاته وآرائه استطاع أن يؤلف منها مجموعة قصص استهل بها حياته العملية

وتزوج فى الخامسة والثلاثين من عمره بامرأة ظريفة طيبة القلب من أسرة ايطالية يهودية كأسرته . وكان جل غرضه من هذا الزواج أن يلقى عن عاتقه شئون المنزل ليتسع له وقته للتفكير والاطلاع والقراءة

المدرسة

ورزق اسحق ولدا دعاه بنيامين ثم بنتاً دعاها سارة تيمناً بوالديه . وساد الوئام بين الولد وأخته منذ الطفولة . وكانا يعبدان جدتهما ، شديدى الاعجاب بأبيهما وأسلوبه الكتابى . مقتنعين بانه من العبث أن يهتم لشأن من شئونهما أو أن يعنى بهما عنايته بكتبه وأوراقه ومكتبته

واعتادت الاسرة بأكملها أن تزور كل أسبوع دزرائيلى الجد مشيا على الاقدام . وكانت الجدة تدلل حفيديها دون أن تفكر فى تقديم بعض الحلوى لهما . أما الجد فكان يمنحهما قطعة من النقود ثم يعزف لهما قطعة موسيقية ويتحدث لهما بعد الانتهاء منها عن ايطاليا حديثا شائقا وكان بنيامين الطفل يعجب بقصص جده وينصت لما حدث منها خاصة فى فينسيا

واستقرت هذه الخيالات والصور فى ذهن بنيامين الطفل حتى اذا شاء القدر له أن يستلقى فى حديقة منزله تحت ظل أشجارها الوارفة أستسلم للخيال والاحلام

وبدأ بنيامين حياته الدراسية صغيرا جدا وتتلمذ أولا على الآنسة « رابير » ثم عهد بعد ذلك فى تربيته الى القسيس « باتيكاني » وفطن بنيامين الى الفارق الدينى بينه وبين سائر زملائه فى المدرسة حين كان يركع الاولاد كل صباح يصلون صلاتهم العامة . وبدأ من تلك اللحظة بنيامين وأخته يتحدثان كل مساء عن اليهودية والمسيحية . وكانا يعجبان جدا من الانظار وعبارات النقد التى كانت توجه اليهما من زملائهما . وعبثا حاولا أن يعرفا شيئا من والدهما فقد كان يعتقد أن التحدث فى الدين أمر تافه بيد انه كان يشعر فى الوقت ذاته بالفخر حين كان يذكر تاريخ بنى جنسه

واستمر الوالد يدفع اشتراكاته فى المعبد حتى سنة ١٨١٣ حين رفض ما عرضه عليه يهود لندن من اختياره رئيسا لطائفتهم . فلما ان اصر على رفضه حكم عليه المجلس بغرامة اربعين جنيها ابى اسحق ان يدفعها ايضا وانقضت ثلاث سنوات فى هدوء وسلام غير ان جماعه اليهود اصدروا عليه الحكم بالغرامة للمرة الثانية . وكان والده قد مات خلال هذه الفترة وانقطعت بموته صلة الاسرة بجماعة اليهود وانتهز اسحق هذه الفرصة وكتب لمجلس الطائفة يطلب محو اسمه من سجلاتهم

انقطعت صلته باليهود ولكنه لم يعتنق المسيحية غير أن واحدا من أصدقائه أشار عليه ان يعتنقها حرصا على صالح أطفاله ومستقبلهم وحفظا لحقوقهم المدنية كما كان متبعا فى ذلك العصر وكان أسحق شديد التقدير لصديقه وبدأ طفلاه يقرآ أن كتب الصلاة كل مساء ويصليان فى كنيسة « سانت اندروس »

وكان بنيامين فى ذلك الوقت قد بلغ الثالثة عشر من عمره . وبدأ والداه يفكران فى المدرسة التى يجب أن يلحق بها وتذكر اسحق رجلا كان قد التقى به عند بائع كتب يجيد اليونانية شديد الولع بالمطالعة واستقر الرأى على أن يعهد لهذا الرجل تربيه ابنه . وكانت مدرسة الدكتور

« كوجان » بناء قديما يضم القليل من الاولاد وكان بنيامين أضعف من زملائه فى اللاتينية واليونانية ولكنه كان أشدهم ذكاء فى الابتكار قادرا على الكتابة والتأليف حتى تداول زملاؤه عباراته واسلوبه

وبلغ بنيامين الخامسة عشر واضطر والده ان يخرجه من المدرسة كرغبة صديقه الدكتور « كوجان » كما دلت الاختبارات على أن المدرسة لاتصلح له وخاف ان يلتحق بالجامعة فيصيبه فيها ما أصابه فى المدرسة من التعصب والكراهية . وأيقن بنيامين بعد ان سرد فى ذهنه ذكريات طفولته ان الحياة سوف لايحتملها اذا لم يكن عظيما بين الرجال . ولكن اين من يفسر له الحياة والطرق التى يجب أن يسلكها

وانقضت أسابيع وطد بعدها العزم على أن يبنى من جديد بناء مستقبل يكفل له نجاحه ويظهر للملأ نبوغه وبدأ يتردد كل صباح الى المكتبة ويعود منها محملا بالكتب والاوراق . وامتلأت مذكراته اليومية بملاحظات شتى وانتشرت اوراقه وكتبه فى سائر غرف البيت دون ترتيب أو تنظيم . وأعجب والده باهتمام ابنه بتاريخ فينسيا ومؤامرتها وتقاليدها الدينية والجمعيات السرية وكان اسحق يدين بالمذهب القائل « زد نفسك ثقافة لا حبا فى التسلية وانما رغبة فى العمل »

وبدأت ابحاث بنيامين ومطالعاته تثير فى نفس ابيه الخوف على مستقبله . واتفق ان طلب « مايلز » صديق والده منه ان يتخذ ابنه سكرتيرا خاصا له وارتاح الوالد لهذا الرأى

وخاف بنيامين ان تقضى عليه هذه الفكرة وان يقبر نفسه فى مكتب محام الا انه أدرك انه تحقيقا لضالته المنشودة من النجاح والعظمة يجب عليه ان يتصل بالناس وان يدرس عن كثب شئونهم وأحوالهم سيما وقد ذكر له التاريخ اناسا كثيرين عرفوا بعقولهم الجبارة ولكنهم فشلوا فى الحياة لانهم آثروا العزلة والوحدة

حياة عملية

وبدأ حياته العملية واخذ يختلط برجال المال والتجارة والاعمال ويشترك فى الحفلات التى كان يقيمها رئيسه ويزج بنفسه بين حسان الفتيات ولذ له هذا النوع من الحياة وبدأ يغتبط بها

وحدث ذات يوم ان صحبه والده ليتناولا العشاء مع ناشر كتب يدعى « جون مرى » وكان جل غرض ابيه ان يهيىء له فرصة طيبة يستمع فيها لاحاديث خير الكتاب . وهناك تعرف « بصامويل

روجر » و « توم مور » . ولاحظ بنيامين ان كثيرا من اصدقاء ابيه قد اعجبوا بنبوغه واجوبته بينما عاب عليه البعض الآخر وقاحته وسماجته

وبدأ يضجر من عمله فسافر الى المانيا مع ابيه فى رحلة قصيرة زار خلالها منتديات المانيا ومسارحها

وتعرف بنيامين خلال الشهور الاخيرة من عمله فى « بيت فريدريك » بعملاء كثيرين استطاعوا ان يجمعوا ثروة واسعة من مضارباتهم فى مناجم امريكا الجنوبية . وكانت المستعمرات الاسبانية والبرتغالية والمكسيك وبوليفيا وبيرو والبرازيل فى ذلك الوقت دائمة الثورة وكانت الحكومة الانكليزية تمدها بالمعونة تحت ستار خدمة الحق والحرية كما كان رجال المال الانكليز ينالون بذلك امتيازات للتنقيب والحفر

وفكر بنيامين مع زميل له بالمكتب ان يجازفا فى عملية من هذه العمليات واتفقا أن يبدآ عملا صغيرا لم يتجاوز ما جمعاه لاجله أكثر من الف جنيه

ودفعته هذه المجازفة للاتصال برجل اسمه « باولز » احد كبار الماليين المسيطرين على أسواق امريكا الجنوبية واعجب الرجل بالشاب بنيامين وذكائه وعهد اليه بتنسيق كتيب صغير عن شركات التعدين بامريكا وتوزيعها على الناس . وكان بنيامين يجهل تماما كل شىء عن المناجم الا انه استطاع خلال ايام قليلة ان يجمع من المعلومات ما يكفي لان يؤلف مجلدا قيما وعهد لصديق والده « مرى » فى طبعه على نفقة المستر « باولز »

واعجب « مرى » بمجهود بنيامين وفكر فى ان ينشأ صحيفة يومية على نسق صحيفة التيمس علاوة على المجلة التى كان يصدرها كل ثلاثة شهور ورحب بنيامين بالفكرة واغتبط لها واقترح أن يشترك الناشر « مرى » والمالي « باولز » والكاتب « لوكهارت » صهر السر « ولتر سكوت » فى اصدارها

وسافر بنيامين الي اسكوتلاندا للاتفاق مع « لوكهارت » ولشد ما اعجب الكاتب اذ يجد امامه شابا لم يتجاوز العشرين ربيعا يتحدث اليه فى فصاحة وبلاغة

وكان « ولتر سكوت » فى ذلك الوقت قد بلغ القمة وكان ناشرو كتبه قد بدأوا يتأففون من بذخه واسرافه لذلك رحب بالمشروع وباستخدام صهره خاصة

وعاد بنيامين بعد ثلاثة اسابيع قضاها مع « لوكهارت » يحمل الى زملائه موافقته بان يتولى

الاشراف على المجلة التي يصدرها بيت « مرى » والجريدة اليوميه المقترح انشائها نظير راتب قدره الفان وخمسمائة جنيها سنويا

وكان بنيامين يجهل تماما حالة شركة « مرى » ولم يهتم بالبحث والاستقصاء عنها . ولم يكن يدور بخلده ان اشتراك شخص كلوكهارت سيثير عاصفة . فقد علم « جون كروكر » المؤلف والسياسى المعروف وسكرتير البحرية واكثر المساهمين فى المجلة بهذا المشروع الذى رتب دون علمه واجتمع فى الحال « بمرى » الذى القى المسئولية كلها على بنيامين دزرائيلي واتهمه بالثرثرة وافشاء خططه واقتراحاته ولسوء الحظ اصابت الاسواق الامريكية فى ذلك الوقت فشلا كبيرا . ولم تمض أيام قلائل حتى افلس « بولز » وخسر بنيامين وصديقه سبعة آلاف جنيه

وهكذا رزح بنيامين فى سن العشرين تحت عبء الدين الثقيل وفقد اصدقاءه ومعاونيه ولم يستطع ان يستمر فى مشروع يقاومه فيه رجل مثل « كروكر » او « لوكهارت » وانقطعت صلته بالجميع وأيقن ان الحياة اصعب واشق مما كان يظن ويعتقد

وعاد بنيامين الى بيته تعبا ضجرا حانقا صاخبا ولكنه لم يلبث طويلا حتى شعر فى نفسه بالرغبة فى الكتابة والتأليف . وقرر ان يكتب قصة تصور الآلام التى قاساها والصور التى مثلها زملاؤه ورسم بطل قصته « فيفيان جراى » كصورته تماما ، ابن كاتب من كتاب الادب يقضى جل وقته بين كتبه وأوراقه . طردته المدرسة واضاعت الشهوات السياسية امله ورجاءه

وانتهت القصة بعد اربعة شهور بعد ان حشاها هجوا لاذعا وكشف فيها عن صورة من صور الحياة القاسية المرة

وكان يقيم بالقرب من بيته محام معروف اشتهرت زوجته بالثقافة والذكاء والفتنة والجمال وكانت الى جانب هذا فنانة تحب الموسيقى وتولع بالادب . وكانت شديدة الاعجاب ببنيامين فلما ان اطمأن اليها اسر لها بموضوع قصته واعجبت بها وعهدت لصديقها « كولبرن » وكان من اكبر الناشرين فى لندن بطبعها واتفقت مع بنيامين ان يكتما اسمه عن الناشر واعادت كتابة القصة بخطها زيادة فى الحيطة

وكان « كولبرن » رجلا خبيرا باصول النشر والاعلان وبدأ ينشر عن القصة فى مختلف الصحف والمجلات معلنا ان ابطالها احياء وانها تحمل للناس حوادث واقعية ذات اراء جديدة فى أناس ذوى شهرة واسعة وتكهن الناس عبثا عن المؤلف ولكن لامر ما ذاع السر دون تبصر او تفكير

وحنق على بنيامين المجتمع الانكليزى كله فقضى بعدها سنة كاملة تنتابه الاحلام والخيالات وأخيرا اقترحت عليه اسرة « اوستن » ان يسافر معها الى ايطاليا حتى يستطيع ان يستعيد نشاطه

وهدأت اسفاره اعصابه الا ان جرحه لم يندمل واصابه صداع مستمر عاقه عن العمل والتفكير وخشى الاطباء عليه التهاب انسجة المخ مما ألزم والده ان يهجر لندن الى برودنهام حيث اشترى قصرا كبيرا بين الاحراش والغابات

وبدأ بنيامين يقضى أكثر وقته مع شقيقته « ساره » يستعرض لها اعماله ويندب لها حظه

وبدأ تفكيره ينقلب ناحية الشئون المادية كيف لا وقد ربح من قصته مائتى جنيه . وكان بنيامين قد بلغ الخامسة والعشرين وكانت الوحدة قد اتعبته ففكر فى رحلة طويلة عسى ان ينساه الناس وان تقبر ذكراه وتطوى صحيفته السوداء

واذعن والده لرأيه وكانت شقيقته ساره قد خطبت فى ذلك الوقت لفتى انجليزى صديق شقيقها فرافق بنيامين فى رحلته وقام الصديقان فى سنة ١٨٣٠ برحلتهما فمرا على اسبانيا وتركيا ثم سوريا ونزلا باورشليم . وعلى جبل الزيتون حط بنيامين رحاله الاخيرة وأمام مقابر ملوك اسرائيل وقف سابحا فى احلامه يستلهم الخيال والوحى . ورحل خطيب شقيقته الى مصر ولحق به بنيامين فى الوقت الذى أصيب فيه بمرض الجدري . وبعد ثلاثة ايام من وصوله مات الشاب وقد حزن عليه بنيامين حزنا شديدا وعاد الى سفينته وأغلق باب غرفته علي نفسه وبدأ يكتب حتى اذا وصل الى لندن كان قد كتب قصتين تدور الاولي حول مطامحه السياسية . اما الثانية فكان محورها الشعر الذي يتوق اليه ويتعشقه

وبلغ برودنهام وكان والده قد كبر وضعف بصره وكانت سارة شقيقته حزينة متألمة لفقدها خطيبها

مبادىء

واكتسب دزرائيلى خلال رحلته اختبارات شى عن الحياة ولم يخامره شك فى أن الحياة السياسية هى الحياة التى يتوق اليها وأيقن فى النهاية ان حياة الادب لاتفى رغائبه وآماله وليس له الا أن يزج بنفسه فى السياسة والحياة البرلمانية . وكانت هذه الحياة فى ذلك الوقت تتبع قوانين

للانتخاب تكاد تكون مقصورة على طبقة ارستقراطية . وكانت دوائر الانتخاب تنقسم الى قسمين ولايات ومقاطعات اما الولاية فكان يتم انتخاب ممثليها بواسطة الملاك واصحاب الارض الذين يدفعون أربعين شلنا ضريبة . وكان علي المرشح أن يشترى أصوات الناخبين وان يتكلف مصاريف انتقالهم وأن يطعمهم ويؤويهم . وكانت هذه الاشياء تكلف نفقات طائلة مما لا يحتملها دزرائيلي الرازح تحت عبء دينه الثقيل

أما الترشيح فى المقاطعات فكان أقل سهولة كما انها لم تكن كلها ممثلة فى البرلمان . وكان للملك فى عهده الحق فى أن يمنح تمثيل بعض البلاد لاناس يخلصون للتاج غير أن هذا الامتياز الغى فى عصر آل استورث ونشأ عن ذلك أن بلادا كثيرة حديثة العهد ظلت باقية بغير تمثيل بينما كانت تحتفظ مقاطعات أخرى أقل رفاهية وحضارة بممثليها كانت هناك مقاطعات يمثلها دائما اصحاب الاملاك فيها فاذا استطاع شخص أن يشترى عقاراتها ضمن لنفسه كرسى البرلمان

وكان للوزارة أيضا عدد ثابت من الناخبين تمتلك الحكومة عقارهم وتمنحهم حق التصويت كما كان يشترى البعض الآخر اصوات الناخبين بمنحهم الوظائف او تقديم مساعدات أخرى لهم او للمتصلين بهم . فاذا عرفنا هذا واضفنا اليه ما كان ينفقه المحافظون والاحرار على المرشحين من أعضائهما وما كان يتمتع به بصفة خاصة حزب المحافظين من السلطة لا كثر من أربعين سنة عرفنا حينئذ أن ثلثي أعضاء مجلس العموم كانوا ينتخبون فى هدوء ودون معارضة

ومنذ سنة ١٨١٥ بدأت المملكة البريطانية تسأم هذا النظام وانحطت التجارة وارتفعت أسعار المعيشة وزادت حكومة المحافظين الضرائب الجمركية على المحصولات الزراعية . ونسب الشعب هذه الفوضى لنظام الانتخاب السيء واستطاع الاحرار بحذقهم ومهارتهم ان يمطروا حكومة المحافظين وابلا من الانتقادات القاسية وتوصلوا بذلك الى أن يتبوأوا كراسي الحكم

ومر على انجلترا بعد ذلك فترات متنوعة حتى انتهى حكم « آل استورت » وبدأت الاحزاب تتنازع السلطة ولما أن جاءت سنة ١٨٣١ كانت أقصى أمنية الانسان ان يلتحق بحزب الاحرار وكان بيت دزرائيلى فى ذلك الوقت من المحافظين الذين يعطفون على آل « استورت » ويعتقدون أن الاحرار انما هم حكومة الاعيان الثائرين علي الملك الشهيد . ورغما من ذلك فقد كان بنيامين لا يعطف كثيرا على مبادىء الاحرار ويعتقد ان قانون الانتخاب الجديد انما سنه الاحرار بمهارة ليجمع طبقة التجار والصناع من الناس المعضدين لحزبهم

ونشأ مبدأ النفع بين الاحرار وأنصارهم وأوجد طبقة متوسطة من الشعب . وزاد رغبتهم فى النجاح المادى اختراع الآلة البخارية والماكينات الصناعية وانتشار السكك الحديدية كما علمهم علم الاقتصاد السياسى ان العلاقات بين الناس لا يجب أن تقتصر على الواجبات فحسب وانما يجب أن تحدد بقوانين لا تقل عن قانون الجاذبية وحركات النجوم . وبدأوا يؤمنون بقانون العرض والطلب وبسحر الآلة البخارية وقداسة مغازل منشستر

واحتار بنيامين أينضم إلى الاحرار أم الى المحافظين أم الى المتطرفين . وكانت حياة انجلترا السياسية فى ذلك الوقت تختلف عن سائر حياة الامم الاخرى إذ كانت ترتب وتوزع مقاعد البرلمان فى الصالونات حيث يحظى الانسان بتناول عشائه مع « دوق ولينجتون » أو سر « روبرت بيل » أو لورد « ملبورن » أو لورد « رسل » أو لورد « درهام » أو أحد كبراء حزب من الاحزاب غرامه

وعرفت لندن دزرائيلي فتى له مواهبه جميل الطلعة حسن الصورة أنيق الهندام عاد من الشرق يحمل ثروة كبيرة من القصص . ولعل هذا مادفع الكاتب الكبير « بولرز » الى أن يدعوه لحفلاته التى كان يقيمها حيث أتيحت له فرصة التعرف إلى أكبر رجال الدولة وأجمل نسائها وأرجح عقولها وأقبل الكثيرات من النساء على معرفة مؤلف « فيفيان جراى » و « الدوق الشاب » وكانت أبرزهن فى معرفته وصداقته « مدام وندهام » و «مسز نورتون »

وأعجبت الأخيرة به ولبى دعوتها وكان بيتها على الدوام غاصا بكبار السياسيين ورجال الادب ومزدانا بنساء بيت شريدان الجميلات مسز نورتون مسز بلاك وود ليدى سيمور

وأعجب دزرائيلى بحديث مسز نورتون وبدأ سيدات بيت شريدان الثلاث يلعبن دورا كبيرا فى حياة المؤلف الشاب ولم تتردد مسز نورتون أن تترك زوجها وتصحب دزرائيلى فى غدواته وروحاته وفى المسارح والمراقص

ولذت لدزرائيلى هذه الحياة وتكدست على مكتبه بطاقات الاشراف وأخذ يطرق أفخم القصور ويقتطف أجمل الازهار ويصاحب أفتن النساء

ولعل حبه للتاريخ هو الذى حبب اليه امرأة طاعنة فى السن تدعى « ليدى كورك » كانت فى السابعة والثمانين من عمرها وكانت تستقبل فى صالونها كل مساء خير الناس . فلما ان توسمت

فى دزرائيلي الذكاء وهيئته رعايتها القوية فى المجتمع الاجتماعى

وأصبح دزرائيلي بعد ذلك من أكبر زائرى ناد للرقص كان للطبقة الارستقراطية وتحت رعاية شخصيات بارزة قوية

وأنست حياة اللهو والطرب دزرائيلي آماله ومطامحه السياسية وحبت اليه البطالة والكسل وزينت له الحياة تحت أقدام سيدات بيت « شريدان » وجمالهن الفاتن . غير ان صديقه « بولز » استطاع أن ينحرف به ناحية الامام ويزج به فى معمعة الانتخابات ولم يثنه فشله الاول فأعاد الكرة ثانية ولكنه فشل أيضا

وعاد دزرائيلي ينتقم لنفسه من متاعب هذه الحياة فألقى بها بين الاخوات الثلاث سيدات بيت « شريدان » اللائى لا نظير لهن فى الجمال والفتنة واتسعت دائرة معرفته بحسان النساء الجميلات واصطحب الكثيرات منهن إلى المراقص واللهو

واتخذ له خليلة أحبها وألف لها قصة غرام سماها « هنريتا تمبل » وتلاها بقصة أخرى وكانت « هنريتا » الحقيقية متزوجة ولكنهما كانا يقضيان أوقاتهما سويا اما فى الاوبرا أو فى ركوب الجبل أو النزهة أو ما أشبه

وقدمه صديقه « بولز » لليدى « بلزنجتون » وكانت زوجت فى الخامسة والعشرين من عمرها بالرغم منها رجلا معتوها واسع الثروة استطاعت أن تطلقه وتزوجت من بعده « اللورد بلزنجتون » وسافرا سويا إلى ايطاليا حيث قضيا أربع سنوات مات بعدها اللورد فجأة وعادت الى لندن تقيم فى بيتها الفخم

وأحب دزرائيلي بيتها لجميل أثاثه ورياشه ولحسن تنسيقه وتنظيمه . وأحبها دزرائيلي وأصبحت موضع سره وثقته

واتفق ذات يوم ان كان دزرائيلي فى بيت « مسز نورتون » فتعرف إلى اللورد « ملبودن » أكبر وزراء الاحرار فأحبه لذكائه وفطنته وأسر اليه أن يزج بنفسه فى الحياة السياسية

ودوى ساعتئذ فى أذنه صوت جميلات بيت « شريدان » حين سألنه « ما أعظم ما تصبو اليه فى الحياة » وحين أجابهن « موكب نجم مستمر من الرجولة إلى القبر »

آراء جديدة

وفاز الاحرار فى انتخابات سنة ١٨٣٣ فوزا يبشر بتألق نجمهم لا كثر من نصف قرن ونجح

كثير من الاحرار الذين كانوا محافظين قبل . غير انه لم تمض فترة كبيرة حتى ترك اللورد «ستانللى» وأصدقائه حزب الاحرار وبذلك أفل نجم الاحرار وبدأ يسطع نجم المحافظين

ورأس سر « روبرت بيل » حزب المحافظين واجتمع « بيل » و « ستانللى » تحت علم واحد وسهل هذا الانقلاب على دزرائيلي أن يتطور تطورا سياسيا ومن تلك اللحظة أصبح عضوا فى حزب المحافظين

وأحس « بيل » أن واجبه الاول يقضى عليه أن يدافع عن تقاليد الملوكية ومجلس اللوردات والكنيسة . وكان أعضاء حزب المحافظين من الاغنياء الذين يمتلكون الغابات والقصور والمباني والشركات وأيقن دزرائيلي أن من واجبه مواجهة الحقائق وانه رغم كونه محافظا لا يستطيع أن يعمل فى ظل دستور لايتفق روحه والعصر الذي يعيش فيه

وفى سنة ١٨٣٥ نشر دزرائيلي رأيه فى الدستور الانجليزي فى خطاب بعث فيه لاحد اللوردات والنبلاء المثقفين جاء فيه ان بقاء مجلس اللوردات ربما يبدو سخيفا للذين يؤمنون بنظرية الانتخاب الا انه يرى ان الخطر الاكبر فى هذه الانتخابات التي تكون نتيجتها دائما غير ممثلة تمثيلا صحيحا اذ من السهل على الخاصة والاعيان من الساسة المحترفين أن يسيطروا على الانتخابات وان يحكموا البلاد . وعلى ذلك فمجلس اللوردات يمثل قوى البلاد الحقيقية . فالكنيسة يمثلها الاسقف والقانون يمثله قاضى القضاة والولايات يمثلها شخص النقيب والاراضى يمثلها ملاكها الوارثون . أما فى مجلس العموم فهو يرى ضرورة اصلاح ما سنه الاحرار من الانظمة فى سنة ١٨٣٢ ويقول ان الهدف عند من يقود المحافظين لاينحصر فى الاحتفاظ بما هو موروث وانما عليه أن ينظف الحزب من الاجحاف والمبادىء الغير الصالحة وأن يكون فى سياسته سخيا أيضا

وكان لهذا الخطاب أثره . وبدأ كبار رجال الحزب يؤيدون منح دزرائيلي كرسيا فى البرلمان للاستفادة من نشاطه وذكائه وغيرته

وتتابعت الحوادث ومات الملك وليم الرابع يوم الاحتفال بذكرى معركة واترلو . وتولي الملك من بعده فتاة فى الثامنة عشر من عمرها هى الملكة فكتوريا

وحل البرلمان عقب تولى الملكة الحكم وبدأت الانتخابات العامة وحانت ساعة النصر لدزرائيلي وبدأ اللورد « ليندهرست » يعضده ويساعده حتى انتهى الى انتخابه عضوا فى مجلس العموم عن دائرة يجهل سكانها

وهكذا ساقه القدر خطوة متنقلا به من ناحية لاخرى حتى انتهي به الي المقعد الذى ظل يحلم به منذ تركه المدرسة

بداية غير موفقة

وقضى دزرائيلى فى « برودنهام » ثلاثة أشهر عاد بعدها الي لندن يستقبل حياة جديدة . واحتفظ لنفسه بمقعد فى مجلس العموم خلف مقعد رئيسه السر « روبرت بيل »

وانقضى اسبوعان دون أن ينبس دزرائيلى ببنت شفة رغم رغبته فى الكلام . إذ كان الرعب قد دب الى نفسه ممن يحيطون به من اعاظم رجال الدولة . فامامه الوزراء ومن خلفه رئيس حزب الاحرار وبالقرب منه لورد « بالمرستون » ولورد « ستانللى » ومن بين الراديكاليين صديقه « بولز » ومن بين جماعة الايرلنديين عدوه اللدود اللورد « دانيال اوكونل »

ولهذا الرجل مع دزرائيلى قصة ترجع لتلك الايام التى كان فيها دزرائيلى كثير التدلل على الراديكاليين كما كان جماعة الايرلنديين شديدى العطف عليه فلما انقلب محافظا سخر منه « اوكونل » وهزأ به وأهانه فى المجتمعات والاندية مما كان له أسوأ الاثر فى نفس دزرائيلى

وجرى ذات يوم حديث فى مجلس العموم عن اكتتاب بدأه مستر « سيوتسود » الغرض منه مد يد المساعدة للبروتستانت لمحاربة الكثلكه فى ايرلندا . وكان هذا الاكتتاب أمرا غير مرغوب فيه لا للايرلنديين فقط وانما للاحرار أيضا ولم يكد ينتهى « اوكونل » من كلامه حتى نهض دزرائيلى رغم انه كان من المتفق عليه ان يتكلم لورد « ستانللى » نيابة عن المحافظين . وكان الارلنديون والاحرار يعرفون عنه أنه راديكالى قديم انضم الى المحافظين . وكاتب قدير وخطيب مفوه وكانت قصته مع « اوكونل » معروفة خاصة لانصاره فالتفوا حول راية واحدة يناهضونه ويقاومونه . وكان على دزرائيلي أن يظهر براعته حتى يهيىء له المحافظون مستقبلا عظيما كما كان عليه أن يفهم « اوكونل » أن ساعة التكفير قد ازفت ودنت

وكان كبير الثقة بنفسه أعد خطابه من قبل وملأه بالحجة القوية والعبارة البليغة وكانت النظم البرلمانية تقضى أن يقابل الاعضاء الجدد بالعطف والتشجيع

غير أن دزرائيلى لم يكد يبدأ حديثه متهكما على الايرلنديين وخاصة « أوكونل » لانه وجماعته يستفيدون من مثل هذه التبرعات او بالاحرى هذا التسول المنظم حتى دوى المجلس بالقهقهة

العالية وبدأ الايرلنديون يضجون ويصخبون ويتهكمون ويقهقهون ويحدثون باقدامهم أصواتا مزعجة . وحاول دزرائيلي مرارا أن ينتهي من حديثه ولكنه لم ينجح واستمرت المقاطعة والصفير طويلا

وترك مكانه مكرها وجلس صامتا بينما كان خصومه لا يزالون يضحكون ويهزأون به وأخذ رأسه بين يديه يفكر في الاستقبال المزري الذي قابله به « اوكونل » وجماعته . وظل في صمته وتفكيره حتى همس في أذنه لورد « شاندوس » يهنئه بما أبداه من شجاعة ورباطة جأش وبراعة

زواجه

وعطف عليه واحد من أنصار « اوكونل » واتصل ذلك بصديقه « بولز » فرتب لهما عشاء واسدى الرجل لدزرائيلي نصائح شتى يجب اتباعها ان أراد النجاح في حياته السياسية . ثم مر أسبوع وقف بعده دزرائيلي خطيبا بين حفل من الناس يدافع عن حقوق المؤلفين والكتاب . واعجب الناس على اختلاف أحزابهم بمهارة الرجل وبراعته واحس دزرائيلي بهذا الفوز وكتب لاخته يبشرها بمستقبله الباهر

وبدأ نجمه في المجلس يتألق وحالت شئونه السياسية بينه وبين حياته الاجتماعية . غير أنه واظب على زيارة صديقته مدام « وندهام لويس » حيث كان يجد في بيتها الهدوء والسكينة وفجأة وبعد ستة شهور من دخوله مجلس العموم مات زميله ومعاونه زوج صديقته . وبدأ يتسع الوقت له لمؤاساتها وقضاء اكثر أيامه في بيتها . وبدأ ينمو الود ويبادلها أحسن العواطف والصداقة كما بدأت خطاباته تنتهي بعبارة غرامية رقيقة رغم انه لم يكن في ذلك الوقت يفكر في زواجه بها فقد كانت تبلغ الخامسة والاربعين بينما كان هو لا يتجاوز الثالثة والثلاثين

مات « وندهام لويس » وترك لزوجته دخلا يقدر أربعة آلاف جنيه . وكان المجتمع الانكليزي الراقي يعدها غير مثقفة . غبية جاهلة . وليس شك في أنها لا تصلح لكاتب شاعر شاب كدزرائيلي يحفظ له القدر اسمى المناصب

غير أن عيون المحبين عمياء فقد رأى فيها دزرائيلي انها وان كانت جاهلة الا انها لم تكن غبية . تفهم الرجال جيدا فهي بلا ريب تصلح له رفيقة أنيسة . اما هي فكانت تعجب به وتحبه بل تعيش لاجله

وانتهى الامر أن طلب دزرائيلي يد « مارى آن » ولكنها لمعرفتها بمواهبه العالية وثقتها بمستقبله الزاهر رأت أن يتمهلها سنة تستشير فيها نفسها وتدرس خلالها أخلاقه وعاداته .

وبدأ من تلك اللحظة يتبادل معها أرق الرسائل التى تنم عن حب عميق وعاطفة قوية وبدأت فجأة تقل رسائلها وتبرد حرارة حبها

وأدرك بعد ذلك منها أن أصدقاءها العديدين لا يوافقون على مثل هذا الزواج معللينه برغبة دزرائيلي فى التخلص من ديونه الثقيلة والتمتع بثروتها ومالها . غير أن دزرائيلي لم يحتمل هذه الاراجيف فكتب لها على الفور كتابا قاسيا جاء فيه « ان زواجي بك لا يفيدني ماليا . فانا كما تعلمين أستطيع أن اعيش . وداعا فانا لا أتظاهر بأن ارجو لك السعادة لانه ليس فى طبيعتك أن تحصلين عليها . ولكن سيحين الوقت قريبا حين تتلهفين فيه على قلب يحبك وسوف تيئسين من أن تجدى هذا القلب المخلص الوفي . وحينئذ تأذن ساعه عقابك ومن ثم ستذكرينني وتذكرين قلبي الرحيم »

ولم تستطع « مارى آن » بعد ذلك الا أن تكتب له متوسلة اليه أن يزورها فهى مريضة حائرة وهي لن تسمح له بعد أن يغادر منزلها فهى تحبه وتخلص له . وفى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٣٦ تزوج دزرائيلي « بمارى آن » فى كنيسة سان جورج

امل ورجاء

وتبدل حال دزرائيلي خلال أشهر قلائل وبدأ يشعر بالسرور والسعادة رغم الاخطار الكثيرة التى اتصفت بها زوجته . ولعل أحسن صورة لهذين الزوجين ما كتبته « مارى آن » بنفسها عن زوجها فى مذكراتها الخاصة . قالت « انه يختلف عنى تماما فهو عبقرى . مولع بالقراءة . صبور متواضع . قليل التأثر . هادىء الطبع . ينم وجهه عن الحزن . ملتهب فى حبه بارد فى صداقته شديد الاعجاب بذاته . قلما يقول مالا يفكر فيه . وقلما أعرف من وجهه ما يحب وما يكره . قلما يفرحه شىء »

أما هى فتقول عن نفسها « بانها على نقيضه تماما . كسولة خاملة . تميل الى الكبرياء بلهاء تكره السياسة . سريعة الانفعال »

انحرف بعد ذلك تفكير دزرائيلى لناحية الوزارة وبدأت مبادىء الديمقراطية تظهر فى الافق وظن الناس أن وسائل الاصلاح سوف تتناول مرافقهم وتقضى على آلامهم ومصائبهم . وكانت الآلات قد انتشرت وتهددت حياة الكثير من العمال . وتضاعف المتسولون وزادت البطالة . وعزا الناس ذلك كله للنظام السياسى وبدأوا يطالبون بنصيبهم فى الانتخابات مع الاقتراع السرى دون تفريق بين فئة وأخري . وتحرج مركز وزارة الاحرار لانقسامها فى الرأى ازاء المطالب الجديدة

وفى ٣٠ أغسطس سنة ١٨٤١ وعقب هذه الحركة مثل سر « روب بيل » بين يدى الملكة وكان زوجها البرنس البرت يحبه ويجله وتلقى أوامرها بتأليف وزارة يرأسها . وراح الناس يذكرون اسماء الوزراء الجدد وأذيع أن « ليندهرست » صديق دزرائيلى سيكون قاضى القضاة واللورد « ستانللى » للمستعمرات و « غلادستون » الشاب لوزارة التجارة . وظل دزرائيلى يترقب ذيوع اسمه أسبوعا كاملا على غير جدوى . وأخيرا كتب لصديقه « بيل » الخطاب الآتى :—

« سيدى العزيز سر « روبرت »

« كنت أود الا اتقدم بهذا اليك لو كنت أعتقد أن هناك شخصا آخر استطيع الاعتماد عليه لا عبر له عما يخالج نفسى . أنا لا أود أن أرهقك بطلب كسائر الطلبات ولا أريد أن أعيد الى ذاكرتك محاربتى اربعة خصوم من أجل حزبك وأن أموالا طائلة وجهدا عظيما أحرقتهما من أجل نشر سياستك . غير أنى أشعر أن هناك أمرا لاأستطيع السكوت عليه فقد كان على أن أكافح عاصفة من الضغائن السياسية وأجاهد ، عالما علم اليقين ، أن يوما سيحل تقدر لى فيه هذا العمل وتلك الكفاءة والمقدرة

« انى أهيب بك ويكرم أخلاقك وعدالتك أن تنقذنى من الاهانة التى لحقت بي والتى لا تحتمل أو تطاق »

وكتبت زوجته فى الليلة السابقة كتابا لرئيس الوزراء دون علم زوجها وتحت تأثير حزنه جاء فيه :

« أرجو الا تغضب من كتابى هذا أن حياة زوجى السياسية قد تتهدم وتتحطم اذا لم تهتم به فبالله عليك لاتهدم آماله كلها . هل أستطيع أن أعدد لك جهودي المتواضعة فى السنوات الماضية من أجل الحزب أو بالاحرى من أجلك شخصيا يمكنك أن تعرف أن اكثر من اربعمائة الف جنيه صرفتها كلها . لا أطلب منك ردا لكتابي هذا كما اود ان يبقى سرا محفوظا »

وفى الحق أن سر « روبرت بيل » كان يود أن يشترك دزرائيلي فى وزارته ولـكنه كان محاطا بزملاء لايودونه ولا يحبونه وهدد « كروكر » سبب نـكبته الاولي فى انشاء الصحيفة اليومية كما هدد « ستانلي » بالانسحاب ايضا

وتألفت وزارة المحافظين وعقد البرلمان وكان موقف دزرائيلي موقفا غريبا . وأغتبط اعداؤه وتوقعوا منه أن يهاجم رئيس حزبه وشجعه الراديكاليون على ذلك

وأدرك دزرائيلي الخطر وكان يربطه « ببيل » عاطفة قوية فواظب على حضور الجلسات وعضد الوزارة فيما قامت به ترضية لرجال التجارة الحرة من الغاء الضرائب على أكثر من سبعمائة صنف وأيدها فيما فرضته تعويضا لهذه الخسارة بما سماه ضريبة الدخل . وكان دزرائيلي موفقا فى دفاعه توفيقا حاز به شكر جماعة جديدة من النواب تخرجوا حديثا فى جامعة « كمبريدج »

وظلت وزارة « بيل » قوية ولـكنها لم تقم بما كان يتوق إلى تنفيذه دزرائيلي من المشروعات فاستقر رأيه على أن يترك المجلس قليلا ويسافر الى باريس يقضى فيها وزوجته فصل الشتاء

وحمل فى جيبه كتاب توصية الى شقيقة صديقـه « دورزى » وقامت بدورها تقدمـه لـكبار رجال الدولة ووزرائها واستطاع بمعونتهم أن يقضى مع الملك والملـكة والاسرة المالـكة وقتا كبيرا

وكان بين جماعة « كمبريدج » الذين أعجبوا به شاب اسمه « مانرز » وآخر اسمه سمث كانا من الذين لم يطمئنا لحالة البلاد السياسية ووطدا العزم على أن يؤلفا كتلة تحت رياسة دزرائيلي وفعلا سافرا الى باريس للاتفاق معه

ورحب دزرائيلي بهما واتفقوا على تأليف كتلة احتفظوا بسرية أعمالها

ووطد دزرائيلي العزم على شن الغارة على الوزارة رغم الاكثرية التى تسند « بيل » وبدء نشاط الجماعة اثر عودة دزرائيلي الى لنـدن . واتخذ الفرسان الاربعة مقاعدهم خلف رئيس الوزراء وبدأوا يرفضون أعطاء أصواتهم للحـكومة متى تبينوا انها لاتتفق ومبادىء كتلتهم « انجلترا الفتاة »

وبدأ « بيل » يدس شتى الدسائس ضد دزرائيلي ويعامله باستهزاء كما قرر مع أنصاره أن يطرده من حزبه حتى اذا أعيدت الانتخابات كان نصيبه الفشل وتنتهى بذلك حياته وأغفل فعلا دعوته لحضور اجتماع الحزب فلما استفسر دزرائيلي عن سر ذلك أجيب بان اعماله وحركاته فى

هذه الاخيرة تبرر هذه النتيجة

وبدأت جماعة « انجلترا الفتاة » تحمل حملاتها على الوزارة وسافر الفرسان الاربعة الى منشستر واختلطوا بالعمال وقوبلوا مقابلة حماسية وعاد لدزرائيلي حبه للكتابة ورأى أن الفرصة سانحة لكتابة قصة تبحث النظم والبرامج السياسية كما يستطيع أن يستعرض فيها آراء الاحزاب وتحت هذا الستار يمكنه أن يعلن فى صراحة آرائه ومشروعاته وأن يتحدث عن انجلترا الحديثة من حيث ارستقراطية الشعب والكنيسة

واستطاع خلال سنتى ١٨٤٤ ـ ١٨٤٥ أن يصدر مجلدين من قصته « الجيل الجديد »

وأوضحت القصة فى صورة جلية شخصية دزرائيلي وعقيدته ومذهبه ثم ذكر فى جلاء أغراض الحزب ومراميه . ولعل أبلغ ما وصف به المحافظين بأنهم جماعة لا يمتلكون شيئا يحتفظون به كما اتهم الاحرار بأنهم أعداء الحرية . وعنى فى قصته عناية خاصة بالفقراء ونظام الحكم والحياة السياسية وبؤس القرى والمدن الصناعية والمناجم . وكانت القصة فى سهولة عبارتها وتهكم حوارها صورة حقيقية للحياة الانكليزية فى شتى نواحيها

وانتهى دزرائيلي من قصته وبدأ يعود للنضال السياسى وكان السر « روبرت بيل » فى ذلك الوقت مسيطراً على مجلس العموم يفرض على معارضيه احترامه احتراما لا يقل عن احترام زملائه له . وكان يحسب المعارضة خطيئة . ووقف دزرائيلي و « بيل » وجها لوجه وبدأت حملاته فى المجلس وعباراته التهكمية تزعزع سلطته كما بدأ شعور الناس يضعف من نحوه

وأصابت الاراضى وقتئذ آفات هددت الزراعة وكان « بيل » يميل لحرية التجارة فانتهز هذه الفرصة وأعد قانونا يلغي به الضرائب ويستورد من الخارج المواد الغذائية غير أن خصومه هزأوا به وعدوا عمله خيانة واضطربت الوزارة وانسحب « ستانللي » منها وتبعه سائر الوزراء . ثم تتابعت الحوادث وركن دزرائيلي لكتابة قصة جديدة دارت حوادثها حول نظرياته فى اليهودية والكنيسة حتى ان « كارليل » قال عنه « كيف يسمح جون بول لهذا القرد القذر ان يرقص على صدره »

وأتاحت الظروف له أن يشرح نظرياته عقب سقوط وزارة « بيل » فى مجلس العموم ذاته على أثر انتخاب « ليونل روتشيلد » عضوا فى البرلمان اذ أن القانون لا يسمح باعتلائه كرسيه ما دام يحتم عليه القسم على الشريعة المسيحية

ومرت الايام وانقضت الشهور واذا « بيل » يسقط من فوق جواده سقطة قاتلة ومات فى اليوم التالى « بيل » وأسف دزرائيلي والشعب لموته واعتقد أنصار « بيل » انه من الخطأ أن يتعاونوا مع دزرائيلي عدو رئيسهم غير انه أظهر استعداده للعمل معهم مقتفيا أثر « بيل » فى برنامجه وسياسته

واستدعت الملـكة اللورد « استانللى » وطلبت اليه تأليف الوزارة ولـكنه صرح لهـا بأن حزبه لايجمع الـكفاءات المطلوبة وأشار الى ضرورة الاستفادة من نشاط دزرائيلي وذكائه. واقترح دزرائيلى بدوره أن يستعين باللورد « غلادستون » وزملائه

وعين « دزرائيلى » وزيرا للمالية وهو يجهل الشئون المالية جهلا تاما . وبدأ غلاستون يراقبه عن كثب لاعتقاده فيه بأنه رجل لا دين ولا مبدأ سياسى له

وطرحت الميزانية فى البرلمان ولم تهاجم ميزانية قبل اليوم كما هوجمت ميزانية دزرائيلى وانتهى أسبوع كامل لم ينقطع فيه سيل السخرية والاستهزاء به وحمل عليه رجال المال باعتراضاتهم متهميه بالغباوة والجهل

وكان دزرائيلى فى أثناء ذلك سا كنا مكتوف اليدين يبدو عليه الجمود كمن لا يشعر ولا يحس وأخيرا وقف واستهل حديثه بعبارة ساخرة ثم أخذ يلقى على المجلس أرقاما شيطانية . واستمع له المجلس فى صمت وسكون حتى اذا دقت الساعة الرابعة صباحا رجحت كفة الوزارة ونالت الميزانية الموافقة بأغلبية ٣٠٥ ضد ٢٨٦ صوت

وتقدم دزرائيلى فى السن وبلغ الاربعين ثم الخامسة والاربعين وخطا خطوات أخرى واسعة تبلغ الستين والحادية والستين ولم ينل بعد مأربه وغايته ولم يصل لمنصب رئيس الوزراء وهو الهدف الذى يسعى اليه ويصبو له

وبدأ دزرائيلى ينهض بانجلترا مبتدئا بتغيير نظام الانتخاب مفضلا أن يعطى هذا الحق لـكل ناخب ضاربا بالاعتبارات الاخرى عرض الحائط . وانتشرت آراء المحـافظين والاحرار فى هذا الصدد واجتمع الشعب جماعات جماعات يطالبون بالاصلاح المنشود وأيدت الملـكة هذه الرغبة تهدئة لهذه القلاقل التى أزعجت المملـكة منذ أكثر من ثلاثين سنة

وحانت ساعة النصر لدزرائيلى وأحس رئيس الوزراء بمرضه فـكتب استقالته للملـكة ناصحا لها أن يخلفه دزرائيلى

وتوطدت العلاقة بين الملكة ودزرائيلي حتى مات زوجها البرنس البرت فرثاه دزرائيلي فى المجلس رثاء طيبا زاد حب الملكة له وتقديرها اياه

وبدأت الغيرة تدب فى نفس « غلادستون » وبدأ يهاجم حكومة دزرائيلي منذ الاسبوع الاول . وبلغ « غلادستون » الستين من عمره ولكنه رغم ذلك زج بنفسه فى معركة الانتخابات رغبة فى الانتقام والتشفى

عزاء

فلما أعلنت نتيجة الانتخابات وفشل دزرائيلي كان أول ما اتجه اليه أن ينسحب من الحياة السياسية وكانت التقاليد تقضى أن يمنح رتبة شرف تخول له البقاء فى مجلس اللوردات غير أنه لم يقبل أن يترك حزبه مقهورا وينزوى فى مجلس اللوردات . فلما أظهرت الملكة استعدادها تقديراً لخدماته ان تمنحه لقبا فضل ان يكون من نصيب زوجته

واشتد المرض على زوجته . وفى ١٥ سبتمبر سنة ١٨٧٢ ماتت بعد أن بلغت واحد وثمانين سنة فظن أصدقاؤه السياسيون أن حياته السياسية قد انتهت بوفاة زوجته ولكنهم اخطأوا التقدير فقد دفعته وحدته وعزلته الى النشاط والعمل

وبدأ « غلادستون » فى سياسته حاكما مستبدا وتحرجت الحالة بينه وبين الكنيسة الارلندية وعارضته الملكة ورغبت فى سقوط وزارته

وفى سنة ١٨٧٣ بدأ الاستعداد للانتخابات وبدأ المحافظون ينظمون صفوفهم وبدأ دزرائيلي يستعد لحملته

وشعر دزرائيلي بالوحدة وبحاجته الشديدة للعطف والمؤاساة بعد وفاة زوجته . وعادت صداقته تتجدد مع الليدى « شسترفيلد » والليدى « برادفورد » وأخذ يتردد عليهما ويكتب لهم كتبا كلها رقة وظرف . وكانت الليدى « شستر فيلد » قد فقدت زوجها وبلغت السبعين من عمرها أما الليدى « برادفورد » فكانت فى الخامسة والخمسين وكان زوجها لا يزال حيا . وأخيرا اقترح على الليدى « شستر فيلد » ان يتزوجا ولكنها رفضت لسببين الاول اعتقادها بان الزواج فى سنها أمر مضحك والآخر لانها تعرف حب دزرائيلي لاختها

وبدأ « غلادستون » حملة الانتخابات ونجح المحافظون اذ هزم « غلادستون » وفاز دزرائيلي

وحزبه بأغلبية ساحقة . وابتهج الشعب لهذه النتيجة وفر « غلاستون » من الميدان تاركا زعامة حزبه أيضا

ورأس دزرائيلي حزب المحافظين وأصبح الزعيم المحبوب حتى من اعدائه ومعارضيه . وزادته سنه احتراما وتقديرا كما زادته خبرة فى الحياة وشئونها

وبلغ دزرائيلى اقصى ما يصبو اليه فى الحياة من القوة والجبروت . تعضده الملكة ويشد ازره حزبه . ولكنها قوة جاءته متأخرة بعد ان كبرت سنه وتهدمت قواه وأصابه المرض وفقد زوجته وشقيقته العزيزتين . فالحظ والقوة والشهرة قد تزيد الانسان سعادة ولكنها لن تخلقها وتوجدها

وبدأ دزرائيلى بعد أن توطدت علاقته مع الملكة بسن قوانين كثيرة الغرض منها تحسين العلاقات بين العمال وأصحاب الاموال وتوسيع سلطة الاتحاد التجارى وتخفيض ساعات العمل فى الاسبوع الى ست وخمسين ساعة ومنح بعد ظهر يوم السبت عطلة رسمية وقوانين أخرى صحية

وكان يتوق في شبابه الى أن يقوى مركز انجلترا السياسى وأن يعطى للمستعمرات امتيازات استقلالية وأن يفرض عليها ضرائب للامبراطورية كما ود أن يمنح حق التمثيل للمستعمرات . وكانت هذه الافكار كلها جديدة وغير مرغوب فيها

وفى ١٥ نوفمبر من سنة ١٨٧٥ استدعي « فريدريك جرين وود » محرر البول مول غازيت لمقابلة لورد « دربى » « الابن » فى وزارة الخارجية وكان قد تناول عشاءه فى الليلة السابقة مع مالى كبير له المام بالشئون المصرية وعرف منه أن الخديوى لاحتياجه الشديد للمال يرغب فى بيع نصيبه فى أسهم قناة السويس وتقدر بمائة وسبعة وسبعين الف سهم من مجموع أسهم القناة البالغ عددها أربعمائة الف . ورأي « جرين » أن من خير انجلترا أن يحتفظ الخديوي بنصيبه فى الاسهم ما دامت قناة السويس الطريق الوحيد لخير مستعمراتها . ولم يهتم اللورد « دربى » بذلك كثيرا غير ان دزرائيلى أبرق فى الحال لممثل انجلترا فى مصر يستطلع حقيقة الخبر فأبلغه الاخير بصحته وأن الخديوى وقع اختياره على ماليين فرنسيين وقبلوا أن يدفعوا له ٣٫٦٨٠٫٠٠٠ جنيه ثمنا لهذه الاسهم

وكان الخديوى شديد الرغبة فى التعامل مع انجلترا ولكنه فى الوقت ذاته كان يعوزه المال وكان البرلمان الانجليزى فى عطلته الرسمية وليس من السهل انتزاع أربعة مليون جنيه من الميزانية دون موافقة المجلس

وأصر دزرائيلى على أن يجد المال المطلوب وانتهى الى الاتفاق مع « روتشيلد » على اقراضه المبلغ وكتب فى الحال كتابا للملكة يفيدها فيه بحل المشكلة وبقبول «روتشيلد» تقديم المال المطلوب بسعر مخفض . وانتقلت بذلك ارباح الاسهم من يد الخديوى الى الامبراطورية البريطانية

مشاغبات

وكانت ألمانيا ابان حكم غلادستون قد بدأت تلعب دورا كبيرا فى السياسة الاوربية غير ان دزرائيلى استطاع أن يجعل لانجلترا سياسة خارجية ورغبات ترعاها على الدوام . غير ان بسمارك بدأ يهدد بلجيكا وفرنسا . وثار لذلك دزرائيلى . وكتبت الملكة لقيصر روسيا كتابا انتهى بتعاون الدولتين تعاونا ألزم « بسمارك » أن يتقهقر وعادت انجلترا فى سنة ١٨٨٥ تبسط سياستها على أوربا

وساءت صحة دزرائيلى وطلب من الملكة اعتزاله العمل . غير أن بعض فلاحى البوسنة والهرسك ثاروا فى السنة ذاتها على الاتراك الذين عاملوا رعاياهم الغير المخلصين معاملة سيئة . وكان يبدو لاول وهلة ان الحادث تافه ولكنه لسوء الحظ نما وزاد . وأشعل الروس نيران الثورة والكراهية فى كل قرية من قرى البلقان ضد تركيا لسببين : الاول لارتباط روسيا بدول البلقان بعاطفة دينية والثانى لرغبة روسيا فى ايجاد منفذ لها على البحر الابيض المتوسط

وكان دزرائيلى يخاف أن يرى روسيا يوما فى البحر الابيض اذ ان جل همه كان العمل على المحافظة على المواصلات الحرة للهند واستراليا عن طريق قناة السويس ولا يكون ذلك إلا بايجاد علاقات طيبة مع تركيا . وكان يخشى أن تصبح آسيا الصغرى فى يد دولة معادية وخاف أن تلعب روسيا هذا الدور

وتلت البوسنة بلغاريا فى الثورة . ورغبت روسيا وألمانيا والنمسا فى أن يعدوا مذكرة قاسية يبعثون بها الى تركيا وطلبوا الى انكلترا توقيعها غير ان دزرائيلى رفض اذ ليس من المعقول أن تتعاون انجلترا فى هدم قوة تعتز بها وفى بقائها نفع لها

وظلت الحكومة الانجليزية على خطتها حتى نشرت الديلى نيوز وكانت من أنصار « غلادستون » مقالا ملأته بيانات مريعة عن المظالم والفظائع التى ترتكبها تركيا فى بلغاريا . فالاطفال يذبحون والنساء تغتصب والفتيات يبعن كالرقيق وعشرة آلاف مسيحى يزجون فى السجون . واتهمت الصحيفة رئيس الوزراء بممالأته لتركيا

وقرأ دزرائيلي هذا كله وارتاب فى صحته واعتقد ان « غلادستون » وصحبه يتغالون فى ذكر الحقائق وصرح فى مجلس العموم برجائه أن تكون هذه الاخبار غير صحيحة ولكن دزرائيلي لاول مرة أخطأ التقدير فقد وردت التقارير تثبت صحة مانشرته الصحيفة

وثار الشعب لهذه الانباء وبدأ غلادستون رغم بلوغه السبعين من عمره ورغم مرضه يحمل على خصمه حملات عنيفة وأعد رسالة حمل فيها على تركيا حملة شعواء وزعها على آلاف الناس كما بدأ يجمع الاكتشافات لمساعدة بلغاريا

وكان دزرائيلي يخاف أن تفقد الامبراطورية وحدتها ومستقبلها . لذلك لم يعبأ بالعاصفة لاعتقاده بأن الشعب لا محالة سوف يستعيد رشده وتهدأ ثائرته

وكانت خطة دزرائيلي أن يكتفي بانذار روسيا دون شهر الحرب عليها . وأعلنت روسيا الحرب على تركيا وأرسل القيصر رسولا فى مهمة خاصة الى انجلترا للحصول على وعد بالتزام الحياد ولكن دزرائيلي حذر روسيا بأن حياده لايدوم الا اذا احترم القيصر الثلاث النقط الهامة فى سلامة الامبراطورية « قناة السويس . الدردنيل . الاستانة » وبدأ سفير روسيا يلعب دورا هاما وأعلن الحكومة البريطانية بأن مسألة الاستانة مسألة يمكن حلها بالقوة

وانتصرت روسيا على بلغاريا واضطربت الملكة وارتابت فى وعود روسيا ورغبت فى اعلان الحرب عليها بينما كانت تفاوض تركيا سرا فى عقد معاهدة

ووقف البرنس « بسمارك » فى مجلس الرشستاج والقى خطابا غامضا ضد روسيا صرح فيه بأن المسألة الشرقية قليلة الاهمية لالمانيا ولكنها عظيمة الاثر فى حفظ السلام . وطالب بأن تخضع المعاهدة المنوي عملها بين تركيا وروسيا لموافقة القوات الاوربية الاخرى فى مؤتمر يعقد مثلا فى برلين

وذهل الانجليز حين أعلنت المعاهدة فاذا بها تفقد تركيا كل ماتمتلك فى أوربا وان تضع روسيا يدها على بلغاريا وأن تحتل على الساحل الاسيوى كاروز وباطوم

وظل دزرائيلي رغم ذلك كله هادئا ساكنا لايعبأ لشيء وأخطر السفير الروسى أن انجلترا لاترى مانعا من اشتراكها في مؤتمر برلين على شرط أن تتفق روسيا وانجلترا على بحث أدق النقط قبل اجتماعه . ورأي السفير ان فى ذلك حرمان روسيا من ثمرة انتصاراتها وأصر دزرائيلي على رأيه وهدد روسيا بطردها بالقوة من الاراضى التى كسبتها

وعقد مجلس الوزراء البريطانى وصرح دزرائيلى برغبته فى اعلان الحرب كما صرح باستدعائه للاحتياطى من الجيش وارساله الاسطول الى الاستانة

وكانت روسيا فى ذلك الوقت لاتملك أسطولا قويا كما كانت ترغب في الاتفاق مع حكومة انجلترا أكثر من رغبتها فى الاتفاق مع حكومة ألمانيا . وعاد السفير يحمل حلا وسطا غير ان دزرائيلى رفض ماعرضه وأذعنت روسيا أخيرا لرأيه ووقعت اتفاقا مع سلطان تركيا تنازلت فيه عن قبرص لانجلترا كما تعهدت انجلترا بالمحافظة على « كاروز وباطوم » وسافر سفير روسيا الى مؤتمر برلين يحمل في جيبه هذه الاسس . وكسبت انجلترا الموقعة دون أن تطلق طلقة واحدة

وتحقق حلم دزرائيلى فى اقتناص قبرص وضمها الي جبل طارق ومالطه لحماية مياه البحر الابيض

وانعقد مؤتمر برلين ومثلت فيه الدول الاوربية واحتفظ كل منها بمعاهدة سرية . وسرعان ما تبين دزرائيلى أن روسيا تنقض ما اتفقت عليه أولا وخاف أن تصبح بلغاريا فريسة لروسيا يوما ما

وهدد دزرائيلى واضطرب بسمارك واجتمع به اجتماعا دام ساعة ونصفا انتظم بعده المؤتمر واملت انجلترا كلمتها علي سائر الدول

وعاد دزرائيلى الى لندن بين التصفيق والهتاف والتهليل ظافرا منتصرا ومنحته الملكة وسام ربطة الساق جزاء على عمله الجليل

سحب وغيوم

وبدأ الجو يكفهر أثر عودة دزرائيلى فائزا منتصرا اذ كان الروس يتوددون منذ مدة الى امير الافغان واستطاعوا بالاتفاق معه الى ارسال بعثة الي كابل عاصمة ملكه . وأثار هذا العمل الحقد فى نفس لورد « ليتون » حاكم الهند العام ونائب الملك وكان دزرائيلى قد اختاره لهذا المنصب لانه ابن صديقه « بولز » اولا لانه رجل مطامح عرف ببعد النظر والعزيمة القوية ثانيا . وقد دلت الحوادث على صحة هذا التقدير غير انه خالف أمر رئيسه فى هذه المسألة وأرسل بعثة انجليزية الى كابل منعها الامير من اجتياز الحدود . وفجأة وجد القائد نفسه مضطرا اما ان يخضع امام عصابات بربرية او يجازف فى حرب خطرة لايعرف مداها

وانتهز « غلادستون » وصحبه هذه الفرصة وشن الغارة على الوزارة وخاف دزرائيلى أن

يلقي التبعة على اللورد « ليتون » ورأى مناصرته وتعضيـده حتى انتهى الى أن هزم الجنرال « روبرت » قوات الامير

وتطورت الحوادث بعد ذلك وهدأت ثائرة الافغان غير أن نيرانا أخرى بدأت تشتعل فى جنوب افريقا كما بدأت القوات الانـكليزية فى الـكاب والترنسفال وزولولاند تلاقى صعابا جمة . وكان لورد « كارنارفون » وزير المستعمرات يعتقد أن تجربته فى ضم المقاطعـات المتخصصة فى كندا واتحادها وجعلها مستعمرة واحدة قد تنتج ضم جنوب افريقا الى البرتغال غير أن هذا الرأى اثار قبائل « الزولوس » ضد انجلترا وانتهى بان مات أكثر من الف وخمسمائة عسكرى

وفى أغسطس سنة ١٨٧٩ هدأت الحالة وترك فرسان الروس الاراضى التركية نهائيا واستقرت فرقة انجليزية فى كابل واسر « ولسلى » زعيم الزولوس فى جنوب افريقا وعلى حين غرة اتصل الى دزرائيلى خبر المذبحة المريعة التى قتل فيها رجال البعثة الانجليزية

وعبس الحظ فى وجه دزرائيلى وبدأ الناس يتحدثون عن « النبى الـكاذب » ويمتدحون « غلادستون » وأراءه ونظرياته وسياسته . وبدأ « غلادستون » رغم مرضه وكبر سنه يلعب دوره على مسرح السياسة ويجول فى المقاطعات والبلاد منددا بسياسة دزرائيلى كما أخذت الصحف تنشر له مقالات مسهبة استعدادا لحملة الانتخابات العامة

ودلت نتيجتها على فوز الاحرار وأسفت الملـكة لهذه النتيجة اذ كانت تود بقاء دزرائيلى فى الحـكم الى جانبها

وكان على الملـكة أن تختار من الاحرار بين « هارنجتون » و « جرانفيل » غير ان « غلادستون » هدد بعدم تأييده لاية وزارة لايكون على رأسها

ورأت الملـكة تقديرا لجهود دزرائيلى أن تمنحه لقب دوق غير انه رفض خشية ان يثير هذا العمل شعور الشعب

وعاد اليه حب المطالعة وشغف القراءة وحبه للادب وفـكر فى كتابة قصـة تعنى بالشئون السياسية . وظهرت القصة وباع سكرتيره حقوق طبعها بعشرة آلاف جنيه أسس ببعضه بيتا جديدا فى لندن حيث ظل فيه تسع سنوات

وحده

وظل دزرائيلى بعد ذلك وحيدا منفردا يقضى أكثر وقته بين كتبه واوراقه وذكرياته .

وكان أحب الاشياء اليه نهارا أن يمد قدميه الى أشعة الشمس وان يستقبل فى المساء نجوم السماء وحوله مختلف الزهور والرياحين

وقضى عيد ميلاد سنة ١٨٨٠ وحيدا وكانت سلوته الوحيدة القراءة حول الموقد فاذا أخذه النعاس ذهب فى أحلامه ماشاء الله له أن يفعل ودفعه الخيال إلى زوجته واحاديثها وبنات « شهريدان » الجميلات

وعاد الى لندن فى الايام الاخيرة من شهر ديسمبر وأخذ يزور أصدقاءه ويتردد على مجلس اللوردات رغم ما كان يشكو منه من مرض الربو

وكان شتاء يناير سنة ١٨٨١ قارسا قاسيا الزمه ان يقضى أياما كامله ممددا على وسادته . وفى اوائل مارس بدأ يستعيد نشاطه ويتردد على مجلس اللوردات ويستقبل الربيع بجماله وزهوره ورياحينه . غير انه فى نهاية شهر مارس اصيب بقشعريرة الزمته الفراش اتضح انها نزلة شعبية مصحوبة بربو . وقلقت الملكة لمرضه وواظبت على زيارته وارسال باقات الورد والبنفسج

وبدأت الجماهير فى الشوارع تترقب عن كثب اخباره . غير انه فى ١٩ ابريل سنة ١٨٨١ فى الساعة الثانية صباحا لاحظ طبيبه ان نهايته قد اقتربت وفجأة حرك المريض رأسه والقى الى الوراء كتفيه وتحركت شفتاه فانحنى اصدقاؤه عليه ولكنه انطرح الى الوراء ولم يستطع أن ينهض بعد ذلك من رقدته

ورغب « غلادستون » رئيس الحكومة فى ذلك الوقت فى ان يحتفل به رسميا وان يضع جثته فى مقبرة العظماء « وست منستر » ولكن وصيته الزمتهم ان يضعوا جثته بجانب زوجته فى بلدة « هيوجندن » فى احتفال بسيط سار فيه البرنس اوف ويلز وقليل من اصدقائه

وبين لفافات كتفه وضعت الملكة لفافتين من الزهر كتب على الاولى « زهرته المحبوبة » وعلى الثانيه بخطها « رمز الوداد الخالص والصداقة والاحترام »

ولم تستطع الملكة الاشتراك فى جنازته لاقامتها فى ذلك الوقت فى « اوزبورن » فلما مرت فى عودتها على قبره تفضلت بزيارة المقبرة واقامت له فى الكنيسة تمثالا على نفقتها كتبت عليه عبارة تقدير واحترام

وهكذا يجب ان يعيش الرجال ليخدموا بلادهم فى صدق واخلاص وهكذا فليعمل العاملون

أخبار اقتصادية

مصنع زجاج محمد سيد ياسين وشركائه

لم يكن للزجاج فى مصر الى سنة ١٩٣٣ غير ورش يدوية صغيرة تنتج بعض أصناف من الزجاج الابيض ولا سيما الملون منها على أشكال غير منتظمة ينقصها التهذيب كانت تسترعى لغرابتها وشذوذها أنظار الأجانب. وكان إنتاج هذه الورش محدوداً جداً لا يكفى لسد حاجة البلاد المتزايدة. وقد حاول البعض مرتين أو ثلاث مرات إدخال الطرق الحديثة لهذه الصناعة فى البلاد ولكن هذه المحاولات كان مصيرها إلى الاخفاق

على أن الحكومة لم تلبث أن أنشأت فى سنة ١٩٣٣ معهدا نموذجياً لتدريب الطلبة عملياً على صنع الزجاج وفى السنة نفسها أنشأ الأستاذ محمد السيد ياسين وشركاؤه فى ضواحى القاهرة مصنعاً للزجاج

أنشىء هذا المصنع فى شبرا على ضفة النيل بالقرب من القناطر الخيرية وهو يتألف من بناءين أحدهما بالطوب والاسمنت المسلح على قطعة من الارض تبلغ مساحتها الف متر مربع والثانى - وهو على وشك الانتهاء - على قطعة تبلغ مساحتها ٢٠٠٠ متر مربع. هذا فضلا عن مخزن مترامى الأطراف شرعوا فى اقامته على أرض مساحتها نحو ستة آلاف متر مربع لقسم التعبئة والمخازن التى تودع فيها منتجات المصنع. وهناك مبان أخرى للمكاتب وورش الاصلاح وغسل الرمل وتجفيفه وجميع هذه الابنية منشأة على أحدث طراز وهى ملك الشركة

وقد بدأ المصنع عمله فى سنة ١٩٣٣ بصنع زجاج المصابيح والاصناف العادية من الزجاج وللمصنع الآن فرن كبير مستدير لصنع الزجاج يحمى بالمازوت ويستطاع إيصال درجة الحرارة فيه إلى ١٤٥٠ وقد بناه اختصاصيون المانيون تحت إشراف مخترعه. وحول هذا الفرن ينفخ الزجاج أو يكبس فى قوالب خاصة ثم تنقل المصنوعات ولا تقل حرارتها عن ٦٠٠ درجة الى سلسلة افران أخرى للتبريد فتعود بعد ثمانى ساعات إلى حرارتها الطبيعية وتكتسب مناعة تجعلها أقل عرضة للعطب والانكسار

وبعد تبريدها تبدأ سلسلة عمليات التهذيب الاخري « قطع الزجاج بتعريضه للنار وتسوية الحروف وصقلها بالمس وتدوير الاطراف وطبع العلامة التجارية على بعض الاصناف كزجاج المصابيح» وكل ذلك بواسطة آلات حديثة بالغة العناية من الاتقان

أما المكان الذى أوشك أن يتم بناؤه فسيجهز به فرنان لصنع الزجاج وأفران عدة للتبريد وما يلزم من أدوات الصقل

ويجد المصنع كل ما يحتاج اليه من المواد الأولية فى البلاد نفسها أما المادة الاساسية وهى الرمل فتأتيه من « ابو الدرج » الواقعة فى جنوب السويس وعلى بعد ٢٠٠ كيلو متر منها . وهو مزود بآلات من أجود طراز لغسل الرمل وتجفيفه وغربلته وسحقه ومزجه بما يلزم من المواد الاخرى كالصودا والطباشير والنطرون والملح ونترات الصودا وفضلات الزجاج وهذه المواد تعبأ بعد مزجها فى أكياس يبلغ وزن الواحد منها مائة كيلوجرام لتسهيل تغذية الافران . ولا يستورد المصنع من الخارج غير مقدار قليل من رمل فونتنبلو لا يتجاوز ٥٠٠ طن فى السنه

ويتناوب العمل فى المصنع ثلاث فرق من العمال تشتغل كل واحدة منها ثمانى ساعات فى اليوم ويعمل فيه فى الوقت الحاضر ثمانون عاملا تشيكوسلوفاكيا عليهم رئيسان منهم وأربعمائة عامل من المصريين . وقد استأجر أصحاب المصنع لسكنى العمال التشيكوسلوفاكيين منزلا بالقرب من المصنع تتولى فيه أعمال الطبخ طاهية تشيكوسلوفاكية

ويقوم المصنع الآن بصنع زجاج مصابيح البترول والاقداح العادية وقنانى الادوية والأوعية الزجاجية التى يوضع فيها السمن والزبدة والملح والزيت فضلا عن الصحون وما شاكلها ويبلغ مقدار ما ينتجه من هذه الأصناف نحو ثلثى ما تستهلكه البلاد والمنتظر أن يتمكن بعد اتمام المنشآت الجديدة التى سبقت لنا الاشارة اليها من أن يسد حاجة البلاد كافة بل أن يصدر مصنوعاته إلى السودان وسوريا وفلسطين وغيرها

ولقد كان لهذا المصنع أثر كبير فى واردات الزجاج إلى القطر المصري فنقص مقدارها نقصاناً عظيما كما يتبين من الاحصاء الآتى :

سنة ١٩٣٤	١٩٣٥	« ١١ شهراً »
زجاج المصابيح	٣٤٣٥١ ج م	٩٦٧٧ ج م
الاقداح	٤٠٢٠٥ «	٢٦٩٧٥ «

ولا يسعنا الا أن نهنىء الاستاذ محمد السيد ياسين وشركاءه بما فعلوه من تزويد البلاد بمصنعهم الذي أقاموه على أحدث طراز وعدم ترددهم فى الاستعانة بعدد كبير من العمال الاختصاصيين الاجانب ليسهلوا لليد العاملة المصرية التدرب على الاعمال الفنية على الوجه الأتم الاوفى . فان بفضل هذه الروح التى لا يسعنا الا الاشادة بها قد تمكنت منتجات مصنع ياسين من أن تباري أفضل ما يرد الينا من المصنوعات الزجاجية الاجنبية وأصبح فى مصر بضع مئات من العمال البارعين فى هذه الصناعة .

الاتفاق بين الحكومة المصرية وشركة قناة السويس

شملت التسوية الاخيرة التى عقدت بين الحكومة وشركة قناة السويس جملة مسائل : أولها مسألة رسم المرور . ولقد كان هذا الرسم محددا بفرمان الامتياز المؤرخ فى ٥ يناير سنة ١٨٥٦ بحد أقصى قدره ١٠٥ فرنكات لكل طن من حمولة البواخر ولكل فرد من الركاب فمن الآن فصاعدا سيحول هذا الرسم رسم العشرة الفرنكات التى لم تفتأ « الشركة تحسبها فرنكات ذهبية » الى قروش مصرية بواقع الفرنك ٣،٧٥٧٥ غ ص أى ٣٨،٧٧٥ غ ص للعشرة الفرنكات ولكن هذا السعر سيبقى دائما قابلا للتعديل بقرار من وزير المالية بناء على طلب الشركة دون أن يجاوز قيمة ٣ جرامات و ٢٧٨٨٧٥ من كسور الجرام من الذهب الخالص ذى عيار ٨٧٥ / ١٠٠٠ محسوبة بالقروش المصريه

وبعبارة أخرى يجوز دائما ان يبلغ رسم المرور المحصل بالقروش المصرية حدا أقصى قدره ١٠٥ فرنكات ذهبا اى ١٨و٥٧٥ غ ص ذهبا أى ٦٤ غ ص على أساس البدل الحالى

وبذلك ضمنت لشركة القناة فى حدود القوانين المصرية الخاصة بتداول النقد ، الحقوق التى اعترفت لها بها فرامانات الامتياز وجعلت ايراداتها من رسم المرور فى مأمن من كل هبوط خطير محتمل حدوثه فى قيمة العملة المصرية

ومما هو جدير بالملاحظة فى هذا الصدد ان رسم المرور عن كل طن من الحمولة الذى يحصل الآن هو مبلغ ٣٦،٥٦ غ. ص معادل ٥ فرنكات و ٧٥ سنتيما ذهبيا . فهو اذن اقل من العشرة الفرنكات المصرية ٣٨،٥٧٥ غ . ص ولا تحسب التسوية التى نالتها الشركة ازاء مرسوم ٢ مايو سنة ١٩٣٥ القاضى بالغاء نص الذهب من العقود الا ضمانا للمستقبل فقط

أما وقد قبلت الحكومة ان تؤيد اساس الذهب لتعريفة رسم المرور فقد رأت شركة القناة من جهتها أن تجيب الطلب الموجه اليها فمنحت مصر الميزات الآتية

١ ـ تعيين عضوين مصريين فى مجلس ادارة الشركة

٢ ـ التوسع التدريجى فى استخدام شبان مصريين فى هيئة مستخدمى الشركة فى مصر بحيث تبلغ نسبتهم ٢٦ فى المائة من جملة المستخدمين فى سنة ١٩٥٨

٣ ـ دفع حصة سنوية للحكومة المصرية قدرها ٢٠٠٠٠٠ ج م

وبذلك عادت مصر فاصبحت شريكة فى استغلال مشروع القناة بعد أن فقدت حصتها ببيع الاسهم التى كان خديوى مصر قد احتفظ بها لنفسه وبالتنازل عن ١٥ فى المماية من الفوائد التى كان يحق لها الحصول عليها

ولقد تناول الاتفاق فى الوقت نفسه بعض مسائل أخرى ذات أهمية ثانوية ترتبت على حلها تسوية بعض الارقام الواردة فى المعاهدات الاصلية المبرمة بين الحكومة والشركة وازالة بعض العقبات التى نشأت فى تفسير هذه المعاهدات وقد تم كل ذلك فى جو من الصداقة والتفاهم المتبادلين

من ذلك ان الحكومة أيدت ما للشركة من حق معترف به فى المعاهدات باعفائها من الرسوم الجمركية ورسوم الانتاج من جميع البضائع والادوات المستوردة من الخارج لحاجة المشروع وكانت وزارة المالية قد أثارت مسألة رسوم الانتاج منذ زمن وبقيت هذه المسألة معلقة الى أن تمت تسويتها الآن

وحصلت الشركة من جهة أخرى على زيادة مقدار المياه الذى كان مخصصا لها منذ سنة ١٨٨٦ لحاجة سكان المدن الواقعة على القناة وعلى زيادة المبلغ الاجمالى الذى كانت تدفعه لها الحكومة للقيام بتعهد الطرقات والمغروسات فى الاسماعلية وبور توفيق وهو لم يتغير منذ سنة ١٨٨٤

وحصلت الحكومة المصرية من جهتها على زيادة مساحة الاراضى التى تجعلها الشركة تحت تصرفها لحاجة مصالحها وعلى الغاء النص الذى يحدد حمولة البواخر التابعة لها المعفاة من رسم المرور

واخيرا اتفق الفريقان على توسيع مدينة بور فؤاد فى حدود امتياز شركة القناة وتم التفاهم على تبادل بعض المساحات بين الشركة والحكومة لتسوية الحالة الناشئه عن احتلال مصلحة السكك الحديدية بعض اراض تابعه لشركة القناة

أخبار اجتماعية

الحرية فى التعليم

كتب الاستاذ أوفيد ديكرولي يقول :

ليس ثمة بين الألفاظ ما يجارى لفظ الحرية فى تعدد المعانى وتضارب الآراء ، وسواء أكانت مستعملة فى معانيها السياسية أم الدينية أم الاجتماعية أم الفلسفية ، فانها قد تؤدى الى معان متباينة ومقاصد مختلفة فى نفوس الافراد والجماعات

وقد يحدث أن أمة تكون غيورة على حريتها ، تدافع عن سلامتها وتذود عن حياضها بكل ما أوتيت من القوة والبطش والمال والرجال ، ومع ذلك فانها تنتهك حرية الجماعات والأفراد فيها

وأكثر من ذلك أن يكون الفرد ملتهباً حماسة وممتلئا إيمانا بمبادىء الحرية الفردية والاجتماعية ومع ذلك فأنه فى تصرفاته الخاصة مع الافراد والجماعات يظهر بمظهر الاستبداد والتعسف ، والظاهر أن هناك تناقضا بين تصور حرية الارادة وبين الحرية التي يميل الفرد الى استخدامها مع الغير . ومما لا يختلف فيه اثنان أن حرية الفرد مقيدة بالتضحية التى كثيرا ما تتطلبها حاجات المجموع ، كذلك حرية الجماعات الصغيرة مقيدة بالتضحية التي كثيرا ما تتطلبها حاجات الجماعات الكبيرة

ويظهر أن الحرية التى طالما أبجناها الطفل تختلف معنى عن الحرية المعتادة التى يقصد بها قوة الامر التى يتصف بها الضمير . وعند ما يأتى الطفل أمرا منافراً لرغبات أهله أو معلميه ، يفسر فعله عادة بأنه نتيجة طبيعته ، أى أن الطفل انما أتاه مدفوعا بشعائره وميوله الطبيعية . غير أن هذا تفسير غير دقيق ، لان فى معظم الاحيان « ترك الطفل فى حريته » يمرح كيف يشاء ، وأنى يشاء ، ومتى يشاء ، لا ينتج عنه تنمية ارادته وتقوية مجهوداته ، كما يظن البعض بل يقصد به فى الحقيقة الافراط فى التسامح معه والمغالاة فى تركه يستسلم لخياله وتصوره الصبيانى ، فيشب طماعا فظا ، ثرثاراً ، قذراً ، طائشا ، غليظ الطباع ، قاسى المعاملة ، محبا للخصام ، عدوا للنظام ، خاملا ، وهذه الرذائل وامثالها ، مما نشاهده عادة فى المتشردين واللقطاء من صبية الشوارع والطرقات الذين

لايجدون والدا يكبح جماحهم ، أو معلما يسير دفة حريتهم . فيطلق لهم الحرية متى ولوا زجوهم شطر الاستقامة ، ويرسم لهم الطريق السوى متى زاغوا

ويقول الذين ينادون بتقييد حرية الطفل أن الطفل اذا أطلقت له الحرية بغير حساب يميل إلى إظهار العواطف الضارة الخطرة التى تنتج عادة عن غريزة حب الذات . فالصغير الذى لاتقاوم شكيمته باسم الحرية ، يربى نفسه على العادات الضارة كالابطاء فى لبس الثياب واهمال نظافة جسمه وعدم مراعاة الدقه فى هندامه ، وعدم الاكتراث بآداب المائدة كالاكل بشراهة ، واستخدام أدوات المائدة فى غير ما وضعت له ، واظهار السماجة ، والضوضاء ، ونسيان الذوق والكياسة واللياقة ، والرغبة فى الاستيلاء علي أجود الطعام بغض النظر عن الآخرين ، واستعمال الغلظة والقسوة والوحشية حتى مع اخوته وأخواته ، والسطو على كل ما تهواه نفسه ، وتمزيقه اذا حال أحد بينه وبين ذاك الشىء

وعلى هذا المنوال إذا ترك التلميذ فى المدرسة طليقا يفعل ما تمليه عليه طبيعته ، باسم الحرية فانه لايمضى طويلا حتى تطفح نفسه بالميول الخبيثة والصفات الناتجة عن غريزة حب النفس ، فيناقش معلمه ويجادله فى كل صغيرة وكبيرة ، ويعاكس رفاقه ، ويلجأ الى العنف والقسوة ، والتأخير والاهمال ، والقاء المسئولية عرض الحائط ، وسوء النظام ، ورفض النصح ، والخروج عن حد الطاعة . غير أن هذا ليس نهاية الامر ، فمن الخطأ أن نقول أن منح الحرية للطفل يؤدى الى النتائج السالفة وحسب ، لان الصورة التى رسمناها للقارىء لم ينظر اليها إلا من وجه واحد . فلننظر إذن من الوجه الآخر :

إن اطلاق الحرية للطفل تظهر أيضا ميوله الشريفة ، فكما أن الصبي فى حريته ، تتجلى ميوله الدنيئة ، كذلك فى الحالة عينها تتجلى صفاته الحسنة . فالطفل فى حريته مدفوع بقوة الغريزة وحكم الطبع ، أن يستكشف العالم بأسره ، الكبيرة فيه والصغيرة ، الشاردة والواردة ، فيعمد الى المسائل التى تصادفه فى الحياة فيحلها ويحاول بنفسه القيام بالتجارب فهما للاشياء التى تخفى عليه ، ويحاول التعبير عن آرائه رغم ما يلاقيه من صعوبة الكلام ، واستخدام الالفاظ لاداء المعانى ، وبعبارة أخرى أنه يحاول بكل قواه أن يتلمس الحقيقة فى الظلماء ، ويحاول الخروج من عالم الخيال إلى عالم العمل . وهذا جميعه يدعونا الي التفكير فى ما يجب أن نهيئه له من الاوساط التى تحثه على اخراج أفكاره من حيز الاوهام إلى حيز العمل ، وأن يكون هذا بأقرب فرصة ممكنة وبأسهل

الوسائل ، لان كل تأخير أو عقبة يضيع على الطفل شطراً من عمره حتى أنه يبلغ العشرين مثلا ومجموع اختباراته ومعلوماته لا توازى معلومات آخر يبلغ الخامسة عشر . ويقصد بتهيئة الوسط أن تكون البيئة فى حالة تغرى الطفل فيجد أمامه من المسائل مايستميله الى حلها أو القيام بالتجارب أو التفكير أو الاستكشاف ، أو الابتكار وبالاختصار يجب أن يكون الجو الذى يعيش فيه الطفل صالحا لاثارة العواطف الشريفة واخماد الغرائز والميول الدنيئة

ويتضح من الصورتين اللتين رسمناهما للقاريء ، أن كل حرية فى الصورة الاولى يجب أن تقيد وتخمد ، وكل حرية فى الصورة الثانية يجب أن تشجع وتقوى

ومهما تعددت مدلولات ومعانى الحرية ، فانه يقصد بها فى هذا البحث ، فوق كل شيء ، ازالة العقبات والموانع التى تحول دون اظهار الميول غير الضارة فى الطفل

ولا يغيب عن اذهاننا أن النوع الضار من الحرية يفتاب الكبار أيضا ، فطالما اتخذ المعلمون ما لديهم من الحرية الشخصية ، اضراراً بالاطفال الذين تركوا وديعة فى أيديهم ، فلا يفكرون إلا فى حريتهم ورغباتهم وملذاتهم وراحتهم ، ويتركون تلاميذهم يعذبون فى قيود وأغلال ، وهؤلاء المعلمون يجنون على تلاميذهم ، وعلى مبادىء التعليم ، ولا ذنب لاولئك الصبية الا أن القدر قد طوح بهم الى أيدى اولئك المعلمين ، فأخمدت فيهم أشرف الغرائز ، وقتلت مواهب التفكير ، والابتكار ، والشجاعة ، فشبوا خاملين جبناء

وهذا فى نظرى من أمهات المسائل فى فلسفة التعليم ، لذلك ينبغى أن يوجه المربون الى أنفسهم هذه الاسئله : —

هل يجب أن تكون تهيئة البيئة بالنظر الى الكبير أو الصغير ؟

هل يجب أن يكون للكبير المكانة الاولى أو للصغير ؟

هل ينبغى أن تكون الاوساط المنزلية والمدرسية مرعية فيها راحة الكبير أولا أو راحة الصغير ؟

ألا يجب أن تتوافر فى المدارس (اذا لم تتوافر فى المنزل) الحدائق والملاعب وآلات الموسيقى وأدوات الاعمال اليدوية والصناعات ، حتى تنمو فى الطفل قوة الملاحظة والعمل ، فيفكر فى النبات والحيوان وتنمية جسمه وتقوية عقله ، وتربية ملكة الاعجاب فيه ، والشغف بالفنون الجميلة ، واستخدام يديه فى الصناعات واحترام الاعمال اليدوية ؟

ومن الوجهة التهذيبية تكون القيود فى اطلاق الحرية أقل خطراً إذا جاءت عن طريق البيئة ، فان تأثير المعلم فى التلميذ . وتأثير الكبير فى الصغير عظيما الاهمية ، بيد أن تأثير البيئة اكبر

تقدم العلوم والفنون

عجائب الغريزة

كتب أحد العلماء الانجليز هذه الكلمة المفيدة عن الغرائز

ظلت الغريزة فى الحيوان لغزا لم يتوصل العلماء إلى ادراك كنهه الوفا من السنين، وسراً لم يكتشفه الباحثون دهوراً طويلة، فالانسان يجب أن يلقن مهنته قبل أن يغامر بنفسه فى الحياة، أما الحيوانات والطيور فانها تحيط بغريزتها التى فطرت عليها بالوسيلة التى تتذرع بها لتبنى أوكارها وعشاشها وتعرف كيف تدخر غذاءها وأقواتها وتلم فوق ذلك بالطرق التى تسلكها فى ثقة واطمئنان لمواجهة الطوارئ الناشئة العديدة

فالطفل الذي يشب وحيداً لايرعاه أهله أو غيرهم من البشر ينمو ألكن عي اللسان، فاذا لم يدرب على الحبو لايصبح فى مقدوره السير معتدل القامة مستقيم البناء، ولكن الطيور المغردة التى تكبر بعيدة عن أسرابها وعشيرها تتعلم بغريزتها التغريد والغناء كما تفعل أخواتها وفصيلتها

والرجل الذي لم يتلق من التعليم قسطا كافيا لا يستطيع أن ينجز شيئا فنيا مهما كان تافها بسيطا ولكن الصقور والنسور تبنى عشاشها فى أعالى الاشجار المعرضة للرياح الشديدة بطريقة هندسية عجيبة لايصيبها شيء من الخلل أو التلف عند هبوب العواصف المتدافعة والانواء المخربة، كما كانت تفعل أسلافنا منذ فجر التاريخ ودون أن تتلقى عنها دروسا فى هذا الفن المعمارى الغريب

ولم تقتصر هذه الغريزة على الحيوانات والطيور العليا ولكنها تعدتها إلى أنواعها الصغيرة فى الجرم الضعيفة فى التكوين، وقد امتازت الاخيرة أيضا بمقدرة عجيبة فى العمل على وقاية نفسها والاطمئنان على حياتها ضد هجمات أنواع الحيوانات والطيور الوحشية الكاسرة، فتعمد دائما إلى انشاء تحصينات محكمة الصنع، متينة التصميم تحتجب وراءها عن عيون أعدائها وتحتمى بها من الوقوع فى مخالبها القاسية

وللحيوانات والطيور على العموم مقدرة مدهشة على حل مايعرض لها من المشكلات. فقد كنت مرة أقوم بتصوير أحد الطيور المغردة ولاحظت من مخبأى الذي جثمت فيه أنه صرف

نحو العشرين الدقيقة محتضنا بيضه فى عشه ثم نفر منه وحلق حتى حط فوق بضعة أحجار صغيرة قريبة من المكان واحتضن هذه الاحجار مدة عشرين دقيقة كذلك طار بعدها إلى عشه حيث احتضن بيضه فيه كذلك . وظل طول اليوم يتردد بين المكانين فيمكث فى كل منهما حوالي العشرين الدقيقة . وفى المساء أردت أن أنفذ الى سر جلوسه فوق الاحجار وكم دهشت اذ وجدت بينها احدى بيضاته التى وضعها هناك ولم يستطع حملها إلى عشه فقسم وقت الحضانة مناصفة بين المكانين . وهذا أمر مدهش عجيب يدلنا على أنه وجد بغريزته حلا للمشكلة التى عرضت له فى ضرورة حضانته للبيض كله

ولقد شاهدت مرة جيوشا جرارة من النمل تسير بعضها فى أثر بعض صعودا وهبوطا على جذع شجرة مورقة وهى تحمل غذاءها وأقواتها لتودعها فى مخازنها التى أعدتها لذلك فأردت أن أختبر قدرتها على حل مشا كلها فأحطت جذع الشجرة بدهان لزج عرضه بوصة عندمنتصفه فطفق النمل يتلمس طريقه إلى مخازنه متجنبا ذلك السياج فلما أعياه البحث عنه ولم يجد وسيلة للتغلب على تلك المادة اللزجة التى لايستطيع الخوض فيها ، ترك أغذيته التى يحملها فى مكانها وذهبت جموعه الكثيفة كأن الوحى ألهمها جميعا ثم عادت تحمل كلها قطعا صغيرة من أوراق الاشجار والنفايات وكدستها بعضها فوق بعض فى مكان واحد فوق هذه المادة اللزجة . ولم يمض وقت طويل حتي رأيت قنطرة عجيبة ، واستطاع النمل أن يعاود مسيره عليها حاملا ذخيرته الشتوية التى يجاهد للاحتفاظ بها

أما الدجاج فانه آخر من يعتد به فى مسألة القدرة على حل مشاكله بالغريزة ، إذ أن هذا النوع من الطير ظل ألوفا من السنين يعتمد علينا فى اعداد غذائه وتهيئة بيته له ولم يتكلف خلال هذه الاحقاب الطويلة القيام بعمل يذكر فى هذا الشأن ، والدجاج اذا لم يجد مبيته معدا له تكدس فوق بعضه فى أحد الاركان القريبة حتي ينقضى الليل ، أما اذا افتقر إلى الغذاء فانه يظل ينبش الارض بأظافره ومنقاره فى مكان دون ان يكلف نفسه القيام برحلة طويلة كما تفعل بقية الطيور والحيوانات ، وفوق ذلك فانك تستطيع أن تخدعها فتحملها على احتضان قطعا صلدة من الاحجار مدة الحضانة المعتادة وهى ثلاثة أسابيع متخيلة انها بيضها فلما لاتنفق صغارها منها تتركها غير آبهة بها بعد أن تكون قد شقيت فى نقرها ، ولقد وضعت مرة قطعة من الزجاج فى طريقها المعتاد الى حيث يوجد غذاؤها اليومي فكان الدجاج كله يدور حولها ويتحاشى تخطيها ، فلما رفعت

الزجاج بعد بضعة أيام استمر مبتعـدا عن المكان الذى كانت فيه وتحـاشت المرور فوقه وهذه غريزة عجيبة شاذة فى هذا الطير الغريب

وهناك أمر فاقت فيه الحيوانات والطيور الانسان من حيث الادراك العالي والمقدرة السامية التي تختلط بالغريزة فيها ، فـكثيرا مايحدث أن يضل الانسان طريقه سواء أكان فى المـدن أم فى الصحراء ولا يدرى كيف يتخلص من مأزقه ويعود الى موطنه ، ولـكنك اذا وضعت كلبا أو طيرا فى نفس المشكله لاستطاع بعد ساعات قليلة أن يعود الى مـكانه الذى يعيش فيه ، وهناك طيور خاصة تحمل فى سلال ألوفا من الاميال بعيدا عن موطنها فعند ما يخلى سبيلها تطير صاعدة فى الجو الى ارتفاع شاهق جدا وهى تتحسس بطبيعتها وغريزتها الاتجاه الذي به عشها وموطنها حتى اذا وثقت منه اندفعت متجهه اليه دون تردد أو خطأ ، واننا لنرى ان كثيرا من القطط الاليفه قد استطاعت أن تعود الى البيت الذى الفته بعد أن تؤخذ الي مـكان بعيد بغيه التخلص منها

وهناك الطيور المهاجرة التى تترك بلادها كل شتاء متجهه الى المناطق الحارة لتتوالد فيها فانها تقوم برحلة تبلغ عشرات الالوف من الاميال عبر جبال شاهقه وبحار واسعه دون أن تخطىء أو تضل الطريق الذي تعبره مرتين فقط فى العام

فهذا الادراك العالى الذى احرزته هذه الطيور والحيوانات هو لغز الغريزة الذى عجز العلماء عن حله اجيالا متعاقبة . وليس من المنتظر أن يوفق احد الى الوصول الي كنهه

الزراعة فى الصحراء

تنتهى صحراء مصر شمالا بالبحر الابيض المتوسط ، وشرقا بالبحر الاحمر وقد تتساقط الامطار كل سنة على شواطىء هذه البحار فتروى جزءا من الساحل فينبت الزرع بحالته البرية أو بمجهود من القاطنين بتلك الجهات

كما أنه يوجد فى داخل الصحراء الـكبرى واحات تنفجر فيها الماء من عيون طبيعية تساعد على انتشار الزراعه

والمناطق السالف ذكرها هي : ساحل شبه جزيرة سينا الممتد من حدود مصر الشرقيه الى بلدة القنطرة . وساحل البحر الابيض المتوسط من مدينة الاسكندرية غربا الى الحدود الفاصلة بين مصر وطرابلس . واشهر الواحات الواقعـه فى الصحراء الغربية هي . واحات سيوة ، والبحريه ،

والفرافرة والخارجة والداخلة . ويدلنا التاريخ على أن تلك المناطق كانت آهلة بالسكان ، عامرة بالمدن كثيرة الزراعة والصناعة ، وزيارة واحدة إلى تلك الاصقاع تحقق ماذكره التاريخ فالمتجول مثلا على ساحل البحر الابيض المتوسط غرب الاسكندريه يشاهد اطلالا كثيرة من المدن والآبار وخزانات المياه المطمورة والمعابد والحصون دليلا على كثرة السكان وتقدم العمران فى قديم الزمان ، كما أن المتجول فى الواحات يشاهد أيضا آثارا تنطق بانها كانت موضع عناية حكام مصر الى صدر الاسلام

ولنضرب بعض الامثال التاريخية للدلالة على صحة هذا القول . فقد قيل أن قمبيز ملك الفرس عندما أراد فتح واحات سيوه مون جيشه العظيم من الواحات الداخلة مما يبين أن الزراعة كانت منتشرة انتشارا عظيما بتلك الواحات ولا يكون ذلك الا بوجود عدد عظيم من السكان كما أن رغبة قمبيز فى فتح واحة سيوه دليل على ما كان لسيوه فى ذلك الوقت من المكانة

وقد شيد قدماء المصريين معبد آمون بسيوه وكانوا يعتقدون أن الشمس تغرب هناك ، وكان لمعبد آمون شأن عظيم فى العقائد حتى أن الاسكندر الاكبر ذهب خصيصا الى سيوه ليسترشد برأى الآلهة فى معبد آمون

وقد كانت الزراعة منتشرة انتشارا عظيما تبعا لكثرة السكان فى تلك الاقطار الى ما بعد ثلاثة قرون من الفتح الاسلامى ، ومن ثم ابتدأ الاضمحلال لأنه نتج عن كثرة الحروب والغزوات نقص فى العدد ونشأ عن قله اليد العاملة ضعف فى الزراعة والصناعة ، فزالت كروم الاعناب من مريوط التى كثيرا ما ذكرها المؤرخون فى مؤلفاتهم ومغارس الزيتون التى لم يبق من آثارها غير المعاصر المطمورة ، كما انه تركت فى الواحات مساحات واسعة بدون زراعة حتى تضاءل المغروس منها الى الحد الادنى

واستمر الحال على ذلك الاضمحلال الى أن الحقت هذه الصحراء بمصلحة الحدود فبدأت تنظمها تنظيما إداريا حتى استتب الامن ومن ثم تدخلت وزارة الزراعة لزيادة الانتاج فيها رغبة منها فى تعميم الرخاء

فأنشأ قسم البساتين محطة للتجارب عام ١٩١٨ فى برج العرب التابعة للصحراء الغربية والتى تبعد نحو ٤٠ كيلومترا عن مدينة الاسكندرية . والغرض من انشاء محطة التجارب الآنفة الذكر دراسة ما يجود من الاشجار والنباتات فى تلك المنطقة والمناطق المماثلة لها مستعينين على ذلك بمياه

الامطار والآبار . وتبلغ مساحة هذه المحطة نحو الف فدان مزروع منها الآن أكثر من نصفها . ويسكن مناطق هذا الساحل عرب رحل من أولاد على يبلغ تعدادهم نحو أربعين الف نسمة تضاءلت سبل معيشتهم إلى حد أدنى حيث يزرعون الشعير على المطر ويرعون الابل والاغنام والماعز فى البيداء ، فاذا قل الغيث تلفت الزراعة وظهر شبح الجوع فيندفع البدو بجمالهم إلى وادى النيل يشتغلون فى حمل الاثقال باقى السنة إلى أن يأتي فصل المطر المقبل فيبذرون الشعير كالعام الذى سبقه متكلين بعدالله على الامطار لريه ، وقد يصادف ألا تصيب الارض شيئا من المطر جملة سنوات فيعم القحط ويقل التعداد ، وتصبح العربان فى ضنك . أما الاغنام والابل فترعى ماتنبته الارض من النباتات البرية ، واذا ماتكاثرت يبيع العربي نتاجها ليستعين به على درء غائلة الجوع . ومما تقدم يتضح أن سكان هذه المنطقة مهددون على الدوام بالقحط وليست هذه حياة هدوء واستقرار بل حياة فزع وجزع وكم من مرة أغاثتهم الحكومة بتوزيع كميات من الشعير لتغذيتهم

التلفون الرائى : اختراع المانى

افتتح قبل شهر فى مدينة ليبزج معرض الربيع للمصنوعات الالمانية والاجنبية الذى اعتادت المانيا اقامته فى كل عام

وقد رأت وزارة البريد الالمانية فى معرض ليبزج فرصه طيبة لافتتاح أول خط تلفونى رائى لمسافات طويلة فاقامت فى يوم افتتاح المعرض الخط الاول مابين ليبزج وبرلين وقد افتتحه فى ليبزج الدكتور كولر مدير المعرض وفى برلين الهر روبناخ وزير البريد . ثم اقبل الجمهور بعد ذلك على استعماله مقابل ثلاثة مركات ونصف عن كل ثلاث دقائق وكان الصحافيون أول من استعمله اذ تخاطبوا مع زملائهم فى مكاتب برلين

ومما يستحق الذكر أن المصلحة وضعت أمام كل تليفون كرسيا يجلس المتكلم عليه ويرفعه العامل أو ينزله حتى يصير على نسبة معينة من الآلة كى تظهر صورته وقد جاء الرسم واضحا الى حد ان الواحد يرى عقربى الساعه الصغيرة فى معصم محدثه ويرى الخاتم فى بنصر اليد الحاملة للتليفون . ولا تزال هذه التليفونات الرائية محصورة فى مراكز التليفون العامة وكان الناس مهتمين بها كثيرا وكل انسان فى برلين وليبزج يسعى للتحدث فيها

كتب الشهر الجديدة

العالم كما رأيته

كتاب في خمسة مجلدات تأليف السائح المصري محمد ثابت
قامت بنشره مكتبة النهضة المصرية بمصر

لا تقل صفحات هذا الكتاب عن ١٥٠٠ صفحة فى وصف الاقطار التى زارها المؤلف . وأولها يصف القارة الامريكية . والثاني آسيا . والثالث أوربا . والرابع افريقية . والخامس الشرق الادني . والمؤلف معلم ينتهز كل فرصة فيرحل إلى احدى القارات البعيدة أو القريبة ويجوب أطرافها ويلم بما فيها من ناس وأشياء . وأحيانا يحاول المؤلف أن يحيط بأكثر مما يستوعب وهذا بالطبع لقصر المدة التى يقضيها فى الاقامة التى تستحيل إلى المامة خاطفة . ثم كثيرا مايغلب عليه روح المعلم الذى يدرس الجغرافيا بدلا من السائح الذى يقص النوادر . ولكنه فى كلتا الحالين مفيد سار . ففى كتابه عن أوربا تقرأ عن مساكن الفقراء فى اسكندناوة كما تقرأ عن الشفق القطبى. وعن الاعدام بالمقصلة فى لندن وعن شارب البيرة فى مونيخ وأمثال ذلك مما تمليه روح السائح . ولكن روح المعلم تصف خارطة أوربا (ويسميها خريطة) وجبال الألب وثلاجاتها واثار العواصم وروح المؤلف خفيفة حتى عند ما يريد أن يعلم ويفيد

الظلال

تأليف أحمد راسم صفحاته ١٦٦ من القطع الكبير طبع بمطبعة سكر بمصر

يحتوى هذا الكتاب تراجم طائفة من الرسامين والمثالين المصريين أو المتمصرين . وأوفى هذه هذه التراجم ترجمة محمود سعيد الذى يعرفه قراء هذه المجلة . فقد كتب عنه ٢٤ صفحة موضحة بكثير من رسومه . وكذلك كتب المؤلف عن ناجى ومختار وأحمد صبري وجورج صباغ وأبي نمر وراءول بارم وغيرهم .وكان يكون الكتاب أوفى وأوضح لو أن الصور طبعت على ورق الكوشيه ومن أحسن ما كتبه عن محمود سعيد قوله : « ان عجينة الالوان التى يرسم بها هي عجينة

حارة كأن عليها طبقة من الصدأ كتلك التى تعلو التماثيل التى تهزأ بالسنين والاجيال . ونحب أيضا فن سعيد لاشتماله على روح شهوانى خفى . إذ ترى فى معظم لوحاته ذلك الشىء الذى لا يمكن وصفه والذى يضغط القلب فيجعلنا نذكر لذاذات الحياة حتي أمام تصويره لصور المقابر التى يشيع فى جوها حزن كشعور المحب حين يستروح شذا عطر يذكره بأويقات هناءة مضت . وتنبعث منه نغمات تزحف ببطء على الروح كأنها قبلة قاتلة »

ومع أن هذه العبارات خيالية فان مغزاها أدل على الحقيقة من الوصف المادى للرسوم . وهذا شأن المؤلف فى سائر معالجته للرسامين . فانه يستنبط المعانى حتي يصل إلي المغزى . وكتابه لهذا السبب يعد درسا حسنا فى النقد الفنى

والكتاب مصدر بكلمة عن مختار كأنها الصلاة لهذا المثال الذى فقدته مصر ومات على غصة الاضطهاد من حكومة أتوقراطية . وهذه الكلمة خير مايفتتح به كتاب عن الفن المصرى الحديث

شهران فى أوربا

تأليف الصحفى العجوز صفحاته ٣١٥ من القطع المتوسط . طبع بالمطبعة العصرية بمصر

مؤلف هذا الكتاب هو الاستاذ توفيق حبيب الذي يروح عن قراء الاهرام كل يوم بأحاديثه البلدية الطلية . وهذا الكتاب يصف رحلته فى أوربا . وهو فيها محدث يريد التسلية فقط . ولكن يعيب المؤلف أحيانا رغبته فى أن يجمع الكثير من الحوادث والاوصاف فى القليل من الصفحات فيطويها مسارعا بدلا من أن يبسطها متمهلا . ولكنه يعوض القارىء من هذا الوصف السريع نوادر وأحاديث تجعله لا يترك الكتاب حتى ينتهي الى آخره . فهو يقول عن حلاق الباخرة النيل « وحلاق الباخرة النيل مصرى وطنى . حلاق وسياسى وصحافى معاً . هو الاخ أحمد المصرى الذى بدأ « الزيانه فى رءوس اليتامي » وهو صبى فى الثامنة من عمره . وتنقل من أصغر الدكاكين إلى أشهر الصالونات فى القاهرة . ومنها « لاجارسون » فى شارع قصر النيل و « الهايلايف » فى شارع فؤاد الاول . ولم يمنعه عمله عن الدرس والتحصيل . فدرس العربية والفرنسية ومبادىء العلوم والآداب . وألف نقابة للحلاقين فى سنة ١٩٢٤ . واشترك مع الاساتذة عزمى وعنان والعناني وسلامة موسى فى تكوين الحزب الاشتراكى . وانضم الي النقابات العامة للعمال التى يديرها الشريف عباس حليم سنة ١٩٣٠ وحث الجماعة على انشاء صحيفة خاصة ، فاتخذوا جريدة « المساء » اليومية

لسان حال لهم . وعينوه مديرا لها . وتقدم إلي شركة مصر للملاحة طالبا أن يعهد اليه فى ادارة صالون الباخرة النيل فى الموسم الحاضر من ١٥ يونيو الى ١٢ نوفمبر . وكان لمهارته ومعرفته باللغات الاجنبية الفضل فى قبوله . وقد هنأته بما ناله من توفيق ومركز لم يعرفه مصرى قبله . على ما أعلم »

الايحاء

تأليف الاستاذ وليم سرجيوس . صفحاته ١١٠ من القطع المتوسط طبع بمطبعة الشمس بمصر

مؤلف هذا الكتاب معروف بمؤلفاته التى تتصل بموضوعات العقل الباطن . وهو سهل العبارة غايته أن يفهم القارىء ما يشرح له . وقد عالج أثر الايحاء وقيمته فى الحياة الاجتماعية وتكوين الشخصية . والامثلة التاريخية التى يذكرها توضح النظرية التى يقدمها للقاريء . ويجدر بكل شاب أن يقرأ هذا الكتاب لكى يعرف شيئا عن أسرار النفس كما يجدر بالآباء قراءته أيضا لكى يقوا أبناءهم من الايحاءات السيئة . ومما قاله المؤلف عن تأثير الايحاء :

« وقد أجرى الدكتور دوراند التجربة الآتية : قدم الدكتور لمائة مريض فى مستشفاه شرابا لذيذ الطعم خاليا من الشوائب ، وبعد مرور ربع ساعة على تناولهم الشراب ، وقف الدكتور فى الدهليز وسط المرضى ، وضرب كفا على كف معتذرا لان مقيئا شديدا اختلط بالشراب الذى قدم اليهم سهوا (والواقع انه لم يكن بالشراب أى مقيء) . حدث هرج بين المرضى ولم يمض طويل وقت حتى تقيأ أكثر من نصفهم ، وذلك لان ايحاء فكرة المقيء أحدثت عندهم قيئاً ! ومن الناس من يوحى اليهم منظر الليمونة فكرة الحموضة فيسيل لعابهم وتضرس أسنانهم ! وذلك لأن التأثير الحسى المباشر الذى تحدثه الليمونة مرتبط مع ذكري فكرة سابقة عن الحموضة تحدث ايحاء بذلك . ومن تجارب بافلوف الفسيولوجى الشهير انه أمسك قطعة لحم على بعد من أنف كلب فأحدث عنده افرازا سريعاً للعصير المعدى . وعند ما انتشرت الكوليرا فى همبورج مات الكثيرون من أهلها بسبب اسهال نشأ عندهم نتيجة الخوف من الكوليرا دون أن يصابوا بها . وتحدث رؤية « المسهل » (الشربة) عند البعض آثارا شبيهة بما يحدثه تناول الشربة نفسها »

* * *

أرجأنا عرض ونقد الكتب الاخرى للعدد القادم